منهج الحياة الإيمانية والتربية الدينية
في ضوء الكتاب والسنة

يعني

مجموعة الرسائل في فضائل الأعمال والأخلاق

الصلاة   الصيام   القرآن الحكيم   الأذكار والأدعية

الدعوة إلى الله   أسباب سعادة المسلمين وشقائهم

للإمام المحدث الكبير الداعية العلامة

محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي المهاجر إلى المدينة المنورة

(١٣١٥هـ - ١٤٠٢هـ)

اعتنى بإعداده ونشره

نجله الكريم المربي الداعية الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي حفظه الله

(المشرف على جامعة مظاهر علوم بسهارنفور (الهند)

قام بتحقيق النصوص والتحشية

الأستاذ عبد الرشيد الندوي

(أستاذ / قسم الحديث بدار العلوم لندوة العلماء لكناؤ (الهند)



المكتبة اليحيوية

سهارنفور (الهند)

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[النحل: ٩٧]

منهج الحياة الايمانية والتربية الدينية
في ضوء الكتاب والسنة

يعني:

مجموعة الرسائل في فضائل الأعمال والأخلاق

الصلاة - الصيام - القرآن الحكيم - الأذكار والادعية
الدعوة إلى الله - إسباب سعادة المسلمين وشقائهم

للإمام المحدث الكبير الداعية العلامة الشيخ

محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي المهاجر إلى المدينة المنورة

رحمه الله تعالى (١٣١٥-١٤٠٢هـ)

اعتنى بإعداده ونشره

نجله الكريم المربي الداعية الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي حفظه الله

المشرف على جامعة مظاهر العلوم بـ سهارنفور (الهند)

قام بتحقيق النصوص والتحشية

الأستاذ عبد الرشيد الندوي

أستاذ/ قسم الحديث بدار العلوم لندوة العلماء لكناؤ (الهند)

قامت بالطبع والنشر والتوزيع

المكتبة اليحيوية سهارنفور (الهند)

التأليف : الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي

التحقيق : عبدالرشيد الندوي

عدد النسخ : ٢٠٠٠ (الطبعة الأولى)

(محرم الحرام ١٤٣٢هـ/يناير ٢٠١١م)

: ٣٠٠٠ (الطبعة الثانية)

(شوال المكرم ١٤٣٢هـ/ سبتمبر ٢٠١١م)

الطباعة : باريك آفسيت برنتنك بريس

شارع الندوة، لكناؤ (الهند)

الناشر :

المكتبة اليحيوية

بجوار جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور (الهند)

يطلب من :

١. المكتبة الإمدادية : باب العمرة بجوار المسجد الحرام، مكة المكرمة
٢. مكتبة الكوثر : باب المجيد، بجوار المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة
٣. مكتبة الشيخ : ٣/٦٦٧ بهادر آباد، كراتشي، باكستان
٤. المكتبة المدنية : ١٧/ أردو بازار، لاهور، باكستان
٥. دار الإحسان : بجوار مسجد الإحسان، لاهور، باكستان
٦. معهد الرشيد : جباتا، زامبيا
٧. دار العلوم الإسلامية : هولكمب بري، بريطانيا
٨. مكتبة إسلام : أمين آباد، لكناؤ (الهند)
٩. المكتبة الندوية : ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
١٠. الفرقان بكديو : نظير آباد، لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم : سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي حفظه الله

رئيس ندوة العلماء العام، لكناؤ (الهند)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين خاتم النبيين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن الصلاح في السيرة، وتقوى الله، واتباع السنة السنية، تلك الأعمال في حياة المؤمن التي يحصل بها النجاح في الآخرة، والتي جاء التأكيد على اختيارها في كتاب الله المجيد والحديث النبوي الشريف، ومبنى هذه الأعمال التي تقوم عليه هي خمسة أركان بني الإسلام عليها، وهي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً.

وروح كل ذلك هي التقوى في كل الأعمال، وهي أن تكون أعمال الرجل تابعة لأوامر الله تعالى، متصفة بروح التقوى والخوف من الله تعالى، وأن يحذر صاحبها، ويمنع نفسه من اتباع الهوى، ويسعى أن تكون أعماله في درجة الإحسان أمام ربه : "كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، فإنه لا بد لطلب النجاح في الآخرة أن يكون المؤمن مراقباً لربه، خائفاً حذراً من سوء العاقبة وعقوبة الآخرة؛ فقد جاء في الحديث الشريف بعد كتاب الله تعالى تفصيل أعمال الإيمان، والتقوى، والعمل الصالح، والتحذير عن الأعمال السيئة، وقد قام العلماء والدعاة الصالحون بشرح كل ذلك بمقالات ورسائل تتضمن معاني الإيمان، والتقوى، والأعمال الصالحة، وجمعوها في كتب معينة ورسائل مختصرة؛ ليكون الرجوع إليها، والاستفادة منها سهلاً وميسوراً أكثر، وبصورة خاصة لأولئك الذين يشتغلون بأعمال الإرشاد والتربية والدعوة؛ لتكون لهم

عُدة ومرجعاً ميسوراً لإحسان عملهم في عمل الدعوة.

وقد رأى ضرورة ذلك سماحة العلامة المحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله شيخ الحديث في جامعة مظاهر علوم، فاعتنى بأن يؤلف رسائل في هذا المجال، وذلك على طلب من الداعية الكبير مؤسس حركة الدعوة والتبليغ: سماحة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله، لتزويد العاملين للدعوة تحت إشراف هذا الداعية العملاق الذي حصل لمنهج عمله في الدعوة الرواج الكبير، فقد أثر على مئات الألوف من الناس، فقد تبدلت حياتهم بتأثير هذا المنهج العملي لدعوته، فجاءت هذه الكتب: (فضائل الصلاة، فضائل الدعوة إلى الله، فضائل القرآن المجيد، ورسالة أسباب سعادة المسلمين وشقائهم، وفضائل الإنفاق في سبيل الله، وفضائل الحج، ورسالة قصص الصحابة الإيمانية، ورسالة فضائل شهر رمضان) التي ألفها شيخ الحديث العلامة الكاندهلوي، قد وجدها الناس خير عدة في هذا السبيل، وكانت في اللغة الأردية السائدة في بلاد شبه القارة الهندية، فلما توسع مجال الدعوة والتربية رأى سماحته أن تُنقل إلى العربية أيضاً، وهي اللغة الإسلامية العالمية، فقام بنقلها إلى العربية عدد من المحسنين للتعريب، (١) وهم أساتذة جامعة ندوة العلماء، ونشرت في كتب منفردة، فكانت بحاجة إلى أن تكون في مجموع.

فأراد نجله العالم المربي الكريم: الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي أن يجمعها في كتاب واحد، مع إضافة رسالتين حصل تعريبهما أخيراً وهما: رسالة الصوم، ورسالة الأذكار، قام بترجمتهما الأستاذ عبد الرشيد الندوي، أستاذ بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة ندوة العلماء لكناؤ، ولم يكن عمل الأستاذ عبد الرشيد الندوي تعريب هاتين الرسالتين فحسب، بل إنه راجع الرسائل

---

(١) فعرّب رسالة الصلاة الأستاذ الشيخ محمد الحسني المتوفى سنة ١٣٩٩هـ منشئ مجلة "البعث الإسلامي" ورئيس تحريرها سابقاً.

- وعرب رسالة القرآن المجيد الأستاذ الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي معتمد التعليم لجامعة ندوة العلماء.
- وعرّب رسالة أسباب سعادة المسلمين وشقائهم الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي مدير دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ.
- وحصلت لي سعادة تعريب رسالة الدعوة والتبليغ.

الأخرى كذلك، وقام بتحقيق نصوصها، وتحشية ما أحوجت إلى التحشية منها؛ حتى يكون صدور الكتاب محققاً موضحاً لما يحتاج من التوضيح، فأصبح الكتاب مفيداً وأكثر لائقاً بالنشر، وهو بعنوان: "منهج الحياة الإيمانية والتربية الدينية في ضوء الكتاب والسنة" المشتمل على مجموعة من الرسائل في فضائل الأعمال والأخلاق، نرجو من الله تعالى أن يكون هذا العمل عملاً قيماً مفيداً نافعاً في مجال أوسع وأكبر، ولله المنة والفضل.

١٩/٠٣/١٤٣١هـ	محمد الرابع الحسني الندوي
٠٦/٠٣/٢٠١٠م	دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتحقق الحسنات، وتأتي الخيرات، وتنجز الطاعات، وصلى الله وسلم على محمد المصطفى الذي بلغ الرسالات، وأدى الأمانات، و رضي الله عن صحابته الغر الميامين الذين كانوا كالمصابيح في الظلمات، ومن تبعهم بإحسان، وسار سيرتهم واقتفى آثارهم الصالحات.

أما بعد:

فإن الترغيب والترهيب أو التبشير والإنذار من أهم المهمات، وأعظم الغايات، التي بعث لها الأنبياء والرسل، عليهم أفضل التحيات، وأزكى الصلوات، قال الله عزوجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨ والكهف: ٥٦].

ثم أرسل الله عزوجل خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وكانت البشارة والنذارة من أكبر صفاته وأبرز ميزاته، كما يتجلى من كثير من آيات القرآن، قال عزمن قائل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة سبأ: ٢٨].

وقال عزوجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٦].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ

بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفتح: ٨].

وقد أمر الله عزوجل في كثير من المواضع نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالقيام بمهمة التبشير والإنذار، كما قال عز من قائل: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣، والبقرة: ٢٢٣، والتوبة: ١١٢ و الأحزاب: ٤٧].

وقال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

وقال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقال تبارك وتعالى في الإنذار: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

وقال: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ١-٣].

وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [الغافر: ١٨].

وقال عزوجل: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ولا جرم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد امتثل أمر ربه عزوجل غاية الامتثال، فبشر وأنذر، ورغّب ورهب، ورجّى وخوف، وبين الثواب والعقاب على الأعمال.

والقرآن يلهج بهذا الموضوع ويكثر منه، وقد وصف الله عزوجل القرآن قائلاً:

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت : ٣-٤].

وكذلك السنة ، فإنها حافلة بالترغيب والترهيب ، والإنذار والتبشير.

ومن ثم عُني العلماءُ السلف في كل عصر بالتصنيف في هذا الموضوع ، وأقدم فيما يلي أسماء بعض الكتب والرسائل والأجزاء مما عثرت عليه.

(ألف)

- ❖ الترغيب والترهيب لحميد بن زنجويه المتوفى ٢٤٨هـ (كشف الظنون ١/٤١٨) و(هدية العارفين ١/٣٠٧) (١).
- ❖ الترغيب والترهيب لأبي حفص بن شاهين المتوفى ٣٨٥هـ (الرسالة المستطرفة ١/٤٩ طبع كراتشي سنة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م).
- ❖ الترغيب والترهيب للبيهقي المتوفى ٤٥٨هـ (سير أعلام النبلاء ١٨/١٦٦) .
- ❖ ترغيب الصلاة للبيهقي(كشف الظنون ١/٤١٧).
- ❖ الترغيب والترهيب لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الأصفهاني الملقب بـ "قوام السنة" المتوفى ٥٣٥هـ ، (كشف الظنون ١/٤١٨) وهو قد طبع بتخريج محمد السعيد بسيوني زغلول ، و مراجعة محمود إبراهيم زايد تحت إشراف عبد الشكور عبد الفتاح فدا سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م من مؤسسة الخدمات الطباعية بيروت ، لبنان.
- ❖ الترغيب والترهيب لأبي موسى المديني المتوفى ٥٨١هـ (كشف الظنون ١/٤١٨).
- ❖ ترغيب السامع في الصلاة على خير شافع للشهاب أحمد بن عبد السلام الشافعي المتوفى ٩٣١ (كشف الظنون ١/٤١٧).
- ❖ ترغيب الحسنات وترهيب السيئات لمير محمد بن يار بن خواجه البرهانبوري الهندي النقشبندي الحنفي المتوفى ١١١٠ (إيضاح المكنون ١/٢٢٣).
- ❖ ترغيبات الأبرار وترهيبات الأشرار لمحمد بن خليل القره حصاري المتوفى ١١٤٢ (إيضاح المكنون ١/٢٢٣).

(١) طبع كشف الظنون ، وإيضاح المكنون ، وهدية العارفين في سبعة مجلدات: ثلاثة للكشف ، واثنين للإيضاح ، واثنين للهدية من دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ اعتنى به محمد عبد القادر عطا.

(ب)

- ❖ فضائل الأعمال لابن زنجويه المتوفى ٢٤٨ (كشف الظنون ٢/٥١١).
- ❖ نهاية الآمال في فضائل الأعمال للشيخ أحمد بن علي بن يوسف البوني المتوفى ٦٢٦ (إيضاح المكنون ٢/٥٧٤).
- ❖ فضائل الأعمال للضياء المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي المتوفى ٦٤٣ (كشف الظنون ٢/٥١١ وسير أعلام النبلاء ٢٣/١٢٨).
- ❖ فضائل الأعمال لعبد الله بن أحمد النسفي المتوفى ٧١٠ (كشف الظنون ٢/٥١١).

(ج)

- ❖ ثواب الأعمال لابن حبان البستي المتوفى ٣٥٤ (كشف الظنون ١/٥٢٣ وهدية العارفين ١/٤٦٧).
- ❖ ثواب الأعمال لابن بأبويه القمي المتوفى ٣٨١ (إيضاح المكنون ٣/٢٧٤).
- ❖ ثواب الأعمال لابن يقطين محمد بن عيسى المتوفى ٤٤٥ (إيضاح المكنون ٣/٢٧٤).
- ❖ ثواب الأعمال لأبي العباس الناطفي المتوفى ٤٤٦ (كشف الظنون ١/٥٢٣).
- ❖ المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي أبي محمد شرف الدين عبد المؤمن ابن خلف المتوفى ٧٠٥ ، وقد طبع بتحقيق د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش من دار خضر بيروت ، لبنان.
- ❖ بشرى العمال في ثواب الأعمال للشيخ محمد عبد السلام الإسكندري المتوفى ١١٣٨ (إيضاح المكنون ٣/١٤٧ وهدية العارفين ٢/٢٨٤).
- ❖ حسن الآمال في ثواب الأعمال للسيد محمد بن زيد البغدادي (كشف الظنون ٢/٣٠).
- ❖ ثواب الأعمال لأبي عبد الله محمد بن حسان الرازي الزيدي(إيضاح المكنون ٣/٢٧٤).
- ❖ ثواب الأعمال لأبي الفضل سلمة (إيضاح المكنون ٣/٢٧٤).

ثم قيض الله عزوجل بقية السلف المحدث الكبير والمربي الشهير العلامة محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي رحمه الله تعالى ، ليلحق بهذا الموكب المبارك ، فألف كتابه المشتهر بـ" فضائل الأعمال" المشتمل على عدة رسائل في اللغة الأردية السائدة في شبه القارة الهندية ، وكتب الله عزوجل لهذا الكتاب من

القبول والرواج ما يندر نظيره للكتب الأخرى، فردده أئمة المساجد عقب الصلوات المكتوبة، وتمسك به أهل الدعوة والإرشاد، فتذاكروه في مجالسهم ومحافلهم، وقرؤوه في بيوتهم ومنازلهم، وأصبح لهم بمثابة المنهج الدعوي التربوي، والمقرر الدراسي التعليمي.

ثم شعر المعنيون بالدعوة بالحاجة إلى نقله إلى اللغة العربية، فقام بتحقيق هذه الحاجة بمشيئة الله عزوجل كبار أساتذة ندوة العلماء وأدبائها، تحت إشراف مربيهم سماحة العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله، وهؤلاء السادة المعربون من أساتذة كاتب هذه السطور الذين أعتز بالتطفل على موائدهم وأتشرف بالانتماء إليهم.

وأراد أخيراً نجل المؤلف الأبر وخليفته الأجل: الشيخ محمد طلحة حفظه الله أن يعتني بنشر هذا الكتاب وإخراجه في لباس جميل قشيب، فناشد سماحةَ شيخنا رئيس ندوة العلماء العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي بذلَ العناية إلى هذا العمل، وألح عليه في ذلك.

فوقع اختياره حفظه الله ورعاه على هذا العبد الضعيف، وإن عُلّل ذلك بشيء، فإنما يعلل بفضل الله عزوجل وكرمه أولاً، ثم بسماحة شيخنا، وما فطره الله عزوجل عليه من عواطف الإحسان وإسداء الخير، ومشاعر الرحمة والتربية للصغار.

فإن قلب هذا العبد وقلمه يسجدان لله شكراً، و يلهجان بحمده والثناء عليه، مع الاعتراف بالعجز والقصور عن أداء حق الحمد والشكر له.

ثم أقدم شكري الجزيل واعترافي بالجميل إلى سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي على إتاحته هذه الفرصة الثمينة، وعلى ما كان من لطيف توجيهه وكريم تشجيعه أثناء القيام بالعمل الذي طال أكثر من عام، ثم أهدي شكري وتقديري إلى فضيلة الشيخ محمد طلحة حفظه الله ورعاه الذي يرجع إليه الفضل الأول والأكبر في تحقق هذا الهدف النبيل، وأدعو الله سبحانه وتعالى له بالصحة والعافية، وبالقبول والأجر على عمله وبره.

وكذلك لا يفوتني في هذه المناسبة أن أشكر الشيخ الفاضل محمود حسن

الحسني الندوي الذي كان له نشاط ملموس في كل مرحلة من مراحل الكتاب، و أشكر الأخ محمد عثمان خان الندوي مسئول إدارة الرائد شكراً جزيلاً الذي قام بطباعة الكتاب وبذل فيه جهداً كبيراً، وكذلك أشكر إخواني الطلبة الذين ساعدوني في فَهْرَسة الكتاب، فجزاهم الله تعالى جميعا خير الجزاء.

أما عملي، فإنني قمت عدا تعريبي رسالتي الصوم والذكر، بالأمور التالية:

١. ترقيم الآيات وهو في المتن
٢. تخريج الأحاديث والآثار.
٣. بيان حال الإسناد ودرجة الحديث إذا أمكن.
٤. الإشارة إلى المتابعات والشواهد
٥. إحالة الأقوال والعبارات إلى مصادرها.

واستفدت في عملي بالمتقدمين كثيراً، ولم أتردد في الرجوع إلى المتأخرين والاقتباس من آرائهم، وقد قال الإمام الأديب أبو العباس المبرد رحمه الله في الكامل ١/٢٨ طبعة دار الفكر القاهرة ١٤١٧هـ: "ليس لقدم العهد يُفضَّل الفائل (أي: المخطئ)، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب"، وحاولت أن أعزو كل قول إلى قائله، إلا أنني تجاوزت المصادر الفرعية إلى المصادر الأصيلة، فرجعت إليها وأحلت إليها، وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، إن ربي غفور رحيم.

والمأمول من القراء الكرام أن لا يضنّوا علي بالنصيحة، فإن الدين النصيحة، وبإبداء الملاحظات القيمة، حتى أستفيد منها وأتنبه إلى الأخطاء، ولا يخلو عمل الإنسان من الخطأ، والزلل، والسهو، والنسيان، وأدعو الله عزوجل أن يتقبل عملي هذا المتواضع الحقير، ويجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وينفع به الإسلام والمسلمين، والله تعالى خير المسئولين، والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله وسلم على رسوله وعلى آله.

وكتبه الفقير إلى ربه:
عبد الرشيد الندوي

في ٢٧/ ٣/ ١٤٣١ هـ

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

(١٣١٥-١٤٠٢هـ)

حياته وآثاره

بقلم : فضيلة الشيخ السيد سلمان الحسيني الندوي
وكيل كلية الشريعة وأصول الدين
بجامعة ندوة العلماء ، لكناؤ (الهند)

شيخ الحديث منصب علمي كبير في الجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية ، يطلق على من يتولى شياخة قسم الحديث ، فهو ليس كـ"رئيس قسم الحديث" في الجامعات الإسلامية بالبلدان العربية ، بل هو بمعنى آخر ، فيه ما كان للمحدثين القدامى من حيث العلمُ والفضلُ والصلاحُ والتقوى من صفات وميزات ، وما يتسم به المحدَثون من المحدِّثين من الدراسات المقارنة ، والأسلوب العلمي الموضوعي الجديد ، ويزيد على هذه المعاني معنى المشيخة الدينية ، والزعامة الروحية.

وقد أطلق هذا اللقب على كثيرين ممن وصلوا إلى ذلك المنصب العلمي الكبير، إلا أنني لا أعلم أحدا في تاريخ الهند أطلق عليه هذا اللقب إطلاق الاسم والعَلَم ، حتى كانت معرفته به أشهر وأذكر من معرفته باسمه : "محمد زكريا".

في التاريخ أمثلة كثيرة لغلبة الألقاب ، أو الكنى ، والنسبة على الأسماء والأعلام ، فهناك "الغزالي" ، و"ابن تيمية" و"ابن حجر" ، وهناك "حجة الإسلام" و"شيخ الإسلام" و"الحافظ" إلى غير ذلك من النعوت ، والصفات ، والألقاب ، والكنى ، ولكني لا أذكر أحداً عرف في التاريخ القديم أو الحديث "بشيخ الحديث" بمعناه الذي ألمحت إليه ، ومعانيه الكثيرة التي انحصرت في شخصية "شيخ الحديث".

إن شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي الذي توفي مساء يوم الاثنين غرة شعبان المعظم ١٤٠٢هـ بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر

إليها من مدينة "سهارنفور" بأعوام ، من الشخصيات الفريدة في تاريخ الرجال الأفذاذ من العلماء المحدثين ، والزهاد المتعبدين ، والمشايخ الموجهين المربين ، حتى دعي في أوساط العلماء والمحدثين بـ"بركة العصر" و"بقية السلف" و"ريحانة المحدثين".

إن مزاياه التي امتاز بها عن أقرانه من كبار العلماء والمفكرين والمشايخ المربين ، متعددة الجوانب ، وإن أبرز جانب فيه اتزانه العجيب ، وجمعه المعجب المدهش بين الاستغراق في العلم ، والتحقيق ، والبحث ، والتنقيب ، والتحشية ، والتأليف ، وبين الانغماس الكلي في العبادات المضنية من نوافل الصلوات ، والصيام ، وكثرة الذكر ، وتلاوة القرآن ، والاهتمام بالأوراد ، وفضائل الأعمال ، هذا مع الانصراف التام إلى تربية السالكين ، وإرشاد المتعلمين ، وتسليك المريدين ، الذين بلغ عددهم ألوفاً مؤلفة ، وتنوعت جهاتهم واختصاصاتهم ، وتباعدت أقطارهم وبلدانهم ، وتفاوتت مراتبهم ومستوياتهم ، والرد على عشرات من الرسائل التي تأتي يومياً رداً مفصلاً دقيقاً ، يعرض الحلول الناجعة لمشاكل السائلين والمستفتين.

أضف إلى ذلك استقباله الحار للضيوف وإكرامه الذي لا يفوقه إكرام ، لكل طارق ونازل ، ومطايبته بلطيف القول وجميل الخلق ، مع السُفرة المملوءة بألوان الطعام ، وكل ذلك في يقظة نادرة ، وفطنة فائقة ، وذكاء حاد ، تستشفه في عينيه البراقتين ، وتلمحه على جبينه الأغر العريض ، ثم لا يصرفه أي شيء من ذلك عن تعلق قلبه بالله ، تلحظ بوضوح عند مجالسته كأنك أمام رجل موصول القلب بربه - عزوجل - ، وأن الجنة والنار رأي عين .

ذلك العالم الرباني الذي تعددت جوانبه الممتازة ، وفاق فيها على كثير من كبار علماء عصره ، بل أشهد بالله أنه ما رأت عيناي - وقد شهدتا عدداً كبيراً من علماء العالم الإسلامي ومشايخه - من يماثله في ربانيته المشرقة مع الاطلاع الواسع ، والعلم الغزير ، والحنكة ، والذكاء ، واليقظة ، والصفاء ، وكثرة المؤلفات ، وتهافت الناس عليه تهافت الفَراش على النور ، وسخائه المنقطع النظير ، واجتماع المئات من الناس في أيام رمضان على سفرته ، لم تر عيناي - يعلم الله - من جمع هذه الخصال في مثل هذا التوازن الجميل ، والأخلاق النبوية العالية.

لقد عُرف هذا المحدث الفذ بكتبه الشهيرة التي تتداولها الأوساط العلمية والدراسية في الهند وخارجها كأوجز المسالك إلى شرح موطأ الإمام مالك، الذي طبع مراراً في الهند، وطبع أخيراً في عشرة مجلدات من مصر، وتعليقاته على "بذل المجهود في حل أبي داود" الذي ساعد في تأليفه شيخه وأستاذه: الشيخ المحدث خليل أحمد السهارنفوري، والذي طبع في عشرين مجلداً من مصر، وكتاب: "لامع الدراري في شرح صحيح البخاري" الذي هو مجموع دروس الشيخ المحدث رشيد أحمد الكنكوهي، قيدها والد الشيخ المترجم له: الشيخ المحدث محمد يحيى الكاندهلوي، ثم قام "شيخ الحديث" بالإضافات القيمة، والتحقيقات النيرة، فحلّى بها جيد الكتاب، وخرج في عشرة مجلدات من بيروت، كما أن له كتاب: "الأبواب والتراجم للبخاري" وهو فريد في موضوعه، لم يكتب في هذا الموضوع بحث أبسط وأوفى وأدق من هذا البحث الذي كان عصارة دراسات شيخ الحديث" لكتاب "صحيح البخاري" الذي قرأه مراراً ودرسه عاماً بعد عام، وقدصدر في ستة مجلدات، وله جزء "حجة النبي وعمراته" من البحوث النادرة المستقصية لجوانب الموضوع.

هذه الكتب التي صدرت تعرفها الأوساط العلمية، لا سيما أوساط المحدثين، وأقول لمن لم يطلع عليها، ولم يسمع عنها: إنها تمتاز بما يلي:

١- التحري الدقيق في نقل المذاهب، وعزو الأقوال إلى أصحابها، والرجوع في كل مذهب إلى مراجعه الأصيلة.

٢- الإنصاف مع أصحاب المذاهب الأربعة، مع تمسكه بالحنفية على بصيرة وعن اقتناع علمي، وتأييد وتدليل.

٣- الإكثار من النقول، وجمع الاقتباسات من كتب فقهية، وحديثية كثيرة، ربما لا يطلع عليها القارئ في كتاب آخر بهذا الاستقصاء والجمع الشامل.

٤- ذكر أدلة المذاهب الأخرى مع ترجيح أدلة المذهب الحنفي في أسلوب هادئ، واحترام للجميع، وحب، وإكبار.

٥- الشمول والإحاطة والتعرض لكل ما يتعلق بالبحث من أمور كلية وجزئية، يتجلى ذلك بوضوح في مجهوده العلمي الكبير: أوجز المسالك إلى

موطأ الإمام مالك.

٦- والميزة السادسة التي تميز جميع كتبه عن كتابات كثير من العلماء هو: إخلاصه في التأليف، وعدم الانتفاع بها مادياً، ووقفها في سبيل العلم والدين، والأخذ بالآداب الرفيعة أثناء التأليف، الأمر الذي أورث كتبه تأثيراً عميقاً في النفوس.

وقد خلّف شيخ الحديث مكتبة ضخمة من المؤلفات في مختلف المواضيع العلمية، وكتبه في الترغيب والترهيب المعروفة بفضائل الصلاة، وفضائل الزكاة، وفضائل الصوم، والحج، والصدقات، والدعوة، وغير ذلك، كتب سارت مسار الأمثال، وطارت في الآفاق، وقُرئت في المساجد، وأصبحت مقررا لجماعة الدعوة والتبليغ، والذين يأخذون عليها ذكر الأحاديث الضعيفة، يتغافلون أو يتجاهلون، أنه ليس بدعاً في المحدثين، بل إن أكثر المحدثين يأخذون بالضعاف مع الشروط المعتبرة في فضائل الأعمال، وهذا هو مذهب الجمهور من المحدثين المعتدلين.

أما كتب "شيخ الحديث" ومؤلفاته القيمة الأخرى التي لا تعرف في الأوساط العلمية لكونها مخطوطة، لم تخرج إلى النور بعد، فأحب أن أذكر لمحات موجزة عنها؛ لعل ذلك يحث القائمين عليها، والمحبين لها أن يبادروا في إخراجها بصورة متقنة جميلة قشيبة.

١- "تقرير مشكاة المصابيح" هذا مجموع دروس ومحاضرات في كتاب "مشكاة المصابيح" وكلمة تقرير بالأردية تعني خطبة أو محاضرة، وقدكان قيدها أثناء قراءته للكتاب في أيام الطلب، ثم لما بدأ يدرس هذا الكتاب العظيم عام ١٣٤١هـ بدأ يزيد على هذا الأصل إضافات كثيرة قيمة هي خلاصة دراساته في شروح هذا الكتاب العديدة، وقد استنسخ منه أكثر من مائة طالب ومدرس، واستفادوا، وأفادوا.

٢- "محاضرات في كتب الحديث": هذه مجموعة أخرى للدروس والمحاضرات في الكتب الستة التي كان يلقيها شيخه المحدث خليل أحمد السهارنفوري، فكان يقيد خلاصة هذه الدروس، وقد جاءت محاضرات أستاذه في الكتاب: "سنن الترمذي"

كاملة في مجموعة عنده بصورة مختصرة.

٣- تلخيص "بذل المجهود في حل أبي داود": كان المؤلف أثناء إملاءات شيخه لكتابه: "بذل المجهود" يلخص محتوياته، ويوجز أهم مضامينه التي احتواها هذا التلخيص النافع الوجيز.

٤- "شذرات الحديث": هذا الكتاب يحوي فوائد وفرائد حديثية نادرة، وهي خلاصة دراسات شيخ الحديث في كتاب البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن، فكان من عادته أثناء مطالعاته لهذه الكتب أنه خصّص دفتراً بكل كتاب يقيد فيه فوائد الشروح الحديثية المتعلقة بكل كتاب، وقد رسم لذلك علامات، مثل: "شخ" للشذرات المتعلقة بالبخاري، و"شم" و"شت" و"شد" إشارة إلى شذرات كتاب مسلم، والترمذي، وأبي داود.

٥- مقدمات كتب الحديث: لقد كان شيخ الحديث بدأ بكتابة مقدمة ضافية في علوم الحديث عام ١٣٤٦هـ وكان ينقح فيها ويزيد حتى عندما طبع كتابه القيم: "أوجز المسالك" طبعت معه هذه المقدمة، كما أنه كتب مقدمات الكتب الحديثية الأخرى من الصحاح والسنن التي اشتغل بقراءتها وتدريسها زمناً طويلاً، ذكر فيها مزايا هذه الكتب وتراجم مؤلفيها وخصائصهم الفنية، وقد طبعت فيها مقدمة صحيح البخاري في مبتدأ كتابه: "لامع الدراري"، أما مقدمات صحيح مسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وشمائل الترمذي، وشرح معاني الآثار للطحاوي، فلا تزال مخطوطة تنتظر من يخرجها إلى النور.

٦- "تقرير سنن النسائي" وهو كذلك مجموع محاضرات أساتذته وشيوخه المحدثين في سنن النسائي، بدأ بتقييدها بتفصيل وإسهاب في ٤/ ربيع الثاني عام ١٣٤١هـ وقد انتهى منها في جمادى الثانية عام ١٣٤١هـ، وقد قرأ أثناء اشتغاله بتقييد هذه المحاضرات "زهر الربى للسيوطي" و"حاشية السندي على سنن النسائي" قراءة مستوعبة متأملة كما استفاد من حواشي عدد من شيوخه الأجلة المحدثين على السنن، وقد استعان به كثير من المدرسين لسنن النسائي أثناء تدريسهم.

٧- "مختصات المشكاة" جمع بها المؤلف كل ما يختص بكتاب المشكاة من بحوث ومختصات لملا علي القاري.

٨- جامع الروايات والأجزاء، هذا الكتاب بمثابة موسوعة ضخمة في أطراف كتب الحديث، بدأ المؤلف بجمعها، وترتيبها من أوائل عام ١٣٣٥هـ واستمر فيها إلى عام ١٣٨٨هـ، وقد ذكر فيها أطراف الكتب الستة، وموطأ الإمام مالك، وموطأ الإمام محمد، وشرح معاني الآثار للطحاوي، والمستدرك للحاكم، والسنن الكبرى للبيهقي وغيرها من كتب الحديث، وكان قد رتبها على طريقة مشكاة المصابيح، ثم لم تمهله الأمراض والانقطاع عن التدريس أن يستمر في هذا العمل، وبقي ناقصاً ينتظر محدثاً ذا همة وعزيمة.

٩- حواشي "المسلسلات": جمع المؤلف فيه الأحاديث المسلسلة التي كان طلاب الحديث يأخذون الإجازة فيها عن الشيخ، وعلّق عليها تعليقات نافعة، وأفرد رسالة في رجالها ورواتها سماها: "رجال المسلسلات".

١٠- حواشي "الساعة في أشراط الساعة": هذه تعليقات فاض بها قلم المؤلف على كتاب السيد صديق حسن خان البوفالي، وأحال إلى المراجع التي استفاد منها مؤلف الأصل مع زيادات قيمة مفيدة.

١١- "جزء معراج النبي صلى الله عليه وسلم": هذه رسالة جمع فيها المؤلف الروايات المتعلقة بمعراج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكمله.

١٢- "جزء وفاة النبي صلى الله عليه وسلم": يشتمل على الأحاديث والروايات التي تبين بداية مرض وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: في أي يوم وأي تاريخ؟ وكيف اشتد المرض، وماذا جرى في تلك الأيام من الأحاديث والوقائع؟ ولم يتم.

١٣- "جزء أفضل الأعمال": كثيراً ما يذكر في الأحاديث أن العمل الفلاني أفضل، ثم يذكر ذلك الفضل لعمل آخر، وثالث، ورابع، فكفى الشيخ مؤنة البحث في هذا الموضوع، وجمع تلك الروايات كلها، وبين ما ذكر المحدثون من الوجوه في أفضليتها، ولم يكمل هذا الجزء للأسف.

١٤- جزء روايات الاستحاضة: موضوع الاستحاضة في الأحاديث من

المواضيع الصعبة التي تبدو متعارضة في نفسها، وتحتاج إلى دقة نظر وتأمل كثير، وقد كان المحدث الجليل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري بعد أن كتب بحثه الممتع في هذا الموضوع في شرحه لسنن أبي داود يقول: لقد كانت أحاديث الاستحاضة تشكل عليّ دائماً، وكنت أعتقد أن المشكلة ستنحل في "بذل المجهود" ولكن لم تزل المشكلة كما كانت، وقد اختار شيخ الحديث في تعليقه على "الكوكب الدري شرح الترمذي" على حديث "حمنة بنت جحش" توجيهاً يختلف عما قاله المحدثون بصفة عامة، وقد ذهب إليه مستأنساً بما جاء في مشكل الآثار للطحاوي، وبسط هذه المسألة في رسالته هذه التي أسماها "جزء روايات الاستحاضة".

١٥ - "جزء رفع اليدين": جمع فيه جميع الروايات المتعلقة بالموضوع، وكان يريد التعليق عليها، ولكن لم يحصل له ذلك.

١٦ - "جزء الأعمال بالنيات": تكلم فيه حول هذا الحديث بتفصيل واستيعاب، وجاء بفوائد مهمة.

١٧ - "جزء اختلافات الصلاة": كان الشيخ أيام تدريسه لمشكاة المصابيح يقول لطلابه: لماذا يثور النزاع حول: مسائل رفع اليدين، والتأمين سراً وجهراً، وقراءة الفاتحة خلف الإمام، ويتركز الخلاف فيه مع العلم بأن الاختلاف في كون أيها أفضل، ومع أن هناك عشرات من المسائل في الصلاة فيها نفس هذا الخلاف؟ وبدأ يجمع هذه الخلافات التي توجد في الركعات الأربع من الصلاة، فبلّغها إلى مائتين، والخلاف في كل منها يدور حول الأفضل والمفضول.

١٨ - "جزء مكفرات الذنوب": جمع فيه الأحاديث التي ذكرت فيها الأعمال التي وصفت بأنها مكفرة للخطايا والذنوب.

١٩ - "جزء ملتقط المرقاة": يشتمل على فوائد منتقاة من المرقاة.

٢٠ - "جزء صلاة الاستسقاء".

٢١ - "جزء صلاة الخوف".

٢٢ - "جزء صلاة الكسوف".

هذه الرسائل الثلاث تشتمل على مجموعة الأحاديث الواردة في هذه الأبواب مع شرحها، وتعيين المرات التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم

والأماكن التي صلى بها، وغير ذلك من الفوائد المهمة.

٢٣ - "جزء تخريج حديث عائشة في قصة بريرة رضي الله عنهما": جاءت أحاديث عائشة رضي الله عنها في قصة بريرة مختلفة النصوص، فأراد الشيخ من جمع هذه الروايات كلها أن ينظر القارئ فيها ويتأملها مجتمعة مرتبة في مكان واحد.

٢٤ - "جزء أنكحته": تناول فيه تفاصيل زواج النبي بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وختمه بذكر زواج السيدة فاطمة رضي الله عنها.

٢٥ - "أوليات القيامة": ذكر فيها الروايات التي جاء فيها: أول ما يُسأل العبد، أول ما يفعل، أول ما يحاسب، هلم جرا.

هذه كتبه في الحديث وعلومه، وشروح الكتب الحديثية، أما كتبه في أصول الحديث، وتراجم الرواة فهي كما يلي:

١ - أصول الحديث على مذهب الحنفية، وهي رسالة مختصرة ألفها عام ١٣٤١هـ وكان ينقح فيها ويزيد إلى عام ١٣٨٨هـ.

٢ - جزء ما يشكل على الجارحين: جمع فيه أقوال العلماء الجارحين، في بعض الرواة الذين أشكل الكلام فيهم جرحاً وقدحاً، وجمع اعتراضات العلماء على أقوال الجارحين.

٣ - "جزء ما قال المحدثون في الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان": نقل فيه أقوال المحدثين الذين تكلموا في الإمام أبي حنيفة، ورد على أقوالهم، كما ذكر أقوال من عدّلوه وأثنوا عليه.

٤ - "جزء المبهمات في الأسانيد والروايات": كثيراً ما يرد في أسانيد الحديث ومتونها رجال لم تذكر أسماؤهم، فبدأ المؤلف جمع أسماء هؤلاء المبهمين والمبهمات، وهم غير من ذُكروا في "تقريب التهذيب" أو "تهذيب التهذيب" أو "تعجيل المنفعة".

٥ - حواشي وذيل "تهذيب التهذيب": لقد علق المؤلف على عدد من كتب الرجال، وقد أكثر من الحواشي والتعليقات على كتاب: "تهذيب التهذيب" وكان يريد إضافة ذيول للكتاب، فلم يكن منها إلا شيء قليل.

٦ - "جزء ملتقط الرواة عن المرقاة": جمع فيه المؤلف كلام صاحب المرقاة على الرجال الذين ذكروا في مشكاة المصابيح.

وخدم هذا العلَم الفرد عدداً من الكتب الحديثية بالفَهرسة والتبويب والترتيب، أذكرها فيما يلي:

١- معجم"المسند للإمام أحمد": رتب فيه أحاديث المسند على الحروف الهجائية مع الإحالة إلى المجلد والصفحة، وهو يسهل الاستفادة من هذا السفر الضخم.

٢- معجم رجال"تذكرة الحفاظ" للذهبي: فهرس المترجمين فيه على الحروف.

٣- معجم الصحابة الذين أخرج عنهم أبو داود الطيالسي في مسنده: رتب أسماء الصحابة فيه على الحروف.

٤- تبويب "تأويل مختلف الحديث".

٥- تبويب"مشكل الآثار".

رتب المؤلف أحاديث الكتابين على الأبواب الفقهية.

هذه نبذة عن مؤلفات "شيخ الحديث" في الحديث، وعلومه، ورجاله، تدل على جهده، وعلو كعبه، ودقة نظره، وحسن اختياره، ونرجو من القائمين عليها أن ينشروها وأن يُعمّوا النفع بها، والله هو الموفق المعين.



رسالة: فضائل الصلاة

ألفها:

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي رحمه الله تعالى

(١٣١٥-١٤٠٢هـ)

تعريب:

فضيلة الأستاذ السيد محمد الحسني رحمه الله تعالى

(١٣٥٤-١٣٩٩هـ)

منشئ مجلة "البعث الإسلامي" لكناؤ (الهند)

تقديم:

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى

(١٣٣٢-١٤٢٠هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم: سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد، وآله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد كانت الصلاة المشروعة في الإسلام استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة، والاطراح على عتبة القوي الغني، الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، الحافظ المانع، المعطي الباذل، العليم الخبير، السميع المجيب، واستجابة لغريزة الشكر والوفاء، وغريزة الحب والحنان، وغريزة الخضوع والتواضع، والعبودية والتذلل، فهو في ذلك كالسمك لا يعيش إلا في الماء، و إذا أخرج من الماء لم يزل في حاجة إلى الماء، وفي حنين وفي فرار والتجاء إليه، وذلك معنى قول رسول الله صلى الله وسلم: "وجعل قرة عيني في الصلاة"(١) وقوله لمؤذنه بلال رضي الله عنه: "يا بلال! أقم الصلاة، أرحنا بها" (٢).

وكانت الصلاة أقرب إلى المؤمن، وأكثر إيواءً، وأسرع نجدة و إسعافاً، وأسخى وأعطف عليه من حجر الأم الرؤوم الحنون، على الطفل الشريد الفريد، اليتيم الضائع، الضعيف العاجز، كلما عوكس أو هدد، وكلما أصابه الرَوع أو الفزَع، أو مسه الجوع أو العطَش، أوى إلى أمه فرمى نفسه في أحضانها، أو تشبث بأذيالها، كذلك الصلاة معقل المسلم وملجؤه، الذي يأوي إليه، والعروة الوثقى التي يعتصم بها، والحبل الممدود بينه وبين ربه الذي يتعلق به، وهو غذاء الروح،

---

(١) أخرجه النسائي في السنن كتاب عشرة النساء باب حب النساء برقم: ٣٩٣٩ و: ٣٩٤٠ بسند صحيح.

(٢) رواه أبو داود عن رجل من خزاعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة برقم: ٤٩٨٥ وإسناده صحيح.

وبلسم الجروح، ودواء النفوس، و إغاثة الملهوف، وأمان الخائف، وقوة الضعيف، وسلاح الأعزل، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٥٣] ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى"(١) وروى أبو الدرداء رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان ليلة ريح شديدة كان مفزعه إلى المسجد حتى تسكن الريح، وإذا حدث في السماء حدث من خسوف شمس أو قمر، كان مفزعه إلى الصلاة حتى ينجلي"(٢) وليست الصلاة قالباً حديدياً، وشيئاً جامداً محدوداً، يتساوى فيه الناس، ويتوقف المصلي فيها على مستوى واحد لا يتجاوزه، إنما هي ساحة واسعة يتدرج فيها المصلي من حال إلى حال، ومن بدء إلى كمال، ومن كمال إلى ما لا يخطر على بال، ويتفاضل فيها الإنسان تفاضلا كبيراً. فليست الصلاة مع الغفلة والجهل، مثل الصلاة مع الاستحضار والتفقه، وليست صلاة عامة المسلمين مثل صلاة العارفين، وأهل اليقين، ولا يجب أن تكون صلاة كل أحد في اليوم مثل صلاته بالأمس، وقبل شهور وسنين.

ومن واجبات هذه الأمة وعلمائها ومربيها بالأخص: أن لا ينقطع هذا الإرث، وأن لا تضيع هذه الثروة المباركة، وأن لا ينطفئ هذا النور، مهما تغيرت الأوضاع، وغزت المادة القلوب والنفوس، فإنها خسارة لا تعوّض بشيء، وفراغ لا يُملأ بأكبر قسط من الأحكام الفقهية، وأسرار التشريع، وذلاقة اللسان، وسيلان القلم، ولا أمل في حركة إصلاحية أو محاولة لبعث إسلامي، إلا إذا ألهبت جذوة الإيمان والحب والحنان، في نفوس أصحابها ودعاتها، وأعادت إلى الأمة عن طريق دعوتها وتربيتها وجهادها ظلال تلك الصلاة

(١) أخرجه أبو داود في التطوع باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل برقم: ١٣١٩. وحسنه الحافظ في الفتح: كتاب الجنائز باب الصبر عند الصدمة الأولى.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة زياد بن صخر المري٢١/١٠٦، أورده صاحب كنز العمال برقم: ٢٣٠٥٦ ج/٨ ص: ٣٠٨ معزوا لابن أبي الدنيا وابن عساكر وقال: سنده حسن، وعزاه الهيثمي٢/٤٥١ إلى المعجم الكبير. وقال: لم أعرف زياد بن صخر، وبقية رجاله ثقات.

الخاشعة الرقيقة التي امتازت بها القرون المشهود لها بالخير، وعرفت كيف تقوم أمام ربها في الصلاة قبل أن تعرف كيف تقف أمام عدوها، وفي المشكلات والأزمات، وصدق إمام دارالهجرة مالك بن أنس، إذ قال: "لن يُصلح آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلها" وصدق الله العظيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون الآية: ١-٢].

ولم ينقطع هذا الإرث ولم ينطفئ هذا النور رغماً عن الغارات المتصلة التي شُنت على جسم هذه الأمة وروحها، وتراثها وذخائرها، ورغماً عن العواصف الهوجاء التي هبت لإطفاء هذا النور، وذلك بفضل جهاد العلماء الربانيين، والدعاة، والمصلحين، والفقهاء، والمحدثين، وأهل القلوب، وأصحاب اليقين، والعباد الخاشعين، الذين تذوقوا الصلاة، ووجدوا فيها لذة لا توصف بألفاظ، ولا يفي بها تعبير، وهبت عليهم فيها نفحات الجنة، وروائحها، وذلك تارة بالعمل والتمثيل، وطوراً بالتعليم والتلقين، وأخرى بالتصنيف والتأليف.

وقد ألف كبار الأئمة وجهابذة هذه الأمة في موضوع الصلاة، وفقهها وأحكامها، وسننها وآدابها، وروحها وخشوعها، وحِكَمِها وأسرارها، وفي وصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ما ورد فيها من الفضائل: كتباً ورسائل في القديم والحديث لا تمكن الإحاطة بها لكثرتها، اشتهر من بينها في القديم رسالة: "الخشوع في الصلاة" للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب: "قيام الليل" لتلميذه الكبير محمد بن نصر المروزي، هذا عدا كتب السير والتراجم والطبقات التي احتوت على أخبار وحكايات لصلاة الخاشعين من هذه الأمة وعبادها مثل كتاب: "حلية الأولياء" لأبي نعيم، و"صفة الصفوة" لابن الجوزي، و"إحياء علوم الدين" للغزالي، و"مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين" لابن القيم، وكثير من كتب المشايخ التي اشتملت على مادة غزيرة وثروة كبيرة من القصص والحكايات، التي تؤثر في القلوب ما لا تؤثر البحوث العلمية، والتفريعات الفقهية، وتشحذ العزم، وترفع الهمم.

وقد كان لجميع هذه الكتب ومؤلفيها فضل في التعريف بحقيقة الصلاة ولبابها، والوقوف على سننها وآدابها، والاهتمام بالخشوع والقنوت فيها،

وشدة المحافظة عليها، والتهالك في سبيلها، وتقليد الربانيين والقانتين ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٢-٣] و﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٦] جزاهم الله خير الجزاء، وكافأهم على صنيعهم أحسن مكافأة.

ومن هذه السلسلة المباركة التي لم تنقطع ولا تنقطع: هذه الرسالة المباركة لشيخنا العلامة المحدث الجليل، والمربي الكبير: الشيخ محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي، نفع الله بعلومه، ألفها سنة ١٣٥٨هـ(١) بإرشاد عمه المصلح الكبير والداعية الشهير: مولانا محمد إلياس الكاندهلوي رحمة الله تعالى عليه، لتتداولها جماعة التبليغ والدعوة قراءة ودرساً، وتلقيناً وتعليما، وتأملا ومراجعة، فكان الاعتماد عليها، والاشتغال بها، في جولات هذه الجماعة وتنقلاتها، وفي دروسها ومواعظها، وأصبحت من الكتب الأساسية والمقررات الدراسية لهذه الجماعة بصفة خاصة، وللمشتغلين بالدعوة، والمعنيين بأمر الصلاة، والراغبين في الدين بصفة عامة، وكتب لها من القبول، والانتشار، والشهرة، والذيوع، وتداول الأيدي، وإقبال الناس، ما لم يكتب لأي رسالة دينية في "أردو" لغة المسلمين في شبه القارة الهندية، وظهرت لها طبعات تفوق العد والإحصاء، وانتفع خلق لا يحصون بحد وعد.

وقد نهج فيها المؤلف نهج المؤلفين في فضائل الأعمال والأخلاق، والترغيب والترهيب، وتوسع فيها بعض التوسع، شأن المؤلفين في هذا الموضوع، واعتنى بحكايات الصالحين، والعباد الخاشعين، المرققة للقلوب المؤثرة في النفوس، وضم إليها فوائد علمية وحديثية، وأضاف إليها حكايات مشايخ العصر الأخير، وصلحاء هذا الجيل، لأنها أكثر إثارة للهمم الخامدة،

(١) وفي آخر هذه الرسالة إشعار بتمامها في ٧/محرم سنة ١٣٥٨هـ، وقد أهدى إمام دعوة التبليغ: الشيخ الجليل مولانا محمد إلياس الكاندهلوي إلي هذه الرسالة في أول زيارتي له في ذي القعدة ١٣٥٨هـ، وكانت حديثة الظهور، وكتب بقلمه:

أهدي هذا الكتاب إلى... عملا بالوصية النبوية: "تهادوا تحابوا"، وكان شرفاً عظيماً لي، ولم أكن أعرف في ذلك الوقت أن يكون لي شرف التقديم لترجمته العربية، ولله الحمد أولاً وآخرا (سماحة الشيخ).

وأكثر بعثاً للعزائم الفاترة، وحيث أورد حديثاً فيه ضعف، أو لين، أو كلام للمحدثين، بين ضعفه، وذكر نقد أهل الصناعة له، فجاء هذا الكتاب الصغير جامعاً بين أمانة المحدث، ونزاهة العالم، وتأثير الواعظ، وصحبة المربي، لذلك كان نفعه عاماً لطبقات المسلمين.

وقد نقله إلى العربية ابن أخي الأستاذ محمد الحسني رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"، وهو كاتب إسلامي مرموق عرفه القراء في العالم العربي بمقالاته الإسلامية وافتتاحياته القوية، لينتفع به أولا، وينتفع به القراء ثانياً، فقد انتشرت هذه الدعوة في الأقطار العربية، وجماعات التبليغ فيها في غدوّ ورواح، فاشتد الطلب لنقل الكتب التي عليها الاعتماد في دروس هذه الجماعة وتعليمها، وقد تناولنا الترجمة بشيء من التعديل والتلخيص، لم يفقد الكتابَ تأثيرَه، و وقعه في القلوب، نظراً إلى اختلاف البيئات والعقليات، ندعو الله مخلصين أن ينفع بهذه الترجمة كما نفع بأصلها، وجعلها ذخراً للمترجم، ولمن سعى فيها، وأعان عليها، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دار عرفات، رائي بريلي (الهند)

لليلتين خلتا من ذي الحجة الحرام ١٣٩٢ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

أما بعد فقد عم في هذا الزمان من الرغبة عن الدين، واللامبالاة به، ما لا يحتاج إلى برهان، وكانت الصلاة من تلك الفرائض الدينية، والأركان الإسلامية التي طوتها الغفلة، والنسيان، وقلة العناية والاهتمام، مع أنها أولى وأهم من سائر العبادات بعد الإيمان، اتفق عليها الأمة والأئمة، وهي أول ما يسأل المرء عنها يوم القيامة، وما وُجدت دعوة دينية تعتني بأهم العبادات في الإسلام حق العناية والاهتمام، فظهر لنا بعد تجا رب عملية في هذا المضمار أن نركز على هذه الناحية، ونستعين في ذلك قبل كل شيء بالتعاليم النبوية، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم القد سية.

وبدت لي بعض العوائق في هذا السبيل، ولكن حاولت جهدي راجياً من الله سبحانه أن هذه الأحاديث الشريفة والآثار المباركة تؤثر إن شاء الله تعالى في الذين صفت أذهانهم، وسلمت طبائعهم، ففي هذا الكلام المبارك وصاحبه العظيم صلى الله عليه وسلم كل خير ونفع، وقد ألح علي بعض الإخوان المخلصين أن أقوم ببعض الواجب في هذا الباب، وعقدوا آمالا كباراً في النجاح والتوفيق، والقبول، والتأثير، فصحت نيتي أخيرا على أن أجمع نبذة طيبة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم حول الصلاة ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود"٨٨].

الناس في الصلاة ثلاثة أنواع: نوع لا يبالي بالصلاة مطلقاً ولا يفكر فيها، ونوع يُعنى بالصلاة ولكنه لا يُعنى بالجماعة، ونوع يصلي مع الجماعة ولكنه لا يهتم بها، ولا يعتني بشروط الصلاة وآدابها، يصلي وهو عنها ساهٍ غافل، فرأيت أن أقدم خلاصة ما جاء من الآثار والأحاديث في هذه الأنواع الثلاثة، وأكتب مفاهيمها ومعانيها باختصار.

الباب الأول في أهمية الصلاة

الفصل الأول في فضائل الصلاة:

(١) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان.

[متفق عليه (١) وقال المنذري في الترغيب: رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن غير واحد من الصحابة].

شرح الحديث:

إن هذه الأركان من أهم أركان الإيمان، وأسس الإسلام، شبّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام في هذا الحديث بخيمة تقوم على خمسة أعمدة، فكلمة الشهادة عمودها الوسَط، والأركان الباقية تمسك الخيمة من جهاتها الأربع، فإذا سقط العمود الوسط سقطت الخيمة، أما إذا قام هذا العمود قامت الخيمة، ولكنها تكون ناقصة إذا فقد أحد أعمدتها الباقية.

فلننظر في نفوسنا وفي أحوالنا، هل أقمنا خيمة الإسلام، وإلى أي مدى أقمناها، وما هو العمود الذي أقمنا عليه الخيمة؟ إن صرح الإسلام يقوم على هذه الأركان الخمسة، ولا بد لكل مسلم رضي بالإسلام دينا وعقيدة ومنهاجا أن يهتم بجميع هذه الأركان غاية الاهتمام، ولكن الصلاة أولى وأهم من سائر هذه الأركان، فليكن اهتمامنا بها أكثر وأشد.

جاء في صحيح البخاري: حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك قال: حدثنا شعبة، قال الوليد بن العيزار: أخبرني، قال: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: حدثنا صاحب هذه الدار - وأشار إلى دار عبد الله - قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم

(١) أخرجه البخاري في الإيمان باب دعاؤكم إيمانكم برقم:٨ ومسلم في الإيمان برقم:١٦.

أي؟ قال: ثم بر الوالدين قال: ثم أي ؟قال: الجهاد في سبيل الله، قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني [صحيح البخاري] (١).

إن هذا الحديث حجة للعلماء بأن الصلاة تتبع الإيمان في الأهمية ويصدقه الحديث الذي جاء فيه: "الصلاة خير موضوع" (٢) يعني: أن الصلاة أفضل الأعمال التي فرضها الله تعالى على عباده.

وجاء في الأحاديث الصريحة الصحيحة أن أفضل أعمالكم الصلاة، وروي هذا الحديث في الجامع عن ثوبان (٣) وابن عمرو (٤) وسلمة(٥) وأبي أمامة (٦) وعبادة (٧) رضي الله عنهم.

وروي عن ابن مسعود(٨) وأنس رضي الله عنهما: أن أفضل الأعمال الصلاة في وقتها.

وروي عن ابن عمر(٩) وأم فروة (١٠) رضي الله عنهما: أن أفضل العبادات الصلاة في وقتها، والغاية من كل هذه الأحاديث متقاربة.

---

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة برقم: ٥٢٧ وهذا لفظه، ومسلم في الإيمان برقم: ٨٥ وغيرهما.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢١٥٤٦ عن أبي ذر رضي الله عنه قال محققو المسند: إسناده ضعيف جداً انتهى، وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٢٤٣ عن أبي هريرة، وفيه عبد المنعم بن بشير وهو ضعيف ولا سيما مع شيخه أبي مودود القاص كما في هذا الإسناد.

(٣) أخرجه ابن حبان برقم: ١٠٣٧ والطبراني في الكبير برقم: ١٤٤٤، بلفظ: سددوا وقاربوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، وإسناده حسن كما قال محقق صحيح ابن حبان شعيب الأرناؤوط.

(٤) حديث عبد الله بن عمرو أخرجه ابن حبان برقم: ١٧٢٢ بسند حسن كما قال محققه.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير برقم: ٦٢٧٠ عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه مرفوعاً: استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن أفضل أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن. وسنده ضعيف لأن فيه ضعفاء، منهم الواقدي، وموسى بن محمد.

(٦) أخرجه ابن ماجه برقم: ٢٧٩، كتاب الطهارة باب المحافظة على الوضوء، قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف لضعف تابعيه (هوأبو إسحاق الدمشقي).

(٧) أورده صاحب كنز العمال برقم: ٥٤٧٥ معزوا إلى الطبراني في الكبير قال الهيثمي في المجمع ٢٥٣/٢: رواه الطبراني في الكبير عن محمد بن عبادة عن أبيه، ولم أجد من ترجمه، انتهى. هذا التعليق مذكور في المطبوع من مجمع الزوائد بعد حديث سلمة بن الأكوع وهو خطأ.

(٨) أخرجه البخاري برقم: ٥٢٧. في مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها.

(٩) أورده صاحب الكنز برقم: ٥٤٧٤ معزوا إلى المعجم الكبير.

(١٠) أخرجه الترمذي برقم: ١٧٠ ولفظه: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها. قال الترمذي: لا يروى هذا الحديث الا من طريق عبدالله بن عمر العمري، وليس هو بالقوي في الحديث، واضطربوا عنه في هذا الحديث، وهو صدوق، وقد تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه انتهى. وقد رُوي هذا المعنى عن ربيعة الجرشي عند الطبراني في الكبيره/٦٤ برقم: ٤٥٩٦ وفي إسناده ابن لهيعة.

(٢) عن أبي ذر: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في الشتاء، والورق يتهافت، فأخذ بغصن من شجرة قال: فجعل ذلك الورق يتهافت فقال: يا أبا ذر! قلت: لبيك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: إن العبد المسلم ليصلي الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة [رواه أحمد بإسناد حسن، كذا في الترغيب] (١).

شرح الحديث:

إن أوراق الأشجار تسقط في أيام الشتاء حتى يتجرد بعض الأشجار عن أوراقها، فذلك مثل المؤمن كما قال صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى يغفر ذنوب عبده المؤمن إذا صلى صلاته بإخلاص، ولكن لابد هنا من تأمل، فقد تحقق عند العلماء بعد دراسة الكتاب والسنة أن الكبائر لا تغفر إلا بالتوبة، أما الصغائر فقد تمحوها الصلاة وغيرها من العبادات، ولذلك لابد لنا من التوبة والاستغفار إلى جانب اهتمامنا بالصلاة، أما إذا غفر الله لعبد كبيرته فهو فضل منه ورحمة، وحكم الشرع فيها ثابت واضح كما سبق.

(٣) عن أبي عثمان قال: كنت مع سلمان تحت شجرة، فأخذ غصناً منها يابساً، فهزه حتى تحاتّ ورقه، ثم قال: يا أبا عثمان! ألا تسألني لم أفعل هذا؟ قلت: لم تفعله؟ قال: هكذا فعل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا معه تحت الشجرة، وأخذ منها غصناً يابساً، فهزه حتى تحات ورقه، فقال: يا سلمان! ألا تسألني لم أفعل هذا؟ قلت: ولم تفعله؟ قال: إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى الصلوات الخمس، تحاتت عنه خطاياه كما تحات هذا الورق، وقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [سورة هود: ١١٤].

[رواه أحمد والنسائي والطبراني، ورواة أحمد محتج بهم في الصحيح إلا علي بن زيد [كذا في الترغيب] (٢).

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ٢١٥٥٦ وقال محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة مزاحم بن معاوية.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢٣٧٠٧، والطبراني في الكبير ج/٦، برقم: ٦١٥١ قال الهيثمي في المجمع ٣٠٣/١: رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفي إسناد أحمد علي بن زيد، وهو مختلف في الاحتجاج به، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى قلت: وهو في إسناد الكبير أيضاً. ←

شرح الحديث:

إن هذا العمل الذي قام به سلمان رضي الله عنه مثل صغير لحب الصحابة رضي الله عنهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أحب إنسان أحداً أحب كل ما صدر عنه من قول وعمل، وأراد أن يحاكيَه في كل صغير وكبير، ويقلده في كل أمر، ولا يعرف حقيقة هذا القول إلا من ذاق لذة الحب، ولذلك نرى الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يمثلون عمله صلى الله عليه وسلم حينما كانوا يروُون عنه في أكثر الأحيان.

إن ما جاء في الأحاديث من الاهتمام بالصلاة، ومحوها للذنوب والسيئات كثير، يصعب الإحاطة به، وقد سبق ذكره في ما قدمنا من الأحاديث في هذا الصدد، نحن نرى أن هذه الأحاديث لم تفرق بين الكبائر والصغائر في أمر الصلاة، بل إنها ذكرتها في صيغة عامة، و إنما فرق بينهما العلماء كما تقدم، وقد سمعت والدي يقول: إن ذلك يعود إلى وجهين:

الوجه الأول: أن الكبيرة تنافي مكانة المسلم، ويُستبعد عنه أن يقع في كبيرة، ثم لا يتوب عنها ولا يندم! حتى تأتي الصلاة فتمحوها، فعزيز عليه أن يأتي كبيرة، وأدهى من ذلك وأمر أن يبقى على هذه الحالة من غير توبة واستغفار، فإن المسلم الصادق لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال إذا صدرت عنه كبيرة، حتى يطهر نفسه عنها بالتضرع، والتوجه، والبكاء، إلا الصغائر فإنها لا تستلفت الأنظار في الغالب، وتبقى في ذمة المسلم، حتى تمحوها فيما بعد الصلوات والعبادات.

والوجه الثاني فيه: أن الرجل الذي يصلي الصلاة بإخلاص، ويراعي آدابها ومستحباتها، يكرر التوبة والاستغفار بطبيعة الحال، فإن دعاء التشهد الأخير: "اللهم إني ظلمت نفسي الخ "(١) هو استغفار كله وتوبة كلها.

لكن أخرج في الكبير برقم: ٦٠٨٨ بإسناد آخر عن سلمان مرفوعاً: إن العبد المؤمن إذا قام في الصلاة وُضعت ذنوبه على رأسه، فتفرق عنه كما تفرق عذوق النخلة يميناً وشمالاً. قال الهيثمي في المجمع ١/٣٠٥: فيه أبان بن أبي عياش، ضعفه شعبة وأحمد وغيرهما، ووثقه سلم العلوي وغيره.

(١) أخرجه البخاري برقم: ٨٣٤ كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام، ومسلم برقم: ٢٠٧٥ كتاب الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر

إن هذه الأحاديث تأمر بإسباغ الوضوء أيضاً، ومعناه: أن يُعنى المرء بآدابه ومستحباته عناية تامة، كما أن السواك من سنن الوضوء الذي أهمله الناس بصورة عامة، مع أن الحديث يدلنا على أن صلاة السواك أفضل من الصلاة بغيره بسبعين ضعفاً (١).

وجاء في حديث آخر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالسواك فإن فيه عشر خصال: يطهر الفم، ويرضي الرب، ويسقط الشيطان، ويحبه الرحمن، والحفظة، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويطيب النكهة، ويصفي المرة، ويجلي البصر، ويذهب الأبخرة، وهو من السنة"، ثم قال عليه الصلاة والسلام: "الصلاة بالسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك"(٢).

وقالت العلماء: إن في السواك سبعين فائدة، أهمها: أنه يذكر كلمة الشهادة عند الموت، و في تعاطي الأفيون والمخدرات (بالعكس منه) سبعين ضرراً، أهمها: نسيان كلمة الشهادة عند الموت.

وقد زَخَرت أحاديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم بفضائل إسباغ الوضوء على المكاره، وأن أعضاء الوضوء ستكون غَرّاءَ محجلة يوم القيامة، وبها يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أفراد أمته، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه في حديث طويل:

"... قال: فقال رجل: كيف تعرف أمتك يا رسول الله ﷺ من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: هم غر محجلون من أثر الوضوء، ليس لأحد كذلك غيرهم" (٣).

---

(١) هذا الحديث مروي عن عائشة رضي الله عنها أخرجه أحمد برقم: ٢٦٣٤٠، والحاكم ١/٢٤٥ برقم: ٧٠/٥١٥ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد٢/٢٦٢: رواه البزار ورجاله موثقون. انتهى

وفي إسناده انقطاع؛ كما قال ابن خزيمة برقم: ١٣١ من صحيحه: أنا استثنيت صحة هذا الخبر؛ لأني خائف أن يكون محمد بن إسحاق لم يسمع من محمد بن مسلم، وإنما دلسه عنه.

وقد أشبع الكلام في هذا الحديث ابن القيم في أوائل كتابه: "المنار المنيف في الصحيح والضعيف"، وقد خطأ الحاكم في تصحيح هذا الحديث على شرط مسلم، ثم قال: فهذا حال هذا الحديث، وإن ثبت فله وجه حسن، ثم شرح هذا الوجه شرحا وافيا فارجع إليه إن شئت.

(٢) عزاه السيوطي في الجامع الصغير، والهندي في كنز العمال لعبد الجبار الخولاني في تاريخ داريا عن أنس، وأورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير. وله شاهد عن ابن عباس عند البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٢٥٢١، وقال: هو مما تفرد به الخليل بن مرّة، وليس بالقوي في الحديث، وابن عدي في الكامل في ترجمة خليل بن مرة ٣/٩٢٩.

(٣) أخرجه أحمد برقم: ٢١٧٣٧ وقال محققوه: حسن لغيره، وقد حسّنه المنذري في الترغيب والترهيب١/٩٤ فقال: في إسناده ابن لهيعة، وهو حديث حسن في المتابعات.

(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحوالله بهن الخطايا.

[رواه البخاري ومسلم والترمذي، والنسائي، ورواه ابن ماجه من حديث عثمان، كذا في الترغيب] (١).

(٥) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات. [رواه مسلم، كذا في الترغيب] (٢).

شرح الحديث:

إن الماء الجاري النقي لا يبقى فيه رجس، ولا تدوم فيه أوساخ، وبقدر عمقه يكون نقاؤه وطهره، ولذلك ذكر في الحديث العمق والجَرَيان معاً، وبقدر نقاء الماء وصفائه يطهر البدن، وتزول الأدران، وكذلك الصلاة الكاملة، فهي تطهر المؤمن من ذنوبه وسيئاته كما يطهر الماء الجاري النقي بدنه من أوساخه وأدرانه.

هذا الحديث ورد من عدة طرق عن مختلف الصحابة، وكلها تدل على هذا المعنى.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الصلوات الخمس كفارة لما بينها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت لو أن رجلا كان يعتمل، وكان بين منزله ومعتمله خمسة أنهار، فإذا أتى معتمله، عمل فيه ما شاء الله، فأصابه الوسَخ والعرَق، فكلما مر بنهر اغتسل، أكان ذلك يبقي من درنه؟ فكذلك الصلاة، كلما عمل خطيئة فدعا واستغفر، غفر له ما كان قبلها (٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٥٢٨ كتاب: مواقيت الصلاة باب: الصلوات الخمس كفارة، ومسلم برقم: ٦٦٧ في المساجد باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا... والترمذي برقم: ٢٨٦٨ في الآداب باب: ما جاء مثل الصلوات الخمس، والنسائي برقم: ٤٦٣ ورواه ابن ماجه برقم: ١٣٩٧ عن عثمان رضي الله عنه في إقامة الصلاة، و رجاله ثقات كما قال البوصيري.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٦٦٨ في المساجد باب: المشي إلى الصلاة.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٥٤٤٤ والأوسط برقم: ١٩٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٨/١: فيه عبد الله بن قريط، ذكره ابن حبان في الثقات، وبقية رجاله رجال الصحيح.

إن غرض النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الأمثلة هو: التأكيد بأن للصلاة تأثيراً قوياً في العفو عن الذنوب والمنكرات، ولما أن التشبيهات والأمثلة أقرب إلى الأذهان، وأسهل إلى الأفهام، فقد كرر هذه الأمثلة لتستوي عظمة الصلاة في قرارة النفوس، و سويداء القلوب، فإذا أهملنا هذه النعمة العظيمة، والرحمة الواسعة، والمغفره العامة، وسحائب الجود والكرم، والعطاء والإنعام، واللطف والعفو، لم نُسئ إلى أحد، وإنما أسأنا إلى أنفسنا فقط.

إنا نعصي ربنا، ونأتي منكراً على منكر، وذنباً على ذنب، نغفل عن شرائعه، ونهمل أوامره وأحكامه، فكان من عين العدل أن نلقى جزاء ذلك جزاءاً وفاقاً عند الملك العادل المقتدر، ونحصد ما زرعناه، ونرى ما قدمناه لغد، ولكن الرحمة الإلهية ولطفه سبحانه بعباده هدانا رغم كل خطايانا إلى: طريق نتدارك به ما فات، ونجبر به ماكسر، وهو الصلاة.

و ورد في حديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: "من أتى فراشه، وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عينه حتى أصبح، كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه" (١).

فيا لكرمه وعطائه ولطفه بعباده! ولشؤمنا وخسراننا بالإعراض عنه وعدم الإنابة إليه!

(٦) عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة (٢).

[أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن جرير كذا في الدر المنثور].

شرح الحديث:

الصلاة رحمة من الله كبيرة، والفزَع إليها في ساعة الشدة و حين البأس فزَع إلى الله في الأصل، فما ظنك برحمة تسارع إلى العبد في شدته وعند كربه وضيقه؟ هل تبقى عنده لوثة من غم وهم؟ وهل في وسع الحزن أن يدوم بعد ما

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: ١٣٤٤ في إقامة الصلاة باب: ما جاء فيمن نام عن حزبه. قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢٠٨/١: إسناده جيد، وقال العراقي في المغني ٣٤٣/٤: سنده صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: ١٣١٩ في التطوع باب: وقت قيام النبي من الليل، وأحمد برقم: ٢٣٢٩٩ قال محققوه: إسناده ضعيف انتهى. وابن جرير الطبري في تفسيره: ٢٩٨/١ برقم: ٨٤٩ وهذا اللفظ له.

نزلت عليه الرحمة؟

وقد تكرر هذا المعنى من عدة طرق في الآثار، وروي عن الصحابة رضي الله عنهم الذين اتبعوه صلى الله عليه وسلم في كل شيء: ما يدل على هذه المعاني الكريمة، والغاية الشريفة العظيمة، ويصدق ذلك كل التصديق.

أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت ليلة ريح كان مفزعه إلى المسجد حتى يسكن، وإذا حدث في السماء حدث من كسوف شمس أو قمر، كان مفزعه إلى الصلاة [الدر] (١).

و روي عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كانوا يعني: الأنبياء، يفزَعون إذا فزِعوا إلى الصلاة (٢).

و روي عن ابن عباس أنه كان في مسير، فنُعي إليه ابن له، فنزل وصلى بنا ركعتين، ثم استرجع، وقال: فعلنا كما أمرنا الله به، فقال: "استعينوا بالصبر والصلاة"(٣).

وأخرج سعيد بن منصور، وابن حرب، وابن المنذر، والبيهقي في الشعب: أنه نُعي إليه أخوه قُثَم وهو في مسير، فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق، فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: واستعيوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين (٤).

وستتكلم حول الخشوع في الباب الثالث من الكتاب إن شاء الله.

وقد روي عنه: أنه خر ساجداً حين نعي إليه وفاة بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل له: أتسجد هذه الساعة؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم آية فاسجدوا، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة زياد بن صخر المري ١٠٦/٢١، وقال الهندي في كنز العمال ٣٠٨/٨: سنده حسن، وانظر الدر المنثور للسيوطي ١٦٣/١ دار الفكر الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م وقد تقدم تخريجه.

(٢) حديث صهيب رضي الله عنه أخرجه أحمد برقم: ١٨٩٣٧ حكى فيه رسول الله عن نبي من الأنبياء"فقام إلى صلاته، وكانوا يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة ".إسناده صحيح كما قال محققو المسند.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٩٢٣٢.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٩٢٣٣.

النبي صلى الله عليه وسلم؟ (١).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال: لما حضرت عبادةَ الوفاةُ قال: أحرِّج على إنسان منكم يبكي، فإذا خرجت نفسي، فتوضؤوا وأحسنوا الوضوء، ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلي، ثم يستغفر لعُبادةَ ولنفسه، فإن الله تبارك وتعالى قال: استعينوا بالصبر والصلاة، ثم أسرعوا بي إلى حفرتي (٢).

عن ابن النضر قال: حدثني أبي قال: كانت ظلمة على عهد أنس بن مالك قال: فأتيت أنساً فقلت: يا أبا حمزة! هل كان يصيبكم مثل هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: معاذ الله! إن كانت الريح لتشتد فنبادر المسجد مخافة القيامة (٣).

عن عبدالله بن سلام قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل على أهله بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة، ثم قرأ: "وأمر أهلك بالصلاة، الآية" (٤).

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له إلى الله حاجة، أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ، ويحسن الوضوء، وليصل ركعتين، ثم يُثْنِ على الله، وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبا إلا غفرته يا أرحم الراحمين، ولا هماً إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين"(٥).

(١) أخرجه أبو داود برقم: ١١٩٧. كتاب الاستسقاء باب: السجود عند الآيات

(٢) البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٩٢٣٤ طبعة مكتبة الرشد الرياض، الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، وقال محققه: إسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أبو داود برقم: ١١٩٦ كتاب الاستسقاء باب الصلاة عند الظلمة ونحوها، قال المنذري في مختصر سنن أبي داود: حكى البخاري في التاريخ فيه اضطراباً.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٩٢٥٥ والطبراني في الأوسط برقم: ٨٨٦ وصححه السيوطي في الدر المنثور ٦١٣/٥، وقال الهيثمي في المجمع ٧٠/٧: رجاله ثقات.

(٥) أخرجه الترمذي برقم: ٤٧٩، في الوتر باب: ما جاء في صلاة الحاجة، وقال: في إسناده مقال؛ فائد بن عبد الرحمن يضعف في الحديث.انتهى

ولا شك أن الصلاة لا تنقذ الإنسان من أهوال القيامة فحسب، بل إنها تنقذه من مصائب الدنيا كذلك، أما طمأنينة القلب وراحة الفؤاد؛ فإنها من أولى ثمراتها، لا يحرم منها عبد مسلم البتة إذا أخلص فيها.

قال ابن سيرين: إذا خيرت بين جنة أدخلها، وركعتين أصليهما آثرت الصلاة، لأن دخول الجنة من رغبات النفس، أما الصلاة فإنها خالصة لوجه الله (١).

(٧) عن أبي مسلم التغلبي قال: دخلت على أبي أمامة وهو في المسجد فقلت: يا أبا أمامة! إن رجلا حدثني منك أنك سمعت رسول الله يقول: من توضأ فأسبغ الوضوء، وغسل يديه و وجهه، ومسح على رأسه وأذنيه، ثم قام إلى صلاة مفروضة، غفرالله له في ذلك اليوم ما مشت إليه رجلاه، وسمعت إليه أذناه، ونظرت إليه عيناه، وحدثت به نفسه من سوء، فقال: والله لقد سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم مراراً.

[رواه أحمد(٢) والغالب في سنده الحُسن، وتقدم له شواهد في الوضوء، كذا في الترغيب (٣) قلت: وقد روي معنى الحديث عن أبي أمامة بطرق في مجمع الزوائد] (٤).

قلت: قال ابن عدي: فائد مع ضعفه يكتب حديثه.انتهى وقد أخرج الأصفهاني في الترغيب والترهيب ٥٣٤/٢ برقم:١٢٧٨ شاهداً للحديث عن أنس رضي الله عنه ولفظه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"يا علي ألا أعلمك دعاء إذا أصابك غم أو هم تدعو به ربك، فيستجاب لك بإذن الله، ويفرج عنك؟ توضأ، وصل ركعتين، واحمد الله، وأثن عليه، وصل على نبيك، واستغفر لنفسك وللمؤمنين والمؤمنات، ثم قل: اللهم أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم كاشف الغم، مفرج الهم، مجيب دعوة المضطرين إذا دعوك، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، فارحمني في حاجتي هذه بقضائها ونجاحها رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك" انتهى.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري في كتابه: نزهة المجالس ومنتخب النفائس١/١٣٥ (دار المحبة بيروت ٢٠٠١-٢٠٠٢م تحقيق: عبد الرحيم ماريديني):

قال في فردوس العارفين: قال ابن سيرين: لو خيرت بين الجنة وبين ركعتين لاخترت الركعتين؛ لأن فيهما محبة الله ورضاه، و في الجنة محبة النفس ورضاها.

(٢) أخرج هذا الحديث أحمد برقم:٢٢٢٧٢ قال محققو المسند: صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) انظر الترغيب والترهيب ١/١٣٩

(٤) انظر ١/٣٠٥ من مجمع الزوائد كتاب: الصلاة باب: فضل الصلاة وحقنها للدم.

شرح الحديث:

إن هذا الحديث روي من عدة طرق عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: عثمان، وأبو هريرة، وأنس، وعبدالله الصنابحي، وعمرو بن عبسة، وغيرهم باختلاف الألفاظ (١).

وفي رواية عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى اللهعليه وسلم، جاء فيه: أن لا يغرن ذلك أحدا، أو كما قال عليه السلام، ومعنى ذلك: أن لا تغرنا الصلاة، فنتعمد المعاصي والسيئات، لأن صلاتنا ناقصة بتراء، لو تقبلها الله سبحانه كان لطفاً منه وكرماً، إن الصلوات تذهب السيئات، ما في ذلك من شك، ولكن هل إن صلاتنا صلاة لائقة بالقبول عند الله؟ ثم إن ركوب معصية رجاء عفو الله آخر درجة من الوقاحة وقلة الحياء، ومثل ذلك كمثل أب قال: إني صفحت عن أبنائي، وعفوت عنهم، فتعمد أبناؤه مخالفة أوامره، والتمرد عليه، لمجرد أنه صفح عن سيئاتهم!.

(٨) عن أبي هريرة قال: كان رجلان من بلي - حي من قضاعة - أسلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستشهد أحدهما وأخّر الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله: فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، أو ذكر لرسول الله

---

(١) حديث عثمان أخرجه مسلم في الطهارة برقم: ٢٢٩ أنه توضأ... ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: من توضأ هكذا، غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته و مشيه إلى المسجد نافلة. وأخرجه أحمد برقم: ٤٧٨ وزاد: ثم قام فركع ركعتين، وزاد في آخره: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تغتروا

وأما حديث أبي هريرة فقد أخرجه مسلم برقم/ ٢٤٤ في الطهارة باب: خروج الخطايا مع ماء الوضوء: إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه. الحديث

وأما حديث أنس فقد أخرجه البزار برقم: ٣٤٧ من كشف الأستار مرفوعاً: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، وفي إسناده زائدة بن أبي الرقاد، وهو ضعيف، انظر مجمع الزوائد ١/٣٠٣.

وأما حديث عبد الله الصنابحي فقد أخرجه مالك في الموطأ، وأحمد برقم: ١٩٠٦٨: إذا توضأ العبد فمضمض، خرجت الخطايا من أنفه. الحديث

وأما حديث عمرو بن عبسة فقد أخرجه مسلم برقم: ٨٣٢ في صلاة المسافرين (فضائل القرآن) باب: إسلام عمرو بن عبسة مطولاً، وفيه: ما منكم رجل يقرب وضوءه، فيمضمض، ويستنشق، فينتثر، إلا خرت خطايا وجهه، وفيه، وخياشيمه، وفي آخره: فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه.

صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أ ليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة؟.

[روه أحمد بإسناد حسن (١)، ورواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه، و رواه البيهقي كلهم عن طلحة بنحوه أطول منه، وزاد ابن ماجه وابن حبان في آخره: بينهما أطول ما بين السماء والأرض، كذا في الترغيب، ولفظ أحمد في النسخة التي بأيدينا: أو كذا أو كذا ركعة، بلفظ"أو" (٢).

وفي الدر: أخرجه مالك، وأحمد، والنسائي، وابن خزيمة، والحاكم، وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان، عن عامر بن سعد قال: سمعت سعداً وناساً من الصحابة يقولون: كان رجلان أخوان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أحدهما أفضل من الآخر، فتوفي الذي هو أفضلهما، ثم عمر الآخر بعده أربعين ليلة، الحديث.

وقد أخرج أبو داود بمعنى حديث الباب من حديث عبيد بن خالد بلفظ: قتل أحدهما، ومات الآخر بعد الجمعة، الحديث] (٣).

شرح الحديث:

إننا إذا اعتبرنا كل شهر تسعة وعشرين يوماً، وحاسبنا عشرين ركعة كل يوم من الفرائض والوتر، أصبح عددها تسعة آلاف وتسع مأة وستين ركعة، يضاف إليها عشرون ركعة كل شهر، إذا كانت عدته ثلاثين يوما، أما إذا أضفنا إليها السنن والنوافل، فحدث عن البحر ولا حرج.

وقد ذكرت هذه القصة في ابن ماجه يروي فيها طلحة رضي الله عنه

(١) أخرجه أحمد برقم: ٨٣٥٥ عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده حسن على ما نقله المؤلف عن المنذري

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٨٣٩٩، وفي نسخة شعيب المطبوعة: "أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة" بلفظ: "أو" في الأولى ولفظ: "الواو" في الثانية، وإسناده حسن، وسيأتي طريق طلحة، وطريق سعد بن أبي وقاص إن شاء الله تعالى.

(٣) أخرجه أبو داود برقم: ٢٥٢٤ كتاب الجهاد باب في النور يرى عند قبر الشهيد، ولفظه:
آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين، فقتل أحدهما، ومات الآخر بعده بجمعة أو نحوها فصلينا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما قلتم؟ قلنا: دعونا له، وقلنا: اللهم اغفر له، وألحقه بصاحبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأين صلاته بعد صلاته، وصومه بعد صومه - شك شعبة في صومه - وعمله بعد عمله؟ إن بينهما كما بين السماء والأرض.

الذي رأى هذه الرؤيا بنفسه قال:

إن رجلين من بلي قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إسلامهما جميعاً، فكان أحدهما أشد اجتهاداً من الآخر، فغزا المجتهد منهما، فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم توفي، قال طلحة: فرأيت في المنام أني عند باب الجنة، إذ أنا بهما، فخرج خارج من الجنة فأذن للذي توفي الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجع إلي فقال: ارجع فإنه لم يأن لك بعد، فأصبح طلحة يحدث به الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثوه الحديث.

فقال: من أي ذلك تعجبون؟ فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كان أشد الرجلين اجتهاداً، ثم استشهد، ودخل هذاالجنة قبله؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أ ليس قد مكث هذا بعده سنة؟ قالوا: بلى! قال: وأدرك رمضان فصام الآخر، وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة؟ قالوا: بلى! قال رسول الله ﷺ: فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض (١).

وقد حدثت مثل هذه الأمور لعدة أشخاص فقد روى أبو داود قصة صحابيين بينهما ثمانية أيام، فالذي توفي بعد أسبوع من صاحبه دخل الجنة قبله.

الحقيقة أننا لا ندرك كل الإدراك ما للصلاة من أهمية، وتأثير، ودرجة عالية عند الله، و إلا فما الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يعتبرها قرة عينه؟ وهي أبلغ في المحبة، ولا يمكن التغاضي عنها والاستهانة بها.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: كان رجلان أخوان، فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة، فذكرت فضيلة الأول منهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ألم يكن الآخر مسلما؟ قالوا: بلى! وكان لا بأس به، فقال: وما يدريكم ما بلغت به صلاته؟ إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم

(١) أخرجه ابن ماجه أبواب: تعبير الرؤيا برقم: ٣٩٢٥ وأحمد برقم: ١٣٨٩ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن طلحة بن عبيد الله، وهو لم يدركه.
قال البوصيري في زوائد ابن ماجه ص: ٥٠٤: هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع؛ قال علي ابن المديني، وابن معين: أبو سلمة لم يسمع من طلحة شيئاً انتهى.

يقتحم فيه كل يوم خمس مرات، فما ترون في ذلك؟ يبقى من درنه شيء؟ فإنكم لا تدرون ما بلغت به صلاته.

[قال المنذري: رواه مالك واللفظ له، وأحمد بإسناد حسن، والنسائي وابن خزيمة في صحيحه] (١).

(٩) عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: يبعث مناد عند حضرة كل صلاة فيقول: يا بني آدم! قوموا فأطفئوا ما أوقدتم على أنفسكم، فيقومون فيتطهرون، ويصلون الظهر، فيغفر لهم ما بينهما، فإذا حضرت العصر فمثل ذلك، فإذا حضرت المغرب فمثل ذلك فإذا حضرت العتمة فمثل ذلك، فينامون، فمدلج في خيرومدلج في شر.

[رواه الطبراني في الكبير، كذا في الترغيب] (٢)

شرح الحديث:

إن هذا المعنى جاء ي كثير من الأحاديث، ولما أن الاستغفار داخل في الصلاة، وجزء منه، لذلك يدخل فيه الكبائر والصغائر إذا قرنها الندم، قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَأَقِمْ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤].

(١٠) عن أبي قتادة بن ربعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تبارك وتعالى: إني افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندي

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ١٥٣٤ وابن خزيمة برقم: ٣١٠ عن سعد بن أبي وقاص، وقال محققو المسند: إسناده قوي على شرط مسلم. وقال الهيثمي في المجمع١/٢٩٧: رجال أحمد رجال الصحيح انتهى.

فللحديث ثلاثة طرق، فقد روي عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وعن أبي سلمة عن طلحة، وهذا الثالث عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٢٩٩: رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبان بن أبي عياش، وثقه أيوب، وسلم العلوي، وضعفه شعبة، وأحمد، وابن معين، وأبو حاتم انتهى.

لكن أخرج الطبراني في الأوسط برقم: ٩٤٥٢ شاهداً له عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله ملكاً ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على أنفسكم، فأطفئوها بالصلاة، ثم قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن عون إلا أزهر، تفرد به يحيى بن زهير القرشي.

قال المنذري في الترغيب ١/١٣٨: رجال إسناده كلهم ثقات محتج بهم في الصحيح. وقال الهيثمي في المجمع١/٢٩٩: لم أجد من ذكر يحيى بن زهير القرشي إلا أنه روى عن أزهر بن سعد السمان، وروى عنه يعقوب بن إسحاق المخرمي، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى

عهداً: أنه من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة في عهدي، ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي.

[كذا في الدر المنثور برواية أبي داود، وابن ماجه (١) وفيه أيضاً: أخرج مالك وابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، و ابن حبان، والبيهقي عن عبادة بن الصامت، فذكر معنى حديث الباب مرفوعاً بأطول منه] (٢).

شرح الحديث:

وجاء هذا المعنى أكثر وضوحاً وصراحة في حديث آخر، ففي رواية لأبي داود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خمس صلوات افترضهن الله، من أحسن وضوء هن، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن، وسجودهن وخشوعهن، كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه" (٣).

إن هذه الأحاديث تدلنا على أن مجرد الاهتمام بالصلاة يكفي لدخول المسلم في عهد الله وذمته، إننا نرى في حياتنا اليومية أن الرجل الذي يعده حاكم أو غني، أو يسليه، أو يخفف عنه، أو يؤدي ديونه، ينشرح له صدره، ويثق بقضاء حاجاته، ثم يبقى طوعَ أمره ورهنَ إشارته، أما وعد الله المالك الملك وعهده بعبادة صغيرة لا ترهق ولا تضني، يعني: الصلاة، فإنها لا تسترعي أي جانب من اهتمامنا، ولا نزال ساهين عنها، فهل نضر بذلك أحداً غير أنفسنا؟

(١١) عن ابن سلمان: أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ حدثه قال: لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي، فجعل الناس يتبايعون غنائمهم، فجاء رجل فقال: يا رسول الله! لقد ربحت ربحا ما ربح اليوم مثله أحد من أهل الوادي قال: ويحك! وما ربحت؟ قال: ما زلت أبيع وأبتاع حتى

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب المحافظة على الصلوات برقم: ٤٣٠ وابن ماجه في إقامة الصلاة برقم: ١٤٠٣، وإسناده صحيح. نقل المنذري عن المزي أن هذا الحديث في رواية ابن الأعرابي ولم يذكره أبو القاسم.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة برقم: ٤٢٥، وابن ماجه برقم: ١٤٠١ في إقامة الصلوات باب: ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها، وابن حبان برقم: ١٧٣١، وأحمد برقم: ٢٢٦٩٣: وهو حديث صحيح سكت عنه أبو داود والمنذري.

(٣) قلت: هو لفظ حديث عبادة المذكور آنفاً.

ربحت ثلاث مأة أوقية، فقال رسول ﷺ: أنا أنبئك بخير رجل ربح، قال: ما هو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ركعتين بعد الصلاة (١).

[أخرجه أبو داود وسكت عنه المنذري].

شرح الحديث:

والحق أننا إذا سعدنا بهذا الإيمان، وفزنا بهذا الربح الخالد الباقي واستصغرنا هذا الربح الفاني مقابل ركعتين بعد الصلاة، ذقنا حلاوة الإيمان ولذته حقاً، ولا شك في أن الصلاة تحمل هذا التأثير، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قرة عيني في الصلاة "(٢).

وكان آخر وصاياه عندما فارق الدنيا حول الصلاة والاهتمام به(٣).

(١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً، فأعظموا الغنيمة، وأسرعوا الكرة، فقال رجل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! ما رأينا بعثاً قط أسرع كرة وأعظم غنيمة من هذا البعث، فقال: ألا أخبركم بأسرع كرة منهم وأعظم غنيمة؟ رجل توضأ، فأحسن الوضوء، ثم عمد إلى المسجد، فصلى فيه الغداة، ثم عقب لصلاة الضحوة، فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة (٤) [الترغيب والترهيب].

(١) أخرجه أبو داود عن عبيد الله بن سلمان عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد باب في التجارة في الغزو برقم: ٢٧٨٥، وسكت عنه المنذري في مختصر السنن، وفي إسناده عبيد الله بن سليمان، وهو مجهول من الثالثة كما في تقريب التهذيب برقم: ٤٢٩٨.

(٢) أخرج أحمد بإسناد حسن برقم: ١٢٢٩٣، والنسائي في عشرة النساء برقم: ٣٩٣٩، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حبب إليّ النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة.

(٣) فقد أخرج أبو داود في الأدب باب في حق المملوك برقم: ٥١٥٦ وابن ماجه في الوصايا، باب: هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: ٢٦٩٨ عن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم.

وله شاهد من حديث أم سلمة عند ابن ماجه في الجنائز برقم: ١٦٢٥ بلفظ: كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: الصلاة وما ملكت أيمانكم، قال البوصيري في زوائد ابن ماجه: وإسناد حديث أم سلمة بالنسبة لرواية ابن ماجه صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا بجميع رواته. انتهى

وله شاهد آخر من حديث أنس عند ابن ماجه أيضاً في الوصايا برقم: ٢٦٩٧ بلفظ: كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة، وهو يغرغر بنفسه: الصلاة وما ملكت أيمانكم، قال البوصيري في زوائد ابن ماجه: هذا إسناد حسن لقصور أحمد بن المقدام عن درجة أهل الضبط، وباقي رجاله على شرط الشيخين انتهى.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم: ٢٥٣٥، وقال الهيثمي في المجمع ٢/٢٣٥: رواه أبو يعلى

وقال شقيق البلخي: طلبنا خمساً فوجدناها في خمس: طلبنا النور في القبر فوجدناه في قيام الليل، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن، وطلبنا الجواز على الصراط فوجدناه في الصدقة، وطلبنا الريّ يوم القيامة فوجدناه في صيام النهار، وطلبنا البركة في الرزق فوجدناه في صلاة الضحى(١)..

إن كتب الحديث تزخر بفضائل الصلاة، والحث على الاهتمام بها، والحرص عليها، ويصعب الإحاطة بها واستيعابها، فنقدم منها نبذة طيبة في هذا المكان.

(١) "إن أول ما افترض الله على الناس من دينهم: الصلاة، وآخر ما يبقى: الصلاة، وأول ما يحاسب به: الصلاة "(٢).

(٢) "اتقوا الله في الصلاة، اتقوا الله في الصلاة، اتقوا الله في الصلاة" (٣)

(٣) "إن بين الرجل وبين الشرك و الكفر ترك الصلاة " (٤).

(٤) "الصلاة عماد الدين" (٥).

ورجاله رجال الصحيح، انتهى، وأخرجه البزار انظر كشف الأستار ج/٤ ص: ١٨ رقم الحديث: ٣٠٩٢ وبيّن فيه البزار أن الرجل السائل: أبو بكر وفيه: "من صلى الغداة في جماعة، ثم ذكر الله، حتى تطلع الشمس"، قال الهيثمي عن إسناد البزار في مجمع الزوائد ١٠/١١٠: فيه حميد مولى ابن علقمة وهو ضعيف، انتهى.

وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عند أحمد برقم: ٦٦٣٨ وفيه: "من توضأ، ثم غدا إلى المسجد لسبحة الضحى، فهو أقرب مغزى، وأكثر غنيمة، وأوشك رجعة، وفيه ابن لهيعة، لكن تابعه ابن وهب عند الطبراني كما قال الهيثمي ١٠/٢٣٥

وفي الباب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند الترمذي في الدعوات برقم: ٣٥٦١، وفيه: "قوم شهدوا صلاة الصبح، ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس، فأولئك أسرع رجعة، وأفضل غنيمة"، وفي إسناده محمد بن أبي حميد، وعلى كل فالحديث بطرقه حسن.

(١) انظر نزهة المجالس ١/ ١٣٨ للشيخ عبد الرحمن الصفوري .

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٧/١٥٣ برقم: ٤١٢٤ عن أنس، وفيه يزيد الرقاشي، وقد أخرج أحمد برقم: ١٦٦١٤ بإسناد صحيح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مرفوعاً: أول ما يحاسب به العبد صلاته.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب في رحم الصغير وتوقير الكبير برقم: ١١٠٥٣ من ترقيم زغلول عن أنس، وقد رمز له السيوطي بالحسن في الجامع الصغير، وتعقبه المناوي في فيض القدير فقال: فيه بشر بن منصور الخياط أورده الذهبي في المتروكين وقال: هو مجهول انتهى.

لكن قد ثبت عن أنس رضي الله بلفظ آخر: كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة، وهو يغرغر بنفسه: "الصلاة وما ملكت أيمانكم" أخرجه ابن ماجه في الوصايا برقم: ٢٦٩٧، وأحمد، وابن حبان، وإسناده حسن.

(٤) رواه مسلم برقم: ٨٢ في الإيمان عن جابر

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٢٨٠٧ بترقيم زغلول عن عكرمة عن عمر مرفوعاً، وقال: عكرمة لم يسمع من عمر، وأظنه أراد عن ابن عمر انتهى

(٥) "الصلاة تسود وجه الشيطان" (١).

(٦) "الصلاة نور" (٢).

(٧) "حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود"(٣).

(٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: "الصلاة على وقتها"(٤).

(٩) "ما من حالة يكون العبد عليها أحب إلى الله مِنْ أن يراه ساجداً يعفر وجهه في التراب"(٥).

(١٠) "أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد"(٦).

وقال الزيلعي في تخريج الكشاف١/٤٢ -٤٣ طبع دار ابن خزيمة رياض ١٤١٤:
قلت: الظاهر أن عكرمة هذا هو عكرمة بن خالد بن سعيد بن العاص، لا عكرمة مولى ابن عباس، وهو أوثق من مولى ابن عباس، وروى ابن أبي حاتم في مراسيله عن أحمد بن حنبل أنه قال: لم يسمع عكرمة بن خالد من عمر، إنما سمع من ابن عمر، بل قال أبو زرعة: عكرمة بن خالد عن عثمان مرسل فضلا عن عمر. انتهى

وقال ابن القطان في كتابه الوهم والإيهام: عكرمة بن خالد رجلان، وكلاهما مخزوميان:
أحدهما: عكرمة بن خالد بن سعيد بن العاص، وهو تابعي يروي عن ابن عمر، وابن عباس وروى عنه عمرو بن دينار، وإبراهيم بن مهاجر، وابن جريج، وعامر الأحول، وحنظلة بن أبي سفيان، وثقه النسائي، وابن معين، وأبو زرعة، ولم يسمع فيه بتضعيف قط، وقد أخرج له البخاري ومسلم.
والآخر: عكرمة بن خالد بن سلمة يروي عن أبيه، وعنه مسلم بن إبراهيم ونصر بن علي ذكره إلياس في الضعفاء، قال البخاري وأبو حاتم: هو منكر الحديث.

وروى أبو القاسم الأصبهاني في كتابه الترغيب والترهيب عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصلاة عماد الإسلام، والجهاد سنام العمل" انتهى والحارث ضعيف جدا.

وذهل ابن صلاح في كتابه مشكل الوسيط فقال: "إن هذا الحديث غير صحيح ولا معروف". فقد روي من وجهين كما بيّناه، وكأنه لم يظفر به أصلا. انتهى قول الزيلعي

وقول النووي في التنقيح عن هذا الحديث: "حديث منكر باطل" قد رده الحافظ في التلخيص ج/١ ص: ١٧٣ فقال: ليس كذلك، بل رواه أبو نعيم شيخ البخاري في كتاب الصلاة عن حبيب بن سليم عن بلال بن يحيى قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله فقال: الصلاة عمود الدين، وهو مرسل رجاله ثقات. انتهى

(١) عزاه في كنز العمال إلى مسند الفردوس للديلمي
(٢) أخرجه مسلم في الطهارة عن أبي مالك الأشعري برقم: ٢٢٣.
(٣) أخرجه البخاري في الأذان باب فضل السجود برقم: ٨٠٦ ومسلم في الإيمان برقم: ١٨٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه ضمن حديث طويل في الرؤية.
(٤) أخرجه البخاري في المواقيت برقم: ٥٢٣ ومسلم برقم: ٨٥.
(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٦٠٧٥ عن حذيفة رضي الله عنه، وفي إسناده ضعف، انظر مجمع الزوائد١/٣٠٦.
(٦) أخرجه مسلم برقم: ٤٨٢ عن أبي هريرة في الصلاة في باب: ما يقال في الركوع والسجود.

(١١) "مفتاح الجنة الصلاة" (١).

(١٢) "إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد" (٢).

(١٣) "من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام، فصلى ركعتين أو أربعاً (يشك فيه سهل) يحسن فيهن الركوع والخشوع، ثم يستغفر الله، غفرله" (٣).

(١٤) "من حافظ على الصلوات الخمس: ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وعلم أنهن حق من الله، دخل الجنة، أو قال: وجبت له الجنة، أو قال: حرم على النار" (٤).

(١٥) سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: "الصلاة لأول وقتها" (٥).

(١٦) سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: "إقام الصلاة لوقتها" (٦).

(١٧) "من غدا إلى الصبح، غدا براية الإيمان، ومن غدا إلى السوق، غدا براية الشيطان" (٧).

(١٨) "أربع قبل الظهر تحسب بمثلهن في السحر"(٨).

(١٩) "من صلى قبل الظهر أربع ركعات، كأنما تهجد بهن في ليلته"(٩).

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: ٤ وأحمد برقم: ١٤٦٦٢ عن جابر رضي الله عنه، وإسناده ضعيف لضعف سليمان بن قرم، وأبي يحيى القتات، قاله محققو المسند، وصححه الألباني لغيره.
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٢٢٩٢ وقال: تفرد به الحسين بن حكم، وهكذا قال الهيثمي في المجمع ١/٢٩٧.
(٣) أخرجه أحمد عن أبي الدرداء برقم: ٢٧٥٤٦ وإسناده حسن كما قال محققو المسند.
(٤) أخرجه أحمد عن حنظلة الكاتب برقم: ٨٤٤٥، قال الهيثمي في المجمع: رجال أحمد رجال الصحيح. انتهى وجوّد إسناده المنذري.
(٥) أخرجه أحمد عن أم فروة برقم: ٢٧٤٧٦ وهو صحيح لغيره كما قال محققو المسند.
(٦) أخرجه البخاري برقم: ٥٢٧ في كتاب مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها، ومسلم: ٨٥ في الإيمان في باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال وأحمد: ٣٨٩٠ وغيرهم عن ابن مسعود.
(٧) أخرجه ابن ماجه في التجارات برقم: ٢٢٣٤ عن سلمان رضي الله عنه، وهو ضعيف من أجل عيسى بن ميمون، وهو متفق على تضعيفه كما قال البوصيري في الزوائد ص: ٣٠٨.
(٨) أخرجه الترمذي في التفسير برقم: ٣١٢ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن عاصم.
(٩) أخرجه الطبراني في الأوسط عن البراء برقم: ٦٣٣٢ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٢٢١: فيه ناهض بن سالم الباهلي وغيره، ولم أجد من ذكرهم.

(٢٠) "جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! عش ما شئت، فإنك ميت، واعمل ما شئت، فإنك مجزي به، وأحبب من شئت، فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه من الناس" (١).

(٢١) "عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد" (٢).

وقد ورد في هذا الباب غير ذلك من الأحاديث، اكتفينا منها بهذا القدر، والحق أن الصلاة نعمة جليلة لا يقدرها حق قدرها إلا من ذاق حلاوتها، فقد اعتبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم قرة عينيه، وكان يقضي أكثر ليله في الصلوات، وكانت آخر وصيته في آخر عهده بالدنيا حول الصلاة والعناية بها، وقد تكررت جملة: "اتقوا الله في الصلاة" في عدة مواضع من الأحاديث.

عن حذيفة بن اليمان قال: مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة وهو يصلي في المسجد، فقمت أصلي وراءه يخيل إلي أنه لا يعلم، فاستفتح سورة البقرة، فقلت: إذا جاء مائة آية ركع، فجاءها فلم يركع، فقلت: إذا جاء مأتي آية ركع، فجاءها فلم يركع، فقلت: إذا ختمها ركع، فختم فلم يركع، فلما ختم قال: اللهم لك الحمد وتراً، ثم افتتح آل عمران، فقلت: إن ختمها ركع، فلم يركع، وقال: اللهم لك الحمد ثلاث مرات، ثم افتتح سورة النساء، فقلت: إذا ختم ركع، فختمها فركع، فسمعته يقول: سبحان ربي العظيم، ويرجع شفتيه، فأعلم أنه يقول غير ذلك، ثم سجد، فسمعته يقول: سبحان ربي الأعلى، ويرجع شفتيه، فأعلم أنه يقول غير ذلك، فلا أفهم غيره. ثم

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط عن سهل بن سعد رضي الله عنه برقم: ٤٢٧٨ قال السخاوي في المقاصد رقم: ٦٩١ :صححه الحاكم، وحسّنه العراقي، ثم ساق السخاوي شواهد أخرى له.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم: ٣٥٤٩ عن بلال، وقال: لا يصح من قبل إسناده؛ لأن فيه محمد بن سعيد الشامي، ثم روى بإسناد آخر عن أبي إدريس عن أبي أمامة رضي الله عنه بنحوه. وقال: هذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال، انتهى قول الترمذي.

قلت: وقد أخرج ابن عساكر شاهدا له من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه في تاريخه رقم الترجمة: ٦٤١٩ ج/٥٥ ص: ٢٩٠

وشاهداً آخر عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء انظر تاريخه ج/٦٦ ص: ٨٨ رقم الترجمة: ٨١٥٤ وعلى كل فالحديث بطرقه صحيح لغيره، وقد رمز له السيوطي بالصحة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

افتتح سورة الأنعام، فتركته وذهبت (١).

فكان ذلك خمسة أجزاء بالجملة، و إذا نظرنا إلى تلاوته صلى الله عليه وسلم، وترتيله، وفصله بين الآيات، قدرنا طول ركعته، وحتى كانت تتورم قدماه، وعلمنا أنه الحب الذي يستقر في الأعماق، وحلاوة الإيمان الذي يخالط بشاشة القلوب، فيذلل كل صعب، ويسهل كل عسير.

أبو إسحاق السبيعي محدث مشهور معمّر توفي في مائة سنة، وكان يتحسر على أنه فقد لذة الصلاة لكبر سنه وضعفه، فلا يستطيع إلا قراءة سورة البقرة وآل عمران في الركعتين (٢).

ولا زال في هذا العهد المادي المتأخر عباد يقضون أكثر لياليهم في الصلوات وجل نهارهم في الدعوة، والإرشاد، والإفادة، وأرجو أن يمن الله على كاتب هذه الرسالة بهذه النعمة واللطف والرحمة، ويجعلني منهم.

وأختم هذا الفصل بحديث جميل أورده الحافظ ابن حجر في المنبهات:

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (٣)

حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة، وكان معه أصحابه جلوساً، فقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه:

صدقت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبب إلي من دنياكم ثلاث: النظر إلى وجه رسول الله، وإنفاق مالي على رسول الله صلى الله عليه

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٤٦/٢ برقم :٢٨٤٢، وأصل الحديث في صحيح مسلم في الصلاة برقم: ٧٧٢، وكان المترجم رحمه الله ترك بهذا الموضع بياضاً.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء: ٣٩٧/٥ قال: قال أبو إسحاق: ذهبت الصلاة مني وضعفت، وإني لأصلي فما أقرأ وأنا قائم إلا بالبقرة وآل عمران.

(٣) حديث: "حبب إليّ من الدنيا: النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة" رواه النسائي وإسناده حسن كما قال الحافظ في تلخيص الحبير ١١٦/٢ وقال: لم أجد لفظ "ثلاث" في شيء من طرقه المسندة.

وقال السخاوي في المقاصد برقم: ٣٨٠: أما ما استقر في هذا الحديث من زيادة "ثلاث" فلم أقف عليها إلا في موضعين من الإحياء، وفي تفسير آل عمران من الكشاف، وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش. انتهى

وأما بقية القصة المذكورة هنا فقد أوردها صاحب المنبهات ص: ٢١-٢٢، والخفاجي في نسيم الرياض ج/١ ص: ٤٥٨ باختلاف في بعض ألفاظه (طبعة دار الكتاب العربي بيروت لبنان).

قال محدث الهند الشيخ يونس في كتابه نوادر الحديث ص: ٣٧٤: لا يصح من ذلك شيء، بل تكاد لا توجد بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف. انتهى قوله.

وسلم، وأن يكون ابنتي تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال عمر رضي الله عنه: صدقت يا أبا بكر! وحبب إلي من دنياكم ثلاث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والثوب الخلق.

فقال عثمان رضي الله عنه: صدقت يا عمر! وحبب إلي من دنياكم ثلاث: إشباع الجيعان، وكسوة العريان، وتلاوة القرآن.

فقال علي رضي الله عنه: صدقت يا عثمان! وحبب إلي من دنياكم ثلاث: الخدمة للضيف، والصوم في الصيف، والضرب بالسيف.

فبينما هم كذلك إذ جاء جبريل، وقال: أرسلني الله تبارك وتعالى لما سمع مقالتكم، وأمرك أن تسألني عما أحب إن كنت من أهل الدنيا. فقال: ما تحب إن كنت من أهل الدنيا؟ فقال: إرشاد الضالين، ومؤانسة الغرباء القانتين، ومعاونة أهل العيال المعسرين.

وقال جبريل: يحب رب العزة جل جلاله في عباده ثلاث خصال: بذل الاستطاعة، والبكاء عند الندامة، والصبر عند الفاقة.

الفصل الثاني:

في بيان الوعيد على من ترك الصلاة

الحديث الشريف حافل بالوعيد الشديد لمن يترك الصلاة، وأقدم هنا نبذة طيبة من الأحاديث على سبيل النموذج والمثال، والحق أن حديثاً واحداً خليق بأن يهدينا إلى الرشد، ويردنا الى الصواب، ولكنه صلى الله عليه وسلم كرر هذا المعنى، وأعاده بمختلف الأساليب لشدة حرصه على خير المسلمين ورأفته بهم، حتى لا تتهاون فيها أمته، ولا تتكاسل، فمابالنا نعرض عن تعاليمه وإرشاداته، ثم نعتز بكوننا في أمته، ونزعم اتباع سنته، وحب دينه وطريقته؟!

(١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة.

رواه أحمد، ومسلم، وقال: بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة، وأبو داود، والنسائي ولفظه: قال: بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة، كذا في الترغيب للمنذري.

وقال السيوطي في الدر لحديث جابر: أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه (١).

ثم قال: وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وصححه عن بريدة مرفوعاً، العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر (٢).

شرح الحديث:

إن هذا المعنى تكرر في آثار مختلفة فقد جاء في حديث أن يتعجل المرء الصلاة في وقت الغيم، حتى لا يكفر بترك الصلاة، تحذيراً أن لا يفوت وقت

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ١٥١٨٣ ومسلم برقم: ٨٢ وأبو داود برقم: ٤٦٧٨ والترمذي برقم: ٢٦٢٠ والنسائي١/٢٣٢ من طبعة عبد الفتاح، وابن ماجه برقم: ١٠٧٨

(٢) انظر الترمذي برقم: ٢٦٢١في كتاب الإيمان باب ما جاء في ترك الصلاة، وابن ماجه برقم: ١٠٧٩ كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، وابن حبان برقم: ١٤٥٤ وأحمد برقم: ٢٢٩٣٧ وإسناده قوي، وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي في ج/١ ص: ٤٨ رقم الحديث ١١.

الصلاة من أجل الغيم (١).

ولو أن العلماء قيدوا هذا الأثر بالإنكار إلا أن الشعور بأهمية قول الرسول صلى الله عليه وسلم يقتضي أن نعظمه ونجله ونحسُب له كل حساب، وقد ثبت أن بعض كبار الصحابة أمثال: عمر، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله ابن عباس رضي الله عنهم، وغيرهم اتفقوا على كون المسلم كافراً إذا تعمد ترك الصلاة، وهو مذهب أحمد، وإسحق بن راهويه، وعبد الله بن المبارك (٢).

(٢) عن عبادة الصامت رضي الله عنه: أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع خصال، فقال: لا تشركوا بالله شيئاً و إن قطعتم أو حرقتم أو صلبتم، ولا تتركوا الصلاة متعمدين، فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة، ولا تركبوا المعصية، فإنها سخط الله، ولا تشربوا الخمر، فإنها رأس الخطايا كلها، الحديث.

رواه الطبراني، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة بإسنادين لا بأس بهما، كذا في الترغيب، وهكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إليهما (٣).

وفي المشكاة برواية ابن ماجه عن أبي الدرداء نحوه (٤).

قد ورد ما يشابه هذا المعنى في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وزاد فيه: "من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، قال: أوصاني خليلي أن لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حرقت، ولا تترك الصلاة متعمداً، فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر، فإنها مفتاح كل شر" (٥).

(٣) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات، قال: لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت، ولا

(١) أخرج ابن حبان برقم: ١٤٦٣ عن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بكروا بالصلاة في يوم الغيم، فإنه من ترك الصلاة فقد كفر. قال محققه شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) انظر الترغيب والترهيب ١٩٧/١ فقد ذكر الآثار الموقوفة عن بعض الصحابة.

(٣) هو في تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي برقم: ٩٢٠ (طبعة مكتبة الدار المدينة ١٤٠٦ بتحقيق عبد الجبار الفريوائي).

وضعّف إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيق جامع العلوم والحكم شرح الأربعين ج/١ ص: ١٤٦، لكن له شواهد يتقوى بها، وستأتي بإذن الله تعالى.

(٤) انظر ابن ماجه رقم: ٣٣٧١ أبواب الأشربة برقم: ٤٠٣٤ في الفتن.

(٥) انظر ابن ماجه رقم: ٤٠٣٤ كتاب الفتن باب الصبر على البلاء.

تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن خمراً، فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حل سخط الله، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس، وإن أصاب الناس موت فاثبت، وأنفق على أهلك من طَولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفْهم في الله.

رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع، فإن عبد الرحمن بن جبير لم يسمع من معاذ، كذا في الترغيب وإليهما عزاه السيوطي في الدر، ولم يذكر الانقطاع (١).

ثم قال: وأخرج الطبراني عن أميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: كنت أصب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَضوءه فدخل رجل فقال: أوصني فقال: لا تشرك بالله شيئاً و إن قطعت أو حرقت، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تَخلّى من أهلك ودنياك، ولا تشربن خمراً، فإنه مفتاح كل شر، ولا تتركن الصلاة متعمداً، فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله ورسوله (٢).

شرح الحديث:

المراد بأن "لا ترفع عنهم عصاك": أن لا يظن أهلك ومواليك أنك لا تنبههم ولا تضربهم فلهم أن يفعلوا ما شاءوا، بل إنه لا بد من ضربهم وتأنيبهم في حدود الشريعة، فإن الإنسان لا يعود إلى رشده عادة إلا بالزجر والضرب، أما في أيامنا هذه فإن الأبوين لا يضربان أولادهما في أول الأمر لفرط حبهما، ثم يبكيان دماً بعد أن ترسَخ فيهم العادات القبيحة، مع أن هذا ينافي حب الأولاد، بل إنما هو عداء معهم أن لا يمنعهم من سوء، ويظن أن الضرب والتنبيه ينافيان الحب، وهل يستطيع أب عاقل أن يرى الجروح تتورم وتتضخم، ولا يسمح

(١) انظر مسند أحمد برقم: ٢٢٠٧٥ وقال الهيثمي في المجمع ٢١٨/٤ في الوصايا: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد ثقات، إلا أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ، وإسناد الطبراني متصل، وفيه عمرو بن واقد القرشي وهو كذاب.

(٢) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة رقم: ٩١٢، ورواه الطبراني في الكبير١٩٠/٢٤ برقم: ٤٧٩ وقال المنذري في الترغيب ١٩٦/١: رواه الطبراني وفي إسناده يزيد بن سنان الرهاوي. وقال الهيثمي ٣٩٤/٤: وثقه البخاري وغيره، والأكثرون على تضعيفه.

بعملية جراحية لأنها تؤذي ولده الحبيب؟ لا ! بل إنه يسرع في طلب الجراح، ولا يبالي بصراخ الطفل وبكائه واستغاثته، ولذلك جاء في الحديث: مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر (١).

(٤) عن نوفل بن معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من فاتته صلاة فكأنما وُتر أهلَه وماله.

[رواه ابن حبان في صحيحه (٢) كذا في الترغيب، زاد السيوطي في الدر والنسائي أيضاً، قلت: ورواه أحمد في مسنده].

شرح الحديث:

إن ضياع الصلاة والغفلة عنها يرجع في عامة الأحوال إلى الاشتغال بالأولاد والأموال، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله"يعني: أن فوت صلاة يعادل الخسارة الكاملة، والحرمان الكامل في عين الحقيقة، والبصيرة، وأن القلق الذي يساور الشخص الذي فاتته الصلاة هو مثل القلق الذي يساوره حين يفقد كلا من المال والأهل والولد.

إننا إذا قال لنا أحد: إن الطريق الفلاني طريق موحش خطِر، والرحلة فيه في الليل أوحش وأخطر، وأدعى للهلاك، فلا يتشجع أحد منا أن يتوجه إليه ويتعرض للهلاك، أما قول الصادق الأمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ورد في عدة آثار وأخبار، فإنه لا ينال مثله منا تلك العناية والاهتمام، والتيقظ والحذَر، ولا يؤثر في قلوبنا مثل هذا التأثير.

(٥) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر.

[رواه الحاكم، وقال: حنش هو ابن قيس ثقة، وقال الحافظ (المنذري): بل واه بمرة، لا نعلم أحداً وثقه غير حصين بن نمير، كذا في الترغيب.

زاد السيوطي في الدر: والترمذي أيضاً، وذكر في اللآلئ له شواهد وكذا

(١) أخرجه أبو داود برقم: ٤٩٥ بإسناد صحيح

(٢) أخرجه ابن حبان برقم: ١٤٦٨ وإسناده صحيح، وانظر أيضاً البخاري برقم: ٣٦٠٢ كتاب المناقب باب علامات النبوة، ومسلم رقم: ٢٨٨٦ في كتاب الفتن باب نزول الفتن كمواقع القطر.

في التعقبات، وقال: الحديث أخرجه الترمذي، وقال: حنش ضعيف، ضعفه أحمد وغيره، والعمل على هذا عند أهل العلم(١) فأشار بذلك إلى أن الحديث اعتضد بقول أهل العلم به، وإن لم يكن له إسناد يُعتمد على مثله].

شرح الحديث:

إن هناك كثيراً من الناس يتأخرون في الصلوات بل يتركونها في أسفارهم أو في تجارتهم ودوائرهم، ثم يؤدونها جملة واحدة، مع أن ترك الصلاة من غير عذر (المرض مثلا) يعد من الكبائر ولو لم يكن في درجة ترك الصلاة عمْداً، أما أداؤها في غير وقتها فهذا أيضاً ذنب كبير يجب التحرز منه.

(٦) عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نوراً وبرهاناً ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وأبي بن خلف.

[أخرجه أحمد، وابن حبان، والطبراني، كذا في الدر المنثور للسيوطي، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد ثقات، وقال ابن حجر في الزواجر: أخرجه أحمد بسند جيد، وزاد فيه قارون أيضاً مع فرعون وغيره، وكذا زاده في منتخب الكنز برواية ابن نصر، وفي المشكاة أيضاً برواية أحمد والدارمي، والبيهقي في الشعب، وزاده، وابن القيم في كتاب الصلاة] (٢).

شرح الحديث:

إن كلنا يعرف فرعون وغلوه في الكفر حتى إنه ادعى الألوهية، وهامان هو وزيره، أما أبي بن خلف فقد كان من ألد أعداء الإسلام في مكة، وإنه قال حين افتدى من الأسر ببدر: والله إن عندي العود - فرساً - أعلفها كل يوم فرقاً من ذرة، ولأقتلن عليها محمداً، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

(١) أخرجه الحاكم ١/٤١٠ برقم: ٣٤٧/١٠٢٠ ووثق حنشاً، وتعقبه الذهبي فقال: بل ضعفوه، وأخرجه الترمذي برقم: ١٨٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٦٥٧٦ وابن حبان ١٤٦٧ والطبراني في الأوسط برقم: ١٧٦٧. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٩٧ كتاب الصلاة باب فرض الصلاة: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد ثقات.

بل أنا أقتله إن شاء الله، وقيل: إنه كان يقول ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة.

فلما كان يوم أحد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: إني أخشى أن يأتي أبي بن خلف من خلفي، فإذا رأيتموه فآذنوني به، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلتفت في القتال وراءه، فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه وهو مقنع في الحديد يركض على فرسه، وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فاستقبله مصعب بن عمير يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، فقتل مصعباً، فقال القوم: يا رسول الله ما كنت صانعاً حين يغشاك أُبيّ فقد جاءك، فإن شئت يعطف رجل منا، وفي رواية: فاعترض له رجال المؤمنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه وخلوا طريقه.

فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا كذاب! أين تفر؟ فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة، ويقال: من الزبير بن العوام، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض بها انتفاضة تطاير عنه أصحابه تطاير الشَّعراء من ظهر البعير إذا انتفض بها، ولم يكن أحد يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جد الجد، ثم استقبله بها فطعنه في عنقه، وفي لفظ: في ترقوته من فرجة سابغة البيضة والدرع طعنة تدأدأ منها مراراً عن فرسه، وجعل يخور كما يخور الثور، وفي لفظ: فخدشه في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم، وفي لفظ: أنه كسر ضلعاً من أضلاعه.

فرجع إلى قومه، فقال: قتلني والله محمد، فقالوا: ذهب والله فؤادك، والله إن بك بأس، وما أجزعَك! إنما هو خدش، ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره، فيقول:

لا واللات والعزى! إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فو الله لو بصق علي لقتلني.

فمات عدو الله بسرف وهم قافلون (١).

(١) سبل الهدى والرشاد للصالحي ج/٤ ص:٢٠٨ دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة الأولى

إنه عار علينا نحن معشر المسلمين أن يصدّق أُبيّ بن خلف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويثق به كل الثقة، ولا تأخذه ريبة في هلاكه، أما نحن فلا نتبع أسوته، ولا نخاف وعيده وتهديده، رغم أننا آمنّا بنبوته، وصدقناه، ونزعم أننا نحبه، فليتأمل كل منا في حالته قبل حال غيره ويقارن بين ما ينطق به اللسان ويكذبه الجَنان.

وزاد ابن حجر في كتاب الزواجر ذكر قارون (١) وقال: إن الكسل في الصلاة لا تكون عادة إلا من هذه الأسباب والدواعي التي نجدها في هؤلاء، فإذا كان السبب فيه المال حشر مع قا رون، و إذا كان السبب الحكم والسلطان حشر مع فرعون، وإذا كان السبب الوزارة (يعني ملازمة السلطان ومصاحبة أصحاب الجاه) كان مع هامان، وإذا كان السبب التجارة كان مع أبي بن خلف (٢).

إن هذه الأحاديث وإن كان فيها نظر، تدلنا على أن عذاب الآخرة أشق وأشد، والفرق بين الكافر والعاصي: أن الأول في النار بكفره، أما العاصي فينجو من العذاب أخيرا، ولكن هل رضي أن يُكوى في نار جهنم إلى آلاف السنين؟

قال بعضهم: ورد في الحديث: "أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله تعالى بخمس خصال:

يرفع عنه ضيق العيش، وعذاب القبر، ويعطيه الله كتابه بيمينه، ويمر على الصراط كالبرق، ويدخل الجنة بغير حساب، ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة: خمسة في الدنيا، وثلاثة عند الموت، وثلاث في قبره، وثلاث عند خروجه من القبر، فأما اللواتي في الدنيا:

فالأولى: تنزع البركة من عمره، والثانية: تمحى سيماء الصالحين في وجهه، والثالثة: كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه، والرابعة: لا يرفع له دعاء إلى السماء، والخامسة: ليس له حق في دعاء الصالحين.

١٤١٤هـ/١٩٩٣م تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض. كان المترجم ترك هنا بياضا

(١) هو مذكور عند أحمد في هذا الحديث مع فرعون برقم: ٦٥٧٦.

(٢) قال في الزواجر ١/١٣٩: قال بعض العلماء: وإنما حشر مع هؤلاء لأنه إن اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون، فيحشر معه، أو بملكه أشبه فرعون، فيحشر معه، أو بوزارته أشبه هامان، فيحشر معه، أو بتجارته أشبه أبي بن خلف تاجر كفار مكة، فيحشر معه.

وأما التي تصيبه عند الموت: فإنه يموت ذليلا، والثانية: يموت جوعاً، والثالثة: يموت عطشاناً ولو سُقي بحار الدنيا ما روي من عطشه.

وأما التي تصيبه في قبره فالأولى: يضيق عليه القبر حتي تختلف أضلاعه، الثانية: يوقد عليه القبر ناراً فيتقلب على الجمر ليلا ونهاراً، والثالثة: يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع، عيناه من نار، وأظفاره من حديد، طول كل ظفر مسيرة يوم، يكلم الميت فيقول: أنا الشجاع الأقرع، وصوته مثل الرعد القاصف، يقول: أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى بعد طلوع الشمس، وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب، فكلما ضربه يغوص في الأرض سبعين ذراعاً، فلا يزال في القبر معذبا إلى يوم القيامة.

وأما التي تصيبه عند خروجه من القبر في موقف القيامة، فشدة الحساب، وسخط الرب، ودخول النار، وفي رواية: فإنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات، السطر الأول: يا مضيع حق الله، الشطر الثاني: يا مخصوصاً بغضب الله، الثالث: كما ضيعت في الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله"

وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة، لأن المفصل أربع عشرة فقط، فلعل الراوي نسي الخامسة عشرة، كذا في الزواجر لابن حجر المكي (١).

قلت: وهو كذلك، فإن أبا الليث السمرقندي ذكر الحديث في قرة العيون فجعل ستة في الدنيا فقال: الخامسة: مقته الخلائق في دار الدنيا، والسادسة: ليس له حظ في دعاء الصالحين ثم ذكر الحديث بتمامه، ولم يعزه إلى أحد.

وفي تنبيه الغافلين للشيخ نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي يقال: من داوم على الصلوات الخمس في الجماعة أعطاه الله خمس خصال، ومن تهاون بها في الجماعة عاقبه الله باثنتي عشرة خصلة: ثلاثة في الدنيا، وثلاثة عند الموت، وثلاثة يوم القيامة، ثم ذكر نحوها، ثم روى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا (٢).

---

(١) ج/١ ص: ١٤٢ الكبيرة السابعة والسبعون تعمد تأخير الصلاة عن وقتها.

(٢) أنظر تنبيه الغافلين ج/١ ص: ٣٠٠.

وذكر السيوطي في ذيل اللآلئ بعد ما أخرج بمعناه من تخريج ابن النجار في تاريخ بغداد بسنده إلى أبي هريرة قال في الميزان: هذا حديث باطل ركبه محمد ابن علي بن عباس على أبي بكر بن زياد النيسابوري (١).

قلت: لكن ذكر الحافظ في المنبهات عن أبي هريرة مرفوعاً: الصلاة عماد الدين، وفيها عشر خصال (٢) الحديث ذكروه في الهندية.

وذكر الغزالي في دقائق الأخبار بنحو هذا أتم منه، وقال: من حافظ عليها أكرمه الله بخمس عشرة الخ مفصلاً (٣).

شرح الحديث:

إني لم أعثُر على هذا الحديث كاملا في كتب الحديث المتداولة، ولكن تلك الأنواع من الثواب والعقاب التي جاء ذكرها في هذا الحديث تؤيدها الآثار الأخرى، وقد جاء في الحديث خروجه عن الإسلام بترك الصلاة، وهو أجلب للعذاب طبعاً، أما أنواع العذاب الأخرى فإنها تدخل تحت آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ١١٦]، فيا حبذا إذا عفا عنا بفضل هذه الآية ونحوها من آيات أخرى، أوغفر لنا ذنوبنا بكرمه وفضله، فذلك عين السعادة والفلاح.

جاء في الحديث أنها ستكون ثلاثة أنواع للميزان والحساب، أولها: ميزان الكفر والإسلام، ولا مغفرة فيه، الثاني: حقوق العباد، ينال فيها صاحب الحق حقه، إما من عنده أو من عند الله لطفاً منه وعفواً، الثالث: حقوق الله، وفيها يفتح الله أبواب مغفرته وكرمه (٤).

---

(١) قال الذهبي في الميزان في ترجمة محمد بن علي بن العباس البغدادي العطار: ركب على أبي بكر ابن زياد النيسابوري حديثا باطلا في تارك الصلاة انتهى.

(٢) انظر المنبهات ص: ٨٣ وعد الخصال العشر: زين الوجه، ونور القلب، وراحة البدن، وأنس في القبر، ومنزل الرحمة، ومفتاح السماء، وثقل الميزان، ومرضاة الرب، وثمن الجنة، وحجاب من النار انتهى، وقد حقق محدث الهند الشيخ يونس الجونفوري أن المنبهات ليس من تأليف ابن حجر العسقلاني ولا ابن حجر الهيتمي. انظر نوادر الحديث له ص: ١٢٦ في اللغة الأردية، رتبه الشيخ محمد زيد المظاهري الندوي.

(٣) انظر دقائق الأخبار للغزالي ص: ٥٤ ـ ٥٦ الطبعة الهندية، وقد ذكر هذا الحديث، وهو يشتمل على خمس عشرة خصلة يكرم بها المحافظ على الصلوات، وعلى خمس عشرة خصلة كذلك، يعاقب بها المتهاون بها. لكن هذه المصادر كلها أوردته بدون إسناد ولا عزو فلا يعوّل عليه.

(٤) روى أحمد برقم: ٢٦٠٣١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدواوين عند

شرح الحديث:

فلنعلم أننا لا نستحق إلا هذه الأنواع من العقاب والعذاب، ولكن رحمة الله أوسع وأشمل.

وقد جاء في الأحاديث ذكر أنواع أخرى من العذاب، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ فيقص عليه ماشاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة:

إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر، فيأخذ فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود إليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذا؟ قال: قالا لي: إنا سنخبرك... أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن، فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة......(١)

وقد ورد مثل هذا المعنى في حديث آخر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ثم أتى، يعني: النبي صلى الله عليه وسلم، على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخرة، كلما رضخت عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم في ذلك شيء، قال: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة (٢).

الله عزوجل ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله عزوجل: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾ وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله عزوجل يغفر ذلك، ويتجاوز إن شاء الله، وأما الديوان الذي لا يترك الله عنه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة. انتهى

(١) هو حديث طويل أخرجه البخاري بطوله في تعبير الرؤيا رقم: ٧٠٤٧ كتاب التعبير باب تعبير الرؤيا بعد الصبح، وابن حبان برقم: ٦٥٥ والطبراني في الكبير برقم: ٦٩٨٤ وأحمد برقم: ٢٠٠٩٤

(٢) أخرجه البزار برقم: ٥٥ من كشف الأستار عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره عن أبي هريرة مرفوعاً، وهو حديث طويل.

وأورده الهيثمي في المجمع ١/٧٢-٧٧ وقال: رواه البزار ورجاله موثقون، إلاأن الربيع بن أنس قال: عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول انتهى. وعزاه المنذري للبزار انظر الترغيب والترهيب ج/١، ص: ١٩٩.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: من فارق الدنيا على الإخلاص لله، وعبادته وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فارقها والله عنه راض (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا كان يوم القيامة، وجُمع الخلائق في صعيد واحد، جنهم وإنسهم والأمم جثياً صفوفاً، فينادي مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم؟ ليقم الحمادون لله على كل حال، فيقومون، فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي ثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم؟ ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فيقومون، ويسرحون إلى الجنة، ثم ينادي ثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم؟ ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فيقومون، ويسرحون إلى الجنة، فإذا أخذ هؤلاء الثلاثة منازلهم، يخرج عنق من النار، فأشرف على الخلائق، له عينان بصيرتان، ولسان فصيح فيقول:

إني وُكلت بثلاثة، إني وكلت بكل جبار عنيد، فيلقطهم من الصفوف كلقط الطير حب السمسم، فيخنس بهم في جهنم.

ثم يخرج الثانية فيقول: إني وكلت بمن آذى الله ورسوله، فيلقطهم من الصفوف، فيخنس بهم في جهنم.

ثم يخرج الثالثة، قال أبو المنهال: حسبت أنه قال: إني وكلت بأصحاب التصاوير، فيلقطهم من الصفوف فيخنس بهم في جهنم، فإذا أخذ من هؤلاء الثلاثة ومن هؤلاء الثلاثة، نشرت الصحف، ووضع الميزان، ودعي الخلائق للحساب (٢).

وذُكر: أن إبليس لعنه الله كان يُرى في الزمن الأول، فقال له رجل: يا أبا مرة كيف أصنع حتى أكون مثلك؟ قال: ويحك! لم يطلب أحد مثل هذا فكيف

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: ٧٠ في المقدمة، وفي إسناده ضعف من أجل أبي جعفر الرازي، ضعّفه أبو زرعة والنسائي، ووثّقه أبو حاتم.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/٦٢ والسمرقندي في تنبيه الغافلين ١/٢٩٨ عن ابن عباس موقوفاً عليه. وأخرج نحوه هناد بن السري في كتاب الزهد برقم: ١٧٨ من ترقيم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري عن أسماء بنت يزيد مرفوعاً، وكذا أخرجه البيهقي عن أسماء لكن مختصراً برقم: ٢٩٧٤ وأخرج البيهقي في الشعب برقم: ٢٩٧٥ نحوه عن ربيعة الجرشي مرفوعاً، وأخرج الحاكم في المستدرك نحوه عن عقبة بن عامر الجهني ج/٢، ص: ٤٣٣ رقم الحديث: ٣٥٠٧/٦٤٥ وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

تطلب أنت؟ فقال الرجل: إني أحب ذلك، فقال له إبليس: أما إن أردت أن تكون مثلي فتهاون بالصلاة، ولا تُبال من الحلف صادقاً أو كاذباً، فقال الرجل: لقد عاهدت الله أن لا أدع الصلاة، ولا أحلف يميناً أبداً، فقال له إبليس: ما تعلم أحد مني بالاحتيال غيرك، وأنا عاهدت أن لا أنصح آدمياً قط [تنبيه الغافلين للسمرقندي] (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي: يا محمد! قلت: لبيك رب وسعديك! فقال: هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أعلم، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال: في نحري، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض أو قال: ما بين المشرق والمغرب، قال لي: يا محمد! أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت:

نعم! في الدرجات والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السَّبَرات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير، ومات بخير (٢).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: الصلاة مرضاة للرب تبارك وتعالى، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء، ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وإجابة الدعاء، وقبول الأعمال، وبركة في الرزق، وراحة للأبدان، وسلاح على الأعداء، وكراهية للشيطان، وشفيع بين صاحبه وبين ملك الموت، وسراج في قبره، وفراش تحت جنبه، وجواب مع منكر ونكير، وأنس في قبره إلى يوم القيامة، فإذا كانت القيامة صارت الصلاة ظلا فوقه، وتاجاً على رأسه، ولباساً على بدنه، ونوراً يسعى بين يديه، وستراً بينه وبين النار، وحجة للمؤمنين بين يدي الرب

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي ١/٢٩٩ تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل دار الشرق الطبعة الثانية ١٤٠١هـ /١٩٨١م.

(٢) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه في التفسير برقم: ٣٢٣٤ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن معاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عائش. انتهى

وحديث معاذ أخرجه أحمد برقم: ٢٢١٠٩ والترمذي أيضاً برقم: ٣٢٣٥، وقال: حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا صحيح... (الكلام طويل، فانظر في سنن الترمذي، وفي آخره: وعبد الرحمن بن عائش لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم)

تبارك وتعالى، وثقلا في الموازين، وجوازاً على الصراط، ومفتاحاً للجنة (١).

وأورد الحافظ ابن حجر في المنبهات عن عثمان رضي الله عنه قال: من حفظ الصلوات الخمس لوقتها، وداوم عليها، أكرمه الله بتسع كرامات، أولها: أن يحبه الله، ويكون بدنه صحيحاً، وتحرسه الملائكة، وتنزل البركة في داره، ويظهر على وجهه سيما الصالحين، ويلين الله قلبه، ويمر على الصراط كالبرق اللامع، وينجيه الله من النار، وينزله في جوار الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٢).

(٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا سهم في الإسلام لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا وضوء له.

[أخرجه البزار(٣) وأخرج الحاكم عن عائشة مرفوعاً، وصححه: ثلاث أحلف عليهن: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، وسهام الإسلام: الصوم والصلاة والصدقة (٤) الحديث].

وأخرج الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً: لا دين لمن لا صلاة له، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد(٥).

شرح الحديث:

إن الذين يسمون أنفسهم مسلمين، ويتظاهرون بالحمية الإسلامية ويحلمون بالوصول إلى مكانتهم الإسلامية العالية، يجب أن يفكروا في تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتدبروا حياة أصحابه وأفعالهم، ويروا كيف تمسكوا بالدين، وعضوا عليه بالنواجذ، فلا غرابة إذ دانت لهم الدنيا، وخضعت لهم البلاد.

---

(١) أخرجه السمرقندي بسنده في تنبيه الغافلين: ١/٢٩٩-٣٠٠.

(٢) انظر المنبهات ص: ٧٣-٧٤ الطبعة الهندية.

(٣) انظر كشف الأستار عن زوائد البزار كتاب الصلاة باب وجوب الصلاة رقم الحديث: ٣٣٤ قال الهيثمي: فيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد، وقد أجمعوا على ضعفه. (مجمع الزوائد١/٢٩٧)

(٤) انظر المستدرك على الصحيحين ج١، ص: ٦٨ رقم الحديث ٤٩ قال الذهبي في التلخيص: فيه شيبة الخضري وفيه جهالة. وأخرجه أحمد برقم: ٢٥١٢١ قال الهيثمي في المجمع١/٤٢: رواه أحمد ورجاله ثقات، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيبة الخضري، انتهى.

وفي الباب عن أبي أمامة، وعن ابن مسعود، وعن علي، وعن حذيفة، ذكرها الهيثمي في المجمع ١/٤٢-٤٣، وذكر محققو مسند أحمد تحت الحديث برقم: ٢٥١٢١ بعضها.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٢٢٩٣ وقال: تفرد به الحسين بن حكم. وعليه اقتصر الهيثمي في المجمع: ١/٢٩٧.

الباب الثاني في الجماعة

كتبنا في أول الرسالة أن كثيراً من الناس يصلون ولكنهم لا يهتمون بالجماعة مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أكد على الجماعة كما أكد على الصلاة، وفي هذا الباب فصلان:

الفصل الأول في فضل الجماعة، والثاني في الوعيد علي من ترك الجماعة.

الفصل الأول في فضل الجماعة

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة (١).

شرح الحديث:

إذا كان المرء يصلي، ويصلي ابتغاء وجه الله، فلماذا لا يحضر الجماعة؟ ويصلي في بيته؟ وهل هنا عاقل يؤثر ريالا واحداً على سبعة وعشرين، وثمانية وعشرين ريالا؟ ومع هذا، فذلك عين ما نفعله في مجال الدين، وليس السبب في ذلك سوى التغاضي عن أهميته، وعدم العناية به، والإيمان بفائدته في الدارين، فبينما نجوب كل واد، ونخوض كل ناد للحصول على دراهم معدودة، لا نتجه إلى المنافع الدينية، ولو تيسرت وكانت في متناول اليد.

إن سلعة الله التي تعود إلى المصلي بسبعة وعشرين ضعفاً ثقيلة على نفوسنا، فتحول متاجرنا دون حضور الجماعة، وأشغالنا المادية عن أداء الصلاة في أوقاتها، أما الذين يعظمون شعائر الله، ويثقون بوعد الله، ويطمئنون إلى ثوابه، بل يحسُبون له كل حساب، فلا تمنعهم هذه الأعذار الواهية الباردة عن أداء هذا الواجب، وهم الذين قال الله عنهم: ﴿لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ

---

(١) انظر البخاري برقم: ٦٤٩ في كتاب الأذان باب: فضل صلاة الفجر في جماعة. ومسلم في كتاب المساجد باب: فضل صلاة الجماعة برقم: ٦٥ والترمذي برقم: ٢١٥ في كتاب الصلاة باب: ما جاء في فضل الجماعة، وأحمد برقم: ٤٦٧٠.

ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة النور الآية : ٣٧].

وقد ذكرت في كتابي : "قصص الصحابة" ماكان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجل وإشفاق عند سماع الأذان ، وحنين إلى الصلاة.

وكان سالم الحداد تاجراً يصفر لونه كلما سمع الأذان ، ويتوجه إلى المسجد حالا تاركا دكانه وماله ، ثم يُنشد هذه الأبيات :

إذا ما دعا داعيكم قمت مسرعاً — مجيباً لمولى جل ليس له مثل
أجيب إذا نادى بسمع وطاعة — ولي نشوة لبيك يامن له الفضل
ويصفر لوني خيفة ومهابة — ويرجع لي عن كل شغل به شغل
وحقكم ما لذ لي غير ذكركم — وذكر سواكم في فمي قط لايحلو
متى يجمع الأيام بيني وبينكم — ويفرح مشتاق إذا جمع الشمل
فمن شاهدت عيناه نورجمالكم — يموت اشتياقاً نحوكم قط لا يسلو

(٢) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد ، لا يخرجه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي مادام في مصلاه ، ما لم يُحدث : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة.

[رواه البخاري واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه(١)كذا

(١) انظر البخاري كتاب الأذان فضل صلاة الفجر في جماعة برقم: ٦٤٨ ومسلم برقم: ٦٤٩ ، كتاب المساجد باب: فضل صلاة الجماعة. .والترمذي برقم: ٢١٦ ، في كتاب الصلاة باب: ماجاء في فضل الجماعة ، وأبو داود برقم: ٥٥٩ في كتاب الصلاة باب: فضل الجماعة ، وابن ماجه برقم: ٧٨٧ ، الصلاة في كتاب الصلاة باب: فضل الصلاة في الجماعة.

وفي الباب عن ابن مسعود عند أحمد برقم: ٣٥٦٧ وفيه أيضاً: خمسة وعشرون ضعفاً ، وعن أبي سعيد عند البخاري برقم: ٦٤٦ في كتاب الأذان باب: فضل صلاة الجماعة ، وفيه أيضاً: خمس وعشرون درجة ، وعن أبي بن كعب عند ابن ماجه ٧٩٠ ، وفيه: بأربع وعشرين أو خمس وعشرين درجة على الشك.

وعن أنس عند البزار برقم: ٤٥٩ في كشف الأستار وفيه: خمسا وعشرين صلاة ، وعن معاذ بن جبل عند البزار أيضا برقم: ٤٥٤ وفيه أيضاً: خمسة وعشرين صلاة ، وعن زيد بن ثابت عند الطبراني في المعجم الكبير برقم: ٤٩٣٦ وفيه: صلاة الجميع تفضل على صلاة الرجل وحده أربعا وعشرين سهما إلى صلاته خمسا وعشرين سهما. ←

في الترغيب].

شرح الحديث :

علمنا من الحديث الأول أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ، أما هذا الحديث فهو يشير إلى خمس وعشرين ، ولهذا التفاوت أسباب في نظر العلماء ، ذكروها في شروح الحديث ، ومهما كان ، فإن هذا الاختلاف هو نتيجة اختلاف أحوال الناس ، فمن الناس من يكتب له سبع وعشرون درجة لإخلاصه ، وفيهم من لا يكسب إلا خمساً وعشرين ، وقال البعض : إن ذلك باختلاف الصلوات ، ففي الصلاة السرية خمس وعشرون ، وفي الصلاة الجهرية سبع وعشرون ، وقال بعضهم : إن ذلك لصلاة الفجر وصلاة العشاء ، فقد تشقان عادة على الناس ، أما الباقي فهو خمس وعشرون ، وقال بعض الشراح : إن ذلك يرجع إلى نزول الرحمة الإلهية ، وعنايتها الخاصة بهذه الأمة ، إذ أنها كانت تتدرج دائما من حسن إلى أحسن ، فترقت من خمس وعشرين إلى سبع وعشرين.

وأما ما أشار إليه الرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فهو أولى بالتأمل والاعتبار ، ويدولنا بوضوح أن الصلاة مع الجماعة كيف تجمع أكبر نصيب من الحسنات ، فالذي يتوضأ في بيته ، ثم يخرج إلى المسجد ، ينال ثوابه على كل خطوة يخطوها ويحط عنه سيئاته.

عن جابر رضي الله عنه قال : خلت البقاع حول المسجد ، فأراد بنو سلِمة أن ينتقلوا قرب المسجد ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟ قالوا : نعم يا رسول الله! صلى الله عليه وسلم ، قد أردنا ذلك ، فقال : يا بني سلِمة! دياركم تكتب آثاركم ، دياركم

وعن صهيب عند الطبراني في المعجم الكبير برقم: ٧٣٠٥ وفيه: صلاة الرجل مع جماعة تعدل صلاته وحده خمس وعشرين درجة ، وعن عبد الله بن زيد عند الطبراني في الأوسط برقم: ٥٠٦٧ ، وفيه: ما بين الفذ والجماعة خمس وعشرون درجة ، وعن عائشة رضي الله عنها عند أحمد برقم: ٢٤٢٢١ ، وفيه: فضلت صلاة الجماعة على صلاة الفذ خمساً وعشرين.

وانظر توجيه هذا الفرق عند الحافظ في الفتح تحت الحديث برقم: ٦٤٥ ، فقد ذكر أكثر من عشرة وجوه مع الاعتراف بأن أكثر الروايات متفقة على خمس وعشرين.

تكتب آثاركم، فقالوا: ما يسرنا أن كنا تحولنا، وفي رواية لمسلم بمعناه، وفي آخره: إن لكم بكل خطوة درجة (١).

(٣) عن ابن مسعود قال: من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدي، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر، فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأينا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى بها يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف.

وفي رواية: لقد رأينا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض، إن كان الرجل ليمشي بين الرجلين حتى يأتي الصلاة، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه.

لرواه مسلم وأبوداود، والنسائي، وابن ماجه(٢)كذا في الترغيب والدر المنثور.

والسنة نوعان: سنة الهدى، وتاركها يستوجب إساءة كالجماعة والأذان، والزوائد، وتاركها لا يستوجب إساءة كسير النبي صلى الله عليه

(١) انظر مسلم برقم: ٦٦٥ كتاب المساجد باب: فضل الصلاة المكتوبة في جماعة، وابن حبان برقم: ٢٠٤٢ وروى البخاري نحوه عن أنس رضي الله عنه برقم: ٦٥٥ في كتاب الأذان باب احتساب الآثار. وبنو سلمة بكسر اللام، بطن كبير من الخروج.

(٢) مسلم برقم: ٦٥٤ أبواب المساجد، وأبو داود في الصلاة باب: التشديد في ترك الجماعة برقم: ٥٥٠، والنسائي برقم: ٨٥٠، كتاب الإمامة باب: المحافظة على الصلوات حيث ينادى بهن، وابن ماجه برقم: ٧٧٧ كتاب المساجد باب: المشي إلى الصلاة.

وفي الباب عن ابن عمر عند الطبراني في الأوسط برقم: ٨٤٥٦، ولفظه: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سره أن يلقى الله عزوجل غداً مسلماً فليحافظ على الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، قال الهيثمي في المجمع ٤٢/١: رواه الطبراني في الأوسط من طريق رجلة مولاة عبد الملك عن ابن عمر، ولم أجد من ترجمها.

وفي الباب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه من قوله عند إسحاق بن راهويه في مسنده كما ذكره الحافظ في المطالب العالية انظر برقم: ٤٠١، طبعة دار المعرفة بيروت لبنان، بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.

وسلم في لباسه وقعوده، كذا في نور الأنوار.

والإضافة في سنة الهدى بيانية، أي سنة هي هدى، والحمل مبالغة، كذا في قمر الأقمار].

شرح الحديث:

كان الصحابة - عليهم رضوان الله - يهتمون بالجماعة كل الاهتمام حتى إن المريض كان يلحق بالجماعة رغم مرضه إذا استطاع، ولو اضطر إلى مساعدة رجلين يحملانه، وكيف لا يهتمون؟ ولا يبادرون إلى الجماعة؟ وقد رأوا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يهتم بالجماعة هكذا حين اشتد به المرض.

عن أبي الدراداء قال: أحدثكم حديثاً سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واعدد نفسك في الموتى، وإياك ودعوة المظلوم، فإنها تستجاب، ومن استطاع منكم أن يشهد الصلاتين العشاء والصبح ولو جراً فليفعل (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق عن رجل من النخع عن أبي الدرداء ج/٧٢ ص: ٩١ رقم الترجمة ٩٤١٦ دار إحياء التراث الإسلامي بيروت، لبنان، تحقيق أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي، وعزاه الهيثمي في المجمع٤٣/٢ إلى الطبراني في المعجم الكبير قال: سمي الرجل النخعي جابرا ولم أجد من ذكره، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١٥٤/١: لا يحضرني حاله، وقال الحافظ في المطالب العالية ج/٣ ص: ١٣٩ رقم الحديث: ٣٠٩٦: صحيح لو لا المبهم.

قال عبد الرشيد: لأوله شاهد من حديث عمر رضي الله عنه حديث الإحسان عند مسلم في أوائل كتاب الإيمان. ومن حديث ابن عمر أيضاً عن أحمد برقم: ٦١٥٦ وإسناده صحيح.

ولقوله: "اعدد نفسك في الموتى" شاهد من حديث ابن عمر عند الترمذي برقم: ٢٣٣٣ في الزهد.

ويشهد للتحذير من دعوة المظلوم حديث ابن عباس عند البخاري برقم: ١٤٩٦: "واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" في وصيته لمعاذ عند بعثه إلى اليمن، ويشهد له أحاديث أخرى منها: حديث أبي هريرة عند ابن حبان برقم: ٨٧٤ وابن ماجه برقم: ١٧٥٢ كتاب الصيام باب في الصائم لا ترد دعوته، بإسناد حسن، وحديث خزيمة بن ثابت عند الطبراني في الكبير برقم: ٣٧١٨، وحديث ابن عمر عند الحاكم ج/١ ص: ٨٣ رقم الحديث ٨١ وغيرها من الأحاديث. وأما الطرف الأخير فيشهد له حديث أبي هريرة الآتي. وأخرج أحمد برقم: ٨٥٢٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن آدم اعمل كأنك ترى، وعد نفسك مع الموتى، وإياك ودعوة المظلوم، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، ولأن الراوي عن أبي هريرة مجهول.

لأتوهما ولو حبواً (١).

(٤) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق.

[رواه الترمذي، وقال: لا أعلم أحداً رفعه إلا ما روى سلْم بن قتيبة عن طعمة بن عمرو (٢).

وقال المنذري: وسلْم وبقية رواته ثقات.

قلت: وله شواهد من حديث عمر رفعه: من صلى في مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقاً من النار.

رواه ابن ماجه واللفظ له، والترمذي(٣) وقال: نحو حديث أنس، يعني المتقدم، ولم يذكر لفظه، وقال: مرسل يعني: عمارةُ الراوي عن أنس لم يدرك أنساً.

وعزاه في منتخب الكنز إلى البيهقي في الشعب وابن عساكر وابن النجار] (٤).

شرح الحديث:

يعني: من صلى أربعين يوما بإخلاص وحسن نية، بحيث يقتدي الإمام من أول الصلاة، ولا تفوته التكبيرة الأولى؛ فإنه لا يدخل في النار، ولا يعد من المنافقين، فإن المنافقين هم الذين يراؤون الإسلام، ويضمرون الكفر، أما عدد الأربعين فإن له تأثيراً قوياً في أوضاع الإنسان، ولذلك نرى أن الإنسان يبقى نطفة قبل خلقه إلى أربعين، وعلقة ومضغة إلى أربعين، وهكذا، فيا لحسن حظ هؤلاء السعداء الذين لا تفوتهم تكبيرة على الأعوام.

(١) أخرجه البخاري برقم: ٦٥٧ كتاب الأذان باب: فضل صلاة العشاء في الجماعة، ومسلم رقم الحديث: ٦٥١-٦٥٢، أبواب المساجد باب فضل الجماعة، وابن ماجه برقم: ٧٩٧ كتاب إقامة الصلاة باب: ما يقول بين السجدتين.

(٢) انظر الترمذي كتاب الصلاة برقم: ٢٤١ باب: ما جاء في فضل التكبيرة الأولى.

(٣) أخرجه عن أنس عن عمر ابن ماجه باب صلاة العشاء والفجر في جماعة برقم: ٧٩٨، وأشار إليه الترمذي بعد رقم: ٢٤١، وقال: وروى إسماعيل بن عياش هذاالحديث عن عمارة بن غزية عن أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا، وهذا حديث غير محفوظ، وهو حديث مرسل، وعمارة بن غزية لم يدرك أنس بن مالك انتهى.

(٤) وحسّنه الألباني عن أنس في الصحيحة برقم: ٢٦٥٢ وفي صحيح ابن ماجه.

(٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من توضأ فأحسن وضوءه، ثم راح، فوجد الناس قد صلوا، أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

[رواه أبو داود والنسائي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم(١) كذا في الترغيب.

وفيه أيضاً عن سعيد بن مسيب قال: حضر رجلاً من الأنصار الموت فقال: إني محدثكم حديثاً ما أحدثكموه إلا احتسابا، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء الحديث، وفيه: فإن أتى المسجد، فصلى في جماعة، غفر له، فإن أتى المسجد وقد صلّوا بعضا، وبقي بعض، صلى ما أدرك، وأتم ما بقي، كان كذلك، فإن أتى المسجد وقد صلوا، فأتم الصلاة، كان كذلك، رواه أبو داود] (٢).

شرح الحديث:

إنه من عظيم نعم الله على عباده وجميل فضله وإحسانه أنه يعطي الأجر على مجرد المحاولة والسعي، أدرك الصلاة أم لم يدركها مادام قد حن إليها وسعى لها سعيها، فإذا قصرنا في نيل هذا الأجر وحصول هذا الثواب وقعدنا عن هذا الإنعام والإكرام، فإننا بذلك لن نضر الله شيئاً، وقد بدا من هذا الحديث: أنه لا ينبغي أن نماطل في الذّهاب إلى المسجد ظنا أن الصلاة انتهت، حتى نحصّل بذهابنا الأجر. أما إذا علمنا يقيناً فلا بأس.

(٦) عن قباث بن أشيم الليثي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلاة الرجلين يؤم أحدهما صاحبه أزكى عند الله من صلاة أربعة تترى، وصلاة أربعة أزكى عند الله من صلاة ثمانية تترى، وصلاة ثمانية يؤمهم أحدهم أزكى من صلاة مأة تترى.

(١) انظرسنن أبي داود برقم: ٥٦٤ كتاب الصلاة باب: في من خرج يريد الصلاة فسُبق بها، والنسائي برقم: ٨٥٦ كتاب الإمامة باب: حد إدراك الجماعة، والحاكم ج/١ ص: ٣٢٧ رقم الحديث: ٧٥٤ وصححه على شرط مسلم، و وافقه الذهبي، وسكت عن أبو داود، ووافقه المنذري.

(٢) انظر سنن أبي داود برقم: ٥٦٣ كتاب الصلاة باب: ما جاء في الهدي في المشي إلى الصلاة وسكت عنه هو والمنذري.

] رواه البزار والطبراني بإسناد لا بأس به، كذا في الترغيب، وفي مجمع الزوائد: رواه البزار والطبراني، ورجال الطبراني موثقون، وعزاه في الجامع الصغير إلى الطبراني والبيهقي، ورقم له بالصحة (١).

وعن أبي بن كعب رفعه بمعنى حديث الباب، وفيه قصة، وفي آخره: وكلما كثر فهو أحب إلى الله عز وجل، رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم، وقد جزم يحي بن معين والذُّهْلي بصحة هذا الحديث، كذا في الترغيب] (٢).

شرح الحديث:

إن بعض الناس يظنون أنه إذا اجتمع نفر في مكان أو في متجر ودكان فيمكن لهم أن يصلوا جماعة هناك، وليس لهم حاجة إلى المسجد، وذلك وهم وخطأ وسوء فهم، فإنهم بذلك أولا يُحرمون ثوابَ المسجد ويحرمون ثواب كثرة الجماعة، فإن الجمع الكثير أحب إلى الله من الجمع القليل، وهنا ناحية أخرى، وهي: أننا إذا قمنا بالصلاة ابتغاء وجه الله ونيل رضاه وجب علينا أن نقوم بها بطريقة مرضية مقبولة عند الله.

(٧) عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بشر المشائين في الظلم إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة.

[رواه ابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح على شرط الشيخين، كذا في الترغيب، وفي المشكاة برواية الترمذي وأبي داود عن بريدة ثم قال: رواه ابن ماجه عن سهل بن سعد وأنس.

---

(١) انظر كشف الأستار برقم: ٤٦١ والمعجم الكبير ج/١٠ برقم: ٧٣، وانظر للكلام عليه الترغيب والترهيب ١٥٢/١ ومجمع الزوائد ٤٢/٢.

(٢) ولفظه: عن أبيٍّ بن كعب قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فقال: أشاهد فلان؟ قالوا: لا! فقال: أشاهد فلان؟ قالوا: لا! قال: إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو يعلمون فضل ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، وإن الصف الأول لعلى مثل صف الملائكة، ولو تعلمون فضيلته لابتدرتموه، وصلاة الرجل مع الرجلين أزكى من صلاته مع رجل، وكلما كثر فهو أحب، انظر مسند أحمد برقم: ٢١٢٦٥ وسنن أبي داود ٥٥٤ في كتاب الصلاة باب: ما جاء في فضل صلاة الجماعة وابن خزيمة برقم: ١٤٧٧ وابن حبان برقم: ٢٠٥٦ والحاكم ج/١ ص: ٣٧٦ رقم الحديث ٩٠٤. وحسّنه محققو مسند أحمد، وانظر كلام المنذري الذي نقله المصنف في الترغيب والترهيب ١٥٢/١: الترغيب في كثرة الجماعة.

قلت: وله شاهد في منتخب كنز العمال برواية الطبراني عن أبي أمامة بلفظ: بشر المدلجين إلى المساجد في الظلم بمنابر من نور يوم القيامة، يفزَع الناس ولا يفزعون، وذكر السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿إنما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله﴾ عدة روايات في هذا المعنى] (١).

شرح الحديث:

إننالا نقدر في هذه الدنيا المشي إلى المساجد في الظلم، ولكننا نطلع على

---

(١) انظر حديث سهل بن سعد عند ابن ماجه برقم: ٧٨٠ كتاب المساجد باب المشي إلى الصلاة والحاكم ج/١ ص: ٢٣٢ رقم الحديث: ٧٦٨

قال البوصيري في الزوائد ص: ١٣٣ إسناد سهل بن سعد فيه مقال؛ إبراهيم بن محمد هذا، قال ابن حبان في الثقات: يخطئ، وقال الذهبي في الكاشف: صدوق، ولم أر لأحد ممن تكلم في الرجال كلاماً غيرهما، وباقي رجاله ثقات، ولكن قال شيخنا أبو الفضل بن الحسين رحمه الله في أماليه بعد أن رواه من هذا الطريق: هذا حديث حسن غريب، قال: وقد تابع زهير بن محمد عليه أبو غسان محمد بن طريف، فساقه بسنده إلى يحيى بن الحارث الشيرازي أبو غسان عن أبي حازم فذكره بلفظ: بالنور التام، انتهى، ورواه الحاكم بالسند المذكور عن زهير وأبي غسان جميعاً وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه انتهى، ورواه ابن خزيمة، واستقر به، هذا آخر كلام البوصيري.

وانظر حديث أنس أيضاً عند ابن ماجه بمعناه برقم: ٧٨١ كتاب إقامة الصلاة باب السجود، وانظر حديث بريدة رضي الله عنه عند الترمذي برقم: ٢٢٣، كتاب الصلاة باب: ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، وأما حديث أبي أمامة فقد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وفيه: سلمة العبسي عن رجل من أهل بيته قال الهيثمي في المجمع ٣٤/٢: لم أجد من ترجمهما.

وفي الباب عن عائشة عند الطبراني في الأوسط برقم: ١٢٧٥ وإسناده ضعيف؛ فيه الحسن بن علي الشروي، وفي الباب عن أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط برقم: ٨٤٣، وحسن الهيثمي إسناده في المجمع ٣٣/٢، وقد ذكر الهيثمي في المجمع ٣٣/٢ في الباب عن أبي سعيد الخدري، وزيد بن حارثة، وابن عباس، وابن عمر، وأبي الدرداء، وأبي موسى الأشعري، وتكلم في هذه الشواهد فراجع إليه.

فالحديث بمجموع طرقه صحيح لغيره إن شاء الله، ومع ذلك فقد قال الترمذي معلقاً على الحديث المروي عن بريدة برقم: ٢٢٣ كتاب الصلاة باب: ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة: هذا حديث غريب من هذا الوجه مرفوع، وهو صحيح مسند وموقوف إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أحمد شاكر متعقباً له بعد أن نقل عن المنذري توثيق رجاله: وتوثيق الحافظ المنذري لرجال إسناده يكفي في تصحيح الحديث أو تحسينه، وتفرد إسماعيل وعبد الله به لا يضر، لأن له شواهد كثيرة بمعناه، وبعضها بلفظه أو بنحوه، وبعض أسانيدها صحاح، وبعضها حسان، من أحاديث بعض الصحابة، وكلها مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. انتهى.

وقال البوصيري بعد أن ذكره من مسند أنس ص: ١٣٤، وله شاهد روي عن عشرة من الصحابة غير سهل وأنس، وهم: بريدة، وزيد بن حارثة، وابن عباس، وابن عمر، وأبو أمامة، وأبو الدرداء، وأبو سعيد، وأبو...(بياض في المطبوع)، وأبو هريرة، وعثمان، وأجودها: حديث بريدة وأبي الدرداء، فحديث بريدة أخرجه أبو داود، وسكت، والترمذي وقال: حسن، وحديث أبي الدرداء أخرجه ابن حبان والطبراني، انتهى قول البوصيري.

فوائده وثمراته إن شاء الله حين تقوم القيامة بجميع أهوالها وشدائدها، إن بعض هذا العناء وبعض هذا التعب الذي نجده في ذهابنا إلى المساجد في الظلم سيتحول إلى نور ساطع كالشمس، يرافقنا أينما سرنا في ظلمات يوم القيامة.

إن كل تعليم من تعاليم الشريعة وتوجيه من توجيهاتها يحمل أجراً وبركة، ويمنا، لا حد له ولا نهاية، ولكنه في نفس الوقت يحمل مصالح وحكما عالية للعباد، ولا شك أن الوصول إلى كنه تلك المصالح والغايات عسير ومحال، وهل يمكن أحداً أن يطلع على الأسرار الربانية والمصالح الإلهية الدقيقة العميقة؟ ولكن رزقنا حظاً منها على قدر فهمنا وهممنا ومداركنا، وقد شرح العلماء فوائد حضور الجماعة كما فهموها، وقد أفاض فيها شيخنا أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في كتابه: "حجة الله البالغة" وملخص كلامه ما يلي:

"اعلم أنه لا شيء أنفع من غائلة الرسوم من أن يجعل شيء من الطاعات رسماً فاشياً يؤدى على رؤوس الخامل والنبيه، ويستوي فيه الحاضر والباد، ويجري فيه التفاخر والتباهي، حتى تدخل في الارتفاقات الضرورية التي لا يمكن لهم أن يتركوها، ولا أن يهملوها، لتصير مؤيداً لعبادة الله، والسنة تدعو إلى الحق، ويكون الذي يخاف منه الضرر هو الذي يجلبهم إلى الحق، ولا شيء من الطاعات أتم شأناً ولا أعظم برهاناً من الصلاة، فوجب إشاعتها فيما بينهم، والاجتماع لها وموافقة الناس فيها.

وأيضاً فالملة تجمع ناساً علماء يُقتدى بهم، وناساً يحتاجون في تحصيل إحسانهم إلى دعوة حثيثة، وناساً ضعفاء البنية لولم يكلفوا أن يؤدوا على أعين الناس تهاونوا فيها، فلا أنفع ولا أوفق بالمصلحة في حق هؤلاء جميعا أن يكلفوا أن يطيعوا الله على أعين الناس، ليتميز فاعلها من تاركها، وراغبها من الزاهد فيها، ويقتدي بعالمها جاهلُها، وتكون طاعة الله فيهم كسبيكة تعرض على طائف الناس، ينكر منها المنكر، ويعرف منها المعروف، ويرى غشها وخالصها.

وأيضاً فلا جتماع المسلمين راغبين في الله راجين راهبين منه مسلمين وجوههم إليه خاصية عجيبة في نزول البركات وتدلي الرحمة كما بينا في الاستسقاء والحج.

وأيضاً فمراد الله من نصب هذه الأمة، أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن لا يكون في الأرض دين أعلى من الإسلام، ولا يتصور ذلك إلا بأن يكون سنتهم أن يجتمع خاصتهم وعامتهم وحاضرهم وباديهم، وصغيرهم وكبيرهم لما هو أعظم شعائره، وأشهر طاعاته، فلهذه المعاني انصرفت العناية التشريعية إلى شرع الجمعة والجماعات والترغيب فيها وتغليظ النهي عن تركها (١).



(١) حجة الله البالغة ج/٢، ص: ٦٢-٦٣، دار إحياء العلوم ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

الفصل الثاني:

في العتاب على من ترك الجماعة

إن الله تعالى وعد بالثواب والأجر على اتباع أوامره، وأنذر بسخطه وعتابه علي عصيانه ومخالفة أوامره، ومن فضله العميم على عباده أنه وعد بأجر غير ممنون وعطاء غير مجذوذ على الاتباع، فالعبودية لا تقتضي بطبيعة الحال إلا العتاب والزجر، بدلا من الثواب والأجر، فإن العبد لا وظيفة له غير امتثال الأمر، والطاعة الكاملة، والاتباع المجرد، وهو لا يستحق هذا الفضل والإحسان، والإكرام، والإنعام، أما العصيان فهو يستحق عليه طبعاً كل نوع من العذاب، وكل لون من العتاب، وأي شيء أكبر جناية من المعصية؟ ولم نكن نستحق هذه التنبيهات أبداً، ولكن الله حذرنا بلطفه من سوء العاقبة مرة بعد مرة، وأخبرنا بمضاره وأخطاره وموبقاته ومهلكاته، وضرب لنا من كل مثل، وتنبيه ونصح، وإنذار وتبشير، ووعد ووعيد، ومن أساء بعد ذلك فإنه لا يهلك إلا نفسه﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيْدِ﴾ [سورة حم السجدة الآية: ٤٦].

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر، قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض، لم تقبل منه الصلوات التي صلى.

[رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وابن ماجه بنحوه، كذا في الترغيب، وفي المشكاة: رواه أبو داود والدارقطني] (١).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة برقم: ٥٥١ في كتاب الصلاة باب التشديد في ترك الجماعة، والحاكم ج/١، ص: ٣٧٣، رقم الحديث: ٨٩٦ والدارقطني ج/١، ص: ٤٢٠-٤٢١، بهذا اللفظ، وفيه أبو جناب الكلبي، وهو كثير التدليس، وقد عنعن.

ولكن أخرج ابن ماجه برقم: ٧٩٣ في المساجد باب التغليظ في التخلف عن الجماعة، وابن حبان برقم، ٢٠٦٤ بسند صحيح عن شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سمع النداء فلم يجب، فلا صلاة له إلا من عذر، وفي الباب عن أبي موسى الأشعري عند الحاكم ج/١ ص: ٣٧٤ برقم: ٨٩٩ قال: قال رسول الله ﷺ: من سمع النداء فارغاً صحيحاً، فلم يجب، فلا صلاة له، صححه الحاكم ووافقه الذهبي في التلخيص.

شرح الحديث:

إن معنى عدم القبول: أنه لا ينال ذلك الأجر الذي كان مرتبطاً بهذه الصلوات، وإن أدى فريضة، وهو المراد من جميع الآثار والأخبار التي وردت فيها بأن لا تقبل صلاة فلان، فالحرمان من هذا ليس بشيء هين، وإلى ذلك ذهب الإمام أبو حنيفة، وقد ذهب عدد من الصحابة والتابعين إلى أن ترك الجماعة بلا عذر حرام، وأن حضور الجماعة فرض، ويرى كثير من العلماء أنه لا صلاة مطلقاً لمن ترك الجماعة.

(٢) عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: الجفاء كل الجفاء، والكفر، والنفاق: من سمع منادي الله ينادي إلى الصلاة فلا يجيبه.

[رواه أحمد والطبراني من رواية زبان بن فائد، كذا في الترغيب، وفي مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير، وزبان ضعفه ابن معين، ووثقه أبو حاتم، وعزاه في الجامع الصغير إلى الطبراني، ورقم له بالضعف] (١).

شرح الحديث:

فما أشد هذا الزجر وأنكى هذا التنبيه! إذ سمى هذا الفعل كفراً ونفاقاً، وقرر أن صدوره عن مسلم مستحيل أو بعيد، وورد في حديث آخر ما معناه: كفى بالمرء شقاء أن يسمع الأذان فلا يستجيبه (٢).

سليمان بن أبي حثمة من الصحابة، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يرو عنه صلى الله عليه وسلم لصغر سنه، جعله عمر رضي الله عنه أمير السوق. فرُوي عن ابن شهاب عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح، وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق، وسكنُ سليمان بين السوق

(١) انظر مسند أحمد برقم: ١٥٦٢٧ والمعجم الكبير للطبراني ج/٢٠ ص: ١٨٣ برقم: ٣٩٥، و٣٩٤-٣٩٦ وإسناده ضعيف من أجل زبان بن فائد، ومن أجل أن الراوي عنه ابن لهيعة، ورشدين بن سعد، وكلاهما ضعيف.

(٢) هو نفس حديث معاذ بن أنس، ولفظه عند الطبراني برقم: ٣٩٦: "حسب المؤمن من الشقاء والخيبة: أن يسمع المؤذن يثوب بالصلاة فلا يجيبه" انتهى والتثويب معناه: الإقامة.

والمسجد النبوي، فمرّ على الشفاء أم سليمان، فقال لها: لم أر سليمان في الصبح؟! فقالت: إنه بات يصلي، فغلبته عيناه، فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إلي من أن أقوم ليلة (١).

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد هممت أن آمر فتيتي، فيجمعوا لي حزماً من حطب، ثم آتي قوماً يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم.

[رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي، كذا في الترغيب (٢).

قال السيوطي في الدر: أخرج ابن أبي شيبة، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة رفعه: أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، الحديث بنحوه] (٣).

شرح الحديث:

إن النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما عرف به من رحمة، ولين، ورأفة بأمته، ورفق بأحوال عباد الله، ومع أنه كان لا يرضى بأن يتأذى أحد ويتألم، لم يتمالك غضبه في هذا الأمر، وأراد بأن يحرق بيوت هؤلاء الذين لا يحضرون الجماعة.

(٤) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

[رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم، وزاد رزين في جامعه: وإن ذئب الإنسان الشيطان، إذا خلا به أكله، كذا في الترغيب، ورقم له في الجامع الصغير بالصحة، وصححه

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ برقم:١٤٣ طبعة دار الآفاق الجديدة بيروت بتحقيق فاروق سعد

(٢) انظر مسلم برقم:٦٥١ في المساجد باب فضل صلاة الجماعة، وسنن أبي داود برقم:٥٤٨ و:٥٤٩ في الصلاة باب في بناء المسجد، والترمذي برقم:٢١٧ في كتاب الصلاة باب: ما جاء أين يضع الرجل وجهه إذا سجد، وابن ماجه برقم:٧٩١ أبواب المساجد باب التغليظ في التخلف عن الجماعة.

(٣) انظر البخاري برقم:٦٥٧ كتاب الأذان باب فضل صلاة العشاء في الجماعة، ومسلم برقم:٦٥١-٢٥٢ في المساجد باب فضل صلاة الجماعة وابن ماجه برقم:٧٩١، و:٧٩٧ في المساجد باب صلاة العشاء والفجر في جماعة. وهو بكامله حديث واحد.

الحاكم وأقره عليه الذهبي] (١).

شرح الحديث:

علمنا من هذا الحديث أن الذين يشتغلون بالزراعة ينبغي لهم أن يصلوا جماعة إذا كانوا ثلاثة، إن الفلاحين لا يصلون عادة، ويظنون أن الزرع والحرث يمنعهم من الصلاة، أما المتدينون فهم يصلون صلاة الفذ في غالب الأحوال، ولو اجتمعوا في وقت الصلاة، وخلوا مزارعهم، استطاعوا أن يصلوا جماعة، وينالوا ثواباً كبيراً، فإنهم يحتملون الحر، والقر، والمطر، ولا يبالون بشدائد الطقس، ومشقة الزراعة لأجل متاع قليل، ويفقدون هذا الأجر العظيم، والثواب العميم، ولو أنهم صلوا جماعة في حقولهم ومزارعهم، لكان أجلب للثواب، وأولى بالنفع والخير، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية للجبل يؤذن بالصلاة، ويصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا، يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة (٢) [رواه أبو داود والنسائي].

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يشهد الجماعة ولا الجمعة، فقال: هذا في النار.

[رواه الترمذي موقوفاً، كذا في الترغيب(٣).

---

(١) أخرجه أحمد برقم:٢١٧١، وأبو داود برقم:٥٤٧، في الصلاة باب التشديد في ترك الجماعة، والنسائي ج/٢ ص:١٠٦ برقم:٨٤٧ في الإقامة في باب التشديد في ترك الجماعة برقم:٨٤٨ من ترقيم عبد الفتاح أبي غدة، وابن خزيمة ١٤٨٦، وابن حبان برقم:٢١٠١ والحاكم ج/١ ص:٣٣٠ رقم الحديث ٧٦٥

وقد حسن ملا علي القاري إسناده في المرقاة، ونقل تصحيح النووي لإسناده، وقد فسّر السائب"الجماعة"بالصلاة في الجماعة عند أبي داود وغيره، وفي الباب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عند أحمد برقم:٢٢٠٢٩ أن النبي ﷺ قال: إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعلكيم بالجماعة، والعامة، والمسجد. قال محققو المسند: حسن لغيره.

(٢) انظر سنن أبي داود في الصلاة باب الأذان في السفر رقم:١٢٣٠، والنسائي برقم:٦٦٧ وابن حبان برقم:١٦٦٠، وأحمد برقم:١٧٤٤٣ قال المنذري في مختصر سنن أبي داود: رجال إسناده ثقات.

(٣) انظر سنن الترمذي في الصلاة باب ما جاء فيمن سمع النداء فلا يجيب برقم:٢١٨، ثم قال الترمذي: ومعنى الحديث: أن لا يشهد الجماعة والجمعة رغبة عنها، واستخفافاً بحقها، وتهاوناً بها انتهى.

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله معلقاً عليه: هذا إسناد صحيح، وهذا الحديث وإن كان موقوفاً ظاهراً على ابن عباس إلا أنه مرفوع حكماً، لأن مثل هذا مما لا يعلم بالرأي، وليس من

وفي تنبيه الغافلين: روي عن مجاهد: أن رجلا جاء إلى ابن عباس فقال: يا ابن عباس! ما تقول في رجل فذكره بلفظه، زاد في آخره: فاختلف إليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول: هو في النار] (١).

شرح الحديث:

سلّمنا أن المؤمن يخرج أخيراً من النار، ولكن من يدري كم تطول مدته؟ (أعاذنا الله منها)، إن جهال الصوفية يهتمون بالأوراد والنوافل أكثر من حضور الجماعة والاهتمام بها، ويعتبرون هذا من سيما الصالحين، وعلامات الأبرار والمتقين، مع أن كمال التقوى في اتباع السنة فقط.

(٦) أخرج ابن مردويه عن كعب الحبر قال: والذي أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، والفرقان على محمد، أنزلت هذه الآيات في الصلوات المكتوبات حيث ينادى بهن:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]: الصلوات الخمس إذا نودي بها (٢).

وأخرج البيهقي في الشعب(٣) عن سعيد بن جبير قال: الصلاة في الجماعات، وأخرج البيهقي(٤) عن ابن عباس قال: الرجل يسمع الأذان فلا يجيب الصلاة، كذا في الدر المنثور.

قلت: وتمام الآية: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

إن الكشف عن الساق لا يكون إلا في يوم القيامة، فيقع المسلمون كلهم ساجدين خاشعين، بينما يصبح صلب بعضهم كالخشبة، فلا يقدرون على

القصص ينقل عن أهل الكتاب وغيرهم، ولا يجزم ابن عباس في رجل يصوم النهار، ويقوم الليل، بأنه في النار إلا عن خبر عنده عن رسول الله ﷺ.انتهى قوله من تعليقه على سنن الترمذي.

قلت: يمكن أن يكون استنباطا مما عنده من نصوص الكتاب والسنة. والله أعلم

(١) انظر تنبيه الغافلين ج/١ ص: ٣٠١ باب الصلوات الخمس ذكره بدون إسناد.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٨/٢٥٦.

(٣) في شعب الإيمان برقم: ٢٦٥٥.

(٤) في شعب الإيمان برقم: ٢٦٥٦.

السجدة، وقد وردت تفسيرات مختلفة لهذا النوع الأخير، فقد روي عن كعب الأحبار، وروي عن ابن عباس وغيره نحوه: أنهم أناس كانوا يدعون إلى صلاة الجماعة، فلا يستجيبون.

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من الذين كانوا يصلون رياء (١).

والتفسير الثالث: أنهم من الكفار الذين لا يصلون مطلقاً.

والتفسير الرابع: أنهم من المنافقين، والله أعلم، وعلمه أتم.

---

(١) أخرج البخاري عن أبي سعيد برقم: ٤٩١٩ في التفسير باب﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً.

الباب الثالث
في الخشوع في الصلاة

إن هنالك أناساً يصلون، ومنهم من يصلون مع الجماعة، ويهتمون بها كل الاهتمام، ولكن تضرب هذه الصلاة على وجوههم، وترد إليهم لكونها ناقصة، وكون الصلاة ناقصة أولى من تركها بتاتاً. فإن تركها يجر العذاب الأليم، أما أداؤها ناقصة، فإن ذلك يحرم من الثواب المرجو، ومهما يكن من شيء، فإن الشكل الأخير يخلو من التمرد، والبغي، والطغيان، بخلاف الشكل الأول، فينبغي للمرء وقد أنفق بعض الوقت والجهد، وتحمل المشقة والعناء، أن يحاول تحسين صلاته، وأن يجعلها ما استطاع وجيهة مقبولة عند الله، إن الآية التالية تتعلق بالأُضحية، ولكنها تنطبق على سائر الأحكام، والأمور، والنواحي: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [سورة الحج الآية: ٣٧]، فكلما كان الإخلاص كان القبول عند الله.

عن معاذ بن جبل أنه قال حين بعث إلى اليمن: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال: أخلص دينك يكفك العمل القليل(١).

وروي عن ثوبان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء (٢)

---

(١) أخرجه الحاكم ج/٤ ص: ٣٤١، رقم: ١/٧٨٤٤ وصححه، ولكن ضعّفه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج/١ ص: ١٥-١٦ والبيهقي في شعب الإيمان برقم: ٦٨٦١ من ترقيم محمد السعيد زغلول، وضعفه المنذري رمزاً. وضعفه المناوي في فيض القدير برقم: ٥٢٨٩، وقال: فيه عند مخرجه: عمرو بن عبد الجبار أورده في الضعفاء، قال ابن عدي: روى عن عمه مناكير، وعبيدة ابن حسان (عمه) أورده الذهبي في ذيل الضعفاء والمتروكين. انتهى

قلت: وعبيدة بن حسان العنبري ذكره الذهبي في الميزان٣/٢٦ أيضاً، وضبطه بالفتح، وقال: قال أبو حاتم: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات، وقال الدارقطني: ضعيف. انتهى

قلت: أخرج الحاكم في المستدرك٤/٣٦٤برقم: ٧٩٣٣ عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بمعاذ بن جبل رضي الله عنه عند قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم يبكي، فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكيني شيء سمعته من

وعن مصعب بن سعد عن أبيه: أنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم (١) [الترغيب].

وقال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [سورة الماعون: ٤ـ٦]، وقد جاءت تفسيرات مختلفة لـ"ساهون" منها: أن لا يبالي بأوقاتها، ومنها: أن لا يركز قلبه وقالبه على الصلاة، بل يؤديها متشتت البال فلا يعلم كم ركعة صلى.

وقال الله تبارك وتعالى يصف المنافقين: ﴿وإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وذكر في موضع آخر بعض الأنبياء عليهم السلام ثم قال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٩]، ومعنى الغي في اللغة: الضلال، والمراد منه: الهلاك في الآخرة، وذهب بعض المفسرين أن الغي طبقة في جهنم، فيها غسلين وماء حميم، يلقى فيها هؤلاء المضيعون للصلاة.

وجاء في مكان آخر: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٤].

ويذكر بالعكس منهم المحسنين صلاتهم والذين يؤدون حقوقها وشروطها فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١ـ٢].

صاحب هذا القبر قال: و ما سمعته؟ قال: سمعته يقول: "إن اليسير من الرياء شرك، وإن من عادى ولي الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة، وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، و إن حضروا لم يدعوا و لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة".
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وعلق عليه الذهبي: صحيح. لكن تعقبه العراقي في المغني ٢٧٧/٣ فقال: بل ضعيف، وعيسى بن عبد الرحمن الزرقي متروك.
(١) أخرجه النسائي في الجهاد باب الاستنصار بالضعيف برقم: ٣١٨٠، عن سعد بن أبي وقاص، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير، قلت: وأصل الحديث موجود في صحيح البخاري برقم: ٢٨٩٦ كتاب الجهاد باب: من استعان بالصغار والصالحين.. بلفظ: هل تنصرون إلا بضعفائكم.

ورد في الحديث: أن الفردوس أفضل طبقات الجنة وأعلاها فمن هنا تتفجر أنهار الجنة، والعرش العظيم فوقه، فإذا سألتم الله الجنة فاسألوا الفردوس (١)

ويقول في موضع: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٥ـ٤٦].

ويصف هؤلاء في موضع آخر قائلاً: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة النور: ٣٦ـ٣٨].

قال عبد الله بن عباس: إن المراد من إقام الصلاة: أن يعتدل في ركوعه وسجوده، ويقبل إلى الله إقبالا كلياً، ويصلي خاشعاً، وعن قتادة: أن معنى إقام الصلاة: المحافظة على الأوقات، وإسباغ الوضوء، والاعتدال في الأركان، هذا هو المراد من الإقامة حيثما ورد في القرآن.

وأثنى عليهم في موضع آخر فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣ـ٦٤].

وقال: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا، خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٥ـ٧٦].

وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٢٣ـ٢٤].

وزادهم في مكان آخر وقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ

(١) أخرج الترمذي في صفة الجنة برقم: ٢٥٣٠ عن معاذ بن جبل حديثاً جاء فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذر الناس يعملون؛ فإن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها، وفوق ذلك عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، قال الترمذي: عطاء لم يدرك معاذاً.

وله شاهد من حديث سمرة بن جندب عند الطبراني في الكبير ج/٧ برقم: ٦٨٨٥ و: ٦٨٨٦، قال الهيثمي في المجمع ٤٠١/١٠: أحد أسانيد الطبراني رجاله وثقوا، وفي بعضهم ضعف.

رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٦ـ١٧].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [سورة الذاريات: ١٥].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾ [سورة الزمر: ٩].

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ١٠].

﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلاَّ الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[سورة المعارج: ١٩ـ٢٣]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [سورة المعارج: ٣٤ـ٣٥].

وهناك آيات كثيرة ذكرت فيها أحكام الصلاة وفضائل المصلين، والإكرام الذي ينالونه في الآخرة، ولا شك أن الصلاة أغلى من كل شيء، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: قرة عيني في الصلاة.

وجاء على لسان سيدنا إبراهيم خليل الله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٠] فانظر إلى هذا النبي الحبيب إلى ربه الذي لقب بخليل الله كيف يسأل الله أن يرزقه العناية والاهتمام بالصلاة، ويأمر الله سبحانه حبيبه وسيد أنبيائه فيقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة طه: ١٣٢].

وعن رجل من قريش قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل على أهله بعض الضيق من الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ: وأمر أهلك بالصلاة (١) [الدر المنثور].

(١) أخرجه عبد البرزاق في المصنف٣/٤٩ برقم: ٤٧٤٤ باب الصلاة من الليل، وفي الباب عن عبد الله ابن سلام عند الطبراني في الأوسط بإسناد حسن برقم: ٨٨٦ قال: كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة، ثم قرأ: "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها"، صححه السيوطي في الدر. ←

وكذلك كان الأنبياء عليهم السلام يتوجهون إلى الصلاة كلما حزبهم أمر، أما نحن فغافلون عنها لا نهتم بها أي اهتمام رغم كل الدعاوي الفارغة، وإذا نادى مناد للصلاة، ودعا إليها، أصبح عند بعضنا موضع سخرية، ولا نضر بذلك إلا أنفسنا، أما المصلون فأكثر صلاتهم ساهية واهية، فلا نجد فيها تعديل الأركان، فضلا عن الخشوع والإنابة، مع أن أسوة النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة، وعمل الصحابة واضح ثابت، وقد أوردت أمثلة ونماذج لصلاة الصحابة في كتابي: "قصص الصحابة"، فلا حاجة إلى إعادتها.

أكتفي هنا بأمثلة من رجال الله ونبذة من أحاديث الرسول ﷺ:

يُروى عن الإمام أحمد بن حنبل: أنه كان يقضي نهاره في تحقيق المسائل العلمية، ويصلي في ليلة واحدة ثلاث مأة ركعة (١).

وكان سعيد بن جبير يختم القرآن في ركعة واحدة (٢).

وحكي عن محمد بن المنكدر: أنه بكى في صلاة التهجد بكاءاً حاراً حتى سئل عن ذلك فقال: أمسكتني هذه الآية: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [سورة الزمر الآية: ٤٧](٣).

وكان خائفاً وجلا عند وفاته، وقال: إني أخشى من هذه الآية.

وكان ثابت البناني من حفاظ الحديث يبكي كثيراً حين يقوم أمام ربه، فقيل له: ذلك يضر عينيك، فأجاب: ما الفائدة في العين إذا لم تفض، وكان يدعو الله أن يسمح له بالصلاة في القبر إذا سمح ذلك لأحد من خلقه، ويقول أبو سنان: والله حضرت جنازته، وكنت من الذين دفنوه، وقد سقطت لبنة من القبر بعد أن سويناه، فرأيته قائماً يصلي، فقلت لصاحبي: انظر هل ترى شيئاً؟

وفي الباب عن ثابت رضي الله عنه قال: كان النبي إذا أصابته خصاصة نادى: يا أهلاه! صلوا صلوا، قال ثابت: وكان الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة، أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٢٩١٥ من ترقيم عبد العلي عبد الحميد حامد.

(١) تاريخ دمشق في ترجمته وتهذيب التهذيب.

(٢) حلية الأولياء ٤/٢٧٣ وسير أعلام النبلاء ٤/٣٢٤.

(٣) جاء في سير أعلام النبلاء ٥/٣٥٥: بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله، وسألوه، فاستعجم عليهم، وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مرت بي آية، قال: وما هي؟ قال: (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) فبكى أبو حازم.

فقال لي: اسكت، ولما فرغنا من دفنه، ذهبنا إلى بيته، وسألنا أخته عما إذا كان عمل ثابت، فقالت: لماذا تسألون؟ فحكينا ماجرى، قالت: إنه سهر الليالي منذ خمسين سنة، وكان يدعو في السحر ويقول: اللهم إذا سمحت لأحد من خلقك أن يصلي في قبره، فاجعلني منهم (١).

وكان الإمام أبو يوسف يصلي مأتي ركعة كل يوم إلى جانب أشغاله العلمية ومشكلات القضاء؛ فقد كان قاضي القضاة (٢).

وكان المحدث الكبير محمد بن نصر يصلي فلا يحس بشيء، وحدث أنه لدغه زنبور في جبينه، حتى خرج منه الدم، فلم يتحرك، ولم يتزلزل في الخشوع والخضوع، ويقال: إنه كان يقوم كالخشبة لا يتحرك مطلقا (٣).

وكان بقي بن مخلد يختم القرآن في ثلاث عشرة ركعة من الوتر والتهجد(٤).

وكان هناد تاميذه المحدث يقول: إنه كان بكاءاً، حدث مرة: أنه درّسنا بعد صلاة الفجر، ثم ذهب إلى بيته، وخرج عند صلاة الظهر وصلى بنا، وظل يشتغل بالصلاة، حتى قام لصلاة العصر، ثم جلس يتلو القرآن حتى غربت الشمس، ورجعت بعد صلاة المغرب، وسألت أحد جيرانه عن عبادة الشيخ فقال: هذا دأبه منذ سبعين سنة، وإذا رأيته في الليل استغربت أكثر (٥).

ويحكى عن مسروق: أنه كان يطيل صلاته حتى تورمت ساقاه، وكانت زوجته جالسة وراءه، ترثي لحاله وتبكي (٦).

ويقولون عن سعيد بن المسيب: إنه صلى العشاء والفجر بوضوء واحد

(١) حلية الأولياء ٣١٩/٢

(٢) جاء في سير أعلام النبلاء في ترجمته ٥٣٧/٨ وفي تذكرة الحفاظ: وَعَنِ ابْنِ سَمَاعَةَ قَالَ: كَانَ وِرْدُ أَبِي يُوْسُفَ فِي اليَوْمِ مائَتَيْ رَكْعَةٍ.

(٣) جاء في سير أعلام النبلاء في ترجمته ٣٦/١٤: وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ يَعْقُوْبَ بنِ الأَخْرَمِ: مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ صَلاَةً مِنْ مُحَمَّدِ بن نَصْر، كَانَ الذُّبَابُ يقعُ عَلَي أُذُنِهِ، فَيَسِيْلُ الدَّمُ، وَلاَ يَذُبُّهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْ حُسْنِ صَلاَتِهِ وَخُشُوعِهِ وَهَيئَتِهِ للصَّلاَةِ، كَانَ يَضَعُ ذَقْنَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَيَنْتَصِبُ كَأَنَّهُ خشبَةٌ مَنْصوبَةٌ.

(٤) جاء في سير أعلام النبلاء في ترجمته ٢٩٢/١٣: كَانَ بَقِي يَخْتِمُ القُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، فِي ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّهَارِ مائَة رَكْعَةٍ، وَيَصُوْمُ الدَّهْرَ.

(٥) انظر سير أعلام النبلاء ٢٨٩/١٣ – ٢٩٥ فقد ذكر مثل هذه الأخبار في ترجمته.

(٦) سير أعلام النبلاء ٦٥/٤ .

لمدة خمسين سنة (١).

وحُكي عن أبي المعتمر أنه واظب على هذا أربعين سنة (٢).

ونقل الإمام الغزالي عن أبي طالب المكي أنه ثبت عن أربعين تابعياً بطريق التواتر أنهم كانوا يصلون صلاة الفجر بوضوء العشاء، واستقام بعضهم على ذلك أربعين سنة (٣).

أما ما نقل عن الإمام أبي حنيفة فهو معلوم ومشهور، وذلك أنه صلى الفجر بوضوء العشاء لمدة أربعين أو خمسين سنة (٤).

وهذا الاختلاف في الرواية مرده إلى علم الناقلين والرواة، فمن عثر على أربعين روى هذا، ومن اطلع على خمسين روى ذاك، وكان يقيل لساعة في الظهر، بناءاً على ما جاء في الحديث.

وحكي عن الإمام الشافعي: أنه كان يختم ستين ختمة في الصلاة في شهر رمضان، ويقول رجل مكث عند الإمام الشافعي لعدة أيام: إنه لم يكن ينام في الليل إلا قليلا (٥).

وكان الإمام أحمد يصلي ثلاث مائة ركعة كل يوم، فلما ضرب بالسياط انتقص هذا العدد، فأصبح مائة ونصفاً، وكان عمره إذ ذاك ما يقارب ثمانين سنة (٦).

وكان أبو عتاب السلمي يقوم الليل، ويبكي، ويصوم في النهار، ومكث على هذا أربعين سنة (٧).

وهناك ألوف مؤلفة من النماذج والأمثلة تمثل هؤلاء السعداء تزخر بها

(١) حلية الأولياء ١٦٣/٢ .

(٢) جاء في سير أعلام النبلاء في ترجمته وهو سليمان بن طرخان٢٠٠/٦: روى المسيب بن واضح، عن عبد الله بن المبارك أو غيره، قال: أقام سليمان التيمي أربعين سنة إمام الجامع بالبصرة يصلي العشاء والصبح بوضوء واحد. وعن حماد بن سلمة قال: لم يضع سليمان التيمي جنبه بالأرض عشرين سنة.

(٣) انظر إحياء علوم الدين٣٥٩/١

(٤) تاريخ بغداد ٣٥٤/١٣ و وفيات الأعيان٤١٣/٥

(٥) طبقات الشافعية للسبكي٣٤٢/٢ طبع بتحقيق الدكتور محمود محمدالطناحي الطبعة الثانية ١٤١٣ من الهجرة.

(٦) تاريخ دمشق في ترجمته

(٧) حلية الأولياء٤١/٥ وأبو عتاب هو: منصور بن المعتمر

كتب التا ريخ ، ويستعصي الإحاطة بها على الباحث والمؤرخ ، وفي ما ذكرناه كفاية ومقنع ، رزقنا الله اتباعهم وحسن الاقتداء بهم بلطفه وكرمه ، وفيما يلي بعض ما ورد في هذا الباب بعض الأحاديث والآثار :

(١) عن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها.

[رواه أبو داود ، وقال المنذري في الترغيب : رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه نحوه ، وعزاه في الجامع الصغير إلى أحمد ، وأبي داود ، وابن حبان ، ورقم له بالصحيح ، وفي المتنخب عزاه إلى أحمد أيضاً (١).

وفي الدر المنثور : أخرج أحمد عن أبي اليسر مرفوعاً : منكم من يصلي الصلاة كاملة ، ومنكم من يصلي النصف ، والثلث ، والربع ، حتى بلغ العشر (٢).

قال المنذري في الترغيب : رواه النسائي بإسناد حسن ، واسم أبي اليسر : كعب بن عمرو السلمي شهد بدراً].

شرح الحديث:

يريد : أن الإخلاص والخشوع هو مقياس الأجر والثواب في الحقيقة وجاء في حديث أن للفريضة عند الله وزناً فكلما نقص منه حوسب (٣).

وجاء في حديث آخر : أن أول ما يرفع من الناس : الخشوع ، فلا يوجد خاشع في قوم(٤).

(١) انظر سنن أبي داود كتاب الصلاة باب ما جاء في نقصان الصلاة برقم: ٧٩٦ وأحمد برقم: ١٨٨٧٩ وابن حبان برقم: ١٨٨٩ ، وإسناده حسن كما قال شعيب الأرناؤوط! وفي الحديث قصة وهي: أن عماراً صلى ركعتين، فقال له عبد الرحمن بن الحارث: يا أبا اليقظان لا أراك إلا قد خففتهما، قال: إني بادرت بهما السهو (وفي رواية: الوسواس)، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرجل الحديث.

(٢) انظر مسند أحمد برقم: ١٥٥٢٣ وقال محققوه: إسناده صحيح وقال السندي في شرحه: أي الأجر يتفاوت بتفاوت الحضور والخشوع والسنن والآداب، حتى كان بعضهم يصليها كاملة، وبعضهم يصلي عشرها.

(٣) أخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب ٧٧٤/٢ برقم: ١٩٨٢ عن عائشة مرفوعاً، ولفظه: إن للصلاة المكتوبة عند الله وزناً، من انتقص منها، له فيها على ما انتقص، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ١٨٢/١: الترهيب من عدم إتمام الركوع...، وصنيعه يدل على أن الحديث ضعيف، حيث صدّره بـ "وروي عن عائشة" وأهمل الكلام عليه، وهو علامة الضعيف عنده.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء على ما أورده الهيثمي في المجمع ١٣٩/٢: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أول شيء يرفع من هذه الأمة: الخشوع، حتى لا ترى فيها خاشعاً، قال الهيثمي: إسناده حسن انتهى. ←

(٢) روي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : فمن صلى الصلاة لوقتها ، وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها ، وخشوعها وركوعها ، وسجودها ، خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول : حفظك الله كما حفظتني ، ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يسبغ لها وضوءها ، ولم يتم لها خشوعها ، ولا ركوعها ، ولا سجودها ، خرجت وهي سوداء مظلمة ، تقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، حتي إذا كانت حيث شاء الله ، لفّت كما يلف الثوب الخلق ، ثم ضرب بها وجهه.

رواه الطبراني في الأوسط(١)كذا في الترغيب والدر المنثور ، وعزاه في المتنخب إلى البيهقي في الشعب ، وفيه أيضاً برواية عبادة بمعناه ، وزاد في الأولى بعد قوله : "كما حفظتني "ثم أصعد بها إلى السماء ، ولها ضوء ونور ، ففتحت له أبواب السماء ، حتى يُنتهى بها إلى الله ، فتشفع لصاحبها ، وقال في الثانية : وغلقت دونها أبواب السماء ، وعزاه في الدر إلى البزار والطبراني (٢).

وفي الجامع الصغير حديث عبادة إلى الطيالسي ، وقال : صحيح.

شرح الحديث:

فهنيئاً للذين يحسنون صلاتهم حتى تدعو لهم هذه العبادة ، وتشفع لهم عند الله ، أما صلاتنا في هذا الزمان فلا علاقة لها بهذه الصلاة المطلوبة ، فإذا ركع واحد لم يقم كما ينبغي أن يقوم ، بل سجد استعجالا ، ونقر فيها كنقرة الغراب ، فهل يكون لهذه الصلاة مصير غير هذا المصير؟ وهل يحق لنا أن نشكو إلى الله على ذهاب شوكتنا بعد أن ضيعنا صلاتنا؟ وهذا هو سر انحطاط المسلمين في هذا الزمان.

وله شاهد من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عند الطبراني في الكبير ٢٩٥/٧ برقم: ٧١٨٣ مرفوعاً: أول ما يرفع من الناس: الخشوع، قال الهيثمي في المجمع ١٣٩/٢: فيه عمران القطان، ضعفه ابن معين، والنسائي، ووثقه أحمد، وابن حبان، وقال المنذري في الترغيب ١٨٧/١ عن حديث أبي الدرداء: إسناده حسن، وقال عن حديث شداد: رواه ابن حبان في صحيحه موقوفاً على شداد بن أوس ورفعه الطبراني أيضاً، والموقوف أشبه انتهى.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٣٠٩٥ وقال الهيثمي في المجمع ٣٠٧/١: فيه عباد بن كثير، وقد أجمعوا على ضعفه انتهى، لكن له شاهد صالح من حديث عبادة رضي الله عنه كما سترى في التعليق الآتي.

(٢) انظر حديث عبادة في كشف الأستار عن زوائد البزار برقم: ٣٥٠، قال الهيثمي: فيه الأحوص بن حكيم، وثقه ابن المديني والعجلي، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

وورد في أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن مثل من لا يقيم صلبه في صلاته كمثل حبلى ، حملت فلما دنا نفاسها أسقطته ، فلا هي ذات حمل ، ولا هي ذات ولد(١) [الترغيب].

وجاء في حديث : "رب صائم ليس من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس نه إلا السهر" (٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أن النبي ﷺ مر على أصحابه يوما فقال : هل تدرون ما يقول ربكم تبارك وتعالى؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قالها ثلاثاً ، قال : قال : وعزتي وجلالي لا يصليها أحد لوقتها إلا أدخلته الجنة ، ومن صلاها لغير وقتها ، إن شئت رحمته ، وإن شئت عذبته (٣) [الترغيب].

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت خاب وخسر ، وإن انتقص من فريضته قال الرب : انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك.

[رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم وصححه (٤)

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم: ٣١٥ عن علي رضي الله عنه قال الهيثمي في المجمع ١٢٥/٢ : فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف انتهى. وقد ضعف موسى بن عبيدة أحمد، والنسائي، وابن عدي، وابن معين، ويحيى بن سعيد، وإن كان ابن سعد قال: ثقة وليس بحجة، وقال يعقوب بن شيبة: صدوق ضعيف الحديث جداً كما في الميزان

(٢) أخرجه أحمد عن أبي هريرة برقم: ٨٨٥٦ والحاكم ج/١ ص: ٥٩٦ رقم الحديث : ٤٠/١٥٧١ وابن خزيمة برقم: ١٩٩٧م وغيرهم، قال محققو المسند: إسناده جيد، وأخرجه الطبراني برقم: ١٣٤١٣ في الكبير عن ابن عمر قال الهيثمي: رجاله موثقون

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٨١/١٠ برقم: ١٠٥٥٥ قال الهيثمي في المجمع ٣٠٧/١ : فيه يزيد بن قتيبة، ذكره ابن حبان، وذكر له راوياً واحداً، ولم يوثقه ولم يجرحه، انتهى وعزاه المنذري إلى المعجم الكبير للطبراني، وقال: إسناده حسن إن شاء الله انتهى.

(٤) الترمذي برقم: ٤١٣ في الصلاة باب: ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، والنسائي برقم: ٤٦٦ في الصلاة باب: المحاسبة على الصلاة وابن ماجه برقم: ١٤٢٥، في إقامة الصلاة باب: ما جاء في أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، والحاكم ج/١ ص: ٣٩٤ رقم: ٩٦٥-٢٩٢ وصححه، ووافقه الذهبي.

لكن قال شعيب الأرناؤوط وأصحابه في تعليقهم على مسند أحمد برقم: ١٦٩٥٤ : هذا الحديث له إسنادان، الأول: عفان عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصري عن رجل عن أبي هريرة،

كذا في الدر.

وفي المنتخب برواية الحاكم في الكنى عن ابن عمر : أول ما افترض الله على أمتي : الصلوات الخمس ، وأول ما يرفع من أعمالهم : الصلوات الخمس ، الحديث بطوله بمعنى حديث الباب ، وفيه ذكر الصيام والزكاة نحو الصلاة.

وفي الدر : أخرج أبو يعلى عن أنس رفعه : أول ما افترض الله على الناس من دينهم : الصلاة ، وآخر ما يبقى : الصلاة ، وأول ما يحاسب به : الصلاة ، يقول الله : انظروا في صلاة عبدي ، فإن كانت تامة كتبت تامة ، وإن كانت ناقصة قال : انظروا هل له من تطوع؟ الحديث فيه ذكر الزكاة والصدقة (١).

وفيه أيضاً : أخرج ابن ماجه والحاكم عن تميم الداري مرفوعاً : أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ، الحديث ، وفي آخره : ثم الزكاة مثل ذلك ، ثم تؤخذ الأعمال حسب ذلك ، وعزاه السيوطي في الجامع إلى أحمد ، وأبي داود ، والحاكم ، وابن ماجه ، ورقم له بالصحيح] (٢).

شرح الحديث:

علمنا من هذا الحديث : أنه ينبغي للمؤمن أن يكون لديه رصيد من النوافل ، ليكون عدته حين تنقص به الفريضة ، إن هناك رجالا يقولون : تثقل علينا الفريضة ، فمالنا وللنوافل؟ فهي للصالحين وأولياء الله ، الحق أننا إذا أدينا الفريضة كاملة غير منقوصة فكانت فيها كفاية ، ولكن هل في وسعنا وهل من الميسور أن نؤدي حقها؟ فلا غنى من النوافل لإكمال ما نقص ، وسد ماعوز من الصلوات المكتوبة ، وكان دأب النبي صلى الله عليه وسلم : أنه أول ما كان يعلم

وهو إسناد ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة، وهو أنس بن حكيم الضبي (جهّله ابن المديني، وابن القطان، والفاسي، والمزي) والآخر: عفان عن حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن زرارة عن تميم الداري، وهو إسناد صحيح على شرط مسلم، ونقلوا عن المزي أيضاً قوله: إن حديث أبي هريرة مضطرب، انتهى. لكن قد حسن الألباني هذا الحديث عن أبي هريرة في الصحيحة برقم: ١٣٥٨، وعلى كل، فمتن الحديث صحيح وإن كان السند بعينه ضعيفاً.

(١) حديث أنس أخرجه أبو يعلى ٢٨٥/٣ برقم: ٣٩٧٥ بدون ذكر الزكاة، وأخرجه ٣٢٢/٣ برقم: ٤١٢٤ وهذا هو الذي أشار إليه المؤلف رحمه الله، وقال الهيثمي عنه ٢٩٣/١ : رواه أبو يعلى وفيه يزيد الرقاشي، ضعفه شعبة وغيره، ووثقه ابن معين وابن عدي. انتهى.

(٢) حديث تميم الداري أخرجه أحمد برقم: ١٦٩٥٤ وابن ماجه برقم: ١٤٢٦ في إقامة الصلاة باب: في أول ما يحاسب به العبد الصلاة.

من أسلم الصلاة.

(٤) عن عبد الله بن قرط قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة: الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله.

[رواه الطبراني في الأوسط ولا بأس بإسناده إن شاء الله (١) كذا في الترغيب، وفي المنتخب برواية الطبراني في الأوسط أيضاً عن أنس بلفظه(٢).

وفي الترغيب عن أبي هريرة رفعه: للصلاة ثلاثة أثلاث: الطهور ثلث، الركوع ثلث، والسجود ثلث، فمن أداها بحقها قبلت منه، وقبل منه سائر عمله، رواه البزار وقال: لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث المغيرة بن مسلم (٣) قال الحافظ (المنذري): وإسناده حسن.

وأخرج مالك في الموطأ: أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله: أن أهم أموركم عندي الصلاة، من حفظها أو حافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، كذا في الدر المنثور(٤).

وذلك هو معنى الآية: "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" التي سيأتي ذكرها].

(٥) عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسوأ الناس سرقة: الذي يسرق صلاته، قالوا: يا رسول الله كيف يسرق

---

(١) لم أستطع الوقوف عليه في الأوسط، انظر الترغيب والترهيب ١/١٤٣، الترغيب في الصلوات الخمس. وإنما في الأوسط حديث أنس بنحوه برقم: ١٨٥٩ و٣٧٨٢

(٢) انظر المعجم الأوسط برقم: ١٨٥٩ قال الهيثمي ١/٢٩٦-٢٩٧: فيه القاسم بن عثمان قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أخطأ انتهى.

وله إسناد آخر عنده برقم: ٣٧٨٢ قال الهيثمي ١/٢٩٧: فيه خليد بن دعلج، ضعفه أحمد والنسائي، والدارقطني، وقال ابن عدي: عامة حديثه تابعه عليه غيره انتهى.

(٣) انظر كشف الأستار عن زوائد البزار برقم: ٣٤٩ باب: علامات قبول الصلاة وتمام الحديث: ومن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله، ثم قال البزار: لا نعلمه مرفوعاً إلا عن المغيرة، ولم يتابع عليه، وإنما نحفظه عن أبي صالح عن كعب قوله.

قال الهيثمي: المغيرة ثقة وإسناده حسن، انظر مجمع الزوائد ٢/١٥٠ باب: علامة قبول الصلاة، وحسن إسناده المنذري كما نقله المصنف رحمه الله، انظر الترغيب والترهيب ١/١٨٥: الترهيب من عدم إتمام الركوع...

(٤) انظر هذا الأثر في الموطأ في الأوائل برقم: ٥

صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها.

[رواه الدارمي، وفي الترغيب: رواه أحمد، والطبراني، وابن خزيمة في صحيحه، وقال: صحيح الإسناد.

وفي المقاصد الحسنة: حديث: "إن أسوأ الناس سرقة"، رواه أحمد والدارمي في مسنديهما من حديث الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه مرفوعاً، وفي لفظ بحذف "إن"، وصححه ابن خزيمة والحاكم، وقال: إنه على شرطهما (١) ولم يخرجاه لرواية كاتب الأوزاعي له عنه عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ورواه أحمد أيضاً والطيالسي في مسنديهما من حديث علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً(٢)، ورواية أبي هريرة عند ابن منيع، وفي الباب عن عبدالله بن مغفل، وعن النعمان بن مرة عند مالك مرسلا (٣) في آخرين.

وقال المنذري في الترغيب بحديث ابن مغفل: رواه الطبراني(٤) في معاجمه الثلاثة بإسناد جيد(٥) وقال في حديث أبي هريرة: رواه الطبراني في الأوسط، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. (٦)قلت:

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ٢٢٦٤٢، والحاكم ج/١، ص: ٣٥٣ برقم ١٦٢/٨٣٥ من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه. وأخرجه ابن حبان برقم: ١٨٨٨، والحاكم ج/١ ص: ٣٥٣ رقم١٦٣/٨٣٦ عن طريق عبد الحميد بن أبي العشرين عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة وقال الحاكم: كلا الإسنادين صحيحان، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الحاكم: والذي عندي أنهما لم يخرجاه لخلاف فيه بين كاتب الأوزاعي (عبد الحميد بن أبي العشرين) وبين الوليد بن مسلم انتهى.

قال الهيثمي في المجمع ٢/١٢٣ باب: ما جاء في الركوع والسجود في إسناد أبي قتادة: رجاله رجال الصحيح، وقال في إسناد أبي هريرة: فيه عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، وثقه أحمد، وأبو حاتم، وابن حبان، وضعفه دحيم، وقال النسائي: ليس بالقوي، وبقية رجاله ثقات.

(٢) انظر مسند أحمد برقم: ١١٥٣٢.

(٣) انظر حديث النعمان بن مرة في الموطأ برقم: ٢٤٨.

(٤) انظر حديث عبد الله بن مغفل في المعجم الصغير برقم: ٣٢٧ من ترقيم كمال يوسف الحوت مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت لبنان، بلفظ: أسرق الناس من يسرق صلاته، قال شعيب الأرناؤوط: الحديث بمجموع طرقه صحيح.

(٥) انظر الترغيب والترهيب ١/١٨١ الترهيب من عدم إتمام الركوع.

(٦) انظر الترغيب والترهيب ١/١٨٣ نفس الباب انظر حديث أبي هريرة في صحيح ابن حبان برقم: ١٨٨٨. ومستدرك الحاكم ١/٣٥٣ برقم: ١٦٣/٨٣٦

وحديث أبي قتادة وأبي سعيد ذكرهما السيوطي في الجامع ورقم بالصحيح].

شرح الحديث:

هذا المعنى ورد في عدة أحاديث(١)، فانظر أولا إلى شناعة السرقة، ثم انظر إلى هذا القسم الخاص من السرقة، الذي هو أسوؤ الأقسام، فعن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشخص ببصره إلى السماء ثم قال:

هذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه على شيء، فقال زياد بن لبيد: يا رسول الله! وكيف يختلس منا؟ وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا، فقال:

ثكلتك أمك يا زياد! إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا يغني عنهم؟

فلقيت عبادة بن الصامت فقلت له: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ وأخبرته فقال: صدق، وإن شئت لأحدثنك: أول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيه رجلا خاشعاً (٢).

وعن حذيفة قال: أول ما تفقدون من دينكم الصلاة (٣).

وقد أكد هذا المعنى واهتم به الشيخ أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني في رسائله غاية الاهتمام، وكان فيما كتب: "إنه لابد من ضم الأصابع عند السجدة، وتفريقها عند الركوع، فالشريعة لم تأمر بذلك عبثاً، فيجب العناية بمثل هذه الآداب البسيطة، ويقول: إن النظر إلى موضع السجدة أثناء القيام، والنظر على الأقدام عند الركوع، ووضع الأنف مع الجبهة على الأرض، والنظر على الأيدي عند القعدة، له تأثير خاص في كسب الخشوع، وينال به

(١) فتد روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند البزار ٢٦١/١ برقم: ٥٣٦ من كشف الأستار، قال الهيثمي ١٢٣/١: فيه علي بن زيد، رهو مختلف في الاحتجاج به، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرخه الحاكم١٧٩/١ برقم: ٣٣٨ والدارمي١/٩٩ برقم: ٢٨٨ والترمذي برقم: ٢٦٥٣ وقال: حسن غريب

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٥٩٥ عن حذيفة مرفوعاً قال: أول ما تفقدون من دينكم: الخشوع، وآخر ما تفقدون من دنيكم: الصلاة، وأخرجه الحاكم ٥١٦/٤ برقم: ١٥٦/٨٤٤٨ بزيادة طويلة فانظرها، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

المصلي سكينة وطمأنينة في صلاته، فإن كانت هذه فائدة بعض الآداب العادية البسيطة فما بالك برعاية السنن والآداب الهامة؟

(٦) عن أم رومان والدة عائشة قالت: رآني أبو بكر الصديق أتميل في صلاتي، فزجرني زجرة كدت أنصرف من صلاتي قال: سمعت رسول الله يقول: إذا قام أحدكم في الصلاة فليسكن أطرافه، لا يتميل تميل اليهود، فإن سكون الأطراف في الصلاة من تمام الصلاة.

[أخرجه الحكيم الترمذي من طريق القاسم بن محمد عن أسماء بنت أبي بكر عن أم رومان، كذا في الدر، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى أبي نعيم في الحلية، وابن عدي في الكامل(١) ورقم له بالضعف، وذكر أيضاً برواية ابن عساكر عن أبي بكر: "من تمام الصلاة سكون الأطراف"].

شرح الحديث:

إن هذا الأمر بالسكون والاعتدال ورد في عدة آثار، فقد روي عن محمد ابن سيرين قال: نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى يرفع بصره إلى السماء فنزلت: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين أيضاً: قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ويلتفتون يميناً وشمالا فأنزل الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، فقالوا برؤوسهم، فلم يرفعوا أبصارهم بعد ذلك في الصلاة، ولم يلتفتوا يميناً ولا شمالا (٢).

أخرج ابن مردويه عن ابن عمر في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ قال: كانوا إذا قاموا في الصلاة أقبلوا على صلاتهم، وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم، وعلموا أن الله يقبل عليهم فلا يلتفتون يميناً ولا شمالا (٣).

(١) وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج/٦٢ ص: ٢٠١، ترجمة معاوية بن يحيى وقال: غريب، وفيه ثلاثة من الصحابة، وزاد بعد قوله: لا يتميل: كما يتميل اليهود.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور عند تفسير هذه الآية إلى ابن مردويه.

وعن علي أنه سئل عن قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] قال: الخشوع في القلب، وأن تلين كنفك للمرء المسلم، وأن لا تلتفت في صلاتك (١).

وعن ابن عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ قال: خائفون ساكنون (٢).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله: تعوذوا بالله من خشوع النفاق، قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خشوع النفاق؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب (٣).

وعن أبي الدرداء، قال: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع (٤).

عن قتادة قال: الخشوع في القلب هو الخوف، وغض البصر في الصلاة (٥).

وأخرج الحكيم الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه رأى رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال: لو خشع قلب هذا، خشعت جوارحه (٦) [الدر المنثور].

---

(١) أخرجه الحاكم عن علي موقوفاً ج/٢ ص:٤٢٦ رقم ٦١٩/٣٤٨٢ وصححه، ووافقه الذهبي وأخرجه ابن جرير.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب برقم:٦٥٦٨.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد باب زهد أبي الدرداء ص:١٧٦ طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، والبيهقي في الشعب برقم:٦٥٦٧.

(٥) أخرجه الطبري ١٩٨/٩ برقم:٢٥٤٢٧.

(٦) انظر نوادر الأصول للحكيم الترمذي ٢٠٨/٢ بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، قال المناوي في فيض القدير ج/٥ ص ٣٨٧: أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر عن صالح بن محمد عن سليمان بن عمرو عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة. قال الزين العراقي في شرح الترمذي: وسليمان بن عمرو وهو أبو داود النخعي متفق على ضعفه، وإنما يعرف هذا عن ابن المسيب، وقال في المغني: سنده ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه وفيه رجل لم يسم. وقال ولده: فيه سليمان بن عمرو مجمع على ضعفه. وقال الزيلعي: قال ابن عدي: أجمعوا على أنه يضع الحديث انتهى من فيض القدير. (وقد تحرف في المطبوع سليمان بن عمرو إلى سليمان بن عمر).

وأخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم:٣٣٠٨ باب العبث في الصلاة عن معمر عن أبان قال: رأى ابن المسيب رجلا يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: إني لأرى هذا لو خشع قلبه خشعت جوارحه.

وأخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن عائشة قالت: سألت رسول الله عن الالتفات في الصلاة فقال: هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد (١).

وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لينتهين قوم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أولا ترجع إليهم. (٢) [الدر المنثور].

وقد روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: أن الخشوع هو السكون في الصلاة، وجاء في حديث: "صلوا صلاة مودع"(٣).

قال الألباني في الضعيفة برقم:١١٠: أبان ضعيف، فالحديث موضوع مرفوعاً، ضعيف من قول سعيد بن المسيب، ثم وجدت له عن ابن السيب طريقاً آخر، فقال أحمد في مسائل ابنه صالح ص ٨٣: حدثنا سعيد بن خثيم قال: حدثنا محمد بن خالد عن سعيد بن جبير قال: نظر سعيد إلى رجل وهو قائم يصلي نحوه، قلت: وهذا إسناد جيد يشهد لما تقدم عن العراقي: أن الحديث معروف عن ابن المسيب، انتهى قول الألباني.

(١) أخرجه البخاري في الأذان رقم الحديث:١٥١، وأبوداود في الصلاة برقم:٩١٠ والنسائي في السهو برقم:١١٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة برقم:٩١٢ وابن ماجه برقم:١٠٤٥ في إقامة الصلاة وأحمد برقم:٢٠٨٣٧ وسنده صحيح على شرط مسلم. قاله شعيب وأصحابه في تعليقهم على المسند. وفي الباب عن أنس بن مالك وغيره.

(٣) أخرج الحاكم ج/٤ ص:٣٦٢ عن سعد بن أبي وقاص قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني وأوجز فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع، فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع، وإياك وما تعتذر منه. صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، قال شعيب الأرناؤوط في تعليقهم على المسند برقم:٢٣٤٩٨: هذا وهم من الحاكم والذهبي، فإن فيه محمد بن أبي حميد وهو متفق على ضعفه صاحب مناكير انتهى.

وأخرج أحمد برقم:٢٣٤٩٨ عن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: عظني وأوجز فقال: إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدا، وأجمع الإياس مما في يد الناس، إسناده ضعيف لضعف علي بن عاصم، وجهالة عثمان بن جبير، ومع ذلك فقد وقع الاضطراب في إسناده كما قال شعيب وأصحابه.

وأخرج البيهقي في الزهد الكبير برقم:٥٢٨ والطبراني في الأوسط برقم:٤٤٢٧ عن ابن عمر قال: أتى رجل النبي فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني بحديث واجعله موجزا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: صل صلاة مودع، فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك، وأيس مما في أيدي الناس تكن غنياً، وإياك وما يعتذر منه: قال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم.

وأخرج البيهقي في الزهد الكبير برقم:٥٢٧ عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعمل له رأي العين كأنك تراه، فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك، وأسبغ طهورك إذا دخلت المسجد، واذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل يذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته: وصل صلاة رجل لا يظن أن يصلي صلاة غيرها، وإياك وما يعتذر منه، قال شعيب الأرناؤوط وأصحابه في تعليقهم على المسند برقم:٢٣٤٩٨: إسناده ضعيف جداً، فيه محمد بن يونس الكديمي وهو متروك، وشبيب بن بشر وهو ضعيف، قال فيه البخاري: إنه منكر الحديث انتهى.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير برقم:٥٤٥٩ عن سعد بن عمارة وله صحبة أن رجلاً قال له: عظني في نفسي يرحمك الله، قال: إذا أنت قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، فإنه لا صلاة لمن لا

(٧) وعن عمران بن حصين قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة العنكوت الآية: ٤٥] فقال: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له.

[أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه، كذا في الدر المنثور] (١).

شرح الحديث:

مما لا شك فيه أن الصلاة نعمة كبيرة، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر إذا صلاها المؤمن على وجهها الصحيح، وإذا كان الأمر بالعكس فمعناه: أن الصلاة ناقصة ولم تصل إلى درجة الكمال.

علمنا من هذا أن الذي وقع في المعاصي والرذائل، ينبغي له أن يهتم بالصلاة حتى تزول عنه أدران الرذائل، إن مقاومة رذيلة بعد رذيلة وتتبعها عسير، ويحتاج إلى وقت طويل، والصلاة كفيلة بالقضاء على جميع هذه الرذائل والسيئات جملة واحدة، فنسأل الله أن يرزقنا حسن الصلاة وتمامها وكمالها.

(٨) عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل الصلاة طول القنوت.

[أخرجه ابن أبي شيبة، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، كذا في

وضوء له، ولا إيمان لمن لا صلاة له، ثم قال: إذا أنت صليت فصل صلاة مودع، واترك طلب كثير من الحاجات، فإنه فقر، فاصبر، وأجمع اليأس مما في أيدي الناس، فإنه هو الغنى، وانظر إلى ما تعتذر من القول والفعل فاجتنبه.

قال الحافظ في الإصابة في ترجمة سعد بن عمارة: أخرجه أحمد في كتاب الإيمان، والطبراني، ورجاله ثقات، وأخرجه أبو نعيم من طريق إسماعيل بن محمد بن سعد الأنصاري عن أبيه عن جده فذكره مرفوعاً، لكنه أفرده بترجمة، فقال: سعد أبو محمد وذكر هذا الحديث، والذي يظهر أنه هو انتهى.

قال كاتب هذه السطور: فالحديث بمجموع هذه الطريق حسن إن شاء الله، وقد نقل السخاوي تحسينه عن شيخه الحافظ ابن حجر في المقاصد ص: ١٣٨ في حديث: "إياك وما يعتذر منه".

وأما قول الحافظ بأن سعداً أبا محمد الذي أخرج له أبو نعيم هذا الحديث مرفوعاً هو سعد بن عمارة فهو ليس صحيحاً، وإنما هو سعد بن أبي وقاص لأن هذا الحديث أخرجه أبو نعيم من طريق حماد بن أبي حميد عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده، وحماد بن أبي حميد هذا هو محمد بن أبي حميد الأنصاري الزرقي، وحماد لقب له كما قال المزي، وقد أخرج هذا الحديث الحاكم ١/٣٦٢، عن محمد بن أبي حميد عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده فافهم.

(١) انظر الدر المنثور ٦/٤٦٥ وله شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني ١١/٤٥ برقم: ١١٠٢٥ مرفوعاً: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بعداً، ومن حديث ابن مسعود عند ابن جرير الطبري ١٠/١٤٤ برقم: ٢٧٧٨٤ مرفوعا قال: لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر.

الدر المنثور (١).

وفيه أيضاً: عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٣٨] قال: من القنوت الركوع والخشوع، وطول الركوع يعني: طول القيام، وغض البصر، وخفض الجناح، والرهبة لله، وكان الفقهاء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا قام أحدهم في الصلاة يهاب الرحمن سبحانه أن يلتفت، أو يقلب الحصى، أو يشد بصره، أو يعبث بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً حتى ينصرف.

أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والأصبهاني في الترغيب، والبيهقي في شعب الإيمان.

وهذا آخر ما أردت إيراده في هذه العجالة والله ولي التوفيق، وقد وقع الفراغ منه ليلة التروية من سنة سبع وخمسين بعد ألف وثلاث مأة، والحمد لله أولا وآخراً].

شرح الحديث:

قد وردت تفسيرات مختلفة لآية: "قوموا لله قانتين" منها: أن المراد بها ساكتين ساكنين، فقد كان الناس يتكلمون في الصلاة في أول عهدهم حتى نزلت هذه الآية.

قال العارفون والمشايخ: إن في الصلاة اثني عشر ألف بركة، ضمها الله سبحانه في اثني عشر جزءاً، فلا بد من رعاية هذه الأجزاء، حتى تتم الصلاة، وتعطي ثمرتها المرجوة وفائدتها المطلوبة:

الأول: العلم: فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه: إن العمل القليل مع العلم أفضل من كثيره مع الجهل (٢).

الثاني: الوضوء، **الثالث:** اللباس، **الرابع:** الوقت، **الخامس:** التوجه إلى القبلة، **السادس:** النية، **السابع:** التكبيرة الأولى، **الثامن:** القيام في الصلاة، **التاسع:** تلاوة القرآن

---

(١) انظر صحيح مسلم صلاة المسافرين رقم الحديث ٧٥٦ والترمذي كتاب الصلاة باب: ما جاء في طول القيام في الصلاة رقم: ٣٨٧، وقال: حديث حسن صحيح، وفي الباب عن عبد الله بن حبشي عند النسائي برقم: ٢٥٢٧.

(٢) أورده الهندي كنز العمال ١٠/١٨٠ برقم: ٢٨٩٤٠ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: أفضل العلم: العلم بالله، قليل العمل ينفع مع العلم، وكثير العمل لا ينفع مع الجهل، وقال الهندي بعد إيراده: الديلمي عن مؤمل بن عبد الرحمن عن عبادة بن عبد الصمد، وهما ضعيفان انتهى.

المجيد، **العاشر**: الركوع، **الحادي عشر**: السجدة، **الثاني عشر**: القعدة، وتكميل هذه الأجزاء منوط بالإخلاص.

ولكل جزء من هذه الأجزاء ثلاثة أجزاء، فالعلم له ثلاثة أجزاء: وهي أن يطلع على الفرائض والسنن، ويعرف كم في الوضوء والصلاة من الفرائض، وكم فيها من السنن، وأن يعرف كيف يتخلل الشيطان بوسوسته ومكره.

وللوضوء ثلاثة أجزاء، الأول: أن يطهر قلبه عن الضغينة والحسد، الثاني: أن يطهر جوارحه عن المعصية، والثالث: أن لا يسرف في استعمال الماء ولا يقصر.

وللباس ثلاثة أجزاء: أن يكون من وجه الحلال، أن يكون طاهراً، أن يكون مطابقاً للسنة بعيداً عن الزهو والخيلاء.

وللوقت ثلاثة أشياء: أن يهتم بأوقات الصلاة، ويضبط ساعته، أن يترقب الأذان، أن يستحضر الصلاة في كل وقت حتى لا يفوت أوانها.

وفي التوجه إلى القبلة ثلاثة أشياء: أن يتوجه إلى القبلة بظاهر البدن، أن يتوجه إلى الله بباطنه وقلبه، فهو سبحانه جل وعلا كعبة القلب، وكعبة الآمال، أن يقبل إليه إقبالا كلياً، ويخشع له خشوعاً تاما.

وفي النية ثلاثة أجزاء: أن يعرف صلاته، أن يشعر أنه يقوم أمام الله العليم البصير، وأن الله يعرف أسراره وسرائره.

وللقيام ثلاثة أجزاء: أن ينظر إلى موضع السجدة، وأن يعلم ببصره وبصيرته أنه يقف أمام ربه، وأن لا يلتفت يميناً ولا شمالا ولا يتمايل، فإن مثل من يلتفت في صلاته كمثل رجل استطاع أن يحضر أمام السلطان بعد عناء كبير وتزلف طويل، فلما وقف أمامه، وأقبل إليه السلطان، ظل يلتفت يميناً وشمالا، وينظر هنا وهناك.

وللتلاوة ثلاثة أجزاء: أن يتلو ترتيلا، ويتأمل في معانيها وآياتها، ويعمل بما فيها.

وللركوع ثلاثة أجزاء: أن يسوي ظهره في صلاته (حتى يستوي خصره بعجزه)، وأن يضع أصابعه على الركبة منفصلة، ويسبح بخضوع وإنابة وتعظيم.

وللسجدة ثلاثة أجزاء: أن يحاذي يديه أذنيه في السجدة، أن يرفع مرفقيه عن الأرض، وأن يسبح في السجدة مستحضراً جلال الله وعظمته.

وللقعدة ثلاثة أجزاء: أن يرفع رجله اليمنى ويجلس على رجله اليسرى، أن يقرأ التشهد برعاية معناه، فإن فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والدعاء للمؤمنين، ثم يسلم يميناً وشمالا على الملائكة والمؤمنين المصلين.

وللإخلاص ثلاثة أجزاء أيضا: أن لا يريد من الصلاة غير وجه الله، أن يعلم أنها بتوفيق الله، أن يرجو عليها الأجر والثواب.

الحقيقة أن الصلاة تحوي جانباً كبيراً من الخير، والبركة، والسعادة، تأمل في تسبيحاته تر عجباً، وكلها إظهار للعبودية والخضوع، لأن رفع الأعناق آية الكبر، وإخضاعها آية الطاعة، والإنابة، والإخبات، فالركوع يعني: أن العبد يقول: إنه خضع للأوامر الإلهية، لا يبغي عنها بديلا، ويقول: إن هذا الجسم العاصي حاضر بين يديك، خضعت جوارحي أمام عظمتك وجلالك، لك الكبرياء وحدك لا شريك لك، وهكذا في تسبيح السجدة، فهو إقرار بعظمة الله وتنزهه عن كل عيب، وفيها وضع الرأس على الأرض الذي هو من أشرف أعضاء الإنسان، ويشتمل على أعز ما في جسم الإنسان مثل: العين، والأذن، والأنف، واللسان، وكأن المؤمن في هذه السجدة يقول: إني ألقيت أمامك أشرف الأشياء عندي، وأغلاها لدي، رجاء فضلك وعفوك وكرمك، وكانت الخطوة الأولى أو الظاهرة الأولى لهذا الخضوع في وقوفه أمام الله سبحانه متأدبا خاشعاً عاقداً يديه على السرة، زاد في هذا الخشوع بالركوع حتى وضع جبهته أخيراً على التراب، غاية في التذلل، وإظهاراً للافتقار إلى الله، وهذه الروح تسري في سائر أجزاء الصلاة، وهي الهيئة الصحيحة والحقيقيّة للصلاة، وهي الصلاة التي ترتقي بالمؤمن إلى سعادات الدين والدنيا، فنسأل الله أن يهيئ لنا وإياكم هذه النعمة بكرمه ولطفه.

إن سهر الليالي في الوجد والشوق أو القلق والألم عم في هذه الأمة، وكثرت أمثلتها: حتى استعصى الإحاطة بها، ولكننا ابتعدنا عن هذه اللذة والمتعة الروحية حتى بدأنا نشك فيها، إن إنكار هذه الأمثلة والنماذج التي بلغت

حد التواتر يعني : الإنكار بالتاريخ كله ، إنا نرى هواة السينما والمسرح كيف يسهرون الليالي بدون تعب أو كسل ، فلماذا نؤمن بلذة المعاصي ، وننكر لذة الطاعات؟ مع أن الطاعة ترافقها النصرة الإلهية ومدد الغيب ، والسر الوحيد في شبهاتنا وإنكارنا : أننا لم نذق حلاوتها ، والطفل لا يعرف لذة الشباب بطبيعة الحال ، والفوز بهذه اللذة منوط بتوفيق الله وجميل لطفه بالعباد.

وأخيراً فقد قال العارفون : إن الصلاة هي في الحقيقة مناجاة مع الله ، ولا تمكن مع الغفلة ، بخلاف العبادات الأخرى مثل الزكاة ، فإن حقيقتها إنفاق المال ، وهو يشق على النفس عادة ، مهما كانت الزكاة مع الغفلة شقت على النفس ، وهكذا الصوم ، وهوالامتناع عن الشهوات ، فمهما كان الصوم مع الغفلة اشتدت وطأته على النفس ، لأن وظيفته كسر الشهوة ، أما الصلاة فأكثرها ذكر وتلاوة ، فإذا كانت مع الغفلة لم تبق مناجاة مع الله ، بل أصبحت كهذيان محموم ينطلق لسانه بشتى العبارات من غير أن يفهم مغزاها ، من غير عَناء ومن غير فائدة ، هكذا الصلاة إذا أصبحت عادة ولم تبق عبادة ، كانت حركة لا شعورية ، كما يتكلم النائم أحياناً ، وهو لا يعرف ما قال ، ولا ينتفع به ، والله سبحانه وتعالى لا يلتفت إلى مثل هذه الصلاة التي لا إرادة فيها ولانية ، فلابد أن نصلي بغاية الاهتمام ، ونركز عليها همتنا وإرادتنا ما استطعنا.

لكن هنا نقطة هامة ، وهي : أن لا ندع الصلاة أبداً وعلى أي حال إذا قارنا ها بأحوال أسلافنا ومواجيدهم ، فذلك من كيد الشيطان ، فإنه يوسوس في الصدور أن ترك الصلاة أولى من أدائها ناقصة ، لأن عذاب تارك الصلاة أنكى وأشد ، وأفتى كثير من العلماء بكفر من يترك الصلاة متعمداً ، وقد فصلنا القول في هذا الموضوع في الباب الأول من الكتاب ، كما يجب أن لا ندخر وسعاً في تحسين الصلاة وأداء حقها ، وتقليد أسلافنا فيها ، والله سبحانه المسئول أن يرزقنا هذه الصلاة المقبولة ولو مرة واحدة في العمر.

ويجب الإشارة في الختام إلى أن التوسع في أحاديث الترغيب والترهيب والفضائل جائز عند المحدثين رضي الله عنهم أجمعين ، وهم تسامحوا ببعض الضعف في الرواية إذا لم يتجاوز الحد ، أما حكايات العارفين والصوفية والمشايخ

فهي من باب التاريخ ، والتاريخ طبعاً لا ينافس الحديث ، وهو أحط منه درجة وأحقر منه شأناً.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سوره هود : ٨٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِين﴾ [سوره الأعراف : ٢٣].

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦]

وصلى الله تعالى على خير خلقه سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه ، وأتباعهم ، وحملة الدين المتين ، برحمتك يا أ رحم الراحمين.

محمد زكريا الكاندهلوي

٧/ محرم ١٣٥٨هـ

رسالة: فضائل الصوم وقيام رمضان

ألفها:

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي رحمه الله تعالى

(١٣١٥-١٤٠٢هـ)

تعريب:

عبد الرشيد الندوي

أستاذ/ قسم الحديث بجامعة ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد!

فإنني قمت في هذه الرسالة بجمع عدة أحاديث وردت في رمضان المبارك وشرح معانيها، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله رحمة للعالمين قد بيّن في كل باب فضائل، وأتى فيه بتوجيهات كان من حقها أن لا نألو جهدا في العمل بها، ونستميت ونتفانى لها، لكن قد ازدادت - ولا تزال - رغبتنا عن الدين، وتقصيرنا في أحكامه، حتى انصرفت عنها عنايتنا، وقلت بها معرفتنا، دع عنك العمل بها.

فتوخيت من تأليف هذه العجالة أن يقرأها أئمة المساجد، والعلماء، وحافظو القرآن، وأولو بقية من الدين في أوائل شهر رمضان على الناس، لعل الله سبحانه وتعالى يوفقنا برحمته وفضله وبركة كلام رسوله الحبيب صلى الله عليه وسلم لنقدر هذا الشهر بعض قدره، ونستفيد من خيراته، وبركاته، وتزيد فيه حسناتنا، وتقل سيآتنا.

وقد قال رسولنا صلى الله عليه وسلم: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"(١).

إن شهر رمضان لفضل عظيم، ومنة كبيرة من الله تعالى على المسلمين، لكن الإفادة منه تتوقف على معرفة هذه النعمة وقدرها، أما نحن الأشقياء فليس حظنا منه إلا أن نرفع أصواتنا باسمه، ونقول طوال الشهر: رمضان! رمضان!.

جاء في حديث: "لو يعلم العباد ما رمضان لتمنت أمتي أن يكون السنة

(١) أخرجه البخاري عن سهل بن سعد الساعدي في الجهاد باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، برقم: ٢٩٤٢ وهو طرف من الحديث.

كلها "(١).

يعرف كل شخص أن صيام السنة كلها يحتاج إلى شيء كثير من الصبر والتضحية، وبذل الجهد، والمشقة، لكن يرشد هذا الحديث أن الناس لو علموا خير رمضان وثوابه، لتمنوا على الله سبحانه وتعالى أن يجعل السنة كلها رمضان.

وجاء في حديث آخر: "صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر، يذهبن وحَر الصدر "(٢).

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم: ١٨٨٦ عن أبي مسعود رضي الله عنه، وهو طرف حديث طويل قال ابن خزيمة: وفي القلب من جرير بن أيوب شيء، و قال المنذري في الترغيب والترهيب٢/٧٢: جرير بن أيوب البجلي واه، ولوائح الوضع عليه. انتهى قول المنذري.

قلت: وقد أخرجه أبو يعلى برقم: ٥٢٧٠ في مسند ابن مسعود رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٤٤: رواه أبو يعلى وفيه جرير بن أيوب وهو ضعيف.

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة، ص: ٨٨ الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي: رواه أبو يعلى عن ابن مسعود مرفوعاً، وهو موضوع، آفته: جرير بن أيوب، وسياقه وسياق الذي قبله مما يشهد العقل أنهما موضوعان، فلا معنى لاستدراك السيوطي على ابن الجوزي بأنه قد رواهما غير من رواهما عنه ابن الجوزي، فإن الموضوع لا يخرج عن كونه موضوعاً برواية الرواة له انتهى.

وقال الهندي في كنز العمال برقم: ٢٣٧١٥ ج/٨ ص: ٤٧٨: أورده ابن الجوزي في الموضوعات فلم يصب انتهى.

وقال الحافظ في المطالب العالية ١/٣٩٧ برقم: ١٠٣٢ بعد أن نقله من مسند أبي يعلى: تفرد به جرير بن أيوب، وهو ضعيف جداً، وقد أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وقال: إن صح الخبر، فإن في القلب من جرير بن أيوب البجلي، وكأنه تساهل فيه لكونه من الرغائب. انتهى قول الحافظ.

قلت: له إسناد آخر عند الطبراني ٢٢/٣٨٨ برقم: ٩٦٧ عن أبي مسعود قال الهيثمي فيه ٣/١٤٤: رواه الطبراني في الكبير، وفيه الهياج بن بصطام وهو ضعيف انتهى.

وانظر اللآلئ المصنوعة ص: ٣٦٢ فقد أورده من سند فيه الهياج بن بسطام. وهذا الذي ردّ عليه الشوكاني كما مرّ آنفا، لكن كلام الحافظ يدل على أنه يمشي في الرغائب، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن حبان برقم: ٦٥٥٧ عن رجل من الصحابة بدوي وكذا أحمد برقم: ٢٠٧٣٧ ولفظه: من سره أن يذهب كثير من وحر صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر. قال الهيثمي ٣/١٩٩: رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح انتهى.

وله شاهد عن علي بإسناد ضعيف من أجل الحجاج بن أرطاة عند البزار برقم: ١٠٥٤

وعن ابن عباس عنده أيضاً برقم: ١٠٥٧ ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٩٩

وعن أبي ذر رضي الله عند أحمد برقم: ٢١٣٦٤ ولفظه: صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر، ويذهب مغلة الصدر، وإسناده فيه مجهول.

وعن رجل من الصحابة بسند غير سند أحمد وابن حبان عند النسائي برقم: ٢٣٨٦ ٤/٢٠٨ من نسخة عبد الفتاح.

قال السيوطي في شرحه: وحر الصدر بفتحتين قيل: غشه ووساوسه، وقيل: حقده، وقيل: ما يحصل في القلب من الكدورات والفسوق، وينبغي أن يراد هاهنا: الحاصلة بالاعتياد على الأكل

ولأمر ما كان الصحابة رضي الله عنهم يهتمون بصيام هذا الشهر حتى في الغزوة، رغما من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رخص لهم في الإفطار في هذه الحال مرة بعد أخرى، حتى منعهم بعد ذلك ونهاهم نهيا صريحا.

جاء فيما رواه مسلم عن أنس قال: " كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فمنا الصائم، ومنا المفطر، قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار، أكثرنا ظلا صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوام، وقام المفطرون، فضربوا الأبنية، وسقوا الركاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذهب المفطرون اليوم بالأجر"(١).

وكانت جماعة من الصحابة تسرد الصوم حتى كأنهم يصومون السنة كلها.

قد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة تُعدّ بالمئات في فضائل هذا الشهر، ليس بوسع مثلي أن يحيط بها، إلا أنني أرى أن لو خضت فيه وفصلت فيه بعض التفصيل، لأدى ذلك إلى السآمَة والملل للقارئ، فإن الرغبة عن الدين، واللامبالاة في أموره، لا تحتاج إلى أي بيان، ويكفي لكي نعرف مدى النقص في العلم والعمل بأمور الدين وأحكامه أن ننظر إلى أنفسنا.

ولذلك اكتفيت بأحد وعشرين حديثاً وقسمتها إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول وفيه عشرة أحاديث: في بيان فضائل رمضان.

الفصل الثاني وفيه سبعة أحاديث: في ليلة القدر.

والفصل الثالث وفيه ثلاثة أحاديث: في الاعتكاف.

ثم أوردت في الخاتمة حديثاً طويلاً، وأسأل الله عزوجل أن يتقبل عملي هذا.

والشرب، فإن شرع الصوم لتصقيل القلب، فكأنه أشار إلى أن هذا القدر يكفي في ذلك، ويحتمل أن يقال: طالب العبادة لا يطمئن قلبه بلا عبادة، فأشار إلى أن القدر، الكافي في الاطمئنان هذا القدر والباقي زائد عليه، والله أعلم انتهى.

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير برقم: ٢٨٩٠ ومسلم في الصيام برقم: ١١١٩ عن أنس.

الفصل الأول:
فضل رمضان

(١) عن سلمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال:

يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء،

قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة أو شربة ماء، أو مذقة لبن.

وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار.

واستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن أسقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة.

[رواه ابن خزيمة في صحيحه وقال: إن صحّ الخبر، ورواه البيهقي ورواه أبو الشيخ ابن حيان في الثواب باختصار عنهما.

وفي أسانيدهم علي بن زيد بن جدعان، ورواه ابن خزيمة أيضاً والبيهقي باختصار عنه من حديث أبي هريرة، وفي إسناده كثير بن زيد، كذا

في الترغيب (١).

قلت: علي بن زيد ضعفه جماعة، وقال الترمذي: صدوق، وصحح له حديثاً في السلام، وحسن له غير ما حديث، وكذا كثير ضعفه النسائي و غيره، وقال ابن عدي: لم أر بحديثه بأسا، وأخرج حديثه ابن خزيمة في صحيحه، كذا في رجال المنذري ص: ٧٠٤، لكن قال العيني: الخبر منكر فتأمل] (٢).

---

(١) إنظر الترغيب والترهيب ٦٧/٢، وانظر صحيح ابن خزيمة برقم: ١٨٨٧ وقد قال قبل روايته: إن صحّ الخبر، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٣٣٦ والخطيب في تاريخه ٣٣٣/٤ في ترجمة أحمد بن عمران الأخفش الألهاني، والمحاملي في أماليه برقم: ٢٩٣(رواية ابن يحيي البيع تحقيق: د إبراهيم القيسي الناشر: المكتبة الإسلامية دار ابن القيم سنة١٤١٢) والحارث بن أسامة في مسنده كما في بغية الباحث في مسند الحارث برقم: ٣٢١ وكما في المطالب العالية برقم: ١٠٢٨ ج/١، ص: ٣٩٣، قال: حدثنا عبد الله بن بكر، حدثني بعض أصحابنا رجل يقال له إياس رفع الحديث إلى سعيد بن المسيب عن سلمان انتهى.

وقال الحافظ في إتحاف المهرة ٥٦١/٥ برقم: ٥٩٤١ طبع بتحقيق الدكتور محمود عبد المحسن الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م مجمع الملك فهد: رواه ابن خزيمة عن علي بن حجر ثنا يوسف بن زياد ثنا همام عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسي وقال: إن صحّ الخبر، ورواه البيهقي بهذا الإسناد، ومن طريق أخرى عن عبد الله بن بكر السهمي عن إياس بن عبد الغفار عن علي بن زيد، والأول أتم، ومداره على علي بن زيد، وهو ضعيف، وأما يوسف بن زياد فضعيف جداً، وأما إياس بن عبد الغفار فما عرفته انتهى وكذا شك الحافظ في معرفة إياس في لسان الميزان ٤٧٥/١.

قال عبد الرشيد: قال ابن أبي حاتم في علل الحديث ٢٤٩/١ برقم: ٧٣٣: علل أخبار في الصوم: سألت أبي عن حديث حدثناه الحسن بن عرفة عن عبد الله بن بكر السهمي قال: حدثني إياس عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب أن سلمان الفارسي قال: خطبنا .... وذكر له الحديث: فقال: هذا حديث منكر، غلط فيه عبد الله بن بكر، إنما هو أبان بن أبي عياش فجعل عبد الله بن بكر أبان إياس انتهى.

وقال العقيلي في الضعفاء٣٥/١ برقم١٧٠: إياس بن أبي إياس مجهول، حديثه غير محفوظ، ثم أسند حديثه هذا من طريق عبد الله بن بكر السهمي، ثم قال: قد روي من غير وجه، ليس له طريق ثبت بين انتهى.

وقال الذهبي في الميزان: إياس بن أبي إياس عن سعيد بن المسيب لا يعرف أيضاً وخبره منكر انتهى

وأما حديث أبي هريرة فانظره في صحيح ابن خزيمة برقم: ١٨٨٤ والبيهقي في الشعب برقم: ٣٣٣٥ إلا أنه يختلف عن حديث سلمان في أكثر المعاني، ولا يتفق الحديثان إلا في قوله: أظلكم شهركم هذا، والله أعلم بالصواب.

(٢) انظر: عمدة القاري كتاب الصيام باب: هل يقال رمضان أو شهر رمضان، وتمام كلامه هكذا: في سنده إياس، قال شيخنا: الظاهر أنه ابن أبي إياس، قال صاحب الميزان: إياس بن أبي إياس عن سعيد بن المسيب لا يعرف، والخبر منكر. انتهى قلت: فهو في الواقع قول الذهبي في الميزان.

شرح الحديث:

قد تكلم المحدثون في بعض رجال إسناد هذه الحديث (١) لكن مثل ذلك قد يحتمل في باب الفضائل، ثم إنه تعتضد معظم مضامينه بأحاديث أخرى، ويرشد هذا الحديث إلى عدة أمور:

الأول: اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشهر رمضان، حيث خطب الناس في آخر يوم من شعبان، وحثهم على تقدير هذا الشهر المبارك حتى لا تفوتهم ثانية منه في غفلة، وقد ركز النبي في هذا الوعظ على أشياء:

أولها: ليلة القدر، وإنها في الواقع ليلة عظيمة جليلة، وسيأتي الكلام عليها مفصلاً في الفصل الثاني.

وثانيها: قوله صلى الله عليه وسلم: "وجعل الله صيامه فريضة، وقيامه تطوعاً".

ويدل ذلك على أن قيام رمضان الذي نسميه بالتراويح قد شرعه الله سبحانه وتعالى، وأما الأحاديث التي تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم نسبه إلى نفسه الكريمة، وأنه الذي سن قيام ليالي رمضان، فإن المراد به: تأكيده صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولذلك اتفق جميع الأئمة على سُنّيته، ففي "البرهان": أنه لا ينكره إلا الروافض.

وقد نقل الشيخ الشاه عبد الحق الدهلوي المحدث رحمه الله في كتابه "ما

---

(١) علة هذا الحديث إنما هي: علي بن زيد بن جدعان، وأما عنه فقد تعددت الطرق إليه، فقد رواه ابن شاهين في فضائل شهر رمضان، فقال: حدثنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة القرشي بأطرابلس، حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي، ثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا سلام بن سليم عن علي بن زيد به، وأحمد بن الفرج هذا هو أبو عتبة الحمصي قال عنه ابن عدي١٩٠/١: مع ضعف قد احتمله الناس، ورووا عنه، وهو وسط بينهما، ليس ممن يحتج بحديثه أو يتدين به، إلا أنه يكتب حديثه انتهى وقال ابن أبي حاتم: محله الصدق كما في الميزان ١٢/١. وله طريق آخر عند المحاملي وابن عدي فقد روياه من طريق عبد العزيز بن عبد الله الجدعاني ثنا سعيد بن أبي عروبة عن علي بن زيد به، وعبد العزيز بن عبد الله ضعيف انظر حديثه في الكامل لابن عدي في ترجمته.

وأما علي بن زيد بن جدعان فقد قال عنه الذهبي في الميزان١٢٧/٣: قال الفلاس: كان يحيى بن سعيد يتقي الحديث عن علي بن زيد، وقال أحمد: ضعيف، وقال البخاري وأبو حاتم: لايحتج به، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، هو أحب إلي من يزيد بن أبي زياد، وقال ابن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه، قال الترمذي: صدوق، وقال الدارقطني: لا يزال عندي فيه لين انتهى، قلت: فهو إذا غير متروك والله أعلم.

ثبت بالسنة" عن بعض الكتب الفقهية: أنه لو ترك أهل قرية التراويح، فليقاتلهم الإمام على ذلك.

وهنا ينبغي أن يلاحظ: أن بعض الناس يسمعون القرآن في التراويح في بضع ليال، ثم لا يبالون بها في بقية الليالي، فليعلم أن هناك سنتين مختلفتين: سنة التراويح في جميع ليالي هذا الشهر، وسنة قراءة القرآن أو سماعه فيها، فقد فاتت في الصورة الآنفة الذكر سنة واحدة، نعم! ينبغي لمن به حاجة إلى السفر، أو شغل يمنعه من أداء التراويح في مسجد واحد طول الشهر، أن يسمع القرآن في بضع ليال، ثم يصلي التراويح حيث ما كان، فهكذا يستطيع أن يعمل بالسنة، ولا يوقع الضرر بعمله.

وثالثها: قوله صلى الله عليه وسلم: "من تقرب فيه بخصلة كان كمن أدى فريضة في ما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه".

ويجدر بنا في هذا الموضع أن ننظر إلى أنفسنا، ونستعرض عبادتنا، كم نهتم بالفرائض في هذا الشهر؟ وكم نتقرب إلى الله عزوجل بالنوافل؟

أما الفرائض فحالنا فيها: أننا نستغرق في النوم بعد أكل السحور حتى يفوت وقت الفجر، أو تفوت الجماعة على الأقل إلا من رحم ربك، فكأننا أدينا الشكر على التسحر بأن ضيعنا أهم الفرائض أو نقصناها، حيث إن أداء الصلاة بغير الجماعة يسمى أداء ناقصا عند أهل الأصول، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد" (١) وقال صاحب "مظاهر حق": إن الذي يصلي بغير الجماعة قد تسقط عنه الذمة، لكن لا يحصل له الثواب.

وكذلك تذهب الجماعة في صلاة المغرب ضحية الإفطار، ولا تسأل عن الركعة الأولى أو التكبيرة الأولى، وقد يصلي كثير من الناس صلاة العشاء قبل أن يدخل وقتها خشيةً أن تشق عليهم التراويح.

(١) أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة في سننه ٤٢٠/١ باب الحث لجار المسجد على الصلاة فيه إلا من عذر، وله شاهد عنده عن جابر، وعلي، وابن عباس.

هذا ما يقع في الغالب، وقد رأينا من تفوتهم الظهر في قائلة النهار، ومن تفوتهم جماعة العصر في شراء الأشياء للإفطار.

فإذا كان ذلك أمرنا بالنسبة إلى الفرائض فكيف يكون الشأن في النوافل؟

أما صلاة الإشراق والضحى فقد تذهب ضحية النوم في رمضان في عامة الأحوال، وأما صلاة الأوابين بعد المغرب، فكيف يمكن الاهتمام بها ونحن حديثو العهد بالإفطار، وخائفون من القيام في التراويح؟ وأما صلاة التهجد فإن وقتها عين وقت السحور، فكيف يتسع للصلاة؟!

لكن ليس ذلك كله إلا غفلة، وهروباً عن العمل، وتكاسلا، وإن هناك كثيراً من عباد الله يقضون هذا الشهر في عبادة الله سبحانه وتعالى، ويجدون لها سعة في أوقاتهم مع هذه الأعذار والأشغال كلها.

كما رأيت شيخي ومرشدي: الشيخ خليل أحمد السهارنفوري - رحمه الله تعالى ونور مرقده - كان مع ضعفه وشيخوخته يقوم بعد المغرب فيتلو في النوافل جزءا وربع جزء، ثم يتعشى، و يقضي الحوائج في نصف ساعة تقريباً، ثم يشتغل بالتراويح ساعتين وربعاً، وذلك حين إقامته بالهند، وأما في أيام نزوله بالمدينة المنورة فيفرغ من صلاة العشاء والتراويح في ثلاث ساعات، ثم يستريح ساعتين أو ثلاثا حسب اختلاف الفصول، ثم يقوم بالقرآن الكريم في صلاة التهجد، ويتسحر قبل الفجر بنصف ساعة، ثم يتلو القرآن عن ظهر القلب، أو يشتغل بالأذكار والأوراد، ثم يصلي الفجر مُسْفِراً، ثم يشتغل بالمراقبة إلى الإشراق، وبعد صلاة الإشراق يستريح لساعة تقريباً، ثم يأخذ في تأليف "بذل المجهود في شرح سنن أبي داود" إلى الساعة الثانيةَ عشْرةَ، وفي الصيف إلى الساعة الواحدة، وينظر في البريد، ويملي عليه الرد، ثم يقيل إلى الظهر، وبعد صلاة الظهر يتلو القرآن إلى صلاة العصر، ثم يشتغل بالذكر والتسبيح إلى المغرب، وقد يقبل على المسترشدين الحضور ويتكلم معهم، ولما انتهى من تأليف "بذل المجهود"، فقد كان يقضي ذلك الوقت في التلاوة ومطالعة الكتب، وطالما كان ينظر في "بذل المجهود" و"وفاء الوفاء"، وهذا كان دأبه في النوافل في رمضان وغيره، إلا أنه كان يطيل القيام في رمضان، وأما المشايخ الذين كانوا يهتمون بأعمال خاصة برمضان فليس يسهل

على كل من هبّ ودبّ أن يتبعهم ويقتدي بهم.

وقد كان شيخ الهند رحمه الله تعالى يقوم ليالي رمضان إلى الصبح ويستمع للقرآن من حفاظ متعددين واحداً تلو آخر.

وأما الشيخ الشاه عبد الرحيم الرائبوري رحمه الله تعالى فكان هذا الشهر عنده مخصوصاً بتلاوة القرآن الكريم، فيفرُغ له حتى لا يقرأ البريد، ولا يطيب نفساً بلقاء الناس، ولا يأذن إلا لبعض المسترشدين، فقد أذن لهم أن يحضروه بعد التراويح ريثما يحتسي من الشأي الساذج (بدون الحليب) فنجاناً أو فنجانين.

ما أشرت إلى أعمال المشايخ هذه لكي يمرّ بها القارئ مر الكرام، أو يقول لها كلمة ساخرة، بل عليه أن يتبعهم فيها بقدر ما يسعه، ويهتم بها حسَب همته، فإن كل ميدان يتميز عن غيره بميزات وخصائص.

فالذين ليسوا بمشغولين بالأشغال الدنيوية المزدحمة، فما أحسن لهم أن يحرصوا على العبادة في هذا الشهر، ويتفانوا فيها، بعد أن ضيعوا أحد عشر شهرا من السنة.

وكذلك الموظفون الذين يعملون في وظائفهم من الساعة العاشرة إلى الساعة الرابعة فما يضيرهم أن يقضوا وقت ما بين الصبح إلى الساعة العاشرة في تلاوة كتاب الله كما يفعلون بالنسبة للحاجات الدنيوية!.

وأما الزراع فهم أحرار، وليسوا مقيدين برعاية الوقت، فلا يصعب عليهم أن يغيروا أوقات شغلهم، أو يتلوا القرآن في مزارعهم.

وكذلك التجار فما أيسر لهم أن يقللوا شيئا من أوقات دكانهم أو يتلوا القرآن حال اشتغالهم بالتجارة، وذلك لأن هذا الشهر له خصوصية بالقرآن الكريم.

الكتب السماوية نزلت في رمضان:

فقد نزلت جل الكتب السماوية والصحف الربانية في هذا الشهر، نزل القرآن الكريم بتمامه من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في هذا الشهر، ثم نزل به الروح الأمين على قلب النبي صلى الله عليه وسلم منجماً في فترة ثلاث وعشرين سنة حسب المناسبات، وأعطي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الصحف في غرة رمضان، وأوتي داود عليه الصلاة والسلام الزبور في الثامن

عشر أو الثاني عشر من هذا الشهر، كما أوتي موسى عليه الصلاة والسلام التوراة في السادس منه، وكذلك أوتي عيسى عليه الصلاة والسلام الإنجيل في الثاني أو الثالث عشر.

ودل ذلك أن شهر رمضان له صلة خاصة و مناسبة تامة بالكلام الإلهي، ولذلك حُث على التلاوة فيه، وبذلك جرت عادة المشايخ، وقد كان جبريل عليه الصلاة والسلام يعرض فيه على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كاملاً، وفي بعض الروايات أنه كان يستمع منه، وقد استدل العلماء بالحديثين على استحباب ما جرت به عادة حافظي القرآن في زماننا حيث يعارض به بعضهم بعضاً(١).

وعلى كل، فينبغي أن يهتم بالإكثار من تلاوة القرآن الكريم بقدر ما يمكنه، ثم عليه أن لا يضيع ما يبقى من الوقت بعد التلاوة، وقد لفت النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في آخر هذا الحديث أنظارنا إلى أربعة أمور بوجه خاص، وأرشد إلى الاعتناء بها، والإكثار منها، وهي:

١. الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله.
٢. والاستغفار.
٣. وسؤال الجنة.
٤. والتعوذ من النار.

فمن سعادة المرء أن ينفق أوقاته في هذه الأعمال، وذلك هو أداء واجب

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير ١٠٢/١٢ برقم: ١٢٦٠٢، واللفظ له، وأحمد عن ابن عباس قال: فإن جبريل كان يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كل عام في رمضان، الحديث.

وأخرج أحمد برقم: ٣٠١٠ عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن في كل رمضان على جبريل، الحديث.

وقد قال البخاري في فضائل القرآن باب كيف كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم: وقال مسروق عن عائشة عن فاطمة قالت: أسرّ إليّ النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين.

وقال البخاري أيضاً في بدء الخلق باب ذكر الملائكة بعد الحديث برقم: ٣٢٢٠: وروى أبو هريرة وفاطمة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن جبريل كان يعارضه القرآن انتهى.

وجاء في حديث ابن عباس عند البخاري برقم: ٣٢٢٠: كان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن.

الشكر والتقدير لقول النبي صلى الله عليه وسلم، فماذا على المرء لو شغل لسانه بقول: لا إله إلا الله، أو الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم مع الاشتغال بالأعمال والحرف الدنيوية.

خصائص شهر رمضان:

ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض خصائص هذا الشهر، وأرشد إلى بعض الآداب، فقال: "هو شهر الصبر" وذاك يعني: أن يصبر الصائم على ما يجدْ في الصوم من شدة الجوع والعطَش أو العَناء والتعب صبراً جميلاً، ويحتمله برغبة وشوق، فلا شَكاة، ولا صيحة، ولاغضب، ولا زجر، ولا ضرب، كما يفعل كثير من الناس، فلو فات أحدَهم في يوم من الأيام أن يأكل السحور يتظاهر بالكآبة والعُبوس من البكرة كأنه في حِداد، وكذلك ينبغي أن يتحمل المشقة التي تلحقه في التراويح هشاً بشاً، ولا يعتبرها آفة أو مصيبة، فإن ذلك أمارة الحرمان والشقاء، إننا نواجه كل مشقة وتعب، ونهجر الراحة والجَمام، والشراب والطعام، من أجل الأغراض التافهة المادية، فهل تزن هذه الأغراض والمآرب الخسيسة في جنب رضاء الله عزوجل وزناً وقيمة؟!.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: "وهو شهر المواساة"، ويقتضي ذلك: أن نواسي الفقراء والمساكين، فلو صنعنا لأنفسنا عشرة أنواع في الإفطار، فليكن لهم منها نصيب قليل، إن لم نؤثرهم على أنفسنا، أو نشاطرهم ونقاسمهم على السواء، والحاصل أن يكون للفقراء والمحرومين من فطورنا وسحورنا نصيب وحظ.

وقد خلف الصحابة رضي الله عنه أسوة حسنة للأمة حيث ضربوا في العمل بكل جزء من أجزاء الدين أمثلة رائعة، وقد مهدوا الطريق في كل باب من البر والخير، خذ باب الإيثار والمواساة مثلا، فقد يحتاج الاقتداء بهم واتباعهم فيه إلى شيء كثير من الهمة والعزيمة، وهناك حكايات كثيرة ليس لنا إلا أن نقضي منها العجب، وإليك واحدة منها على سبيل المثال:

قال أبو جهم بن حذيفة العدوي رضي الله عنه: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي، ومعي شنة من ماء أو إناء، فقلت: إن كان به رمق سقيته من

الماء، ومسحت به وجهه، فإذا أنا به ينشغ، فقلت: أسقيك؟ فأشار أي: نعم! فإذا رجل يقول: آه! فأشار ابن عمي أن انطلق به إليه فإذا هو هشام بن العاص أخو عمرو، فأتيته فقلت: أسقيك؟ فسمع آخر يقول: آه! فأشار هشام أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي، فإذا هو قد مات (١).

نقل صاحب روح البيان عن الجامع الصغير للسيوطي و المقاصد الحسنة للسخاوي حديثاً عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: "خيار أمتي في كل قرن خمسمائة، والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون، ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر، قالوا: يا رسول الله دلنا على أعمالهم قال: يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم الله عزوجل"(٢).

كان يحيى البرمكي ينفق على سفيان الثوري ألف درهم شهرياً، فكان سفيان الثوري يدعو له ساجداً: اللهم اكف يحيى برحمتك أمر الآخرة، كما كفاني أمر الدنيا، فلما توفي يحيى رأوه في المنام، فسألوه: ماذا فعل بك؟ قال: غفرلي بدعاء سفيان (٣).

---

(١) الخبر أخرجه ابن المبارك في الزهد ص: ١٨٥ برقم: ٥٢٥ والبيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٢٠٨، وهناك خبر آخر مثله، أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٢٧٠ برقم: ٥٠٥٨/٦٥٦ عن حبيب بن أبي ثابت:

أن الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وعياش بن أبي ربيعة، ارتثوا يوم اليرموك، فدعا الحارث بماء ليشربه، فنظر إليه عكرمة، فقال الحارث: ادفعوه إلى عكرمة، فنظر إليه عياش ابن أبي ربيعة، فقال عكرمة: ادفعوه إلى عياش، فما وصل إلى عياش ولا إلى أحد منهم حتى ماتوا وما ذاقوه. وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٣٢٠٩ من طريق الحاكم.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ١/٨ في أول الكتاب، وانظر للكلام في أحاديث الأبدال: المقاصد الحسنة ص: ١٢ فقد قال: له طرق عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة، ثم ذكر أسانيده، وأطال الكلام، ثم قال: ومما يتقوى به هذا الحديث، ويدل لانتشاره بين الأئمة قول إمامنا الشافعي رحمه الله في بعضهم: كنا نعده من الأبدال، وقول البخاري في غيره بأنهم كانوا لا يشكون أنه من الأبدال، وكذا وصف غيرهما من النقاد، والحفاظ، والأئمة، غير واحد بأنهم من الأبدال. انتهى

وقال العجلوني في كشف الخفا ص: ٢٥ أقول: لكنه يتقوى بتعدد طرقه الكثيرة، ثم ذكر بعضها انتهى.

(٣) ثم وجدته بعد بحث في وفيات الأعيان: ٦/٢٢٨ جاء فيه: وكان يحيى يُجري على سفيان الثوري رضي الله عنه في كل شهر ألف درهم، وكان سفيان يقول في سجوده: اللهم إن يحيى كفاني أمر دنياي، فاكفه أمر آخرته، فلما مات يحيى رآه بعض إخوانه في النوم فقال له: ما صنع الله بك؟

ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل في تفطير الصائم وهو أنه يغفر له ذنبه، وتعتق رقبته من النار، وكان له من الأجر مثل ما للصائم، وقد جاء في حديث آخر: "من فطر صائماً على طعام وشراب من حلال صلت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان، وصلى عليه جبريل ليلة القدر، ورزق دموعاً ورقة "(١).

وكان حماد بن سلمة أحد أعلام الحديث يهتم بتفطير خمسين صائماً كل يوم (٢).

أثلاث شهر رمضان وتفصيلها:

ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد الحثّ على تفطير الصائم: "أوله رحمة" يعني: تتجه فيه رحمة الله تعالى إلى عباده، وهذه رحمة عامة تشمل المسلمين كلهم، وللشاكرين منها مزيد، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٧] ثم قال: "وأوسطه مغفرة" فقد مضى قسط صالح من الصيام، فيثيب الله عزوجل العبد على ذلك، ويكرمه بالمغفرة، ثم يكون آخره عتقاً من النار، وقد وردت أحاديث أخرى تبشر عند نهاية شهر رمضان بالعتق من النار.

وأما توجيه هذا التقسيم عند هذا العبد فهو: أن الناس ثلاثة أقسام، القسم الأول: هم الذين ليس عليهم شيء من أوزار الذنوب وأثقالها، فتقبل عليهم رحمة الله تعالى من أول الشهر. والثاني: هم الذين عليهم ذنوب قليلة،

قال: غفر لي بدعاء سفيان، وقيل: إن صاحب هذه القضية هو سفيان بن عيينة لا سفيان الثوري، والله تعالى أعلم. انتهى.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير٦/٢٦١ برقم: ٦١٦١ و: ٦١٦٢ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٦٠: فيه الحسن بن أبي جعفر قال ابن عدي: له أحاديث صالحة وهو صدوق، قلت: وفيه كلام انتهى.

قلت: وفيه علي بن زيد بن جدعان أيضاً، وأظن أن هذا الحديث وحديث سلمان الطويل المتقدم في المتن أصلهما واحد؛ لأنه يرويه علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سلمان كمثله، وهذا يؤكد أن الطرق متعددة إلى علي بن زيد كما قلت هناك، والله أعلم بالصواب.

(٣) كنت قد تعبت فيه كثيرا فما وجدته، ثم وجدته في ترجمة حماد بن أبي سليمان في خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ١/٩٢ قال: قال داود الطائي: كان حماد (ابن أبي سليمان) يفطر في رمضان كل ليلة خمسين إنسانا. انتهى وأما الذهبي فقال في السير٢/٢٣٤: وبلغنا أن حمادا كان ذا دنيا متسعة، وأنه كان يفطر في شهر رمضان خمس مئة إنسان، وأنه كان يعطيهم بعد العيد لكل واحد مئة درهم.

فلما صاموا العشرة الأولى أثيبوا بالمغفرة والعفو. والقسم الثالث: هم الذين عليهم كثير من الذنوب والمعاصي، فتعتق رقبتهم من النار بعد عشرين يوماً. فأما الأولون الذين استحقوا الرحمة من بداية الشهر، فقد ازدادوا رحمة على رحمة، فطوبى لهم، هذا ما عندي، والله أعلم وعلمه أتم.

التخفيف عن الخدم:

ثم حث النبي صلى الله عليه وسلم على التخفيف عن الخدم، لأنهم أيضاً صائمون، فإن العمل الكثير والجهد الشديد يشقان عليهم، فإن كانت عنده كثرة من الأعمال فليتخذ خادماً مؤقتا لشهر رمضان، وهذا إذا كان الخدم صياماً، وإلا فيستوي لغير الصائم رمضان وغيره، وما أقبح وأوقحَ للمرء أن يترك الصوم، ويستخدم الصائمين فيأمرهم وينهاهم بكل وقاحة! وإذا كان منهم بعض التساهل في الامتثال لأمره لأجل الصلاة والصوم، اشتعل عليهم غضباً وحنقاً ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٢٧].

ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستكثار من أربع خصال، الأولى: كلمة لا إله إلا الله، وهي أفضل الذكر، كما جاء في الحديث:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال موسى صلى الله عليه وسلم: يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: يا رب! كل عبادك يقول هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى! لو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهم لا إله إلا الله (١).

وجاء في حديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما قال عبد: لا إله إلا الله، إلا فتحت له أبواب السماء، حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر"(٢).

(١) أخرجه الحاكم١/٧١٠ برقم: ١٣٦/١٩٣٦ عن أبي سعيد الخدري وصححه، ووافقه الذهبي، وفيه دراج عن أبي الهيثم، والكلام في روايته عنه معروف..

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في الدعوات برقم: ٣٥٩٠، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

هكذا جرت سنة الله تبارك وتعالى أنه كثّر الأشياء الضرورية والحوائج العامة، كما يبدو من أدنى تأمل في الكون، فالماء والهواء من ضرورة كل كائن حي، فقد عممهما الله تبارك وتعالى، وأما الكيمياء وأمثالها مما لا حاجة إليه فقد جعلها الله تعالى كالعَنقاء، كذلك فإن الكلمة الطيبة لما كانت أفضل الأذكار وأعلاها وأعظمها، جعلها الله تعالى عامة للناس جميعاً، حتى لا يكون أحد محروماً، فإن حُرمها فهو شقي تعسٌ، وعلى كل حال فإن "لا إله إلا الله" قد وردت بفضلها أحاديث كثيرة تركتها للاختصار.

والخصلة الثانية هي: الاستغفار، وقد وردت في فضله أحاديث كثيرة كذلك، جاء في حديث:

"من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب"(١).

وجاء في حديث: "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"(٢).

وجاء في حديث: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة، فإن نزع واستغفر، صقلت، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾"(٣).

والخصلة الثالثة هي: طلب الجنة، والرابعة هي: التعوذ من النار، رزقني تعالى وإياكم الجنة ونجانا من النار.

---

(١) أخرجه أبو داود في الوتر باب في الاستغفار برقم: ١٥١٨ وابن ماجه في الأدب باب الاستغفار برقم: ٣٨١٩ وأحمد برقم: ٢٢٣٤ عن عبد الله بن عباس، قال المنذري في مختصر سنن أبي داود: في إسناده الحكم بن مصعب ولا يحتج به انتهى، وصححه الحاكم ٢٩١/٤ برقم: ٧٧/٧٦٧٧ وتعقبه الذهبي، فقال: الحكم فيه جهالة.

(٢) أخرجه الترمذي عن أنس وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مسعدة عن قتادة، وابن ماجه في الزهد برقم: ٤٢٥١ والحاكم ٢٧٣/٤ برقم: ١٧/٧٦١٧ وصححه، وتعقبه الذهبي، فقال: علي بن مسعدة لين انتهى.

قلت: هو مختلف فيه، فقد وثقه أبو داود الطيالسي، وابن معين، وأبو حاتم، وضعفه البخاري بقوله: فيه نظر، والنسائي، وابن عدي، كما في تهذيب التهذيب، ونقل الحافظ عن الدوري عن ابن معين: ليس به بأس في البصريين انتهى.

قلت: وقتادة بن دعامة شيخه في هذا الحديث من البصريين، فالحديث حسن إن شاء الله تعالى.

(٣) رواه الترمذي في التفسير برقم: ٣٣٣٤ وابن ماجه في الزهد برقم: ٤٢٤٤ وأحمد ٢٩٧/٢ عن أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

المنح الربانية لخمس لأمة محمد صلى الله عليه وسلم:

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن أمة قبلهم: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا، ويزين الله عزوجل كل يوم جنته، ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة ويصيروا إليك، وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصوا فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة، قيل: يا رسول الله أهي ليلة القدر؟ قال: لا! ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله.

[رواه أحمد، والبزار، والبيهقي، ورواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب، إلا أن عنده: وتستغفر لهم الملائكة بدل الحيتان كذا في الترغيب] (١).

شرح الحديث:

يدل الحديث على أن الله عزوجل خصّ أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بين الأمم الأخرى بخمس خصال، وتلك كرامة من الله عزوجل لها، فيا ليتنا نقدر هذه المنح الربانية حق قدرها، ونحرص عليها ونسعى وراءها!.

الأولى: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، والخلوف إنما هي الريح التي تتولد في فم الصائم بسبب مكثه جائعاً لفترة طويلة، وفي معناها ثمانية أقوال لشراح الحديث قد ذكرتها في شرح الموطأ بالتفصيل، إلا أن الراجح عند هذا العبد منها ثلاثة أقوال:

الأول: أن الله تبارك يعوض الصائم من هذه الريح يوم القيامة بريح طيبة عطرة، هي أحسن وأزكى وأفيح من ريح المسك، وهذا معنى ظاهر لا خفاء فيه، وأورد السيوطي في الدر المنثور حديثاً صريحاً في ذلك فصار كالمتعين.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٩٢/٢ والبزار برقم: ٩٦٣ من كشف الأستار والبيهقي في الشعب برقم: ٣٣٣٠ قال الهيثمي ١٤٣/٣: فيه هشام بن زياد أبو المقدام وهو ضعيف انتهى.

وله شاهد من حديث جابر عند البيهقي في الشعب برقم: ٣٣٣١، قال المنذري في الترغيب ٦٦/٢: إسناده مقارب أصلح من إسناد حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: حديث جابر وحديث أبي هريرة متفقان في الخصال الأربع، ومختلفان في واحدة، ففي حديث جابر: أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عزوجل إليهم، ومن نظر إليه الله لم يعذبه أبداً، وفي حديث أبي هريرة: وتصفد فيه الشياطين إلى آخره.

القول الثاني: أن ذلك يكون حينما ينشرون من القبور فتكون هذه الريح الطيبة أمارة على الصائمين وميزة لهم.

والقول الثالث: وهو أحب إلي من القولين: أن خلوف فم الصائم أطيب وأحب إلى الله من المسك الأذفر في الدنيا، وذلك محبة من الله عزوجل له؛ فإن رائحة الحبيب أحب إلى المحب المفتتن به من ألف عطور، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ما يحظى به الصائم من غاية التقرب والزلفى عند الله عزوجل حتى يحبه الله عزوجل، وذلك أن الصوم أحبّ العبادات إلى الله سبحانه وتعالى كما جاء الحديث:

"كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، قال الله عزوجل: "إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك" (١).

وعن بعض المشايخ أن قوله: "أجزى به"إنما هو مبني للمجهول يعني: أني أعطيه نفسي جزاء له، فأي جزاء أوفى من أن يكون الحبيب لنا وأي مثوبة أكرم منه؟

وجاء في حديث: إن لكل شيء باباً: وباب العبادة الصيام(٢) يعني: أن الصوم يزكي وينور قلبه، فيرغب في كل خير، ويشتاق إلى كل بر، وإنما يكون ذلك إذا كان الصوم يحمل روح الصوم وحقيقته، وليس هو عبارة عن الجوع والعطش فحسب، و سيأتي الكلام على الآداب التي تجب على الصائم مراعاتها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٧٤٩٢ و: ٧٥٣٥ ومسلم في الصيام برقم: ١١٥١ عن أبي هريرة واللفظ له.

(٢) عزاه الهندي في كنز العمال ٤٤٧/٨ برقم: ٢٣٥٨٦ إلى هناد عن ضمرة بن حبيب مرسلا، وكذلك عزاه إليه السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالضعف، وقال العراقي في تخريج الإحياء ٢٣١/١: أخرجه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف. انتهى

لكن الذي في الزهد لابن المبارك برقم: ١٤٢٣: حدثنا الحسين أخبرنا ابن المبارك أخبرنا أبو بكر بن أبي مريم قال حدثني ضمرة بن أبي حبيب: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن لكل شيء بابا، وإن باب العبادة الصيام.

السواك في حالة الصوم:

ومما يجدر بالذكر في هذا المكان: أن بعض الأئمة قد منعوا الصائم عن السواك عند المساء بناء على أحاديث الخلوف، وخالفهم الحنفية وقالوا: إنما يزيل السواك رائحة الأسنان، وأما الخلوف فإنما هي: الرائحة التي تنشأ من أجل خلو المعدة، وقد ذُكرت أدلة الحنفية في المسألة في كتب الفقه والحديث.

استغفار الحيتان:

والخصيصة الثانية لصائمي هذه الأمة هي: استغفار الحيتان لهم، والمقصود بذلك: هو بيان كثرة من يستغفر لهم، وقد ورد هذا المعنى في الأحاديث المتعددة، وجاء في بعض الروايات استغفار الملائكة، ووجّه عمي الكريم(إمام الدعوة والتبليغ الشيخ إلياس رحمه الله تعالى) استغفار الحيتان بأنه يدل على غاية الحب والود، وقد قال الله عزوجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

وجاء في الحديث: "إن الله إذا أحب عبداًدعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القَبول في الأرض" (١).

ثم إن الذي جرت به العادة هو أن كل شخص إنما يحبه ويوده من حوله، لكن محبة الصائم تعم، وتنتشر، وتتجاوز البر إلى البحر، فيحبه حيوان البحر، ويستغفر له، وهذا غاية في المحبة، وقد علم منه استغفار سباع البر بالأولى.

تزيين الجنة للصائمين:

والخصلة الثالثة: أنه تزين لهم الجنة، وقد وردت بذلك أحاديث عديدة، وقد جاء في بعض الروايات: أن الجنة تزيّن لرمضان من أول السنة (٢) ذاك أنه

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٧٤٨٥ و: ٦٠٤٠ ومسلم برقم: ٢٦٣٧ في البر والصلة عن أبي هريرة والترمذي في التفسير برقم: ٣١٦١ وقال: حسن صحيح، وغيرهم.

(٢) جاء في حديث ابن عباس الطويل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الجنة لتبخر وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان..."أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٣٦٩٥ من ترقيم زغلول.

وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ٧١/٢ معزوا إلى أبي الشيخ في كتاب الثواب والبيهقي وقال: ليس في إسناده من أجمع على ضعفه انتهى، وسيذكره المصنف فيما بعد مستقلا. وأخرج

كلما كان أمر من الأمور أهم كان الاحتفاء به والاحتفال له أعظم وأكثر.

تصفيد الشياطين في رمضان:

والخصلة الرابعة: أن الشياطين تصفد فيه فتقلّ المعاصي، وتنقص الآثام والسيآت، ولو لم يكن ذلك لكان الشياطين يحتالون كل حيلة، ولا يألون جهداً في إغواء الناس وصرفهم عن العبادة، حتى لا يستحقوا الرحمة ثم لكانت المعاصي تكثر، وتفشو، وتتجاوز الحد.

لكن الواقع المشاهد أن المعاصي تقل وتنقص إلى حد كبير، فكم من شاربي الخمر يكفّون عن شرب الخمر في هذا الشهر خاصة، وهلم جرّا.

ولا يشكل على هذا الحديث ما قد يقع من الذنوب، فإن الذي في هذا الحديث: "تصفد مردة الشياطين" فيمكن أن تكون تلك الذنوب تصدر من تأثير وسوسة الشياطين غير المردة.

وأما الأحاديث الأخرى التي جاءت بتصفيد الشياطين على الإطلاق، فإن قُيِّد مطلقها بهذا القيد الذي ورد به هذا الحديث، فلا إشكال فيها أيضاً، وإن أجريت على إطلاقها، قلنا: إن النفس تلابس المعاصيَ زماناً طويلاً، فتألفها فترسخ هذه الخواطر السيئة في النفس، وتصير كالطبيعة، فلا يشعر المرء بما يصدر منه من المعاصي والسيآت، ولذلك نرى أن أغلب المعاصي إنما تصدر من أولئك الناس الذين يعتادونها في غير رمضان، إذا فهذه المعاصي إنما هي من تأثير النفس التي قد ألفتها وأنست بها، والتي لا تفارق الإنسان أبداً، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر صُقلت، فإن عاد، زيد فيها، حتى تعلو قلبَه، فذلك الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾" (١).

وفي هذه الصورة تندفع هذه القلوب التي علاها الرانُ، وسوّدته الذنوب إلى

الطبراني في الأوسط برقم: ٦٨٠٠ عن ابن عمر مرفوعاً: إن الجنة تزخرف لرمضان من رأس الحول إلى الحول الحديث قال الهيثمي ١٤٥/٣: فيه الوليد بن الوليد القلانسي وثقه أبو حاتم وضعفه جماعة.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير برقم: ٣٣٣٤ عن أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن صحيح.

المعاصي تلقائياً، ولذلك ترى شخصا يرتكب نوعاً من المعصية من غير ما تلكأ أو تردد، بينما لا يجرُؤ هو على نوع آخر من المعصية، فلو أُكره شارب الخمر مثلاً على أكل لحم الخنزير لأبت نفسه واشمأزت طبيعته مع أنهما سيّان في الإثم، كذلك فإن المرء لما يستمر على أي ذنب طول السنة اعتاده، فلا يحتاج إلى إغواء من الشيطان.

وبالجملة إن أريد الشياطين كلهم فلا إشكال فيه أيضاً، وإن كان المراد: مردة الشياطين، فلا إشكال فيه بالأولى، وهذا هو الراجح عند هذاالعبد.

ويستطيع كل واحد أن يفهم ذلك بأدنى تأمل، ويجربه على نفسه، فلا يحتاج في رمضان لعمل الحسنة، أو الكف عن السيئة، إلى شيء كثير من الجهد على النفس، وإنما يكفي فيه قليل من الهم والإرادة.

ويرى الشيخ المحدث الشاه محمد إسحاق رحمه الله أن الحديثين يُحملان على نوعين مختلفين من الرجال، فيقال: يصفد الشياطين كلهم في حق الصالحين الأبرار، بينما يقيد مردتهم فحسب في حق الفساق.

(٣) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: أُحضروا المنبر، فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين، فلما نزل قلنا: يا رسول الله! لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه، قال:

إن جَبْرَئيل عرض لي فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعد من ذُكرت عنده، فلم يصل عليك قلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعد من أدرك أبويه الكبر أو أحدهما، فلم يدخلاه الجنة، قلت: آمين.

[رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، كذا في الترغيب، وقال السخاوي: رواه ابن حبان في ثقاته، وصححه، والطبراني في الكبير، والبخاري في بر الوالدين له، والبيهقي في الشعب، وغيرهم، ورجاله ثقات، وبسط طرقه، وروى الترمذي عن أبي هريرة بمعناه، وقال ابن حجر: طرقه كثيرة كما في المرقاة] (١)

---

(١) أخرجه الحاكم ١٧٠/٤ برقم: ١٧/٧٢٥٦ وصححه، ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير ١٤٤/١٩ برقم: ٣١٥ وقال الهيثمي ١٦٩/١٠: رجاله ثقات، وأخرجه ابن حبان برقم: ٩٠٧ من حديث أبي هريرة.

شرح الحديث:

يفيد هذا الحديث الشريف أن جبريل عليه الصلاة والسلام قد دعا بالبعد من رحمة الله، واللعنة على ثلاثة رجال، وأمّن المصطفى صلى الله عليه وسلم على ذلك، وقد كانت لعنة جبريل الملك المقرب عند الله عزوجل وحدها لكافية للهلاك والحرمان، فكيف بها وقد شفعها تأمين النبي الكريم صلى الله عليه وسلم؟

حفظنا الله تعالى من الأمور الثلاثة! وإلا فما من شك وريبة في الهلاك والدمار، وتفيد بعض الروايات أن جبريل هو الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتأمين على ذلك كما في الدر المنثور(١) وذاك يدل على مزيد من الاهتمام والتأكيد.

الأول: "من أدرك رمضان فلم يغفرله" أي: يظل في هذا الشهر المبارك التي تنزل فيه رحمة الله عزوجل نزول المطر لاهيا ساهياً سادراً في المعاصي والذنوب، فيُحرم رحمةَ الله تعالى ومغفرته، فأي فرصة تكون لمغفرته؟! وأي تردد في هلاكه وبعده من الرحمة؟ وإنما تتوجه المغفرة إلى المرء إذا قام بأداء أعمال رمضان وواجباته من صيامه وقيامه بغاية من الاهتمام، ويكثر من التوبة والاستغفار لذنوبه.

والثاني: من ذُكر عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يصل عليه، وقد وردت به أحاديث أخرى كثيرة، ونظراً إلى ذلك فقد أوجب بعض العلماء الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما ذكر.

وقد وصفت بعض الأحاديث الرجل الذي لا يصلي عليه (صلى الله عليه وسلم) إذا ذكر: من أشقى الناس وأبخلهم، وكذلك جافياً وضالاً عن طريق الجنة، حتى أفادت بعض الأحاديث بدخوله النار، وبأنه من الفجار، وكذلك بأنه لا ينظر إلى وجهه صلى الله عليه وسلم (٢).

وقد بسط طرقه الهيثمي في مجمع الزوائد انظر١٠/١٦٧-١٧٠ فقد أورد له شواهد من حديث عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وجابر بن سمرة، وأنس بن مالك، ومالك بن الحويرث رضي الله عنهم.

(١) انظر حديث أبي هريرة في صحيح ابن حبان برقم: ٩٠٧.

(٢) أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: ٣٨١ عن جابر رفعه قال: من ذكرت عنده فلم يصل علي فقد شقي، وعزاه الحافظ في الفتح إلى الطبراني في كتاب الدعوات باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ←

ومهما كان العلماء أوّلوا هذه الأحاديث إلا أن الوعيد في حقه لشديد أكيد لا يستطاع احتماله، ولم لا؟ فإن منن النبي صلى الله عليه وسلم وأياديَه على الأمة كثيرة تعجز عن إحصائها الأقلام والألسنة، ومن ثم كانت حقوقه علينا عظيمة، فالذي لا يصلي عليه صلى الله عليه وسلم إذا ذكر ليجدر بكل وعيد، ويحق بكل إنذار.

وقد جاءت في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فضائل كثيرة، فالحرمان منها يعد شقاء بعينه، وأي فضل أعظم من أن: من صلى عليه (صلى الله عليه وسلم) واحدة صلى الله تبارك وتعالى عليه عشراً، وقد وردت له صلاة الملائكة، ومغفرة الذنوب، ورفع الدرجات، وحصول الثواب مثل جبل أحد، ووجوب شفاعته صلى الله عليه وسلم له، ورضاء الله عزوجل عنه، ورحمته له، والأمان من غضبه، والنجاة من هول القيامة، ورؤية مقعده في الجنة في الحياة، وغيرها من الوعود والبشارات على مقادير معينة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلاوة على ذلك يزول عنه الضيق في الرزق والفقر، ويستحق القرب من النبي صلى الله عليه وسلم، والظفر على العدو، ويطهر قلبه من النفاق

وأخرج أيضاً ابن السني برقم: ٣٨٢ عن الحسين رضي الله عنه مرفوعاً: إن البخيل من ذكرت عند فلم يصل علي، وأخرجه الترمذي برقم: ٣٥٤٦ في الدعوات، وقال: حسن صحيح غريب انتهى، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ١/٧٣٤ برقم: ٢٠١٥/٢١٥ وأخرجه الطبراني في المعجم ٣/١٢٧ برقم: ٢٨٨٥ وقال الحافظ في الفتح في الموضع المذكور آنفاً: لا يقصر عن درجة الحسن. وأخرج ابن ماجه برقم: ٩٠٨ في إقامة الصلاة عن ابن عباس مرفوعاً: من نسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة، وضعف البوصيري إسناده من أجل جبارة بن المغلس، وله شاهد بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة عند البيهقي في الشعب برقم: ١٤٧٢ و: ١٤٧٣

وذكر له الحافظ شاهداً من حديث جابر عند ابن أبي حاتم ومن حديث حسين بن علي عند الطبراني ثم قال: وهذه الطرق يشد بعضها بعضاً، انتهى قوله وانظر حديث حسين في الطبراني ٣/١٢٨ برقم: ٢٨٨٧

وأخرج الحارث بن أسامة في مسنده ٢/٩٦٣برقم: ١٠٦٤ عن عوف بن مالك مرفوعاً: أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي.

وأخرج عبد الرزاق في المصنف ٢/٢١٧ برقم: ٣١٢١ عن محمد بن علي مرسلاً: من الجفاء أن أذكر عند رجل فلا يصلي علي.

وأخرج الطبراني برقم: ١٢٥٥١ ج/١٢، ص: ٨٤ عن ابن عباس في قصة المنبر مرفوعاً: إنه من ذكرت عنده فلم يصل عليك دخل النار، فأبعده الله وأسحقه فقلت: آمين الحديث.

والزين والصدأ، ويحبه الناس، ويستحق بشائر أخرى كثيرة على كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما جاءت بها الأحاديث.

وقد صرّح الفقهاء بأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجب في العمر مرة، واتفق على ذلك العلماء جميعاً على اختلاف المذاهب، واختلفوا في هل يجب كلما ذكر أو يستحب على القولين.

الثالث: من أدرك أبويه الكبر أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، أي: لم يخدمهما خدمة تدخله الجنة، وقد أكدت الأحاديث الكثيرة حقوق الوالدين، وقال العلماء: إنه تجب طاعتهما في الأمور المباحة، ويجب عليه أن لا يُسيء الأدب معهما، ولا يعاملهما معاملة التكبر، والأنفة، ولو كانا مشركين، ولا يرفع صوته فوق صوتيهما، ولايناديهما باسميهما، ولايقدم بين أيديهما في أي أمر، ويرفق بهما في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإذا لم يقبلا لا يترك الإحسان بهما، ويدعو لهما بالهدى، والغرض أن يلاحظ أدبهما وحرمتهما.

وقد جاء في الحديث: "الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه" (١).

وسأله رجل فقال: يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: "هما جنتك ونارك" (٢).

وجاء في حديث: "ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كتب الله بكل نظرة حجة مبرورة، قالوا: وإن نظر كل يوم مائة مرة، قال: نعم! الله أكثر وأطيب" (٣).

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء برقم: ١٩٠٠ في البر والصلة، وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الأدب باب بر الوالدين برقم: ٣٦٦٢ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف، وقال الساجي: اتفق أهل النقل على ضعف علي بن يزيد. انتهى

(٣) عزاه الهندي في كنز العمال إلى الحاكم في تاريخه وابن النجار عن ابن عباس، وعزاه في موضع آخر إلى الرافعي.

وأخرج الطبراني في الكبير ٢٣٩/١١ برقم: ١١٦٠٨ وفي الأوسط برقم: ٨٦٤٦ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا نظر الوالد إلى ولده فسره، كان للولد عتق نسمة، قيل: يا رسول الله! وإن نظر ستين وثلاث مائة نظرة، قال: الله أكبر، وقال الطبراني في روايته في الأوسط: تفرد به الليث. انتهى وحسّنه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٩/٨، وضعفه محققا الكبير والأوسط.

وفي حديث آخر: "بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق"(١).

وعن عبد الله بن عمرو قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد، فقال: ألك والدان؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد"(٢).

وفي حديث آخر: "رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد" إلى غيرها من الأحاديث (٣).

وقد بينت الشريعة الغراء لمن غفل عن حقوقهما حتى ماتا، كيف يمكنه أن يتلافى الأمر حتى يعد من البارين، فجاء في حديث: "إن الرجل يموت والده أو أحدهما، وإنه لعاق، فلا يزال يدعولهما، ويستغفرلهما، حتى يكتبه الله براً"(٤).

وفي حديث آخر: "إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي" (٥).

(٤) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً وحضرنا رمضان: أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى

---

(١) أخرجه الحاكم ١٩٦/٤ برقم: ١١١/٧٣٥٠ عن أنس وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: ١٦٧١ عن عبد الله بن عمرو، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وله شواهد عن أبي سعيد الخدري عند ابن حبان برقم: ٤٢٢

وعن ابن عباس كما أشار إليه الترمذي، وأخرجه الطبراني في الكبير برقم: ١٢١٦٣ ج/١١، ص: ٤١٠ عنه قال: جاء رجل وأمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يريد الجهاد، وأمه تمنعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عند أمك قر، فإن لك من الأجر عندها مثل مالك في الجهاد، الحديث طويل، وفيه رشدين بن كريب وهو ضعيف جداً.

(٣) أخرجه الترمذي في البر والصلة عن عبد الله بن عمرو برقم: ١٨٩٩ مرفوعاً وموقوفاً، وقال: الموقوف أصح، ولا نعلم أحداً رفعه غير خالد بن الحارث عن شعبة وهو ثقة مأمون انتهى.

(٤) عزاه الهندي في كنز العمال برقم: ٤٥٥٣٤ إلى ابن عساكر عن أنس وقال: فيه يحيى بن عقبة، كذبه ابن معين، وانظر تاريخ دمشق ٣٤٤/٢٤.

وجاء فيما رواه أبو داود برقم: ٥١٤٢ في الأدب عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأله رجل: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم! الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما.

(٥) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٥٢ وأبو داود برقم: ٥١٤٣ في الأدب والترمذي برقم: ١٩٠٣ في البر والصلة عن ابن عمر، وقال الترمذي: هذا إسناد صحيح، وأشار الترمذي إلى حديث أبي أسيد المتقدم قبله.

تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عزوجل.

[رواه الطبراني ورواته ثقات إلا أن محمد بن قيس لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل كذا في الترغيب] (١).

شرح الحديث:

التنافس يعني: أن يسعى المرء أن يفوق صاحبه في العمل، فيبذل له جهده، ويبلي فيه بلاءه، إنني وإن كنت مقصراً في العمل بنفسي أرى إلى نساء بيتي بالسرور والرضا وهن يتنافسن فيما بينهن، ولا سيما في التلاوة، فتتلو إحداهن نصف القرآن أو ثلثيه من غير تكلف، وذلك مع القيام بشؤون البيت ومؤَن الأهل، أقول ذلك تحديثاً بالنعمة ولا فخر، زاد الله توفيقاً وعملاً.

(٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة، يعني في رمضان، وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة. [رواه البزار كذا في الترغيب] (٢).

شرح الحديث:

قد وردت أحاديث عديدة بأن دعوة الصائم تستجاب، وفي بعض الأحاديث أن الدعاء يستجاب عند الإفطار(٣).

---

(١) انظر الترغيب والترهيب٢/٦٩ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٤٥: رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن أبي قيس ولم أجد من ترجمه.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار برقم: ٩٦٢ مسنداً، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٤٦: رواه البزار، وفيه أبان بن أبي عياش، وهو ضعيف، وقد أشار المنذري بعلامته إلى ضعفه، حيث صدره بقوله: وروي عنه وأهمل الكلام عليه في آخره. انظر الترغيب٢/٧٢.

لكن ثبت إجابة دعوة الصائم بأحاديث أخرى كما سيأتي.

وأما قوله: إن لله عتقاء فقد أخرج ابن ماجه في الصيام برقم: ١٦٤٣ عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله عند كل فطر عتقاء، وذلك كل ليلة.

قال البوصيري في زوائده ص: ٢٤١ برقم: ٥٦٣: إسناد حديث جابر رجاله ثقات إلا أن طلحة بن نافع عن جابر إنما هي صحيفة قاله شعبة، وذكر البزار أن الأعمش لم يسمع من أبي سليمان طلحة ابن نافع وهذا غريب، فإن روايته عنه في الكتب الستة، وهو معروف بالرواية، رواه البزار في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري، وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه الترمذي وابن ماجه، وروى الإمام أحمد منه الجملة الأولى من حديث أبي أمامة انتهى قول البوصيري.

(٣) أخرج ابن ماجه في الصوم برقم: ١٧٥٣ عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد، قال البوصيري ص: ٢٥٤ برقم: ٥٩٤ من زوائده: هذا إسناد صحيح، إسحاق بن

لكننا نتداعى عند ذلك على الفطور، ونغفل عن كل شيء حتى ننسى أن نأتي بالذكر المأثور عنده، فضلاً عن الدعاء.

وقد اشتهر على الألسنة دعاء الإفطار: اللهم لك صمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وعلى رزقك أفطرت (١).

والذكر الوارد في الأحاديث عند الإفطار هو: بسم الله، اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت (٢).

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول عند الإفطار: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي.

وقد ورد في بعض الكتب عن النبي صلى الله عليه وسلم: يا واسع الفضل اغفرلي (٣).

عبد الله بن الحارث بن كنانة المدني قال النسائي: ليس به بأس، قال أبو زرعة: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد على شرط البخاري انتهى. وحسّنه الحافظ كما نقله ابن علان في شرح الأذكار ٤/٣٤٢.

(١) قال القاري في المرقاة ٤/٢٥٨: أما ما اشتهر على الألسنة: "اللهم لك صمت، وبك آمنت، وعلى رزقك أفطرت"، فزيادة "وبك آمنت" لا أصل لها، وإن كان معناها صحيحاً، وكذا زيادة و"عليك توكلت، ولصوم غد نويت" انتهى.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٧٥٤٩ عن أنس قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٥٩: فيه داود بن الزبرقان، وهو ضعيف.

وأخرج في الكبير ١٢/١٤٦ برقم: ١٢٧٢٠ عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: لك صمت وعلى رزقك أفطرت، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم. قال الهيثمي ٣/١٥٩: فيه عبد الملك بن هارون وهو ضعيف.

وأخرجه أبو داود عن معاذ بن زهرة مرسلاً برقم: ٢٣٥٨ وانظر شرح الأذكار لابن علان ٤/٣٤١ والمرقاة ٤/٢٥٨ في كتاب الصوم، فقد ذكرا عن الحافظ تقوية لأمره، وأنه يمشي في الفضائل والله أعلم.

وأخرج أبو داود عن ابن عمر برقم: ٢٣٥٧ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله، حسنه الحافظ كما نقله ابن علان ٤/٣٣٩

وقال ابن علان: قال في الخادم: قال الشريف أبو العباس العراقي في كتاب عمدة التنبيه: وزاد فيه الإمام محي الدين يوسف بن الجوزي: وعليك توكلت، سبحان الله وبحمدك، أنت السميع العليم ورفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم اهـ ولم أر لغيره فيه كلاماً، انتهى قول ابن علان.

(٣) انظر حديث ابن ماجه برقم: ١٧٥٣ عن عبد الله بن عمرو وطرفه الأخير: أن عبد الله بن عمرو ابن العاص كان يقول عند فطره: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفرلي، وتقدم توثيق البوصيري لرجال إسناده وتصحيحه له آنفا.

وأما "يا واسع الفضل اغفرلي" فقد قال ملا علي القاري في المرقاة ٤/٢٥٨ في كتاب الصوم باب في مسائل متفرقة من الصوم الفصل الثاني: ورد أنه عليه السلام كان يقول: يا واسع الفضل اغفرلي انتهى.

وهناك أدعية وأذكار أخرى، وعلى كل فينبغي أن ندعو لحاجاتنا، ويلتمس هذا العبد المذنب أن تذكروه في دعواتكم.

(٦) و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين.

[رواه أحمد في حديث، والترمذي وحسنه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، كذا في الترغيب] (١).

شرح الحديث:

أورد في الدر المنثور عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل رمضان، تغير لونه، وكثرت صلاته، وابتهل في الدعاء، وأشفق منه" (٢).

وفي أخرى عنها أنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل شهر رمضان، شد مئزره، ثم لم يأت فراشه حتى ينسلخ" (٣).

قال عبد الرشيد: أخرج ابن المبارك في الزهد ص: ٤٩٤ برقم: ١٤٠٩ من طريق بقية بن الوليد قال: حدثني الحارث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل صائم دعوة، فإذا هو أراد أن يفطر، فليقل عند أول لقمة: يا واسع المغفرة اغفرلي، وهو معضل مرسل.

وأخرج ابن عدي في الكامل ١/٢٧٩--٢٨٠ في ترجمة محمد بن إسحاق البلخي من طريقه عن محمد ابن سليمان نا محمد بن يزيد بن خنيس نا عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال: كان يقال: لكل مسلم دعوة مستجابة عند إفطاره، قال: فكان ابن عمر يقول إذا أفطر: يا واسع المغفرة اغفرلي.

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم: ٣٥٩٨ وابن ماجه في الصوم برقم: ١٧٥٢ وابن خزيمة برقم: ١٩٠١ وقال الترمذي: هذا حديث حسن، انتهى.

وحسنه الحافظ فيما نقله ابن علان في الفتوحات الربانية ٣٣٨/٤

قال النووي في الأذكار: دعوة الصائم حتى يفطر، هكذا الرواية "حتى" بالتاء المثناة فوق انتهى.

نقل ابن علان ٣٣٨/٤ عن الحافظ أنه قال: كأنه يريد الإشارة إلى أنها وردت بلفظ "حين" بدل "حتى" وهو كذلك، ثم أخرجه الحافظ بسنده إلى الطبراني من حديث أبي هريرة قال: فذكر الحديث مثله لكن قال: والصائم حين يفطر.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٣٥٣، وأبو القاسم الأصفهاني في كتاب الترغيب والترهيب برقم: ١٧٤٩ ج/٢ص: ٧٢١، وفي إسناده محمد بن عبد المجيد التميمي ضعيف.

(٣) أخرجه ابن خزيمة برقم: ٢٢١٦ والبيهقي في الشعب برقم: ٣٣٥٢ ورجاله ثقات إلا أن المطلب بن عبد الله مدلس، وقد عنعن، وثبت في الصحيحين عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان أيقظ أهله، وأحيا الليل، وشد المئزر.

وكذلك جاء كثير من الأحاديث باستجابة دعوة الصائم، ولا مرية في أن وعد الله الذي وُعده، وبلغه إلينا عنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، لا خُلف فيه، وأنه يتحقق البتة.

وليُعلم أنه إذا دعا أحد منا دعوة لتحقيق غرض من الأغراض، ثم لم يتحقق ذلك، فلا يظن أن الدعوة ما استجيبت له، وما عادت بالجدوى، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطعية رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نكثر قال: الله أكثر" (١).

وجاء في حديث: "يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول: عبدي إني أمرتك أن تدعوني، ووعدتك أن أستجيب لك، فهل كنت تدعوني؟ فيقول: نعم يا رب!

فيقول: أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجيب لك، فهل ليس دعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فرجت عنك؟ فيقول: نعم يا رب! فيقول: فإني عجلتها لك في الدنيا، ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أفرج عنك فلم تر فرجاً، قال: نعم يا رب! فيقول: إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له، إما أن يكون عجل له في الدنيا، وإما أن يكون ادخر له في الآخرة، قال: فيقول المؤمن في ذلك المقام: يا ليته لم يكن عجل له في شيء من دعائه" (٢).

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري برقم: ١١١٣٣، والبزار برقم: ٣١٤٤ من كشف الأستار، وأبو نعيم في الحلية ٣١١/٦، والحاكم في المستدرك ٦٧٠/١ برقم: ١٦/١٨١٦ وصححه، ووافقه الذهبي، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الترمذي في الدعوات باب انتظار الفرج برقم: ٣٥٧٣ وقال: حسن صحيح انتهى.

(٢) أخرجه الحاكم ٦٧١/١ برقم: ١٩/١٨١٩عن جابر بن عبدالله وقال: هذا حديث تفرد بالفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر، ومحل الفضل بن عيسى محل من لا يتهم بالوضع، ووافقه الذهبي على هذا القول، فقال مثله.

والحاصل أن الدعاء شيء مهم جداً ونافع جداً، والإهمال فيه والتغافل عنه خسران مبين، فالواجب على العبد أن يلهج بالدعاء، ويواظب عليه، وإذا لم ير أثر الدعاء، فلا يستحسر، ولايُسئ الظن، ولا يدع الدعاء.

ويفهم من الحديث الطويل الذي سيأتي في نهاية هذه العجالة أن الله سبحانه وتعالى إنما يراعي في ذلك أيضاً مصالح العبد، فإذا كان الشيء الذي سأله، يوافقه وينفعه أعطاه إياه، وإن كان غير ذلك يمنعه، وتلك رحمة من الله سبحانه وتعالى بنا، فإننا قد نسأل الأشياء التي هي في الواقع تضرنا.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن كثيراً منا ـ ولا سيما النساء ـ وقعوا في عادة ذميمة، وهي أنهم قد يدعون على أولادهم وأهلهم إذا غضبوا و أسِفوا، وذلك أمر خطير فليعلموا أن هناك أوقاتاً خاصة لإجابة الدعاء، يُعطى فيها العبد ما سأل، فهؤلاء الحمقى يدعون بأنفسهم على أولادهم، وإذا أصابهم شيء أو ماتوا، ظلوا طول الحياة يجزعون ويبكون، وما درَوا أنهم أُتُوا من قِبل أنفسهم، وأن ذلك نتيجة لدعائهم عليهم.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لاتوافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم" (١).

وعن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذاكر الله في رمضان يغفر له، وسائل الله فيه لا يخيب" (٢).

وفي الترغيب: عن ابن مسعود في حديث: "نادى مناد من السماء كل ليلة (من رمضان) إلى انفجار الصبح: يا باغيَ الخير يمم وأبشر، ويا باغي الشر أقصر وأبصر، هل من مستغفر يغفر له؟ هل من تائب يتوب عليه؟ هل من داع

(١) أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه برقم: ٣٠٠٩ في الزهد والرقائق ضمن حديث طويل.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٧٣٤١ وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٣٥٥ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٦/٣: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه هلال بن عبد الرحمن، وهو ضعيف انتهى.

قلت: وفيه عبد الرحمن بن قيس الضبي أيضاً الراوي عن هلال، وهو متروك، واتهم بالكذب، فقد قال الذهبي في الميزان ٥٨٣/٢: كذبه ابن مهدي، وأبو زرعة.

يستجاب له؟ هل من سائل يعطى سؤله؟" (١).

ومما يجدر بالذكر أن هناك آداباً وشروطاً لإجابة الدعاء، وأنه قد يرد الدعاء بسبب تخلفها، ومن هذه الشروط: الاهتمام بالحلال، واجتناب الحرام.

فقد جاء في الحديث: "ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام وغُذِي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك" (٢).

وذكر المؤرخون أنه كان في الكوفة جماعة من الصالحين المستجابين، وإذا ولي عليهم حاكم جائر وظلم دعوا عليه فهلك، فلما ولي الحجاج الثقفي، صنع طعاماً، ودعاهم بوجه خاص إليه، فلما أكلوا وفرغوا قال: إني قد أمنت هؤلاء على نفسي، فقد دخل الحرام في بطونهم.

هذا، ولنلق نظرة بهذا الموضع على مانزعمه حلالاً، والحال أنه تجري في مجتمعنا محاولات تبرير الربا، ولا يتحرج الموظفون عن الرشوة ولا التجار عن الغرر.

(٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين (٣).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٣٣٤ قال المنذري في الترغيب والترهيب٧٢/٢: رواه البيهقي، وهو حديث حسن لا بأس به في المتابعات، في إسناده ناشب بن عمرو الشيباني وثق، وتكلم فيه الدارقطني انتهى، وذكره الحافظ في لسان الميزان ١٤٣/٦ في ترجمة ناشب، وقال: فيه زيادات منكرة انتهى.

قلت: الزيادة المنكرة التي أشار إليها الحافظ قد حذفها الشيخ رحمه الله، وذكر من الحديث الجزء الذي قد روي من طرق أخرى، وأما الزيادة المنكرة فهي وقد أوردها الحافظ في لسان الميزان: وله عزوجل عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة عتقاء من النار ستون ألفاً، فإذا كان يوم الفطر أعتق مثل ما أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفاً ستين ألفاً.

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة برقم: ١٠١٥ والترمذي في التفسير برقم: ٢٩٨٩ عن أبي هريرة، وقال: حسن غريب، وإنما نعرفه من حديث فضيل بن مرزوق.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم: ٣٤٦٧ والطبراني في الأوسط برقم: ٦٤٣٤ وقال: لم يرو هذا الحديث عن نافع إلا عبد الله بن سليمان، ولا عنه إلا عبد الله بن عياش، و لا عنه إلا إدريس بن يحيى انتهى.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٣/٣: رواه الطبراني في الأوسط، وقال: تفرد به يحيى بن يزيد الخولاني، ولم أجد من ترجمه. انتهى

قلت: أخطأ الهيثمي فإنه إدريس بن يحيى الخولاني، وقد نبه عليه محقق ابن حبان شعيب الأرناؤوط.

وللحديث شاهد من حديث أبي سعيد عند أحمد ١٢/٣ قال الهيثمي ١٥٣/٣: فيه أبو رفاعة ولم أجد من وثقه ولا جرحه، وبقية رجاله رجال الصحيح. وعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

رواه الطبراني في الأوسط، وابن حبان في صحيحه كذا في الترغيب.

شرح الحديث

ذلك من لطف الله عزوجل أنه جعل التسحر الذي هو عبارة عن تناول الطعام والشراب قبل بدء الصوم ذريعة إلى الثواب والأجر للمؤمن، وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان فضله وأجره، وقد أورد العلامة العيني في ذلك أحاديث عن سبعين من الصحابة وذكر أن الإجماع منعقد على استحبابه.

وهناك كثير من الناس يحرمون أجره لتكاسلهم، وبعض الناس يأكلون بعد التراويح، ثم ينامون، فهم كذلك محرومون ثوابَه، لأن السحور في اللغة: ما يؤكل في السحر، كما في القاموس.

وقال بعضهم: يبتدئ وقته من نصف الليل، وذهب صاحب الكشاف إلى أن وقته هو السدس الأخير من الليل، فلو كان الليل يطول مثلا اثنتي عشرة ساعة، كانت الساعتان الأخيرتان وقت السحور، والتأخير فيه أولى بشرط أن لايشك في طلوع الفجر الصادق.

وهناك أحاديث كثيرة في فضل السحور، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر" (١).

وقال في حديث: "تسحروا فإن في السحور بركة" (٢).

وفي حديث: "البركة في ثلاثة: في الجماعة والثريد والسحور" (٣).

والمراد بالجماعة هنا: ما يشمل الصلاة بالجماعة، وكل أمر من أمور المسلمين يقومون به على مستوى الجماعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا أحداً إلى السحور قال: "هلم إلى الغداء المبارك" (٤).

أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على المتسحرين، عزاه الهيثمي في المجمع ١٥٤/٣ إلى البزار والمعجم الكبير، وقال: فيه عبد الله بن صالح، وثقه عبد الملك بن شعيب بن الليث، وضعفه الأئمة.

(١) أخرجه مسلم عن عمرو بن العاص برقم: ١٠٩٦.

(٢) أخرجه البخاري برقم: ١٩٢٣ ومسلم برقم: ١٠٩٥ عن أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٥١/٦ برقم: ٦١٢٧ عن سلمان رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٤/٣: فيه أبو عبد الله البصري قال الذهبي: لا يعرف، وبقية رجاله ثقات، وقال المنذري في الترغيب ٩٣/٢: رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقات، وفيهم أبو عبد الله البصري، لا يدرى من هو.

(٤) أخرج ابن حبان برقم: ٣٤٦٤ عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو الغداء المبارك يعني: السحور. ←

وجاء في حديث: "استعينوا بطعام السحور على صيام النهار، والقيلولة على قيام الليل" (١).

وعن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال: إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه" (٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: "السحور بركة، فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء" (٣).

وقال: "نعم السحور التمر" (٤).

ونظراً إلى ذلك ينبغي للصائم أن يهتم بالتسحر، ولا يتساهل فيه، فإنه يجمع بذلك بين الأجر وبين راحة نفسه، لكن الذي يجدر بالرعاية أن يبتعد عن الإفراط والتفريط، فإنهما يضران في أي أمر كانا، فعليه ألا يقل من الطعام حتى يحس بالضعف والخوَر في الجسم، فيضعف عن العبادة، ولا يكثر منه حتى يظل يتجشأ سحابة يومه. فقد وردت أحاديث كثيرة تحذر عن الأكل الكثير.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح البخاري: "إن البركة في

وأخرجه أيضاً برقم: ٣٤٦٥ عن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى السحور في شهر رمضان، فقال: هلموا إلى الغداء المبارك، وقد أخرجه أبو داود برقم: ٢٣٤٤: قال المنذري في الترغيب ٩٣/٢: الحارث بن زياد لم يرو عنه غير يونس بن سيف، وقال ابن عبد البر: مجهول يروي عن أبي رهم، وحديثه منكر انتهى.

وأخرج النسائي برقم: ٦١٦٦ عن خالد بن معدان عن المقدام بن معديكرب مرفوعاً: عليكم بغداء السحور، فإنه هو الغداء المبارك، فالحديث بمجموع الطرق صحيح.

(١) أخرجه ابن ماجه في الصيام برقم: ١٦٩٣. والحاكم في المستدرك ٥٨٨/١ برقم: ١٥٥١/٢٠ عن ابن عباس من طريق زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وقال الحاكم: إنهما ليسا بالمتروكين، وهذا من غرر الحديث في هذا الباب، ووافقه الذهبي على قوله: إنهما ليسا بالمتروكين.

(٢) أخرجه النسائي في الصيام برقم: ٢١٦٢ وحسنه المنذري في الترغيب ٩٤/٢.

(٣) أخرجه أحمد ١٢/١ عن أبي سعيد قال الهيثمي ١٥٣/٣: فيه أبو رفاعة ولم أجد من وثقه ولا جرحه، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال المنذري في الترغيب ٩٤/٢: إسناده قوي. انتهى.

وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: تسحروا ولو بجرعة من ماء. أخرجه ابن حبان برقم: ٣٤٧٦ بإسناد حسن.

وعن أنس عند أبي يعلى كما عزاه الهيثمي في المجمع ١٥٣/٣ وقال: فيه عبد الواحد بن ثابت وهو ضعيف.

(٤) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة برقم: ٢٣٤٥ بإسناد صحيح.

السحور تحصل بجهات متعددة، وهي: اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوّي به على العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع، والتسبب للصدقة على من يسأل إذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل، والتسبب للذكر والدعاء وقت مظِنة الإجابة، وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام"(١).

وقال ابن دقيق العيد: "وقع للمتصوفة في مسألة السحور كلام من جهة اعتبار حكمة الصوم وهي: كسر شهوة البطن والفرج، والسحور قد يباين ذلك، والصواب أن يقال: ما زاد في المقدار حتى تنعدم هذه الحكمة بالكلية فليس يستحب، كالذي يصنعه المترفون من التأنق في المأكل وكثرة الاستعداد لها، وما عدا ذلك تختلف مراتبه"(٢).

ويرى هذا العبد الضعيف كذلك أن الأصل في السحور والإفطار إنما هو التقليل، لكنه يصلح للتغيير حسب الحاجة، فلا ينبغي لمعشر الطلبة أن يتقللوا فيه، وذلك لأنه يخل بتحصيلهم للعلم الديني إلى جانب نفعه في مقاصد الصوم، ومكانة العلم في عين الشريعة أهم وأعظم. وكذلك كل من يخاف الضعف والإخلال في الأعمال الدينية التي هو مقبل عليها، فله أن لا يتقلل في السحور والإفطار.

ذات مرة قال النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة: "ليس من البر الصيام في السفر" (٣) وذلك في صوم رمضان.

وأما في غير ذلك فالأحسن أن يتقلل الصائمون في السحور، ونقل في شرح الإقناع عن الشعراني أنه قال: أخذت منا العهود أن لا نأكل حتى الشبع، ولا سيما في ليالي رمضان.

ومن ثم فيستحسن أن يقلل في أطعمة رمضان عن الحد الذي كان يأكل في غيره من الشهور، فإن الذي يشبع في السحور والإفطار، ويملأ بطنه، ماذا

(١) انظر فتح الباري كتاب الصوم باب: ٢٠ رقم الحديث: ١٩٢٣.
(٢) نقله الحافظ في الفتح في الموضع المذكور سابقا.
(٣) أخرجه ابن ماجه برقم: ١٦٦٥ في الصيام وابن حبان برقم: ٣٥٤٨ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه البوصيري في زوائد ابن ماجه ص: ٢٤٢ برقم: ٥٦٩.

يجني من بركات الصوم ومنافعه؟ وأرشد المشايخ إلى أن من جاع في رمضان صار في أمن وحرز من تسلط الشيطان عليه.

ونقل في شرح الإحياء عن العوارف أن سهل بن عبد الله التستري كان يتناول الطعام في خمسة عشر يوماً مرة، وكان في رمضان يأكل كل يوم لقمة، وكان يفطر على الماء لكي لا يفوته اتباع السنة (١).

وحُكي عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام، فإذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم ويقول: ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم(٢).

(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر.

[رواه ابن ماجه واللفظ له، والنسائي، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وقال: على شرط البخاري، ذكر لفظهما المنذري في الترغيب بمعناه] (٣).

شرح الحديث:

للعلماء في شرح هذا الحديث أقوال، منها: أن المراد به من يصوم ويفطر على الحرام، فإن وزر أكل الحرام يأتي على جميع الأجر الذي كان في صومه، فلم يحصل له من صومه إلا الجوع والعطش.

ومنها أن المراد به: من يصوم، ثم يغتاب الناس، ويقع في أعراضهم، ومنها أن المعنيّ به: من لا يحترز في صومه عن المعاصي، والحق أن قول النبي صلى الله عليه وسلم جامع يشمل هذه الأقوال كلها وغيرها كذلك، وقُل مثل ذلك في الشطر الثاني من الحديث، فإن الشخص الذي قام ليلة يعبد الله عزوجل

(٢) جاء في الإحياء٣/٨٣: وكان سهل بن عبد الله التستري يطوى نيفا وعشرين يوما لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم
(٢) انظر قصة الجنيد في عوارف المعارف ملحق بإحياء علوم الدين ج/٥ص: ١٧١، وأما خبر التستري فلم أجده.
(٣) أخرجه ابن ماجه برقم: ١٦٩٠ قال البوصيري في زوائده ص: ٢٤٨ برقم: ٥٧٨: عزاه المزي للنسائي وليس في روايتنا انتهى، وأخرجه الحاكم ١/٥٩٦ برقم: ١٥٧١/٤٠ وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، ولفظه: رب صائم حظه من صيامه الجوع، ورب قائم حظه من قيامه السهر، وأخرجه ابن خزيمة ١/٢٤٢ برقم: ١٩٩٧ بمثله وزاد: والعطش.

إلا أنه وقع في شيء من الغيبة أيضاً للتسلية، أو ارتكب أي نوع من الحماقة فقد يبطل عمله كله، كمن ترك صلاة الصبح، أو قام يرائي ويطلب السمعة، فلا أجر في قيامه.

(٩) عن أبي عبيدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الصيام جنة ما لم يخرقها.

[رواه النسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم، وصححه على شرط البخاري، وألفاظهم مختلفة حكاها المنذري في الترغيب] (١).

شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وسلم: "الصيام جنة" يعني: أن الجنة يقي بها المرء نفسه في المعركة، كذلك الصوم يحفظ به المسلم نفسه من عدوه المبين ألا! وهو الشيطان.

جاء في حديث: "الصوم جنة يستجن بها العبد من النار" (٢).

وفي أخرى: "الصوم جنة من عذاب الله"(٣).

وجاء في حديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصوم جنة ما لم يخرقها، قيل: وبم يخرقه؟ قال: بكذب أو غيبة" (٤).

يؤكد هذان الحديثان وما يشبههما من الأحاديث الاحترازَ من الغيبة وقول الزور ونحوهما من السيئات، واعتبرت هذه الأمور مضيعة للصيام ومناقضة له، ونحن المسلمين في عصرنا هذا نخوض في اللغو، وما لا يعني من الكلام، والغيبة، ونجعلها ملهاة، ومسلاة، ومشغلة لإزجاء الوقت، فليُعلم: أن الكذب والغيبة يفطران الصوم عند بعض العلماء، وهما عندهم

---

(١) أخرجه النسائي برقم: ٢٢٣٣ كتاب الصوم، وابن خزيمة برقم: ١٨٩٢ عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٣٠٨ عن جابر، وفيه ابن لهيعة ولكنه من رواية عبد الله بن وهب عنه وهي معتبرة، وعزاه الهيثمي إلى أحمد، وقال: إسناده حسن ١٨٣/٣

(٣) أخرجه أحمد ٢١٧/٤ والبيهقي في الشعب برقم: ٣٣٠٧ عن عثمان بن أبي العاص وإسناده لا بأس به، رجاله موثقون، وجاء في حديث عن أبي هريرة مرفوعاً: الصيام جنة وحصن حصين من النار، عزاه الهيثمي ١٨٣/٣ إلى أحمد وقال: إسناده حسن.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٤٥٣٦٥ و: ٧٨١٤ عن أبي هريرة وقال: لم يروه عن يونس إلا الربيع بن بدر، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٤/٣: هو ضعيف.

كالأكل والشرب، وأما الجمهور فلا ينتقض بهما عندهم الصوم إلا أنه لا مرية في أن المرء يُحرم بهما بركات الصوم وثماره.

وأرشد المشايخ في آداب الصوم إلى ستة أمور، ينبغي للصائم أن يهتم بها ويراعيها، وهي كالتالي:

الأول: حفظ البصر أن لا يقع على غير محله، حتى يجتنب أن ينظر إلى امرأته بشهوة، فضلاً عن الأجنبية، وكذلك عليه أن يحفظ بصره من اللهو، والرفث، واللغو، وما لا يجوز، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله، أثابه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه" (١).

وقد أشار بعضهم إلى أن كل ما يصرف المرء عن الله عزوجل ينبغي للصائم أن لا ينظر إليه، ولا يلتفت إليه.

الأمر الثاني: حفظ اللسان، وهو يعني: اجتناب الهذيان، والكذب واللغو، والنميمة، والغيبة، والفحش في الكلام، والجفاء، والخصومة، والمراء، فقد جاء فيما رواه البخاري: "الصيام جنة، فلا يرفث، ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين"(٢) يعني: ينبهه إن كان من العقلاء، وإن كان سفيهاً بليداً، فليقل ذلك لنفسه وينبهها على أن الصوم يأبى الوقوع في اللجاج والخصام.

وعلى الصائم أن يبتعد عن قول الزور والغيبة بصورة خاصة، لأن بعض العلماء ذهبوا إلى أنهما يفطران الصوم كما تقدم، وقد روي:

"أن امرأتين كانتا صائمتين، فكانتا تغتابان الناس، فدعا رسول الله صلى الله عليه بقدح، فقال لهما: قيئا، فقاءتا قيحاً ودماً، وفي رواية: قال لأحدهما: قيئي فقاءت قيحاً أو دماً، وصديداً ولحماً، حتى قاءت نصف القدح، ثم قال للأخرى، قيئي فقاءت من قيح ودم، وصديد ولحم وغيره،

---

(١) أخرجه الحاكم ٣٤٩/٤ برقم: ٣٢/٧٨٧٥ عن حذيفة وصححه، وتعقبه الذهبي بأن إسحاق بن عبد الواحد القرشي واه، وعبد الرحمن الواسطي ضعّفوه.

(٢) أخرجه البخاري في الصوم برقم: ١٨٩٤ ومسلم برقم: ١١٥١عن أبي هريرة

حتى ملأت القدح، ثم قال صلى الله عليه وسلم: إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرّم الله عزوجل عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس" (١).

وتفيد هذه القصة أن الغيبة وما يشبهها من الذنوب والمعاصي تؤدي إلى الشدة، والعناء، والضعف، والخور، فيشتد الصوم على المرء، كما كان حال المرأتين في القصة المذكورة آنفا، والتجربة تصدق ذلك وتؤيده، فقد شاهدنا أن الصالحين المتقين لا يجدون في الصوم عناء ما، بينما يعاني الفجار والعصاة منه معاناة شديدة، فجدير بمن يود الخفة في الصوم، والراحة، أن يجتنب المعاصي والآثام، ولا سيما الغيبة، وقد أصبحت اليوم مسلاة للناس يتسلون بها في الصوم، ويُزجون الأوقات، وجاء في القرآن الكريم والحديث النبوي تحذير شديد ووعيد أكيد في هذا الباب، فقد اعتبر القرآن الغيبة تناول لحم الأخ ميتاً كما قال الله عزمن قائل:

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات١٢]

والأحاديث الشريفة تؤيد ذلك وتؤكده، فقد جاء في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض القوم: "كأني أنظر إلى خضرة لحم زيد في أسنانكم، فقالوا: أي رسول الله! فاستغفر لنا فاستغفر لهم" (٢).

رحمنا الله تعالى وحفظنا! فإننا مفرطون متساهلون في ذلك جداً، وخواصنا واقعون في هذا البلاء، فضلاً عن العوام، ولا تخلو مجالس أهل الصلاح والديانة منا من الغيبة، دع عنك أمر الذين يعتبرون من أهل الدنيا، وكان ضغثا على إبالة أنهم لا يعتبرون ما يأتون به غيبة، ولا يتحرجون منها، وإذا تحرج أحد أو تورع قيل: إنما هو الإبانة عن الحقيقة، وإظهار الواقع، وليس غيبة.

---

(١) أخرجه أبو يعلى عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: ١٥٧٦ وأحمد برقم: ٢٣٦٥٣ وإسناده ضعيف، لأن سليمان التيمي يروي عن رجل مبهم، وله شاهد عن أنس رضي الله عنه عند الطيالسي في مسنده برقم: ٢٢٢١، وأبي نعيم في الحلية ٣٠٩/٦ وإسناده ضعيف أيضاً من أجل ربيع ابن صبيح ويزيد بن أبان.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن زيد بن ثابت ٣٣٢/٤ برقم ٢١/٧٨٢٠ وصححه، وتعقبه الذهبي بأن إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت ضعفوه، وفي الحديث قصة.

فقد جاء في الحديث: أنه "قيل: يا رسول الله! ما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته" (١).

ومرة "مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين يعذبان فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" (٢).

وقال: "الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم" (٣).

وقال: "درهم ربا أشد من خمس وثلاثين زنية، وأشد الربا أو أربى الربا، أو أخبث الربا انتهاك عرض المسلم أو انتهاك حرمته" (٤).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٨٩ في البر، وأبو داود برقم: ٤٨٧٤ في الأدب، والترمذي في البر برقم: ١٩٣٤، وقال: حسن صحيح، والدارمي برقم: ٢٧١٤، وابن حبان برقم: ٥٧٥٨ وأبو يعلى برقم: ٦٤٩٣ وأحمد ٢٣٠/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه مالك في الموطأ من طريق الوليد بن عبد الله بن صياد أن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي أخبره أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه الحديث وهو مرسل.

(٢) أخرجه البخاري في الوضوء برقم: ٢١٦ عن ابن عباس وأبو داود في الطهارة برقم: ٢١ وأحمد ٢٢٥/١ وابن حبان برقم: ٣١٢٩.

(٣) أخرجه الحاكم في كتاب البيوع ٤٣/٢ برقم: ١٣٠/٢٢٥٩ وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥١٣١ عن عبد الله بن مسعود، وقال: هذا إسناد صحيح والمتن منكر بهذا الإسناد، ولا أعلمه إلا وهماً، وكأنه دخل لبعض رواة الإسناد في إسناده، وابن ماجه برقم: ٢٢٧٥ في التجارات، وقال البوصيري ص: ٧٥٦: هذا إسناد صحيح.

وأخرج ابن ماجه برقم: ٢٢٧٤ عن أبي هريرة نحوه وإسناده ضعيف من أجل أبي معشر وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥١٣٤ من هذا الطريق.

وأخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم: ١٥٣٤٥ من طريق عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن رجل من الأنصار نحوه.

وروى الطبراني في الأوسط عن البراء بن عازب شاهداً له برقم: ٧١٥١ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٠/٤: فيه عمر بن راشد، وثقه العجلي وضعفه الجمهور.

وله شاهد عن عبد الله بن سلام موقوفاً: الربا سبعون حوباً أدناها فجرة مثل أن يضطجع الرجل مع أمه، وأربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ٤٦١/١٠ رقم: ١٩٧٠٦ والبيهقي في الشعب برقم: ٥١٢٩ واللفظ له.

(٤) أورده ابن أبي حاتم في علله برقم: ١١٦٩-٣٩١/١ عن ابن عباس مرفوعاً، وقال: سئل أبو زرعة عن هذا الحديث فقال: هذا حديث منكر.

وقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير ١١١٤/١١ برقم: ١١٢١٦ من طريق آخر عن ابن عباس حديثاً جاء فيه: ومن أكل درهم ربا فهو ثلاث وثلاثين زنية، قال الهيثمي في المجمع ٣٨٢/٥: رواه

وهناك وعيدات شديدة، وتحذيرات بليغة، وتنبيهات وردت بها الأحاديث

الطبراني وفيه أبو محمد الحزري حمزة ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح انتهى.

وأخرجه أحمد برقم: ٢٢٠٠٧ عن عبد الله بن حنظلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية، قال المنذري في الترغيب: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح، وقال الهيثمي ٤/٢١٠: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح انتهى.

لكن قال الدارقطني بعد روايته في السنن ٣/١٦ كتاب البيوع برقم: ٤٨ رواه عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة فجعله عن كعب ولم يرفعه وقال: هذا أصحّ من المرفوع، ولم يرفع انتهى أي خالف عبد العزيز بن رفيع أيوب السختياني، وقد أخرجه من هذا الطريق أحمد، وابن أبي شيبة ٦/٥٥٨ برقم: ٢٠٣٩ من ترقيم حبيب الرحمن الأعظمي وعبد الرزاق برقم: ١٥٣٤ وغيرهم.

قلت: قد تابع أيوب ليث بن أبي سليم عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن حنظلة فرفعه كما أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٣/٨٩٣ طبعة مصر بمكتبة نهضة الفجالة بتحقيق علي محمد البجاوي، قال ابن عبد البر: أحاديث عبد الله بن حنظلة عندي مرسلة. وقال الضياء في المختارة برقم: ٢٣١ بعد أن ذكره من طريق أيوب ومن طريق ليث: هما عندي وهم وحدث به الثوري عن عبد العزيز بن رفيع على الصواب أي من قول كعب انتهى.

قلت: تكلم على هذا الحديث الحافظ في القول المسدد ١/٤١ الحديث الثاني عشر، فقال: أورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق المسند، ومن طريق أخرى، وأعل طريق المسند بحسين بن محمد فقال: هو المروزي، قال أبو حاتم: رأيته ولم أسمع منه، وسئل أبو حاتم عن حديث يرويه حسين فقال: خطأ فقيل له: الوهم ممن؟ قال: ينبغي أن يكون من حسين.

قلت (القائل هو الحافظ): حسين احتج به الشيخان ثم وثقه الحافظ بكلام طويل، ثم قال على فرض ضعفه: لم يلزم منه الحكم على حديثه بالوضع ولاسيما مع كونه لم ينفرد، بل توبع، ووجدت للحديث شواهد، فقد أورده الدارقطني عن البغوي عن هاشم بن الحارث عن عبد الله بن عمرو الرقي عن ليث بن أبي سليم عن ابن أبي ملكية به، وليث وإن كان ضعيفا فإنما ضعف من قبل حفظه، فهو متابع قوي، وشاهده حديث ابن عباس أخرجه ابن عدي من طريق علي بن الحسن بن شقيق أخبرني ليث عن مجاهد عن ابن عباس نحوه، وأخرجه الطبراني عن وجه آخر عن عطاء عن ابن عباس في أثناء حديث، وأخرجه الطبراني أيضاً من طريق عطاء الخراساني عن عبد الله بن سلام مرفوعا، وعطاء لم يسمع من ابن سلام وهو شاهد قوي، قال ابن الجوزي: إنما يعرف هذا من كلام كعب ثم ساقه من طريق أحمد.. ونقل عن الدارقطني أن هذا أصح من المرفوع.

قلت (القائل هوالحافظ): ولا يلزم من كونه أصحّ أن يكون مقابله موضوعاً، فإن ابن جريج أحفظ من جرير بن حازم وأعلم بحديث ابن أبي مليكة منه، لكن قد تابع جريرا ليث، ولا مانع من أن يكون الحديث عن عبد الله بن حنظلة مرفوعا وموقوفاً. انتهى قوله

قلت: وجدت له شاهدا عن عائشة أيضا مرفوعاً، رواه الدولابي في الكني ١/٣٥١ برقم: ٦٢٤ (طبعة دار ابن حزم ببيروت لبنان ١٤٢١هـ/٢٠٠٠ تحقيق: أبو قتيبة نظر القاريابي) من طريق عمران بن أنس المكي عن ابن أبي ملكية عن عائشة مرفوعاً قال: درهم ربا أعظم عند الله حرجا من تسعة وثلاثين زنية، وعمران بن أنس قال عنه الذهبي في الميزان ٣/٢٣٤ قال البخاري: منكر الحديث، وقال العقيلي: لا يتابع عليه، ثم ساق الذهبي: هذا الحديث من مناكيره.

وله شاهد آخر عن أنس رضي الله عنه عند البيهقي في الشعب برقم: ٥١٣١ وفي إسناده عبد الله ابن كيسان، قلت: وبعد التي والتيا فلا يحكم على الحديث بالوضع، وإنما يمكن القول بأنه يرتقي إلى درجة الحسن لغيره. والله أعلم.

في باب الغيبة، والوقوع في أعراض المسلمين، وكنت أود أن أجمع طائفة صالحة من الأحاديث، لما أن مجالسنا ومحافلنا مليئة بها، لكن أكتفي وأجتزئ بما قدمت، لأن السياق مختلف، حفظكم الله تعالى من هذا الداء العضال وإياي، فقد مُنيت أنا أيضاً بالأمراض الباطنة الكثيرة، وابتليت بالأدواء الروحية.

والأمر الثالث الذي يتحتم على الصائم الاهتمام به هو: حفظ السمع، وكل ما لا يجوز النطق والتكلم به، يحرم الاستماع والإصغاء إليه كذلك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المغتاب والمستمع شريكان في الإثم" (١).

والأمر الرابع هو: حفظ سائر الأركان والجوارح، فعليه أن يحفظ يده من البطش بالخطيئة، ورجله من المشي إليها، وهلم جرًا، كأن يحفظ بطنه عند إفطاره عن الشبهات، فإن مثل من يصوم ثم يفطر على الحرام كمثل من يداوي مرضه بدواء يخلطه بشيء من السم، فالدواء قد ينفعه في إزالة دائه، لكن السم يؤدي به إلى الهلاك كذلك.

الأمر الخامس: أن لا يكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه، لأن ذلك يفوّت روح الصوم، وهي: كسر الشهوة، وإضعاف القوة البهيمية، وتنمية الملكة النورانية، والروحانية، والقوة الملكية، فما يضرنا إن أقللنا من الطعام والشراب بعض الإقلال في شهر واحد، وقد ظللنا نشبع طول السنة؟ لكننا نحن نتدارك ما فاتنا عند الإفطار، ونكثر من الطعام في السحور ما يقوم مقام الغداء في النهار، حتى نأكل في رمضان ما لا يؤكل في عامة الشهور، ويكون شهر رمضان بالنسبة لنا شهر الأكل والشرب.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "كيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله

---

(١) أورده الغزالي في الإحياء الذي نقل منه المؤلف رحمه الله، وقال العراقي: غريب، ولم يخرجه، وهذا من أحاديث الإحياء التي لم يجد لها السبكي أصلاً، وقال القاري في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: لا يعرف له أصل بهذا اللفظ انتهى.

وذكر العراقي أن له شاهداً عن ابن عمر عند الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الغيبة، وعن الاستماع إلى الغيبة، وقال: بسند ضعيف، وقد أخرجه الخطيب أيضاً في تاريخ بغداد ٨/٢٢٥ في ترجمة الحكم ولفظه:

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغناء، والاستماع إلى الغناء، ونهى عن الغيبة، وعن الاستماع إلى الغيبة، وعن النميمة، والاستماع إلى النميمة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/١٧٢ رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه فرات بن السائب وهو متروك.

إبليس، وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره، وربما يزيد عليه في ألوان الطعام، حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان، فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر، ومعلوم أن مقصود الصوم: الخواء، وكسر الهوى، لتقوى النفس على التقوى، وإذا دُفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها، وقويت رغبتها، ثم أطعمت من اللذات وأشبعت، زادت لذتها، وتضاعفت قوتها، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها. فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل" (١).

إن الصوم يحمل في طيها مقاصد، وحكماً مختلفة، وفوائد، ومنافع متنوعة مقصودة بمشروعيته، وتلك لا تتحقق إلا بأن يجيع الإنسان نفسه قليلاً، وأعظم حكمه ومصالحه ما تقدم من كسر الشهوات، وإضعاف القوى، وهو لا يحصل كذلك إلا بأن يمضي على المرء وقت يشعر فيه بالجوع. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع" (٢).

إن شبع الأعضاء منوط بجوع النفس الأمارة، فإذا جاعت النفس شبعت جميع الأعضاء، وإذا شبعت النفس جاعت الجوا رح أي: قويت على البطش والنظر إلى ما لا يحل، وفعل ما لا ينبغي.

والغرض الثاني من الصوم إنما هو التشبه بالفقراء ومشاركتهم والعطف

(١) انظر إحياء علوم الدين الفصل الثاني من كتاب الصوم في أسرار الصوم وشروطه الباطنة ٢٣٤/١ وما بعدها.

(٢) أورده الغزالي في الإحياء ٢٣٢/١ كتاب أسرار الصوم، وعلق عليه العراقي: متفق عليه من حديث صفية دون قوله: "فضيقوا مجاريه بالجوع"

وزاد العجلوني في كشف الخفا: فإنه مدرج من بعض الصوفية، انتهى.

قلت: وزاد أبو طالب المكي في قوت القلوب بعد قوله بالجوع: والعطش انتهى.

وقال الزبيدي في شرح الإحياء ١٩٤/٤: أنا أظن أن هذه الزيادة وقعت تفسيراً للحديث من بعض رواته فألحقها به من روى عنه انتهى قوله.

والعجب من الحافظ ابن تيمية رحمه الله حيث ذكره بتمامه في فتاويه: ٢٤٥/٢٥ (سئل عن المسافر في رمضان)...

عليهم، ولا يتحقق إلا إذا مضى عليه وقت يجد فيه لذع الجوع، وحرقة العطش. أتى بعضهم إلى بشر الحافي في يوم شديد البرد وهو يقشعر من البرد، وينتفض، وقد تعرى من الثياب، فقال: يا أبا نصر! الناس يزيدون في الثياب في مثل هذا اليوم وأنت قد نقصت؟ فقال: ذكرت الفقراء وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أرافقهم بنفسي في مقاساة البرد (١).

وقد نبه الصوفية رحمهم الله على هذا الجانب خاصة وصرح به الفقهاء كذلك. قال صاحب مراقي الفلاح:

"لا ينبغي الإفراط في السحور لمنعه الحكمة المقصودة، وقال: لا يكثر منه لإخلائه عن المراد كما يفعله المترفهون". وقال الطحطاوي في شرحه: المراد هو ذوق مرارة بعض الجوع ليرحم المساكين، وليكون أجره على قدر مشقته" (٢).

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه" (٣).

ولأمر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الصوم، ويصوم أياماً متتابعة، ويواصل، ورأيت سيدي الشيخ خليل أحمد رحمه الله تعالى لا يزيد على خبز ونصف في الإفطار والسحور كليهما، وإذا سأله أحد أو استزاده قال: لا أشعر بالجوع، وإنما آكل لأرافق إخواني.

وكذلك سمعت عن الشيخ الشاه عبد الرحيم الرائبوري رحمه الله: أنه قد تمضي عليه أيام، ولايتناول في الليل لا في الإفطار ولا في السحور إلا فناجين عديدة من الشأي الساذج بدون الحليب، ومرة قال له أحد أصحابه المخلصين وهوالشيخ الشاه عبد القادر رحمه الله تعالى بغاية الإلحاح: يا سيدي إنك لا تأكل شيئاً، ويؤدي ذلك إلى ضعف شديد فقال: الحمد لله إني أجد لذة الجنة، يا

(١) ذكرها صاحب الرسالة القشيرية ص: ١١٥ باب الجود والسخاء طبعة مطبعة التقدم العلمي بمصر.

(٢) انظر حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح كتاب الصوم.

(٣) أخرجه الترمذي برقم: ٢٣٨٠ وابن ماجه برقم: ٣٣٤٩ وابن حبان برقم: ٦٧٤ وأحمد ١٣٢/٤ والحاكم كلهم عن المقدام بن معديكرب، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ في فتح الباري باب: من أكل حتى شبع.

سعادة جدنا لو رزقنا الله تعالى اتباع هؤلاء الأشخاص الربانيين.

الأمر السادس الذي يؤكدون عليه رحمهم الله تعالى: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا بين الخوف والرجاء، إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين، أو يرد عليه فهو من الممقوتين، وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ، يعني: أن يخاف من أن ترد عليه تلك العبادة من أجل بعض ما ارتكبه من الأخطاء التي قد لا يلتفت إليها الذهن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "رب تال للقرآن والقرآن يلعنه" (١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت! ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن قال: كذبت! ولكنك تعلمت العلم ليقال: هو قارئ فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت! ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه ثم ألقي في النار (٢).

هذه الآداب الستة للعامة، وأما الخاصة والمقربون فيزاد لهم أمر وهو: حفظ القلوب عن الأفكار، والخواطر الدنيوية، وكفها عما سوى الله عزوجل بالكلية حتى قال بعض أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه، كتبت عليه خطيئة، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل

(١) أورده في الإحياء موقوفاً على أنس رضي الله عنه، ولم يعلق عليه العراقي بشيء، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أبي حدثنا صالح بن عبيد الله الهاشمي ثنا أبو المليح عن ميمون بن مهران قال: إن الرجل ليصلي ويلعن نفسه في قراءته فيقول: ألا لعنة الله على الظالمين وإنه لظالم انتهى

(٢) أخرجه مسلم برقم: ١٩٠٥ في الإمارة باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

الله عزوجل، وقلة اليقين برزقه الموعود، وذكر صاحب شرح الإحياء عن بعض المشايخ أنهم كانوا يتصدقون أو يهدون ما حضرهم قبل الفطر خوفاً أن يلتفت إليه القلب، وينال ذلك من التوكل على الله عزوجل (١).

ولكن هذه رتبة الكبار، ولا مجال لنا أن نحرص على أحوالهم وأمورهم، أو نختارها قبل الوصول إلى ما وصلوا إليه، فإنما يعود ذلك ضرراً علينا.

(١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه.

[رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي، والبخاري في ترجمة باب، كذا في المشكاة، قلت: وبسط الكلام على طرقه العيني في شرح البخاري] (٢).

شرح الحديث:

قد ذهب بعض العلماء - وفيهم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه - بناء على هذا الحديث إلى أن الذي ترك صوم يوم من أيام رمضان وأفطره من غير عذر، لا يمكن قضاؤه، وإن صام طول عمره، وذهب الجمهور إلى أن من ترك الصوم في يوم من رمضان، فإنه يقضيه بصوم يوم آخر، وتتأدى بذلك فريضته، وإن أفطره بعد أن صامه فإنه يكفر عنه مع صوم يوم واحد، فيصوم شهرين متتابعين، وتبرأ بذلك ذمته، ولكن لا ينال بركة رمضان وفضله البتة، وهذا هو معنى هذا الحديث.

هذا كله إذا قضاه بعد ذلك، أما من لم يصم في رمضان، ولم يقض في غيره كما هو دأب بعض الفساق في عصرنا فلا تسأل عن ضلاله وغوايته وترديه! فإن الصوم ركن من أركان الإسلام، فقد قال النبي صلى الله عليه

(١) انظر إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢٤٤/٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٨٦/٢ وأبو داود في الصوم برقم: ٢٣٩٦ والترمذي في الصوم برقم: ٧٢٣ وابن ماجه برقم: ١٦٧٢ وعلقه البخاري قبل رقم: ١٩٣٥ في ترجمة باب إذا جامع في رمضان قال: ويذكر عن أبي هريرة رفعه.

وسلم: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لاإله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان" (١).

كم من رجل يعد من المسلمين لكنه لا يقوم بأي واحد من هذه الأركان الخمسة! فهو لا يكون مسلماً، ولا يعد مؤمناً عند الله عزوجل، وإن كان يعتبر من المسلمين في الأوراق الرسمية، والملفات الحكومية.

جاء في حديث عن ابن عباس رضي الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة، عليهن أسس الإسلام، من ترك منهن واحدة فهو كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان" (٢).

مهما كان العلماء تأولوا مثل هذه الأحاديث، والنصوص، وقيدوها بالجحود، لكن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأحكامه شديدة في شأن هؤلاء الأشخاص الذين يتكاسلون عن أداء الفرائض ويهملونها.

فليحذروا من غضب الله ونقمته وسخطه، فما من الموت بد، ونعيم الدنيا يفنى عما قريب، فقد ولت الدنيا حذّاء، وأقبلت الآخرة حذّاء، ولا يغني عن المرء هنالك إلا طاعة الرب عزوجل.

هذا، وهناك أناس ممن لا خلاق لهم في الدين لا يكتفون بترك الصوم، بل يتجاوزون الحد، ويلفظون بما قد يؤدي إلى الكفر كقولهم: إنما يصوم من لا يجد في بيته ما يَطعم ويشرب، أو قولهم: ماذا يريد الله عزوجل بتكليفنا بالجوع؟ وما يبتغي بذلك؟

إن هذه الكلمات وما أشبهها يتحتم على المرء الحذر منها، وليعلم في هذا المقام: أن الاستهزاء بأدنى خصلة من خصال الدين، والسخرية منها يتسبب للكفر، ويفضي إليه، فالشخص الذي لا يصلي، ولا يصوم، ولا يأتي بأي عمل من أعمال الدين، لا يكون كافراً، إذا كان لا يجحدها، لكن الاستهزاء من

(١) أخرجه البخاري برقم:٨ في الإيمان ومسلم برقم: ١٦ عن ابن عمر.
(٢) أخرجه أبو يعلى برقم:٢٣٤٩ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٢/١ باب: فيما بني عليه الإسلام بعد أن عزاه إلى أبي يعلى: إسناده حسن.

أي جزء من الدين سبب للكفر، ويُحبط العمل الذي قام به في حياته ويأتي عليه، فالحذرَ الحذرَ من الاستهزاء بخصال الدين وشُعَبه! ومنها الصوم.

وعلى كل، فالمفطر في رمضان فاسق وإن كان يقر ولا يجحد، حتى صرّح الفقهاء بأن الذي يأكل ويشرب في نهار رمضان علناً وجهاراً، يقتل، فإن لم تكن هنالك قدرة على قتله لعدم وجود الإمارة الإسلامية في بلد من البلدان فلا تسقط عن أحد مسئولية الإنكار على فسقه ومنكره الشنيع، باللسان أو بالقلب على الأقل، فليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان.

وفقني الله عزوجل للصالحات والخيرات معكم، فإني مخطئ مذنب آثم جداً، وأكتفي في الفصل الأول بعشرة أحاديث، لأن الواحد فيه كفاية وغنية للمطيع المنيب فضلاً عن العشرة الكاملة، وأما المتنصل من الطاعة فلا تغني عنه الأسفار مهما كثرت، وفق الله عزوجل المسلمين جميعاً للطاعة والعمل الصالح.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
ليلة القدر

إن في ليالي شهر رمضان ليلة تسمى بليلة القدر، وهي تنطوي على خيرات وبركات، واعتبرت في كتاب الله تعالى خيراً من ألف شهر، وألف شهر يُكوّن ثمانين عاماً وأربعة أشهر، فما أسعد من حظي بهذه الليلة ووفق للعبادة فيها! فكأنه قضى أكثر من ثمانين عاماً وأربعة أشهر في عبادة الله عزوجل، ثم إن القرآن إنما قال: ليلة القدر خير من ألف شهر، فلا يُدرى ولا يقدر قدر هذه الخيرية كم هي؟ لا شك أنها موهبة ربانية ونعمة إلهية جليلة لمن شكرها وقدرها حق قدرها، وأورد في الدر المنثور عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله وهب لأمتي ليلة القدر ولم يعطها من قبلهم" (١).

وقد اختلفت الأحاديث في بيان ما كان سبباً لهذه الليلة فقد تفيد بعض الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أري أعمال الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدرخيراً من ألف شهر (٢).

فلو أن عبداً من عباد الله السعداء سعد بعشر ليال من ليالي القدر، ووفق للقيام فيها، كان كمن ظل يعبد ثمانية آلاف عام وثلاثة وثلاثين عاماً، وأربعة أشهر.

وجاء في بعض الأحاديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال: فعجب المسلمون من ذلك قال: فأنزل الله عزوجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (٣).

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى الديلمي.
(٢) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الاعتكاف برقم: ٧٠٥ طبعة دار الكتب العلمية بيروت، قال: بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أري أعمال الناس الحديث وأخرجه البيهقي من طريق مالك في شعب الإيمان برقم: ٣٣٩٥.
(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦/٤٠٠ برقم: ٨٦٠٧ عن مجاهد مرسلاً في الصوم ط دار الفكر بيروت.

وفي رواية: "ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاماً، لم يعصوه طرفة عين، فعجب الصحابة من ذلك، فأتاه جبريل، فقال: قد أنزل الله عليك خيراً من ذلك، ليلة القدر خيرمن ألف شهر، هذا أفضل من ذاك، فسُر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم" (١).

وهناك أحاديث أخرى في هذا الباب، والسبب في اختلاف هذه الروايات: أنه إذا نزلت آية أو سورة بعد حوادث مختلفة نسبت إليها جميعاً واعتبرت كلها سبباً، فإنه لا تزاحم في الأسباب.

ومهما كان من سبب، فإنها عطية غالية من الله عزوجل، ونعمة جلى، والتوفيق للعمل فيها كذلك يرجع إلى العناية الربانية.

فما أغبط أولئك الرجال الربانيين الذين يقول أحدهم: ما فاتني مذ بلغت الحلم القيامُ في ليلة واحدة من ليالي القدر، وسيأتي تفصيل الكلام في مسألة تعيين هذه الليلة إن شاء الله تعالى.

ونظراً إلى أن القرآن أولى هذه الليلةَ مكانة مرموقة، وخصها بالذكر في سورة من سوره، فرأيت من المناسب أن أشير إلى معاني هذه السورة وأذكر تفسيرها:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ والمراد به: إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل إلى الأرض في مدة ثلاثة وعشرين سنة، لقد كانت هذه وحدها كافية لفضلها، أن القرآن العظيم الذي هو أفضل الكتب الإلهية نزل فيها، فما ظنك وقد انضافت إلى ذلك فضائل ومناقب أخرى؟

ثم يقول تبارك وتعالى تشويقاً إلى خبرها وتعظيماً لأمرها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ أي: هل عرفت قدرها، وشرفها، ومنزلتها، وفضلها؟ ثم ذكر عزوجل عدداً من أوجه فضلها.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وما يدرى مدى هذه الخيرية.

(١) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى ابن أبي حاتم في تفسيره عن علي بن عروة مرسلاً، وذكر إسناده هكذا: أخبرنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: حدثني مسلمة بن علي عن علي بن عروة قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من بني إسرائيل الحديث وذكر أسماء الأربعة: أيوب، وزكريا، وحزقيل بن العجوز، ويوشع بن نون.

﴿تنزل الملائكة﴾ قال العلامة الرازي:

"إن الملائكة لما رأوا روحك محلاً للصفات الذميمة من الشهوة والغضب ما قبلوك فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، وأبواك لما رأوا قبح صورتك في أول الأمر حين كنت منياً وعلقة، ما قبلوك أيضاً، بل أظهروا النفرة، واستقذروا ذلك المني والعلقة، وغسلوا ثيابهم عنه، ثم كم احتالوا للإسقاط والإبطال! ثم إنه تعالى لما أعطاك الصورة الحسنة فالأبوان لما رأوا تلك الصورة الحسنة قبلوك ومالوا إليك، فكذا الملائكة لما رأوا في روحك الصورة الحسنة، وهي معرفة الله وطاعته، أحبوك، فنزلوا إليك معتذرين عما قالوه أولاً، فهذا هو المراد من قوله: ﴿تنزل الملائكة﴾"(١).

﴿والروح فيها﴾أي: جبرئيل عليه الصلاة والسلام، ذكر المفسرون في معنى الروح أقوالاً.

والجمهور على ما ذكرت آنفاً: أن المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام، قال الإمام الرازي: الأصح أن الروح هاهنا: جبريل، وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه.

ثانيها: أنه ملك عظيم، لو التقم السموات والأرضين كان ذلك له لقمة واحدة.

وثالثها: أن الروح إنما هي طائفة من الملائكة لاتراهم الملائكة إلا ليلة القدر.

ورابعها: أنه خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الإنس.

وخامسها: أنه عيسى عليه الصلاة والسلام، ينزل في مرافقة الملائكة، ليطلع على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأعمالها.

وسادسها: أنها الرحمة، ويعني ذلك: أن الملائكة ينزلون، ثم تنزل في أثرهم رحمة الله عزوجل، إلى غيرها من الأقوال، والمشهور هو: الأول.

روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: "إذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون على كل عبد قائم أو قاعد، يذكر الله عزوجل"(٢)..

(١) هذا كلام الرازي بنصه في تفسيره المسمى بالتفسير الكبير.

(٢) سيأتي هذا الحديث في هذا الفصل برقم: ٣ فانظر هناك.

﴿بإذن ربهم من كل أمر﴾ أي: تنزل الملائكة وجبريل إلى الأرض في تلك الليلة بإذن ربهم لكل خير من الأمر، قال صاحب "مظاهر الحق": في هذه الليلة خلقت الملائكة، وفيها كان البدء في جمع مادة آدم عليه الصلاة والسلام، وفيها غرست أشجار الجنة، وأما إجابة الدعاء فيها فقد وردت في أحاديث مختلفة، وفي بعض الآثار كما في الدر المنثور أنه فيها رُفع عيسى عليه الصلاة والسلام إلى السماء، وفيها تيب على بني إسرائيل.

﴿سلام﴾ يعني: تسلم فيها الملائكة على المؤمنين من أولها إلى آخرها تذهب طائفة، وتأتي أخرى، حتى ينشق الفجر، أو المراد: أنها سلام من أولها إلى طلوع الفجر من كل شر وفتنة.

﴿هي حتى مطلع الفجر﴾ يعني: أن هذه الليلة تبقى بما فيها من المحاسن والخير، والبركة، إلى طلوع الفجر، ولا تختص هذه الخيرات بساعة منها دون أخرى، وإنما تتواصل وتتوالى حتى مطلع الفجر.

ولو لم تكن هناك في فضل هذه الليلة إلا هذه السورة لكانت كافية، فلا حاجة بعدها إلى ذكر أي فضل، لكن قد وردت أحاديث كثيرة في فضلها، فأذكر بعضها.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

[كذا في الترغيب عن البخاري ومسلم] (١).

شرح الحديث:

القيام في ليلة القدر يعني: القيام في الصلاة أمام الرب تبارك وتعالى، ويدخل فيه الأنواع الأخرى من العبادة كالتلاوة، وذكر الله عزوجل، وما إلى ذلك، والاحتساب يعني: أن لا يقوم رياء وسمعة، بل يمحض النية لابتغاء مرضاة الله عزوجل، والحصول على ما عنده من المثوبة الكريمة، والأجر الجميل، ويخلص في عبادته لله عزوجل.

وقال الخطابي رحمه الله: معناه: أن يقوم راجياً الأجر عن طيب نفس، لا مستثقلاً كسِلاً، وبديهي أنه كلما كان المرء أكثر يقيناً وإيماناً بالأجر والثواب،

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٨ في الإيمان، ومسلم برقم: ٧٦٠ في صلاة المسافرين.

كان احتمال المشقة، والصبر على المكاره في العبادة أسهل عليه، ومن ثم يُرى أنه كلما تدرج العبد في التقرب إلى الله عزوجل، وازداد في التوسل إليه والتزلف لديه، كثر وَلوعه بالعبادة، وانهماكه فيها.

وليعلم هنا أن المراد بالذنب في هذا الحديث وما شابهه من الأحاديث عند العلماء إنما هو: ما كان من قبيل الصغائر، وذلك لأن القرآن حين يبين الكبائر يقيد مغفرتها بالتوبة بقوله: "إلا من تاب"، فاتفق العلماء على أن الكبيرة لا تغفر إلا بالتوبة، ونظراً إلى ذلك يحملون هذه الأحاديث على الصغائر.

وأفاد والدي الجليل - نور الله مرقده وبرد مضجعه - أن الأحاديث إنما لا تقيد الذنوب بالصغائر لوجهين:

أحدهما: أن المسلم المؤمن لا يجدر به أن تكون في ذمته كبائر الذنوب، فإنه لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال، إذا صدرت منه معصية كبيرة حتى يتوب منها توبة نصوحاً.

والثاني: أن العبد إذا قام أمام ربه عزوجل في مظان التوبة، ومناسبات الإجابة والمغفرة هذه، كليلة القدر مثلاً، فإنه لا بد أن يشعر بالندم على المعاصي والسيئات، فقد تحققت التوبة تلقائياً، لأنها عبارة عن الندم على ما سلف، والعزم على عدم العودة في المستقبل.

لذلك يتحتم على من كان مرتكباً للكبائر أن يتوب إلى الله عزوجل في ليلة القدر وغيرها من فرص التوبة والإجابة توبة صادقة يطاوع فيها قلبه لسانه، لكي تتوجه إليه رحمة الله عزوجل كلياً، ويغفر له كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً، وإن خطر هذا العبد المذنب في بالكم فاذكروه في دعواتكم المخلصة.

(٢) عن أنس رضي الله عنه قال: دخل رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم(١).

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: ١٦٤٤ قال البوصيري: روى النسائي بعضه من حديث أبي هريرة، وإسناد حديث أنس فيه مقال: عمران بن داود أبو العوام القطان مختلف فيه، مشاه أحمد، ووثقه عفان، والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عدي: مضرب عن عمران، وروى عن غير عمران غرائب، وأرجو أنه لا بأس به"، وباقي رجال الإسناد ثقات. انتهى.

[رواه ابن ماجه وإسناده حسن إن شاء الله، كذا في الترغيب، وفي المشكاة عنه: [إلا كل محروم].

شرح الحديث:

الواقع أنه لا شك في حرمان هذا الذي حرم ليلة القدر وخيرها، فقد رأينا أن الموظفين في السكك الحديدية يسهرون طوال الليل ليتقاضوا راتباً بخساً دراهم معدودة، فما يضير أحدنا إن قام ليالي شهر واحد في عبادة ربه لتحصيل مثوبة عبادة ثمانين عاماً؟!

لكن يا للأسف! تجردت قلوبنا عن العاطفة الإيمانية والشوق الديني، ولو أن أحداً ذاق طعم العبادة، ووجد حلاوة اليقين، لسهل عليه سهر ألف ليلة، فضلاً عن ليلة واحدة.

هنيئاً لأرباب النعيم نعيمها ... وللعاشق المسكين ما يتجرع

ولأمر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وذلك مع ما بشّر به من البشارات العظيمة، وما وعد به من الوعود الكريمة التي كان من تحققها ووقوعها على ثقة ويقين، ونحن أيضاً ندعي الانتماء إليه، والانتظام في سلك أمته، ولكن أين نحن من ذلك؟! أما من قدر ذلك حق قدره من السلف، فقد اقتدوا بهداه كما ينبغي، وقاموا بأداء كل ما يعود إليهم، وضربوا لمن بعدهم مثلاً، وخلفوا قدوة، فلم يبق للمعتذرين عذر، ولم يدَعوا مجالاً ليقولوا: من ذا الذي يستطيع أن يقوم بما قام به النبي ﷺ؟.

والواقع: أن أي أمر من الأمور مهما كان صعباً وبعيد المنال، يسهل على من عزم وصمّم، حتى إنه يستطيع تفجير أنهار اللبن من الجبل القاحل، لكن لا يحصل هذا الشوق، ولا تنشأ في القلب هذه الرغبة في الدين والصلاح إلا بالتعلق بأهداب الصالحين، والتشبث بأذيال الربانيين.

ولأمر ما كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدخل بيته بعد العشاء، ويصلي حتى يصبح، وكان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا ينام إلا قليلاً في أوله، وقد يقرأ القرآن كله في ركعة، ونقل الزبيدي في شرح الإحياء عن أبي طالب المكي أنه قال: حكي على سبيل التواتر

والاشتهار عن أربعين من التابعين: أنهم كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء(١).

وكان شداد بن أوس الأنصاري إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه، لا يأتيه النوم فيقول: اللهم إن النار أذهب مني النوم فيقوم فيصلي حتى يصبح(٢).

وكان الأسود بن يزيد يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء (٣).

وصلى سعيد بن المسيب الصبح بوضوء العشاء خمسين عاماً (٤).

وكان صلة بن أشيم يصلي الليل كله، فإذا كان في السحر قال: إلهي ليس مثلي يطلب الجنة، ولكني أجرني برحمتك من النار (٥).

وكان قتادة يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة (٦).

وأما صلاة الإمام أبي حنيفة في الصبح بوضوء العشاء أربعين عاماً، فقد اشتهرت اشتهاراً لا يجحد ولاينكر، ولو أن أحداً ينكره فكأنه ينفي الاعتماد على التاريخ، ولما سئل كيف قدر على ذلك أجاب بأنه دعا الله عزوجل بأسمائه الحسنى على وجه مخصوص، وكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة، وكان يُسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه (٧).

وإنه قام ليلة بهذه الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [سورة القمر: ٥٦] يرددها ويبكي ويتضرع (٨).

وكان إبراهيم بن أدهم لا ينام في مضان بالليل ولا بالنهار (٩).

---

(١) انظر إحياء علوم الدين ١/٣٥٦.

(٢) انظر حلية الأولياء ١/٢٦٤

(٣) انظر حلية الأولياء١/١٠٣

(٤) انظر حلية الأولياء ٢/٢٤٠

(٥) انظر حلية الأولياء ٢/١٠٣

(٦) انظر حلية الأولياء ٢/٣٣٨-٣٣٩

(٧) انظر تاريخ بغداد للخطيب١٣/٣٥٤ فقد روى صلاة الفجر بوضوء العشاء وبكاءه في الليل عن أسد بن عمر، وقد نقل عن عبد الله بن المبارك أنه قال لرجل وقع في أبي حنيفة رحمه الله: أتقع في رجل صلى خمساً وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد، وكان يجمع القرآن في ركعتين في ليلة.

(٨) انظر تاريخ بغداد ١٣/٣٥٧.

(٩) انظر حلية الأولياء ٧/٣٧٨.

وكان الإمام الشافعي يختم في رمضان ستين ختمة بالليل والنهار (١).

وأمثالها من حكايات الصالحين كثيرة، تشهد لهم بالفضل والسبق، وأنهم امتثلوا قول الله عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦] وهي تدل كذلك أنه لا يصعب على العاملين أي عمل.

وهذه حكايات السلف وأحوالهم المُنيفة، ولا نَعدَم في هذا العصر أيضاً من يتبع سبيلهم، وينتهج منهجهم، ويجهتد في العبادة و التقرب إلى الله عزوجل اجتهاداً حسَب الطاقة والوسع، وإن لم يبلغ شأوهم، فترى أحدهم يحرص على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم كل الحرص، ولا يحول دون انهماكه في العبادة، وانقطاعه إليها راحة ولا شغل، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: "يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً، ولم أسد فقرك" (٢).

ويشهد بصدق هذا القول الواقع الذي نشاهده في حياتنا.

(٣) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون على كل عبد قائم أوقاعد يذكر الله عزوجل، فإذا كان يوم عيدهم، يعني: يوم فطرهم، باهى بهم ملائكته، فقال: يا ملائكتي! ما جزاء أجير وفّى عمله؟ قالوا: ربنا! جزاؤه أن يوفّى أجره، قال: ملائكتي! عبيدي وإمائي قضوا فريضتي عليهم، ثم خرجوا يعجون إلى الدعاء، وعزتي، وجلالي، وكرمي، وعلوي، وارتفاع مكاني، لأجيبنهم، فيقول: ارجعوا فقد غفرت لكم، وبدلت سيآتكم حسنات، قال: فيرجعون مغفوراً لهم.

[رواه البيهقي في شعب الإيمان كذا في المشكاة] (٣).

---

(١) انظر إتحاف السادة ٤/٤٧١ قال: كان الشافعي إذا دخل شهر رمضان ختم في اليوم والليلة مرتين، وكذلك كان يفعله الأسود، وصالح بن كيسان، وأبو شيخ الحنائي، قال ابن عبد البر: كان سعيد بن جبير وجماعة يختمون القرآن مرتين وأكثر في ليلة انتهى.

(٢) أخرجه الترمذي في صفة القيامة برقم: ٢٤٦٦ وقال: حسن غريب، وابن ماجه في الزهد برقم: ٤١٠٧ كلاهما عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٣٤٤٤ وقال: تفرد به محمد بن يحيى هذا عن أصرم بن حوشب الهمداني، وقد رويناه في الحديث الطويل في ليلة القدر، وقد روي عن كعب الأحبار في فضل شهر رمضان، وبروز المسلمين يوم الفطر لعيدهم.

شرح الحديث:

إن نزول جبريل عليه الصلاة والسلام مع الملائكة قد ذكر في القرآن أيضاً كما تقدم، وقد صرّحت به الأحاديث الكثيرة، وسوف يأتي في آخر هذه الرسالة بعض التفصيل في ذلك: أن جبريل عليه الصلاة والسلام يحث الملائكة في هذه الليلة فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصل وذاكر ويصافحونهم، ويؤمنون على دعائهم.

ونقل صاحب "غالية المواعظ" عن غنية الطالبين للشيخ عبد القادر الجيلاني قال: "ثم يقول جبريل عليه السلام للملائكة: تفرقوا، فيتفرقوّن فلا تبقى دار، ولا حجرة، ولا بيت، ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة، إلا دخلت الملائكة فيها، إلا بيت فيه كلب، أو خنزير، أو خمر، أوجنب من حرام، أوصورة "(١).

فكم بيت من بيوت المسلمين يعلق أهلها التصاوير للزينة المزعومة ويحرمون بذلك أنفسَهم رحمةَ الله عزوجل، وقد يكون الذي علقها واحداً لكنه يصير سبباً لإبعاد جميع أهل البيت من رحمة الله عزوجل.

(٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحرَّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان.

[عزاه في المشكاة إلى البخاري] (٢).

شرح الحديث:

إن العشرة الأخيرة تبتدئ عند الجمهور بالليلة الحادية والعشرين سواء كان الشهر تسعاً وعشرين أو كان ثلاثين، وعلى ذلك فينبغي تحري ليلة القدر في الحادية والعشرين، والثالثة والعشرين، والخامسة والعشرين والسابعة والعشرين، والتاسعة والعشرين.

لكن ذهب ابن حزم رحمه الله إلى: أن العشرة إنما تبدأ في الشهر الذي كان لتسع وعشرين من الليلة العشرين، وعند ذلك تكون الوتر: الليلة العشرين، والثانية والعشرين، والرابعة والعشرين، والسادسة والعشرين، والثامنة والعشرين، ويُرجَّح قول الجمهور بأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان يعتكف التماسَ ليلة القدر، وذلك يبتدئ بالحادية والعشرين عند الجميع.

---

(١) انظر غنية الطالبين ١٢/٢ أثناء حديث صدره بقوله: وروي عن ابن عباس.

(٢) رواه البخاري برقم: ٢٠١٧ في كتاب فضل ليلة القدر.

ويمكن العمل بالقولين إذا قام كل ليلة بدءًا من العشرين إلى ليلة العيد، يتحرى ليلة القدر ويلتمسها، وليس ذلك بصعب على من يرجو الثواب عند الله عزوجل، ويحتسب الأجر.

(٥) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان، فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة، والسابعة، والخامسة (١).

شرح الحديث:

يرشد هذا الحديث الشريف إلى ثلاثة أمور هامة جديرة بالاعتناء:

الأول: أن التنازع والتلاحي أمر ذميم، وشيء قبيح جداً، بلغ من شؤمه أن رُفعت من أجله ليلة القدر على التعيين للأبد، وليس ذلك فحسب، بل التنازع وفساد ذات البين يتسببان دَوما للحرمان والإبعاد من الرحمة والبركة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة والصيام، والصدقة؟ قالوا: بلى! قال: صلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة"(٢).

دع أنت الغافلين البُعَداء عن الدين، فقد نرى الذين يشتغلون بالأذكار الطويلة، ويزعمون لأنفسهم الصلاح والتقوى و الدين، نراهم لا ينفكون عن التخاصم، والتلاحي، فعليهم أن يتدبروا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم هذا، وأن يخافوا على تدينهم المزعوم الذي لا يدعهم ليجنحوا للصلح والسلم، وقد مرّ الحديث: "إن أ ربى الربا انتهاك عرض المسلم".

لكننا تبلغ بنا الشدة في الخصام مبلغاً لا نبالي فيه بأعراض المسلمين، ولا نلتفت إلى قول الله عزوجل: وقول رسوله الصادق المصدوق، صلى الله عليه وسلم، فقد قال الله عزوجل: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٢٠٢٣ في فضل ليلة القدر، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم برقم: ١١٦٧.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم: ٣٩١ وأبو داود برقم: ٤٩١٩ والترمذي برقم: ٢٥٠ وصححه في صفة الجنة، وابن حبان برقم: ٥٠٩٢ وأحمد ٤٤٤/٦ عن أبي الدرداء، وله شاهد عن علي رضي الله عنه في حديث طويل في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد ١٩٢/٩.

إن الله مع الصابرين﴾ [سورة الأنفال: ٤٦].

فليتعظ أولئك الرجال الذين لا يزالون يحتالون للنيل من كرامات الناس، وليتفكروا في الخلوة، كم ينالون بذلك من كرامة أنفسهم ويضرون بوقارهم! ويَهينون بهذه الأعمال الخسيسة في عين الله عزوجل، ولاتفارقهم المهانة والذلة في الدنيا كذلك كما هو المشاهد المعلوم.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من هجر أخاه فوق ثلاث فهو في النار إلا أن يتداركه الله بكرامته"(١).

وجاء في حديث: "تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين، فيغفر الله عزوجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرؤ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا"(٢).

وفي حديث: "تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فمن مستغفر فيغفر الله، ومن تائب فيتاب عليه، ويرد أهل الضغائن لضغائنهم حتى يتوبوا"(٣).

وفي حديث آخر: "إذا كان ليلة النصف من شعبان، ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، فيغفر لعباده، إلاما كان من مشرك أو مشاحن لأخيه" (٤).

وفي حديث: "ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان"(٥)

وليس ذلك موضع البسط في ذلك، والإحاطة بهذه الأحاديث، وإنما قدمت هذه الروايات العديدة، لأن البلوى بهذه الخصلة الذميمة عامة فقد ابتُلي بها الخاصة

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣١٥/١٨ برقم: ٨١٥ عن فضالة بن عبيد، وقال الهيثمي ١٣١/٨: رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٦٥ في البر والصلة وأحمد برقم: ٧٦٣٩ وأبو داود برقم: ٤٩١٦ والترمذي ٢٠٢٣ عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط عن جابر برقم: ٧٤١٩ قال الهيثمي ٦٩/٨: رجاله ثقات.

(٤) أخرجه البزار ٤٣٥/٢ برقم: ٢٠٤٥ من كشف الأستار عن أبي بكر، قال الهيثمي ٦٨/٨: فيه عبد الملك بن عبد الملك، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، ولم يضعفه، وبقية رجاله ثقات انتهى،

وله شواهد من حديث أبي هريرة، وعوف بن مالك، عند البزار برقم: ٢٠٤٦ و: ٢٠٤٨ وعن معاذ بن جبل عند الطبراني في الأوسط ٦٧٧٦ وعن أبي ثعلبة الخشني عند البيهقي في الشعب برقم: ٣٥٥١، وبعضها يقوي بعضاً.

(٥) أخرجه ابن ماجه برقم: ٩٧١ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

منا، فضلاً عن العامة، والأشرافُ وأصحابُ التدين فضلاً عن الهمَج والغوغاء، وتعمر مجالسنا ومحافلنا بالغيبة، والوقوع في الأعراض، ودوس الكرامات، وما إليها من العادات المَشينة، المشئومة، فإلى الله المشتكى، والله المستعان.

وليعلم: أن ذلك كله إنما هو في العداوات والحزازات الدنيوية، فأما أن يَهجر أحداً نظراً إلى الفسق والفجور، أو انتصاراً للدين، ودفاعاً عن حوزته، فهو جائز صحيح، فقد جاء: أن ابن عمر روى مرة حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له ابنه قولاً كان فيما يبدو خلافاً للحديث وافتئاتاً عليه، "فهجره عبد الله بن عمر، ولم يكلمه حتى مات"(١).

وهناك حكايات أخرى ثبتت عن الصحابة في هذا الباب، ولكن الله تعالى سميع بصير، خبير، عليم، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، يعلم الهجران الذي كان منشؤه الدين، مِن الذي كان للجاه الشخصي، والحمية الذاتية، فقد يمكن كلَّ شخص أن يُحيل عداوته وبغضه إلى الدين.

والأمر الثاني الذي يفيده الحديث هو: الرضاء، والإذعان، والانقياد، والاستسلام لأمر الله عزوجل وحكمته، فقد أعرب النبي صلى الله عليه وسلم عن خضوعه للحكمة الإلهية قائلاً: "وعسى أن يكون خيراً لكم"، رغما من أن رفْع ليلة القدر كان في الظاهر خسارة عظيمة، وضرراً جسيماً، وفي ذلك عبرة لأولي الألباب، وإن الله عزوجل رحيم، لطيف بعباده، دائم الرحمة والرأفة بهم، فإذا أصاب العبدَ من مصيبة بما كسبت يداه، ثم تاب إلى الله عزوجل، وأناب، ورجع، وتضرع إليه، أدركته الرحمة، وجُعلت تلك المصيبة سبباً لخير كثير، وما ذلك على الله بعزيز.

فقد أشار العلماء في إخفاء هذه الليلة كذلك إلى مصالح عديدة منها:

الأولى: أن لو عينت لكان هنالك رجال من ذوي البطالة، يتركون الاهتمام بقيام الليالي، والعبادة فيها بالكلية، بينما الآن نرى السعداء يجتهدون في كثير من الليالي، عسى أن يحْظَوا بليلة القدر.

(١) أخرج أحمد في مسنده ٣٦/٢ عن مجاهد عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يمنعن رجل أهله أن يأتوا المساجد، فقال ابن لعبد الله بن عمر: فإنا نمنعهن، فقال عبد الله: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول هذا؟! قال: فما كلمه عبد الله حتى مات.

والثانية: أن هناك أناساً تعودوا اقتراف المعاصي، وأُغروا بها، لا يصبرون عنها، ولا يفارقونها، فلو كانت ليلة القدر قد عينت، ثم وقع منهم فيها معصية، لكان ذلك أمراً خطيراً للغاية، روي: "أنه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد، فرأى نائماً فقال: يا علي! نبهه ليتوضأ، فأيقظه علي، ثم قال علي: يا رسول الله! إنك سباق إلى الخيرات، فلم لم تنبهه؟ قال: لأن رده عليك ليس بكفر، ففعلت ذلك لتخف جنايته لو أبى"(١).

الثالثة: أنها لو كانت معلومة، ثم اتفق أن فاتت أحداً من المؤمنين ظل يتحسّر على ذلك حسرة شديدة، ويأسَف أسفاً عظيماً، ثم لا ينشط للعبادة في الليالي الأخرى أيضاً، وأما الآن فإن كل أحد يسعد بعبادة ليلة أو ليلتين فصاعدا.

والرابعة: أن هذا السعي الذي يُبذل في التماسها لا يُحرم صاحبُه أجرَ ما سعى، وما سهِر، فإنه يؤجر في ذلك أيضاً.

والخامسة: أن الله تعالى يباهي الملائكة بعباده الذين يجتهدون في عبادته سبحانه وتعالى في رمضان، فعدم تعيينها أقرب إلى المباهاة والمفاخرة، وأجدر بها: أنهم يجتهدون هذا الاجتهاد كله على الاحتمال، والرجاء فحسب، فكيف لو كانت معلومة معينة؟ إلى غيرها من المصالح والحكم.

ويمكن أن تكون هناك مصالح، وحكم أخرى، ونظراً إلى هذه، فقد جرت سنة الله عزوجل بإخفاء مثل هذه الأشياء العزيزة، كما هو الشأن في اسم الله الأعظم، وفي ساعة الإجابة يوم الجمعة، ويمكن أن يقال: إن التلاحي إنما كان سبباً لرفعها على التعيين ذلك العام خاصة، ثم رفعت إلى القيامة تحصيلاً للمصالح المذكورة.

والأمر الثالث: هو أنه صلى الله عليه وسلم أرشد إلى ثلاث ليالٍ لالتماس ليلة القدر وهي: التاسعة، والسابعة، والخامسة، فإذا اعتبرنا الأحاديث الأخرى علمنا أن هذه الليالي إنما هي في العشرة الأخيرة (٢) ثم اختلف في معناها، فإن عُدّت من الأول، كان محمل الحديث: التاسعة والعشرين، والسابعة والعشرين،

(١) ذكره الرازي في التفسير الكبير في تفسير سورة القدر. وهذا نص كلامه، وأظنه نقله بالمعنى.
(٢) وقد جاء ذلك بالصراحة في هذا الحديث عند البيهقي في السنن الكبرى ٤١٠/٤ برقم: ٨٦٣٥

والخامسة والعشرين، وإن عدت من الآخر كما يعلم من بعض الأحاديث (١) فله صورتان، إحداهما: أن يكون الشهر تسعا وعشرين، فتكون: الحادية والعشرين، والثالثة والعشرين، والخامسة والعشرين، وفي الصورة الثانية تكون: الثانية والعشرين، والرابعة والعشرين، والسادسة والعشرين.

وقد اختلفت الأحاديث في ذلك اختلافاً كثيراً، ونظراً إلى ذلك فقد اختلفت أقوال العلماء وآراؤهم كذلك، حتى بلغت خمسين قولاً، وتوجيه اختلاف هذه الأحاديث عند المحققين من العلماء: أن هذه الليلة لا تختص بتاريخ معين، وإنما تختلف باختلاف الأعوام، ومن ثم أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى ليالي مختلفة في أعوام مختلفة، وقد أرشد في بعض الأعوام إلى إحدى الليالي على الخصوص، فقد جاء في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا ليلة القدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كم مضى من الشهر؟ قلنا: ثنتان و عشرون، وبقي ثمان، قال: مضى اثنتان وعشرون، وبقي سبع، الشهر تسع وعشرون، فالتمسوها الليلة"(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله! أخبرني عن ليلة القدر أ في رمضان أو في غيره؟ قال: بل هي في رمضان، قال: قلت: يا رسول الله! تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبض الأنبياء رفعت أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: بل هي إلى يوم القيامة، قال: فقلت: يا رسول الله! في أي رمضان هي؟ قال: التمسوها في العشر الأُوَل، والعشر الأواخر، قال: ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث، فاهتبلت غفلته، فقلت: يا رسول الله! في أي العشرين؟ قال: التمسوها في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها، ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث، فاهتبلت غفلته فقلت: يا رسول الله! أقسمت عليك لتخبرني أو لما أخبرتني في أي العشر هي؟ قال: فغضب علي غضباً ماغضب علي مثله قبله، ولا بعده، فقال: إن الله لو شاء لأطلعكم عليها، التمسوها في السبع الأواخر" (٣)

(١) انظر حديث أبي سعيد عند مسلم برقم: ١١٦٧ وحديث ابن عباس عند البخاري برقم: ٢٠٢١.
(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤٠٧/٦ برقم: ٨٦٢٥ عند أحمد، وله شاهد من حديث عبد الله بن أنيس عند أحمد.
(٣) أخرجه الحاكم ٥٧٨/٢ في التفسير برقم: ١٠٩٨/٣٩٦٠ وصححه، ووافقه الذهبي.

وقد أرشد النبيﷺ بعض الصحابة إلى الثالثة والعشرين بالخصوص(١)

قال ابن عباس رضي الله عنه: "أُتيت وأنا نائم في رمضان، فقيل لي: إن الليلة ليلة القدر قال: فقمت وأنا ناعس، فتعلقت ببعض أطناب فسطاط رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يصلي قال: فنظرت في تلك الليلة، فإذا هي ليلة ثلاثة وعشرين" (٢).

وتفيد بعض الأحاديث الإرشاد إلى الرابعة والعشرين كذلك (٣).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "من يقم الحول يصب ليلة القدر".

وذكره بعضهم لأبي بن كعب فقال: "رحمه الله! أراد أن لا يتكل الناس، أما إنه علم أنها في رمضان، وأنها في العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين"(٤).

وكذلك ذهب كثير من الصحابة والتابعين إلى أنها تكون في السابعة والعشرين، وهذا هو رأي أبي بن كعب رضي الله عنه، وأما رأي ابن مسعود فهو أنه إنما يجدها من يلتمس في السنة كلها، ويقوم الليالي جمعاء.

وتفيد بعض الروايات كما في الدر المنثور أنه يروي ذلك عن النبي ﷺ.

وذهب أبو حنيفة من أئمة المذاهب في قوله المشهور إلى أنها تدور في السنة كلها، وذهب صاحباه إلى أنها تكون في ليلة معينة من رمضان، إلا أنها غير معلومة لنا، والقول الراجح للشافعية أن الأقرب أن تكون في الحادية والعشرين، وقال مالك وأحمد: إنها تدور في الوتر من العشرة الأخيرة من رمضان، فتختلف باختلاف الأعوام فيها.

وذهب جمهور العلماء إلى أن أغلب الظن أن تكون في السابعة والعشرين (٥).

(١) هذا الصحابي هو عبد الله بن أنيس، فقد أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤٠٧/٤ برقم: ٨٦٢٣ عنه قال: قلت: يا رسول الله! إن لي بادية أكون فيها، وأنا أصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد، فقال: انزل ليلة ثلاثة وعشرين. وانظر في صحيح مسلم الحديث برقم: ١١٦٨ عنه فقد جاء فيه: كان عبد الله بن أنيس يقول: ثلاث وعشرين.

(٢) أخرجه البخاري برقم: ٢٠٢٣ في فضل ليلة القدر، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم برقم: ١١٦٧.

(٣) أخرج البخاري برقم: ٢٠٢٢ عن ابن عباس موقوفاً، قال: التمسوا في أربع وعشرين يعني: ليلة القدر.

(٤) أخرجه مسلم برقم: ٧٦٢ في الصيام عن زر بن حُبيش، وهو الذي ذكر لأبي بن كعب قول ابن مسعود.

(٥) انظر فتح الباري، كتاب فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر ٢٦٢/٤-٢٦٥ فقد فصّل الكلام

وقال الشيخ ابن عربي: إن القول الصحيح عندي قول من يقول: إنها تدور في ليالي السنة كلها، فقد وجدتها مرتين في شهر شعبان، مرة في النصف منه، وأخرى في التاسعة والعشرين، ووجدتها مرتين في العشرة الثانية من رمضان: في الثالثة عشرة، والثامنة عشرة، وقد وجدتها في كل وتر من العشرة الأخيرة، فصرت على يقين من أنها تدور في السنة كلها، إلا أنها يكثر وجودها في رمضان (١).

وقال عالم القطر الهندي الشاه ولي الله الدهلوي: إن ليلة القدر تكون في العام مرتين، إحداهما: التي تنزل فيها من الله تعالى أمور وأحكام، وفيها نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وهي ليست خاصة برمضان، وإنما تدور في السنة كلها، لكنها كانت في العام الذي نزل فيه القرآن في شهر رمضان، وكثيراً ما تكون هي في رمضان.

والثانية: التي تجيش فيها الروحانية، وتكون على قد وساق، وتنزل الملائكة، وتبتعد الشياطين، وتُسمع الأدعية وتُجاب، وتُرفع العبادات وتُقبل، وتلك تكون في كل رمضان في الوتر من العشرة الأخيرة منه، وتختلف باختلاف السنوات، انتهى. وكان والدي رحمه الله تعالى يحب هذا القول ويؤثره.

وعلى كل حال، سواء كانت ليلة القدر في السنة مرة أو مرتين، ينبغي لكل شخص أن يجتهد في تحريها والتماسها في ليالي السنة، فإن لم يستطع فليقدر شهر رمضان قدره، ويبذل فيه جهده، فإن لم يفعل فليغتنم العشرة الأخيرة منه، ولا سيما الليالي الوتر منها، وإن فاته ذلك لا قدر الله! فلينتهز السابعة والعشرين، فلو حالفه التوفيق، وشمله التأييد، فوافقها، لربح ربحاً لا يُقوّم، ووجد نعمة لا تساويها نعم الدنيا، وراحاتها كلها، وإن لم تتيسرْ له فما يَعدَم الأجرَ عند الله عزوجل، لذلك ينبغي أن يهتم كل واحد بأداء صلاتي العشاء والفجر بالجماعة في المسجد طوال السنة اهتماماً أكيداً، فلو صلى العبد هاتين الصلاتين بالجماعة في المسجد، ووافقته ليلة القدر، لوجد أجر كثير من

في ذلك وتوسع فيه.

(١) انظر إتحاف السادة المتقين ٢٣٦/٤.

الصلوات التي أُديت بالجماعة.

وما أعظم فضل الله عزوجل! حيث يمنح الساعي في الخير أجره، وإن لم تتحقق نتيجته، ولم يتم عمله، ومع ذلك فكم من أصحاب الهمة والعزم ينهض في هذا السبيل، ويتفانى ويستميت فيها؟!

وبالعكس من ذلك الأمور المادية، والأغراض الدنيوية، فإنها لو لم تتحقق النتائج المرجوة فيها، ولم تنجح الأهداف، خابت المساعي، والجهود المبذولة فيها، وذهبت سدى، ثم نرى كثيراً من الناس مُكبين على الأغراض المادية، والمقاصد الدنيوية الحقيرة التي لا تعود بطائل كبير، ينفقون فيها من أموالهم وأنفسهم.

(٦) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال: في رمضان، في العشرة الأواخر، فإنها في ليلة وتر: في إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو آخر ليلة من رمضان، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن أماراتها أنها ليلة بلجة صافية ساكنة ساجية لاحارة ولاباردة كان فيها قمراً ساطعاً، ولا يحل لنجم أن يرمى به تلك الليلة حتى الصباح، ومن أماراتها أن الشمس تطلع صبيحتها، لا شعاع لها مستوية، كأنها القمر ليلة البدر، وحرّم الله على الشيطان أن يخرج معها يومئذ [الدر المنثور عن أحمد، والبيهقي، ومحمد بن نصر، وغيرهم] (١).

شرح الحديث:

قد ذكر أول الحديث فيما تقدم من الأحاديث، ويشير آخره إلى بعض أمارات ليلة القدر، وكل ما ذكر في ذلك واضح المعنى، لا يحتاج إلى شرح وبيان، وقد تكلم المشايخ الذين سعدوا بإدراك ليلة القدر في ذلك، وتختص من بين هذه الأمارات أن الشمس تطلع صبيحتها مستوية لا شعاع لها، فقد ذكرت

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ٢٢٧٤١ إلى قوله ما تقدم من ذنب، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٤٢٠ بطوله، وفي إسناده ضعف كما قال البيهقي، إلا أن أكثره مؤيد بالروايات الأخرى، وقال الهيثمي ١٧٨/٣: رجاله ثقات.

في عدد من روايات الحديث(١) وتوجد دائماً، وأما غيرها من العلامات فليست بلازمة مطّردة.

قال عبدة بن أبي لبابة: ذقت ماء البحر ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان، فإذا هو عذب (٢).

وقال أيوب بن خالد: كنت في البحر، فأجنبت ليلة ثلاث وعشرين من رمضان، فاغتسلت من ماء البحر، فوجدته عذبا فراتا (٣).

وقال المشايخ: إن ليلة القدر يسجد فيها كل شيء حتى تسقط الأشجار على الأرض، ثم تعود إلى حالها، لكن ذلك يتصل بالمكاشفات ولا تظهر هذه الأمور على كل أحد.

(٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! أ رأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم إنك عفو، تحب العفو فاعف عني (٤).

شرح الحديث:

ما أرشد إليه الحديث من الدعاء، جامع شامل، وهل هناك شيء أعظم وأجل من أن يتجاوز الله عزوجل عن السيئات، ويعفو عن العبد، ويعفيه من الحساب يوم القيامة؟.

قال سفيان الثوري: الاشتغال بالدعاء في ليلة القدر أولى من العبادات الأخرى، وقال ابن رجب: بل الجمع بين مختلف العبادات أفضل كالتلاوة، والصلاة، والدعاء، والمراقبة، وذلك لأنه أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك، وذلك أقرب عندي كذلك. فقد تقدم في الأحاديث الفضل في الصلاة، والذكر، وغيرهما من العبادة.

---

(١) انظر مجمع الزوائد ١٧٧/٣، فقد ذكر فيه حديث ابن مسعود وقال: رواه أحمد، وأبو عقرب لم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات. انتهى

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٤١٦

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٤١٧

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم: ٣٥١٣ وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في الدعاء برقم: ٣٨٥٠ عن عائشة، ولفظ ابن ماجه: أرأيت إن وافقت ليلة القدر.....

الفصل الثالث:

الاعتكاف

الاعتكاف عبارة عن اللبث في المسجد بنيته، وذلك عند الحنفية على ثلاثة أنواع:

الأول: واجب، وهو ما كان عن نذر، كأن يقول: إن تحقق لي الغرض الفلاني أعتكفْ لله كذا وكذا يوماً، أو يقول: أوجبت على نفسي أن أعتكف كذا وكذا يوماً من دون أن يعلقه على تحقق عمل أو غرض.

والثاني: سنة، وذلك في العشر الأواخر من رمضان، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكفها بالمواظبة.

والثالث: نفل، ولا توقيت له، ولا تحديد، فلو اعتكف أحد عمره كله جاز، نعم! اختلفوا في أقله، فهو يوم وليلة عند أبي حنيفة رحمه الله، وساعة عند محمد بن الحسن رحمه الله تعالى، وعليه الفتوى، ولذلك يحسن لكل شخص أن ينوي الاعتكاف كلما دخل المسجد، فإنه يجري له بذلك ثواب الاعتكاف أيضاً ما دام يبقى في المسجد يصلي أو يذكر أو يشتغل بالعبادة الأخرى، وقد رأيت أبي رحمه الله تعالى يواظب على ذلك، ويهتم به، كان يقدّم في المسجد الرجل اليمنى، وينوي الاعتكاف في نفسه، وربما يجهر به تعليماً للأصحاب، وتلقيناً للمسترشدين.

إن الاعتكاف فيه أجر كثير، وله فضل عظيم، وناهيك في فضله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يداوم عليه، ويواظب، وإن مثل المعتكف كمثل من لزم باب كريم، وعكف نفسه عليه، يقول: لن أبرح قائماً بباب مولاي، حتى يُحقق لي غايتي، ويُعطيني سؤلي، فلا شك أن ذلك يسترحم القاسي القلب، الجاف الغليظ، فما بالك بالرب الكريم الذي وسعت رحمته كل شيء، وهي تتوجه إلى العبد بأدنى سبب، بل بلا سبب؟ فإذا عكف أحد، واطّرح نفسَه على عتبة باب الرب عزوجل، وانقطع إليه، فأي ريب في أن الله تعالى يرحمه، وينيله، ويمنحه، ويعطيه؟ ومن يستطع أن يصف حال العبد الذي

خوله الله عزوجل من خزائنه؟ ومن يدرك ما حاز من الخيرات والبركات والخزائن؟ لا أستطيع أن أقول فوق ذلك، وأنى للخليّ أن يعرف حُرقة الشجيّ! ولكن الرجل الذي قد عزم على الوصول إلى الهدف، لا يمنعه شيء، ولا يعوقه عائق، وذلك مثل المعتكف، كأنه يقول:

لابد من صنعاء وإن طال السفر وإن تحنى كل عود ودبر

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "مقصود الاعتكاف وروحه: عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع إليه، عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليها بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه، وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً من أنسه بالخلق، فيعده ذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له، ولا مايفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم(١).

وقال صاحب مراقي الفلاح:

"هو من أشرف الأعمال إذا كان عن إخلاص لله تعالى، لأن المعتكف كالمصلي، وهي (الصلاة) حالة قرب وانقطاع، ومحاسنها لا تحصى، ومن محاسن الاعتكاف: أن فيه تفريغ القلب من أمور الدنيا بشغله بالإقبال على العبادة، متجرداً لها، وتسليم النفس إلى المولى بتفويض أمرها إلى عزيز جنابه، والاعتماد على كرمه، والوقوف ببابه، وملازمة عبادته، والتقرب إليه، ليقرب من رحمته، كما أشار إليه في حديث: "من تقرب إلي"، وملازمة القرار في بيته سبحانه وتعالى، واللائق بمالك المنزل إكرام نزيله تفضلاً، ورحمة، وإحساناً منه، ومنة للالتجاء إليه، والتحصن بحصنه، فلا يصل إليه عدوه، وترى الرعايا يحسبون أنفسهم على باب سلطانهم، وهو فرد منهم، ويجهدون في خدمته، والقيام أذلة بين يديه لقضاء مآربهم، فيعطف عليهم بإحسانه، ويحميهم من عدوهم بعزة قدرته وقوة سلطانه"انتهى(٢).

(١) انظر زاد المعاد ٢/٨٦ فصل: في هديه صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف طبعة مؤسسة الرسالة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م بتحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.

(٢) انظر مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ص:١٤١-١٤٢ كتاب الصوم باب الاعتكاف طبعة دار المعرفة

مسألة :

أفضل المساجد للرجل للاعتكاف هو: المسجد الحرام، ثم المسجد النبوي، ثم مسجد القدس، ثم المسجد الجامع، ثم مسجد الحي، ويُشترط عند أبي حنيفة للاعتكاف: أن يكون المسجد تقام فيه الجماعة للصلوات الخمس، بينما يكفي عند الصاحبين المسجد الشرعي، وإن لم تكن تقوم فيه الصلوات الخمس.

ويحسن بالمرأة: أن تعتكف في مسجد بيتها، وإن لم يكن هناك في البيت مسجد معين، فلتعين للاعتكاف مكاناً، فالاعتكاف على النساء أسهل من الرجال، حيث يمكنهن أن يشرفن على الشئون المنزلية حال اعتكافهن، لكنهن غافلات عن هذه السنة.

(١) عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية، ثم أطلع رأسه، فقال: إني اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أُتيت، فقيل لي: إنها في العشر الأخير، فمن كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر، فقد أُريت هذه الليلة، ثم أُنسيتها، وقد رأيتني أسجد في ماء و طين من صبيحتها، فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوا في كل وتر، قال: فمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش، فوكَف المسجد، فبصُرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى جبهته أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين .[متفق عليه باختلاف اللفظ كما في المشكاة] (١).

شرح الحديث:

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان بالمواظبة، وقد دل الحديث على أنه اعتكف في هذا العام الشهر كله، وكذلك اعتكف صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه عشرين يوماً. (٢) لكن لما كان الغالب من عادته اعتكاف العشر الأواخر، كان ذلك هي السنة عند العلماء.

وقد علم من هذا الحديث: أن المقصود الأعظم من الاعتكاف إنما هو

بيروت ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م

(١) أخرجه البخاري في الأذان برقم: ٨١٣ ومسلم في الصيام برقم: ١١٦٧

(٢) كما ثبت في حديث أبي هريرة عند البخاري برقم: ٢٠٤٤.

تحري ليلة القدر والتماسها، والواقع أن الاعتكاف له مناسبة تامة بطلب ليلة القدر، ذلك لأنه عبادة مستمرة، فالمعتكف يُعَدّ في العبادة وإن بات نائماً، وأيضاً فإن المعتكف ينقطع عن أشغال الدنيا، وعلائقها الشاغلة، وليس له شغل إلا عبادة ربه عزوجل، وذكره سبحانه وتعالى، فالذين يرغبون في ليلة القدر، ويودون أن يحظوا بها، لا شيء أنفع لهم من الاعتكاف، إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتم بشهر رمضان كله أيما اهتمام، ويكثر من العبادة فيه، وأما العشرة الأخيرة فكان يزداد اهتمامه، وسعيه، وجده فيها، فيقوم في الليلة بنفسه، ويوقظ أهله، كما ثبت في أحاديث الصحيحين، فعن عائشة رضي الله عنها فيما رواه البخاري ومسلم، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر"(١).

وقولها: "شد المئزر" يحتمل: أن يراد به الجد في العبادة كما يقال: شددت لهذا الأمر مئزري، أي: تشمرت له، ويحتمل: أن يراد اعتزال النساء بالكلية.

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المعتكف: هو يعتكف الذنوب، ويجري له من الحسنات كعامل الحسنات(٢).

شرح الحديث:

أشار الحديث المذكور إلى فائدتين جليلتين عظيمتين للاعتكاف، إحداهما: أنه يجتنب به المرء المعاصي والذنوب، ولولاه لخيف عليه أن تجتمع له من أجل الغفلة والتقصير أسباب ودواع تؤدي به إلى الوقوع في المعاصي، وذلك فيه خطر كبير، وظلم عظيم، في هذا الموسم الميمون، فيكون الاعتكاف حرزاً له من ذلك.

والثانية: أن المعتكف قد يفوته عدد من أعمال البر كاتباع الجنائز، وعيادة المريض، وهلم جراً، لكن الله تعالى يُجري له ثواب الحسنات كلها، ويكتب له أجور الخير كله، يا لله! ما أعظم فضل الله تعالى وما أكثر جوده وعطاءه! يقوم العبد بعبادة واحدة، وتكتب له مثوبة عشر من العبادات، والواقع أن رحمة الله تعالى تقبل على العبد بأيسر سبب، وتهطل عليه أمطار كرمه وعطائه بأدنى طلب، لكننا

(١) أخرجه البخاري برقم: ٢٠٢٤ ومسلم برقم: ١١٧٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم: ١٧٨١ قال البوصيري ص: ٢٥٧ من زوائد ابن ماجه: هذا إسناد ضعيف لضعف فرقد بن يعقوب السبخي البصري الحائك انتهى.

الخاتمة:

أختم هذا الفصل بحديث طويل مشتمل على أنواع من فضائل هذا الشهر.

(٣) عن ابن عباس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن الجنة تبخر وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان، هبت ريح من تحت العرش يقال لها المُثيرة، فتصفق ورقات أشجار الجنان، وحلق المصاريع، فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، فتبرز الحور العين حتى يقفن بين شُرَف الجنة فينادين: هل من خاطب إلى الله فيزوجه؟ ثم يقلن الحور العين: يا رضوان الجنة، ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية، ثم يقول: هذه أول ليلة من شهر رمضان، فتحت أبواب الجنة على الصائمين من أمة محمد ﷺ.

قال: ويقول الله عزوجل: يا رضوان! افتح أبواب الجنان، ويا مالك! أغلق أبواب الجحيم على الصائمين من أمة أحمد صلى الله عليه وسلم، ويا جَبرئيل اهبط إلى الأرض، فاصفد مردة الشياطين، وغُلّهم بالأغلال، ثم اقذفهم في البحار، حتى لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي صلى الله عليه وسلم صيامهم.

قال: ويقول الله عزوجل في كل ليلة من شهر رمضان لمناد ينادي ثلاث مرات: هل من سائل فأعطيه سُوله؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ من يقرض المليء غير العدوم، والوافي غير الظلوم؟

قال: ولله عزوجل في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، كلهم قد استوجبوا النار، فإذا كان آخر يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بقدر ما أعتق من أول الشهر إلى آخره.

وإذا كانت ليلة القدر، يأمر الله عزوحل جبرئيل، فيهبط في كبكبة من الملائكة، ومعهم لواء أخضر، فيركز اللواء على ظهر الكعبة، وله مائة جناح، منها جناحان لا ينشرهما إلا في تلك الليلة، فينشرهما في تلك الليلة، فيجاوز المشرق إلى المغرب، فيحث جبرئيل عليه السلام الملائكة في هذه الليلة، فيسلمون على كل قائم، وقاعد، ومصل، وذاكر، ويصافحونهم، ويؤمنون على دعائهم، حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر، ينادي جبرئيل معاشر الملائكة: الرحيلَ الرحيلَ، فيقولون: يا جبرئيل فما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة

أحمد صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: نظر الله إليهم في هذه الليلة، فعفا عنهم إلا أربعة، فقلنا: يا رسول الله من هم؟ قال: رجل مدمن خمر، وعاق لوالديه، وقاطع رحم، ومشاحن، قلنا: يا رسول الله ما المشاحن؟ قال: هو المصارم.

فإذا كانت ليلة الفطر سُمِّيت تلك الليلة ليلة الجائزة، فإذا كانت غداة الفطر بعث الله عزوجل الملائكة في كل بلاد، فيهبطون إلى الأرض، فيقومون على أفواه السكك، ينادون بصوت يسمع من خلق الله عزوجل إلا الجن والإنس فيقولون: يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل، ويعفو عن العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم، فيقول الله عزوجل للملائكة: ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ قال: فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره، قال: فيقول: فإني أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان، وقيامهم، رضائي ومغفرتي، ويقول: يا عبادي سلوني، فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئاً في جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم، فوعزتي لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتموني، وعزتي وجلالي لا أخزيكم، ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود، انصرفوا مغفوراً لكم، قد أرضيتموني، ورضيت عنكم، فتفرح الملائكة، وتستبشر بما يعطي الله عزوجل هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان.

[كذا في الترغيب، وقال: رواه أبو الشيخ بن حيان في كتاب الثواب والبيهقي واللفظ له، وليس في إسناده من أجمع على ضعفه قلت: قال السيوطي في التدريب: قد التزم البيهقي أن لا يخرج في تصانيفه حديثاً يعلمه موضوعاً الخ وذكر القاري في المرقاة بعض طرق الحديث، ثم قال: فاختلاف طرق الحديث يدل على أن له أصلاً اهـ] (١).

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٤٢١ والفاكهي في أخبار مكة، وانظر كلام المنذري في الترغيب ٧١/١ وكلام ملا علي القاري في المرقاة ٢٤٠/٤ كتاب الصيام الفصل الثالث.

وأشار ابن عراق في تنزيه الشريعة ١٤٦/٢ إلى هذا الحديث، ونقل عن ابن الجوزي قوله: قد روي هذا الحديث من حديث ابن عباس بألفاظ أخرى من طريق لا يصح أيضاً، فذكره ثم قال: فيه الضحاك ضعيف، والقاسم بن الحكم العرفي مجهول، والعلاء بن عمرو الخراساني قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. ثم قال ابن عراق: قلت: قوله في القاسم بن حكم: مجهول، ممنوع والله أعلم. وقال الهندي في الكنز بعد إيراده: وهو ضعيف انتهى ←

شرح الحديث:

قد تقدمت معظم معاني هذا الحديث في الأحاديث السابقة، ويجدر بعض ما جاء في هذا الحديث بالتأمل والوقوف عنده.

أوله وأهمه: أن بعض الناس كانوا محرومين مغفرةَ رمضان العامة كما ذكر في الأحاديث، وقد حُرموا كذلك مغفرة العيد الواسعة، ومن هؤلاء الأشقياء: المتقاطعون والمتصارمون والمتشاحنون، والعاقون لأبويهم، فليسألهم أحد: أيَّ مكان تبوؤوا لأنفسهم بمعصية الله عزوجل وارتكاب مساخطه؟ أف لكم ولعزتكم المزعومة التي تستوجبون بها لعنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعنة جبريل عليه السلام! وتستحقون الطرد من رحمة الله عزوجل الواسعة ومغفرته العامة.

أسائلكم: هَبُوْا أنكم ألحقتم بخصومكم الخزي والعار، فإلى متى تتمتعون بهذه العزة؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو عليكم بالهلاك والدمار، ويلعنكم الملك المقرب، ويطردكم الله عزوجل من الرحمة والغفران! تأملوا بالله، وتأنوا! فإن التلافي ممكن اليوم، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأما غدا فلا يبقى أوان الاستعتاب حيث نقوم أمام رب العالمين الإله الواحد القهار، الذي لا ينفع عنده عزوجل شرف ولا مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وكل عمل عنده معلوم مكتوب، وإنه سبحانه وتعالى قد يتجاوز عن التقصير في حقه، ولكنه لا يترك حقوق العباد حتى يعدل بينهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار (١).

وقد أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس برقم: ٣٦٨٨ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الجنة لتزين من السنة إلى السنة لشهر رمضان، وإن الحور العين لتتزين من السنة إلى السنة لشهر رمضان، فإذا دخل شهر رمضان قالت الجنة: اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك سكاناً، ويقلن الحور العين: اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجاً انتهى، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٧/٣: لم أجد من ترجم أحمد بن أبيض، وبقية رجاله موثقون.

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم: ٣٥٨١ في البر والصلة.

والأمر الثاني: أن الأحاديث المذكورة في هذه الرسالة قد أشارت إلى بعض المناسبات للمغفرة، وهناك أمور ومظان أخرى للمغفرة، فيشكل هنا أن الذنوب إذا غُفرت مرة واحدة، فما معنى المغفرة في مرة أخرى؟ والإجابة عن ذلك: أن ضابط المغفرة هو أنها إذا أقبلت على العبد، فإن كان عليه ذنب محته، وإن لم يكن عليه ذنب، زادت عليه من الرحمة، والإنعام، والإحسان، ورفع الدرجات.

والأمر الثالث: أن هذا الحديث، وكذا الأحاديث الأخرى، ذكرت أن الله تعالى أشهد الملائكة على المغفرة، فذلك لأن الله تعالى جعل أحكام القيامة جارية على سُنن العدل، ومنهج الإنصاف، فقد أشارت النصوص أن الله تبارك وتعالى يسأل الأنبياء والرسل الشهادة على تبليغ الرسالة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنتم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟" قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فقال بإصبعه إلى السماء، وينكبها إلى الناس: "اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات"(١).

وقد أخرج البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب! فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم! فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، و﴿يكون الرسول عليكم شهيداً﴾، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾"(٢).

قال الإمام فخر الدين الرازي:

(١) أخرجه مسلم برقم: ١٢١٨ وابن ماجه برقم: ٣٠٧٤ ضمن حديث طويل عن جابر رضي الله عنه في حجة الوداع.

(٢) أخرجه البخاري برقم: ٤٤٨٧ في التفسير، والترمذي برقم: ٢٩٦١ في التفسير وقال: حسن صحيح، قال الحافظ في الفتح: زاد أبو معاوية: فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا، فصدقناه.

وقال الحافظ: يؤخذ من حديث أبي بن كعب تعميم ذلك، فأخرج ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي العالية عن أبي بن كعب في هذه الآية، قال: كانوا شهداء على الناس، كانوا شهداء على قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وغيرهم، أن رسلهم بلغتهم، وأنهم كذبوا رسلهم، ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من رجل من الأمم إلا ود أنه منا أيتها الأمة، ما من نبي كذبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة أنه قد بلغ رسالة الله ونصح لهم. انتهى.

الأشهاد أربعة :

أولها : الملائكة الموكلون بإثبات أعمال العباد قال تعالى : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق : ٢١] وقال : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٨] وقال : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار : ١٠-١١] .

وثانيها : شهادة الأنبياء ، وهو المراد بقوله حاكياً عن عيسى عليه السلام : ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المائدة : ١١٧] .

وقال في محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في هذه الآية : ﴿لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول علهم شهيداً﴾ [سورة النساء : ٤١] .

وثالثها : شهادة أمة محمد ﷺ خاصة ، قال تعالى : ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر : ٦٩]. ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [سورة الغافر : ٥١].

ورابعها : شهادة الجوارح ، وهي بمنزلة الإقرار ، بل أعجب منه ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النور : ٢٤]. وقال : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة يس : ٦٥] (١).

والأمر الرابع : قوله سبحانه وتعالى في هذا الحديث القدسي : "وعزتي وجلالي لاأخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود" وذلك غاية من اللطف والكرم منه سبحانه وتعالى ، أنه يتجاوز هنالك أيضاً عن سيئات المؤمنين الذين كانوا يبتغون وجهه ، ويستر عليهم.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : "يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عزوجل ، حتى يضع عليه كنفه ، فيقرره بذنوبه ، فيقول : هل تعرف؟ فيقول : أي رب! أعرف ، قال : فإني سترتها عليك في الدنيا ، وإني أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس

(١) نقله الرازي في تفسيره تحت قول الله عزوجل، ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ عن ابن زيد انظر التفسير الكبير ٤/٩٢

الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على الله(١).

وهناك أحاديث كثيرة تدل على أن الله عزوجل يعفو ، ويتجاوز عن عباده الذين يسعون في ابتغاء وجهه ، والتماس مرضاته ، ويقومون بامتثال أوامره ، ويُقيل عثراتهم ، ويغفر زلاتهم ، فليعلم الذين يتبعون أخطاء الصالحين ، ويغتابونهم ، ويقعون في أعراضهم ، أنهم في خطأ كبير ، فليخافوا على أنفسهم أن تعود هذه الوقيعة في أعراض الصالحين ، وغيبتهم ، وبالاً عليهم وهلاكاً ، بينما يُرجى أن يتجاوز عن أولئك العباد الصالحين ، ويستر عليهم جزاء أعمالهم ، وفضلاً من الله عزوجل عليهم.

والأمر الخامس المهم : أن ليلة العيد قد سميت في هذا الحديث ليلة الجائزة ، يعني : أن الله تعالى يجزي فيها ويثيب عباده ، ويكرمهم ، فعلى العباد أن يقدروها حق قدرها ، بينما نرى الناس في هذه الليلة يغطون في النوم الهنيئ اللذيذ بعد تعب وإرهاق لحقا بهم في هذا الشهر ، دع عنك العوام ، وإنما ذلك حال الخواص ، مع أن هذه الليلة أيضاً من الليالي التي ينبغي فيها الاشتغال بالعبادة ، والاهتمام بالقيام والتهجد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ، "من قام ليلتي العيدين محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب"(٢). وجاء في حديث : "من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة : ليلة التروية ، وليلة عرفة ، وليلة النحر ، وليلة الفطر ، وليلة النصف من شعبان"(٣).

(١) أخرجه البخاري في المظالم برقم:٢٤٤١ ومسلم في التوبة برقم:٢٧٦٨.

(٢) رواه ابن ماجه عن أبي أمامة برقم:١٧٨٢. قال البوصيري في زوائد ابن ماجه ص:٢٥٨ برقم:٦٠٢:هذا إسناد ضعيف لتدليس بقية انتهى وقال المنذري في الترغيب ٢/١٠٠ :رواته ثقات إلا أن بقية مدلس، وقد عنعنه انتهى.

وله شاهد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب، عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٢٠٠ إلى الكبير والأوسط، وقال: فيه عمر بن هارون البلخي، والغالب عليه الضعف، وأثنى عليه ابن مهدي وغيره، ولكن ضعفه جماعة كثيرة انتهى، وضعفه المنذري ٢/١٠٠ في الترغيب بعلامته المعروفة.

وأخرج الأصفهاني في الترغيب والترهيب ١/١٨٢ برقم:٣٦٧ عن معاذ بن جبل مرفوعاً: من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة: ليلة التروية وليلة عرفة، وليلة النحر وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان، انتهى وضعفه المنذري في الترغيب والترهيب بعلامته ٢/١٠٠.

(٣) انظر في التعليقة السابقة.

وقد قال الفقهاء كذلك: يستحب إحياء ليلتي العيدين، ونقل صاحب "ما ثبت بالسنة "عن الإمام الشافعي: خمس ليال يستجاب فيها الدعاء: ليلة الجمعة، وليلتا العدين، وليلة غرة رجب، وليلة النصف من شعبان.

تنبيه:

أرشد بعض المشايخ إلى أنه ينبغي الاهتمام بالقيام في ليلة الجمعة في شهر رمضان بوجه خاص، لأن يوم الجمعة وليلتها من الأوقات المباركة، وقد جاءت الأحاديث بفضلهما، لكن بالنظر إلى أن بعض الأحاديث جاء فيها النهي عن أن تخص ليلة الجمعة بالقيام، فالأفضل أن يضم إلى ليلة الجمعة الليالي الأخرى من قبلها أو من بعدها.

وأخيرا ألتمس من القراء بغاية من الأدب، وأرجو منهم بكل إجلال أن يذكروا هذا العبد المذنب أيضاً في دعواتهم الصالحة المخصوصة في هذا الشهر، عسى أن يكرمني الله عزوجل بفضل دعواتهم بمحبته ومرضاته، وما ذلك على الله بعزيز.

رسالة: فضائل القرآن الكريم

ألفها:

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي رحمه الله تعالى

(١٣١٥-١٤٠٢هـ)

تعريب:

فضيلة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي حفظه الله تعالى

رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء لكناؤ (الهند)

تقديم:

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى

(١٣٣٢-١٤٢٠هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم: سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد! فقد قال كاتب هذه السطور في كتابه: "الأركان الأربعة" تحت عنوان: "فضل الصلاة والقرآن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وختم النبوة" ما ننقله هنا:

كانت النبوة شمساً وهاجة تشرق على هذا العالم، وتملأ النفوس والقلوب نوراً، وحرارة، وقوة، وحياة، وتربطها بخالقها ربطاً قوياً وثيقا، في أقل وقت وأكثر عدد، وتنقل من أراد الله به الخير من حضيض الجهل، والغواية، والغفلة، والبطالة، وسوء المعرفة، والضلالة، إلى ذرى العلم، والحكمة، والطموح، وعلو الهمة، وإلى أقصى مدارج الوصول والكمال، وإلى أعلى منازل القرب والولاية.

واتصلت بعثاتهم ودعواتهم صلوات الله عليهم حتى كانت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، على فترة من الرسل، فكانت شخصيته هي أقوى شخصيات الرسل، وكات دعوته هي أتم الدعوات، وكانت صحبته هي الإكسير الأعظم الذي يحول العداء الشديد حباً وتفانياً، والبعد عن الله، والوحشة منه، قرباً منه، وأنساً به، و وصولا إليه، وكان الناس يشعرون في صحبته كأنما يمر بهم التيار الكهربائي، وكانوا ينتقلون في لحظات، من الشك في الدين، والظن والتخمين، إلى أعلى درجات الإيمان واليقين، وكان وجوده صلى الله عليه وسلم في أمته أقوى سبب الاتصال بالله تعالى وقطع منازل القرب والولاية.

ولكن الله تعالى قدر لهذه الحياة الكريمة نهاية، كما قدر لحياة غيره ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وأكمل به دينه، وأتم به نعمته فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣] وختم به الأنبياء والرسل ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ

أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠] وانقطع اتصال السماء بالأرض لوحي جديد، أو رسالة جديدة، فكان لابد أن يملأ هذا الفراغ الذي يتركه انقطاع النبوات، وانتقال آخر الأنبياء وخاتم الرسل من هذه الدنيا، ويربط الخلق بالحق ربطاً وثيقاً مباشراً، ويملأ صدورهم إيماناً، وحكمة، وقوة روحية، ويشعل عاطفتهم، ويلهب جذوة قلوبهم، ويصلون به أعلى درجات الإيمان واليقين، ومنازل القرب والولاية.

وكان ذلك العوض والخليفة هو: الكتاب المعجز الخالد الذي يتدفق بالحياة والقوة، والذي لا تبلى جدته، ولا تنقضي عجائبه... والصلاة التي تزخر بالقوة، والحيوية كذلك، ولها من الفضل والتأثير في ربط الصلة بالله، والوصول إليه، وقطع منازل القرب والولاية، ما ليس لشيء آخر في الدين، وبهما وصل المخلصون، والمجاهدون من هذه الأمة في كل عصر وجيل إلى مكانة في الإيمان واليقين، والعلم والمعرفة، والربانية، والروحانية، والقرب، والولاية، لا يصل إليها ذكاء الأذكياء، وقياس العقلاء والحكماء، وما زالوا في عدد يفوق العد والإحصاء، ولا يزالان يفيضان النمو، والحياة، والجدة، والنشاط، والروحانية الصافية الدافقة في نفوس هذه الأمة، وأجيالها، تستغني بهما هذه الأمة عن نبوة جديدة وبعثة جديدة، وتعيش متصلة بالله مرتبطة به في كل دور من أدوار حياتها، وفي كل عهد من عهود التاريخ، تستمد لنفسها من القرآن والصلاة، رابطة قلبية، وقوة روحية، وتمد إلى العالم المعاصر، يد الدلالة، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [سورة الحج: ٧٨].

وظلت الأمة متمسكة بهذين الركنين الوثيقين، عاضة عليهما بالنواجذ، يتوارثهما الأجيال بعد الأجيال، وسيظل ذلك هكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وكان القرآن هو الأصل، والمصدر، والأساس لهذا الدين، فمنه انبثقت الشريعة، وانبثقت العقائد، والعبادات، والأخلاق، والفضائل، وانبثقت الحياة

الإسلامية كلها، وهو الحبل الممدود بين الرب وعباده، والرباط الوثيق، من استمسك به: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقد عرفت هذه الأمة بغيرة على هذا الكتاب لم تعرف لأي أمة على كتابها قديماً وحديثاً، وشدة شغف به بلغت حد الغرام والهيام، وحرص علي تلاوته وحفظه، وتفان في سبيلهما، وتذوق بلفظه ومعانيه، وتفنن في خدمته، من ضبط وإتقان للهجاته، وشرح وإيضاح لكلماته، وتفسير لآياته، وكشف القناع عن وجوه إعجازه، واستنباط الأحكام الفقهية، واستخراج اللطائف العلمية، والنكت البلاغية، والفوائد الاجتماعية، والحقائق الروحية، لا يصل إلى مداه ذكاء الأذكياء وفطنة العقلاء بسهولة ويسر، ولا يقدر قدره إلا من استعرض المكتبة الإسلامية الكبرى التى يرجع الفضل في تكوينها، وتوسيعها، وتزيينها إلى القرآن، فلولا القرآن لما كان نحو وصرف، ولا علم غريب واشتقاق، ولا علوم البلاغة، ولا دونت هذه المعاجم، وكتب الفروق، وأسرار العربية التي لا يوجد لها نظير في أي أمة، وفي أي لغة. فضلا عن علم التفسير وأصوله، وعلم القراءة، والتجويد، الذي يتأسس على القرآن، فقد نشأت هذه العلوم كلها، ثم توسعت وتضخمت في سبيل القرآن، وفي سبيل معرفة معانيه، وفهم أغراضه، وصيانته عن التحريف والمحرفين، كما وقع ذلك للصحف الأولى، وشهد بذلك تاريخ العلم والدين، وكان كل ذلك تفسيراً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [سورة القيامة: ١٧-١٩]، ومصداقاً لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩].

وقد كان لهذه الأمة شأن عجيب في الاشتغال بهذا الكتاب حفظاً وتلاوة، وتأليفاً وتصنيفاً، وتعبداً وتقرباً، لا يفهمه إلا من فهم قوة الحب، وتصاريفه وعجائبه، وتفننه في إبداع طرق التسلية، وإرضاء عاطفة الحب والغرام، فقد كان فيها في كل عصر وجيل عدد من الحفاظ المتقنين، والقراء المكثرين، والعشاق المتيمين، لايحصيهم إلا من أحصى حصى البطحاء، ورمال الدهناء، ونجوم السماء، هذا في الكم، أما في الكيف فضبطهم لألفاظه، وحروفه، وطرق قراءته

ولهجاته، واستحضارهم له، وجمعهم إياه في صدورهم، لا يخلون بحرف، ولا يغفلون عن نقطة، وختمهم له في ليلة واحدة وفي يوم واحد وأكثر من ذلك، فكل ذلك يتخطى القياس، ويحير العقول، وقد يبعث من لم يخالط هؤلاء القوم، ولم يرهم عن كثب على تشكك في صحة ذلك ونفيه أحياناً، ولكنه خبر متواتر، وأمر مستفيض، ولا تزال له نماذج وأمثال في كل بلد إسلامي تقريباً في هذا العصر الذي طغت فيه المادية، وتقاصرت فيه الهمم، وكلت فيه العزائم، وضعفت فيه الدواعي إلى حفظ القرآن وإتقانه، وليس الخبر كالمعاينة.

وقد كان من أقوى الدواعي إلى سمو الهمة في حفظه وقراءته، والتعبد به والتنافس في ذلك، والمثابرة على هذا العمل، وعدم الشعور بالتعب والكلال، والسآمة والملال: ما ورد في ذلك من الفضائل وأحاديث الترغيب، وما أعد الله لقارئه والجامعه في صدره، ولمتعلمه، ومعلمه، ولناشره، وخادمه من جزيل الثواب، وعظيم الأجر، والمنزلة الرفيعة عند الله، وزلفى في الآخرة، والحرمة والوجاهة في الدنيا، وما ضمن الله له من الرضا والمثوبة، ووعد عليه من الرحمة والمغفرة، ولم يعرف في علم الأخلاق والنفس، وفي تاريخ الأمم والمجتمعات باعث أقوى من باعث "الإيمان والاحتساب" والطمع في الأجر والثواب، عند النفوس المؤمنة والأمم المتدينة، وقد عرف العلماء والمعلمون، والمربون، والمصلحون، قيمة هذا الدافع، وقوة هذا الباعث، فألفوا في فضائل الأعمال، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات: كتباً كثيرة كان لها فضل كبير في إثارة هذا الدافع النبيل، وتقويته وتغذيته أشهرها: كتاب: "الترغيب والترهيب" للعلامة المنذري(م٦٥٦هـ)، وقد تناوله العلماء بالتنقيح والتلخيص، واعتنوا به في كل عصر ومصر.

وخطر على هذه الأمة أن يضعف هذا الدافع، وأن تجف منابعه، وأن تزهد الأمة - لا قدر الله - في حفظ القرآن، وقراءته، والتعبد به، والتذوق به، والتشبع منه والاشتغال به آناء الليل والنهار، والتنافس في حفظه وضبطه، والإكثار من قراءته، ولا يكون ذلك إلا إذا جهلت هذه الفضائل، وقل علمها، وضعفت الدعوة إليها، وانقطع نشرها وإذاعتها، وظهرت دعوة المثبطين المعوقين عن القرآن، الصادين عن سبيله، المستخفين بفضله، المهولين لخطب التعليم العصري، والحاجات

الاقتصادية، وما يستلزم ذلك من صرف جميع القوى والأوقات، لتحصيل التعليم العصري وعلوم المعاش، والقائلين بأن حفظ القرآن في الصغر يُكل الذهن، ويخمد القريحة، ويرهق القوى، مع أن الواقع عكس ذلك، وقد أثرت هذه الدعوة في جميع البلاد الإسلامية مما فيها البلاد العربية التي كانت مهبط الوحي، ومنزل القرآن ومعلمة العالم كله.

وقد أفزع ذلك شيخنا العلامة محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي، وأقلق مضجعه، فحسب لذلك كل حساب، فقد عرف بشدة غيرته على القرآن، وشغفه به، وكثرة تلاوته له، عرف ذلك من عرف سيرته وعاشره، خصوصاً من علم كيف يقضي رمضان؟ أو قرأ ما كتبناه عنه في تقديمنا لمقدمة: "أوجز المسالك"وقد كان متألماً لهذا الواقع، إذ اقترح عليه أحد الشيوخ الكبار الذين "أمرهم حكم وطاعتهم غنم": أن يؤلف كتاباً في فضائل القرآن، ويعيد هذا الخيط بين قلوب القراء وهذا الكتاب، ويرفع هممهم، ويشحذ عزائمهم على حفظ هذا الكتاب، وقراءته، والتقرب به إلى الله، والتنافس في ذلك، واستهانة كل خطب لأجله، فنشط لهذا التأليف الذي كان ميسوراً له بحكم اشتغاله بتدريس الحديث، والتأليف في مقاصده، ولسعة اطلاعه على مصادر هذا الموضوع ومراجعه، وبحكم ذوقه القرآني الذي امتاز به بين أقرانه، فكان نتيجة كل ذلك هذا التأليف المبارك الذي نتشرف بتقديمه، وقد كان السر في تأثيره أنه صدر عن ذوق وإخلاص وعمل، فهو لا يدعو إلى شيء لا يعمل به، ولا يحث على شيء لا يتذوقه ويؤمن به.

وقد مضى على هذا التأليف نحو نصف قرن، وهو يعاد طبعه في الهند مرة بعد مرة، ويكثر انتشاره في الأوساط الدينية، وحلقات التعليم، وجماعات التبليغ، وقد شعر بعض تلاميذه والمشرفين على حركة الدعوة التي تسمى بـ "التبليغ"، وهي منتشرة الآن في كثير من الأقطار العربية، بمسيس الحاجة إلى نقله إلى اللغة العربية، حتى يعم الانتفاع به في البلاد العربية التي ضعفت فيها الدعوة إلى تحفيظ القرآن، والعناية به في العهد الأخير، بتأثير العوامل التي ذكرناها سابقاً، وإذا كانت هنالك مدارس وكتاتيب تعلم القرآن، ولا تزال العناية قائمة

بحفظ القرآن، فلا شك أنها في حاجة إلى تغذية إيمانية، ومشجعات دينية، فإن علم الفضائل قد ضعف منذ أمد بعيد في العالم الإسلامي، وأثر ذلك في العمل.

وقد قام بتحقيق هذا الغرض الشريف وإنجاز هذا المشروع: ابن أختي العزيز السيد واضح رشيد الحسني الندوي تقرباً به إلى الله، وحباً لمؤلف هذا الكتاب، وتقديراً له، وحرصاً على أن يكون مساهما في هذا العمل الجليل، وأن يكون له ثواب الدلالة إلى الحق، والإعانة على المعروف، والتعاون على البر والتقوى، فقام بذلك خير قيام، وهو كاتب بالعربية، متذوق للغتين الأردية والعربية، فقد تجلت مقدرته الكتابية، وإجادته في مقالاته التي يكتبها في مجلة: "البعث الإسلامي"وصحيفة: "الرائد" وبراعته في الترجمة في نقله لكتاب: "الدين والعلوم العقلية" للأستاذ الكبير مولانا عبد الباري الندوي، وأتمه في مدة قليلة، وقد قرأت هذه الترجمة حرفاً حرفاً، واستحسنتها، وها هي الآن ماثلة للطبع، نفع الله بها المسلمين، وشرح بها صدور المؤمنين، ورفع بها همم القاصرين، والله لا يضيع أجر المحسنين.

أبوالحسن علي الحسني الندوي

لخمس بقين من جمادى الأولى ١٣٩٢هـ

دار عرفات، رائ بريلي-الهند.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأنزل له القرآن، وجعله موعظة، وشفاءاً، وهدى، ورحمة لذوي الإيمان، لا ريب فيه، ولم يجعل له عوجاً، وأنزله قيما، حجة، نوراً لذوي الإتقان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الخلائق من الإنس والجان، الذي نور القلوبَ والقبورَ نورُه، ورحمةٌ للعالمين ظهورُه، وعلى آله وصحبه الذين هم نجوم الهداية وناشرو الفرقان، وعلى من تبعهم بالإيمان، وبعد!

فيقول المفتقر إلى رحمة ربه الجليل عبده المدعو بـ زكريا بن يحيى بن إسماعيل:

هذه العجالة أربعونة في فضائل القرآن ألفتها ممتثلا لأمر من إشارته حكم وطاعته غنم، ومن أنعم الله تعالى الخاصة التي تميزت مدرسة "مظاهرعلوم" بسهارنفور(الهند) دائما: الحفلة السنوية التي تعقد لتقديم تقرير إجمالي عن المدرسة، ولا يهتم فيها بدعوة الخطباء، وأعيان الهند، لحضور الحفلة، مثلما يهتم بدعوة أهل الله وأوليائه، وأصحاب القلوب المطهرة، والمشايخ البررة الذين يؤثرون العزلة والخلوة.

وقد انقضى العهد الذي كان حجة الإسلام الشيخ محمد قاسم النانوتوي، وقطب الإرشاد الشيخ رشيد أحمد الغنغوهي، ينوران القلوب باشتراكهما في الحفلات، إلا أن المنظر البهيج الروحاني لا يزال يتجلى في العيون الذي كان يجتمع فيه خلفاء مجددي الإسلام وشموس الهداية والرشد: الشيخ الجليل محمود حسن المعروف بشيخ الهند، والشيخ عبد الرحيم، ومولانا خليل أحمد، ومولانا أشرف علي التهانوي، فكان اجتماعهم والتقاؤهم مبعث ومطلع رشد، ومنبع هداية للقلوب، تنفجر منه ينابيع الروحانية، لتُروي غليل القلوب الظمأى.

لقد حرمت المدرسة في العهد الراهن هذه البدور الهادية، ولكن

خلفاءهم الصادقين لا يزالون يفيضون للمشتركين في الحفلة بأنوارهم.

فإذا كان أحد يحضر حفلة المدرسة ليستمع إلى خطب رنانة، ومقالات رائعة، فإنه سوف لا يجد متعة لقلبه وفكره، ولكن الذي يحضرها سعياً وراء علاج قلبه وكبده المكلومة، فإنه لابد من أن يجد دواء لقلبه، وفيضاً لخاطره، فلله الحمد والمنة.

وقد شرف في عام: ١٣٤٨من الهجرة الشيخ المربي الحافظ محمد يسين النجينوي، فأغدق بالعطف، واللطف، والتشجيع، على هذا العبد الفقير من المنن مالا أستطيع أن أشكر عليها حق قدرها، ويكفي علما أن الشيخ المذكور هو من خلفاء الشيخ الغنغوهي، وذلك يغني عن ذكر تجرده للعبادة والذكر، وصفاته الأخرى المميزة، وبعد انتهاء الحفلة شرف منزلي، وأمرني برسالته الكريمة العاطفة العزيزة بأن أجمع أربعين حديثاً بترجمتها في فضائل القرآن الكريم، وأقدمها إليه، وأنه إذا انحرفت عن امتثال أمره، فإنه سيطلب من عمي ومثيل أبي وخليفة شيخي: الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي بأن يؤكد هذا الأمر، ويصر على الامتثال به، وعلى أي حال إنه يريد أن أقوم بهذا الواجب، ومن حسن الصدف وصلت هذه الرسالة المفتخرة أثناء غيابي في السفر، وكان عمي موجوداً، فأضاف إليها أمره وتأكيده، فلم يبق لدي أي عذر ومجال؛ لأقدم حجة عدم كفاءتي للقيام بهذا العمل، وقد كان من أعذاري: اشتغالي بشرح موطأ الإمام مالك، ولكن الأوامر العالية الراشدة اضطرتني إلى تأجيل هذا العمل لبعض الوقت، وها أنا ذا أقدم ما استطعت إليه امتثالا لأمر الشيخ العظيم، وألتمس العذر والعفو على الزلات التي أصبحت لزاماً لعدم كفاءتي وصلاحيتي.

ورجاء الحشر في سلك من قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: "من حفظ على أمتي أربعين حديثاً في أمر دينها، بعثه الله فقيها، وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً"(١).

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم:١٥٩٧ عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ثم قال البيهقي: هذا متن مشهور فيما بين الناس، وليس له إسناد صحيح انتهى، وأخرج برقم:١٥٩٦ عن أبي هريرة في فضل حفظ الأربعين على الأمة.

قال ابن الجوزي في العلل المتناهية١/١١١ طبعة إدارة العلوم الأثرية الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م قال: فيه عن علي، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وأبي

قال العلقمي: الحفظ ضبط الشيء و منعه من الضياع، فتارة يكون حفظ العلم بالقلب وإن لم يكتب، وتارة في الكتاب وإن لم يحفظه بقلبه، فلو حفظ في كتاب ثم نقل إلى الناس دخل في وعد الحديث.

وقال المناوي: قوله: "من حفظ على أمتي" أي: نقل إليهم بطريق التخريج والإسناد، وقيل: معنى حفظها أن ينقلها إلى المسلمين، وإن لم يحفظها ولا عرف معناها، وقوله: "أربعين حديثاً" صحاحاً أو حساناً، قيل أو ضعافاً يعمل بها في الفضائل انتهى.

فلله در الإسلام ما أيسره! ولله در أهله ما أجود ما استنبطوا! رزقني الله تعالى وإياكم كمال الإسلام، ومما لابد من التنبيه عليه أني اعتمدت في التخريج على المشكاة، وتخريجه، وشرحه المرقاة، وشرح الإحياء للسيد محمد المرتضى، والترغيب للمنذري، وما عزوت إليها لكثرة الأخذ عنها، وما أخذت عن غيرها عزوته إلى مأخذه، وينبغي للقارئ مراعاة آداب التلاوة عند القراءة.

أمامة، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وجابر بن سمرة، وأنس، ونويرة رضي الله عنهم، (تحرّف نويرة إلى بريدة وهو غلط) ثم فصّل ابن الجوزي، وأطال النفس في تخريج طرقه، وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تكلم على طرقه بالتفصيل، ونقل عن الدارقطني: كل طرق هذا الحديث ضعاف، ولا يثبت منها شيء انتهى.

وقال النووي في خطبة كتابه الأربعين: اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف، وإن كثرت طرقه..... ثم قال: وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث، بل على قوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة: "ليبلغ الشاهد منكم الغائب" وقوله: "نضرالله امرءا سمع مقالتي، فوعاها، فأداها كما سمعها" انتهى قول النووي، ونقل السخاوي في المقاصد برقم: ١١١٥ عن الحافظ قوله: جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة انتهى.

آداب التلاوة وشروطها:

قبل أن نبدأ الكلام في الموضوع لا بد من إيراد بعض شروط وآداب قراءة القرآن، لأن سوء الآداب يحرم الإنسان عن الوصول إلى غايته وفضل ربه، وخلاصة الآداب: أن القرآن الكريم كلام للمعبود، والألفاظ التي تكلم بها الحبيب والمطلوب.

وكل من كانت له علاقة بالحب والغرام، يعرف أهمية وتأثير رسالة الحبيب، وكلامه وكتابته على القلب المغرم به، فلا يمكن وضع آداب، أو فرض قيود على انفعال هذا القلب، وافتتانه بهذا الكلام، أو الرسالة، فللحب آداب وانفعالات خاصة، فإذا كان القلب يتصور الجمال الحقيقي، والأنعم غير المتناهية، فإن الحب سيتموج فيه ويغلبه، ثم إنه كلام لأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، وقانون لذلك الجبار والقهار الذي لا شريك له في أمره، ولا يقدر أحد مهما كانت قوته أن يسايره، وكل من كان له علم أو خبرة بالبلاط الملكي، يستطيع أن يقدر ما تحمل الأوامر السلطانية من هيبة، وأثر على القلوب، ولما أن الكلام الإلهي كلام للحبيب والملك في آن واحد، يجب أن يعامل معاملة الحب والإجلال معاً.

لقد كان عكرمة رضي الله عنه كلما يفتح القرآن الكريم للتلاوة، يغمى عليه، ويجري على لسانه: "هذا كلام ربي، هذا كلام ربي"(١). وهذه هي الآداب المجملة والتفاصيل المختصرة التي ذكرها المشايخ، التي سأفسرها تفسيراً للقارئين.

وخلاصة الآداب: أن يقرأ العبد كلام المنان والمنعم الحقيقي كخادم، أو عامل، بل كعبد يتلو كلام ربه، وقد ذكر أنه ما دام الإنسان يعتبر نفسه مقصراً في آداب القراءة، يترقى في مدارج القرب، وكل من يرى نفسه بعين العجب والرضا، يبتعد عن الرقي.

(١) ذكره الغزالي في الإحياء ٢٨١/١ الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة من كتاب آداب تلاوة القرآن، وانظر شرح الإحياء للزبيدي ٥٠٣/٤

يجب على القارئ أن يجلس بعد الوضوء والسواك في مكان منعزل، ويتلوه بحضور القلب، والخشوع، والشوق الذي يتطلبه ذلك الوقت، كأنه يسمع ربُه وخالقُه تعالى كلامَه، فإذا كان يفهم المعاني، فيجب عليه أن يدعو للرحمة والمغفرة عندما يتلو آيات الوعد والرحمة، ويستعيذ بالله، ويسأله المغفرة عند ما يتلو آيات العذاب والوعيد، لأنه لامناص منه ولا ملجأ منه إلا إليه، ويسبح له على آيات التنزيه والتقديس، فإذا كان لا يشعر بالبكاء في التلاوة، فليحاول ذلك.

وألذ حالات الغرام لمغرم شكوى الهوى بالمدمع المهراق

ثم إنه إذا كان لا يقصد حفظه، عليه أن لا يعجل به، وليضع المصحف الشريف على وسادة، أو كرسي، أو مكان مرتفع، ولا يخاطب أحداً، ولا يتكلم معه أثناء التلاوة، فإذا اضطر لحاجة، فلا يترك المصحف مفتوحاً، ويبدأ القراءة من جديد، وليتعوذ، والأفضل أن يتلو القرآن إذا كان يتلوه في جمع من الناس المشغولين بأعمالهم سراً، وإلا فالأفضل تلاوته جهراً.

ذكر المشايخ ستة آداب ظاهرة، وستة باطنة.

الآداب الظاهرة:

١. التوجه إلى القبلة بغاية من الاحترام متوضئاً.
٢. عدم التعجيل بالتلاوة، والترتيل، والتجويد.
٣. البكاء ولو بالتكلف.
٤. التنبه لآيات العذاب، وآيات الرحمة، وقدرها حق قدرها.
٥. يستحب التلاوة جهراً، ولكن إذا كان القارىء يخشى الرياء، أو إيذاء مسلم، فعليه أن يتلو سرا.
٦. تحسين الصوت أو القراءة بحسن الصوت، وقد وردت أحاديث كثيرة في تلاوة القرآن بحسن الصوت.

الآداب الباطنة:

١. تعظيم القرآن من القلب واحترامه.
٢. تصور عظمة وجلال الله عز وجل، وكبريائه في القلب.
٣. إخلاء القلب وتطهيره عن الوساوس، والريبة.

٤. التدبر في المعاني، والتلذذ بقراءة القرآن، وقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة وهو يردد الآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة: ١١٨] (١)
٥. وقضى سعيد بن جبير ليلة كاملة وأصبح على آية: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة يس: ٥٦] (٢)
٦. أن يتابع الآيات التي يتلوها: ويصرف قلبه إلى معانيها، مثلا إذا كان يتلو آية رحمة، فيفعم قلبه بالسرور، والابتهاج، وإذا تلا آية عذاب، يخشى قلبه ويرتعد.
٧. أن يوجه أذنيه، ويصغي إلى الله تعالى، وهو يتكلم إليه.

وفقني الله تعالى وإياكم لمراعاة هذه الآداب وتلاوة القرآن بها.

مسألة:

يجب حفظ القرآن بقدر يمكن به تأدية الصلاة، وحفظ القرآن بكامله فرض كفاية، فإذا لم يبق من المسلمين ـ والعياذ بالله ـ من يحفظ القرآن، فإن

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي ذر برقم: ٢١٣٢٨ والبغوي في شرح السنة برقم: ٩١٥ والنسائي ٢/١٧٧ في الافتتاح، باب ترديد النبي صلى الله عليه وسلم الآية، وابن ماجه في إقامة الصلاة باب: ما جاء في القراءة في صلاة الليل، والحاكم ج/١ ص: ٣٦٧ برقم: ٢٠٦/٨٧٩، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه ص: ٢٠٠ برقم: ٤٤٣، طبعة دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات انتهى، وأخرجه المروزي في قيام الليل مطولا ص: ٥٩.

وفي الباب عن عائشة عند الترمذي برقم: ٤٤٨ في الصلاة باب: ما جاء في قراءة الليل قالت: قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفيه عن أبي سعيد عند أحمد برقم: ٢/١١٥٩٣ أنه صلى الله عليه وسلم ردّد آية حتى أصبح، قال الهيثمي في المجمع ٢/٢٧٦ باب صلاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: رواه أحمد، وفيه إسماعيل بن مسلم (تحرف في المطبوع إلى سلم) الناجي، ولم أجد من ترجمه

(٢) أخرج ابن أبي شيبة برقم: ٣٦٤٩٩ وأحمد في كتاب الزهد ص: ٤٤٢ وأبو نعيم في الحلية ٤/٢٧٢ عن القاسم بن أبي أيوب قال: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلي الله﴾

وأخرج ابن سعد في الطبقات ٦/٢٦٠ عن سعيد بن عبيد قال: رأيت سعيد بن جبير يؤمهم فسمعته يردد هذه الآية: ﴿إنما الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾

وذكر الإمام النووي في التبيان في آداب حملة القرآن ص: ٦٨ (فصل في ترديد الآية للتدبر): أنه رحمه الله ردد ثلاث آيات، هاتين، والثالثة: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

ثم وجدت أثر ترديد هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ في مصنف عبد الرزاق ٢/٤٩٢ برقم: ٤١٩٦، وفي آخره: يردد مرتين أو ثلاثاً، وأما المصنف فقد نقل هذا الأثر المذكور عن شرح الإحياء ٤/٥٠٤ معزوا إلى القوت.

جميع المسلمين سيكونون مسئولين عنه.

وذكر الملا علي القاري - رحمه الله - نقلا عن الزركشي: "وإذا لم يكن في البلد أو القرية من يتلو القرآن أثموا بأسرهم"

ومن معطيات هذا العهد الذي يعمه الضلال والجهل، ويسود المسلمين تهاون في جميع أمور الدين: أن حفظ القرآن يعتبر أمراً غير مُجْدٍ، ويعتبر حفظ هذه الألفاظ وتكرارها حماقة، وإضاعة للوقت، وإرهاقاً للخاطر، ولو كان الأمر يقتصر على هذا التقصير الديني وحده لتكلمت عليه، ولكن الأمر قد تفاقم تفاقماً، وتجاوز الحدود، فكل عمل أصبح اليوم مرضاً، وكل خيال يجر إلى الباطل، فإلى الله المشتكى، والله المستعان.

(١) عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن، وعلمه.

(رواه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

هذا في الترغيب، وعزاه إلى مسلم أيضاً، ولكن حكى الحافظ في الفتح عن أبي العلاء أن مسلما سكت عنه) (١).

شرح الحديث:

وردت هذه الرواية في معظم كتب الحديث بالواو، كما ذكرنا أعلاه، وفي هذه الحالة يستحق الفضيلة من تعلم القرآن، ثم علمه الآخرين، ولكن وردت هذه الرواية في كتب أخرى بـ"أو" أيضاً(٢) وفي تلك الحالة تكون الفضيلة للتعلم أو التعليم، سواء تعلم القرآن أو علمه، فلكليهما الخير والفضيلة على سواء.

وحيث إن القرآن هو أصل الدين، فيتوقف الدين على بقائه ونشره، ولذلك لا تخفى فضيلة تعلمه وتعليمه، ولا يحتاج هذا الأمر إلى أي توضيح، إلا أن أنواعه تختلف، وكمالها تعلم القرآن لمعانيه ومقاصده، وأدناها تعلم ألفاظه

(١) انظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن برقم: ٥٠٢٧ وسنن أبي داود برقم: ١٤٥٢ في الوتر باب ثواب قراءة القرآن، والترمذي برقم: ٢٩٠٧ في فضائل القرآن باب: ما جاء في تعليم القرآن، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه برقم: ٢١١ كتاب السنة باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه.

(٢) أخرجه بلفظة "أو" أحمد في مسنده برقم: ٤١٢، و٤١٣، وإسناده صحيح كما قال شعيب الأرناؤوط وأصحابه.

فقط، ويؤيد قولَ النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكرته رواية أخرى، فروي عن سعيد بن سليم مرسلا: "من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم ما صغر الله، وصغر ما عظم الله"(١).

ولا شك أن الكلام الإلهي هو أفضل الكلام كما تدل عليه الأحاديث القادمة، فلابد إذا أن تكون تلاوته وتعليمه أفضل من قراءة وتعلم سواه، ونقل العلامة علي بن سلطان محمد القاري (المعروف بالملا علي الهروي م١٠١٤ هـ) حديث: "من قرأ القرآن، فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه"(٢).

وقال سهل التستري رحمه الله: "علامة حب الله حب القرآن" وذكر صاحب شرح الإحياء فيمن يظلهم الله عز وجل تحت عرشه يوم القيامة: من يعلمون أطفال المسلمين القرآن، وكذلك من يتعلمون القرآن من الطفولة، ثم يواظبون على تلاوته في الكبر.

(٢) عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه".

(رواه الترمذي، والدارمي، والبيهقي في الشعب) (٣).

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ج/٩، ص: ٣٩٦ في ترجمة عبد الله بن أحمد بن محمد المقرئ الأصبهاني أبي الحسين، وابن المبارك في الزهد برقم: ٧٩٩ ص: ٢٧٩ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، إلا أن الأول رفعه، والثاني وقفه، وفي إسناده إسماعيل بن رافع، وهو متروك. لكن أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٢٣٥٢ من طريق محرز أبي رجاء الشامي الذي تابع ابن رافع في روايته عن إسماعيل بن عبيد الله عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، ومحرز صدوق، لكنه مدلس وقد عنعن، وقد أخرجه البيهقي برقم: ٢٣٥٥ عن رجاء الغنوي مرسلاً رفعه قال: من أعطاه الله حفظ كتابه لو ظن أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد غمط أعظم النعم، وأورده السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالضعف.

وقال المناوي في الفيض ٩٢/٦ برقم: ٨٤٨١: قال الغزالي: رجاء مختلف في صحته، وقد ورد من حديث عبد الله بن عمرو، وجابر، والبراء، نحوه، وكلها ضعيفة، ونقل عن الغزالي قوله أيضا: كل من أوتي من القرآن، حق له أن لا ينظر إلى الدنيا الحقيرة نظرة بالاستحلاء، فضلا عن أن يكون له فيها رغبة، وليلزم الشكر على ذلك، فإنه الكرامة العظمى.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج/١ ص: ٧٣٨ رقم: ٢٠٢٨/٩ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وتمام الحديث: لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد، ولا يجهل مع من جهل، وفي جوفه كلام الله تعالى، صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) انظر سنن الترمذي برقم: ٢٩٢٦ في فضائل القرآن، وقال: هذا حديث حسن غريب، والدارمي برقم: ٣٣٥٦ في فضائل القرآن باب فضل كلام الله: والبيهقي في الشعب برقم: ١٨٦٠ ←

شرح الحديث:

أي: أن الرجل الذي لا يجد وقتاً بسبب حفظ القرآن، أو تعلمه، أو فهمه لدعاء آخر، فإن الله تعالى سيعطيه أفضل مما يعطي الداعين، ومن تجارب الدنيا أن الرجل يوزع الحلويات، فإن الشخص الذي يقوم بأعماله، ولا يستطيع الحضور بسببها لنيل نصيبه، يخصص له نصيبه، وجاء في رواية أخرى: "أعطيته أفضل ما أعطي الشاكرين" (١).

(٣) عن عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله صل الله عليه وسلم ونحن في الصفة، فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق، فيأتي بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ فقلنا: يا رسول الله! كلنا يحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد، فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله، خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل(٢) (رواه مسلم، وأبو داود).

شرح الحديث:

الصفة"اسم لمكان معين في المسجد النبوي الشريف وكان مجلس الفقراء من المهاجرين، وقد كان عدد أصحاب الصفة يختلف، يزيد وينقص في مختلف أيام السنة، وذكر العلامة السيوطي مأة اسم وواحداً، وصنف رسالة خاصة بأسمائهم، و"بطحان" و"العقيق" مكانان بالقرب من المدينة المنورة حيث كانت تقوم سوق الإبل، وكانت الإبل محببة إلى العرب، وخاصة الناقة الكوماء، والمراد

قال الحافظ في الفتح في فضائل القرآن باب فضل القرآن على سائر الكلام: رجاله ثقات إلا عطية العوفي. ففيه ضعف، ونقله القاري في المرقاة ٣٥٥/٤ راضياً به، ولكن قال الذهبي في الميزان ٥١٥/٣ في ترجمة محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني أحد رواة إسناد هذا الحديث: قال ابن معين: قد سمعنا منه، ولم يكن بثقة، وقال مرة: كان يكذب، وقال أحمد: ما أرى يسوى شيئاً، وقال النسائي: متروك، وقال أبو داود: ضعيف، وقال مرة: كذاب، ثم ساق له الذهبي هذا الحديث، ثم قال: حسّنه الترمذي، فلم يحسن انتهى.

وقال مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء ٤٦٤/٤: قال الحافظ بن حجر: هو وعطية ضعيفان إلا أنهم لا يخرجون لهما إلا في المتابعات، قال ابن عدي في محمد بن الحسن: مع ضعفه يكتب حديثه انتهى.

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٤٩/٤ في ترجمة محمد بن الحسن الهمداني من حديث أبي سعيد، ولفظه: أعطيته أفضل ثواب الشاكرين انتهى.

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين رقم الحديث: ٨٠٣، وأبو داود في الوتر رقم: ١٤٥٦.

من"غير إثم": أن الحصول على شيء بدون جهد إما أن يكون بالسلب، أو النهب أو عن طريق الاستيلاء على مال لقريب في الإرث، أو بسرقة وغيره، فنفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأمور، فيقصد الحديث أن تعلم بعض الآيات من القرآن الكريم أفضل من الحصول على شيء بدون جهد وإثم، ولا شك أن حكومة الأقاليم السبعة فضلا عن بعير أو بعيرين زائلة عاجلاً أو آجلا بالموت الذي يسلب كل شيء قهراً، ولكن أجر تعلم آية من الآيات القرآنية، أو آيتين، دائم لا يزول، إنك تستطيع أن تجرب ذلك في الحياة العادية، فمثلا تمنح أحداً روبية واحدة، فيفرح بها، ويشكرك، وتعطي شخصاً ألف روبية وتقول له: احفظها كأمانة لوقت معين، وسآخذها منك بعد عودتي، فإن هذه الأمانة لا تزيده إلا مؤنة وعبئا، لا يستفيد منها، فيقصد الحديث الشريف في الواقع التنبيه إلى الفارق بين الباقي والفاني، ليتدبر الإنسان في جميع حركاته وسكناته، ويدقق النظر، هل يصرف حياته على كسب أشياء باقية أو يقضيها في الحصول على مكاسب فانية؟ ثم الحسرة على الذين يكسبون لهم ويلا باقياً.

ويحتمل في تفسير الجملة الأخيرة للحديث "ومن أعدادهن من الإبل" ثلاثة معان:

الأول: أنه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك إلى أربعة بالتفصيل، ثم ذكر بالإجمال مافوقها، أي أن كل شخص يكسب بقدر تعلمه من الآيات، وفي هذه الصورة يكون المراد من الإبل الجنس، سواء كان بعيراً أو ناقة، والمراد: ما فوق الأربعة، لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر إلى عدد الأربعة تصريحاً.

والمعنى الثاني: أنه ذِكرٌ للأعداد المذكورة سابقا، والمقصود منه: أن الرغبات تختلف، فأحد يفضل البعير، والآخر يفضل الناقة، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن كل آية خير من الناقة، وإذا كان أحد يفضل البعير، فإن كل آية خير له من البعير كذلك.

والمراد الثالث: أن هذا البيان كان لنفس العدد الذي ذكرسابقاً، وليس ببيان للعدد الزائد عن الأربعة، ولا يقصد منه ما ذكر في المعنى الثاني: أن الآية الواحدة خير من بعير أو ناقة، بل المراد هنا: أن الآية خير من مجموع البعير

والناقة، أي: زوج البعير، فتساوي إذا كل آية الزوج من البعير والناقة، وقد رجح والدي نور الله مرقده هذا المعنى، لأن فيه زيادة في الفضيلة، ولو أنه لا يراد منه أن أجر الآية الواحدة يستطيع أن يتساوى مع إبل أو زوجه، فليس المراد منه سوى التمثيل والتشبيه، وقد ذكرت أن ثواب الآية الواحدة الدائم والخالد خير من حكومة الأقاليم السبعة التي ستزول وتفنى.

قال الملا علي القاري: التمس بعض أصحاب من التجار من الشيخ أبي الحسن البكري أن يمكث في جدة لبعض الوقت بعد نزوله من السفينة لكي تزداد ببركة دعائه تجارتهم، وكانوا يكمنون بأن يحصل لخدم الشيخ بعض منافع بضاعتهم، فأبى وأتى بأعذار ساترة للأسرار، فما فهموا، وألحوا، وبالغوا في المسألة مع الإصرار، فقال الشيخ: مامقدار فائدة ربحكم في هذا السفر؟ وكم أكثر ما يحصل لكم من النتيجة والأثر؟ فقالوا: يختلف باختلاف الأحوال وتفاوت الأموال، وأكثر الربح أن يصير الدرهم درهمين، ويكون الواحد اثنين، فتبسم الشيخ، وقال: إنكم تتعبون هذا التعب الشديد لهذا الربح الزهيد، فنحن كيف نترك مضاعفة الحسنات بالحرم وهي حسنة بمأة ألف؟ (١).

الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة:

(٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران.

(رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه) (٢).

شرح الحديث:

إن الماهر بالقرآن هو من يجيد حفظه ويحسن قراءته، ثم إذا كان يفهم معانيه ومطالبه؛ فهو أفضل درجة، وأعلى مكانة، والمقصود من قوله: "مع

(١) انظر مرقاة المفاتيح ٣٣٥/٤ كتاب فضائل القرآن الفصل الأول.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة عبس برقم: ٤٩٣٧ ومسلم في المسافرين برقم: ٧٩٨ وابن ماجه في كتاب الأدب باب ثواب القرآن برقم: ٣٧٧٩، والترمذي في فضائل القرآن برقم: ٢٩٠٤، وأبو داود برقم: ١٤٥٤ في الوتر باب فاتحة الكتاب.

السفرة الكرام البررة": أنهم أيضا نقلة القرآن الكريم من اللوح المحفوظ، وهذا الماهر أيضاً ناقله ومبلغه، فكأن كليهما ينهج نهجاً واحداً، أو أنهما سيجتمعان في الحشر، ويستحق المتتعتع فيه أجرين: أجراً على قراءته، وأجراً آخر على الصعوبة التي يتحملها، والجهد الذي يبذله في قراءته، ولكنه لا يدل على أفضليته في المنزلة على الماهر بالقرآن، فإن الفضيلة التي وردت للماهر تفوقها، بحيث إنه يجتمع بالملائكة المقربين، بل المقصود منه أنه يستحق الأجر بسبب التتعتع، فلا يجب أن يترك أحد قراءة القرآن بهذا العذر، وذكر العلامة علي القاري رحمه الله نقلا عن الطبراني والبيهقي: "من قرأ القرآن وهو يتفلت منه فله أجره مرتين، ومن كان حريصاً عليه ولا يستطيعه، ولا يدعه، بعثه الله يوم القيامة مع أشراف أهله(١).

(٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاحسد إلا على اثنين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه مالاً، فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار (رواه البخاري والترمذي والنسائي) (٢).

شرح الحديث:

إن آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الكثيرة تدل عموماً على معصية الحسد، وعدم جوازه مطلقاً، ولكن الحديث المذكور أعلاه يفيد جواز

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج/٢٠، ص: ٧٢ برقم: ١٣٦ والبيهقي في الشعب برقم: ١٨٣٧ عن معاذ بن جبل مرفوعاً في حديث طويل، وأحب أن أسوقه بتمامه:

من قرأ القرآن، وعمل بما فيه، ومات في الجماعة، بعثه الله يوم القيامة مع السفرة والحكام، ومن قرأ القرآن وهو ينفلت منه، ولا يدعهن فله أجره مرتين، ومن كان حريصاً عليه، ولا يستطيعه، ولا يدعه بعثه الله يوم القيامة مع أشراف أهله، وفضلوا على الخلائق كما فضلت النسور على سائر الطيور، وكما فضلت عين في مرج على ما حولها، ثم ينادي مناد: أين الذين كانوا لا يلهيهم رعية الأنعام عن تلاوة كتابي؟ فيقومون فيلبس أحدهم تاج الكرامة، ويعطى الفوز بيمينه، والخلد بشماله، فإن كان أبواه مسلمين كسيا حلة خيراً من الدنيا وما فيها، فيقولون: أنى هذه لنا! فيقال: بما كان ولدكما يقرؤ القرآن.

قال الهيثمي في المجمع ١٦٣/٧: رواه الطبراني وفيه سويد بن عبد العزيز، وهو متروك، وأثنى عليه هشيم خيراً، وبقية رجاله ثقات.انتهى

قلت: وأخرج البيهقي في الشعب برقم: ١٨٠٠ عن أبي هريرة مرفوعاً: من تعلم القرآن في شبيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه، ومن تعلمه في كبره فهو ينفلت منه، ولا يتركه فله أجره مرتين، قال محققه: إسناده لا بأس به

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد برقم: ٧٥٢٩، ومسلم في صلاة المسافرين برقم: ٨١٥، وابن ماجه في الزهد برقم: ٤٢٠٩.

الحسد على رجلين، وحيث إن الأحاديث والروايات ضد الحسد كثيرة ووافية، فإن العلماء فسروا هذا الحديث تفسيرين، أحدهما: أن الحسد المذكور في الحديث هو في الواقع بمعنى الغبطة، والفرق بين الحسد والغبطة أن الحاسد يتمنى برؤية نعمة على شخص أن تزول هذه النعمة، سواء يحصل له هذه النعمة أم لا، والغابط يتمنى الحصول على هذه النعمة بدون أن يتمنى زوالها من الآخر، وحيث إن الحسد حرام بالإجماع، استنبط العلماء من هذا الحديث أنه محمول على الغبطة مجازاً، وهو مباح في الأمور الدنيوية، ومستحب في الأمور الدينية، والمفهوم الآخر: أن يستعمل في بعض الأحيان كلمة على سبيل الفرض والتقدير، أي: لو كان الحسد مباحاً على أي شيء، لكان هذان الأمران من هذه الأشياء.

(٦) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر.

(رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه) (١).

شرح الحديث:

المقصود من هذا الحديث تشبيه شيء غير محسوس بشيء محسوس؛ لكي يسهل على الذهن تبين الفرق بين قراءة القرآن وعدم قراءته، وإلا فالظاهر أنه لا علاقة بين حلاوة الكلام الإلهي ونفحته، وبين الأترجة والتمر، وإن كانت توجد نكات عديدة في التمثيل بهذه الأشياء تتعلق بالعلوم النبوية، وتشير إلى علو علوم النبي صلى الله عليه وسلم، وسعتها، فمثلا تحدث الأترجة في الفم رائحة طيبة، وتصفي المعدة، وتقوي الهضم، وفيها منافع أخرى كثيرة، وهذه هي المنافع التي تتناسب مع قراءة القرآن مناسبة كبيرة، فمثلا رائحة الفم الطيبة، وتصفية الباطن، والقوة الروحانية، هي المنافع التي يحدثها القرآن وتلاوته،

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن برقم: ٥٠٢٠ ومسلم برقم: ٧٩٧ في صلاة المسافرين، والترمذي في الأمثال برقم: ٢٨٦٥ عن أنس عن أبي موسى الأشعري ففيه صحابيان.

وبين هذه المنافع والمنافع التي ذكرت عن الأترجة شَبَهٌ كبير، وعلاقة خاصة، وقيل: إن للأترجة تأثيراً خاصا آخر، وهو: أن الجن لا يدخل بيتاً فيه أترج، فإذا صح ذلك، فإن الشبه بينها وبين القرآن يزداد، ويتقوى مزيداً، وقد سمعت عن بعض الأطباء أن الأترجة تقوي قوة الحفظ والوعي، وقد روي عن علي - كرم الله وجهه - في الإحياء أن ثلاثة أشياء تقوي الحفظ:

(١) السواك (٢) الصوم (٣) تلاوة القرآن (١).

و زاد أبو داود عند اختتام هذا الحديث زيادة مفيدةً للغاية: "ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك، إن لم يصبك منه شيء، أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير، إن لم يصبك من سواده، أصابك من دخانه" (٢).

إنه حقاً أمر هام يجب الاهتمام به، ولينظر كل منا إلى جلسائه، ورفقائه وبيئته التي يعيش فيها، إلى أي طبقة ينتمون؟

(٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين" (٣).

شرح الحديث:

إن الذين يؤمنون به، ويعملون به، فإن الله سبحانه وتعالى يرفعهم ويعزهم، والذين لا يعملون به، فإن الله سبحانه وتعالى يذلهم، ويثبت ذلك من كلام الله تعالى أيضاً فقال: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة: ٢٦] وقال في موضع آخر: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٢].

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أكثر منافقي هذه الأمة

---

(١) انظر إحياء العلوم ١/٢٧٤ و شرح الإحياء للزبيدي ٤/٤٦٨

(٢) انظر سنن أبي داود في الأدب برقم: ٤٨٢٩ ولكنه من مسند أنس رضي الله عنه، ثم صرح أبو داود برقم: ٤٨٣٠ أن الجزء الأول يرويه أنس عن أبي موسى الأشعري إلى قوله: وطعمها مر، ثم قال: وزاد ابن معاذ قال: قال أنس: وكنا نتحدث: أن مثل جليس الصالح. ثم روى أبو داود عن أنس الجزء الثاني مرفوعاً، وأخرجه البغوي في شرح السنة برقم: ١١٧٥ بكامله من مسند أبي موسى الأشعري.

(٣) أخرجه مسلم برقم: ٨١٧ في صلاة المسافرين، وابن ماجه برقم: ٢١٨ في السنة.

قراؤها"(١)، وذكر عن بعض المشايخ في الإحياء"إن العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة للرحمة حتى يفرغ منها، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها، فقيل له: وكيف ذلك، فقال: إذا أحل حلالها، وحرم حرامها، صلت عليه وإلا لعنته" (٢).

وقال بعض العلماء: إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه، وهو لا يعلم، يقول: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ وهو ظالم نفسه، و﴿ألا لعنة الله على الكاذبين﴾ وهو منهم (٣).

يقول عامر بن واثلة: إن عمر رضي الله عنه استعمل نافع بن عبد الحارث على مكة المكرمة، وسأله يوماً من استعمله على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، فسأل عمر بن الخطاب: من ابن أبزى؟ فقال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولًى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين" (٤).

(٨) عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث تحت العرش يوم القيامة: القرآن يحاج العباد، له ظهر وبطن، والأمانة، والرحم تنادي: ألا من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله. (رواه في شرح السنة) (٥).

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ٦٦٣٣ عن عبد الله بن عمرو بن العاص بإسناد حسن، وله شاهد من حديث عقبة بن عامر برقم: ١٧٣٦٧

قال المناوي في الفيض ١٠١/٢. شارحاً له: أي: الذين يتأولونه على غير وجهه، ويضعونه في غير مواضعه، أو يحفظون القرآن تقية للتهمة عن أنفسهم، وهم معتقدون خلافه، فكان المنافقون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة، ذكره ابن الأثير. وقال الزمخشري: أراد بالنفاق: الرياء، لأن كلا منهما أراد ما في الظاهر خلاف ما في الباطن انتهى.

(٢) إحياء العلوم ٢٧٥/١

(٣) انظر إحياء العلوم ١/ ٢٧٥ و شرح الإحياء ٤٦٩/٤.

(٤) انظر مسلم برقم: ٨١٧ في صلاة المسافرين (فضائل القرآن) باب: من يقوم بالقرآن ويعلمه.

(٥) برقم: ٣٤٣٣، وقد أخرجه أبو داود في الزكاة برقم: ١٦٩٤، والترمذي في البر والصلة، باب: ما جاء في قطيعة الرحم برقم: ١٩٠٧ وقال: حديث صحيح.

شرح الحديث:

المراد من كون هذه الأشياء تحت العرش: كمال قربها من العرش الإلهي العظيم، ومعنى حجة القرآن: أن الذين يراعونه حق رعايته، ويقدرونه حق قدره، ويعملون به، فإن القرآن سيكون لهم حجة أمام الله سبحانه، ويشفع لهم، ويرفع درجاتهم، وذكر الملا علي القاري رواية للترمذي: "إن القرآن الكريم يقول لله: يارب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه"(١).

فإذا كان رضى الحبيب في الدنيا أعلى جائزة ومكرمة لا تفوقها نعمة، فأي نعمة تكون أفضل من رضى الله سبحانه في الآخرة؟وإن الذين خانوا القرآن، وقصروا في قراءته، يطالبهم القرآن فيه، ويسألهم عما فعلوا في أمره.

ذكر صاحب شرح الإحياء أن الإمام الأعظم أبا حنيفة رحمه الله قال: إن من حق القرآن أن يختم مرتين في عام واحد.

فليعتبر الآن أولئك الذين لا يتلون القرآن ولو عذراً، ولا يهتمون به، ويفكروا ماذا يجيبون هذا الخصم القوي، فكل نفس ذائقة الموت، ولا مناص من الموت.

والمعنى الظاهري لظاهر القرآن وباطنه: أن له معنى ظاهراً، يفهمه كل شخص، وآخر باطناً، لا يستطيع أن يفهمه كل شخص، وهذا ما يشير إليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال في كتاب الله برأيه، فأصاب، فقد أخطأ"(٢). وقال بعض المشايخ: إن المراد من الظاهر: ألفاظه التي يتساوى كل شخص في تلاوتها، والمراد من الباطن: معانيه ومطالبه، التي تختلف، وتتفاوت حسب الاستعداد والفهم.

شروط فهم معاني القرآن:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا أردتم العلم فانثروا القرآن، فإن فيه

---

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن برقم: ٢٩١٥ عن أبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً، وقال: الموقوف أصح، قلت: والمرفوع أيضاً لا بأس به، وقد صححه الحاكم مرفوعاً في المستدرك ٧٣٩/١ برقم: ١٠/٢٠٢٩ ووافقه الذهبي، ثم إن الموقوف في مثل ذلك كالمرفوع حكماً.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير برقم: ٢٩٥٢ عن جندب بن عبد الله وقال: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم.

علم الأولين والآخرين"(١) ولكن يجب مراعاة الشروط والآداب في فهم معاني القرآن الكريم، وقد عم في عهدنا أن كل شخص يتعلم بضع كلمات عربية، بل بدون تعلمها، يكتفي بقراءة تراجم القرآن باللغة الأردية، ويتكلم برأيه في القرآن، وقد ذكر رجال الفن أنه ينبغي إتقان خمسة عشر علماً للتفسير، وأذكرها هنا ملخصاً للضرورة العاجلة؛ ليعلم أنه ليس من استطاعة كل شخص أن يتوصل إلى بطن كلام الله.

أولا: اللغة، ليعرف معنى المفردات في القرآن، ويقول مجاهد رضي الله عنه: لا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول كلمة في القرآن الكريم بدون علم لغة العرب، فلا يكفي علم بضع لغات، وقد يحدث أن بعض الألفاظ تشترك في المعنى، وهو لا يعرف إلا بضعة معان، وفي الواقع يقصد من ذلك اللفظ المعين معنى آخر.

ثانياً: علم النحو، لأن تغير الإعراب يغير المعنى كلياً، ويتوقف علم الإعراب على علم النحو.

ثالثاً: علم الصرف، لأن اختلاف الصيغ يغير المعاني، ويقول ابن فارس: من فاته علم الصرف، فقد فاته الكثير، وذكر العلامة الزمخشري في أعجوبات التفسير: أن رجلا تلا الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [سورة الإسراء: ٧١] فإنه حسب الإمام الذي كان كلمة مفردة أنه جمع الأم، فلو كان عالماً بالصرف لعرف أن الأم لا تجمع بالإمام.

رابعاً: معرفة الاشتقاق، لأن الكلمة المشتقة بمادتين تختلف معنى، مثلا المسيح، فإنه مشتق من المسح أيضاً، ومعناه اللمس، ومس شيء بيد مبتلة، واشتقاقه الآخر: المساحة.

خامساً: علم المعاني: الذي يوضح تركيب الكلام بحيث المعنى.

سادساً: علم البيان الذي يكشف ظهور الكلام، وخفاءه وتشبيهه وكنايته.

سابعاً: علم البديع الذي يدل على حسن الكلام من ناحية التعبير، وهذه الفنون الثلاثة تعرف بعلم البلاغة، وهي أهم علوم التفسير، وكلام الله

(١) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٠٦٤١ وابن المبارك في الزهد برقم: ٨١٤ ولفظه: فأثيروا القرآن.

تعالى إعجاز بكامله، ولا يمكن معرفة هذا الإعجاز بدون معرفة علم البلاغة.

ثامناً: علم القراءة، لأن اختلاف القراءة، يبدي اختلاف المعاني ويتكشف منه ترجيح معنى على المعنى الآخر.

تاسعاً: يجب الحصول على علم العقائد، لأن في القرآن الكريم آيات لا يصح انطباق معناها الظاهر على الله سبحانه وتعالى، فيُحتاج إلى تأويلها مثلا: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٠].

عاشراً: علم أصول الفقه، لمعرفة طرق الاستدلال والاستنباط.

الحادي عشر: معرفة أسباب النزول، لأن أسباب النزول تكشف المعنى أكثر إيضاحاً، وفي بعض الأحيان يتوقف علم المعنى الحقيقي على أسباب النزول أيضاً.

الثاني عشر: علم الناسخ والمنسوخ لتمييز الأحكام المنسوخة عن المعمول بها.

الثالث عشر: علم الفقه؛ لأن الإحاطة بالجزئيات توصل إلى الكليات.

الرابع عشر: معرفة تلك الأحاديث النبوية التي تفسر الآيات المجملة.

وبعد هذه الشروط الأربعة عشرة علم آخر، وهو الشرط الخامس عشر، وهذا العلم هو من العلوم الموهوبة، التي يخص الله بها أفراداً معدودين من عباده، يشير إليهم هذا الحديث الشريف: "من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم" (١).

وقد أشار إليه سيدنا علي كرم الله وجهه عندما سئل: هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن؟ فقال: لا! والذي خلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا أن يعطي الله عبداً فهما في كتابه. (٢) وقال ابن أبي الدنيا رحمه الله: علوم القرآن وما يحصل منها، بحر لا ساحل له.

وإن هذه العلوم التي ذكرت هي بمثابة آلة للمفسر، فإذا حاول أحد

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/١٤-١٥ في ترجمة أحمد بن أبي الحواري بسنده إلى أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس مرفوعاً، ثم قال أبو نعيم: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل، انتهى، فهذا إنما هو من قول عيسى عليه الصلاة والسلام، وليس حديثاً عن محمد ﷺ فافهم.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد برقم: ٣٠٤٧ عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي..والترمذي في الديات باب: ما جاء لا يقتل مسلم بكافر برقم: ١٤١٢، وكذا ابن ماجه في نفس الكتاب ونفس الباب برقم: ٢٦٥٨ وأحمد برقم: ٥٩٩.

تفسير القرآن بدون هذه العلوم، فإنه لا يفسر إلا برأيه، وهو محظور، وقد كانت العلوم العربية بالنسبة للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حاصلة طبعاً، وقد اقتبسوا العلوم الأخرى من مشكاة النبوة، يقول العلامة السيوطي: لعلك تحسب أن الحصول على العلم الوهبي خارج عن قدرة العبد، ولكنه ليس كذلك، بل إن الطريقة إلى الحصول عليه هو: الحصول على تلك الأسباب والوسائل التي يرتب الله تعالى عليها هذا العلم، مثلا العمل بالعلم، والرغبة عن الدنيا(١).

وفي "كيمياء سعادت" للإمام الغزالي: إن تفسير القرآن لا يتيسر لثلاثة أشخاص، الأول: الرجل الذي لا يعرف العلوم العربية، الثاني: الرجل الذي يصر على معصية كبيرة أو بدعة، لأن المعاصي والبدع تسودان قلبه، وبذلك يعجز عن معرفة القرآن، والثالث: الرجل الذي يؤمن بالظاهر في قضية عقيدة، وتنفر طبيعته من آية من القرآن الكريم التي تخالف عقيدته، فلا ينال هذا الشخص أيضا نصيباً من فهم القرآن، اللهم احفظنا.

(٩) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها" (٢).

(رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه)

شرح الحديث:

والمراد الظاهر من صاحب القرآن: حافظه، وقد شرحه الملا علي القاري

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن ٢٣٢/٢، قال: لعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد انتهى.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: ١٤٦ في الصلاة، والترمذي في فضائل القرآن برقم: ٢٩١٤، وقال: حسن صحيح، وابن حبان برقم: ٧٦٦، وأخرج ابن ماجه له شاهداً عن أبي سعيد في الأدب برقم: ٣٧٨ وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف.

وأخرج الترمذي برقم: ٢٩١٥، في فضائل القرآن باب: ليس في جوفه من القرآن كالبيت الخراب شاهداً آخر عن أبي صالح عن أبي هريرة موقوفاً ومرفوعاً وقال: الموقوف عندنا أصحّ، ولفظه: يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارقأ تزاد بكل آية حسنة. وأخرجه أحمد برقم: ١٠٠٨٧ من طريق شعبة عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد من قوله شك شعبة، قال محققه شعيب: هو في حكم المرفوع فمثله لا يقال بالرأي.

بالتفصيل أن هذه الفضيلة خاصة للحافظ، ولا يدخل فيها القارئ، وسببه الأول: أن كلمة "صاحب القرآن" تشير إليه، ثانياً: أنه جاء في رواية في مسند أحمد: "حتى يقرأ شيئاً معه"(١) وهذه الكلمة أكثر توضيحاً لاختصاصه بالحافظ، ولو أنه يحتمل اشتراك ذلك القارئ الذي يتلو القرآن بكثرة في هذه الفضيلة، وفي المرقاة: أن هذا الحديث لا يعني القارئ الذي يلعنه القرآن، ويشير ذلك إلى الحديث الذي جاء فيه: "رب تال للقرآن والقرآن يلعنه" (٢) فإذا كانت عقائد شخص غير مستقيمة، فإن تلاوة القرآن لا تدل على قبوله، وقد وردت مثل هذه الأحاديث بكثرة عن الخوارج.

وذكر الشيخ عبد العزيز رحمه الله عن الترتيل في تفسيره أن الترتيل في اللغة هو: القراءة بوضوح، وفي الشرع الشريف إنه يعني: مراعاة عدة أشياء في التلاوة، ومنها:

تصحيح المخارج عند النطق لكيلا تختلط الطاء بالتاء، والضادبالظاء.

ثانياً: الوقوف الكامل في مواضع، لكي لا تختلط مواضع الوصل بالقطع للكلام.

ثالثاً: الإشباع في الحركة وهو إظهار الحركات مثل: الكسرة، والضمة، والفتحة.

رابعاً: رفع الصوت قليلا، لكي تصل كلمات القرآن الكريم إلى آذان الآخرين بوضوح، وتؤثر في القلوب.

خامساً: تحسين الصوت وتصحيحه، لكي يوجد التأثير على القلب لأن

(١) جاء في المسند برقم: ١١٣٦ عن أبي سعيد مرفوعاً: يقال لصاحب القرآن يوم القيامة إذ دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه انتهى. وفي إسناده عطية العوفي.

(٢) قال الشيخ محمد يونس محدث الهند: "هذا الكلام اشتهر على ألسنة القراء في القرون المتأخرة، وقد أوغلت في طلبه، فلم أقف له على سند، ولا ذكره أحد من المخرجين غير قول الشيخ زكريا الأنصاري في شرح المقدمة الجزرية المسمى بـ"الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية": في خبر: "رب قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه"، وقول القاري في "المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية": روي عنه صلى الله عليه وسلم: "رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه"، ولكن لم يذكر من خرّجه" انتهى قول الشيخ يونس من نوادر الحديث ص: ٣٩١.

قلت: ذكره الغزالي في الإحياء: كتاب آداب تلاوة القرآن فصل: ما قيل في ذكر تلاوة الغافلين فقال: قال أنس رضي الله عنه: رب تال للقرآن والقرآن يلعنه، انظر شرح الإحياء ٤٦٨/٤ ولم يعلق عليه العراقي.

الصوت الخاشع يؤثر على القلب سريعاً، ويقوي الروح، ويزيد التأثر به، ولذلك قال الأطباء: إنه إذا أريد التأثير في القلب بالدواء فلا بد أن يمزج هذا الدواء بما له رائحة طيبة، لأن القلب يجذبه بسرعة، وإذا أريد إيصال أثر دواء إلى الكبد، فليخلط بالحلوى، لأن الكبد تميل إلى الحلوى، فيعتقد هذا العبد أن استعمال الروائح والبخور بصفة خاصة يقوي تأثير القرآن عند التلاوة على القلب.

سادساً: إبداء التشديد والمد، لأنه يزيد عظمة القرآن، ويعين في إيجاد التأثير.

سابعاً: الاهتمام بآيات الرحمة والعذاب حق قدرها، كما سبق ذكره في أول الكتاب.

هذه هي الشروط السبعة التي يجب الالتزام بها، والتي تعتبر لوازم الترتيل، وليس المقصود منها سوى فهم القرآن وتدبره، وقد سأل أحد أم المؤمنين أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ: كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم عنه؟ ففسرت قراءته صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً(١) أي: أنه كان صلى الله عليه وسلم يظهر جميع الحركات كلياً.

ويُستحب قراءةُ القرآن بالترتيل، ولو كان لا يفهم المعنى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن أقرأ "إذا زلزلت" و"القارعة" أتدبرهما، أحب إلي من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً (٢).

واستدل الشراح والمشايخ من الرواية المذكورة أنها تعني: اقرأ آية آية من القرآن، وتدرج درجة درجة بها، لأن الروايات تفيد بأن أدراج الجنة على قدر آي القرآن، فيرتقي الإنسان حسب حفظه من القرآن، ويصل إلى مأواه بقدرها، وكل شخص يتقن القرآن بكامله يصل إلى الدرجة العليا.

---

(١) أخرجه الترمذي في القراءات برقم: ٢٩٢٧ من طريق الليث عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة أنها وصفت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً، وقال: حديث الليث أصحّ من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة الذي جاء فيه أنه كان يقطع قراءته، يقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف. الحديث.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٨٨٢٤ عن محمد بن كعب القرظي من قوله، وأما أثر ابن عباس فقدأخرجه ابن المبارك في الزهد ص: ٤٢٠ برقم: ١١٩٣ والبيهقي في الشعب برقم: ١٨٨٢ وعبد الرزاق في المصنف برقم: ٤١٨٧ ج/٢، ص: ٤٨٩ عن أبي جمرة الضبعي قال: قلت لابن عباس: إني رجل في كلامي وقراءتي عجلة، فقال ابن عباس: لأن أقرأ البقرة فأرتلها أحب إلي من أن أهذ القرآن كله، ثم رأيت أن المصنف نقل ذلك من شرح الإحياء ٧٨/٤؛ وهو عزاه لقوت القلوب.

قال العلامة علي القاري رحمه الله: جاء في حديث: من أكمل القرآن، فليس فوقه درجة، فالقراء يتصاعدون بقدرها، قال الداني ــ رحمه الله ــ: أجمعوا على أن عدد آي القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد، فقيل: ومائتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة، وقيل: وتسع عشرة، وقيل: وخمس عشرون، وقيل: وست وثلاثون (١).

وفي شرح الإحياء: عن عمرو بن العاص ﷺ: "كل آية في القرآن درجة، فيقال للقارئ: ارق في درجها على قدر ما كنت تقرأ من آية القرآن "(٢).

ويرى العبد الضعيف أن الحديث المذكور يقصد شيئاً آخر، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

وحاصل ما أقصد: أن الحديث المذكور لا يعني: ذلك الرقي من الدرجات الذي ذكر باعتبار الآيات أي: درجة لكل آية، لأن هذا المراد لا يتصل بالقراءة بالترتيل، فإذا قرئت آية ارتفع قارئها إلى درجة، فهو عام سواء أكانت القراءة بالترتيل أو بدون الترتيل، فأعتقد أن المراد من هذا الحديث كما يبدو: رقي آخر باعتبار الكيفية، التي تترتب بقدر الترتيل أو بغيره في القراءة، فلا يستطيع أن يقرأ القرآن إلا بالترتيل الذي كان يقرؤه به في الدنيا، ثم يرتقي به (٣).

---

(١) جاء في المرقاة ٣٥٣/٤ كتاب فضائل القرآن الفصل الثاني: جاء في حديث: "من أهل القرآن فليس فوقه درجة" إلى قوله وست وثلاثون، وقد وقع في مطبوع المرقاة في هذا الحديث سقط مُخل.

والحديث قد أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ١٨٤٣ عن عائشة مرفوعاً ولفظه بتمامه: عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة، ثم قال: قال الحاكم: هذا إسناد صحيح، ولم يكتب هذا المتن إلا بهذا الإسناد وهو من الشواذ انتهى. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، برقم: ٣٠٥٧٢ عن عائشة موقوفاً وإسناده حسن على ما قاله الشيخ محمد عوامة محقق المصنف ومثله لا يقال بالرأي.

(٢) أخرج ابن المبارك في الزهد ص: ٢٧٣ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: كل آية من القرآن درجة في الجنة، ومصباح في بيوتكم، وهو ضعيف وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ١٨٤٥.

(٣) وهذا الذي قاله المصنف رحمه الله سبق إلى مثله المناوي في الفيض ٣٩٤/٤ فقال: ومن حفظ جميع القرآن كان منزله الدرجة القصوى من درجات الجنان، ذكره القاضي، قال: وهذا القارئ الذي يقرؤه بأن يتدبر معناه، ويأتي بما هو مقتضاه انتهى، ومن الحديث يعلم أنه يقرأ و يتلذذ بالقرآن، ومن لازم ذلك تلذذ بمعانيه وما يفتح الله به على القراء من أنواع المعارف اللائقة بتلك الدار وبتلك الذوات التي فيها التأهل، وذلك أمره لا يتناهى أبدا، قال القاضي: وحينئذ تقدر التلاوة على مقدار العمل؛ فلا يستطيع أحد إلا قدر ما قام بما يجب عليه فيها، واستكمال ذلك إنما يكون للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم الأعظم من أمته، على قدر مراتبهم في الدين. انتهى من فيض القدير.

وذكر الملا علي القاري حديثاً يقول: "فإذا قام صاحب القرآن بقراءته آناء الليل وآناء النهار، ذكره، وإن لم يقم به، نسيه"(١).

فليرحم الله، فإن فينا كثيراً من الناس من يحفظون القرآن بأمر والديهم وشوقهم الديني، ولكنهم يضيعون هذه النعمة العظيمة لقلة اهتمامهم بها في الكبر في الحياة الدنيا نفسها، وبالعكس ورد في الحديث الشريف: "من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره، أتاه ملك يعلمه في قبره، ويلقى الله وقد استظهره"(٢).

إن عطاء الله جزيل، لا ينقصه شيء، فهل من نائل؟

كل حرف من القرآن حسنة، والحسنة بعشر أمثالها:

(١٠) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف.

(رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح غريب إسناداً، والدارمي) (٣).

شرح الحديث:

والمقصود من الرواية: أن الاعتبار في كلام الله هو باعتبار الأجزاء على عكس الأعمال الأخرى التي يعتبر فيها للجزاء كل عمل، فكل جزء من الأجزاء في تلاوة القرآن يعتبر عملا بمفرده، فيعد كل حرف منها حسنة، و وعد الله تعالى لكل حسنة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠] وهذا هو

---

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين في (فضائل القرآن) باب الأمر بتعهد القرآن برقم: ٧٨٩ (٢٢٧) عن ابن عمر مرفوعا بلفظ: وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه، والعجب من القاري رحمه الله حيث عزاه في المرقاة ٣٥٤/٤ إلى الرامهرمزي.

(٢) أورده الهندي في كنز الأعمال ٥٤٧/١ برقم: ٢٤٤٩ وعزاه لأبي الحسن بن بشران في فوائده، وابن النجار عن أبي سعيد رضي الله عنه.

والعجب من القاري رحمه الله حيث عزاه في المرقاة ٣٥٤/٤ إلى البخاري، ولعل الخطأ إنما جاء من الناسخ حيث قلب الحديثين، فإن الحديث المتقدم إنما هو تتمة حديث ابن عمر: "إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت، وإن كان البخاري لم يرو إلا هذا الجزء فقط، لكن لا يبعد أن يعزوه القاري نظراً إلى أصل الحديث إلى البخاري، فانقلب الأمر على الناسخ، فالحديث المعزو إلى الرامهرمزي هو هذا الحديث، هذا ما بدا لي تحسيناً للظن بالقاري رحمه الله، وهو الصواب إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

(٣) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن برقم: ٢٩١٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

أدنى درجة، و قد قال الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] وبمقتضى الحديث النبوي الشريف: "ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" تساوي ألم ثلاثين حسنة، واختلف العلماء في أن المراد بـ"ألم" هو مفتتح البقرة، أو سورة الفيل: "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل"، فإن كان المراد منه مفتتح سورة البقرة، فالظاهر منه أن الحروف المكتوبة منفصلا هي المعتبرة، فحيث إنها في الكتابة ثلاثة أحرف، استحقت ثلاثين حسنة، وإن كان المراد منه مفتتح سورة الفيل تصبح ألم البقرة تسعة أحرف، وتصير الحسنات عليها تسعين حسنة، وفي رواية للبيهقي: "لا أقول: بسم الله حرف، ولكن باء، وسين، وميم، ولا أقول: ألم، ولكن الألف، واللام، والميم"(١) أي: أنها أحرف منفصلة.

(١١) عن معاذ الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن، وعمل بما فيه، ألبس والداه تاجاً يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟.

(رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الحاكم) (٢).

شرح الحديث:

والمفهوم من الحديث: أن من بركة قراءة القرآن والعمل به: أن والدي القارئ سيتوجان بتاج يفوق نوره ضوء الشمس كثيراً إذا كانت الشمس داخل البيت، فإذا كانت الشمس وهي تطلع بعيدة عن الأرض، تنشر ضوءها، وتشرق بها الأرض، فما تكون قوة ضوئها ومدى انتشارها إذا أتت داخل البيت

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم: ٣٠٥٥٣ والطبراني في الكبير ١٨/٧٦-٧٧ برقم: ١٤١-١٤٢ وفي الأوسط برقم: ٣١٤ بلفظ: من قرأ حرفاً من كتاب الله كتب له حسنة، لا أقول: "ألم ذلك الكتاب" ولكن الحروف مقطعة عن الألف واللام والميم، وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ١٨٣٠ بهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف، وفي إسناده عند جميع المخرجين موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف الحديث، انظر مجمع الزوائد٧/١٦٦.

(٢) أخرجه أحمد عن معاذ بن أنس الجهني برقم: ١٥٦٤٥ وأبو داود برقم: ١٤٥٣ في الوتر باب في ثواب قراءة القرآن، وإسناده ضعيف من أجل زبان بن فائد، وإن صححه الحاكم ج/١ ص: ٧٥٦ برقم ٦٦/٢٠٨٥ لكن تعقبه الذهبي بأن زباناً ليس بالقوي.

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط برقم: ٩٦ مرفوعاً قال: ما من رجل يعلم ولده القرآن في الدنيا، إلا توج أبوه يوم القيامة بتاج في الجنة، يعرفه أهل الجنة بتعليمه ولده القرآن في الدنيا، قال الهيثمي ١٦٩/٧: فيه جابر بن سليم ضعفه الأزدي.

وقربت منه؟ ويصف الحديث قوة ضوء التاج الذي يلبسه والدا القاري ويرجع قوة ضوءه على قوة ضوء الشمس الطالعة والمشرقة داخل البيت، فإذا كان الوالدان يستحقان هذا الأجر العظيم، فما يكون الأجر للقارئ نفسه؟ ويمكن تقدير أجره على هذا الأساس، فإذا كان ذلك أجر الطفيليين ونعمهم، فلابد من أن يكون أجر الأصل أفضل منه أضعافاً، فقد استحق الوالدان هذا الأجر؛ لأنهما كانا سببين لوجوده أو تعليمه.

وفي التشبيه بالشمس في البيت إشارة إلى أمر لطيف بالإضافة إلى قوة الضوء وصفائه، وهو: أن الشيء الذي يجده الإنسان بجانبه دائماً يورث في نفسه الأنس وعدم الكلفة، فيتبدل إذا بقرب الشمس الوحشة التي يشعر بها الإنسان بسبب بعدها بالأنس والألفة، وفي هذه الحالة يشير هذا التمثيل علاوة على الضوء وصفائه، إلى المؤانسة أيضاً، وإلى وجود الصلة معها، فإن الشمس رغم عموم الانتفاع بها ليست ملك أحد، فإذا وهبت نفسها لأحد فما أعظم افتخار الإنسان بها!

وروى الحاكم عن بريدة رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ القرآن، وتعلم، وعمل به، ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان، بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن"(١).

وفي جمع الفوائد عن الطبراني عن أنس رفعه: "من علم ابنه القرآن نظراً، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن علمه إياه ظاهراً، بعثه الله يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر، ويقال لابنه: "اقرأ" فكلما قرأ آية رفع الله للأب بها درجة، حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن"(٢).

إن قراءة الولد للقرآن يجلب لوالديه هذا الثواب والفضائل، ولكن لا تنتهي المسألة هنا، بل يجب في هذا الصدد الانتباه إلى جانب آخر أيضاً، وهو الخسران الذي يكسبه الإنسان بإعراضه عن كسب هذه الفضيلة، فإذا حرم أحد

(١) أخرجه الحاكم ج/ ١ ص: ٧٥٧ رقم٢٠٨٦/٦٧ وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ١٩٣٥ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٦٨–١٦٩: فيه من لم أعرفه.

أحد أبنائه تعلم الدين - لا قدر الله - حرصاً على كسب المال القليل والنفع الضئيل، وجريا وراء كسب مادي طفيف، فإنه لا يَحرم نفسه هذا الأجر الدائم القائم فحسب، بل إنه يحتمل مسئولية حرمان ولده عند الله، وإبعاد فلذة كبده عن هذه النعمة، خشية أنه بتعلم الدين أو حفظ القرآن سيظل عالة ومفتقراً إلى قطع الخبز في المساجد، فلا ينس أحد أنه بهذا العمل يجعل ابنه عرضة للمصائب الخالدة، والشقاء الدائم، بالإضافة إلى ما يكسب لنفسه، وما يتحمل، من مسئولية خطيرة وعواقب، بمقتضى الحديث الشريف: "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته"(١) فسيسأل كل امرئ عن رعيته، والعالة عليه، عن نصيبه في تعليم أولاده، ورعيته الدين، طبعاً يلزم اتخاذ إجراءات لازمة للالتزام بالنظافة، إلا أنك إذا علمت ولدك الدين، وخلقت فيه الصلاح، فإنك تطلق نفسك عن المسئولية، وتؤمن لنفسك نصيباً من الأجر الذي يكسبه ولدك بالأعمال الصالحة مادام حياً، ويدرج في كتابك من الثواب والأجر، ويرفع من درجاتك بسبب دعائه واستغفاره لك.

ولكن إذا غلبت الدنيا والطمع فيها، وحرمتَ ولدك نيلَ العلم الديني طمعاً في بضعة نقود، فإنك لا تتحمل الويل لهذا العمل فحسب، بل إنك لا تنجو من وبال أعماله السيئة، والفسق، والفجور، والذنوب التي يكسبها ولدك في حياته، فارحم نفسك بالله، فإن الدنيا وحياتها زائلة لا محالة، وسيُنهي الموت كل مصيبة، مهما عظمت، وتفاقمت، ولكن المصيبة التي لا موت بعدها، هي خالدة، ولا نهاية لها.

(١٢) عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لو جعل القرآن في إهاب، ثم ألقي في النار، ما احترق".

(رواه الدارمي) (٢).

(١) أخرجه البخاري في الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن، برقم: ٨٩٣ ومسلم في الإمارة برقم: ١٨٢٩ وغيرهما عن ابن عمر.

(٢) أخرجه الدارمي ج/٢ ص: ٥٢٢ كتاب فضائل القرآن باب: فضل من قرأ القرآن برقم: ٣٣١٠، وأخرجه أحمد في المسند برقم: ١٧٣٦٥، والبغوي في شرح السنة برقم: ١١٨٠ وفي إسناده: ابن لهيعة، ومشرح بن هاعان. ←

شرح الحديث:

ذهب مشايخ الحديث في هذا الحديث مذهبين، فيرى بعضهم: أن المراد من الإهاب هو الإهاب العام لأي حيوان، والمراد من النار هي النار الدنيوية، وفي هذه الحالة يعتبر ذلك من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت خاصة بزمانه كما كانت معجزات الأنبياء الآخرين خاصة بزمانهم.

والمراد الآخر: أن المقصود من الإهاب هو جلد الإنسان، والمراد من النار: الجحيم، وفي ضوء هذا المعنى يكون هذا الحكم عاماً غير مقيد بأي عصر وجيل، و معناه: أن كل من حفظ القرآن، إذا وضع في الجحيم بسبب ذنوبه، فإن النار لن تؤثر فيه، وقد ورد أيضاً في إحدى الروايات كلمة: "ما مسّته النار" (١) وتؤيد هذا المفهوم التالي رواية أبي أمامة التي نقلها العلامة علي القاري من شرح السنة: "احفظوا القرآن، فإن الله لا يعذب بالنار قلباً وعى القرآن" (٢) وهذا الحديث واضح في مفهومه ونص عليه.

فليتدبر في هذه الفضائل أولئك الذين يعدون حفظ القرآن إضاعة للوقت، وعملا غير مُجْدٍ، فإن هذه الفضيلة تكفي في حد ذاتها أن تحمل كل شخص على أن يفدي بنفسه لحفظ القرآن، فهل من إنسان لا يذنب، ولا يستحق بذنوبه النار؟

وقد ذكر صاحب شرح الإحياء في قائمة من يظلهم الله يوم القيامة عن

وله شاهد من حديث سهل بن سعد عند الطبراني برقم: ٥٩١٠، وفيه عبد الوهاب بن الضحاك، وهو متروك. وله شاهد آخر عند البيهقي في الشعب ج/٢ ص: ٥٥٥ برقم: ٢٧٠ من ترقيم زغلول عن عصمة بن مالك رضي الله عنه، وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف.

فللحديث طرق ثلاث، وفي كل منها كلام، وقد حسّنه الألباني وأورده في صحيح الجامع الصغير برقم: ٥٢٦٦–١٧٠٣، وحسّنه شعيب الأرناؤوط في تعليقه على شرح السنة، بيدَ أنه مال إلى تضعيفه مع أصحابه في تعليقهم على مسند أحمد فانظر، وقال المناوي في الفيض ٣٩٥/٥: لكنه يتقوى بتعدد طرقه انتهى.

(١) أخرجه بهذه اللفظ أحمد عن عقبة ١٥٥/٤

(٢) ذكره البغوي في شرح السنة بعد الحديث برقم: ١١٨٠ بدون إسناد عن أبي أمامة، وقال الزبيدي في شرح الإحياء ٦٦٥/٤: إن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن، رواه تمام الرازي من حديث أبي أمامة مرفوعا، انتهى.

و أخرجه الدارمي ٥٢٤/٢ في فضائل القرآن باب: فضل من قرأ القرآن، وابن أبي شيبة برقم: ٣٥٨٧٧ عن أبي أمامة رضي الله عنه موقوفا قال: اقرؤوا القرآن، ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لن يعذب قلباً وعى القرآن.

علي رضي الله عنه برواية الديلمي: أن حاملي القرآن أي: حفاظه سيكونون في ظل الله مع الأنبياء والصالحين.

(١٣) عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن، فاستظهره، فأحل حلاله، وحرم حرامه، أدخله الله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت له النار.

(رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديث غريب، وحفص بن سليمان الراوي ليس هو بالقوي، يضعف في الحديث، و رواه ابن ماجه، والدارمي) (١)

شرح الحديث:

إن كل مؤمن سيدخل الجنة إن شاء الله، ولو بعد معاقبة على سيئات أعماله، ولكن هذه الفضيلة تخص الحفاظ باعتبار ابتداء دخولهم، وإن العشرة الذين تقبل فيهم شفاعته هم الفساق والفجار الذين ارتكبوا الذنوب من الكبائر، فلا شفاعة في حق الكفار، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال في موضع آخر: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

فإن النصوص في هذا الأمر واضحة بأن المشركين لا يغفرلهم، ولذلك أريد من شفاعة الحفاظ: أولئك المسلمون الذين وجب دخولهم في النار بمعاصيهم، فيجب على كل من يريد العتق من النار إذالم يكن حافظاً للقرآن أو لا يقدر على حفظه أن يسعى إلى أن يُحفظ القرآن أحد أقربائه على الأقل، لكي يستطيع أن ينجو بفضله من العقاب على ذنوبه وسيآته، وما أكبر فضل الله على الإنسان الذي والده، وعمه، وجده، وخاله، جميعهم حافظون للقرآن، اللهم زد فزد.

(١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: تعلموا القرآن، فاقرؤوه، فإن مثل القرآن لمن تعلم، فقرأ، وقام به كمثل جراب محشو مسكا، تفوح ريحه كل مكان، ومثل من تعلمه، فرقد، وهو في

---

(١) انظر سنن الترمذي في فضائل القرآن برقم: ٢٩٠٥ وقال: هذا حديث غريب و لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس له إسناد صحيح، وحفص بن سليمان أبو عمر بزاز كوفي يضعف في الحديث، وانظر سنن ابن ماجه برقم: ٢١٦ في السنة باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه.

جوفه كمثل جراب أوكئ على مسك".

(رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان) (١).

شرح الحديث:

يعني الحديث: أن الذي قرأ القرآن واهتم به، وتلاه في صلوات الليل، فمثله: مثل الجراب المحشو بالمسك الذي تفوح رائحته في كل مكان، فإذا نام هذا الحافظ، أو لم يقدر على قراءته بغفلته، فإن القرآن الذي في صدره هو المسك، إلا أن هذه الغفلة سببت في حرمان الآخرين من رائحته، وعلى أي حال إن قلبه يحوي هذا المسك.

البيت الخرب:

(١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب"(٢).

(رواه الترمذي و ... : ... حديث صحيح، ورواه الدارمي، والحاكم وصححه).

شرح الحديث:

إن في تشبيه القلب بالبيت الخرب نكتة لطيفة، وهي: أن البيت إذا خلا من السكان، يسكنه الجن والعفاريت، وهكذا القلب، إذا خلا من القرآن، فيزداد عليه تسلط الشياطين، ويحث هذا الحديث على حفظ القرآن، ويؤكده،

---

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن، باب: ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي برقم: ٢٨٧٦، وابن ماجه في السنة برقم: ٢١٧، وابن حبان برقم: ٢١٢٦، وفي إسناده عطاء مولى أبي أحمد أو ابن أبي أحمد، وهو الراوي عن أبي هريرة، لم يوثقه إلا ابن حبان، ولم يرو عنه إلا سعيد المقبري، وباقي رجاله ثقات..

قال عبد الرشيد: له إسناد آخر عند البيهقي في الشعب برقم: ٢٤٤٠ من ترقيم عبد العلي وهو: عمر بن طلحة الليثي عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة. وله شاهد مرسل عن محمد بن كعب عند البيهقي في الشعب أيضاً برقم: ٢٤٣٩، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن برقم: ٢٩١٣ وقال: هذا حديث حسن، وأخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب برقم: ٢٢٧١، وأخرجه الحاكم ج/١ ص: ٧٤٧ برقم: ١٨/٢٠٣٧ وصححه، وتعقبه الذهبي بأن قابوساً لين انتهى

وقال المناوي في الفيض: فات الترمذي والحاكم أن فيه قابوس بن أبي ظبيان ضعيف، كما بينه ابن القطان، والراوي عن قابوس: جرير، وفيه مقال، فالصحة له محال، ومن ثم استدرك الذهبي على الحاكم، وقال: قابوس لين، وقال النسائي: غير قوي، انتهى، وضعفه الألباني وشعيب الأرناؤوط من أجل قابوس.

فوصف القلب الذي لا يحفظ شيئاً من القرآن بأنه بيت غير معمور.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "إن البيت الذي يُتلى فيه القرآن، اتسع بأهله، وكثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله، وقل خيره، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشياطين" (١).

ورُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه، و يَروي البعض عن النبي صلى الله عليه: "إن أصغر البيوت بيت ليس فيه شيء من كتاب الله" (٢).

(١٦) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة، وقراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من التسبيح والتكبير، والتسبيح أفضل من الصدقة، والصدقة أفضل من الصوم، والصوم جنة من النار.

(رواه البيهقي في شعب الإيمان) (٣).

شرح الحديث:

إن أفضلية التلاوة على الأذكار ظاهرة، لأن القرآن كلام إلهي، وقد عُلم أن كلام الله أفضل من كلام الآخرين كفضل الله على العباد، ووردت روايات أخرى أيضا تدل على فضل ذكر الله على الصدقة، وفضل الصدقة على الصوم كما يتضح من هذه الرواية إلا أنه وردت أيضا روايات أخرى يبدو منها فضل

---

(١) رواه الدارمي في سننه ٥٢٢/٢ موقوفا من قول أبي هريرة، وكذا ابن أبي شيبة في المصنف ٤٨٧/١٠ برقم: ٣٠٦٥٠ ورواه في ٤٨٦/١٠ برقم: ٣٠٦٤٦ مقطوعا من قول ابن سيرين، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣٦٩/٣ من طريق معمر عن ليث عن عبدالرحمن بن سابط مرفوعا.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٧٥٥/١ برقم: ٢٠٨٠/٦١ عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً وصححه، وقال الذهبي في التلخيص: رفعه بعضهم، وأخرجه عبد الرزاق ٣٦٧/٣ برقم: ٥٩٩٨ موقوفاً، ولفظه: فإن أصفر البيوت من الخير: البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، والبيهقي في الشعب برقم: ١٨٣٣ مرفوعا.

وقال الهيثمي في المجمع ١٦٢/٧: رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح انتهى، وقال في ١٦٧/٧: رواه الطبراني بأسانيد، ورجال هذا الطريق رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٢٢٤٣ من ترقيم زغلول، قال المناوي في الفيض ٦٥٠/٤: فيه محمد بن سلام الجمحي، قال ابن منده: له غرائب، عن الفضل بن سليمان، وفيه مقال، عن رجل من بني خزيمة مجهول انتهى. ورمز له السيوطي بالضعف.

الصوم، ولكن ذلك يرجع إلى أحوال مختلفة، ففي بعض الظروف يكون الصوم أفضل، وفي الأخرى الصدقة أفضل، حسَب أحوال الناس، وبالنسبة لبعض الناس الصوم أفضل، وحيث إن الصوم جنة من النار، وهو آخر ما ذكر في هذه الرواية، واعتبر أدنى درجة، فما تكون إذا درجة قارئ القرآن الذي ذكر أولا؟

ونقل صاحب الإحياء عن علي كرم الله وجهه: "إن الذي قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة، فإنه سيجزى على كل حرف بمأة حسنة، والذي قرأه قاعداً في الصلاة، فإنه يجزى بخمسين حسنة، ومن قرأه خارج الصلاة متوضئاً يجزى بخمس وعشرين حسنة، ومن قرأه بدون وضوء بعشر حسنات، ومن لا يقرأ، بل ينصت إلى من يقرأ القرآن، فإنه يجزى على كل حرف بحسنة"(١).

[١٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟ قلنا: نعم! قال: ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان (٢) (رواه مسلم).

شرح الحديث:

وقد سبقت رواية في مثل هذا المعنى في حديث (رقم: ٣) وحيث إن هذا الحديث يذكر قراءة القرآن في الصلاة، وهي أفضل من القراءة في غير الصلاة، فشبهت بالخلفات العظام السمان، وحيث إن هناك عبادتين: الصلاة والتلاوة، فكان الجزاء عليها بالناقة وحملها، وقد ذكرت في شرح حديث (رقم: ٣) أن المراد من مثل هذه الأحاديث هو: التمثيل فقط، وإلا فإن أجر آية واحدة خير من ألف ناقة فانية.

القراءة في المصحف أفضل من القراءة في غير المصحف:

[١٨] عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده قال: قال رسول

(١) انظر إحياء علوم الدين ٢٧٥/١ كتاب آداب التلاوة الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة، وقال الزبيدي في شرح الإحياء ٤٧١/٤: وهذا قد أخرجه الديلمي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: ومن قرأه قاعدا كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة كان له بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة.

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين برقم: ٨٠٣.

الله صلى الله عليه وسلم: قراءة الرجل القرآن من غير المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف تضعف على ذلك إلى ألفي درجة.

(رواه البيهقي في شعب الإيمان) (١).

شرح الحديث:

سبق ذكر الفضائل التي تخص بحافظ القرآن، وإن فضل القراءة في المصحف على القراءة في غير المصحف الذي جاء في هذا الحديث يرجع إلى ازدياد التدبر والتفكر فيه، علاوة على ما يتضمن ذلك من عدة عبادات أخرى من النظر في القرآن ومسه، وغير ذلك، فاعتبر ذلك من الأفضل، ولما أن الروايات تختلف في مفاهيمها، اختلف العلماء في تفضيل القراءة في المصحف، والقراءة بدون المصحف.

فترى جماعة منهم: أنه بموجب الحديث المذكور أعلاه وباعتبار أن القراءة في المصحف مأمونة من الخطأ، فإن القراءة في المصحف أفضل، وإن الجماعة الأخرى منهم التي تضع الأحاديث الأخرى بالاعتبار ترى: أن القراءة بدون المصحف، تزيد الخشوع، وتجنب الرياء، وقد كانت عادة النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة أن يقرأ من حفظه، فتعتقد هذه الجماعة أن القراءة من الحفظ أفضل.

ووفق الإمام النووي رحمه الله في هذه المسألة أن الفضيلة هي باعتبار الرجال وأحوالهم، فللبعض القراءة من المصحف أفضل، إذا كانت القراءة فيه تزيده خشوعاً، وتدبراً فيه، وتفكيراً، ومن يحصل له التدبر في القرآن بالقراءة حفظاً، فالأفضل له أن يقرأ من حفظه (٢).

وآثر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري هذا التفصيل، وذكر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يكثر القراءة في المصحف، فخرق مصحفين، وذكر صاحب شرح الإحياء نقلا عن عمرو بن ميمون قال: "من نشر مصحفاً حين

(١) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٢٢١٨ قال الهيثمي على ما نقله المناوي في الفيض ٦٥٠/٤: فيه أبو سعيد بن عوذ، وثقه ابن معين وضعفه أخرى، وبقية رجاله ثقات انتهى.

(٢) انظر التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي ص: ٧٨ الطبعة الأولى لمكتبة دار البيان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط.

يصلي الصبح فقرأ منه مأة آية ، رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا" (١)

وقيل : إن قراءة القرآن في المصحف تفيد البصر ، وروى أبو عبيدة حديثاً مسلسلا روى فيه كل راو فيه أنه كان يشكو عينه ، فنصحه أستاذه بالقراءة في المصحف (٢) ، وكان الإمام الشافعي يفتح المصحف للقراءة أحياناً بعد العشاء ، وكان يطبقه عند صلاة الفجر.

ذكر الموت وتلاوة القرآن جلاء للقلوب :

[١٩] عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء ، قيل : يا رسول الله ! وما جلاؤها؟ قال : كثرة ذكر الموت ، وتلاوة القرآن.

(رواه البيهقي في شعب الإيمان) (٣).

إن القلوب تصدأ بكثرة الذنوب ، والغفلة عن ذكر الله تعالى ، كما يصدأ الحديد بالماء ، وتلاوة القرآن وذكر الموت هما جلاء هذا الصدأ ، فالقلب هو بمثابة مرآة ، كلما ضعف صيقلها قل انعكاس المعرفة عليها ، وكلما صفت وانجلت ، اتضح انعكاس المعرفة عليها ، وإذا انغمس الإنسان في المعاصي ، وانقاد للشهوات النفسية ، ابتعد بقدره عن طريق المعرفة (٤).

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء ٢٧٤/١ كتاب آداب التلاوة، الباب الأول في فضل القرآن وأهله، وانظر شرح الإحياء ٤٦٧/٤.

(٢) هذا سبق نظر من المؤلف رحمه الله، فإن الزبيدي إنما قال قبل هذا : "وأخرجه أبوعبيدة عن زيد ابن الحباب عن إسحاق الأزرق"وهذا الكلام إنمايتعلق بحديث ابن مسعود الذي ذكره قبل ذلك وهو : "أديموا النظر في المصحف" وأما الحديث المسلسل فقال عنه الزبيدي بعده : "وقد روينا في النظر في المصحف"حديثا مسلسلاً بقول كل راو : اشتكت عيني فقال لي : انظر في المصحف، وهو في مسلسلات إبراهيم بن سليمان. انتهى كلام الزبيدي من شرح الإحياء ٤٩٥/٤.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم : ٢٠١٤ والخطيب في تاريخ بغداد ٨٥/١١، وفيه عبد الرحيم بن هارون الغساني، قال الخطيب :أخبرنا البرقاني قال : سمعت أبا الحسن الدارقطني يقول : عبد الرحيم بن هارون الغساني متروك يكذب انتهى.

وتابعه عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد عند البيهقي في الشعب ، ولكنه أيضاً ضعيف ولا سيما إذا روى عن أبيه كما هيهنا. قال أبو حاتم : نظرت في بعض حديثه فرأيت أحاديثه أحاديث منكرة ولم أكتب عنه، ولم يكن محله عندي الصدق. انظر زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة للدكتور خلدون الأحدب ٥٣٠/٧، رقم الحديث : ١٤٠٤ (دار القلم دمشق طبعة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م الأولى).

(٤) قال الغزالي في الإحياء ٢٨٤/١ : ثالثها : أن يكون مصرا على ذنب ، أو متصفا بكبر، أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه ، وهو كالخبث على المرآة، فيمنع

و ورد في الحديث الشريف : "إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ، ونزع ، واستغفر ، صقل قلبه ، فإن زاد زادت ، حتى يغلف لها قلبه ، وذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه : ﴿كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ " (١).

وورد في حديث آخر أن النبي ﷺ قال ما معناه : إني تركت فيكم زاجرين ، ناطقا و صامتا ، فأما الناطق فهو القرآن ، والصامت فهو الموت (٢).

إن قول النبي ﷺ على الرأس والعين ، ولكن الموعظة والدعوة تفيدان من ينصت إليهما ويقبلهما ، ولكن الذي يهمل الدين كله ، ويحسب أن الدين يعترض في سبيل التقدم ، فمن ينصحه؟ وكيف ينصحه؟ وأنى له الذكرى؟.

وقال الحسن البصري رحمه الله : "إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا ، فأنتم تركبونه ، فتقطعون به مراحله ، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل ، وينفذونها بالنهار"(٣).

القرآن شرف هذه الأمة وبهاؤها :

[٢٠] عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لكل شيء شرفا يتباهون به ، وإن بهاء أمتي وشرفها القرآن. (رواه في الحلية) (٤).

شرح الحديث :

إن الناس يعتزون ، ويتمجدون بآبائهم ، وأجدادهم ، وأسرتهم ، وإن شرف ، ووسيلة افتخار هذه الأمة ، هو الكلام الإلهي ، وقراءته ، وحفظه

جلية الحق من أن يتجلى فيه ، وهو أعظم حجاب للقلب، وبه حجب الأكثرون، وكلما كانت الشهوات أشد تراكما، كانت معاني الكلام أشد احتجابا، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا، قرب تجلي المعنى فيه ، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة

(١) أخرجه الترمذي في التفسير من سننه برقم : ٣٣٣٤ وقال :هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه في الزهد برقم : ٤٢٤٤ عن أبي هريرة، وإسناده قوي .

(٢) ما وجدته للأسف.ثم وجدت المحدث عبد الحق الإشبيلي ذكره في كتابه "العاقبة في ذكر الموت" ص٣٩ طبعة مكتبة دار الأقصى سنة ١٤٠٦هج ١٩٨٩بتحقيق خضر محمد خضرقال : ويروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : تركت فيكم واعظين : ناطقا وصامتا، فالناطق القرآن، والصامت الموت.

(٣) نقله الزبيدي في شرح الإحياء ٤٦٩/٤ عن صاحب القوت.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٧٥/٢.

وتعلمه، والعمل به، بل كل ما يتصل به هو سبب للافتخار، ولم لا! فإنه كلام الحبيب، وأمر السيد والمولى، فلا يساوي في هذا الشرف أكبر شرف الأرض، ثم إن جميع الكمالات، وأسباب الشرف الدنيوية زائلة يوما آجلا أوعاجلا، ولكن شرف القرآن شرف دائم وخالد لا ينتهي.

ويكفي كل وصف مهما صغر من أوصاف القرآن للافتخار، فضلا عن كونه جامعاً وكاملا للأوصاف المتعددة، مثل: حسن التأليف، وحسن السياق، وتناسب الألفاظ، وارتباط الكلام، والإعلام بالأحداث الماضية، والقادمة، ولوم الناس بما لا يستطيعون أن يكذبوه ولو أرادوا ذلك، كعدم استطاعة اليهود لتمني الموت رغم دعواهم للمحبة، وتأثر الناس بما يسمعونه، وعدم سآمة من القراءة، فإن تكرار أي كلام، مهما كان محببا إلى القلوب مثل رسالة الحبيب الذي يفتتن به، يورث الكلل في النفس إذا قرئت عشرا أو عشرين مرة، أو أربعين مرة على الأكثر، فإنه لا محالة يكل ويسئم منها، ولكن خذ أي مجموع آيات من القرآن، واقرأه مأتي مرة، أو أربع مأة مرة، ثم واظب على تلاوته طول حياتك، فلا تكل ولا تمل، وإذا اعترض شيء فإنه سيكون مؤقتاً، وسيزول قريبا، وكلما أكثرت من قراءته تجددت لك الطراوة، والحلاوة، واللذة.

وهذه هي الأمور التي إذا وجد وصف واحد من أوصافها في أي كلام، ولم توجد بكاملها، فإنه سيكون مبعث افتخار على وجه الكمال، فكم يكون هذا الكلام باعثاً على الافتخار ومعجزاً؟

فلنفكر بعد ذلك في أحوالنا لمحة، فكم منا من يفتخر بكونه من حفاظ القرآن أو ينظر إلى حافظ القرآن بعزة وشرف؟ فإننا نفتخر ونتباهى بالشهادات العلمية العالية، والألقاب، والعظمة الدنيوية، وحياتها، والمتاع الذي يسلبه الموت، فإلى الله المشتكى.

التلاوة نور في الأرض وذخر في السماء:

[٢١] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ﷺ أوصني قال: عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله، قلت: يا رسول الله زدني قال: عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء.

(رواه ابن حبان في صحيحه في حديث طويل) (١).

شرح الحديث:

إن التقوى في الحقيقة أساس لجميع الأمور، فإذا وجد في أي قلب خوف الله لا يصدر منه معصية، ولا يواجه أي نوع من العسر والضيق ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق: ٢-٣].

علم من الروايات السابقة: أن التلاوة نور، وقد ذكر في شرح الإحياء عن أبي نعيم في معرفة الصحابة: أن باسطا رضي الله عنه ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن البيوت التي يتلى فيها القرآن الكريم، تلمع لأصحاب السماء كما تلمع لأصحاب الأرض كواكب السماء (٢).

وقد ذكر هذا الحديث في الترغيب وغيره من الكتب الأخرى إلى هذا الحد، ولكنه حديث مختصر، أما أصل الرواية فإنها طويلة ذكرها الملا علي

---

(١) صحيح ابن حبان برقم: ٣٦١، وإسناده ضعيف جداً من أجل إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الدمشقي كما قال محققه شعيب الأرناؤوط، وأخرجه الطبراني في الكبير برقم: ١٦٥١، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٩/٤: رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم، وأبو زرعة انتهى.

ولكن له شاهد من حديث أبي سعيد عند أحمد برقم: ١١٧٧٤، ولفظه عن أبي سعيد أن رجلاً جاءه فقال: أوصني فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك، أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكر لك في الأرض، قال الهيثمي في المجمع ٢١٨/٤: رجال أحمد ثقات انتهى، لكن قال محققو المسند: عقيل بن مدرك السلمي لم يدرك أبا سعيد، ومتابعه الحجاج بن مروان الكلاعي لم نقع له على ترجمة في كتب الرجال إلا ما ذكر الحافظ ابن حجر في التعجيل ص: ٨٧، نقلا عن الحسيني في الإكمال ص: ٨٨ من أنه ليس بمشهور انتهى.

وأخرجه أبو يعلى ٣٢٤/١ برقم: ١٠٠١ من طريق الليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي سعيد قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني ثم ذكر الحديث بزيادة: واخزن لسانك إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان.

وليث ضعيف إلا أن الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن إن شاء الله.

(٢) انظر إتحاف السادة للزبيدي ٤٦٦/٤ وفيه: أنه حديث باسط بن أبي حميضة الجمحي، لكن الصحيح أنه سابط أخرجه أبو نعيم في المعرفة في ترجمته ١٤٤٠/٣ رقم الحديث: ٣٦٥٢ طبعة دار الوطن الرياض الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م بتحقيق عادل بن يوسف الغرازي.

وله شاهد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة برقم: ١٨٢٩ من ترقيم الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البيت الذي يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء، كما تتراءى النجوم لأهل الأرض، وإسناده ضعيف كما يدل رمز السيوطي في الجامع الصغير، وأورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير.

القاري عن ابن حبان وغيره من المحدثين بالتفصيل، ونقلها السيوطي بالاختصار، ولو أن هذا الجزء من الحديث يناسب هذا الموضوع الذي يعتني به هذا الكتاب، إلا أن الحديث بكامله هام ومفيد، ويشتمل على مواضع هامة، فننقل الحديث بكامله:

"عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ﷺ: ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كلها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور! إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر.

(يقول العبد الفقير: إن رسول الله ﷺ كان عندما يؤمر أحداً من أصحابه، أو يستعمله ينصحه بين نصائح أخرى: واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب).

وعلى العاقل مالم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب.

وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مَرَمَّةٍ لمعاش، أو لذة في غير محرم.

وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت، ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار، ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر، ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا، وتقلبها بأهلها، ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً، ثم لا يعمل.

قلت: يا رسول الله أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله، قلت: يا رسول الله زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله، تعالى فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء، قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم زدني، قال: إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه.

قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم زدني، قال: عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتي، قلت: يا رسول الله زدني، قال: أحب المساكين وجالسهم، قلت: يا رسول الله زدني، قال: انظر إلى من هو تحتك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك، قلت: يا رسول الله زدني، قال: ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك، ولا تجد فيما تأتي، وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك، وتجد عليهم فيما تأتي، ثم ضرب بيده على صدري، فقال: يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق(١).

تلاوة القرآن ودراسته تجلب السكينة والرحمة:

(٢٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده (رواه مسلم، وأبو داود) (٢).

شرح الحديث:

وردت في هذا الحديث فضيلة الكتاتيب والمدارس بصفة خاصة التي تشمل أنواعاً كثيرة من الإكرام، وكل نوع من هذا الإكرام يبلغ من الأهمية

---

(١) أخرجه ابن حبان برقم: ٣١٦ وقد تقدم الكلام عليه من أن إسناده ضعيف لأن فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى، وله طريق آخر عن أبي ذر عند ابن عدي في الكامل ج/٧ ص: ٢٤٤، وهو يحيى بن سعيد الكوفي السعدي قال: حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر ويحيى بن سعيد هذا أيضاً ضعيف، قال العقيلي: لا يتابع عليه، وقال ابن حبان: يروي المقلوبات والمنكرات لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد. انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٣٧٨/٤.

ولكن لبعض أجزاء الحديث شواهد أخرى، كاتقاء دعوة المظلوم، فله شواهد، وقد تقدم للوصية بتقوى الله تعالى، والوصية بالذكر وتلاوة القرآن شاهد من حديث أبي سعيد.

وأما حب المساكين، ومجالستهم، والنظر إلى من هو دون، فقد أخرجه ابن حبان برقم: ٤٤٩ وأحمد وغيرهما بأسانيد حسنة، عن أبي ذر قال: أوصاني خليلي بخصال من الخير، أوصاني بأن لا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أنظر إلى من هو دوني، وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرا، وأوصاني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة.

(٢) مسلم كتاب الذكر والدعاء رقم الحديث: ٢٦٩٩ وأبو داود في كتاب الوتر برقم: ١٤٥٥ وابن ماجه كتاب السنّة برقم ٢٢٥ وأحمد برقم: ٧٤٢٧.

مبلغاً يكون رخيصاً إذا حصل بتضحية الحياة بكاملها، فضلا عن الحصول على نعم متعددة مثله، وخاصة الفضيلة الأخيرة، وهي: ذكر الله فيمن عنده، فهو نعمة من نعم الله التي لا يمكن أن يقارن بها أي شئ آخر.

و ورد ذكر نزول السكينة في الروايات المتعددة، وقد ذكرت في مصداقه أقوالٌ متعددة للمحدثين، ولا يوجد فيه خلاف يثبت به التعارض، بل إنه يمكن أن يراد به مجموعة جميع الأقوال.

فروي عن علي كرم الله وجهه في السكينة أنه ريح خاصة وجهها مثل وجه الإنسان، ورُوِي عن العلامة السدي رحمه الله أنه اسم لطاسة في الجنة، مصنوعة من الذهب تغسل فيها قلوب الأنبياء، وقال البعض: إنها رحمة خاصة، وقد آثر الطبري: أن المراد منها سكينة القلب، وقال آخرون: إن المراد بها الطمأنينة، وفسرها الآخرون بالوقار، وقال البعض: إنها الملائكة، وفيها أقوال أخرى.

وقال الحافظ في فتح الباري: إن السكينة تنطبق على الجميع، ويرى النووي أنها شيء يجمع الطمأنينة والرحمة، وتنزل مع الملائكة، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [سورة التوبة: ٤٠] وقال في موضع آخر: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الفتح: ٤] وفي موضع آخر: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٨] ووردت عدة آيات في ذكرها، وبشرت عدة روايات بها.

وحكى صاحب الإحياء أن ابن ثوبان رضي الله عنه وعد أحد أقربائه بأن يفطر معه، ولكنه وصل في اليوم الثاني عند الصبح، فشكى قريبه إليه فقال: لولم أكن وعدتك به لما قلت لك: ماكان المانع؟ فقد تأخرت بغير قصد، حتى جاء وقت صلاة العشاء، فدار بخلدي أن أصلي الوتر مع صلاة العشاء، لأن الموت ليس ليطمئن به، لعلي أموت في الليل، فتفوتني، وإذ كنت أقرأ دعاء القنوت، رأيت حديقة خضراء في الجنة، كان فيها كل نوع من الزهور، فشغلت بها حتى أصبحت(١).

---

(١) أوردها الغزالي في الإحياء ٢٨٨/١ قال: وعد ابن ثوبان أخا له أن يفطر عنده، فأبطأ عليه حتى طلع الفجر، فلقيه أخوه من الغد، فقال له: وعدتني أنك تفطر عندي، فأخلفت، فقال: لولا ميعادي

وقد رويت مئات من مثل هذه القصة التي تذكر أحوال الصالحين، ولكنها تظهر فقط عندما يتم الانقطاع عن ما سوى الله وتتم الإنابة إليه وحده.

تفيد روايات متعددة بحف الملائكة، فوردت قصة مفصلة لأسيد بن حضير رضي الله عنه في كتب الحديث: أنه أحس عند تلاوة القرآن كأن ظلة تخيم عليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تلك الملائكة دنت بصوتك، فكانت الملائكة لكثرة الازدحام تبدو مثل السحابة (١).

وأحس صحابي آخر بسحابة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنها السكينة، أي الرحمة التي تنزل للقرآن(٢) وفيه مواضع أخرى.

وفي ختام الحديث أضيفت فائدة، وهي أن صاحب نسب شريف متورط في الفسق والفجور لا يستوي في أي حال من الأحوال هو ومسلم رذيل ومنحط النسب، إذا كان صالحاً وتقياً﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

أفضل ما يتقرب به إلى الله:

(٢٣) عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه يعني: القرآن.

(رواه الحاكم وصححه، وأبو داود، في مراسيله عن جبير بن نفير

معك ما أخبرتك الذي حبسني عنك، إني لما صليت العتمة قلت: أوتر قبل أن أجيئك لأني لا آمن ما يحدث من الموت، فلما كنت في الدعاء من الوتر، رفعت إلي روضة خضراء، فيها أنواع الزهر من الجنة، فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت.

وقال الزبيدي في شرح الإحياء ٥٢٥/٤: هكذا نقله صاحب القوت، وقال أيضاً: لعل صاحب القصة إنما هو ابن بويان (لا ابن ثوبان)، وهو أبو الحسن محمد بن أحمد بن عثمان بن بويان القاري راوية خلف بن هشام البزي أحد القراء المشهورين. انتهى

(١) قد أخرج البخاري في فضائل القرآن برقم: ٥٠١٨ عن أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس، فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ، فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: اقرأ يا ابن حضير! اقرأ يا ابن حضير! قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها قال: تدري ما ذاك؟ قال: لا قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم.

(٢) قد أخرج البخاري في فضائل القرآن برقم: ٥٠١١ عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو، وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر له، فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن انتهى.

والترمذي عن أبي أمامة بمعناه) (١).

شرح الحديث:

تأكد من عدة روايات أنه لا يتقرب العبد إلى الله تعالىٰ بشيء أكثر مما يتقرب منه بالقرآن الكريم، وقال الإمام أحمد بن حنبل: "رأيت الله عز وجل في المنام فقلت: يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ فقال: بكلامي يا أحمد! قال: قلت: بفهم أو بغير فهم، قال: بفهم أو بغير فهم"(٢) فإن كليهما موجب للتقرب.

إن توضيح هذا الحديث الشريف، وشرح كون التلاوة أقرب وأفضل طريق للوصول إلى الله سبحانه، مستنبط من تفسير بقية السلف حجة الخلف: الشيخ عبد العزيز الدهلوي بن الشيخ ولي الله الدهلوي ـ نور الله مرقدهما ـ وحاصله: أن السلوك إلى الله، أي: مرتبة الإحسان هي استحضار الله سبحانه

(١) الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير ج/٢ ص:٤٨٣ رقم الحديث٣٦٥١/٧٨٨ عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الحاكم أيضاً في كتاب فضائل القرآن ج/١ ص:٧٤١، برقم ٢٠٣٩/٢٠ عن جبير بن نفير عن أبي ذر رضي الله عنه وصححه أيضاً، ووافقه الذهبي، وقد رواه البيهقي من كلا الطريقين في كتابه الأسماء والصفات ص:١٧٩ باب تاريخ نزول كتاب الله، ثم قال البيهقي: يحتمل أن يكون جبير بن نفير رواه عنهما جميعاً، ورواه غير سلمة بن شبيب عن أحمد بن حنبل دون ذكر أبي ذر رضي الله عنه في إسناده انتهى.

وله شاهد من حديث أبي أمامة عند الترمذي في فضائل القرآن برقم:٢٩١١ وعند أحمد برقم:٢٢٣٠٦، ولكن إسناده ضعيف من أجل بكر بن خنيس، وليث بن أبي سليم، ومن أجل الانقطاع بين زيد بن أرطاة وأبي أمامة.

وكان الألباني قد صحح حديث الحاكم الموصول المسند. نظراً إلى هذا الشاهد، ونظراً إلى أن رجال الحاكم كلهم ثقات، لكنه رجع بعد ذلك عن هذا التصحيح من أجل أن في إسناد الحاكم العلاء بن الحارث، وكان قد اختلط، ولأمور أخرى ذكرها في الصحيحة برقم:٩٦١ وفي الضعيفة برقم: ١٩٥٨.

وأما الشيخ شعيب الأرناؤوط وأصحابه فقد ضعفوا الحديث وقالوا: إن في أحد الإسنادين المتصلين عند الحاكم عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو سيئ الحفظ، وقد خالف في وصله عبد الرحمن بن مهدي فإنه قد أرسله، وأما الإسناد الآخر فإن الخطأ فيه إنما جاء ممن هو دون أحمد، بدليل أن عبد الله بن أحمد قد رواه في الزهد وفي السنة عن أبيه عن عبد الرحمن بن مهدي بإسناده إلى جبير بن نفير مرسلاً وهو الصواب، والله أعلم، انتهى.

قلت: وهكذا قد ثبت ما قال البخاري في خلق أفعال العباد عن هذا الحديث: لا يصح لإرساله وانقطاعه، وتجدد المثل: إذا قالت حذام فصدقوها، وقد قال المناوي متعقباً على السيوطي في الفيض ج/٢ ص:٦٩١، كأنه لم يقف على قول سلطان هذا الشأن البخاري في كتاب خلق الأفعال: إنه لا يصح لإرساله وانقطاعه انتهى.

(١) انظر إحياء علوم الدين١/٢٧٤

وتعالى في القلب، والذي يمكن حصوله بثلاثة طرق:

الأول: التصور الذي يعرف في عرف الشرع بالتفكر والتدبر، وعند المشايخ بالمراقبة.

الثاني: ذكر اللسان.

الثالث: تلاوة القرآن الكريم.

وحيث إن الطريقة الأولى هي ذكر القلب فبقي طريقان: أولهما: الذكر العام، سواء كان ذكرا قلبياً أو لسانياً، والثاني: التلاوة، فكل لفظ يطلق على الله سبحانه وتعالى، ويكرر مرات، وهو حاصل الذكر، فإنه يسبب في التوجه والالتفات إلى هذه الذات للمدركة، فكأن هذه الذات تكون مستحضرة، والاستحضار الدائم هو: المعية، وهي التي يعنيها هذا الحديث القدسي: "لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحببته، فكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها" (١).

يعني الحديث الشريف: أن العبد إذا تقرب إلى الله بكثرة العبادة، فيصبح الله تعالى حامي أعضائه، وتصبح الأذن والعين وغيرهما من الأعضاء الأخرى تبعاً له، وذكر كثرة التطوع من العبادات، لأن العبادات المفروضة محدودة ومعينة، فلا يمكن أن يضاف إليها، أو يزاد فيها، والشرط في ذلك هو دوام الاستحضار كما علم.

ولكن هذه الطريقة للتقرب خاصة لذات ذلك الحبيب وحده، فإذا أراد أحد أن يسبح لأحد غيره، ثم يحصل له ذلك التقرب، فهو مستحيل، لأنه يشترط لمثل هذا التقرب أن يوجد فيمن يراد التقرب إليه شيآن، أحدهما: أن يكون علمه محيطاً لأذكار الذاكرين القلبية واللسانية، ولو ذكره في مختلف الأزمان، ومختلف الأوقات، والثاني: أن يكون قادراً على التجلي في إدراك الذاكر وشغله، وحيث إن هذين الشرطين لا يتوافران إلا في الرب سبحانه وتعالى وحده، فلا يمكن حصول التقرب بالطريق المذكور إلا بهذه الذات، وإليها يشير الحديث المذكور: "من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً"(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم:٦٥٠٢ عن أبي هريرة في الرقاق باب التواضع.
(٢) أخرجه البخاري برقم:٧٤٠٥ ومسلم برقم:٢٦٧٥ في الذكر والدعاء عن أبي هريرة.

إن هذه التشبيهات كلها للتفهيم فقط، وإلا فإن الله سبحانه وتعالى متبرئ عن المشي، وغير ذلك من الأعمال الأخرى، فالمقصود من ذكر هذه التمثيلات إظهار: أن الله سبحانه وتعالى يتوجه وينزل إلى من يذكره، ويلتمسه أكثر من طلبهم وسعيهم، ولم لا يشرفهم بنزوله؟ فإنه اقتضاء لكرم الكريم، فإذا كان في ذكر الذاكرين دوام، كان في توجه ونزول المولى الكريم دوام، ولما أن الكلام الإلهي ذِكْرٌ كلياً، ولا تخلو آية من آياته من الذكر والتوجه إلى الله، فوجدت هذه الصفة فيه أيضاً.

ولكنه يتميز بصفة خاصة، وتزيد التقرب وهي: أن كل كلام يحمل فيه صفات المتكلم وأثره، ومما يشاهد أن تكرار أشعار الفساق والفجار تحدث أثراً خاصاً، وأشعار الأتقياء البررة تحدث آثاراً أو ثماراً أخرى، ولذلك يحدث الغلو في دراسة المنطق والفلسفة في القلب النخوة والكبْر، وتحدث كثرة مزاولة الحديث الشريف التواضُع، ويتساوى في ذلك الفارسية والإنجليزية من حيث اللغةُ، ولكنِ المصنفين الذين تدرس كتبهم يخلفون آثاراً مختلفة على الدارسين من حيث اختلافهم، فتترتب ثمارها عليهم.

وخلاصة القول: أن الكلام يحمل آثار المتكلم، فلابد من أن يولد تكرار الكلام الإلهي وإعادته آثار متكلمه في قلب القارئ، والمناسبة الطبيعية معه، ثم إن من عادة كل مصنف أن يميل طبعاً إلى من يهتم بتأليفه، ويلتفت إليه بجراء جبلته، فمن البديهي إذا أن تميل العناية الإلهية إلى من يردد الكلام الإلهي ويتدارسه، وهي في حد ذاته سبب للتقرب، وليرزقني الله المولى الكريم وإياكم هذا اللطف الكريم.

أهل القرآن:

[٢٤] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله أهلين من الناس، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته.

(رواه النسائي، وابن ماجه، والحاكم، وأحمد) (١).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنة برقم: ٢١٥، والحاكم في المستدرك ج/١ ص: ٧٤٣ رقم الحديث: ٢٠٤٦ وأحمد برقم: ١٢٢٧٩ قال العراقي في المغني المطبوع مع الإحياء ١/٢٧٣: أخرجه النسائي في

شرح الحديث:

إن أهل القرآن هم الذين يشتغلون بالقرآن ودراسته كل وقت، ويختصون به، فالظاهر اعتبارهم أهل الله وخواصه، وقد تبين ذلك من البحث السابق أنهم في حين اشتغالهم الأبدي بكلام الله يجعلون لهم الألطاف الإلهية، وكل من يجالس أحداً ويرافقه يعتبر من أهله وخواصه.

فهل هناك شرف أعلى من هذا الشرف أنهم بجهد قليل منهم يصبحون أهل الله، ويعدون عياله، وينالون شرف خواصه! فكم يبذل الإنسان من مجهود، ويتحمل من تعب، ومكروه ليدخل البلاطات الدنيوية، وينال العضوية فيها! وكم من التضحيات المالية والجسمانية تبذل لنيل هذا الشرف الضئيل الفاني! فلا يتردد في مداهنة ومجاملة الناخبين، ولومة اللائمين، والإهانات والذلة، ويعتبر ذلك شرفاً ورفعة، ويعتبر الجهد والجد في دراسة القرآن عملا تافها لا يُجدي، فشتان بين الثرى والثريا!

[٢٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ويجهر به (رواه البخاري، ومسلم، واللفظ له، وأبو داود، والنسائي، كذا في الترغيب) (١).

شرح الحديث:

علم أن الله تبارك وتعالى يخص القرآن بعنايته، وحيث إن الأنبياء يبالغون بمراعاة آداب التلاوة بين القارئين، فالظاهر أن الله تعالى يلتفت إليهم بوجه خاص، فإذا أضيف إليه تحسين الصوت يضاعف له الأجر، والعناية الإلهية، ويعد الأنبياء يلتفت إلى من يلونهم في الفضيلة باعتبار الأفضل فالأفضل.

[٢٦] عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لله أشدُّ أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته.

(رواه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، كذا في شرح الإحياء، قلتَ: وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، وقال الذهبي: منقطع) (٢).

الكبرى وابن ماجه، والحاكم من حديث أنس بإسناد حسن.

(١) أخرجه البخاري برقم: ٥٠٢٣ في فضائل القرآن، ومسلم برقم: ٧٩٢ في فضائل القرآن، وأبوداود برقم: ١٤٧٣ في الوتر، والنسائي في الصلاة برقم: ١٠١٨

(٢) أخرجه ابن ماجه في إقامة الصلوات باب: في حسن الصوت القرآن برقم: ١٣٤٠ وابن حبان برقم: ٧٥٤،

شرح الحديث:

ومن الطبيعي أن يلتفت المرء إلى صوت الغناء، ولكن لا يلتفت إليه المتدينون، لأن الدين ينهى عنه، وإذا كانت المغنية جارية مملوكة لأحد، فلا حرج في سماع غنائها له شرعاً، فيلتفت إذا إليه التفاتاً كلياً.

إلا أنه ينبغي عند قراءة القرآن أن لا يتلوه أحد بصوت أشبه بالغناء، وقد ورد في الحديث الشريف ما ينهى عنه، ففي حديث: "إياكم ولحون أهل العشق"(١).

وقال المشايخ: إن القارئ بمثل هذا اللحن فاسق، والسامع عاص، ولكن إذا قرئ بدون الاعتناء بقواعد الغناء و مراعاتها بصوت حسن، فهو مطلوب، ومرغوب فيه، وقد حثت عدة أحاديث على القراءة بحسن الصوت، فجاء في رواية: "زينوا القرآن بأصواتكم" (٢).

وذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله في الغنية: "روي: أن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه مرذات يوم في موضع من نواحي الكوفة، وإذا الفساق قد اجتمعوا في دار رجل منهم، وهم يشربون الخمر، ومعهم مغن يقال له زاذان، كان يضرب بالعود، ويغني بصوت حسن، فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود قال: "ما أحسن هذا الصوت! لوكان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن، وجعل رداءه على رأسه فمضى، فسمع ذلك الصوت زاذان، فقال: من هذا؟ قالوا: كان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وأيش قال؟: قالوا: قال: ما أحسن هذا الصوت! لو كان بقراءة كتاب الله كان

والحاكم ج/١ ص: ٧٦١ برقم ٧٨/٢٠٩٧ وصححه، وقال الذهبي: بل هو منقطع، وأخرجه أحمد برقم: ٢٣٩٤٧، وإسناده منقطع كما قال الذهبي: لأن إسماعيل بن عبيد الله لم يدرك فضالة بن عبيد.

قلت: لكن قد وصله البخاري في التاريخ الكبير ١٢٤/٧ وابن ماجه برقم: ١٣٤٠ والطبراني في الكبير ج/١٨ رقم الحديث ٧٧٢ وابن حبان برقم: ٧٥٤ عن إسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة، وميسرة ذكره ابن حبان في الثقات، وذكره البخاري في التاريخ الكبير ج/٧ ص: ٣٧٥ فلم يذكر جرحاً، وقال: روى عنه إسماعيل بن عبيد الله انتهى، وقد ذكره الحافظ في الفتح مع ذكر تصحيح الحاكم وابن حبان، وسكت، فالله أعلم.

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) ذكره البخاري في التوحيد تعليقاً في ترجمة الباب، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، وزينوا القرآن بأصواتكم، وأخرجه أبو داود في الصلاة برقم: ١٤٦٨ والبيهقي في الشعب برقم: ١٩٥٤ عن البراء بن عازب مرفوعاً، وقد ساق له الحاكم طرقاً في المستدرك ٧٦٢/١-٧٦٩.

أحسن، فدخلت الهيبة في قلبه، وقام وضرب بالعود على الأرض، فكسره، ثم أدركه، وجعل المنديل على عنق نفسه، وجعل يبكي بين يدي عبد الله، فاعتنقه عبد الله، وجعل يبكي كل واحد منهما، ثم قال عبد الله: كيف لا أحب من أحب الله، فتاب من ضربه بالعود، وظل ملازماً عبد الله، حتى تعلم القرآن، وأخذ الحظ الوافر من العلم، حتى صار إماما في العلم"(١).

وخلاصة القول: أن وردت عدة روايات في التنويه بالتلاوة بحسن الصوت، وفي نفس الوقت تمنع هذه الروايات من التلاوة بصوت غنائي، كما سبق ذكره.

قال حذيفة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرؤا القرآن بلحون العرب، وأصواتها، وإياكم ولحون العشق، ولحون أهل الكتابين، وسيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح، ولا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبُهم، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم" (٢).

ويقول الطاؤس رحمه الله: سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قارئ القرآن بصوت حسن؟ فقال: "إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله" يعني: تشعر بالرعب بقراءته (٣).

(١) أخرج هذه القصة بكاملها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١٣/٢٠ بسنده إلى زاذان قال: كنت غلاماً حسن الصوت، جيد الضرب بالطنبور، وكنت أنا وصاحب لي في رابعة، وعندنا نبيذ لنا، وأنا أغنيهم، إذ مرّ عبد الله بن مسعود، فلما سمع الصوت دخل علينا، فضرب الباطية برجله، فأكفاها، وانتزع الطنبور من يدي، فضرب به الأرض فكسره، ثم قال: لو كان ما أسمع من حسن صوتك هذا يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت قال: ثم مضى، قلت لأصحابي: من هذا الذي فعل هذا؟ قالوا: هذا عبد الله بن مسعود قال: فألقى الله في نفسي التوبة، فسعيت وأنا أبكي، فلما بلغ الباب أراد أن يدخل، فأخذت بثوبه، فالتفت إلي فقال: من أنت؟ قلت: أنا صاحب الطنبور، فأقبل عليّ، فاعتنقني وبكى، ثم قال: مرحباً بمن يحبه الله، اجلس مكانك قال: ثم دخل، فأخرج إلي تمراً فقال: كل من هذا التمر، ولو كان غيره أخرجته إليك، انتهى.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٧٢٢٣ وإسناده ضعيف قال المناوي في فيض القدير ٨٣/٢: قال ابن الجوزي في العلل: حديث لا يصح، وأبو محمد مجهول، وبقية يروي عن الضعفاء، ويدلسهم، وقال الهيثمي: فيه راو لم يسم، وفي الميزان: تفرد عن حصين: بقية وليس بمعتمد، والخبر منكر، انتهى قول المناوي: وزيد في المطبوعة قبل حصين: "أبي" وهو خطأ.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٦٢٠٥ والبزار برقم: ٢٣٣٦ من كشف الأستار ج/٣ ص: ٩٨ عن ابن عمر قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن؟ قال من إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله، قال الهيثمي: فيه حميد بن حماد بن حوار، وثقه ابن حبان، وقال: ربما أخطأ، وبقية رجاله رجال الصحيح.

قال عبد الرشيد: لكن قال البزار: لم يتابع حميد على روايته هذه، إنما يرويه مسعر عن عبد الكريم

أنعم الله على الإنسان أنه لا يكلف إلا بوسعه، وقد ورد في الحديث الشريف: "ملك موكل بالقرآن، فمن قرأه من أعجمي، أو عربي، فلم يقومه، قومه الملك، ثم رفعه قواما" (١).

(الشيرازي في الألقاب عن أنس، الجامع الصغير ص: ١٣٨: ج٢) اللهم لا أحصي ثناء عليك.

حقوق القرآن وتلاوته:

[٢٧] عن عبيدة المليكي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أهل القرآن! لا تتوسدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته من آناء الليل والنهار، وأفشوه، وتغنوه، وتدبروا ما فيه، لعلكم تفلحون، ولا تعجلوا ثوابه، فإن له ثواباً"

(رواه البيهقي في شعب الإيمان) (٢).

شرح الحديث:

يتضمن الحديث عدة أمور يجب رعايتها.

١- لا تتوسدوا القرآن، ولعدم التوسد مفهومان، أحدهما: أن التوسد خلاف للآداب والاحترام، وذكر ابن حجر أن التوسد بالقرآن ومد الرجل إليه، واستدباره، ودوسه، وغير ذلك من سوء الأدب، حرام، والمفهوم الثاني: أنه كناية عن الغفلة، كما يوضع القرآن فوق الوسادة للبركة، أو كما يشاهد في بعض المقابر أن القرآن يوضع على وسادة أو كرسي مقبلا للقبر، فإنه إساءة إلى

عن مجاهد مرسلا، ومسعر لم يحدث عن عبد الله بن دينار بشيء، ولم نسمع هذا إلا من محمد بن معمر أخرجه إلينا من كتابه انتهى.

(١) أخرجه الشيرازي في كتاب الألقاب كما قال في الجامع الصغير وقال المناوي: وظاهر صنيع المؤلف أنه لا يوجد تخريج أشهر من الشيرازي مع أن الحاكم والديلمي خرّجاه انتهى من فيض القدير ج/٤ ص: ٨، وانظر الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي رقم: ٦٤٨٩ بتحقيق السعيد بن بسيوني زغلول دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، وأورده الألباني في ضعيف الجامع وقال: موضوع.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ١٨٥٢ من ترقيم الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد وابن عساكر في تاريخ دمشق ج١٥ ص: ٢١١، في ترجمة الحسن بن محمد بن مزيد أبي سعيد الأصفهاني، وعزاه صاحب كنز العمال إلى الطبراني في الكبير، وقال الهيثمي في المجمع ٢/٢٥٥ في صلاة الليل: فيه أبو بكر بن أبي مريم انتهى.

قال الذهبي في ترجمته في الميزان ٤/٤٩٧: ضعيف عندهم، وكان من العباد ضعفه أحمد وغيره لكثرة ما يغلط، وقال ابن حبان: رديء الحفظ لا يحتج به إذا انفرد، وقال الجوزجاني: هو متماسك، وقال ابن عدي: أحاديثه صالحة ولا يحتج به، انتهى.

القرآن، لأن حقه التلاوة.

٢- "واتلوه حق تلاوته" أي: كثرة التلاوة بمراعاة آدابها، فقد أشار إليه القرآن نفسه فقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، فيجب أن يقرأ بغاية من الاحترام والأدب، والمحبة، كما يقرأ أمر سلطان، أو رسالة حبيب.

٣- "وأفشوه" أي بالخطابة والكتابة، والترغيب فيه، والاشتراك العملي، وبكل طريق ممكن لإفشائه، ونشره، إن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بإفشاء القرآن ونشره، ولكن المتنورين في هذا العهد، والتقدميين، يهملونه ويتجاهلونه، ثم لا يخجلون في دعواهم المتطاولة بحب الرسول صلى الله عليه وسلم وحب الإسلام.

إن الله تعالى يأمر بنشر كلامه، ونحن نضع عقبات في سبيله، ولا نألو جهدا في الصد عنه، فنساعد في تنفيذ قوانين التعليم الإجباري؛ لكي يلتحق أطفالنا بالمدارس الابتدائية، ونسخط على أن معلمي المكاتب الإسلامية البدائية يضيعون أعمار أطفالنا، فلا نرضى بإرسال أطفالنا إليهم، ولنفترض أنهم مقصرون في مجهوداتهم، ولكن هل ينقذكم تقصيرهم عن المسئولية، أو يرفع عنكم فريضة نشر القرآن؟.

ففي مثل هذه الظروف تعود المسئولية إليكم، فلا بد أن تتحملوها، وسيكونون مسئولين عن تقصيرهم وإهمالهم، ولكن عملهم لا يبرر نقل الأطفال عن المكاتب القرآنية إلى المدارس الرسمية الابتدائية، فتصدر إنذارات إلى الوالدين لإرغامهم على تحويل أطفالهم من التعليم القرآني، وحفظ القرآن، وفي هذه الصورة يعود وباله إليكم، أليس ذلك بمثابة معالجة السل بالسم؟ فلتدبروا هل يحمل جوابكم أي وزن يوم القيامة إذا تقولون: إنكم سحبتم الأطفال عن دراسة القرآن قهراً لأن المعلمين في المكاتب كانوا لا يحسنون التعليم، وكانوا مقصرين فيه؟.

إن تعليم ثلاثة الأرباع لمجرد الحصول على وظيفة رسمية أو للعمل في دكان تاجر أو بقال يحمل هذه الأهمية، ويولى به هذا الاهتمامُ، ويعامل تعليم القرآن بهذا الإهمال!! فتعليم القرآن عند الله أهم من أي تعليم آخر.

٤- "وتغنوه" كما سبق في الحديث السابق.

٥ - "وتدبروا ما فيه" نقل صاحب الإحياء عن التوراة:

يا عبدي أما تستحي مني؟ يأتيك كتاب من بعض إخوانك، وأنت في الطريق تمشي، فتعدل عن الطريق، وتقعد لأجله، وتقرؤه، وتتدبره حرفاً حرفاً، حتى لا يفوتك شيء منه، وهذا كتابي أنزلته إليك، انظر كم فصلت فيه من القول، وكم كررت عليك لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه! أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك؟! يا عبدي يقصد إليك بعض إخوانك، فتقبل عليه بكل وجهك، وتصغي إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلم متكلم إليك، أو شغلك شاغل عن حديثه، أومأت إليه أن كف، وها أنا ذا مقبل عليك، ومتحدث لك، وأنت معرض بقلبك عني! أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك؟! (١).

وقد سبق الكلام عن التدبر في المقدمة وفي شرح حديث"رقم: ٨".

٦ - "ولا تعجلوا ثوابه، فإن له ثواباً" أي: لا تأخذوا على التلاوة أجراً، لأن له أجراً عظيما في الآخرة، فإذا أخذ عليها أجرا في الدنيا، فإن مثله مثل من يشتري الودعات بالنقود، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إذا عظمت أمتي الدنيا، نزع عنها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف حُرمت بركة الوحي" أي فهم القرآن، كذا في الإحياء (٢) اللهم احفظنا.

[٢٨] عن واثلة رفعه: "أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل".

(رواه في الكبير، كذا في جمع الفوائد) (٣).

---

(١) انظر إحياء علوم الدين ١/٢٧٥.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة، قال العراقي في المغني١/٢٨٤: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معضلاً من حديث الفضيل، وانظر فيض القدير ١/٥٠٧ فقد فسر بركة الوحي بفهم القرآن.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ١٦٩٨٢ والطبراني في الكبير ج/٢٢ رقم الحديث: ١٨٦ والبيهقي في الشعب برقم: ٢١٩٢ من ترقيم الدكتور عبد العلي وغيرهم وإسناده حسن، قال الهيثمي فيه: عمران القطان، وثقه ابن حبان، وغيره، وبقية رجاله ثقات انتهى.

شرح الحديث:

تعرف السور الأولى في القرآن بالطول، ثم تأتي السور الإحدى عشرة، وتعرف بالمئين، تتلوها عشرون سورة، وهي المثاني، وبعدها إلى ختم القرآن يعرف بالمفصل، وهذا هو القول المشهور، وقد اختلف في بعض السور هل تدخل في الطول، أو المئين، أو المثاني، أو المفصل، ولكن لا يؤثر هذا الاختلاف في مقصود الحديث الشريف، فإن المقصود منه أنه يوجد في القرآن الكريم نظائر جميع الكتب السماوية المنزلة المشهورة، و المفصل في القرآن هو ميزة القرآن، ولا يوجد له نظير في الكتب الأولى.

هل تلاوة القرآن أفضل أم الاستماع إلى قراءة الآخر؟

[٢٩] عن أبي سعيد الخدري قال: جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستتر ببعض من العُرْي، وقارئ يقرأ علينا إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام علينا، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، سكت القارئ، فسلم، ثم قال: ما كنتم تصنعون؟ قلنا: نستمع إلى كتاب الله تعالى، فقال: الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم" قال: فجلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا، ثم قال بيده هكذا، فتحلقوا، وبرزت وجوههم له، فقال: أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك خمس مأة سنة.

(رواه أبو داود) (١).

شرح الحديث:

والمعنى الظاهر للعري: غير العورة، فإن تجرد أي جزء آخر من الجسم غير العورة في جمع من الناس يبعث على الخجل، والحياء، ولذلك كانوا يستترون لكيلا يبدو جسمهم، وحيث إنهم كانوا مشغولين، لم يظهر عليهم

---

(١) رواه أبو داود في كتاب العلم باب في القصص رقم الحديث: ٣٦٦٦ وفيه زيادة بعد قوله: فبرزت وجوههم له وهي: قال: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحدا غيري، قال المنذري في مختصر السنن لأبي داود ٥/٢٥٦: في إسناده المعلى بن زياد أبوالحسن، وفيه مقال انتهى.

قلت: المقال هين، قال الذهبي في ترجمته في الميزان ٤/١٤٨: وثقه أبو حاتم، ويحيى بن معين، وهذه هي الرواية المعتبرة عن ابن معين، وقال ابن عدي: لا أرى برواياته بأساً، ولا أدري من أين قال ابن معين: لا يكتب حديثه؟ انتهى.

وصول النبي صلى الله عليه وسلم، فلما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام فيما بينهم، علموا ذلك، فسكت القارئ.

وإن تساؤل النبي صلى الله عليه وسلم كان كما يبدو إظهاراً لسروره، وإلا فإنه كان قد رأى أنهم يقرؤون.

إن يوم القيامة يساوي ألف سنة: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [سورة الحج: ٤٧] ولذلك يذكر يوم القيامة حينما يذكر "غداً" كما يظهر ويراد منه الغد، ولكنه كله باعتبار الغالب، وعامة المؤمنين، وقد ورد للكافرين: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [سورة المعارج: ٤]، ولخواص المؤمنين يظهر هذا اليوم قصيراً، وقد جاء أنه يبدو لبعض المومنين مثل الوقت الذي تؤدى فيه ركعتا الفجر (١).

إن فضائل قراءة القرآن كما ورد في الأحاديث كثيرة، وكذلك وردت فضائل الاستماع إلى القرآن في روايات كثيرة، وهل فضيلة أكبر من أن النبي صلى الله عليه وسلم أُمر بأن يشترك في مثل هذا الاجتماع؟ كما تدل عليه الرواية السابقة، وقد أفتى بعض العلماء أن الاستماع إلى القرآن أفضل من قراءته، لأن قراءته تطوع، وسماعه فرض، والفرض أعلى من النفل.

يستنبط في هذا الحديث مسألة أخرى أيضاً، وفيها خلاف بين العلماء، وهي: أن الفقير الصابر على فقره الذي لا يُظهر فقره على الآخرين خير، أو الغني الشاكر الذي يؤدي حقوقه، فإن الحديث المذكور يفيد بأفضلية الفقير الصابر.

[٣٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من استمع إلى آية من كتاب الله، كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة.

(رواه أحمد عن عباد بن ميسرة، واختلف في توثيقه، عن الحسن، عن

(١) أخرج أحمد برقم: ١١٧١٧ عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة، يصليها في الدنيا.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد١٠/٣٤٠: رواه أحمد وأبو يعلى، وإسناده حسن على ضعف في راويه، انتهى، وحسنه الحافظ في الفتح كتاب الرقاق باب: الصراط جسر جهنم.

أبي هريرة، والجمهور على أن الحسن لم يسمع عن أبي هريرة) (١).

شرح الحديث:

تكلم المحدثون في هذا الحديث باعتبار سنده، ولكن مضمون الحديث يتأكد من عدة روايات أخرى، وهو أن سماع القرآن أيضاً يوجب أجراً كبيراً، وحتى إن البعض قالوا: إن سماعه أفضل من القراءة.

روي عن عبد الله بن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: اقرأ علي القرآن قال: فقلت: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ فقال: "إني لأشتهي أن أسمعه من غيري" فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: ٤١]، رفعت رأسي، أو غمزني رجل، فرفعت رأسي، فرأيت دموعه تسيل (٢).

وكان سالم مولى حذيفة يتلو القرآن يوماً، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعه (٣) وسمع تلاوة أبي موسى الأشعري، وأثنى عليه(٤).

(١) أخرجه أحمد برقم: ٨٤٩٤ وقد تكلم المصنف في إسناده، قلت: وله إسناد آخر عند البيهقي في الشعب برقم: ١٨٢٨: عياش عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة وهو أيضاً ضعيف من أجل الليث ومن أجل أن إسماعيل ضعيف في الرواية عن غير أهل بلده.

وله إسناد ثالث عند عبد الرزاق في المصنف٣/٣٧٣: عن معمر عن أبان عن أنس أو عن الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه تردد وشك، وأخرج عبد الرزاق في المصنف ٣/٣٧٣ عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس موقوفاً، قال: من استمع آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير برقم: ٤٥٨٢ وفي فضائل القرآن برقم: ٥٠٤٩ ومسلم في صلاة المسافرين برقم: ٨٠٠.

(٣) أخرج أبو نعيم في الحلية ١/٣٧٩ عن عائشة قالت: استبطأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فلما جئت قال لي: أين كنت؟ قلت: يا رسول الله! سمعت قراءة رجل في المسجد ما سمعت مثله قط، قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعته، فقال لي: ما تدرين من هذا؟ قلت لا! قال: هذا سالم مولى أبي حذيفة، ثم قال: الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا.

(٤) أخرج البخاري برقم: ٥٠٤٨ في فضائل القرآن، ومسلم في الصلاة برقم: ٧٩٣ عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود، واللفظ لمسلم، وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة عند النسائي كتاب الصلاة (الافتتاح) برقم: ١٠٢٠-١٠٢١

وانظر مجمع الزوائد ٧/١٧٤ فقد أورد عن أبي يعلى حديث أبي موسى أن عائشة أيضاً كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ استمع إلى قراءته قال الهيثمي: فيه خالد بن نافع الأشعري وهو ضعيف، انتهى.

الجهر بالقرآن والإسرار به:

[٣١] عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمُسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة.

(رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي، والحاكم وقال: على شرط البخاري) (١).

شرح الحديث:

إن الصدقة العلانية أفضل عندما يسبب الجهر بها في ترغيب الآخرين أو تكون فيها مصلحة أخرى، ويستحب إخفاؤها إذا كان يخشى الرياء أو إيذاء الآخر، وكذلك القراءة، فيستحب قراءة القرآن جهراً في حين يسبب ذلك في ترغيب الآخرين، ثم إن في سماعه أجرا للسامع، ويستحب تلاوته سراً إذا كان الجهر به يؤذي الناس أو يحدث الشعور بالرياء.

وقد وردت الفضائل في القراءة جهراً وسراً كليهما، ففي بعض الأحيان يناسب الجهر بالتلاوة، وفي الأحيان الأخرى يستحب الإسرار بها، وقد استدل كثير من العلماء على الإسرار بالتلاوة من حديث الصدقة المذكور أيضاً، و روى البيهقي في شعب الإيمان ولو أن الرواية باعتبار أصول المحدثين ضعيفة عن عائشة رضي الله عنها: "يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفاً" (٢).

و روى جابر عن النبي ﷺ: "لا يجهر بعضكم على بعض فإن ذلك

---

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن باب: من قرأ القرآن فليسأل الله به برقم: ٢٩١٩. وقال: هذا حديث حسن غريب، ومعنى هذا الحديث: أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن، لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية، وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب، لأن الذي يسر بالعمل لا يخاف عليه من العجب ما يخاف عليه في العلانية انتهى قول الترمذي، وأبو داود في الصلاة باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل برقم: ١٣٣٣

قال المنذري في مختصر السنن ٩٧/٢: قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، هذا آخر كلامه، وفي إسناده إسماعيل بن عياش وفيه مقال، ومنهم من يصحح حديثه عن الشاميين، وهذا الحديث شامي الإسناد انتهى.

والنسائي في الصلاة باب فضل السر على الجهر برقم: ١٦٦٤ وابن حبان برقم: ٧٣٤ وأحمد ٢٠١/٤، وأخرجه الحاكم أيضاً ٧٤١/١ برقم ١٩/٢٠٣٨، لكن من مسند معاذ بن جبل.

(٢) ولفظه: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الذكر الذي لاتسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا، أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥٥١ من ترقيم الدكتور عبد العلي وإسناده ضعيف، فيه معاوية بن يحيى الصدفي.

يؤذي المصلي" رواه الخطيب عن جابر (١) (كذا قال العراقي في الياقوت).

سمع سعيد بن مسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته، وكان حسن الصوت، فقال لغلامه: اذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض صوته، فقال الغلام: إن المسجد ليس لنا، وللرجل فيه نصيب، فرفع سعيد صوته وقال: أيها المصلي إن كنت تريد الله بصلاتك فاخفضه، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، فسكت عمر، وخفف ركعته (٢).

وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم القراءة جهراً، وفي شرح الإحياء روايات وأحاديث عن كليهما.

الصيام والقرآن يشفعان:

(٣٢) عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم: القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه، قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار (رواه ابن حبان، والحاكم مطولا، وصححه) (٣).

---

(١) في ترجمة عنبسة بن عبد الواحد بن أمية القرشي الأموي ج/١٢، ص: ٢٨٤ قال الدكتور خلدون الأحدب في كتابه: زوائد تاريخ بغداد ج ٨ رقم الحديث ١٧٨٠: في إسناده ضعف وللحديث شواهد يصح بها انتهى. قلت ومن شواهده ما أخرجه أحمد برقم: ٤٩٢٨ بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر أن النبي اعتكف وخطب الناس فقال: أما إن أحدكم إذا قام في الصلاة فإنه يناجي ربه، فليعلم ما يناجي ربه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة في الصلاة. ومنها ما أخرجه أحمد برقم: ١٩٠٢٢ بإسناد صحيح عن البياضي أن رسول الله ﷺ خرج على الناس، وهم يصلون، وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: إن المصلي يناجي ربه عزوجل، فلينظر ما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن.

ومنها ما أخرجه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين برقم: ١١٨٩٦ عن أبي سعيد قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقرآن، وهو في قبة له فكشف الستور، وقال: ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضا، ولا يرفعن بعضكم على بعض بالقراءة، أو قال: في الصلاة.

ونقل شعيب الأرناؤوط وأصحابه في التعليق على حديث البياضي عن ابن عبد البر قوله: حديث البياضي وحديث أبي سعيد ثابتان صحيحان، والله أعلم.

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء ٢٧٨/١، وقال الزبيدي في شرح الإحياء: هكذا أورده صاحب القوت وهو معدود في مناقب عمر بن عبد العزيز، ولعل المسجد كان فيه بعض من يصلي، فلذا منعه ولم يحاب كونه أميراً يومئذ انتهى.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم: ١٢٤ والبزار برقم: ١٢٢ قال الهيثمي في المجمع ١٧٦/١: رجال حديث جابر المرفوع ثقات انتهى، وله شاهد من حديث ابن مسعود مرفوعاً عند الطبراني في الكبير برقم: ١٠٤٥، وفي إسناده الربيع بن بدر وهو متروك، وموقوفاً عند البزار برقم: ١٢١، وفيه

شرح الحديث:

إن شفاعة القرآن مقبولة عند الله في حق من يشفع له، ويصل إلى الجنة من يحاج في حقه، وقد سبق تفصيل ذلك في شرح حديث"رقم: ٨": أن القرآن يحاج عند الله في حق من يهتمون بآدابه لرفع درجاتهم، ويطالب المقصرين في حقه بحقوقه، فيوصل من جعله أمامه أي: اتبع القرآن، وجعله دستوراً له إلى الجنة، ومن جعله خلفه، أي: لم يتبعه، فإن مصيره إلى النار.

ويرى هذا العبد أن الإعراض عن القرآن، وعدم الاهتمام، يمكن أن يدخل في مضمون الحديث، فقد وردت عدة أحاديث وروايات تنذر من يهمل القرآن الكريم، فقد جاء في الرواية الطويلة للبخاري التي تذكر زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعض أحوال الجُناة ومعاقبتهم: قصة رجل كان يُضرب رأسه بحجر بشدة كأن رأسه يتهشم، وعندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه قيل له: إن الله تعالى علم هذا الرجل القرآن فلم يتله في الليل، ولا عمل به في النهار، فيعامل كذلك إلى يوم القيامة (١).

فليرحمنا الله ويحفظنا من عذابه بلطفه وكرمه! فإن القرآن الكريم في الحقيقة نعمة عظيمة، وكل عقاب على الإهمال به قليل.

[٣٣] عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام: رب إني منعته الطعام والشراب في النهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، فيشفعان (٢).

(رواه أحمد، وابن أبي الدنيا، والطبراني في الكبير، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم).

المعلى الكندي، وقد وثقه ابن حبان فالحديث حسن.

(١) أخرجه البخاري عن سمرة بن جندب في الجنائز برقم: ١٣٨٦ حديثاً طويلاً قص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابته رؤياه قال: رأيت الليلة رجلين، وأتياني فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، الحديث وجاء فيه: والذي يُشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل به في النهار، يفعل به إلى يوم القيامة.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٦٦٢٦ والحاكم ج/١ ص: ٧٤ رقم الحديث: ١٧/٢٠٣٦ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وتعقبهما شعيب الأرناؤوط بأن يحيى بن عبد الله لم يخرج له مسلم، وهو ضعيف، وقال أيضاً: فيه ابن لهيعة. قلت: قد تابع ابن لهيعة عبد الله بن وهب.

شرح الحديث:

وفي رواية الترغيب: "الطعام والشراب" وفي الحاكم: "الشهوات" مكان الشراب، أي: منعته من الطعام في النهار والشهوات في الليل، وفيه إشارة إلى أنه يجب على الصائم الابتعاد عن الشهوات النفسانية، ولو أنه يجوز له مثل التقبيل والعناق، وتفيد بعض الروايات بأن القرآن يأتي في شكل شاب، ويقول: أنا الذي أيقظك في الليالي، وأظمأك في النهار (١).

وكذلك يشير هذا الحديث إلى أن يقتضي حفظ القرآن الكريم أن يُقرأ في نوافل الليل، وقد سبق ذلك في شرح حديث"رقم: ٧" ويرغب فيه القرآن الكريم نفسه في عدة مواضع، فيقول في موضع: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [سورة بني إسرائيل: ٧٩]، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [سورة الدهر: ٢٦] ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٣] ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٤].

فكان النبيﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، يقضون الليل بكامله في تلاوة القرآن، و رُوي عن عثمان رضي الله عنه أنه كان في بعض الأحيان يقرأ القرآن بكامله في الركعة الواحدة لصلاة الوتر، وكذلك كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يختم القرآن الكريم في ليلة واحدة، وختم سعيد بن جبير رضي الله عنه القرآن كله في الركعتين في الكعبة المشرفة، وكان ثابت البناني رحمه الله يختم القرآن في ليلة واحدة، ويقول أبو شيخ هانئ: إنه ختم ختمتين، وتلا عشرة أجزاء من الثالث في ليلة واحدة، وقال: إنه كان يستطيع أن يختم الختمة الثالثة، وحج صالح ابن كيسان فكان يختم في الطريق ختمتين في ليلة واحدة، وكان منصور بن زاذان يقرأ القرآن بكامله في صلاة الضحى، وختمة أخرى بين الظهر و العصر، ويقضي الليل بكامله في النوافل من الصلاة، وكان يبكي بكاءاً تبتلّ به عمامته، وكذلك روي عن

---

(١) أخرج الطبراني في الأوسط برقم: ٥٧٦٤ عن أبي هريرة مرفوعاً: يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ هواجرك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب أنى لنا هذا! فقال لهما: بتعليم ولدكما القرآن، الحديث قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٣/٧: فيه يحيى بن عبد العزيز الحماني وهو ضعيف.

مشايخ آخرين، كما ذكره محمد بن نصر رحمه الله في قيام الليل (١).

عادات السلف في ختم القرآن:

يقول صاحب شرح الإحياء: إن عادات السلف في ختم القرآن كانت مختلفة، فكان بعضهم يختم القرآن كل يوم، مثل الإمام الشافعي رحمه الله في غير رمضان، وكان يختم بعضهم ختمتين كل يوم، كما كان يفعله الإمام الشافعي رحمه الله في رمضان المبارك، وكذلك كانت عادة أسود، وصالح بن كيسان، وسعيد بن جبير، رحمهم الله، وجماعة مثلهم، وكانت عادة بعض المشايخ ثلاث ختمات يومياً، فكان سليم بن عتر وهو من كبار التابعين، وكان قد اشترك في فتح مصر في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه، وأمّره معاوية رضي الله عنه على القصص، يختم القرآن ثلاث ختمات في كل ليلة، ويقول الإمام النووي في كتاب الأذكار: إن أكثر ما بلغنا من قدر التلاوة هو ثماني ختمات: أربعاً في الليل وأربعاً في النهار للسيد الجليل ابن الكاتب رضي الله عنه. وروى ابن قدامة رحمه الله عن الإمام أحمد: أنه يتوقف على نشاط القارئ، وليس له تحديد، وذكر رجال التاريخ أن الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله كان يختم واحدة وستين ختمة في رمضان المبارك، ختمة في النهار، وأخرى في الليل، وختمة واحدة في الشهر من التراويح (٢).

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه"(٣).

فقال ابن حزم وغيره من العلماء: إن ختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام حرام. أقول: إن هذا الحديث هو باعتبار الأكثر، فقد ثبت عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم القراءة في أقل مدة منها أيضاً، وكذلك لا يحدد الجمهور أقصى المدة، فليختم القرآن حسب المستطاع، ولكن بعض العلماء

---

(١) انظر قيام الليل ص: ٦٣-٦٤، طبعة لاهور سنة ١٣٢٠هـ.

(٢) أكثر هذه الآثار مأخوذة من إتحاف السادة ج/٤ ص: ٤٧١ إلى ٤٧٣.

(٣) أخرجه أبو داود برقم: ١٣٩٤ كتاب شهر رمضان باب تحزيب القرآن، وابن ماجه برقم: ١٣٤٧ كتاب إقامة الصلاة باب: في كم يستحب يختم القرآن، والترمذي برقم: ٢٩٤٩ في القراءات، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يقولون: لا يختم القرآن في أكثر من أربعين يوما، وحاصله: أن يقرأ القرآن كل يوم ثلاثة أرباع الجزء، فإذا فاتت القراءة يوماً لسبب من الأسباب العارضة، فليقض ما فات في اليوم التالي، ليكمل القرآن في أربعين يوماً، ولو أنه ليس من الواجب عند الجمهور، إلا أن بعض العلماء يرون أن الأحوط أن لا يزاد في هذه المدة، ويؤيد ذلك أيضا بعض الأحاديث، فذكر صاحب المجمع حديثاً: "من قرأ القرآن في أربعين ليلة فقد عذب" وأفتى بعض العلماء أنه ينبغي ختم القرآن مرة كل شهر، والأفضل: أن يختم ختمة واحدة كل أسبوع، لأنه روي ذلك عامة عن الصحابة رضوان الله عليهم، يبدأ يوم الجمعة ويختم في سبعة أيام، بعد الخميس، ويقرأ كل يوم حزباً من أحزاب القرآن.

وسبق قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله: إن قراءة القرآن في كل سنة مرتين إعطاء لحقه (١) فلا يستحسن أن يقرأ أقل منه في أي حال من الأحوال، وفي رواية: "إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي"(٢). فاستنبط منه بعض المشايخ أن يختم القرآن في أيام الصيف في بدء النهار، وفي الشتاء في بدء الليل، لكي تتاح له أدعية الملائكة في أكثر الأوقات.

شفاعة القرآن أقوى من شفاعة الأنبياء والملائكة:

[٣٤] عن سعيد بن سليم مرسلا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن، لا نبي ولا ملك ولا غيره.

(قال العراقي: رواه عبد الملك بن حبيب كذا في شرح الإحياء) (٣).

---

(١) انظر إتحاف السادة٤/٤٧٤

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥/٢٦ في ترجمة محمد بن سوقة عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً وقال: غريب من حديث طلحة، تفرد به هشام عن محمد، ورواه الدارمي في السنن ٢/٥٦١ برقم: ٣٤٨ عن سعد موقوفاً عليه وقال: هذا حسن عن سعد، وأخرج نحوه عن عبدة (وهو ابن أبي لبابة) من قوله برقم: ٣٤٧٥ وأخرج برقم: ٣٤٧٧ عن إبراهيم النخعي من قوله قال: إذا قرأ الرجل القرآن نهاراً صلت عليه الملائكة بنحوه، ثم قال: قال سليمان (هو الأعمش الراوي عن النخعي) فرأيت أصحابنا يعجبهم أن يختموه أول النهار وأول الليل انتهى.

(٣) أورده الغزالي في الإحياء ١/٢٧٣ فقال العراقي في تخريجه المطبوع مع الإحياء: رواه عبد الملك بن

شرح الحديث:

إن شفاعة القرآن وقوة شفاعته المقبولة مستفادة من عدة روايات أخرى، فليرزقني الله تعالى وإياكم بفضله شفاعة القرآن، ولا يجعله حجة أو مدعياً علينا.

و روي في اللآلئ المصنوعة عن البزار ولم يحكم عليه بالوضع أن قارئ القرآن إذا مات، وكان أهله في جهاز، جاء القرآن في صورة حسنة جميلة، فوقف عند رأسه حتى يدرج في أكفانه، فيكون القرآن على صدره دون الكفن، فإذا وضع في قبره، وسوي عليه، وتفرق عنه أصحابه، فأتاه منكر ونكير، فيجلسانه في قبره، فيجيء القرآن حتى يكون بينه وبينهما، فيقولون له: إليك حتى نسأله، فيقول: لا ورب الكعبة، إنه لصاحبي وخليلي، ولست أخذله على حال، فإن كنتما أمرتما بشيء فامضيا لما أمرتما، ودعا مكاني، فإني لست أفارقه حتى أدخله الجنة، ثم ينظر القرآن إلى صاحبه فيقول: أنا القرآن الذي كنت تجهر بي وتخفيني (١).

وكانت هذه الرواية طويلة تحوي فضائل عظيمة، فاختصرتها خوفاً من التطويل.

[٣٥] عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من

حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلاً، وللطبراني من حديث ابن مسعود: القرآن شافع مشفع، ولمسلم من حديث أبي أمامة: اقرؤوا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه هذا آخر كلام العراقي.
قلت: حديث عبد الله بن مسعود قال عنه الهيثمي في المجمع ١٦٧/٧: رواه الطبراني، وفيه الربيع بن بدر وهو متروك.

(١) أورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة ص: ١٤٤ كما عزاه المصنف، قلت: هو في مسند البزار برقم: ٢٦٥٥ عن معاذ بن جبل وهو حديث طويل في ثلاث صفحات ثم قال البزار عقب روايته: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، ولم يسمع خالد ابن معدان من معاذ، وإنما ذكرناه لأنا لم نحفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه، فلذلك ذكرناه، وإنما يجيء ثواب القرآن، والدليل على ذلك أنه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن اللقمة أو الكسرة تجيء يوم القيامة مثل أحد، وإنما يجيء ثوابها، فكل شيء من ذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون في الآخرة، فإنما هو الثواب، هذا آخر كلام البزار.
وأورده الهيثمي في المجمع ٢٥٦/٢ – ٢٥٧ في الصلاة باب في صلاة الليل وقال: فيه من لم أجد من ترجمه انتهى، وانظره في كشف الأستار ٣٤١/١ وما بعدها برقم: ٧١٢ كتاب الصلاة باب صلاة الليل. وقال المنذري في الترغيب ٢١٩/١: في إسناده من لا يعرف حاله، وفي متنه غرابة كثيرة بل نكارة ظاهرة، وقد تكلم فيه العقيلي وغيره، ورواه ابن أبي الدنيا وغيره عن عبادة بن الصامت موقوفاً عليه، ولعله أشبه انتهى.

قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد، ولا يجهل مع من جهل، وفي جوفه كلام الله (رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد) (١).

شرح الحديث:

لما أن الوحي انقطع بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فلا ينزل الوحي على أحد، ولكن القرآن كلام الله بلا ريب، وإنه علم النبوة، وإذا كرم الله أحداً بعلوم النبوة، فلا بد له من أن يتخلق بأخلاق عالية، ويجتنب العادات السيئة، وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه: إن حافظ القرآن هو حامل لواء الإسلام، فلا يناسبه أن ينغمس في اللهو واللعب، أو يخالط الغافلين، أو يكون مع العاطلين (٢).

[٣٦] عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر، ولا ينالهم الحساب، هم على كثيب من مسك، حتى يفرغ من حساب الخلائق: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله، وأم به قوماً وهم به راضون، وداع يدعو إلى الصلوات ابتغاء وجه الله، ورجل أحسن فيما بينه وبين ربه، وفيما بنيه وبين مواليه. (رواه الطبراني في المعاجم الثلاثة) (٣).

---

(١) انظر الحاكم ٧٣٨/١ برقم: ٩/٢٠٢٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن المبارك في الزهد برقم: ٧٩٩ موقوفاً.

(٢) انظر إحياء علوم الدين ٢٧٤/١ ولفظه: قال الفضيل بن عياض: ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة، ولا إلى الخلفاء فمن دونهم، فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه، وقال أيضاً: حامل القرآن حامل راية الإسلام، فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيماً لحق القرآن.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٩٢٨٠ عن زاذان عن ابن عمر، وفيه عبد الصمد بن عبد العزيز المقرئ ذكره ابن حبان في الثقات. قاله الهيثمي في المجمع ٣٣٣/١ ونسبه إلى المعجم الصغير أيضاً، وقال المنذري في الترغيب ٢٠٨/٢: رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد لا بأس به.
وأخرجه الترمذي أيضاً برقم: ٢٥٦٦ في صفة الجنة باختصار، وقال: حسن غريب، وفيه أبو اليقظان عثمان بن عمير وهو ضعيف، وكذا هو في إسناد الطبراني، فهذا إسناد ضعيف، ولكن له شاهد عن زاذان عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، أخرجه الخطيب ج/٣ ص: ٣٥٥ في ترجمة محمد بن هارون بن حمد الليثي البصري، وقد حسّنه الدكتور خلدون الأحدب نظراً إلى شاهد ابن عمر في كتابه زوائد تاريخ بغداد برقم: ٤١٤ وقال: حسن لغيره.
أقول: وكلا الحديثين مدارهما على زاذان، ثم اختلف الفضل بن ميمون وأبو اليقظان على زاذان، فقال الفضل: عن أبي هريرة وأبي سعيد، وقال أبو اليقظان غسان: عن ابن عمر، والفضل وأبو

شرح الحديث:

إن هول القيامة، وشدة يومها، ومصائبها لا تخفى على أي مسلم، ولا يجهلها قلب أي مسلم، وإن أي ضمان لتخفيف هول هذا اليوم وتهدئته نتيجة لعمل من الأعمال، خير من ملايين النعم والراحات الأخرى، ثم إذا كان ذلك مقروناً بالرفاهية والتنزه، فهو السعادة العليا، فهنيئاً لمن يفوز بهذه النعمة! والويل والخسران للجاهلين الذين يحسبون ذلك إضاعة للوقت، ويهملونه! فقد روي في المعجم الكبير مثل هذا الحديث عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر أنه قال: لو لا أني سمعت هذا الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم مرة ومرة ومرة، وقال ذلك سبع مرات لما رويته (١).

[٣٧] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر! لأن تغدوَ فتعلم آية من آيات كتاب الله، خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو، فتعلم باباً من العلم، عمل به أو لم يعمل به، خير من أن تصلي ألف ركعة. (رواه ابن ماجه بإسناد حسن) (٢).

شرح الحديث:

وردت أحاديث كثيرة في هذا المعنى أن التعلم وحصول العلم أفضل من العبادة، وأن استيعاب الأحاديث الكثيرة التي وردت في فضائل العلم يصعب، وخاصة في هذا المختصر، فقد قال النبي ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم" (٣).

اليقظان كلاهما ضعيفان، والله أعلم بالصواب.

(١) ذكره المنذري في الترغيب١/٢٠٨ فقال: ورواه في الكبير بنحوه، وزاد في أوله: قال ابن عمر: لو لم أسمعه من رسول الله إلا مرة ومرة حتى عد سبع مرات لما حدثت به انتهى.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه، رقم الحديث ٢١٩ وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه ص: ٥٧: هذا إسناد ضعيف لضعف عبد الله بن زايد، وعلي بن زيد بن جدعان، وله شاهد في جامع الترمذي من حديث ابن عباس وقال: حديث غريب، ثم آخر من حديث أبي أمامة نحوه، وقال: حسن غريب انتهى، وقال المنذري في الترغيب ٢/٢١١: رواه ابن ماجه بإسناد حسن

(٣) رواه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه في كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم: ٢٦٨٥، قال العجلوني في كشف الخفا ٢/٨٦: رواه الترمذي، وحسنه، ونقل النجم عن الترمذي أنه صحيح، وللحارث بن أبي أسامة عن أبي سعيد: فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي انتهى.

وقال: "فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد" (١)

[٣٨] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين (٢).

شرح الحديث:

إن تلاوة عشر آيات لا تستغرق إلا بضع دقائق، وأجرها: الخروج من طائفة الغافلين، فهل فضيلة أكبر من هذه الفضيلة؟.

[٣٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات، لم يكتب من الغافلين،

قلت: هو في بغية الباحث عن زوائد الحارث في ١/١٨٤، وفي إسناده زيد العمي، وله شاهد عن أنس عند الخطيب ٨/١٠٧ في ترجمة الحسين بن محمد الصيرفي بلفظ: فضل العالم على غيره كفضل النبي على أمته، وشيخ الخطيب الحسين بن محمد الصيرفي رُمي بالكذب.

وقال السخاوي في المقاصد ص: ٣٣٦: وفي الباب عن أبي هريرة رفعه: فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة، أخرجه ابن عدي بسند ضعيف، ولأبي يعلى وابن عدي من رواية عبد الله بن محرر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه: بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر بسبعين سنة، وذكر ابن عبد البر في العلم أن ابن عون رواه عن ابن سيرين عن أبي هريرة فينظر من خرّجه، وعن أبي الدرداء مرفوعا عند أصحاب السنن الأربعة بلفظ: فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وعن عبد الرحمن بن عوف نحوه، أخرجه أبو يعلى، انتهى قول السخاوي.

وقال الهيثمي في المجمع ١/١٢٧: عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فضل العالم على العابد سبعين درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، رواه أبو يعلى، وفيه الخليل بن مرة، قال البخاري: منكر الحديث، وقال بن عدي: لم أر له حديثا منكرا وهو في جملة من يكتب حديثه وليس بمتروك انتهى.

(١) رواه الترمذي في العلم برقم: ٢٦٨١ وابن ماجه في المقدمة وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٦١٦٦ والبيهقي في الشعب برقم: ١٥٨٤ عن أبي هريرة مرفوعاً: ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد، وعماد الدين الفقه، وفي إسناده يزيد ابن عياض، قال البيهقي: هو ضعيف في الحديث

وقال الهيثمي في المجمع ١/١٢٦: هو كذاب انتهى. وله إسناد آخر عن أبي هريرة عند البيهقي في الشعب برقم: ١٥٨٧ وهو أبو الربيع السمان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً، قال الذهبي في الميزان عنه ١/٢٦٣: أشعث بن سعيد أبو الربيع السمان قال أحمد: مضطرب الحديث ليس بذاك، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: لا يكتب حديثه، وقال الدارقطني: متروك، وقال هشيم: كان يكذب، وقال البخاري: ليس بالحافظ عندهم، سمع منه وكيع وليس بمتروك، وروى عباس عن ابن معين: ضعيف. انتهى

قلت: قال السخاوي في المقاصد عن حديثي أبي هريرة وابن عباس في ص: ٣٣٦: يتأكد أحدهما بالآخر، وكذلك قال العجلوني في كشف الخفاء ٢/١٤٤: يتقوى أحدهما بالآخر، والله أعلم، وانظر المغني مع الإحياء: ١/٦.

(٢) الحاكم ج/١ ص: ٧٤٢ رقم الحديث ٢٢/٢٠٤١ ووافقه الذهبي

ومن قرأ في ليلة مأة آية، كتب من القانتين. (رواه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما) (١).

شرح الحديث:

و روي الحسن البصري مرسلا: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ في ليلة مأة آية، لم يحاجه القرآن تلك الليلة، ومن قرأ في ليلة مأتي آية، كتب له قنوت الليلة، ومن قرأ في ليلة خمس مأة إلى ألف، أصبح وله قنطار من الأجر، قالوا: وما القنطار؟ قال: اثني عشر ألفاً" (٢).

[٤٠] عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره: أنه ستكون فتن، قال: فما المخرج منها يا جبرئيل؟ قال: كتاب الله. (رواه رزين، كذا في الرحمة المهداة) (٣).

شرح الحديث:

إن العمل بكتاب الله ضمان للخروج من الفتن، وإن بركة تلاوته أيضاً تنقذ من الفتن، وقد سبق في شرح حديث "رقم٢٢": أن السكينة والرحمة تنزلان في البيت الذي يقرأ فيه القرآن، ويخرج منه الشياطين، والمراد من الفتن: خروج الدجال، وفتنة التتار، وغيرها من الفتن الأخرى كما ذكرها العلماء.

و رُوي في المعنى المذكور حديث طويل عن علي كرم الله وجهه أنه قال: قال يحيى بن زكريا: يا بني إسرائيل! إن الله تعالى يأمركم أن تقرؤوا الكتاب، ومثل ذلك: قوم في حصنهم سار إليهم عدوهم، وقد تبدو له في كل ناحية من نواحي

(٢) أخرجه الحاكم ج/١، ص: ٤٥٢ رقم الحديث ١١٦٠/١٠ ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الدارمي في فضائل القرآن ٥٥٧/٢ برقم: ٣٤٥٣ وهو مرسل، قلت: رُوي أحاديث مختلفة بألفاظ مختلفة متقاربة في هذا المعنى، أمثلها: ما رواه فضالة بن عبيدة وتميم الداري مرفوعاً قال صلى الله عليه وسلم: من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها الحديث قال الهيثمي في المجمع٢/٢٧٠: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه إسماعيل بن عياش، ولكنه من روايته عن الشاميين، وهي مقبولة انتهى. وكذا قال المنذري ٢٢/١.

(٣) أخرج الطبراني في الكبير٢٠/٨٤ برقم: ١٦٠ عن معاذ بن جبل قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الفتن فعظمها وشددها، فقال علي بن أبي طالب: يا رسول الله! فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه حديث ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، الحديث، قال الهيثمي في المجمع٧/١٦٧ — ١٦٨: فيه عمرو بن واقد وهو متروك، وله شاهد من حديث علي رضي الله عنه عند أحمد برقم: ٧٠٤ ولفظه: أتاني جبريل فقال: يا محمد! إن أمتك مختلفة بعدك، قال: فقلت له: فأين المخرج يا جبريل؟ قال: فقال: كتاب الله تعالى، به يقصم الله كل جبار الحديث.

الحصن قوم، فليس يأتيهم عدوهم من ناحية إلا وجد من يردهم من حصنهم، وكذلك من يقرأ القرآن لا يزال في حرز وحصن" (رواه الدارقطني عن علي) (١).

تذييل وتكميل:

في قراءة سور وردت فضيلتها، وأمور أخرى يجب التنبيه إليها

ونورد في هذا الفصل روايات زائدة على الأربعينة لأغراض تناسب المقام.

(١) سورة الفاتحة:

عن عبد الملك بن عمير مرسلا قال: قال رسول الله ﷺ: " في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء" (رواه الدارمي، والبيهقي في شعب الإيمان) (٢).

وردت في فضل سورة الفاتحة عدة روايات، وفيها رواية جاء فيها: إن صحابيا قام يصلي صلاة، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يجبه لأنه كان في الصلاة، وعندما انتهى من صلاته، انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟" فقال: إني كنت في الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: "فلم تجد فيما أوحى الله إلي: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢٣]" ثم قال النبي ﷺ: " أخبرك عن أكبر سورة في القرآن (أي أفضلها) فقال: هي سبع آيات في سورة الفاتحة، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم"(٣).

(١) أخرجه البزار أيضاً ٢٧٦/٢ من البحر الزخار برقم: ٦٩٥ وهو في كشف الأستار ١/١٧٠-١٧١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٩/١: رواه البزار ورجاله موثقون، إلا شيخ البزار: الحسن بن محمد ابن عباد، فإني لم أعرفه، انتهى وفي هامشه تعقب عليه بأن محمد بن يزيد بن سنان وأبوه ضعيفان؛ ويزيد أضعف انتهى. و قد أخرج الترمذي في الأدب باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام برقم: ٢٨٦٣ عن الحارث الأشعري حديثا طويلا وصححه، جاء فيه: أن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، الحديث جاء فيه من قول يحيى بن زكريا لقومه: وآمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.

(٢) رواه البيهقي في الشعب برقم: ٢١٥٤ وقال: منقطع، وهو شاهد لما تقدم، وقد كان البيهقي روى قبله حديثين في هذا الموضوع، حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: فاتحة الكتاب شفاء من السم، وحديث جابر بلفظ: فاتحة الكتاب فيها شفاء من كل داء، وقال السيوطي في الدر المنثور ١٥/١ عن حديث عبد الملك بن عمير: رجاله ثقات (أي إلى عبد الملك بن عمير) وقال عن حديث جابر ١٤/١: بإسناد جيد.

(٣) أخرج البخاري في التفسير برقم: ٤٤٧٤ عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله! إني كنت أصلي فقال: ألم

وقال بعض العارفين: "جميع مافي الكتب المتقدمة في القرآن، وجميعه في الفاتحة(١) وجميعها في البسملة، وجميعها تحت نقطة الباء منطوية، وهي على كل الحقائق والدقائق محتوية".

ويقولون في شرح ذلك: إن الباء هنا للوصل، وهو المقصود الأعلى، فكل شيء يدعو إلى الله والوصل معه، وأضاف البعض إليه قولهم: "إن كل مافي الباء، جاء في نقطتها، وهي الوحدانية، لأن النقطة في الاصطلاح هي الشيء الذي لا يتجزأ، وروي عن المشايخ: أن جميع المقاصد والأهداف الدينية والدنيوية قد تلخصت في: "إياك نعبد وإياك نستعين".

وفي رواية أخرى: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته"(٢).

ذكر المشايخ أن قراءة الفاتحة بالإيمان واليقين شفاء لكل داء، سواء كان دينياً أو دنيوياً، ظاهريا أو باطنياً، وإن تعليقها مكتوبة ينفع أيضاً في الأمراض.

و ورد في الصحاح أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، رقَوا بها من لدغتهم الحية والعقرب، والمصابين بالصرعة، والمجانين، وأجازها النبي ﷺ (٣).

وجاء أيضا في رواية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على سائب بن يزيد أم الكتاب، وجمع بزاقه، وتفل على مكان الوجع(٤).

يقل الله: استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم؟ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته. وروى الترمذي برقم: ٢٨٧٥ عن أبي هريرة حديثا نحوه وصاحب القصة فيه أبي بن كعب.

(١) قال الحسن البصري: أنزل الله عزوجل مائة وأربعة كتب من السماء، أودع علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، ثم أودع علوم التوراة، والإنجيل، والزبور، القرآن، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كما علم تفسير جميع كتب الله المنزلة، أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٢١٥٥ ترقيم الدكتور عبد العلي وهو مرسل.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٨٦٨٢ والبغوي في شرح السنة برقم: ١١٨٦ عن أبي هريرة، وقال البغوي: هذا حديث صحيح.

(٣) انظر حديث أبي سعيد عند البخاري برقم: ٥٠٠٧ وعند مسلم في كتاب السلام برقم: ٢٢٠١ قال له النبي صلى الله عليه وسلم مقراً له: "وما يدريك أنها رقية".

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٦٦٩٢ عن السائب بن يزيد يقول: عوذني رسول الله صلى الله عليه

وفي رواية أخري من حديث ابن عباس: "فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن "(١).

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه: "إذا وضعت جنبك على الفراش، وقرأت فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، فقد أمنت عن كل شيء إلا الموت" (٢) (رواه البزار).

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربع أنزلن من كنز تحت العرش، لم ينزل منه شيء غيرهن: أم الكتاب، وآية الكرسي، وخواتم سورة البقرة، والكوثر.

(أخرجه أبو الشيخ في الثواب، والطبراني، وابن مردويه، والديلمي، والضياء المقدسي في المختارة) (٣).

وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ فاتحة الكتاب فإنما قرأ التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان".

[أخرجه أبو عبيد في فضائله] (٤).

وفي رواية: أن إبليس ناح عليه، وبكى، ونفث التراب عليه أربع مرات: عند ما لعن، ثم عند إهباطه من السماء إلى الأرض، وثالثاً: عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ورابعاً: عند نزول سورة الفاتحة(٥).

وعن الشعبي: أن رجلا جاءه، واشتكى وجع الكلية، فأمره أن يقرأ أساس القرآن، ويمسح به موضع الوجع، فسأله، وما أساس القرآن؟

وسلم بفاتحة الكتاب تفلاً قال الهيثمي في المجمع ٥/١١٦: فيه عبد الله بن يزيد البكري وهو ضعيف.

(١) عزاه السيوطي في الدر ١/١٥ إلى عبد بن حميد في مسنده وقال: بسند ضعيف.

(٢) أخرجه البزار، انظر كشف الأستار كتاب الأذكار باب: ما يقول إذا أوى إلى فراشه، قال الهيثمي ج/١ ص: ١٢٤: رواه البزار وفيه غسان بن عبيد وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر المعجم الكبير للطبراني ٨/٢٨٠ برقم: ٧٩٢٠.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/١٦ عن الحسن مرسلاً معزوا إلى أبي عبيد في فضائله.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة برقم: ١١٢٤/٤٤، وأبو نعيم في الحلية عن مجاهد من قوله قال: رنّ إبليس أربعا: حين لعن، وحين أهبط، وحين بُعث محمد صلى الله عليه وسلم، وبعث على فترة من الرسل، وحين نزلت: الحمد لله رب العالمين، وأخرج الطبراني في الأوسط برقم: ٤٧٨٨ عن مجاهد عن أبي هريرة موقوفاً قال: إن إبليس رنّ حين أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة. قال الهيثمي في المجمع ٦/٣١٤: شبيه المرفوع ورجاله رجال الصحيح.

فقال الشعبي: سورة الفاتحة (١).

و روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته (٢).

قال لهما النورين، لأنهما يكونان أمام قارئهما يوم القيامة ويقودانه.

(٢) سورة يس:

عن عطاء بن أبي رباح قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ يس في صدر النهار، قضيت حوائجه" (رواه الدارمي) (٣).

وردت في فضل سورة يس عدة روايات، ففي رواية: "إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، فمن قرأ يس كتب الله بقرائتها قراءة القرآن عشر مرات"(٤).

وفي رواية: "إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السماوات والأرض بألف عام، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل هذا عليها، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا" (٥).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ١٢/١ معزوا إلى الثعلبي ولفظه: عن الشعبي أن رجلاً شكا إليه وجع الخاصرة، فقال: عليك بأساس القرآن، قال: وما أساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب.

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين برقم: ٨٠٦ (٢٥٤) والنسائي في الصلاة برقم: ٩١٣.

(٣) أخرجه الدارمي في فضائل القرآن برقم: ٣٤١٨، وهو مرسل.

(٤) أخرجه الدارمي عن أنس في فضائل القرآن برقم: ٣٤١٦، والترمذي برقم: ٢٨٨٧ في فضائل القرآن باب ما جاء في فضل يس، وفيه هارون أبو محمد، وهو شيخ مجهول، قاله الترمذي، وقال: وفي الباب عن أبي بكر الصديق، ولا يصح من قبل إسناده انتهى، وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه البزار، انظر كشف الأستار باب فضائل القرآن برقم: ٢٣٠٤ حدثنا عبد الرحمن بن الفضل، حدثنا زيد وهو ابن الحباب، حدثنا حميد هو المكي مولى آل علقمة، عن عطاء هو ابن أبي رباح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، ثم قال: لا نعلم رواه إلا زيد عن حميد.

(٥) أخرجه الدارمي عن أبي هريرة مرفوعاً في فضائل القرآن بباب في فضل سورة طه ويس، وقال: محققاه الشيخ فواز والشيخ خالد السبع العلمي في التعليق عليه: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من طريق ابن عدي من حديث أبي هريرة وقال: فيه إبراهيم بن المهاجر بن مسمار: منكر الحديث متروكه، وتعقبه الحافظ ابن حجر في أطراف العشرة، فقال: ليس بموضوع، وإبراهيم لا بأس

وفي رواية: "قلب القرآن يس لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة، إلا غفر الله له، اقرؤوها على موتاكم" (١).

وفي رواية: "سورة يس تدعى في التوراة المعمة، تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة" (٢).

و روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي" (٣).

(٣) سورة الواقعة:

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة، لم تصبه فاقة أبداً، وكان ابن مسعود يأمر بناته يقرأن بها كل ليلة (رواه البيهقي في الشعب) (٤).

به، وقال السيوطي: أخرجه الدارمي في مسنده، وابن خزيمة في التوحيد، والبيهقي في الشعب، وقد قال: إنه لا يخرج في مصنفاته خبرا يعلمه موضوعا، ومسند الدارمي أطلق عليه جماعة اسم الصحيح، والحديث جاء من حديث أنس أخرجه الديلمي انتهى.

(١) أخرجه أبو داود في الجنائز برقم: ٣١٢١ وابن ماجه في الجنائز أيضاً برقم: ١٤٤٨ عن معقل بن يسار مختصراً، وأخرجه أحمد برقم: ٢٠٣٠٠ عنه مطولاً، قال الهيثمي في المجمع ٣١٤/٦ كتاب التفسير سورة البقرة: رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى

وقال ابن الملقن في البدر المنير: ١٩٤/٥ (طبعة دار الهجرة الرياض سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م بتحقيق مصطفى أبوالغيط و عبد الله بن سليمان وياسرين كمال): وأعل هذا الحديث بالوقف وبالجهالة وبالاضطراب، قال الحاكم: هذا الحديث أوقفه يحيى بن سعيد وغيره عن سليمان التيمي، والقول فيه قول ابن المبارك، إذ الزيادة من الثقة مقبولة. ذكر ذلك في باب فضائل القرآن من مستدركه في ذكر فضائل سور متفرقة، وقال ابن القطان في علله: إنه حديث لا يصح؛ لأن أبا عثمان هذا لا نعرفه ولا من روى عنه غير سليمان التيمي، وإذا لم يكن هو معروفًا فأبوه أبعد من أن يعرف. وكذا قال المنذري: أبو عثمان وأبوه ليسا بمشهورين، وخالف في كلامه على تخريج أحاديث المهذب فقال: إنه حديث حسن. رواه (د س ق) ومنهم من قال: عن أبي عثمان عن أبيه. ومنهم من قال: عن أبي عثمان عن معقل، من غير ذكر أبيه. قلت: ومنهم من قال: عن رجل عن معقل، وعن رجل عن أبيه عن معقل ذكرهما النسائي في اليوم والليلة، والثاني: الطبراني في أكبر معاجمه وقال النووي في الخلاصة وشرح المهذب: رواه أبو داود وابن ماجه، وفيه مجهولان، ولم يضعفه أبو داود. قلت: أبو عثمان ذكره ابن حبان في ثقاته، وعن ابن العربي عن الدارقطني: إنه حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث. انتهى

(٢) أخرجه البيهقي عن أبي بكر الصديق مرفوعاً في الشعب برقم: ٢٢٣٧ وقال: تفرد به محمد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الجدعاني عن سليمان بن مرقاع الجندي هو منكر.

(٣) أخرجه البزار، انظر كشف الأستار برقم: ٢٣٠٥، وسنده: حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم ابن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ثم قال البزار: لا نعلمه يروى إلا عن عباس بهذا الإسناد، وإبراهيم لم يتابع على أحاديثه على أنه قد حدّث عنه أهل العلم.

(٤) شعب الإيمان برقم: ٢٢٦٩ من ترقيم الدكتور عبد العلي قال المناوي: فيه أبو شجاع قال في

وردت في فضل سورة الواقعة عدة روايات :

ففي رواية : "قارئ الحديد وإذا وقعت ، والرحمن ، يدعى في السماوات والأرض : "ساكن الفردوس" (عن فاطمة ، كنز العمال) (١).

وفي رواية أخرى : عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "سورة الواقعة سورة الغنى ، فاقرؤوها وعلموها أولادكم" (٢).

وفي حديث أخرجه الديلمي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "علموا نساءكم سورة الواقعة ، فإنها سورة الغنى" (٣).

و ورد أيضا عن عائشة رضي الله عنها ما يؤكد ذلك (٤).

ولكن من غاية الضيق أن يقرأ أحد هذه السورة لبضعة فلوس ، إلا أنه إذا قرئت لغنى القلب وللآخرة ، فإن الدنيا ستخضع طبعاً وتسخر.

(٤) سورة الملك وألم السجدة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن سورة في القرآن : ثلاثون آية شفعت لرجل ، حتى غفرله ، وهي تبارك الذي بيده الملك".

(رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم ، وصححه ابن حبان في صحيحه) (٥).

الميزان : نكرة لا يعرف ، وقال ابن الجوزي في العلل : قال أحمد : هذا حديث منكر ، وقال الزيلعي تبعاً لجمع : هو معلول من وجوه ، أحدها : الانقطاع ، كما بينه الدارقطني وغيره ، الثاني : نكارة متنه ، كما ذكره أحمد ، الثالث : ضعف رواته ، كما قاله ابن الجوزي ، الرابع : اضطرابه ، وقد أجمع على ضعفه أحمد ، وأبو حاتم ، وابنه ، والدارقطني ، والبيهقي ، وغيرهم انتهى كلام المناوي من فيض القدير رقم الحديث : ٨٩٤٢ وأخرجه ابن عساكر نحوه عن ابن عباس رقم الترجمة : ٤٢٨٨ في ترجمة عبد الكريم ابن عبد الرحمن بن بهران ج/٣٨ ص: ٣١٥ ، وما عرفت حال إسناده.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٢٢٦٦ وقال: تفرد به محمد بن عبد الرحمن عن سليمان بن مرقاع وكلاهما منكران.

(٢) عزاه السيوطي في الدر ٣/٨ إلى ابن مردويه عن أنس مرفوعاً.

(٣) أخرجه الديلمي انظر الفردوس برقم: ٤٠٠٥ وليس السند مذكوراً حتى يعرف حاله. وأورده السيوطي في الدر ٣/٨.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٣/٨ فقال: أخرج أبو عبيد عن سليمان التيمي قال: قالت عائشة للنساء: لا تعجز إحداكن أن تقرأ سورة الواقعة.

(٥) أخرجه أبو داود برقم: ١٤٠٠ والترمذي في فضائل القرآن برقم: ٢٨٩١ ، وابن ماجه في الأدب

وفي رواية أخرى : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "وددت أنها في قلب كل مؤمن ، يعني : تبارك الذي بيده الملك" (١).

وفي رواية أخرى : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قرأ تبارك الذي بيده الملك ، وألم تنزيل السجدة ، بين المغرب والعشاء الآخرة ، فكأنما قام ليلة القدر" (٢).

وفي رواية أخرى : "من قرأ في ليلة ألم تنزيل السجدة ، وتبارك الذي بيده الملك ، كتب له سبعون حسنة ، وحط عنه سبعون سيئة" (٣).

وفي رواية : "ما على الأرض رجل يقرأ ألم تنزيل السجدة ، وتبارك الذي بيده الملك في ليلة ، إلا كتب الله له مثل أجر ليلة القدر" (٤).

روى الترمذي عن ابن عباس قال : ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت خباء على قبر ، وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "هي المانعة ، هي المنجية ، تنجيه من عذاب القبر" (٥).

عن جابر رضي الله عنه : "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل ، وتبارك الذي بيده الملك" (٦).

برقم: ٣٧٨٦ ، وابن حبان برقم: ٧٨٧ والحاكم ج١ ص: ٧٥٣ برقم ٥٦/٢٠٧٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الترمذي.

(١) أخرجه الحاكم ج/١ ص: ٧٥٤ رقم٥٧/٢٠٧٦ عن ابن عباس وصححه ، وتعقبه الذهبي بأن حفصا واه.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦ معزوا إلى ابن مردويه.

(٣) أخرجه الدارمي عن عبد الله بن ضمرة عن كعب الأحبار من قوله برقم: ٣٤٠٩.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦ إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق حاتم بن محمد عن طاؤس من قوله ، وزاد في آخره : قال حاتم: فذكرت ذلك لعطاء ، فقال: صدق طاؤس والله ما تركتهن منذ سمعت بهن ، إلا أن أكون مريضا.

(٥) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن برقم: ٢٨٩٠من طريق يحيى بن عمرو بن مالك النكري وهو ضعيف كما في الكاشف للذهبي.

(٦) أخرجه الترمذي برقم: ٢٨٩٢ ، في فضائل القرآن باب: ما جاء في فضل سورة الملك ، وأحمد برقم: ١٤٦٥٩ وقال الترمذي: هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبي سليم عن أبي الزبير عن جابر ، ورواه مغيرة بن مسلم عن أبي الزبير عن جابر وروى زهير قال: قلت لأبي الزبير: سمعت عن

وعن خالد بن معدان: "اقرؤوا المنجية، وهي ألم تنزيل، فإنه بلغني أن رجلا كان يقرؤها، ما يقرأ شيئا غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها عليه قالت: يا رب اغفرله، فإنه كان يكثر قراءتي، فشفعها الرب تعالى فيه، وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة"(١).

وقال أيضاً: "إنها تجادل عن صاحبها في القبر، تقول: اللهم إن كنت من كتابك فشفعني فيه، وإن لم أكن من كتابك فامحني عنه، وإنها تكون كالطير تجعل جناحها عليه، فتشفع له، فتمنعه من عذاب القبر"، وقال في "تبارك" مثله، وكان خالد لا يبيت حتى يقرأهما(٢).

وقال طاؤس: "فضلتا على كل سورة في القرآن بستين حسنة"(٣).

إن عذاب القبر ليس بيسير، فكل ميت يواجه مرحلة القبر بعد موته، وروي: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر وتبكي؟! فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد"، قال: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه"(٤).

اللهم احفظنا منه بفضلك وكرمك.

(٥) الحال المرتحل:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: "الحال المرتحل" قال: يا رسول الله ﷺ ما

جابر يذكر هذا الحديث، فقال أبو الزبير: إنما أخبرنيه صفوان وكأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر انتهى قوله

قال شعيب وأصحابه في تعليقهم على مسند أحمد: وصفوان هذا الذي يروي عنه أبو الزبير هو صفوان بن عبد الله بن صفوان القرشي المكي، وهو ثقة، فالحديث صحيح إن شاء الله.

(١) أخرجه الدارمي في فضائل القرآن برقم: ٣٤٠٨.

(٢) أخرجه الدارمي في فضائل القرآن برقم: ٣٤١٠.

(٣) أخرجه الترمذي بعد رقم: ٢٨٩٢ في فضائل القرآن باب: ما جاء في فضل سورة الملك، بلفظ: تفضلان على كل سورة في القرآن بسبعين حسنة، وأخرجه الدارمي برقم: ٣٤١٢ بلفظ الكتاب.

(٤) أخرجه الترمذي في الزهد برقم: ٢٣٠٨ وقال: حسن غريب وابن ماجه في الزهد أيضاً برقم: ٤٢٦٧ وأحمد برقم: ٤٥٤ وصححه ووافقه الذهبي.

الحال المرتحل؟ قال: "صاحب القرآن، يضرب من أوله حتى يبلغ آخره، ومن آخره حتى يبلغ أوله، كلما حل ارتحل".

(رواه الترمذي كما في الرحمة، والحاكم، وقال: تفرد به صالح المري، وهو من زهاد أهل البصرة إلا أن الشيخين لم يخرجاه، وقال الذهبي: صالح متروك، قلت: هو من رواة أبي داود والترمذي) (١).

(الحالّ) هو الذي يحل منزله، و (المرتحل) هو الراحل والمسافر، ومعناه: أنه لا يختم القرآن إلا ويبدؤه من جديد، فلا يقف بعد ختمه أو يرجئ التلاوة.

وورد في رواية في كنز العمال في شرحه: "الخاتم المفتتح" أي: يختم القرآن ويفتحه من جديد، ولعله أصل العادة المتبعة في بلادنا: أن خاتم القرآن يقرأ إلى "مفلحون" في أوائل سورة البقرة، ولكن الناس بدؤوا يتبعون هذه العادة كأدب من الآداب المتبعة، ولا يواصلون التلاوة بعده، وكان الأصل فيه أن تستأنف التلاوة لكيلا تنقطع السلسلة.

فالمقصود الظاهر فيه إكمال القرآن، فيجب الاهتمام به، وفي شرح الإحياء، وذكر العلامة السيوطي أيضا في الإتقان(٢): أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بعد سورة الناس "إلى مفلحون" من سورة البقرة، ثم يدعو دعاء ختم القرآن (٣).

---

(١) انظر مستدرك الحاكم ٧٥٨/١ وصححه وتعقبه الذهبي كما بينه المصنف، وقال الحاكم: وله شاهد من حديث أبي هريرة ثم ساقه فتعقب عليه الذهبي: لم يتكلم عليه الحاكم وهو موضوع على سند الصحيحين، والمقدام متكلم فيه والآفة منه، انتهى

ورأيت ترجمة صالح بن بشير المري في تهذيب التهذيب فوجدت تضعيفه عن ابن معين في روايتين عنه، وابن المديني، وعمرو بن علي، والجوزجاني، وأبي داود، والنسائي، وابن عدي، والبخاري، وما رأيت توثيقه إلا عن ابن معين في إحدى الروايات فقال: ليس به بأس، فتدبر والله أعلم.

(٢) قال السيوطي في الإتقان في آداب التلاوة ١١١/١: أخرج الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن أبي بن كعب: أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان إذا قرأ قل أعوذ برب الناس افتتح من الحمد، ثم قرأ من البقرة إلى وأولئك هم المفلحون، ثم دعا بدعاء الختم ثم قام، انتهى وما ظفرتُ به بعد بحث.

(٣) دعاء ختم القرآن أخرج البيهقي فيه حديثاً ضعيفاً واهياً في الشعب برقم: ١٩١٥ عن علي بن الحسين يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ختم القرآن، حمد الله بمحامده، وهو قائم، ثم يقول: الحمد الذي خلق السموات والأرض الحديث طويل، قال: محقق الشعب: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد: إسناده واه بمرة، والحديث يبدو عليه أثر الصنعة، وهو ليس ما يحتمل حتى في الفضائل عند الذين يجيزون العمل به، لأن فيه اثنين متهمين.

(٦) القرآن أشد تفصياً من الإبل في عقلها :

عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ: "تعاهدوا القرآن ، فو الذي نفسي بيده ، لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها " (رواه البخاري ومسلم) (١).

إن الإنسان إذا كان غافلا عن الماشية ، فإنها ستفلت من يده وتهرب ، وهكذا مثل القرآن ، إذا لم يهتم به الإنسان ، ويسهر على حفظه ، فإنه سينسى ، والواقع أن حفظ القرآن هو في الحقيقة معجزة مكشوفة له ، فإن حفظ كتاب آخر في نصف حجم القرآن أو ثلثه لا يصعب على المرء فحسب ، بل يعد مستحيلا تقريباً ، وقد ذكر الله تعالى حفظ القرآن في سورة القمر كمنة منه على عباده ، فنبه إليه تكرارا ، فقال : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [سورة القمر الآية : ١٧] وقال صاحب الجلالين : إن الاستفهام هنا هو بمعنى الأمر ، ومن المؤسف أن الأمر المؤكد من الله تعالى ، والذي يعاد ذكره في كتابه ، نعتبره نحن معشر المسلمين بجهلنا حماقة وإضاعة للوقت ! فهل يبقى بعد هذه الحماقة والجهالة سبب آخر للمصائب ، والدمار ، والكوارث التي تنتظرنا؟ ومن العجب أن عزيراً عليه السلام دعي بابن الله ؛ لأنه أملى من ذاكرته كتاب الله التوراة ، أما نحن فرغم عموم هذه المنة الإلهية ، واللطف على المسلمين التي جعلت حفظ القرآن عادة مألوفة ميسرة مشهورة ، لانقدرها حق قدرها ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء الآية : ٢٢٧].

لا شك أن حفظ القرآن من منن الله وكرمه على عباده ، فإذا غفل عنه عبد بجهله ينساه ، وقد وردت عدة روايات تتوعد على نسيان القرآن بعد حفظه ، فروي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ: "عرضت علي ذنوب أمتي ، فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن ، أو آية أوتيها رجل ، ثم نسيها "(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن برقم: ٥٠٣٣ ومسلم في صلاة المسافرين باب الأمر بتعهد القرآن برقم: ٧٩١

(١) رواه أبو داود برقم: ٤١٦ والترمذي برقم: ٢٩١٦ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، قال: وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه ، واستغربه قال محمد: ولا أعرف للمطلب بن عبد الله سماعا من أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا قوله: حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ قال: وسمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول: لا نعرف للمطلب سماعا من أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال عبد الله: وأنكر علي بن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس انتهى ←

وعن سعد بن عبادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله أجذم"(١).

وذكر في جمع الفوائد رواية للرزين على أساس الآية ، فاقرؤوا إن شئتم : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه : ١٢٤ـ١٢٦].

(٧) الاكتساب بالقرآن يعود وبالا يوم القيامة :

عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قرأ القرآن يتأكل به الناس ، جاء يوم القيامة ، و وجهه عظم ليس عليه لحم" (رواه البيهقي في شعب الإيمان) (٢).

المراد من الحديث الشريف : أن الذين يقرؤون القرآن لكسب غرض دنيوي لن يكون لهم نصيب في الآخرة ، وقد روي عن جابر رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نقرأ القرآن ، وفينا الأعرابي ، والعجمي ، فقال : اقرؤوا ، فكل حسن ، وسيجيء أقوام يقيمونه كما

وقال العراقي في المغني ١٨/٤ : سكت عليه أبو داود ، واستغربه البخاري ، والترمذي.

(١) أخرجه أبو داود في الوتر باب التشديد في من حفظ القرآن ، ثم نسيه برقم: ١٤٧٤ والدارمي في فضائل القرآن برقم: ٣٣٤٠ والبيهقي في الشعب برقم: ١٨١٧ وسنده ضعيف ، قال المنذري في مختصر السنن ١٣٩/٢ : في إسناده يزيد بن أبي زياد الهاشمي مولاهم الكوفي كنيته أبو عبد الله ، ولا يحتج بحديثه ، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: عيسى بن فايد: روى عن من سمع سعد بن عبادة ، فهو على هذا منقطع أيضاً.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٢٣٨٤ وأخرج ابن أبي شيبة برقم: ٣٠٦٢١ عن زاذان من قوله: من قرأ القرآن ليتأكل به الناس ، لقي الله وليس على وجهه مزعة لحم.

قال ابن حبان في المجروحين في ترجمة أحمد بن ميثم ١٤٨/١ : روى عن علي بن قادم عن سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن يأكل به الناس ، جاء يوم القيامة ، ووجهه علقة ليس عليه لحم.

وبإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فأخذه بضاعة ، فاستجر به الملوك ، واستمال به الناس ، ورجل قرأ القرآن ، فأقام حروفه ، وضيع حدوده ، كثر هؤلاء من قراء القرآن لا كثرهم الله ، ورجل قرأ القرآن ، فوضع دواء القران على داء قلبه ، فأسهر به ليله ، وأظمأ به نهاره ، فأقاموا به في مساجدهم ، بهؤلاء يدفع الله البلاء ، ويزيل الأعداء ، وينزل غيث السماء ، فوالله لهؤلاء من قراء القرآن أعز من الكبريت الأحمر.

أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي بمكة ثنا أحمد بن ميثم بن أبي نعيم ثنا علي بن قادم بالحديثين جميعا ، وهذان حديثان لا أصل لهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى.

يقام القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه" (١) ومعنى الحديث: أنهم يحسّنون الأحرف والكلمات ساعات، ويتكلفون فيه، ويصطنعون في تصحيح مخارج الحروف، ولا يكون هذا الجهد كله إلا للدنيا، ولا يكون لهم هم بالآخرة، والمراد منه: أن تحسين الصوت لا يُجدي نفعا إذا كان غير مقترن بالإخلاص، أو كان لكسب الدنيا وحدها.

والمراد من الوجه العظم بدون اللحم، أنه بسبب إهماله بأشرف الأشياء، وجعله وسيلة للاكتساب الدنيوي، يُحرم جمالَ أشرف الأعضاء.

وروي: أن عمران بن الحصين مر على قارئ يقرأ، ثم يسأل، فاسترجع ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس(٢).

و روي عن المشايخ: أن من طلب المال بالعلم كان كمن مسح أسفل نعله بثوبه لينظفه، ولا شك أن الحذاء سينظف به، ولكن تنظيفه به حماقة قصوى، وقد نزلت هذه الآية في مثل هؤلاء الناس: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [سورة البقرة: ١٦-١٧].

و روي عن أبي بن كعب أنه قال: علمت رجلا القرآن، فأهدى إلي

(١) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب ما يُجزئ الأمي والأعجمي برقم: ٨٣٠ والبيهقي في الشعب برقم: ٢٣٩٩ والبغوي في شرح السنة برقم: ٦٠٩، وله شاهد من حديث سهل بن سعد الساعدي عند أبي داود برقم: ٨٣١ والبيهقي في الشعب برقم: ٢٤٠٣.

(٢) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن برقم: ٢٩١٧، وقال: هذا حديث حسن، وخيثمة (الذي رواه عن الحسن البصري عن عمران) هذا شيخ بصري يكني أبا نصر، قد روى عن أنس بن مالك أحاديث، وقد روى جابر الجعفي عن خيثمة هذا أيضاً أحاديث، وأخرجه أحمد برقم: ١٩٩١٧، وإسناده ضعيف من أجل خيثمة، ولكن الحديث حسن لغيره؛ لأنه روي في الباب أحاديث أخرى، منها: حديث جابر بن عبد الله قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا فيه قوم يقرؤون القرآن قال: اقرؤوا القرآن، وابتغوا به الله، من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه. أخرجه أحمد بسند صحيح برقم: ١٤٨٥٥.

ومنها: حديث عبد الرحمن بن شبل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اقرؤوا القرآن ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، أخرجه أيضاً أحمد بسند صحيح برقم: ١٥٥٢٩. ومنها: حديث سهل بن سعد الساعدي قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ونحن نقترئ فقال: الحمد لله، كتاب الله واحد وفيكم الأحمر وفيكم الأسود، واقرؤوه قبل أن يقرأه أقوام يقومونه كما يقوم ألسنتهم، يتعجل أحدكم أجره، ولا يتأجله. أخرجه ابن حبان بسند لا بأس به برقم: ٧٦٠، ثم قال: كذا وقع السماع وإنما هو السهم، وروي مثل ذلك عن أنس عند أحمد برقم: ١٢٤٨٤ بسند ضعيف.

قوسا، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن أخذتها أخذت قوسا من نار، فرددتها" (١).

وكذلك قال عبادة بن الصامت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُشغل، فإذا قدم الرجل مهاجرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا، كان معي في البيت، أعشيه عشاء البيت، وكنت أقرئه القرآن، فانصرف إلى أهله، فرأى أن عليه حقاً، فأهدى إلي قوسا، لم أر أجود منها عوداً، ولا أحسن منها عطفاً، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: ما ترى يا رسول الله ﷺ؟ فقال: جمرة بين كتفيك إن تعلقتها، أو قال: تقلدتها (٢).

ولا يسعُني في هذا المجال بعد ذكر هذه الأحاديث النبوية إلا أن أسترعي انتباه حفاظ القرآن الذين يعلمون في المدارس القرآنية، وليس هذا الشغل لهم سوى كسب المال، فألتمس إليهم بكل أدب واحترام لهم، وأشهد الله أن يفكروا لحظة، ويتدبروا في منصبهم ومسئوليتهم، فإن الذين يريدون إيقاف حفظ القرآن، وتعليمه، تأثرا بسوء معاملتكم، وسلوككم، لا يتحملون هذا الويل وحدهم، فإنكم تشاركونهم في مساعيهم لمنع تعليم القرآن، وتتحملون بأنفسكم أيضا هذه المسئولية، وإنكم تحسبون أنكم تنشرون القرآن وتُفشونه، ولكنكم في حقيقة الأمر تصدون عنه بسبب أعمالكم وسلوكَكم التي تجلب اللوم، وتجبر الآخرين على ترك تعليم القرآن، ولم يُجز العلماء تقاضيَ المرتب على التعليم، لنجعله هدف حياتنا وغايتنا، بل الغرض الأساسي: هو التعليم، ونشر العلم والقرآن، وليس المرتب مكافأة عليه، بل شكل لسد الحاجة، اختير كرها ومرغما بالضرورة.

(١) أخرجه ابن ماجه في التجارات برقم: ٢١٥٨ قال البوصيري في الزوائد ص: ٣٠١: إسناده مضطرب، كما قال الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن سلم، وله شاهد من حديث عبادة.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم: ٢١٥٧ وأحمد برقم: ٢٢٧٦٦ وللحديث شاهد عن أبي الدرداء عند البيهقي في السنن الكبرى ٩/٥٢ في كتاب الإجارة باب: من كره أخذ الأجرة على تعليم القرآن برقم: ١١٨٩٥ دار الفكر بيروت لبنان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أخذ قوساً على تعليم القرآن، قلده الله قوساً من النار، لكن نقل البيهقي عن دحيم: أنه ليس له من رواية أبي الدرداء أصل والله أعلم.

خاتمة المطاف:

كان المقصود من إيراد هذه الأحاديث وذكر الفضائل عن كتاب الله العزيز خلق المحبة معه، لأن حب كلام الله يلزم حب الله تعالى، وإن حب أحدهما يسبب حب الآخر، فلم يكن خلق الإنسان في الدنيا إلا لمعرفة الله، وكل ماخلق سوى الإنسان خلق من أجل الإنسان، ويقول شاعر فارسي: إن السحب، والرياح، والقمر، والشمس، والسماوات، والأرض، وكل شيء آخر، خلق لأجل الإنسان، ولسد حاجته، ليعتبر أن هذه المخلوقات تسير كما أمرت به، بكل طاعة، وأمانة، وتوقيت حد لها، وقد يحدث طارئ ما يخالف العادة المألوفة في بعض الأحيان، ولوقت معين من أجل إيقاظ الإنسان، وتنبيهه فيختلف المطر عن موعده، والرياح عن وقتها، وكسوف الشمس، وخسوف القمر، وكل تغير آخر في سير هذه الكائنات، لا يحدث إلا لإنعاش الغافلين، وإيقاظهم، ومن عجب العجائب أن تسخير هذه المخلوقات للإنسان، التي تقوم بما فوض إليها، بكل طاعة، وخضوع، وانقياد تام، لا يحدث في الإنسان الشعور بالطاعة، والانقياد، والعبودية.

إن خير المعين على الطاعة والانقياد هو الحب، "إن المحب لمن يحب مطيع"، فكل من كان قلبه جريح الحب والعشق، ينقاد لمن يحب، ويشق عليه الانحراف عن طاعته ورضائه، كما تشق على النفس الخالية عن الحب طاعة أحد، وإن مشاهدة الكمالات والجمال تحمل النفس على الإعجاب بصاحب الجمال، والغرام به، سواء كان ذلك بالحواس الظاهرة، أو باستحضار في الحواس الباطنة، فإذا كان الإنسان يفتتن حيناً بجمال وجه حسن، وينقاد له، فإن صوتاً ملائكياً قد يسحر النفس حيناً، ويأسر القلب.

والأذن تعشق قبل العين أحياناً:

فلا يهيج جمال الوجه وحده الغرامَ في النفس، كما لا يتقيد الحب

بالمظهر، فإن هذه تنجم حيناً عن الكلام، فلا يقع صوت في أذن إلا وينساق القلب، وتنجذب النفس إليه، ويجذب جمال الكلام أحياناً إلى صاحب الكلام، ويولد في القلب الحب معه، وذكر أهل الفن أن استحضار صفات أحد ومميزاته، وخصاله، يحدث أيضا في القلب الانجذاب إليه، والافتتان به، فيركز عليه ويخلي القلب عما سواه، فتكون هذه العواطف في الغرام الطبيعي من غير قصد، فإن نظرة عابرة على وجه جميل أو يد جميلة تدفع الإنسان إلى أن يسعى ويجهد لينظر إلى الأعضاء الأخرى، ليزداد حبه و غرامه، ويرتاح به قلبه، وأنى للقلب أن يرتاح ويطمئن؟ وللنفس أن تصبر وتشبع؟ فكل نظرة، وكل خيال وطيف للحبيب، يزيد الوجد والهيام به، ويهيج الآمال، والأحلام، فلا يُداوى الحب إلا وتزداد لوعته.

إذا نثرت البذور في حقل، ثم تركتها على حالها مهجورة بدون ري، فإنها لابد من أن تتلف، ويضيع المحصول، وإذا وجد في قلب حب بدون قصد وإرادة، ثم أهمله القلب، ولم يلتفت إليه، فإن هذا الحب لا محالة زائل آجلا أو عاجلا، ولكن إذا سهر المحب على إحيائه، وإنعاشه، وظلت صورة الحبيب وحركاته في مخيلته، وكلام المحب يتمثل في ذاكرته، ويتلذذ به قلبه، ويتخيل في مُهجته وجهه، وغمزاته، فإن الحب يَحيي ويعيش ويخلد، وتتجدد ملامحه كل حين، وتتقوى، فمن التحق بمدرسة الحب، وحفظ دروسها، لم تتخلص مسئولياته، وواجباته، ومن نسي دروسها، أعفي عنها فوراً، فكلما أتقنت دروسها، توثقت عراها.

إن تصور وجه شخص، وحركاته، يحدث في القلب الحنين إليه، وشوق اللقاء به، وإن تتبعه يزيد الشوق والوله، فلا يقف هذا المحب عند حد وغاية، ولا يشبع بنعمة منه، بل دائما يطلب المزيد، ولا يقتنع برؤية عضو من أعضاء الحبيب الفاني، ويزداد الحرص على المزيد، ويتقوى الفهم على التمتع، والاستمتاع بكل ما أمكن، وقدر عليه.

إن الله تعالى منبع كل جمال وحسن، ولا جمال في الواقع في الدنيا إلا جماله، إنه حبيب لا غاية لجماله، ولا نهاية لكماله، ولا حد لنعمه، ومن

أنعمه وجماله وإعجازه الغير المتناهي كلامه الذي سبق أن قلت: إن انتسابه إليه يغني عن وجود أي كمال آخر، وللمحبين لا تساويها نعمة أخرى، فإن الرائحة والشذى تهدي إلى الريحان.

ولو تركت هذه النسبة التي يرتبط بها مع صاحب الكلام والموصوف، فإن علاقته ونسبته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الصفات التي تكفي لتغني المسلمين عن البحث عن صفات أخرى، ثم إن ما يتصف بها هذا الكلام من خيرات، ومميزات، ومعجزات، لا تستطيع الدنيا أن تقدم مثيلها، فلم يترك القرآن ميزة تخص الطبائع البشرية، إلا وقد حواها، فليست مَحمدة واحدة يفتتن بها قلب المحب، فالقلب المغرم به واحد، والمحامد كثيرة لا تحصى.

علاقة الأحاديث المذكورة بطبائع الإنسان:

إن دراسة الأحاديث النبوية المذكورة دراسة دقيقة، تكشف للمتتبع لها أنها لم تترك ناحية من نواحي الحياة، إلا لفتت إليها، ولا يوجد صنف من أصناف الحب والافتخار، إلا وذكرت الأحاديث تميُّز القرآن فيها وفضله.

ولنأخذ مثلاً الجمال الكلي والإجمالي الذي يشمل كل شيء جميل في الدنيا، ويغطي كل جمال وكمال، فلفت إليه حديث (برقم: ١) فيبين هذا الحديث فضل القرآن الإجمالي والكلي، ولنأخذ أي صنف من أصناف الحب، فإذا عجب إنسان بانسان آخر بسبب من الأسباب غير المتناهية، فإن القرآن أفضل من ناحية هذا الفضل الكلي، ثم تحدث الأحاديث بعده، عن أسباب العلاقة والحب، ففضلت القرآن على جميعها للتمثيل، فإذا كان أحد يحب شخصاً بسبب الثمرات، والمنافع، والجزاء، والإحسان، فإن الله تعالى يعد بأن يجزي المشغول بالقرآن أكثر من كل سائل، انظر الحديث (برقم: ٢).

يعجب قوم بالفضل الذاتي والصفات الشخصية، والأخلاق الذاتية، فيتأثرون بمن يتصف بهذه الصفات السامية، والفضائل الذاتية، فيقول الله تعالى: إن فضل القرآن على كل شيء في الدنيا، كفضل الخالق على عباده، والملك على مملوكه (انظر الحديث برقم: ٢ أيضاً).

تميل نفس أقوام إلى المال، والمتاع، والجاه، والخدم، والأنعام، ويعتبرون ذلك وسيلة للافتخار، والتفوق، ويجدون فيه متعة لهم، فوصف الحديث الحصول على هذه المتعة، والافتخار بدون جهد وكد، أنه أدنى فضيلة، ونبه الحديث أن تلاوة القرآن أفضل من جميع هذه الأنواع لحصول العز والشرف (انظر الحديث برقم: ٣).

إذا كانت النفس تحن إلى الزهد والتقوى، وتجهد له، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث (برقم: ٤) أن الماهر بالقرآن مع الملائكة الذين

يمثلون التقوى، فلا يقضون لحظة ضد التقوى والطاعة.

ويجد قوم المتعة والافتخار في نيل نصيبين أو أجرين، ويعتز به، فيفتخر على أن يعتبر رأيه مثل رأيين، فيعد الحديث للمتمتع أجرين (انظر الحديث برقم: ٤).

إن الذي جُبل على الحسد وسوء الأخلاق، فلا تميل نفسه إلا إلى الحسد والتباغض، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، وقال: لا حسد إلا على حافظ القرآن (انظر الحديث (برقم: ٥).

من يتلذذ بالفواكه، ويسعى إلى الحصول على مختلف أنواعها ويتباهى بها، فلا يحلو له العيش بدون الفواكه، فمثل القرآن بالأترجة. ويميل بعض الناس إلى الحلاوة، ويؤثرونها على جميع الأذواق الأخرى، فوصف الحديث أن القرآن أحلى من التمر(انظر الحدلث برقم: ٦).

وإذا كان أحد مغرما بالشرف النفسي، والرفعة الذاتية، فلا يحلو له العيش إلا باللجوء إلى وسائل تضمن له الرفعة، والجاه، والشهامة، من عضوية المجالس القومية، والبرلمانات، ويحسبها شرف النفس، فيعد الحديث له أن القرآن شرف الدنيا والآخرة (انظر الحديث برقم: ٧).

تميل بعض الأنفس إلى صديق، ومعين في حياته يأوي إليه، ويستعين به في العسر، واليسر، فيمثل الحديث لمثل هذه الطبائع أن القرآن يحاج سلطان السلاطين وملك الملوك، لرفيقه في الدنيا، ليرفعه ويشفع له (انظر الحديث برقم: ٨).

تحمل جبلة بعض الناس على كشف الغموض، والتعمق إلى بطون الأشياء، فيقضون حياتهم في سبيل البحث والتمحيص ويزهدون في الدنيا، ويستلذون بكشف الحجب المحيطة بالأسرار الكونية وغير الكونية، ويؤثرونها على كل لذة من لذات الحياة، ولمثل هؤلاء الأقوام يحمل حديث (برقم: ٨ أيضا) أهمية خاصة، حيث إنه يغريهم بمعرفة بطن القرآن، ومعانيه غير الظاهرة.

يكافح بعض الناس لتشييد بيوت عالية شامخة ذات الطوابق المتعددة ويريد أن يكون مأواه على أعلى الطوابق، فيوجه حديث (برقم: ٩) نداءه إلى هذه الطبيعة الإنسانية الخاصة، ويهز مشاعرها بوعده أن قارئ القرآن يرتقي إلى أعلى المنازل حسب قراءته، حتى يصعد بعض القارئين إلى الطابق السابع ألف.

تميل بعض الأنفس البشرية إلى عدم إجهاد النفس، فترغب في أن تكسب الكثير بالجهد القليل، فيعد الحديث لأصحاب مثل هذه الطبائع أن الله يجزي على كل حسنة بعشر أمثالها (انظر الحديث برقم: ١٠).

ومنهم من تغلبهم النهامة، والحرص على الحصول على الملك، والمال الكثير، والتاج، والعرش، فيجد من رزق مثل هذه الطبيعة متعته، وإرواء غليله في حديث (برقم: ١١) الذي يقول: إن الله تعالى يلبس والدي قارئ القرآن تاجا يزيد ضوؤه ضوء الشمس التي كانت في البيت، ومن الناس من تميل نفسه إلى الشعوذة، ويضع يده على النار، فلا تحترق يده، ويضع الكبريت في فيه، فلا يشعر، فيستلفت حديث (برقم: ١٢) هذه الطبقة ويقول: إن القرآن إذا وضع في إهاب، ثم وضع على النار لما احترق.

يجد بعض الناس متعة بقبول شفاعتهم في حق الآخر، فيكافحون ليرتفعوا إلى مرتبة، أو منزلة عند الملوك، أو الأمراء، أو الوزراء، لتقبل شفاعتهم مهما كلف ذلك من ثمن، أو تضحية، فيثير الحديث (برقم: ١٣) غريزة هذا الإنسان، ويعده بأن القرآن يمنح رفيقه حق شفاعة عشرة أشخاص، كانوا قد استحقوا النار.

ومن الناس من وُهب ذوقا خالصا للروائح والعطور، ويبلغ به الغرام بالرياحين والزهور مبلغ الجنون، فلمثل هذا الإنسان تمثيل القرآن بجراب يحشو مسكا، وأنى لهذا المسك أن يقارن بذلك المسك، فشتان بين الثرى والثريا؟ (انظر الحديث برقم: ١٤).

يوقظ أدنى تنبيه بل التلميح شعور بعض الناس وضميرهم، ويصلح بالهم، ويقومهم، ومن الناس من لا يؤثر فيهم الكلام بالرفق، فلا يؤثر فيهم الترغيب والتبشير، لأنهم تعودوا على الترهيب الغليظ، فوصف القلب الخالي من القرآن بالبيت الخرب في الحديث (برقم: ١٥).

من الناس من يحرص دائماً على رفع الدرجات، ويسعى إلى الكسب الكثير من الخيرات، والحسنات، فلا يطمئن باله على حال، فوصف لهذا الصنف من أن قراءة القرآن أفضل العبادات، وصرح الحديث أن قراءته أفضل

من كل تسبيح، وتهليل، وصلاة غير مكتوبة (انظر الحديث: برقم١٦).

يتملك بعض الناس حب الأنعام، والمواشي، وخاصة العظام السمان، فيزيد فيها الثمن، ويقتنيها، مهما بلغ به الجهد والنفقة، فنبههم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته، خير له من ثلاث خلفات عظام سمان" (انظر الحديث برقم: ١٧).

يهتم بعض الناس بالصحة، ويغالون فيها، فيكون همهم دائماً أن يحصلوا على مختلف أنواع من الأدوية، لعلاج ما يعتريهم من أمراض، ويلجؤون إلى مختلف الوسائل للاحتفاظ بصحتهم، من الرياضة، والاستحمام اليومي، والعَدْو، والنزهة في الصباح، ولذلك يعاني أناس من الهم والاضطراب النفسي، فلا يسعدون بحال، فيعالجهم هذا الحديث بقوله: إن القرآن جلاء لصدأ القلوب (انظر الحديث برقم: ١٩).

تختلف ميول الناس إلى الافتخار، والرفعة النفسية، فلكل إنسان اتجاه خاص، فمنهم من يفتخر بنسبه، وعرقه، ومنهم من يعتز بعاداته، وأخلاقه، ومكانته في الناس، ومنهم من يتباهى بسلوكه، وحكمته، وتدبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن بهاء أمتي وشرفها القرآن" فالقرآن يجمع كل جمال وكمال، فإذا اجتمع الوصفان في شيء، فإنهما يميزانه (الحديث برقم: ٢٠).

من الناس من يسعى إلى ادخار المال، والكنز، يعيش على القليل، والكفاف، ليجمع المال، فلا يخرج من هذه الورطة، والعقدة النفسية، فحول النبي صلى الله عليه وسلم حرصه على جمع المال إلى ما هو خير منه، فقال: إن تلاوة القرآن نور في الأرض، وذخر في السماء، فجمع الحديث الشريف من يحرص على الكنز، وآخر من يتهافت على تزيين البيت بالنور والمصابيح (الحديث برقم: ٢١).

وإذا كنت ترغب في أن ترسل إليك التحف، والهدايا المتنوعة، فلا تصادق الناس، ولا تقيم العلاقات معهم إلا لهذا الغرض، فإذا ضن أحد في ماله وثماره ولم يرسل إليك فواكه بستانه، تشمئز منه، وتلومه، فإن قارىء القرآن تهدى إليه السكينة، فهل هدية أعلى من هذه الهدية؟ (انظر الحديث برقم: ٢٢).

وإذا كان ذكرك في البلاط الملكي، أو عند الأمراء، وأولي الجاه والشرف، يغريك بتحمل المتاعب، والمساعي للوصول إلى هذه المنزلة، فإن القرآن هو خير شفيع لك عند أحكم الحاكمين. فيذكر الله تعالى من يقرأ القرآن فيمن عنده من الملائكة المقربين (انظر الحديث برقم: ٢٢أيضا).

إذا كنت حريصا على أن تقتني أجمل الهدايا لتقدمها إلى حبيبك، لتستهوي قلبه، وتستميله إليك، بهديتك الفاخرة النادرة، فإن القرآن خير ما ترجع به إلى الله سبحانه وتعالى (انظر الحديث برقم: ٢٣).

يفتخر بعض الناس بأنهم من رجال البلاط، وحاشية الملك، ويسعى من لا ينال هذه المرتبة إلى الوصول إليها، فيدبر لها، ويتآمر، ولمثل هؤلاء الناس الذين يستميلهم الانتماء إلى رجال الحاشية الملكية، متعة خاصة في قراءة القرآن، حيث إن قراءته تلحقهم بأهل الله تعالى، وهو رب العالمين، وخالق الملوك والجبابرة. (انظر الحديث برقم: ٢٤).

ولنلتفت هنا برهة لنفكر في أنفسنا، فإن الحرص على الجاه، والشرف الذاتي، قد أوصل الناس إلى الحضيض، فكم من التضحيات، تبذل للحصول على عضوية في المجالس الرسمية، والتقرب إلى عمال الحكومة وموظفيها الكبار، فلا يدخر الناس جهدا في هذا السبيل، لأنهم يحسبون أن التفاتهم إليهم، وعطفهم عليهم، يرفعهم في أعين الناس، ويعزهم، مهما ضحوا في ذلك من الدين، والدنيا، فهل التقرب إلى المالك الحقيقي، والانتماء إلى أهله وخاصته، أقل درجة من التقرب إلى هؤلاء الأمراء والنبلاء؟! ولا يستحق ذلك جهدا قليلا من الناس! فلينفقوا على هذا الغرار الخادع في الحياة ما ينفقون من العمر والمال، ولكن الذي خلق الحياة، وهو المعز والمذل، وهو المحي والمميت، يدعونا إلى أن ننفق مما آتانا من المال والحياة، فلابد من أن نخصص له لرضاه مما آتانا الله من المال والنفس.

إن الطبائع التي يستهويها الغناء، فتميل إلى الشِشْتية (١) ويجلس أصحاب هذه الطبائع في مجالس الغناء لإ رواء غليل، فإن مجالس التلاوة أحلى من هذه

(١) طريقة منتشرة في الهند تنسب إلى الشيخ الكبير معين الدين الششتي دفين أجمير.

المجالس، وأجدر أن تأخذ بالقلوب، وتسحرها، وتغني عن أحلى غناء وألذه. (انظر الحديث برقم: ٢٥و٢٦).

إن القرآن أقصر طريق للوصول إلى المالك الحقيقي؛ فإن الله تعالى يصغي إلى قارئ القرآن، ويتقرب إليه (انظر الحديث برقم: ٢٥و٢٦أيضاً).

إنكم تدعون أنكم مسلمون، وتفتخرون بالإسلام، إن النبي صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تتلوا القرآن حق تلاوته، فإذا كان الإسلام لديكم أكثر من الدعوى اللفظية، وإذا كانت علاقتكم بالله سبحانه وتعالى، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، وبالإسلام، علاقة حقيقية، غير كلامية محضة، فإن الله يأمركم بتلاوة القرآن (انظر الحديث برقم: ٢٧).

إنكم تتحمسون لقوميتكم، وتتعصبون لها، وتتمسكون بأزيائكم وشعائركم القومية والدينية، لأنكم تحسبون أنها شعار لدينكم، وأمتكم، وتبذلون جهودكم لنشرها وترويجها، وتتخذون تدابير لتعميمها بالمقالات في الجرائد، والمجلات، والاجتماعات، واتخاذ قرارات في الحشود، والحفلات الجماهيرية، والخاصة، للتشديد على مطالبكم، وتأكيدها، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بأن تتخذوا القرآن شعارا لكم، وتبذلوا أقصى جهدكم لإفشائه ونشره (انظر الحديث: برقم: ٢٧ أيضاً).

إن هذا الموضوع، موضوع مثير، يثير في القلب شكاوي، ويؤلمه، وخاصة عندما ننظر إلى زعماء الأمة، وقادتها، ودورهم في نشر القرآن، ومعونتهم في هذا السبيل، فليفكر هؤلاء الزعماء والقادة تفكيراً جدياً، ألا يتحملون مسئولية في سد إمكانيات دراسة القرآن وحفظه؟

فقد أهمل زعماؤنا تعليم القرآن، وتغافلوا عنه، وبدأ بعضهم ينظر إليه بعين الازدراء، يعتبرونه إضاعة للوقت، وإرهاقا للفكر، وجهاداً غير لائق، ويمكن أن تكونوا غير متفقين بهذه الفكرة، ولكن فكروا أيها السادة أليس صمتكم على جهود طائفة تجهد ضده معونة وتأييداً لجهودها؟ ولنعترف أنكم تشمئزون من جهودها ونشاطاتها، ولكن هذا الاشمئزاز لا يُجدي نفعاً إذا كان مقروناً بالتسامح والغفلة.

إنهم ينكرون أهمية تعليمه بكل قوة وفعالية، بدليل أن معلمي المكاتب الإسلامية، وأئمة المساجد، جعلوه وسيلة للرزق، والكسب، إنه طعن وتهمة على الأئمة عامة، وهي مسئولية خطيرة، سوف يجيبون عليها عندما يحين وقتها، ولكني أسائلكم بكل أدب واحترام لائقين بكم: بالله أجيبوا، ألا ترون عواقب أغراض هؤلاء الأئمة في المساجد بأنفسكم في هذه الدنيا، وماذا تكون عواقب قراراتكم المخلصة وثمارها، وما تؤدي إليه هذه القرارات في خدمة القرآن ونشره؟.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أمراً واضحاً بنشر القرآن، فعليكم أن تقرروا بأنفسكم، إلى أي مدى تمتثلون بأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ولعلكم تجدون تسلية لقلوبكم في زعمكم أنكم لا تشاركون في المجهودات التي تبذل لوقف تعليم القرآن، فإذا كان ذلك حقاً، فلا يغيبن عن بالكم أن هذا العذر لن ينقذكم عن تحمل المسئولية، فقد سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: "أنهلك وفينا الصالحون؟ "قال صلى الله عليه وسلم: "نعم إذا كثر الخبث" (١) وفي رواية: "أوحى الله تعالى إلى جبرئيل عليه السلام: أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها، فقال: يا رب! إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين، قال: اقلبها عليه وعليهم، فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط" (٢).

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ويل للعرب من شر قد اقترب برقم: ٧٠٥٩، ومسلم في الفتن أيضاً باب اقتراب الفتن برقم: ٢٨٨٠ عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٧٦٦١ والبيهقي في الشعب برقم: ٧١٨٩ عن عبيد بن إسحاق العطار عن عمار بن سيف عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله مرفوعاً قلت: وعمار بن سيف ضعيف قال ابن عدي ٧١/٥: الضعف بين في حديثه، ونقل الحافظ في تهذيب التهذيب ٤٠٢/٧ تضعيفه عن ابن معين، وأبي زرعة، وأبي حاتم، وأبي داود، والدارقطني، والحاكم، والبخاري، والبزار، وأبي نعيم، وإن كان بعضهم أثنى عليه خيراً من حيث الصلاح والخير، ووثقه العجلي وابن معين في رواية أخرى.

وقال ابن القيم في الجواب الكافي ص: ٦٥-٦٦ طبعة جمعية إحياء التراث الإسلامي الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م بتحقيق أحمد بن محمد آل نبْعة قال: ذكر ابن عبد الله عن أبي عمران قال: بعث الله عزوجل ملكا إلى قرية بنحوه ثم قال: وذكر الحميدي عن سفيان بن عيينة قال: حدثني سفيان بن سعيد عن مسعر أن ملكا أمر أن يخسف قرية نحوه. انتهى

قلت: وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٧١٨٨ عن مالك بن دينار من قوله، وقال: هذا هو المحفوظ من قول مالك بن دينار، وقد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً ثم روى حديث جابر المتقدم، وقال الهيثمي عن حديث جابر ٢٧٣/٧: هو من رواية عبيد بن إسحاق العطار، عن عمار بن سيف، وكلاهما

إن هذا الوضع هو الذي يدفع العلماء في الواقع إلى إظهار استنكارهم وسخطهم على كل ما يعتبرونه خلافاً للشرع، فيسوء ذلك الطبقة التقدمية المزعومة، فتصفهم بضيقي الفكر، فلا يخدعنكم هذا التحرر الفكري والخلقي، فإن هذه الفريضة لا تخص بالعلماء وحدهم، بل إن كل شخص يرى منكراً، ويقدر على منعه، مسئول عنه، فإن أعرض عن هذه المسئولية، وأهمل هذا الواجب، ولم يُبد استنكارَه على المكروه، فسيكون له نصيب منه، وقد روي عن بلال بن سعد: "إذا أخفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها، وإذا ظهرت فلم تغير، ضرت العامة" (١).

يتحمل بعض الناس الصعاب في البحث عن الآثار، وما يرجع إلى القرون الأولى، فيراجعون التاريخ القديم، ويقومون برحلات بعيدة لمعرفة أحوال السابقين، فيغني القرآن عن جميع هذه الكتب المقبولة المتداولة لما فيه بيان وتفصيل عن الماضين (انظر الحديث برقم: ٢٨).

وإذا كنتم تتمنون أن تصلوا إلى أعلى درجات الشرف والسمو التي يجلس بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في مجلسكم، ويؤمرون بالاشتراك فيه، والاستماع إليكم، فإن هذه الدرجة والمرتبة تحصل أيضاً بقراءة القرآن (انظر الحديث برقم: ٢٩).

وإذا كنتم قد بلغتم من الكسل مبلغاً يقعدكم عن العمل، والجهد في سبيل كسب الخير، فإن سماع القرآن في كُتَّابٍ يقرأ فيه الأطفال يثيبكم أجراً بدون جهد له (انظر الحديث برقم: ٣٠).

وإذا كنتم مغرمين بالألوان المتنوعة، وتسأمون من نوع معين، وتريدون الجديد، والمزيد، فالقرآن ذخر لكم، ومتعة، لأن فيه منوعات من المواضيع: من الرحمة، والعذاب، ومن القصص، والأحكام، ولكم حرية في كيفية القراءة، تقرؤونه جهراً أو سراً، فلكم الأجر دائماً أبداً (انظر الحديث برقم٣١).

وإذا تجاوزت في المعاصي كل حد وغاية، وكنت تؤمن بالموت، والبعث

ضعيفان، ووثق عمار بن سيف: ابنُ المبارك وجماعة، ورضي أبو حاتم عبيد بن إسحاق.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٧١٩٦ عن بلال بن سعد من قوله.

بعده، فلا تقصر في التلاوة، فإن القرآن شافع ليس فوقه شافع، وقد ضمن قبول شفاعته (انظر الحديث برقم: ٣٢_٣٣).

وإذا كانت طبيعتك تأبى الحجة، والاحتجاج، والجدل، فاخش حجة القرآن عليك، فإن حجته مقبولة ومصدقة، لا تجد عنه نصيراً، فإنه رفيقك ورائدك، يوصلك إلى الجنة، ويهديك إلى حبيبك (انظر الحديث برقم: ٣٤).

إذا كنت تتمنى أن تحصّل علوم الأنبياء، وتحلّم بها، فاقرأ القرآن، وارتق في العلوم والمعرفة، وكذلك إذا كنت تريد أحسن الأخلاق، ومكارمها، فاتل القرآن، وأكثر تلاوته (انظر الحديث برقم: ٣٥).

إذا كانت نفسك الجريحة لاتحلو، ولا تطمئن، إلا بالنزهة على الجبال والمصايف، فتبذل الغالي والنفيس، وتتحمل الصعاب في رحلة إلى جبل، فإن قراءتك للقرآن توصلك إلى كثبان المسك في وقت تغمر الأغراض والشح أناساً آخرين، وتلهيهم (انظر الحديث برقم: ٣٦).

وإذا كانت نفسك تأبى إلا أن تصل إلى أعلى درجة الزهاد، فلا تتوقف عن الصلوات، والأدعية، والنوافل ليلا ونهاراً، فإن قراءة القرآن ودراسته لكم أفضل من ألف ركعة (انظر الحديث برقم: ٣٧).

وإذا كنت تريد أن تبتعد عن كل خصام في الدنيا وفساد فيها، فإن القرآن يحفظك عن الفتن، ويخرجك منها (انظر الحديث برقم: ٤٠).

الخاتمة:

إن القرآن رفيقك، وطبيبك، ففي سورة الفاتحة شفاء عن كل مرض.

إذا كانت أغراضك ومطامعك لا تنتهي فاقرأ سورة يس.

وإذا كنت حريصاً على جمع المال، فاقرأ سورة الواقعة كل يوم، ففيها غنى لك.

إذا كنت تخشى عذاب القبر، ولا تستطيع أن تحتمله، ففي القرآن الكريم نجاة لك، ووقاية.

وإذا كنت تسعى إلى عمل يشغل فكرك، وتقضي فيه أوقاتك، فالقرآن شغل شاغل، ولا يوجد عمل أفضل منه.

واحذر أن لا تسلب منك هذه النعمة بعد أن تفوز بها، فليس أحد أسوأ حظاً ممن يخرج عن نعمة أو ملك أوتيه، ولا تعمل عملا يحبط عملك، وتكتب لك سيئة، وما علينا إلا البلاغ.

المحبة ملاك العمل:

كيف يستطيع أن ينتبه لفضائل القرآن عاص مثلي؟ وقد بينت ما انكشف لفكري وعقلي المحدود، إلا أن المحققين والحكماء يستطيعون أن يفكروا ويتدبروا، فالطريق مفتوح أمامهم، لأن أسباب المحبة التي قال رجال الفن: إنها وسيلة للمحبة، تتكون من خمسة أمور:

أولاً: الوجود الذاتي، فإن الإنسان يحب ذاته، ولما أن القرآن يقي الحوادث، والفتن، فإنه يسبب لحياة الذات وبقائها.

ثانياً: المناسبة الطبيعية، ولا يمكن في هذا الصدد إيضاح أكثر من أن الكلام صفة إلهية، وأن المناسبة التي توجد بين المالك ومملوكه، والسيد وعبده، لا تخفى على العالمين.

ثالثاً: الجمال.

رابعاً: الكمال.

خامساً: الإحسان، فإذا تدبرتم الأحاديث المذكورة عن هذه الأمور الثلاثة الأخيرة، فإنكم سوف لا تقتصرون على ذلك الجمال والكمال اللذين أوضحهما هذا الكاتب بفهمه الناقص، بل إنكم ستصلون بدون تردد إلى الواقع: أن العز، والافتخار، والشوق، والسكون، والجمال، والكمال، والإكرام، والإحسان، واللذة، والراحة، والمال، والمتاع، وغيرها من الأمور الأخرى في الحياة التي تتكون منها المحبة، قد بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم، وفضل القرآن في نوعها، إلا أن التستر في الحجاب هو من لوازم الدنيا، ولكن العاقل لايتحاشى فاكهة إذا كانت قشرتها شائكة، ولا يمقت خاسر في الحب حبيبة؛ لأنها محتجبة أو مبرقعة، فيحاول ويجهد ليميط اللثام، ويزيح الحجاب، فإن فشل في مجهوده، فإنه يقر عينه، ويسلي قلبه من وراء الحجاب، وإذا أيقن حبيب أن الحبيب الذي وهب له قلبه ومهجته، ويتيه من أجله منذ سنوات، ما زال أمامه وراء حجاب، لا يقدر إذا كان مخلصاً في حبه أن يغادر المكان، أو يحول نظرته عن ذلك الحجاب.

وهكذا ليس من عقل العاقل وحكمة الحكيم أن يحول نفسه عن القرآن الكريم بعد ذكر هذه الفضائل، والمناقب، والمزايا، إذا كانت احتجبت بسبب بعض الحجب، بل يجب عليه أن يأسف على عجزه، ونقصانه، ويتدبر الكمالات.

وقد روي عن عثمان وحذيفة رضي الله عنهما ما معناه: أن القلوب إذا طهرت عن النجاسة، فإنها لا تستطيع أن تشبع أبداً بتلاوة القرآن (١).

وقال ثابت البناني: "كابدتُ القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة"(٢)

فكل إنسان يتوب عن ذنوبه، ويفكر في القرآن، يجده أنيساً، ورفيقاً له، يا ليت حصلت لي هذه اللذة!.

إني ألتمس إلى القارئين أن لا يلتفتوا إلى القائل، فلا يمنعكم عجزي

---

(١) قال الغزالي في الإحياء ٢٨٨/١ الباب الثالث: أعمال الباطن في التلاوة: وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما: لو طهرت القلوب، لم تشبع من قراءة القرآن.

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية في ترجمة ثابت البناني ٣٢١/٢.

وتقصيري عن الوصول إلى غايتكم، فانتبهوا للأمر الحقيقي، والتفتوا إلى مصادر هذه الأمور، فلست إلا ناقل خبر، وليس بعزيز على الله أن يخلق في القلب الحنين إلى حفظ القرآن.

وإذا أردتم أن يحفظ أحد القرآن، فإن هذا الأمر لا يدعو إلى عمل شاق، فإن سن الطفولة معين على الحفظ، ومساعد له، فإن أراد أحد حفظ القرآن في سن بالغ، فإني أكتب له عملا مروياً عن النبي صلى الله عليه وسلم، رواه الترمذي، والحاكم، وغيرهما(١).

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات باب في دعاء الحفظ برقم: ٣٥٧٠ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم، والحاكم في المستدرك ٤٦١/١ برقم ١١٩٠/٤٠ وصححه على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبي بقوله: هذا حديث منكر شاذ، أخاف لا يكون موضوعا، وقد حيرني والله جودة سنده، فإن الحاكم قال فيه: حدثنا أبو النضر محمد بن محمد العنزي: ثنا عثمان بن سعيد الدارمي (ح) وحدثني أبو بكر بن محمد بن جعفر المزكي، ثنا محمد بن إبراهيم العبدي قالا: حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم فذكره مصرحاً بقوله: حدثنا ابن جريح، فقد حدث به سليمان قطعاً وهو ثبت، فالله أعلم، انتهى قول الذهبي.

وقال المنذري في الترغيب ٢١٤/٢: رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، إلا أنه قال: يقرأ في الثانية بالفاتحة وألم السجدة، وفي الثالثة بالفاتحة والدخان، عكس ما في الترمذي وقال في الدعاء: "وأن تشغل به بدني" مكان: "وأن تستعمل" وهو كذلك في بعض نسخ الترمذي، ومعناهما واحد، وفي بعضهما: "وأن تغسل" ثم قال المنذري: طرق أسانيد هذا الحديث جيدة، ومتنه غريب جداً، والله أعلم.

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي وفي نفسي منه شيء فالله أعلم.

وقال الشوكاني: في تحفة الذاكرين ص: ١٧٤ قال ابن الجوزي: الوليد بن مسلم مدلس تدليس التسوية، ولا أتهم به إلا النقاش، يعني: محمد بن الحسن بن محمد المقري شيخ الدارقطني، قال ابن حجر: هذا الكلام تهافت، والنقاش بريء من عهدته، فإن الترمذي أخرجه في جامعه من طريق الوليد، قال السيوطي في اللآلي التي ألفها على موضوعات ابن الجوزي: وأخرجه الحاكم... وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم تركن النفس إلى مثل هذا من الحاكم، فالحديث يقصر عن الحسن فضلا عن الصحة، وفي ألفاظه نكارة، وأنا في نفسي (شيء) من تحسين هذا الحديث فضلاً عن تصحيحه، فإنه منكر غير مطابق للكلام النبوي، والتعليم المصطفوي، وقد أصاب ابن الجوزي بذكره في الموضوعات، ولهذا ذكرته أنا في كتابي الذي سميته: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. انتهى.

قلت: إذا كان الأئمة الأعلام في أنفسهم من هذا الحديث شيء مع نظافة إسناده، فلا ينبغي أن يغترّ بظاهر الإسناد، وأظن أن الخطأ إنما جاء من الوليد بن مسلم، وقد وصف بالتدليس والتسوية كما في التقريب. وقال الذهبي في الميزان ٣٤١/٤: قال أبو مسهر: الوليد مدلس، وربما دلس عن الكذابين، وقال: ومن أنكر ما أتى به حديث حفظ القرآن، رواه الترمذي. انتهى.

قلت: للحديث إسناد آخر عند ابن السني برقم: ٥٧٩ ص: ٣٤٨- ٣٥٠ فقد أخرج بسنده إلى هشام بن عمار ثنا محمد بن إبراهيم القرشي ثنا أبو صالح، ثنا عكرمة عن ابن عباس، قال: قال علي ابن أبي طالب... فذكر الحديث بطوله. ←

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: بأبي أنت! تفلت هذا القرآن من صدري، فما أجدني أقدر عليه، قال له رسول الله صلى الله عليه: يا أبا الحسن! أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، وينفع بهن من علمته، ويثبت ما تعلمت في صدرك؟ قال: أجل! يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمني، قال: إذا كان ليلة الجمعة، فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر، فإنها ساعة مشهودة، و الدعاء بها مستجاب، فقد قال أخي يعقوب لبنيه: سوف أستغفر لكم ربي يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة، فإن لم تستطع فقم في وسطها، فإن لم تستطع فقم في أولها، فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب، وسورة يسين، والركعة الثانية بفاتحة الكتاب، وحم الدخان، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب، وألم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب، وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد، فاحمد الله وأحسن الثناء على الله، وصل علي وأحسن، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين، والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك.

(وقبل أن أذكر الدعاء أود أن أذكر في الحمد والثناء الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، وذكرته الروايات الأخرى المذكورة في شروح الحصن: بعض الأدعية، لكي يسهل قراءتها على من لا يستطيع أن يقرأها بنفسه، ومن استطاع أن يقرأها بنفسه، فليبالغ في قراءة الحمد، ولا يكتفي بما أورده هنا، ومن أدعية الحمد:

الحمد لله رب العالمين، عدد خلقه، و رضا نفسه، و زنة عرشه، ومداد كلماته، اللهم لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، اللهم صل وسلم، وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي الهاشمي، وعلى آله، وأصحابه البررة الكرام، وعلى سائر الأنبياء، والمرسلين، والملائكة المقربين، ربنا اغفرلنا

وقد اغتر بهذا الطريق محقق "عمل اليوم والليلة" الدكتور عبد الرحمن كوثر بن الشيخ محمد عاشق، فقال: إن ابن السني روى هذا الحديث، وليس في سنده الوليد بن مسلم المذكور، ولا النقاش، الذي ذكره ابن الجوزي، فبرواية ابن السني اعتضد سند الترمذي والحاكم، وانجبر به الضعف الذي دخل من جهة تدليس الوليد انتهى.

قلت: آفة هذا الإسناد: حمد بن إبراهيم القرشي، وقد قال الذهبي في الميزان في ترجمته ٤٤٦/٣: روى عنه هشام بن عمار، ذكر خبراً موضوعاً في الدعاء لحفظ القرآن ساقه العقيلي.

ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، اللهم اغفرلي، ولوالدي، ولجميع المؤمنين، والمؤمنات، والمسلمين، والمسلمات، إنك سميع مجيب الدعوات.

ثم يقرأ الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور، وهو ما يلي:)

"اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهم بديع السماوات والأرض، ذا الجلال، والإكرام، والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك، ونور وجهك، أن تلزم قلبي حفظ كتابك، كما علمتني، وارزقني أن أقرأه على النحو الذي يرضيك عني، اللهم بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والكرام، والعزة التي لا ترام، وأسألك يا الله يا رحمن بجلالك، ونور وجهك، أن تنور بكتابك بصري، وأن تطلق به لساني، وأن تفرج به عن قلبي، وأن تشرح به صدري، وأن تغسل به بدني، فإنه لا يعينني على الحق غيرك، ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً تجاب بإذن الله، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمناً قط".

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: فو الله ما لبث عليّ إلا خمساً أو سبعا حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك المجلس فقال: يا رسول الله! إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات، ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسي تفلتن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتهن على نفسي، فكأنما كتاب الله بين عيني" الخ.

وفقني الله وإياكم برحمة نبيه صلى الله عليه وسلم حفظ القرآن والحديث، وصلى الله تبارك وتعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد، وآله، وصحبه، وسلم، برحمتك يا أرحم الرحمين.

تكملة:

حيث إن الأربعين من الحديث الشريف المذكور يختص بموضوع معين، فلم يختصر فيه، ولما أن الهمم في العهد الحاضر قاصرة، يصعب على الناس تحمل مشقة، مهما كانت في سبيل الدين، فأورد هنا أربعينا آخر، ومن ميزته أنه يشمل جميع المهمات الدينية، حيث لا يوجد له مثيل، وقد نسب في كنز العمال إلى قدماء المحدثين، وذكره من المتأخرين الشيخ قطب الدين المهاجر المكي، فيا أسعد من حفظه من المنتمين إلى الدين على الأقل! فإنه بمثابة شراء أحجار ثمينة بالودعات.

عن سليمان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأربعين حديثاً التي قال: من حفظها من أمتي دخل الجنة، قلت: وما هي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال:

أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتب، والنبيين، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله تعالى، وأن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة بوضوء سابغ لوقتها، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن كان لك مال.

وتصلي اثنتي عشرة ركعة في كل يوم وليلة، والوتر، لا تتركه في كل ليلة، ولا تشرك بالله شيئاً، ولا تعق والديك، ولا تأكل مال اليتيم ظلماً، ولا تشرب الخمر، ولا تزن، ولا تحلف بالله كاذباً، ولا تشهد شهادة زور، ولا تعمل بالهوى، ولا تغتب أخاك المسلم، ولا تقذف المحصنة، ولا تغتب أخاك المسلم، ولا تلعب، ولا تله مع اللاهين، ولا تقل للقصير: يا قصير تريد بذلك عيبه، ولا تسخر بأحد من الناس، ولاتمش بالنميمة بين الأخوين.

واشكر الله تعالى على نعمته، وتصبر على البلاء والمصيبة، ولا تأمن من عقاب الله، ولا تقطع أقرباءك، وصلهم، ولا تلعن أحداً من خلق الله، وأكثر من التسبيح، والتكبير، والتهليل، ولا تدعْ حضور الجمعة، والعيدين،

واعلم: أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تدع قراءة القرآن على كل حال.

رواه الحافظ أبو القاسم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن مندة، والحافظ أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن بالويه الرازي في الأربعين، وابن عساكر، والرافعي، عن سلمان، قال سلمان: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ثواب من حفظ هذه الأربعين؟

قال: حشره الله تعالى مع الأنبياء، والعلماء، يوم القيامة (١).

غفر الله سيئاتنا، وألحقنا بالصالحين بفضله، وكرمه، وليس ذلك بعزيز على كرمه، فإنه رؤوف رحيم.

وإني ألتمس إلى القارئين ألا ينسوا هذا العاصي في دعواتهم (ومترجم هذا الكتاب) وما توفيقي إلابالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

---

(١) أورد هذا الحديث الهندي في كنز الأعمال ١٠/٢٨٨-٢٩٠ برقم: ٢٩٤٦٧، وعزاه إلى الحافظ أبي القاسم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن مندة، والحافظ أبي الحسن علي بن أبي القاسم بن بابويه الرازي في الأربعين، وابن عساكر، والرافعي عن سلمان، وقال: وفي آخره: قلت: يا رسول الله ما ثواب من حفظ هذه الأربعين؟ قال: حشره الله تعالى مع الأنبياء والعلماء يوم القيامة. وذكر برقم: ٢٩٤٦٨ إسناده هكذا:

ابن عساكر قرأت بخط أبي الحسن الحنائي، أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم البجلي البلوطي، حدثنا حاتم بن مهدي البلوطي، حدثنا علي بن الحسين بن إسحاق، حدثنا أبي حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي، عن محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان الثوري عن ليث عن مجاهد عن سلمان قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله الأربعين حديثا التي ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حفظها على أمتي دخل الجنة، وحشره الله مع الأنبياء والعلماء.

قال السخاوي في المقاصد ص: ٤١١ برقم: ١١١٥: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعث يوم القيامة فقيهاً....، وقال النووي: طرقه كلها ضعيفة وليس بثابت، وكذا قال شيخنا ابن حجر: جمعت طرقه في جزء، ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة، وقد قال أحمد فيما حكاه البيهقي في الشعب عنه عقب حديث أبي الدرداء: هذا متن مشهور فيما بين الناس، وليس له إسناد صحيح.

وزاد العجلوني في كشف الخفا ٢/٢٤٦: قال الدارقطني: طرقه كلها ضعيفة، وليس بثابت، وقال النووي في خطبة أربعينه: واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف، وإن كثرت طرقه انتهى النقل من العجلوني.

قلت: وقال النووي في خطبة أربعينه أيضاً: وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث، بل على قوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة: "ليبلغ الشاهد الغائب" وقوله صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها".

رسالة: فضائل الأذكار والأدعية

ألفها:

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيي الكاندهلوي رحمه الله تعالى

(١٣١٥-١٤٠٢هـ)

تعريب:

عبد الرشيد الندوي

أستاذ/ قسم الحديث بجامعة ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله. أما بعد!

فإن ذكر الله تبارك وتعالى، يحمل من البركة، واللذة، والحلاوة، والبهاء، والسرور، والطمأنينة، والسكينة، ما لا يخفى على من وُفق إلى اللهج به، والتشبث به، والعض عليه بالنواجذ، لفترة من الزمن، ولاشك أنه يبعث على سرور النفس، وطمأنينة القلب، كما قال عز من قائل: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد الآية: ٢٨].

والواقع المشاهد أنه يكتسح العالم اليوم موجة من الاضطراب، والحيرة والقلق، ومعظم الخطابات والرسائل التي ترد إلينا عبر البريد، إنما تتحدث عن هذا القلق، والألم بأساليب مختلفة.

نظراً إلى ذلك، فإني وضعت هذه الرسالة متوخياً أن يجد فيها الحائرون والقلقون علاجاً لمرضهم، ودواء لدائهم، ولعل الله يوفق بها السعداء لاجتناء ثمار الذكر المبارك، ولعل ذلك ينفعني، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وقد وجد هنالك دافع إلى القيام بهذا العمل خاصة، وهو أن الله سبحانه وتعالى قد منح عمي الكريم الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ملكة قوية، وعاطفة متدفقة، في الدعوة إلى الله، والتبليغ، والإرشاد، ولا تحتاج نشاطات الحركة الدعوية التي يقودها إلى أي تعريف، فقد تجاوزت الهند إلى الحجاز والأقطار الأخرى، وتستفيد من آثارها الطيبة المباركة البلاد الدانية والنائية على السواء.

وإن المبادئ التي رسمها لعمله، والقواعد التي أرساها، مبادئ وقواعد محكمة راسخة للغاية، قلما تتخلف عنها نتائجها الطيبة، وثمارها اليانعة، ومن المبادئ التي تبناها أن يهتم الدعاة بذكر الله عزوجل، ويواظبوا عليه، ويكثروا منه، ولاسيما في أوقات اشتغالهم بالتبليغ، ونشاطاتهم الدعوية، وقد كانت لهذا المبدأ المبارك بركات عظيمة، وخيرات جسيمة، شاهدها الناس بأم أعينهم، ولمسوها بأيديهم، وسمعوها بآذانهم.

فشعرت بمسيس الحاجة إلى جمع فضائل ذكر الله عزوجل، وعرضها أمام هؤلاء العاملين، حتى تنبعث همتهم، وتندفع رغبتهم إليه، فلا يقوموا به لمجرد امتثال أمر الشيخ، بل يتوجهوا إليه، ويهتموا به، بدافع من الشوق، والرغبة، وقد أوعز الشيخ المفخم المذكور إلى ذلك، فانعقد العزم، وصحت النية.

أما الإحاطة بفضائل ذكر الله عزوجل، فليست ممكنة لأحد، فضلاً عن هذا العبد الحقير القليل البضاعة، فاكتفيت بالأحاديث التي تيسرت لي، وقسمتها إلى ثلاثة أقسام:

الباب الأول في فضائل الذكر مطلقاً

الباب الثاني في فضائل الكلمة الطيبة: "لا إله إلا الله"

الباب الثالث في فضائل التسبيح والتحميد والتكبير.

الباب الأول:

في فضائل الذكر مطلقا

لو لم يكن في الحث على ذكر الله عزوجل أي آية ولا حديث، لكان العبد حقيقاً بأن لا يغفل عن ذكر سيده الكريم ساعة، فإن نعمه وآلاءه لا تعد ولا تحصى، وذكر المنعم والمحسن أمر جُبل عليه الإنسان، فما ظنك بفضل ذكر الله عزوجل وقد وردت فيه مع ذلك آيات متضافرة، وأحاديث متوافرة، تحث عليه وترغب فيه؟ فأقدم في هذه الصفحات آيات من كتاب الله عزوجل أولا، وأثني بالأحاديث الشريفة.

الفصل الأول في آيات الذكر:

١. ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٢. ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

٣. ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٣].

٤. ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

٥. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

٦. ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٧. ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [سورة النساء: ١٠٣].

٨. ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء : ١٤٢].

٩. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [سورة المائدة : ٩١]

١٠. ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [سورة الأنعام : ٥٢].

١١. ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الأعراف : ٢٩].

١٢. ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف : ٥٥-٥٦].

١٣. ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف : ١٨٠].

١٤. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠٥].

١٥. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال : ٢].

١٦. ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد : ٢٧-٢٨].

١٧. ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [بني إسرائيل : ١١٠]

١٨. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [سورة الكهف : ٢٤].

١٩. ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف : ٢٨].

٢٠. ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ [سورة الكهف : ١٠٠-١٠١].

٢١. ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم : ٢-٣].

٢٢. ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [سورة مريم : ٤٨].

٢٣. ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي، إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [سورة طه : ١٤-١٥].

٢٤. ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [سورة طه : ٤٢].

٢٥. ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الأنبياء : ٧٦].

٢٦. ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٣]

٢٧. ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧].

٢٨. ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٩].

٢٩. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٠].

٣٠. ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ، الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج : ٣٤-٣٥]

٣١. ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ، إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة المؤمنون : ١٠٩-١١١].

٣٢. ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة النور : ٢٧].

٣٣. ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٥].

٣٤. ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة : ١٦-١٧]..

في الدر عن الضحاك، هم قومٌ لا يزالون يذكرون الله. وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنه.

٣٥. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

٣٦. ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥].

٣٧. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [سورة الأحزاب: ٤١-٤٢].

٣٨. ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [سورة الصافات: ٧٥].

٣٩. ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

٤٠. ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

٤١. ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمن/الغافر: ١٤]

٤٢. ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [المؤمن/الغافر: ٦٥]

٤٣. ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

٤٤. ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [فتح: ٢٩].

إن المقصود الأكبر من هذه الآية هو: التنبيه على فضل الركوع، والسجود والصلاة، لكن يظهر منه فضل الشطر الثاني من كلمة الإسلام وهو: "محمد رسول الله".

قال الإمام الرازي: إن الرسول لا يكون إلا بقول المرسل، فإذا قال ملك: هذا رسولي، لو أنكر كل من في الدنيا أنه رسوله فلا يفيد إنكارهم، فقال تعالى: أي خلل في رسالته بإنكارهم مع تصديقي إياه بأنه رسولي، انتهى (١).

(١) التفسير الكبير٢٨/٩٣ طبعة دار الكتب العليمة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

ثم إن الآية تدل على معان متعددة، منها: التنبيه على أن عباد الله الصالحين يتميزون بالسيماء في وجوههم من أثر السجود، وفي تفسيره أقوال، منها: أن المراد بها: ما يظهر على وجوه القائمين بالليل من آثار العبادة، وأنوار القيام، والركوع، والسجود.

قال الإمام الرازي: وهذا محقق لمن يعقل، فإن رجلين يسهران بالليل، أحدهما قد اشتغل بالشراب، واللعب، والآخر قد اشتغل بالصلاة، والقراءة واستفادة العلم، فكل أحد في اليوم الثاني يفرق بين الساهر في الشرب واللعب، وبين الساهر في الذكر والشكر (١).

٤٥. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الحديد: ١٦]

٤٦. ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٩].

٤٧. ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الجمعة: ١٠].

٤٨. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٩].

٤٩. ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [سورة جن: ١٧].

٥٠. ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا، قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [سورة جن: ١٩-٢٠].

٥١. ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [سورة المزمل: ٨].

٥٢. ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا، إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [سورة الدهر/الإنسان: ٢٥-٢٧].

٥٣. ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة القلم: ٥١].

٥٤. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [سورة الأعلى: ١٤-١٥].

(١) نفس المصدر.

قال الزجاج : في الآية مذهب اللغة والتأويل : أنهم من شدة إبغاضهم وعداوتهم ، يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك ، وهذا مستعمل في الكلام ، يقول القائل : نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني ، ونظراً يكاد يأكلني (١).

قال الحسن البصري : رقية العين هذه الآية (٢).

الفصل الثاني في أحاديث الذكر :

إن الآيات في باب ذكر الله عزوجل متظاهرة متوافرة ، فالأحاديث الواردة فيه أكثر وأوفر ، لأن هناك كتباً في الحديث تُربِيّ على العد ، وتفوق الحد ، ولا يخلو أي كتاب منها عن أحاديث فضل الذكر المبارك ، فليس في وسع أحد أن يحيط بها ، لذلك نكتفي بذكر بعضها على سبيل المثال ، حتى يكون ذلك مهمازاً للعاملين ، وأما البطالون الذين لا يحبون العمل ، فلا تجدي فيهم الأسفار الضخمة.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً ، تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي ، أتيته هرولة.

رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبيهقي في الشعب (٣).

وأخرج أحمد والبيهقي في الأسماء والصفات عن أنس بمعناه بلفظ : يا ابن آدم إذا ذكرتني في نفسك الحديث (٤).

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني في تفسير هذه الآية

(٢) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي في تفسير هذه الآية

(٣) أخرجه البخاري برقم: ٧٤٠٥، ومسلم برقم: ٢٦٧٥، والترمذي برقم: ٣٦٠٢ وابن ماجه برقم: ٣٨٢٢، وأحمد برقم: ٧٤٣٣ .

(٤) أخرجه أحمد برقم: ١٢٤٠٥، والبغوي في شرح السنة برقم: ١٢٥٠ وعبد الرزاق في المصنف برقم: ٢٠٥٧٥ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك، ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ، ذكرتك في ملأ من الملائكة، أو قال: في ملأ خير منهم، وإن دنوت مني شبرا، دنوت منك ذراعا، وإذا دنوت مني ذراعاً، دنوت منك باعاً، وإن أتيتني تمشي، أتيتك أهرول، قال قتادة: فالله عزوجل أسرع بالمغفرة، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، قال الهيثمي ١٠/٨١: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وفي الباب عن معاذ بن أنس عند الطبراني بإسناد حسن (١).

وعن ابن عباس عند البزار بإسناد صحيح ، والبيهقي ، وغيرهما (٢).

وعن أبي هريرة عند ابن حبان بلفظ : أنا مع عبدي إذا ذكرني ، وتحركت بي شفتاه ، كما في الدر المنثور ، والترغيب للمنذري ، والمشكاة مختصراً (٣).

وفيه برواية مسلم عن أبي ذر بمعناه (٤) .

وفي الإتحاف : علقه البخاري عن أبي هريرة بصيغة الجزم ، ورواه ابن حبان من حديث أبي الدرداء (٥).

شرح الحديث :

إن هذا الحديث يرشد إلى أمور منها :

أن الله سبحانه تعالى يعامل العبد على حَسَب ظنه به ، فينبغي له أن يكون معلق الرجاء بكرمه ، ولطفه ، ومنه ، ولا ييأس أبداً من رحمته ، فما من

---

(١) ولفظه : قال رسول الله : قال الله جل ذكره: لا يذكرني عبدي في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج /٢٠ ص: ١٨٢ بالأرقام ٣٩١و٣٩٢ و: ٣٩٣ قال الهيثمي ١٠/٨١: إسناده حسن.

(٢) أخرجه البزار برقم: ٣٠٦٥ ج٤ ص: ٦ من كشف الأستار عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا، وإذا ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير من الذين تذكرني فيهم.

قال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، قال الهيثمي ١٠/٨١: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، غير بشر بن معاذ العقدي وهو ثقة.

(٣) أخرجه عن أبي هريرة بهذا اللفظ ابن حبان في صحيحه برقم: ٨١٥ ج/٣ ص: ٩٧ وعلقه البخاري بصيغة الجزم في التوحيد باب قول الله: لا تحرك به لسانك رقم الباب: ٤٣ ولفظه: وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: قال الله تعالى: أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه .

(٤) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء برقم: ٢٦٨٧، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عزوجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها، أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً، تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً، تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً، لقيته بمثلها مغفرة.

(٥) قلت: إنما رواه ابن حبان من حديث أبي هريرة، نعم! أخرجه الحاكم ج/١ ص: ٦٧٣ برقم: ٢٤/١٨٢٤ عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني، وتحركت بي شفتاه، وصححه، ووافقه الذهبي.

ولعل ذلك خطأ من الناسخ لأن الحديث بنفس إسناد الحاكم: الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء معروف من حديث أبي هريرة، وهكذا ذكره الحافظ في الفتح في التوحيد باب: لا تحرك به لسانك معزوا إلى الحاكم، وكذا صاحب الكنز، وهكذا ذكره في إتحاف المهرة ج/١٦ ص: ٣٢٠-٣٢٢ من مسند أبي هريرة معزوا إلى ابن حبان والحاكم، والله أعلم.

شك في أننا نعصيه، ونأتي بالمنكرات، ونرتكب ما لا يرضاه من الأعمال، وذلك ما نحن على يقين من لقاء الجزاء عليه، ولكن ذلك لن يقطع رجاءنا من رحمة ربنا ومغفرته التي وسعت كل شيء، وأن عسى ربنا أن يغفرلنا جميع المعاصي والذنوب، رحمة منه، وفضلاً، وقد قال تبارك وتعالى في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ١١٦].

هذا، وفي جانب آخر لا ينبغي أن يأمن من عذاب الله وعقابه البتة، فقد أرشد العلماء إلى أن الإيمان بين الخوف والرجاء، كما جاء عن أنس رضي الله عنه: أن النبيﷺ دخل على شاب، وهو في الموت، فقال: كيف تجدك؟ قال: والله يا رسول الله! إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: "لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلاأعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف"(١).

جاء في حديث: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا" قال أبو شهاب الراوي بيده فوق أنفه (٢).

لما طُعن معاذ بن جبل جعل يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب غمني غمك، فوعزتك إنك تعلم أني أحبك، ثم يغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب غمني غمك، فوعزتك! إنك تعلم أني أحبك، ثم يغشى عليه، فإذا أفاق قال مثله، ولما حضرته الوفاة قال: "مرحباً بالموت مرحباً، زائر حبيب جاء على فاقة، اللهم إنك تعلم أني أخافك، وأنا اليوم أرجوك، إني لم أكن أحب الدنيا، وطولَ البقاء فيها لحفر الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر"(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في الجنائز برقم:٩٨٣ وقال: حسن غريب،وابن ماجه في الزهد برقم: ٤١٦١ وسكت عليه الحافظ،واستدل به في فتح الباري كتاب الرقاق، باب الرجاء والخوف، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٢) أخرجه البخاري برقم:٦٣٠٨ في الرقاق عن ابن مسعود موقوفاً عليه، والترمذي برقم:٢٤٩٧، وأحمد برقم:٣٦٢٧، وهو موقوف، قال الحافظ: جزم ابن بطال بأن الأول هو الموقوف، والثاني (الحديث الذي رواه ابن مسعود عقب هذا القول) هو المرفوع، وهو كذلك.انتهى قول الحافظ.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج/٢ ص:١٠٠ ط: دار الكتب العلمية بيروت، قلت: وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد لأبيه في ص:٢٢٦ ط: دار الكتب العلمية، بيروت الأولى ١٤٣٠– ١٩٨٢ ←

أفاد بعض العلماء أن معنى: "أنا عند ظن عبدي بي" ليس خاصاً بمغفرة الذنوب، والعفو، وإنما هو شامل للأحوال كلها مما يُحسن فيه العبد ظنه بالله تعالى، من الصحة، والفراغ، والأمن، والعافية، وإجابة الدعاء، هبْ أمر الدعاء مثلاً، لوأن العبد يحسن الظن فيه، ويرجو القبول، والاستجابة، أعطاه الله تعالى ما رجا، وحقق ظنه به، ولو أنه أساء الظن، واستبعد الإجابة، عومل بمثل ذلك، وهلم جرا، وقد جاء في الحديث: "من نزلت به فاقة، فأنزلها بالناس، لم تسد فاقته، وإن أنزلها بالله، أوشك الله له بالغنى، إما غنى عاجل وإما موت آجل "(١).

وليعلم في هذا الموضع أن حسن الظن بالله تبارك وتعالى أمر، والغرور بالله عزوجل أمر آخر، فلا ينبغي أن يشتبه هذا بذلك، وقد حذر تبارك وتعالى في مواضع عديدة من كتابه عن الاغترار به، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [سورة الفاطر: ٥] وقال: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا﴾ [سورة مريم: ٧٨].

الأمر الثاني الذي يرشد إليه الحديث هو: أن الله عزوجل يكون مع عبده إذا ذكره، فما دام العبد يذكر الله تعالى، وتتحرك به شفتاه، كان الله معه برحمته ونصره، ورأفته، ورعايته.

والأمر الثالث الذي يستفاد منه هو: أن الله تعالى يذكر العبد عند ملائكته، يعني: يباهي به ملائكته، ويفاخرهم، وذلك لأن الإنسان قد عُجنت طينته بميول الخير والشر معاً، وتتنازعه بواعث الطاعة والمعصية في وقت واحد، كما سيأتي تفصيله تحت الحديث (برقم: ٨)، فإذا تغلّب العبد على تلك الشهوات، وقام بطاعة الله سبحانه وتعالى، كان مبعث فخر، ومباهاة، لأن الملائكة قد قالوا لله عزوجل حين أراد الله أن يخلق الإنسان: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، ثم إن

وقد رُوي نحو ذلك عن حذيفة بن اليمان: أنه قال حين حضره الموت: مرحباً بالموت وأهلاً، مرحباً بحبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، اللهم إني لم أحب الدنيا لحفر الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لسهر الليل، وظمأ الهواجر، وكثرة الركوع، والسجود، والذكر لله عزوجل كثيراً، والجهاد في سبيله، ومزاحمة العلماء بالركب انتهى.

(١) أخرجه أحمد برقم:٤٢١٩ وأبو يعلى برقم:٥٣١٥.

طاعة البشر تفضل وتفوق طاعة الملائكة، بأن الأولى إنما هي بدافع الإيمان بالغيب، والثانية إنما هي عن مشاهدة، ومعاينة للأمور الغيبية، وشتان ما بينهما، وإلى ذلك يشير ما جاء في بعض الأحاديث القدسية: "وهل رأوها (أي الجنة أوالنار)، قالوا: لا والله ما رأوها فيقول: فكيف لو رأوها" متفق عليه (١).

والأمر الرابع في هذا الحديث: أن الله عزوجل يجازي عبده على عمله الذي يقوم به لوجهه جزاء أكثر، وكان التفاته إليه، ولطفه به، ورحمته، وقبوله له أوفى، كما يتجلى هذا المعنى من قوله: "إذا تقرب عبدي إلي شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإذا أتاني يمشي، أتيته هرولة"، وإذا كان الأمر كذلك فعلى العبد أن يسعى في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، بقدر ما يتمنى على الله أن يقبل عليه.

والأمر الخامس الذي يتصل بهذا الحديث هو: أن الله تعالى اعتبر ملأ الملائكة خيراً من ملأ الناس، مع أن الإنسان أشرف خلق الله، كما هو معروف، فوجهه: أن هذه الفضيلة إنما هي نظراً إلى جانب خاص، و هو أنهم معصومون عن الذنوب، والآثام، والوجه الثاني: أن ذلك بالنظر إلى أكثر بني آدم، فإن الملائكة أفضل من عامتهم، وإن كان بعضهم خيراً من الملائكة، كالأنبياء، والصديقين، وهناك وجوه أُخَر، والبحث فيها طويل.

(٢) عن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أستن به، قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله(٢).

أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي، وحسنه، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه، والبيهقي، كذا في الدر، وفي المشكاة برواية الترمذي وابن ماجه، وحكى عن الترمذي: حسن غريب، قلت: وصححه الحاكم وأقره عليه الذهبي.

وفي الجامع الصغير برواية أبي نعيم في الحلية مختصراً بلفظ: أن تفارق

(١) أخرجه البخاري في الدعوات برقم: ٦٤٠٨ وسلم في الذكر والدعاء برقم: ٢٦٨٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ابن أبي شيبة ج/١، ص: ٣٠١ و ج/١٣، ص: ٤٥٧ وبرقم ٣٦٢٠١، من ترقيم محمد عوامة، وأحمد برقم: ١٧٦٩٨، والترمذي برقم: ٢٣٢٩ و: ٣٣٧٥ وابن ماجه برقم: ٣٧٩٣، وابن حبان برقم: ٨١٤ الحاكم ج/١ ص: ٦٧٢ برقم: ٢٢/١٨٢٢، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن ج/٣ ص: ٣٧١، وفي الشعب ٥١٥.

الدنيا، ولسانك رطب من ذكر الله، ورقم له بالضعف.

وبمعناه عن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل قال لهم: إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموت، ولسانك رطب من ذكر الله، أخرجه ابن أبي الدنيا، والبزار، وابن حبان، والطبراني، والبيهقي، كذا في الدر، والحصن الحصين، والترغيب للمنذري، وذكره في الجامع الصغير مختصراً، وعزاه إلى ابن حبان في صحيحه، وابن السني في عمل اليوم والليلة، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب، وفي مجمع الزوائد، رواه الطبراني بأسانيد (١).

شرح الحديث:

قوله في حديث معاذ: "آخر كلام فارقت عليه رسول ﷺ "يعني: أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن معلماً مبلغاً وعاملاً، أوصاه، كما أنه وجه إليه أسئلة، وأجاب عنها رسول الله ﷺ، فكان الكلام المذكور من آخر ما كان بينهما حين ذاك.

وقوله في حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه: "إن شرائع الإسلام قدكثرت علي فأخبرني بشيء أستن به" يريد: أن الإسلام يشتمل على أحكام كثيرة، ولا بد من القيام بكل ما أمر الله به، إلا أن بلوغ الغاية في كل شيء، واتخاذه الشعار والدثار، والشغل الشاغل، أمر صعب، فأرشدني إلى أهم أمر أتشبث به، وأعَضّ عليه بالنواجذ، وألتزمه في حياتي، وأقوم به قائماً، وقاعداً، وعلى جنبي، فأرشده رسول الله ﷺ إلى ذكر الله عزجل.

جاء في حديث: "أربع من أعطيهن، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجة لا تبغيه خوناً في نفسها ولا ماله" (٢).

(١) أخرجه ابن حبان عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل برقم: ٨١٨، ج/٣ ص: ٩٩-١٠٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: ٢ والطبراني في الكبير ج/٢٠: ص: ٩٣ برقم: ١٨١ و ج/٢٠ ص: ١٠٦ وما بعدها برقم: ٢٠٨-٢١٢ بأسانيد مختلفة. والبزار برقم: ٣٠٥٩ قال الهيثمي ١٠/٧٧: رواه الطبراني بأسانيد، وفي هذه الطريق خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك، ضعفه جماعة، ووثقه أبو زرعة، وغيره، وبقية رجاله ثقات، ورواه البزار من غير طريق، وإسناده حسن انتهى.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ج/١١، ص: ١٣٤ برقم: ١١٢٧٥ والأوسط برقم: ٧٢١٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي ج/٤، ص: ٢٧٦: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الأوسط

ومعنى كون اللسان رطباً بذكر الله تعالى هو: الإكثار منه، واللهَج به، وذلك من التعبيرات المعروفة التي تستخدم لمن يكثر من ذكر شيء، ويلهج بالثناء عليه، ومدحه.

ويرى هذا العبد أنه لا يبعد أن يراد به الالتذاذ بذكر الله عزوجل، وتذوق طعمه، واستحلاء حلاوته، مما ينشأ من الحب والهُيام، كما لا يخفى على من وجد حلاوته، وقد رأيت بعض مشايخي تترطب ألسنتهم، وتسيل أفواههم، حين يشتغلون بالذكر جهراً، حتى يحس به سامعهم، ويتلذذ به جليسهم، ولكن ذلك لا يحصل إلا لمن ذاق قلبُه طعم الحب، وأنِس لسانه بالذكر.

جاء في حديث: "علامة حب الله حب ذكر الله، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله "(١).

وقال أبو الدرداء: "الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله، يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك"(٢).

رجال الصحيح، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٦٧/٣: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وإسناد أحدهما جيد.

قال عبد الرشيد: وإنما قال الهيثمي والمنذري: إن إسناد الأوسط رجاله رجال الصحيح، لأنه وقع في إسناده موسى بن إسماعيل، ووقع في إسناد الكبير بدله "مؤمل بن إسماعيل"، وباقي الإسنادين واحد، وقد نبه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم: ٢٦٦ أن ما في الأوسط خطأ من الناسخ. انتهى

وإني تأملت كلامه فوجدته أشبه بالصواب، وأزيد من مرجحاته: أن البيهقي أخرجه في الشعب برقم: ٤١١٥. فوقع فيه بنفس الإسناد: "المؤمل بن إسماعيل"، ومؤمل صدوق سيئ الحفظ.

وقد أخرج الترمذي برقم: ٣٠٩٤ وابن ماجه برقم: ١٨٦٥ عن ثوبان رضي الله عنه: "ليتخذ أحدكم: قلبا شاكراً، ولسانا ذاكرا، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة" وفي إسناده انقطاع، سالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان، ولكن له شواهد منها: ما أخرجه أحمد برقم: ٢٣١٠١ عن رجل من الصحابة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تبا للذهب والفضة، قال: فانه (الرجل) انطلق مع عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله قولك: تبا للذهب والفضة ماذا! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، و زوجة تعين على الآخرة.

ومنها حديث علي عند عبد الرزاق صححه الألباني في الصحيحة برقم: ٢١٧٦ وشعيب الأرناؤوط في التعليق على المسند. ومنها ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة برقم: ٧٨٢٨ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: يا معاذ قلباً شاكرا ولساناً ذاكرا، وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك خير ما اكتسبه الناس، وفي إسناده عبيد الله بن زحر، وعلي بن يزيد، وعلى كل فيحسن الحديث بمجموع الطرق.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٤٠٦ عن أنس بن مالك مرفوعاً وأورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير: ٣٧٢٣.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم: ١١٢٦، وابن أبي شيبة برقم: ٣٦٢٠٠ من ترقيم محمد عوامة

(٣) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بخير أعمالكم، و أزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تَلْقَوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى! قال: ذكر الله.

أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا، والحاكم وصححه، والبيهقي، كذا في الدر، والحصن الحصين، قلت: قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره عليه الذهبي، ورقم له في الجامع الصغير بالصحة (١)

وأخرجه أحمد، عن معاذ بن جبل كذا في الدر (٢).

وفيه أيضاً برواية أحمد والترمذي، والبيهقي عن أبي سعيد: "سئل رسول الله ﷺ: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيراً، قلت: يا رسول الله! ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما، لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة"(٣)

وبرقم: ٣٥٧٣٠. وقد أورده صاحب الكنز برقم: ١٩٠٤ معزوا إلى ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن أبي ذر، وإلى أبي الشيخ في الثواب عن أبي الدرداء موقوفا انتهى، وهذا يدل على أنه عند ابن شاهين عن أبي ذر مرفوعاً والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد برقم: ٢١٧٠٢ والترمذي برقم: ٣٣٧٧ وابن ماجه برقم: ٣٧٩٠ والحاكم ج/١ ص: ٦٧٣ برقم: ٢٥/١٨٢٥ وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب برقم: ٥١٩ قال محققو المسند: إسناده صحيح، لكن اختلف في رفعه ووقفه، وفي إرساله وفي وصله انتهى. أخرجه موقوفاً ابن أبي شيبة برقم: ٣٥٣٣ وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢٢٠٧٩ وإسناده ضعيف للانقطاع بين زياد بن أبي زياد ومعاذ بن جبل، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٦/١٠.

قال عبد الرشيد: قد وجدت هذا الحديث في الشعب مروياً عن ابن عمر برقم: ٥١٥ قال محققه: لم أجد من خرجه، وهو معروف من حديث أبي الدرداء، وإسناده حسن، فلعل يحيى بن سليم أخطأ في روايته فجعله من مسند ابن عمر انتهى، وأخرج ابن أبي شيبة برقم: ٣٠٠٧٥ عن معاذ موقوفاً: لو أن رجلين يحمل أحدهما على الجهاد في سبيل الله، والآخر يذكر الله، لكان أفضل أو أعظم أجرا الذاكر.

(٣) أخرجه أحمد برقم: ١١٧٢٠ والترمذي برقم: ٣٣٧٦ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة ولضعف رواية دراج عن أبي الهيثم قاله محققو المسند، قلت: يشهد له حديث معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من النار من ذكر الله، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع. أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٠٠٦٥ والطبراني في الكبير ج/٢٠ ص: ١٦٦ قال الهيثمي ٧٦/١٠: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وله شاهد آخر أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٢٢٩٦ عن جابر رفعه إلى النبي ﷺ قال: ما عمل

شرح الحديث:

إن الأفضلية لذكر الله عزوجل، كما ورد في هذا الحديث الشريف ترجع إلى عامة الأحوال، وغالب الأحيان، وإن كانت الأعمال الأخرى قد تصبح أفضل، كالصدقة، والجهاد، بمقتضى الضرورة الوقتية، والأحوال الطارئة، كما قد وردت أحاديث أخرى تفيد ذلك وتشير إليه، إلا أن ذكر الله عزوجل يفضُل الأعمالَ كلها، وفي الأحوال جمعاء، وله من الأهمية والعظمة ما ليس لغيره.

وفي حديث عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: "إن لكل شيء صقالة، وإن صقالة القلوب ذكر الله، ومامن شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله! قال: ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع" (١)

فقد أرشد النبي ﷺ إلى أن الذكر سبب ووسيلة إلى صفاء القلوب وجلائها، وصقال الأرواح، ونقائها، مما ينوّه بشأنه، ويُشيد بفضله، ورتبته على الأمور الأخرى، وذلك لأنه لا عبرة بأي عبادة، إلا إذا كانت عن نية صادقة خالصة لوجه الله تعالى، ولا تصفو النيات، ولا تخلص العزائم، إلا في

آدمي أنجى له العذاب (هكذا في المطبوع ولعله سقط فيه "من" كما هو موجود في مجمع الزوائد ١٠/٧٧) من ذكر الله، قيل: ولا الجهاد!؟ قال: ولا الجهاد، إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٧٧: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح انتهى.

وأخرجه أحمد برقم: ١٥٦١٤ عن معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ: أن رجلا سأله فقال: أي الجهاد أعظم أجراً؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً، قال: فأي الصائمين أعظم أجراً؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً، ثم ذكرنا الصلاة، والزكاة، والحج، والصدقة، كل ذلك يقول رسول الله ﷺ: أكثرهم لله تعالى ذكراً، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: أجل. وإسناده ضعيف، فيه ابن لهيعة ورشدين، يتابع أحدهما الآخر، وفيه زبان، وبقية رجاله ثقات.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٥١٩ وإسناده ضعيف، وأخرج البيهقي برقم: ٥٢٠ بعد ذلك عن أبي الدرداء موقوفا: إن لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلب ذكر الله، وإسناده أيضا ضعيف.

وأخرج الخطيب في تاريخ بغداد ١١/٤ ص: ٨٥ في ترجمة عبد الرحيم بن هارون الغساني والبيهقي في شعب الإيمان برقم: ١٨٥٩ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، إذا أصابه الماء، قيل: يا رسول الله، وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن، وإسناده ضعيف من أجل عبد الرحيم بن هارون الغساني وهو ضعيف، كذبه الدارقطني، وإن كان الترمذي حسن له، وتابعه ضعيف مثله، وهو عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: نظرت في بعض حديثه، فرأيت أحاديثه أحاديث منكرة، ولم أكتب عنه، ولم يكن محله عندي الصدق، وقال ابن حبان في الثقات: يعتبر بحديثه إذا روى عن غير أبيه انتهى نقلاً عن كتاب زوائد تاريخ بغداد للدكتور خلدون الأحدب، وهذا الحديث من روايته عن أبيه.

القلوب الصافية، النقية، الشفافة.

ونظراً إلى ذلك فقد قال بعض الصالحين: إن المراد بالذكر في هذا الحديث إنما هو الذكر القلبي، وهو يعني: أن يكون الإنسان موصول القلب بالله عزوجل دائماً، ولا مرية في أن هذه الحالة الرفيعة أفضل الأحوال، وأسنى العبادات، وأعلى القربات، فإن كل عبادة تابعة لها، ذلك لأن الأعضاء والجوارح كلها خاضعة للقلب، فإذا اتصل القلب بأحد، ونيط به، تبعته الأركان، والجوارح كلها، وتعلقت به، وما حال المحبين الصادقين والعشاق المتيمين بسرّ.

وقد وردت هناك أحاديث أخرى بأفضلية ذكرالله عزوجل، سئل الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه: أيّ العمل أكبر؟ فقال: "ألست تقرأ القرآن؟ يقول تعالى: ولذكر الله أكبر، فما شيء أعلى وأفضل منه" (١).

قال صاحب "مجالس الأبرار": إنما عدّ ذكر الله عزوجل أفضل من الصدقة، والجهاد، وسائر الأعمال، من حيث إنه هو الغاية، وكانت العبادات كلها طريقاً وسبباً إليها، ثم إن الذكر قسمان، أحدهما: ذكر اللسان، وثانيهما: ذكر القلب، وهو أفضلهما، وأولاهما، ويراد به الاستحضار، والتفكر، وذلك ما أريد في الحديث الذي جاء فيه: "تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة" (٢).

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٦٦٠، وروي نحوه عن ابن عباس برقم: ٦٦١.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ج/١ ص: ٣٠٠ برقم: ٤٣-٢ (طبعة دار العاصمة الرياض النشرة الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة، وفي إسناده عثمان بن عبد الله بن عمرو القرشي الأموي الشامي قال ابن حبان: كان قدم خراسان فحدثهم عن الليث، ومالك، وكان يضع عليهم الحديث، لا يحل كتب حديثه، إلا على سبيل الاعتبار (ميزان الاعتدال ٣/٤٢) وقال الخطيب في تاريخ بغداد ج/١١، ص: ٢٨٣: كان ضعيفاً، والغالب على حديثه المناكير، وفيه آخر، وهو إسحاق بن نجيح الملطي، قال أحمد: هو من أكذب الناس، وقال يحيى: معروف بالكذب، ووضع الحديث، قال الفسوي: لا يكتب حديثه، وقال الدارقطني والنسائي: متروك، وقال الفلاس: كان يضع الحديث صراحاً (ميزان الاعتدال ج/١ ص: ٣٠١).

وأخرجه الديلمي عن أنس مرفوعاً: تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة انظر الفردوس بمأثور الخطاب برقم: ٢٣٩٧ و أورده السيوطي في الدر المنثور، وليس في الفردوس إسناد الحديث، ولا عثرت على حاله، فالله أعلم، ولا أظنه يصح.

ثم رأيت العراقي قد أورده في تخريج الإحياء في أول كتاب التفكر ٤/٤٢٣ معزوا إلى مسند

وفي مسند أحمد عن سهل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "إن الذكر في سبيل الله تعالى يضعف فوق النفقة بسبع مائة ألف ضعف" (١).

(٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليذكرن الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الله في الدرجات العلى.

أخرجه ابن حبان كذا في الدر (٢) قلت: ويؤيده الحديث المتقدم قريباً بلفظ: أرفعها في درجاتكم، وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: "سبق المفردون

الفردوس للديلمي ثم قال: وإسناده ضعيف جداً انتهى. ثم اعلم أن العراقي يتجنب الحكم على الحديث بالوضع، كما قال المحدث الهندي الشيخ يونس في إفاداته مستندا إلى استقرائه لكلامه، وهو الذي حكم على حديث أبي هريرة الآنف الذكر الذي فيه وضاعان: عثمان بن عبد الله القرشي الأموي، وإسحاق بن نجيح الملطي بأن إسناده ضعيف، فقدّر من ذلك درجة هذا الحديث، فقد قال فيه: إسناده ضعيف جدا، والله أعلم بالصواب.

وأورده صاحب كنز العمال عن أنس مرفوعاً بلفظ، تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وعزاه إلى صالح بن أحمد في كتاب التبصرة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور في تفسير "إن في خلق السموات" إلى الديلمي، ولا أدري حال إسناده، وحسبه أن يكون موقوفا علي بعض الصحابة، فقد أخرجه أبو الشيخ في العظمة ج/١ ص: ٢٩٨ برقم: ٤٢-١ عن ابن عباس موقوفا قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وفي إسناده ليث بن أبي سليم.

وأخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٥٧٢٨ عن أبي الدرداء موقوفاً فقال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء عنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وهذا إسناد رجاله ثقات، وأخرجه البيهقي في الشعب أيضاً برقم: ١١٧، وهذا الأثر أمثل ما روي في هذا المعنى، ثم الذي قبله، وقد عزاه صاحب كنز العمال إلى ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر من قول الحسن البصري، وأما ما رواه الديلمي عن أنس موقوفاً عليه بلفظ: تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ألف سنة، فقد قال الألباني عنه في السلسلة الضعيفة برقم: ١٧٣: "فيه سعيد بن ميسرة قال الذهبي: مظلم الأمر، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات، وقال الحاكم: روى عن أنس موضوعات، وكذبه يحيى القطان، انتهى، فهو أيضا لا يسوى شيئا. وأخرج أبو الشيخ في العظمة برقم: ٤٨-٧ ج/١ ص: ٣٠٥ عن يحيى بن المتوكل عن عمرو بن قيس الملائي قال: بلغني أن تفكر ساعة خير من عمل دهر من الدهر، ويحيى بن المتوكل ضعيف.

(١) أخرجه أحمد برقم: ١٥٦١٣ عن سهل بن معاذ عن أبيه وهو معاذ بن أنس رضي الله عنه، فقوله: "عن سهل رضي الله عنه عن رسول الله" ليس بجيد، ولفظ أحمد: إن الذكر في سبيل الله تعالى يضعف فوق النفقة بسبع مائة ضعف، قال يحيى في حديثه: سبع مائة ألف ضعف. وأخرجه أبو داود برقم: ٢٤٩٨ والحاكم ج/٢ ص: ٨٨ برقم: ٢٤١٥/٤٠ بلفظ: إن الصلاة، والصيام، والذكر، يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف. صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وفي إسناده زبان بن فائد.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم: ٣٩٨ وفي المطبوع منه بتحقيق الأرناؤوط "ليذكر الله قوماً" ولم ينبه المحقق عليه بشيء ولعله خطأ من الناسخ، وفي إسناده دراج عن أبي الهيثم وهو ضعيف فيه، قاله المحقق وقال أيضا: أورده السيوطي في الجامع، وزاد نسبته إلى أبي يعلى انتهى.

قلت: أخرجه أبو يعلى في مسنده ج/١ ص: ٣٥٥ برقم: ١١١١ ولفظه: "ليذكرن الله قوم" على الوضع الصحيح، وفي إسناده ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم، ومع ذلك فقد قال الهيثمي ١٨/١٠ في باب في من يذكر الله: رواه أبو يعلى وإسناده حسن انتهى.

قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً، والذاكرات"، رواه مسلم، كذا في الحصن الحصين (١) وفي رواية: قال: "المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافاً"، رواه الترمذي والحاكم مختصراً، وقال: صحيح على شرط الشيخين (٢) وفي الجامع: رواه الطبراني عن أبي الدرداء أيضاً (٣).

شرح الحديث:

إن احتمال المشاق، والصبر على المكاره، ومكابدة الصعاب في سبيل الطاعة، لمن الأمور التي ترفع الدرجات وتجزل المثوبات، ولكن الذكر عمل مبارك، ومحبوب لدى الله سبحانه وتعالى، فلو كان العبد يذكر الله عزوجل، وهو في الفراش الوطيء الوثير، متكئاً متمتعاً بكل راحة وطمأنينة، لكان مستحقاً للدرجات العلى والمراتب الرفيعة، وقد قال النبي ﷺ منوّهاً بشأن الذكر، ومُشيْداً بفضله: "والذي نفسي بيده! لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم (٤).

وقال النبي ﷺ: "سبق المفردون، قالوا: وما المفردون؟ قال: الذين يهترون بذكر الله" (٥).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء برقم: ٢٦٧٦ عن أبي هريرة

(٢) أخرجه الترمذي برقم: ٣٥٩٦ كتاب الدعوات باب عن أبي هريرة، و أوله: سبق المفردون قالوا: وما المفردون؟ الحديث وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه الحاكم ج/١ ص: ٦٧٣ برقم: ٢٣/٢٨٢٣ وانتهى الحديث فيه إلى قوله "الذين يهترون بذكر الله" وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد بلفظ الحاكم برقم: ٨٢٩٠ قال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ١٦٧٥/٥ في ترجمة عمر بن راشد، وقد عزاه صاحب كنز العمال إلى الطبراني في المعجم الكبير، قال شعيب الأرناؤوط في حديث ابن عدي في تحقيقه على مسند أحمد برقم: ٨٢٩٠: هذه الرواية مع ضعف إسنادها خطأ، فالحديث حديث أبي هريرة، وقال الهيثمي في المجمع ٧٨/١٠: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني ج/٢٠ ص: ١٥٧ برقم: ٣٢٦ عن معاذ بن جبل قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: أين السابقون؟ قالوا: مضى ناس وتخلف ناس، قال: أين السابقون الذين يستهترون بذكر الله؟ من أحب أن يرتع في رياض الجنة، فليكثر ذكر الله، قال الهيثمي في المجمع ٧٨/١٠: رواه الطبراني وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(٤) أخرجه مسلم في التوبة برقم: ٢٧٥٠ عن حنظلة الأسدي، وفي رواية له: "لو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر، لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق".

(٥) تقدم تخريجه آنفا.

ولذلك فقد قال المشايخ الصوفية: لا ينبغي أن يُمنع الأغنياء، والأمراء والسلاطين، من ذكر الله عزوجل، فقد يمكنهم عن طريقه أن ينالوا المنازل العالية، والرتب السامية.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "ادع الله عزوجل في يوم سرائك؛ لعله أن يستجاب لك في يوم ضرّائك" (١).

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: "إذا كان العبد يذكر الله في السراء، ويحمده في الرخاء، فأصابه ضر، فدعا الله، قالت الملائكة: صوت معروف من امرئ ضعيف، فيشفعون له، وإن كان العبد لم يذكر الله في السراء، ولا يحمده في الرخاء، فأصابه ضر، فدعا الله، قالت الملائكة: صوت منكر، فلم يشفعوا له" (٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن للجنة ثمانية أبواب، منها باب للذاكرين الله:

وجاء في حديث: "من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق"(٣).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٢٥/١ وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد لأبيه ص:١٦٨

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة برقم:٣٥٨٠٩، ويناسب أن يذكر هنا قول الضحاك بن قيس رضي الله عنه: "اذكروا الله في الرخاء، يذكركم في الشدة، فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله، فلما وقع في بطن الحوت، قال: (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى قوم يبعثون) وإن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً لذكر الله، (فلما أدركه الغرق قال آمنت إلى قوله من المفسدين) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٥٩٣٩ ج/٧ ص:٢٤٧

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ج/٢ ص:٧٦-٧٧ ط: بيروت، قال: حدثنا محمد بن سهل ابن المهاجر الرقي حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أخيه عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق، لم يروه عن سهيل إلا حماد، تفرد به مؤمل.

قال الحافظ في لسان الميزان ١٩٥/٥: محمد بن سهل العسكري عن مؤمل بن إسماعيل راو للموضوعات، ثم ساق له طرفاً آخر من هذا الحديث بهذا الإسناد نفسه: "من لم يكثر ذكر الله فقد برئ من الإيمان" قال المنذري في الترغيب بعد ذكر هذا الطرف الثاني: رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وهو حديث غريب.

ولكن قال صاحب كنز العمال في هذا الحديث برقم:١٩٢٥ بعد أن عزاه إلى ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن أبي هريرة قال: "ورجاله ثقات" فيمكن أن يكون عند ابن شاهين بإسناد آخر، ويؤيد ذلك أنه قد أورده مرتين مرة برقم:١٨٢٧ معزوا إلى المعجم الصغير عن أبي هريرة، ولم يتكلم عليه بشيء، ومرة أخرى هذه، والله أعلم.

وأورده ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرح آخر حديث من قول كعب الأحبار ثم

كان الصحابة قافلين من سفر، فقال النبي ﷺ في منزل: "أين السابقون؟" قال الصحابة: قد تقدم أناس خفاف، فقال رسول الله ﷺ: "أين السابقون، الذين يستهترون بذكر الله، من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله" (١).

(٥) عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ: مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر، مثل الحي والميت.

أخرجه البخاري، ومسلم، والبيهقي، كذا في المشكاة (٢).

شرح الحديث:

طبعي أن كل شخص يحب الحياة، ويخاف الموت، فيخبرنا الصادق المصدوق ﷺ: أن الذي لا يذكر الله عزوجل ميت في الواقع، وإن كان فيما يبدو حياً، فلا عبرة بهذه الحياة، ولا معنى لها.

وقال بعض العلماء: إن ذلك يرجع إلى حياة القلب، وموته، فالذاكر قلبه حيٌّ، والغافل قلبه ميت، وقال بعضهم: إن التشبيه الذي جاء في هذا الحديث

قال: ورواه مؤمل عن حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً انتهى.

ثم وجدت دليلاً على صحة قول صاحب كنز العمال، فقد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٥٧١ من طريق حميد بن عياش الرملي عن مؤمل بن إسماعيل عن حماد عن سهيل بن أبي صالح عن أخيه عن أبي هريرة مرفوعاً: من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق.

فلم يبق في هذا الحديث تهمة الوضع، نعم مؤمل بن إسماعيل البصري صدوق سيئ الحفظ، وثقه ابن معين، وقال البخاري: منكر الحديث. فبقي في الإسناد ضعف والله أعلم بالصواب، إلا أن البيهقي قد أخرجه بعد ذلك من طريق علي بن الجعد قال: حدثني حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن كعب قال: من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق. ثم قال: وقيل: عن حماد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي السليل عن كعب، وهو أصح من رواية مؤمل والله أعلم، فقد رجح البيهقي كون هذا الأثر مقطوعاً من قول كعب الأحبار.

نعم ينبغي التنبيه هنا أن الحديث الآخر أو هو الطرف الثاني من هذا الحديث ولفظه: "من لم يكثر ذكر الله فقد برئ من الإيمان" هذا لا يوجد إلا من طريق محمد بن سهل عن مؤمل ومحمد بن سهل كما قال الحافظ: "يروي الموضوعات" فهو حديث منكر ضعيف جداً، انظر مجمع الزوائد ٨٢/١٠ وما علق عليه الحافظ، فقد جعله موضوعاً.

(١) قد تقدم تخريجه من حديث معاذ بن جبل.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، باب فضل ذكر الله عزوجل برقم: ٦٤٠٧ وهذا اللفظ له، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد برقم: ٧٧٩، ولفظه: مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت، وإسناد البخاري ومسلم من أوله إلى آخره واحد، وأخرجه ابن حبان برقم: ٨٥٤ بلفظ مسلم، وقد قال الحافظ في الفتح ما ملخصه: أن البخاري لعله رواه من حفظه، أو تجوز فيه بالمعنى الذي سنح له انتهى، فارجع إلى الفتح إن أردت التفصيل.

يفيد أن الذاكر حي، فمن ألحق به الضرر أو الأذى، لا يأمن العقاب، والانتقام، وأما الغافل عن ذكر الله عزوجل، فهو كالميت الذي لا يستطيع أن ينتصر ممن يؤذيه، ويؤلمه، والمعادون له والمناوئون في أمن من أي نقمة، وعذاب (١).

وقال بعض الصوفية: إن المراد بهذه الحياة: هي الحياة الخالدة السرمدية التي لا تفنى، فالذي يكثر من ذكر الله مخلصاً صادقاً، ويلهج به لسانُه دائماً، اكتسب هذه الحياة التي لا تنتهي حتى الموت، وهذا كما يخبر القرآن عن الشهداء في سبيل الله، كذلك فإن لعباد الله الذاكرين حياة خاصة بعد الموت.

قال الحكيم الترمذي: "ذكر الله تعالى يرطب القلب، ويلينه، فإذا خلا عن الذكر، أصابته حرارة النفس، ونار الشهوات، فيقسو ويَيْبس، وامتنعت الأعضاء من الطاعة، فإذا مددتها انكسرت، كالشجرة إذا يبست، لا تصلح إلا للقطع، وتصير وقوداً للنار، أعاذنا الله الكريم منه (٢).

(٦) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها، وآخر يذكر الله، لكان الذاكر لله أفضل.

أخرجه الطبراني، كذا في الدر، وفي مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله وثقوا (٣).

شرح الحديث:

يرشد الحديث إلى أن الإنفاق في سبيل الله، له مكانة عظيمة ومثوبة

(١) عبر الحافظ عن هذا المعنى فقال: قيل: موقع التشبيه بالحي والميت، لما في الحي من النفع لمن يواليه، والضر لمن يعاديه، وليس ذلك في الميت انتهى.

(٢) ذكره الشيخ اليافعي الشيخ أبو محمد عبد الله بن أسعد عفيف الدين اليمني في روض الرياحين ص: ٨٨ الحكاية: ٨٦ الطبعة الأولى بالمطبعة الكاستلية مصر سنة ١٢٩٧هـ.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٥٩٦٩ وقال: لا يروى هذا الحديث عن أبي موسى إلا بهذا الإسناد، تفرد به: عمر بن يونس.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٧/١٠: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله وثقوا، وقال المنذري بعد أن أورد هذا الحديث وحديث ابن عباس: "ما صدقة أفضل من ذكر الله" رواهما الطبراني وَرُواتهما حديثهم حسن انتهى، قلت أورده صاحب الكنز برقم: ١٨٦٠ معزوا إلى ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن أبي موسى وقال: فيه جابر بن الوازع (هكذا والصحيح أبو الوازع وهو خطأ من الناسخ) وروى له مسلم، وقال النسائي: منكر الحديث انتهى.

قلت: هذا الراوي موجود في إسناد المعجم الأوسط أيضاً وهو الراوي عن أبي بردة عن أبي موسى، وفيه عمر بن موسى الحادي، وهو أيضا ضعيف قاله محقق الأوسط.

كبيرة، إلا أن ذكر الله عزوجل يفضله، ويفوقه، وهو يتضاءل إزاء ذكر الله عزوجل، فما أسعد وأحظى الأغنياء الذين وفقوا للجمع بين الحسنيين، وظفروا بالسعادتين! وجاء في حديث: "ما من يوم وليلة، إلا ولله فيه صدقة يمن بها على من يشاء من عباده، وما منّ الله على عبده بأفضل من أن يلهمه ذكره" (١).

لو أن الذين يشتغلون بالحرف، والصنائع، ويمارسون التجارة، أو الزراعة، أو يعملون موظفين، فرّغوا لذكر الله عزوجل وقتاً قليلاً، لكانت الصفقة رابحة نافعة من دون أي مؤنة، ولا يصعب على المرء أن يخصص من أوقات يومه وليلته ساعة لهذا العمل المبارك، فإننا نرى الأوقات تنقضي فيما لا يعود بنفع، ولا يأتي بخير، من فضول الكلام، واللغو، واللهو.

وجاء في حديث: "خيار عباد الله الذين يراعون الشمس، والنجوم والأظلة لذكر الله عزوجل" (٢).

يرشد هذا الحديث إلى الاهتمام برعاية الأوقات، حتى تتم العبادات والأذكار في مواقيتها، وقد أغنى اختراع الآلات والوسائل في عصرنا عن ذلك، إلا أن المعرفة بها تفيدنا في الجملة، فإن الآلات قد تخون أوتخطئ، فإذا كنا

(١) أورده المنذري في الترغيب ٢٣٠/٢ معزوا إلى ابن أبي الدنيا، و صدره بقوله: وروي عن أبي ذر وأهمل الكلام عليه، و هي علامة الضعيف عنده.

ثم وجدت أنه روي من حديث أبي الدرداء ضمن حديث، ففي مجمع الزوائد ٤٩٤/٢:

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من صلى الضحى ركعتين، لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعا، كتب من العابدين، ومن صلى ستا، كفي ذلك اليوم، ومن صلى ثمانيا كتبه الله من القانتين، ومن صلى ثنتي عشرة، بنى الله له بيتا في الجنة، ومامن يوم وليلة إلا لله من يمن به على عباده، وصدقة، وما من الله على أحد من عباده أفضل من أن يلهمه ذكره، رواه الطبراني في الكبير، وفيه موسى بن يعقوب الزمعي، وثقه ابن معين وابن حبان، وضعفه ابن المديني وغيره، وبقية رجاله ثقات. انتهى. وقال المنذري فيه: رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقات، وفي موسى بن يعقوب الزمعي خلاف، وقد روي عن جماعة من الصحابة من طرق، وهذا أحسن أسانيده فيما أعلم، ورواه البزار من طريق حسين بن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: قلت لأبي ذر: ياعماه! أوصني، قال: سألتني كما سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: إن صليت الضحى ركعتين لم تكتب من الغافلين، فذكر الحديث، ثم قال: لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه، كذا قال رحمه الله تعالى. انتهى.

وقال الهيثمي عن الحديث الثاني: رواه البزار وفيه حسين بن عطاء، ضعفه أبو حاتم وغيره، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطئ ويدلس.

(٢) أخرجه البغوي في شرح السنة برقم: ٣٩٨ قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف إبراهيم السكسكي انتهى.

عارفين بعلم الأوقات، استطعنا المحافظة على الأعمال في وقتها.

وجاء في حديث: "ما من بقعة يذكر الله عليها بصلاة، أو بذكر إلا استبشرت بذلك إلى منتهاها، إلى سبع أرضين، وفخرت على ما حولها من البقاع" (١).

(٧) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليس يتحسّر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم، لم يذكروا الله تعالى فيها.

أخرجه الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب، ورقم له بالحسن(٢) وفي مجمع الزوائد: رواه الطبراني، ورجاله ثقات، وفي شيخ الطبراني خلاف(٣) وأخرج ابن أبي الدنيا، والبيهقي عن عائشة بمعناه مرفوعاً (٤) كذا في الدر، وفي الترغيب بمعناه عن أبي هريرة مرفوعاً، وقال: رواه أحمد بإسناد صحيح، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح على شرط البخاري (٥).

شرح الحديث:

حينما يرى عباد الله في الجنة الثواب الجزيل، والأجر العظيم، الذي حصل

(١) أخرجه أبو يعلى ج/٢ص: ٣١٩ برقم: ٤١١٠، عن أنس رضي الله عنه قال الهيثمي في المجمع ١٢/١٠، رواه: أبو يعلى، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف انتهى، وفيه أيضاً يزيد الرقاشي، وأورده صاحب كنز العمال برقم: ١٨١٧٠ ج/١ ص: ٤٢٣-٤٢٤، معزوا إلى أبي الشيخ في العظمة عن أنس، وهو فيه ج/٥ ص: ١٧١٢ برقم: ١٨/١١٧٢ وفي إسناده أيضاً موسى بن عبيدة.

وأخرج الطبراني في الكبير ج/١١ص: ١٩٣ برقم: ١١٤٧٠ عن ابن عباس مرفوعا "ما من بقعة يذكر الله فيها بصلاة إلا فخرت على ما حولها من البقاع، واستبشرت بذكر الله منتهاها إلى سبع أرضين، قال الهيثمي في المجمع ٨٢/١٠: رواه الطبراني، وفيه أحمد بن بكر البالسي، وهو ضعيف جداً.

(٢) لعله يعني: رقم له السيوطي في الجامع الصغير بالحسن، وقد قال المناوي: رمز له المصنف - السيوطي - بالحسن، وهو كما قال. انتهى قوله.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ج/٢٠ ص: ٩٤ برقم: ١٨٢ وانظر قول الهيثمي في المجمع ٧٧/١٠، وشيخ الطبراني هو: محمد بن إبراهيم الصوري، وقال المنذري في الترغيب ٢٣١/٢: لا يحضرني في شيخ الطبراني جرح ولا عدالة، وبقية رجال إسناده ثقات معروفون، ورواه البيهقي بأسانيد، أحدها جيد انتهى، وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥٠٩-٥١٠.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥٠٨ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها، إلا تحسر عليها يوم القيامة، قال البيهقي: في هذا الإسناد ضعف، غير أن له شواهد من حديث معاذ، وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٨٣١٦، قال الهيثمي في المجمع ٨٣/١٠: فيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك انتهى. وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: ٣

(٥) ولفظه: ما قعد قوم لا يذكرون الله فيه، ويصلون على النبي ﷺ، إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، وإن أدخلوا الجنة للثواب، أخرجه ابن حبان برقم: ٥٩١ ج/٢ ص: ٣٥٢، وأخرجه أحمد برقم: ٩٩٦٥ وانظر الحاكم ج/١ ص: ٦٦٨ برقم: ٨/١٨٠٨ ولكن لفظه مختلف، وليس فيه: "وإن دخلوا الجنة للثواب".

لهم بذكر الله عزوجل، وما رفع الله لهم به من الدرجات، وما بلّغهم من المراتب العليا، تحسروا على الأوقات التي مضت خالية عن ذكر الله تعالى، وتأسفوا على نقصان الأجور الكثيرة، وفوات الثواب العظيم أيما أسف، فما أسعد عباد الله الذين لا يطيب لهم العيش، ولا تلذ لهم الحياة بغير ذكر الله عزوجل!

قال ابن حجر في المنبهات: كان يحيى بن معاذ الرازي يقول في مناجاته: "إلهي لا يطيب الليل إلا بمناجاتك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب الدنيا إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك" (١)

وقال الهري السقطي رحمه الله تعالى: رأيت الجرجاني يسف السويق فقلت له: مالك تسف السويق؟ فقال: قدرت ما بين مضغ الخبز وسف السويق من الوقت، فوجدته قدر ما يسبح المرء سبعين مرة، فتركت الطعام منذ أربعين عاماً، وأعيش على السويق (٢).

وعن منصور بن المعتمر: أنه لم يكلم أحداً بعد العشاء أربعين سنة، وكان الربيع ابن الهيثم (هكذا ولعله خثيم) يكتب كلامه، فإذا كان من الليل حاسب نفسه (٣).

(٨) عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما: أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: لا يقعد قوم يذكرون الله، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده.

أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه والبيهقي، كذا في الدر، والحصن الحصين، والمشكاة (٤).

(١) انظر: المنبهات، آخر باب الخماسي ص: ٥٠

(٢) ثم رأيته في الإحياء٢٨٦/٢: قال السري: رأيت مع أبي علي الجرجاني سويقاً يستف منه، فقلت: ما حملك على هذا؟ قال: إني حَسَبْتُ ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة، فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة انتهى.

(٣) ثم وجدته في إحياء العلوم ١١٢/٣: كتاب آفات اللسان، قال: وقيل: أقام المنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل: ما تكلم الربيع بن خُثَيم بكلام الدنيا عشرين سنة، وكان إذا أصبح وضع دواة، وقرطاسا، وقلماً، ما تكلم به، كتبه، ثم يحاسب نفسه عند المساء انتهى، وخُثَيم بضم الخاء المعجمة، وفتح الثاء المثلثة، وقد يقع فيه الخطأ، فيقال: خيثم بتقديم الياء وهو خطأ.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٠٧/١٠-٣٠٨ وأحمد برقم: ١١٨٧٥ ومسلم في الذكر برقم: ٢٧٠٠ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، والترمذي في الدعاء، باب: ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله عزوجل، ما لهم من الفضل برقم: ٣٣٧٨ وابن ماجه في الأدب باب فضل الذكر برقم: ٣٧٩١، وابن

وفي حديث طويل لأبي ذر: "أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله، وعليك بتلاوة القرآن، وذكر الله، فإنه ذكرلك في السماء، ونور لك في الأرض" الحديث ذكره في الجامع الصغير برواية الطبراني وعبد بن حميد في تفسيره، ورقم له بالحسن (١).

شرح الحديث:

السكينة تعني: الطمأنينة، والهدوء، أو الرحمة الخاصة، وقد ذكرتُ الأقوال المختلفة في معناها في فضائل الصلاة على النبي ﷺ قال الإمام النووي: إنها تشمل الطمأنينة، والرحمة، والوقار، وغيرها، وتنزل مع الملائكة انتهى.

وإن ذكرالله عزوجل لعباده الذاكرين في ملأ الملائكة على سبيل المباهاة إنما يرجع إلى أمرين:

حبان برقم: ٨٥٥.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم ١٥٧/٢ برقم: ١٦٥١ عن أبي ذر قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٩/٤: فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم، وأبو زرعة انتهى. والنص الكامل هكذا:

عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله، فإنها رأس أمرك، قلت: يا رسول الله! زدني قال: عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله، فإن ذلك نور لك في السموات، ونور في الأرض، قلت: يا رسول الله! زدني، قال: لا تكثر الضحك فإنه يُميت القلب، ويذهب بنور الوجه، قلت: يا رسول الله! زدني قال: عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتي، قلت: يا رسول الله! زدني قال: عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مردّة للشيطان عنك، وعون لك على أمر دينك، قلت: يا رسول الله! زدني قال: انظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك، قلت: يا رسول الله! زدني، قال: لا تخف في الله لومة لائم، قلت: يا رسول الله! زدني قال: تحب للناس ما تحب لنفسك، ثم ضرب بيده على صدري فقال: يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق انتهى من المعجم الكبير.

ولبعض الأجزاء منه شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أحمد برقم: ١١٧٧٤، وأبو يعلى برقم: ١٠٠١، ولفظ أحمد: عن أبي سعيد أن رجلاً جاءه قال: أوصني فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكر لك في الأرض، وزاد أبو يعلى: واخزن لسانك إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان.

قال الهيثمي في المجمع ٢١٨/٤: رجال أحمد ثقات، وفي إسناد أبي يعلى: ليث بن أبي سليم، وهو مدلس انتهى. وقال محققو المسند: إسناده ضعيف، عقيل بن مدرك السلمي لم يدرك أبا سعيد، والحجاج بن مروان الكلاعي لم نقع له على ترجمة في كتب الرجال، إلا ما نقله الحافظ في تعجيل المنفعة عن الحسيني في الإكمال أنه ليس بمشهور، وبقية رجاله ثقات، انتهى. ولعل السيوطي حسنه من أجل أن لأكثره شواهد والله أعلم.

الأول: أنهم قد قالوا لله سبحانه وتعالى عند خلق آدم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، كما ذكرنا ذلك من قبل.

والثاني: هو أن الملائكة، وإن كانوا يشتغلون بذكر الله تعالى، وطاعته وعبادته دوما، ولا يستحسرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، إلا أن طاعة الإنسان تفوق طاعتهم، من حيث إنه تتجاذبه الأهواء، والرغبات، وتحيط به، وتلابسه دواعي الغفلة، والعصيان، من الشهوات، واللذات، فإذا انتصر على ذلك كله، وقام بالذكر، والطاعة، كان ذلك جديراً بالمدح، والثناء والتقدير.

جاء في حديث أنه: "لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل عليه السلام إلى الجنة فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فرجع، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها، فحفت بالمكاره فقال: اذهب إليها، فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها، فإذ هي قد حفت بالمكاره، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: اذهب، فانظر إلى النار، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع، فقال: وعزتك لا يدخلها أحد، فأمر بها، فحفت بالشهوات، فقال: ارجع، فانظر إليها، فنظر إليها، فإذا هي قد حفت بالشهوات، فرجع وقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها" (١).

ونظراً إلى ذلك، فإن العبد إذا تغلب على الشهوات، وانتصر على الرغبات، والأهواء، وجاهد نفسه في طاعة الله، وذكره، كان سعيه عند الله تعالى مشكوراً، فيذكر الله عمله أمام ملائكته على سبيل الرضا، والفرح.

وما أشار إليه الحديث من احتفاف الملائكة، وإحاطتهم بمجلس ذكر الله، فهي الجماعة الخاصة من الملائكة، عينت لهذه الوظيفة: وظيفة البحث عن مجالس الذكر، والاستماع إليها، وغشياتها، كما جاء في الحديث:

"إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضُلاً يتتبعون مجالس الذكر، فإذا

---

(١) أخرجه النسائي كتاب الإيمان والنذور، الحلف بعزة الله تعالى برقم: ٣٧٦٣ من ترقيم عبد الفتاح.

وجدوا مجلساً فيه ذكر الله، قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم، حتى يملؤوا ما بينهم وبين سماء الدنيا. وفي رواية البخاري: فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى، تنادوا، هلموا إلى حاجتكم"(١) وسيأتي في الباب الثالث إن شاء الله.

(٩) عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكن أتاني جبرئيل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة.

أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، كذا في الدر، والمشكاة (٢).

شرح الحديث:

يعني صلى الله عليه وسلم: أنه كان مقصودي بهذا الاستحلاف، إنما هو الاهتمام، والاستيثاق، والتأكد من سبب المباهاة، والفخر، وتقريره تنويهاً بشأنه، وتعظيماً له، فقد علمت أن ذكر الله عزوجل، وحمده على توفيقه، وهدايته للإسلام، هو الباعث عليه لا غير.

ما كان أسعد أولئك الرجال أصحاب رسول الله ﷺ! وما كان أحسن حظهم وأعلى شأنهم! إذ تأتيهم البشرى من الله عزوجل بحسن القبول لطاعتهم وعباداتهم، وأن الله يباهي بذكرهم، وحمدهم الملائكة، ولم لا؟ فقد كانت أعمالهم، وجهودهم جديرة بذلك.

قال ملا علي القاري رحمه الله: معنى المباهاة بهم: أن الله تعالى يقول لملائكته: انظروا إلى عبيدي هؤلاء! كيف سلطت عليهم نفوسهم، وشهواتهم، وأهويتهم، والشيطان، وجنوده، ومع ذلك قويت همتهم على مخالفة هذه

(١) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب فضل الله عزوجل برقم: ٦٤٠٨، ومسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل مجالس الذكر برقم: ٢٦٨٩ عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٠٠٨٣ وأحمد برقم: ١٦٨٣٥ ومسلم برقم: ٢٧٠١، والترمذي: ٣٣٧٩، والنسائي ٢٤٩/٨ وابن حبان: ٨١٣، والطبراني في الكبير ٧٠١/١٩ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

الدواعي القوية إلى البطالة، وترك العبادة، والذكر، فاستحقوا أن يُمدحوا أكثر منكم، لأنكم لا تجدون مشقة بوجه، وإنما هي منكم، كالتنفس منهم، ففيها غاية الراحة والملاءمة للنفس انتهى (١).

(١٠) عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات.

أخرجه أحمد، والبزار، وأبو يعلى، والطبراني (٢) وأخرجه الطبراني عن سهل بن الحنظلية (٣) أيضاً.

وأخرجه البيهقي عن عبد الله بن مغفل وزاد: وما من قوم اجتمعوا في مجلس فتفرقوا، ولم يذكروا الله، إلا كان ذلك عليهم حسرة يوم القيامة (٤) كذا في الدر. و قال المنذري: رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، ورواته محتج بهم في الصحيح.

وفي الباب عن أبي هريرة عند أحمد، وابن حبان، وغيرهما، وصححه الحاكم على شرط مسلم في موضع، وعلى شرط البخاري في موضع آخر (٥).

وعزا السيوطي في الجامع حديث سهل إلى الطبراني، والبيهقي في الشعب والضياء، ورقم له بالحسن، وفي الباب روايات ذكرها في مجمع الزوائد (٦).

(١) انظر: المرقاة ج/٥ ص: ٦٩ كتاب الدعوات، باب ذكر الله عزوجل والتقرب إليه الفصل الثالث، في شرح حديث معاوية رضي الله عنه.

(٢) حديث أنس أخرجه أحمد برقم: ١٢٤٥٣ والبزار برقم: ٣٠٦١ من كشف الأستار، وأبو يعلى برقم: ٤١٤١، والطبراني في الأوسط، قال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل ميمون المرئي، وميمون بن سياه، وهما صدوقان.

(٣) وحديث سهل بن الحنظلية أخرجه الطبراني في الكبير ج/٦ ص: ٢١٢ برقم: ٦٠٣٩ ولفظه: ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عزوجل فيه، فيقومون حتى يقال لهم: قوموا، قد غفر الله ذنوبكم، وبدلت سيئاتكم حسنات.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٩/١-٨٠: رواه الطبراني، وفيه المتوكل بن عبد الرحمن والد محمد ابن أبي السري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات انتهى. وقد تعقب محقق المعجم الكبير الهيثمي بأن إسناده ليس فيه المتوكل بن عبد الرحمن والد ابن أبي السري، ولعل عينه أخطأت انتهى. وهو كما قال، والحديث أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٦٨٤ بهذا الإسناد وبإسناد آخر أيضاً برقم: ٦٨٣.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥٣٠ وفي إسناده أبو الوازع جابر بن عمرو، ومع ذلك فقد قال الهيثمي في المجمع بعد ذكر الزيادة التي أشار إليها السيوطي وإسنادها نفس الإسناد عند الطبراني في الأوسط برقم: ٣٧٤٤ قال الهيثمي ٨٣/١٠: رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجالهما رجال الصحيح.

(٥) انظر الحاكم ج/١ ص: ٦٦٨ رقم الحديث: ١٨٠٨-١٨٠٩ وج/١ ص: ٧٣٥ رقم: ٢٠١٧

(٦) لعل مراد الشيخ ما أورده الهيثمي في كتاب الأذكار في باب الوعيد على ترك ذكر الله عزوجل في

شرح الحديث:

يبين هذا الحديث فضل مجالس الذكر، وعظم نفعها، وعلو مكانتها، وفي جانب آخر، فإن المجالس التي خلت من ذكر الله، وحمده، والصلاة على النبي ﷺ، كانت حسرة يوم القيامة، وترة، وربما كانت وبالاً، فقد جاء في الحديث: "ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة" (١).

وجاء في حديث: "من جلس مجلساً، فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، وأشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك، وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك" (٢).

وجاء في حديث: "ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه، ولم يصلوا على نبيهم فيه، إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم (٣).

وجاء في حديث: "أعطوا المجالس حقها، قلنا: ما حقها؟ قال: غض البصر، ورد السلام، وحسن الكلام، وإهداء السبيل" (٤).

المجالس، فانظر مجمع الزوائد ٨٢/١٠

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب كراهية الرجل أن يقوم من مجلسه، ولا يذكر الله، برقم: ٤٨٥٥ عن أبي هريرة، قال النووي في رياض الصالحين في آداب المجلس: رواه أبو داود بإسناد صحيح انتهى وأخرجه الحاكم ٦٦٨/١ رقم: ١٨٠٨.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه كتاب الدعوات باب: ما يقول إذا قام من مجلسه برقم: ٣٤٣٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، لا نعرفه من حديث سهيل إلا من هذا الوجه انتهى، وأخرجه أبوداود عن سعيد المقبري عن عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفاً برقم: ٤٨٥٧ في الأدب، قال: كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه ثلاث مرات، إلا كفر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير، ومجلس ذكر، إلا ختم له بهن عليه، كما يختم بالخاتم على الصحيفة: "سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك". ثم ساق أبو داود إسنادا آخر عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وقال: نحو ذلك

وأخرج أبو داود برقم: ٤٨٥٩ عن أبي برزة الأسلمي قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك" فقال رجل: يا رسول الله! إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ قال: كفارة لما يكون في المجلس.

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في الدعوات باب: ما جاء في القوم يجلسون، ولا يذكرون الله برقم: ٣٣٨٠، وقال: هذا حديث حسن، وفي نسخة: زيادة صحيح، وقال: قد روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير وجه.

(٤) أخرجه أحمد برقم: ١٦٣٦٧ وأخرجه مسلم كتاب السلام برقم: ٢١٦١ والطبراني في الكبير برقم: ٤٧٢٥ وهو الذي زاد: "إهداء السبيل" كلهم عن أبي طلحة رضي الله عنه.

وقال علي رضي الله عنه: "من أحب أن يُكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه من مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين" (١).

ومما يجدر بالذكر: أن الحديث المذكور يبشر القوم المجتمعين لذكر الله عزوجل ابتغاء وجهه بإبدال سيئاتهم حسنات، وقد جاء ذلك في قوله تعالى أيضاً: ﴿ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٠].

وللعلماء في تفسير هذه الآية أقوال:

الأول: تغفر السيئات، وتبقى الحسنات التي عملوها.

الثاني: أن الله تعالى يوفقهم للحسنات مكان السيئات.

الثالث: تميل أخلاقهم وطبائعهم إلى الحسنات عن السيئات.

وشرح ذلك: أن طبيعة الإنسان لا تتغير، ولا تتحول، كما جاء في الحديث: "إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه، فصدقوه، وإذا سمعتم برجل تغير عن خلقه، فلا تصدقوا به، فإنه يسير إلى ما جبل عليه" (٢).

كأنه قيل: إن زوال الجبل عن مكانه أسهل وأيسر من تغير المرء عن خُلُقه، ويشكل عليه أن المشايخ والربانيين يشتغلون بإصلاح الأخلاق، ويركزون عليه، فماذا يراد بذلك؟

فالجواب: أن الأخلاق، والعادات لا تزول، ولا تتبدل، وإنما تميل من جهة إلى أخرى، هبْ على سبيل المثال: أن رجلاً طُبع على خلق الغضب، فإنه يستحيل أن يزول غضبه، ولكن يميل بفضل تربية المشايخ الربانيين، وترويضهم، والمجاهدة التي يقوم بها، تحت إشرافهم، من جهة الاشتفاء للنفس، وإرواء غليل الانتصار، والثورة، إلى جهة الغيرة على المعاصي، وتغيير المنكرات، فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه، كان لا يألو جهداً في إيصال الأذى إلى المسلمين، وإلحاق الأضرار بهم، فلما تشرف بالإسلام، وتربى على يد رسول الله، فإذا به يميل

---

(١) أخرجه البغوي في تفسيره من طريق وكيع بن ثابت بن أبي صفية عن أصبغ بن بنانة عن علي موقوفاً.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢٧٤٩٩ عن أبي الدرداء وفي إسناده انقطاع، لم يدرك الزهري أباالدرداء.

بتلك الشدة على الكفار، والفساق، وهلم جرا، وبالجملة فإن الله سبحانه وتعالى يوجه أخلاقهم، وطبيعتهم نحو الحسنات، والصالحات (١).

الرابع: يلهمهم الله عزوجل التوبة عن الذنوب، والآثام، فيتذكرونها ذنباً ذنباً، ويجددون لكل ذنب توبة، فتمّحي السيئات، وتثبت مكانها التوبات، وهي لا شك عبادات محبوبات عند الله عزوجل (٢).

الخامس: هو أن الله سبحانه وتعالى كريم، فإذا أحب من عبد من عباده بعض عمله، وكتب له الحسنات بمثل السيئات، فماذا يُستبعد من ذلك؟ وهل يُحجر واسعُ رحمته؟ إنه يفعل ما يشاء، ويختار، ماكان لهم الخيرة، هو الذي بيده مفاتيح الأمور، وهو الغفور، الرحيم، الودود، الذي جعل الرحمة مائة جزء، فأنزل الواحد في الأرض، بها تتراحم الخلائق، وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة (٣).

وقد قال رسول الله ﷺ: "إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعو عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول: نعم! لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن له مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك، حتى بدت نواجذه" (٤).

لكن لا ينبغي أن يغتر المرء بذلك، فإنه لا يُدرى من هذا السعيد الذي تبدل له السيئات حسنات، فالعبودية تقتضي أن يرجو الله سبحانه وتعالى،

---

(١) قال الآلوسي في روح المعاني: قيل: المراد بالسيئات والحسنات ملكتهما، لا أنفسهما، أي: يبدل عزوجل بملكة السيئات ودواعيها في النفس ملكة الحسنات، بأن يزيل الأولى، ويأتي بالثانية، انظر تفسير آية الفرقان.

(٢) قال الرازي في تفسيره: قال الزجاج: السيئة بعينها لا تصير حسنة، ولكن التأويل: أن السيئة تُمحى بالتوبة، وتكتب الحسنة مع التوبة، والكافر يحبط الله عمله، ويثبت عليه السيئات.

(٣) قال الآلوسي في الروح: ويسمى هذا التبديل كرم العفو، وكأنه لذلك قال أبو نواس:

تعض ندامـــة كفيك مما ... تركت مخافة الذنب السرور.

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان برقم: ١٩٠، عن أبي ذر، والترمذي برقم: ٢٥٩٦ وأحمد برقم: ٢١٣٩٣ وغيرهم.

ويسأله فضله، ورحمته، ولكن الركون إلى ذلك، والأمن من العقاب، جرأة على الله مذمومة، ووقاحة.

وعلى كل، فالحديث يبين أن حضور مجالس الذكر بالإخلاص، والنية الصحيحة، سبب لتبديل السيئات حسنات، والإخلاص منحة من الله جل وعلا، وعطاء، وهو من مهمات الدين، وروح الأعمال، وقد ورد شرط الإخلاص في كثير من الأحاديث، والحق أن القيمة عند الله عزوجل إنما هي كلها للإخلاص، وتعتبر الأعمال بحسب ما فيها من الإخلاص.

ومعنى الإخلاص عند أصحاب القلوب: مطابقة الحال للقال، وموافقة الباطن للظاهر.

وفي الإسرائيليات: "أن عابداً كان يعبد الله دهراً طويلاً، فجاءه قوم فقالوا: إن ههنا قوماً يعبدون شجرة من دون الله تعالى، فغضب لذلك، وأخذ فأسه على عاتقه، وقصد الشجرة ليقطعها، فاستقبله إبليس في صورة شيخ، فقال: أين تريد رحمك الله؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة، قال: وما أنت وذاك؟! تركت عبادتك واشتغالك بنفسك، وتفرّغت لغير ذلك! فقال: إن هذا عبادتي، قال: فإني لا أتركك أن تقطعها، فقاتله، فأخذه العابد، فطرحه إلى الأرض، وقعد على صدره، فقال له إبليس: أطلقني حتى أكلمك، فقام عنه.

فقال إبليس: يا هذا! إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا، ولم يفرضه عليك، وما تعبدها أنت، وما عليك من غيرك؟ ولله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض، ولو شاء لبعثهم إلى أهلها، وأمرهم بقطعها، فقال العابد: لا بد لي من قطعها، فنابذه للقتال، فغلبه العابد، وصرعه، وقعد على صدره، فعجز إبليس، فقال له: هل لك في أمر فصل بيني وبينك، وهو خير لك وأنفع؟ قال: وما هو؟ قال: أطلقني حتى أقول لك، فأطلقه، فقال إبليس: أنت رجل فقير لاشيء لك، إنما أنت كَلٌ على الناس يعولونك، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك، وتواسي جيرانك، وتشبع، وتستغني عن الناس! قال: نعم، قال: فارجع عن هذا الأمر، ولك عليّ أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين، إذا أصبحت أخذتهما، فأنفقت على نفسك، وعيالك، وتصدقت على إخوانك، فيكون ذلك

أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها، ولا يضرهم قطعها شيئاً، ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها، فتفكر فيما قال: وقال: صدق الشيخ، لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة، ولا أمرني الله أن أقطعها، فأكون عاصياً بتركها، وما ذكره أكثر منفعة، فعاهده على الوفاء بذلك، وحلف له.

فرجع العابد إلى متعبده، فبات، فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه، فأخذهما، وكذلك الغد، ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده، فلم ير شيئاً، فغضب وأخذ فأسه على عاتقه، فاستقبله إبليس في صورة شيخ، فقال له: إلى أين؟ قال: أقطع تلك الشجرة، فقال: كذبت! والله ما أنت بقادر على ذلك، ولا سبيل لك إليها، قال: فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة، فقال: هيهات! فأخذه إبليس، وصرعه، فإذا هو كالعصفور بين رجليه، وقعد إبليس على صدره وقال: لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك! فنظر العابد، فإذا لا طاقة له به، قال: يا هذا! غلبتني فخلِّ، وأخبرني كيف غلبتك أولاً وغلبتني الآن؟ فقال: لأنك غضبت أول مرة لله، وكانت نيتك الآخرة، فسخرني الله لك، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا، فصرعتك (١).

(١١) عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب القبر من ذكر الله.

أخرجه أحمد (٢) كذا في الدر. وإلى أحمد عزاه في الجامع الصغير بلفظ: أنجى له من عذاب الله، ورقم له بالصحة، وفي مجمع الزوائد: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن زياداً لم يدرك معاذاً، ثم ذكره بطريق آخر، وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح (٣).

قلت: وفي المشكاة عنه موقوفاً بلفظ: ما عمل العبد عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله وقال: رواه مالك، والترمذي، وابن ماجه (٤).

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء ٣٧٧/٤ فضيلة الإخلاص.
(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢٢٠٧٩ وفي سنده انقطاع كما قال الهيثمي؛ فإن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة لم يدرك معاذا.
(٣) انظر مجمع الزوائد ٦٧/١٠ كتاب الأذكار، باب فضل ذكر الله والإكثار منه.
(٤) أخرجه مالك ٢١١/١ برقم: ٢٤ كتاب القرآن، والترمذي كتاب الدعوات برقم: ٣٣٧٧ وابن ماجه

قلت: هكذا رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وأقره عليه الذهبي (١)

وفي المشكاة برواية البيهقي في الدعوات عن ابن عمر مرفوعاً بمعناه (٢)

قال القاري: رواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدينا.

وذكره في الجامع الصغير برواية البيهقي في الشعب، و رقم له بالضعف، وزاد في أوله: لكل شيء سقالة، وسقالة القلوب ذكر الله.

وفي مجمع الزوائد برواية جابر مرفوعاً نحوه قال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح (٣).

شرح الحديث:

لا يخفى على من اطلع على الأحاديث الواردة في عذاب القبر، هوله وشدته، ولذلك فقد كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر، بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟! فقال: إن رسول الله ﷺ قال: "إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه" قال: وقال رسول الله ﷺ: "ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفزع منه" (٤).

وقالت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يستعيذ في كل صلاة من عذاب القبر" (٥).

كتاب الأدب برقم: ٣٧٩٠ عن زياد بن أبي زياد عن معاذ موقوفاً بعد أن رووا عن زياد بن أبي زياد عن أبي الدرداء حديث: ألا أخبركم بخير أعمالكم إلا أن مالك رواه موقوفا، والترمذي وابن ماجه مرفوعا، وأما الجزء المذكور عن معاذ فهو عند الثلاثة موقوف.
(١) انظر المستدرك ج/١ ص: ٦٧٣ برقم: ٢٥/١٨٢٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي مقرا عليه: صحيح
(٢) أخرجه البيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعاً بزيادة: لكل شيء سقالة في أوله برقم: ٥١٩.
(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٢٢٩٦ عن جابر وقال محققه: إسناده صحيح، إلا أن محققي مسند أحمد نقلوا برقم: ٢٢٠٧٩ عن الحافظ قوله بأن هذه رواية شاذة
(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب: ما جاء في فظاعة القبر..رقم ٢٣٠٨ وابن ماجه في كتاب الزهد باب ذكر القبر والبلى برقم: ٤٢٦٧.
(٥) أخرج البخاري في الجنائز برقم: ١٣٧٢ ومسلم في المساجد برقم: ٥٨٦ عن عائشة: أن يهودية دخلت عليها، فذكرت له القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: نعم! عذاب القبر، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ صلى صلاة، إلا تعوذ من عذاب القبر اللفظ للبخاري، وروى ابن أبي شيبة برقم: ١٢١٥٥ عن أبي بكرة عن النبي ﷺ أنه كان يدعو في إثر الصلاة يقول: اللهم إني أعوذبك من الكفر، والفقر، وعذاب

وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: " فلو لا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم عن عذاب القبر الذي أسمع منه"(١).

وإن عذاب القبر يسمعه كل حيوان على الأرض إلا الإنس والجن(٢).

وورد في حديث: أن النبي ﷺ كان في بعض أسفاره، إذ حادت به بغلته فقالوا: مالها؟ فقال: كان رجل يعذب في قبره، فحادت من أجل صوته (٣).

ومرة دخل رسول الله ﷺ مصلاه، فرأى ناساً كأنهم يكترشون، قال: "أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات، لشغلكم عما أرى(الموت)، فأكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم، فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن، قال له القبر: مرحباً وأهلاً، إن كنت لأحب من يمشي على ظهري، فإذ وليتك اليوم، وصرت إلي، فسترى صنيعي بك، قال: فيتسع له مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة.

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر، قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي، فإذ وليتك اليوم، وصرت إلي، فسترى صنيعي بك، قال: فيلتئم عليه، حتى يلتقي عليه، وتختلف أضلاعه، قال: قال رسول الله ﷺ بأصابعه، فأدخل بعضها في جوف بعض، قال: ويقيض له سبعون تنيناً، لو أن واحدا منها نفخ في الأرض، ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا، فينهشنه ويخدشنه، حتى يفضى به إلى الحساب، قال: قال رسول الله ﷺ: إن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار (٤).

القبر، قال محققه عوامة: إسناده حسن قوي.

(١) أخرجه مسلم في الجنة برقم: ٢٨٦٧ وابن أبي شيبة برقم: ١٢١٥٣ وأحمد برقم: ٢١٦٥٨ في قصة، وقد روى أحمد عن أنس مثله برقم: ١٢٠٠٧ بسند صحيح على شرط الشيخين.

(٢) جاء في حديث أنس الطويل في عذاب القبر، فيضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين، أخرجه البخاري في الجنائز برقم: ١٣٧٤ ومسلم في الجنة ٢٨٧٠ وانظر حديث أم مبشر رضي الله عنها الذي رواه أحمد برقم: ٢٧٠٤٤ ففيه: نعم عذاباً تسمعه البهائم وإسناده صحيح.

(٣) انظر في صحيح مسلم برقم: ٢٨٦٧ حديث زيد بن ثابت.

(٤) أخرجه الترمذي في صفة القيامة باب حديث: أكثروا من ذكر هاذم اللذات عن أبي سعيد الخدري برقم: ٢٤٦٠ وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه

وجاء في حديث أنه: "مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: يعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى! كان أحدهما: لا يستتر عن بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة(١).

والعجب من كثير من مثقفي عصرنا حيث يعتبرون الاستنجاء غضاضة وعاراً، وقد عد العلماء التفريط في التوقي من البول، وعدم الاحتراز منه كبيرة من الكبائر.

وقال ابن حجر المكي: قد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكثر عذاب القبر في البول (٢).

وجاء في حديث: "إن أول ما يحاسب به في القبر هو: البول " (٣).

خلاصة القول: أن عذاب القبر أفظع وأهول، وأن لبعض المعاصي والسيئات خصوصية فيه، كما أن لبعض الأعمال الصالحة خصوصية في الوقاية منه، كما قد تعددت الأحاديث في أن تلاوة سورة الملك كل ليلة سبب للنجاة من عذاب القبر، وحفظ من عذاب النار كذلك، (٤) وهذا الحديث يصرح بأن ذكر الله أنجى شيء من عذاب القبر.

(١٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليبعثن الله

---

(١) أخرجه البخاري في الوضوء برقم: ٢١٦ ومسلم في الطهارة برقم ٢٩٢

(٢) قد أخرجه أحمد برقم: ٨٣٣١ عن أبي هريرة بسند صحيح على شرط الشيخين على ما قاله محققو المسند: وله شاهد عن ابن عباس مرفوعا عند الحاكم ج/١ ص: ٢٩٣ برقم ٢٠٩/٦٥٤ وصححه ووافقه الذهبي وقال: وله شاهد انتهى.

وله شاهد آخر عن معاذ بن جبل عند الطبراني في الكبير ج/٢ ص: ١٢٤ برقم: ٢٤٨ ولفظه عن النبي ﷺ: أنه كان يستنزه من البول، ويأمر أصحابه بذلك، قال معاذ: إن عامة عذاب القبر من البول، وفي إسناده رشدين بن سعد، وفيه عبد الله بن خُذيم، قال الهيثمي: لم أر من ذكره.

(٣) أخرجه الطبراني برقم: ٧٦٠٥ و: ٧٦٠٦ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا البول، فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر، والإسنادان كلاهما ضعيف، لأن الأول فيه رجل مجهول، وفي الثاني أيوب بن مدرك.

(٤) كما أخرج الترمذي في فضائل القرآن برقم: ٢٨٩٠ عن ابن عباس في قصة مرفوعاً، هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة برقم: ٢٨٩١ مرفوعاً: أن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن وأخرج البيهقي في الشعب برقم: ٢٢٧٩ عن ابن مسعود موقوفاً: هي المانعة تمنع من عذاب القبر وهي في التوراة، سورة الملك، من قرأها ليلة فقد أكثر وأطاب.

وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور أحاديث أخرى فراجع إليه.

أقواماً يوم القيامة، في وجوههم النور، على منابر اللؤلؤ، يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، فقال أعرابي: حلّهم لنا نعرفهم قال: هم المتحابون في الله من قبائل شتى، وبلاد شتى، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه.

أخرجه الطبراني بإسناد حسن، كذا في الدر، ومجمع الزوائد، والترغيب للمنذري(١) وذكر أيضاً له متابعة برواية عمرو بن عبسة عند الطبراني مرفوعاً قال المنذري: وإسناده مقارب لا بأس به (٢).

ورقم لحديث عمرو بن عبسة في الجامع الصغير بالحسن، وفي مجمع الزوائد: رجاله موثقون (٣).

وفي مجمع الزوائد بمعنى هذا الحديث مطولاً، وفيه: حلهم لنا يعني: صِفْهُمْ، فسُرّ وجه رسول الله ﷺ بسؤال الأعرابي، الحديث، قال: رواه أحمد، والطبراني بنحوه، ورجاله وثقوا (٤).

قلت: وفي الباب عن أبي هريرة عند البيهقي في الشعب: إن في الجنة لعمداً من ياقوت، عليها غرف من زبرجد، لها أبواب مفتحة، تضيء كما يضيء الكوكب الدري، يسكنها المتحابون في الله، كذا في الجامع الصغير، ورقم له بالضعف (٥) وذكر في مجمع الزوائد له شواهد، وكذا في المشكاة.

شرح الحديث:

تتوجه اليوم إلى أهل القلوب أصابع التهمة، وتقع عليهم سهام اللوم

---

(١) قال المنذري ٤/٤٨: رواه الطبراني بإسناد حسن، وكذا قال الهيثمي في المجمع ١٠/٨٠.

(٢) ولفظه عن عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عن يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ رجال ليسوا بأنبياء، ولا شهداء، يعشي بياض وجوههم نظر الناظرين، يغبطهم النبيون، والشهداء بمقعدهم، وقربهم من الله عزوجل، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه، قال المنذري في الترغيب ٢/٢٣٤: رواه الطبراني، وإسناده مقارب، لا بأس به.

(٣) انظر مجمع الزوائد ١٠/٨٠

(٤) أخرجه أحمد برقم: ٢٢٩٦ عن أبي مالك الأشعري مطولاً، لكن هذا الحديث لا يكون متابعاً لحديث أبي الدرداء على مدح الاجتماع على ذكر الله، نعم هو في مدح التحاب في الله، وكان جواب رسول الله فيه: هم ناس من أفناء الناس، ونوازع القبائل، لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله، وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجلسهم فيجعل عليها وجوههم نوراً، وثيابهم نوراً، يفزع الناس يوم القيامة، ولا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥٨٨٩ عن أبي هريرة وإسناده ضعيف.

والسخرية، فليكثر اللائمون اليوم من لومهم ما شاءت لهم أنفسهم، فسوف تتجلى الحقيقة يوم القيامة، حيث يرى المستهزؤون ما كسب هؤلاء من الحسنات، وينظرون إليهم وهوعلى منابر اللؤلؤ، وفي غرف الزبرجد، ثم يرون أنفسهم، وما جاءوا به، فبصرهم اليوم حديد.

فسوف ترى إذا انكشف الغبار أفرس تحت رجلك أم حمار

إن نظرة في الأحاديث الواردة في مجالس الذكر تُري ما تحمل هذه الزوايا والتكايا لأصحاب القلوب من الأهمية، والقيمة في عين الله عزوجل، ومالها من الفضل، جاء في الحديث: "إن البيت الذي يذكر الله فيه لينير لأهل السماء، كما تنير النجوم لأهل الأرض" (١).

قال الصحابي الجليل أبو رزين: قال رسول الله ﷺ له: "يا أبا رزين ألا أدلك على ملاك الأمر، تبلغ به خير الدينا والآخرة، فالزم مجالس الذاكرين، وإذا خلوت، فحرك لسانك بذكر الله (٢).

وقال أبو هريرة: "إن أهل السماء ليتراءون البيت الذي يذكر الله فيه كما يتراءى أهل الدنيا الكوكب الذي في السماء" (٣).

وإن هذا النور الذي يعلو مجالس ذكر الله عزوجل، ويغشى بيوت الذاكرين، ويصحب الذكر، قد يدركه ذوو البصائر في هذه الدنيا، يقول الشيخ فضيل بن عياض: إن البيوت التي يذكر الله فيها عزوجل لتلألأ لأهل السماء كالسراج.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة برقم: ٣٦٥٢ عن عبد الرحمن بن سابط عن سابط بن أبي حميضة في ترجمته ج/٣، ص١٤٤٠ مرفوعا وأخرج عبد الرزاق في المصنف برقم: ٥٩٩٩ عن عبد الرحمن بن سابط مرسلا قال: قال رسول الله: إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويثوّر ...

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٦٨٠٦ عن أبي رزين أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أدلك على ملاك هذا الأمر، تصيب به خير الدنيا والآخرة، عليك بمجالس الذكر وإذا خلوت فحرّك لسانك ما استطعت بذكر الله، وأحبب في الله وأبغض في الله الحديث وضعفه المحقق من أجل أن فيه عثمان بن عطاء أبا مسعود الدمشقي وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم: ٩٦٣ ص: ٣٤٩ عن أبي هريرة موقوفاً، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم: ٥٩٩٩ عن معمر قال: سمعت رجلاً من أهل المد ينة يقول إلا أن فيه: "البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويصلى فيه" وأخرجه ابن أبي شيبة رقم: ٣٠٦٤٨ عن ابن سابط من قوله: إن البيوت التي يقرأ فيها القرآن لتضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض.

(١٣) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: ما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر.

أخرجه أحمد، والترمذي، وحسنه، وذكره في المشكاة برواية الترمذي وزاد في الجامع الصغير: البيهقي في الشعب، ورقم له بالصحة (١).

وفي الباب عن جابر عند ابن أبي الدنيا، والبزار، وأبي يعلى، والحاكم وصححه، والبيهقي في الدعوات كذا في الدر (٢).

وفي الجامع الصغير برواية الطبراني عن ابن عباس بلفظ: مجالس العلم (٣) وبرواية الترمذي عن أبي هريرة بلفظ: المساجد محل حلق الذكر وزاد: الرتع سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر (٤).

شرح الحديث:

المقصود أن هذه المجالس، وحلق الذكر، لها شأن عظيم، فمن وفق لها وسعد بالتوصل إليها، فليغتنمها، ويتمتع بها، وكلمة "الرتع" تشير إلى أنه ينبغي للمرء أن لا ينصرف عن هذه الحلق، والمجالس، من أجل بعض العوائق، والأشغال، شأنَ البهيمة التي تمر ببعض المراتع الخضراء، فيعجبها الرتع منها، ويحلو لها، فتنهمك فيه، ولا ترضى بفراقها، حتى تتحمل الضرب، والزجر.

وأما تعبير: "رياض الجنة" فيرمز إلى أن هذه المجالس تخلو من الآفات والمصائب، كما أن الجنة لا خوف فيها، ولاهمّ، ولاحزن، ولا آفة.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: ٣٥١٠ وأبو يعلى برقم: ٣٤٣٢ وأحمد برقم: ١٢٥٢٣ والبيهقي في الشعب برقم: ٥٢٦ والبزار برقم: ٣٠٦٣.

(٢) أخرجه أبو يعلى ١٨٦٥ و ٢١٣٨ والبزار برقم: ٣٠٦٤ من كشف الأستار، والحاكم ج/١ ص: ٦٧١-٦٧٢ برقم: ٢٠/١٨٢٠ ولفظه: خرج علينا رسول الله فقال: يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة، قالوا: وأين رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا، وروحوا في ذكر الله، اذكروه بأنفسكم، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بأن عمرو وهو ابن عبد الله مولى غفرة ضعيف. وانظر مجمع الزوائد ٨٠/١٠

(٣) أخرجه الطبراني برقم: ١١١٥٨ ولكن فيه مجهول حيث قال الحارث بن عطية: حدثنا بعض أصحابنا عن ابن أبي نجيح.

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم: ٣٥٠٩ وفيه: حميد المكي، وهو ضعيف وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وجاء في حديث: "ذكر الله شفاء القلوب" (١).

وقال صاحب "الفوائد في الصلات والعوائد": إن المواظبة على ذكر الله عزوجل تجنب صاحبها كل الآفات، والمصائب.

وقد جاء في الحديث الصحيح: "أن يحيى بن زكريا قال لقومه: آمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا، حتى إذا أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله" (٢).

ويكون ذاكر الله عزوجل جليسه تبارك وتعالى، فأي فائدة أعظم من أن يكون جليساً لله سبحانه وتعالى؟ ثم إنه يشرح الصدر، وينور القلب، ويذهب بقسوة القلب، ويشتمل على منافع كثيرة أخرى، قد أوصلها بعض العلماء إلى مائة انتهى.

جاء رجل إلى أبي أمامة رضي الله عنه فقال: إني رأيت في منامي أن الملائكة تصلي عليك، كلما دخلت، وكلما خرجت، وكلما قمت، وكلما جلست، فقال أبو أمامة: وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة، ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٢-٤٣] (٣)

(١٤) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من عجز منكم عن الليل أن يكابده، وبخل بالمال أن ينفقه، فليكثر ذكر الله.

رواه الطبراني (٤) والبيهقي، والبزار، واللفظ له، وفي سنده أبو يحيى

---

(١) أخرج البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٧٠٥ عن مكحول مرسلاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ذكر الله شفاء، وإن ذكر الناس داء، ثم قال البيهقي: هذا مرسل، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قوله انتهى وأورده الهندي في كنز العمال معزوا إلى مسند الفردوس عن أنس مرفوعاً: ذكر الله شفاء القلوب.

(٢) أخرجه الترمذي في الأدب عن الحارث الأشعري برقم: ٢٨٦٣٠ ضمن حديث طويل أوله: إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج/٢ ص: ٤٥٣ في التفسير برقم: ٧٠٢/٣٥٦٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ج/١١ ص: ٨٤ رقم: ١١١٢١ بلفظ: من عجز منكم عن العدو أن يجاهده، وعن الليل أن يكابده، فليكثر ذكر الله، وأخرجه البزار كما في كشف الأستار ج/٤ ص: ٣

القتات، وبقية رجاله محتج بهم في الصحيح، كذا في الترغيب (١).

قلت: هو من رواة البخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، وثقه ابن معين، وضعفه آخرون، وفي التقريب: "لين الحديث".

وفي مجمع الزوائد: رواه البزار، والطبراني، وفيه القتات، قد وثق، وضعفه الجمهور، وبقية رجال البزار رجال الصحيح (٢).

شرح الحديث:

يفيد الحديث أن التقصير الذي يكون من العبد في أعمال التطوع، من شأن ذكر الله عزوجل أن يجبره ويُعوّضه.

وروي عن أنس مرفوعاً ما معناه: أن ذكر الله علامة الإيمان، وبراءة من النفاق، وحرز من الشيطان، وجنة من النار (٣).

ونظراً إلى هذه المنافع، فقد أصبح الذكر أفضل من كثير من العبادات، وله خصوصية عظيمة في الحفظ من الشيطان.

وقد جاء في حديث: "الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا غفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس" (٤).

لذلك يأمر المشايخ الصوفية بالإكثار من ذكر الله عزوجل، حتى لا يكون في القلب مجال لوساوس الشيطان، وحتى يقوى على مكافحته، وقد كان أصحاب النبي ﷺ الذين تربوا في أحضان النبوة، قد أصبحت قلوبهم في غاية من القوة الروحانية، فلم يكونوا يحتاجون معها إلى رياضة خاصة، وتمرينات يقوم بها المشايخ، وكلما بعد العهد، ضعفت هذه الملكة، واحتاجت القلوب إلى رياضات خارجية، وأدوية، ومعالجات، حتى تضعف الأمراض، وتتمكن من مقاومة آثار الشيطان.

برقم: ٣٠٥٨ وقال البزار بعده: لا نعلمه يروى إلا عن ابن عباس، ولا نعلم له إلا هذا الطريق، وأبو يحيى كوفي معروف، لا يُعلم به بأس، روى عنه جماعة من أهل العلم.

(١) ٢٢٩/٢: الترغيب في الذكر وفضله، وقد زاد البزار، والبيهقي في الشعب برقم: ٥٠٥ بعد قوله وبخل بالمال أن ينفقه: وجبن عن العدو أن يجاهده.

(٢) كتاب الأذكار: باب فضل ذكر الله تعالى والإكثار منه ج/١٠ ص: ٧٧

(٣) ما ظفرت به

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عباس موقوفاً برقم: ٣٥٩١٩ من ترقيم عوامة ج/١٩ ص: ٢٤٢

وعن عروة بن رويم: أن عيسى بن مريم عليهما السلام، دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم، فجلى له، فإذا رأسه مثل الحية واضعاً رأسه على ثمرة القلب، فإذا ذكر الله خنس، وإذا لم يذكره، وضع رأسه على ثمرة قلبه فحدثه (١).

وقد جاء في الحديث: "إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه (٢).

(١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون.

رواه أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم في صحيحه(٣) وقال: صحيح الإسناد، وروي عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: اذكروا الله ذكراً يقول المنافقون: إنكم مراؤون.

رواه الطبراني (٤) ورواه البيهقي عن أبي الجوزاء(٥) مرسلاً كذا في الترغيب، والمقاصد الحسنة للسخاوي، وهكذا في الدر المنثور للسيوطي، إلا أنه عزا حديث أبي الجوزاء إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وعزاه في الجامع الصغير إلى سعيد بن منصور في مسنده، والبيهقي في الشعب، ورقم له بالضعف.

وذكر في الجامع الصغير أيضاً برواية الطبراني عن ابن عباس مسنداً، ورقم له بالضعف، وعزا حديث أبي سعيد إلى أحمد، وأبي يعلى في مسنده،

---

(١) عزاه السيوطي في الدر إلى سعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً برقم: ٥٣٦ وأبو نعيم ٢٦٨/٦ وإسناده ضعيف من أجل عدي بن أبي عمارة.

(٣) أخرجه أحمد برقم: ١١٦٥٣ و: ١١٦٧٤ وأبو يعلى برقم: ١٣٧٧ وابن حبان برقم: ٨١٧ والبيهقي في الشعب برقم: ٥٣٣ والحاكم ج/١ ص: ٦٧٧ برقم: ٣٩/١٨٣٩ وصححه، ووافقه الذهبي، ولكن ضعف إسناده محققو المسند بقولهم: إسناده ضعيف لضعف دراج وهو ابن سمعان في روايته عن أبي الهيثم انتهى، قال الهيثمي في المجمع ٧٩/١٠: رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه دراج، وقد ضعفه جماعة ووثقه (في المطبوع: وضعفه وهو خطأ) غير واحد، وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات.

(٤) أخرجه الطبراني ج/١٢ ص: ١٦٩ برقم: ١٢٧٨٦ وعن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/٨٠-٨١ عن ابن عباس مسنداً ثم قال أبو نعيم: لم يوصله إلا سعيد، و قال الهيثمي ٧٩/١٠: رواه الطبراني وفيه الحسن بن أبي جعفر الجفري، وهو ضعيف.

(٥) قد أخرجه البيهقي مرسلاً عن أبي الجوزاء برقم: ٥٢٤، وأخرجه عن أبي الجوزاء مرسلاً عبد الله ابن المبارك برقم: ١١٢٢.

وابن حبان، والحاكم، والبيهقي في الشعب، ورقم له بالحسن.

شرح الحديث:

يستفاد من هذا الحديث: أنه لا يحسن أن يترك العبد ذكر الله عزوجل، من أجل قالة بعض المنافقين، أو السفهاء، و رميهم إياه بتهمة الرياء، والسمعة، وإنما يحسن له أن يكثر منه، ويواظب عليه، بغاية من الاهتمام، حتى يتعب الذين في قلوبهم مرض، وينصرفوا عنه، ظناً منهم فيه الجنون، ومعلوم أن الناس لا يقولون: إنه مجنون، إلا إذا كان يذكر الله ذكراً كثيراً، ويجهر به، فيثبت منه إباحة الجهر بالذكر، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

"لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه، إلا مغلوباً على عقله، فقال: اذكروا الله قياماً، وقعوداً، وعلى جنوبكم، بالليل، والنهار، في البر، والبحر، في السفر، والحضر، في الغنى، والفقر، والصحة، والسقم، والسر، والعلن، وعلى كل حال، وسبحوه بكرة وأصيلاً، فإذا فعلتم ذلك، صلى عليكم هو، وملائكته" (١).

وأورد ابن حجر في المنبهات عن عثمان رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ قال:

"الكنز لوح من ذهب، وعليه سبعة أسطر، مكتوب في إحداها: عجبت لمن عرف الموت، وهو يضحك، وعجبت لمن عرف الدنيا فانية، وهو يرغب فيها، وعجبت لمن عرف أن الأمور بأقدار، وهو يغتمّ للفوات، وعجبت لمن عرف الحساب، وهو يجمع مالاً، وعجبت لمن عرف النار، وهو يذنب، وعجبت لمن عرف الله يقيناً، وهو يذكر غيره، وعجبت لمن عرف الجنة يقيناً، وهو يستريح بالدنيا، وزاد في بعض النسخ: وعجبت لمن عرف الشيطان عدوا فأطاعه (٢).

ونقل الحافظ ابن حجر في المنبهات من حديث جابر رضي الله عنه:

---

(١) ابن جرير في التفسير.

(٢) المنبهات ص: ٦٠ باب السباعي المطبعة الهندية الحجرية، وقد أشار القرطبي في تفسيره أنه روي عن عثمان في ذلك حديث مرفوع.

"مازال (جبريل) يوصيني بذكر الله حتى ظننت أنه لا ينفع قول إلا به (١).

تؤكد هذه الأحاديث كلها أهمية الذكر، وتحتّم على المرء أن لا يقصّر فيه، ولا يدخر وسعاً، وأن لا يعرض عنه، من جرّاء أقوال الناس، وظنونهم، فإنه لا يضر بذلك إلا نفسه.

وإن الشيطان يوسوس للإنسان، ويصرفه عن الذكر مخافة الناس وقالتهم، وهذا مدخل من مداخل الشيطان، يأتي منه الإنسان، فالواجب عليه أن يخلص نيته، ويمحّض العبادة لله، ثم لا يبالي بأقاويل الناس، ونظرهم إليه.

عبدالله ذو البجادين صحابي مشهور، مات أبوه وهو صغير، فكان عمه يلي عليه، وهو في حجره، ويكرمه، فلما أسلم نزع منه كل ما كان عليه، فأبى إلا الإسلام، فأعطته أمه بجاداً من شعر، فشقه باثنين، فاتزر بأحدهما، وارتدى بالآخر، ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: ما اسمك؟ قال: عبد العزى قال: بل أنت ذو البجادين، فالتزم بابه، وكان يرفع صوته بالذكر، فقال عمر: أمُراءٍ هو؟ قال صلى الله عليه وسلم: بل هو أحد الأواهين، مات في غزوة تبوك (٢).

كان ابن مسعود يحدث قال: قمت في جوف الليل في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، فاتبعتها، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات، فإذا هم قد حفروا له، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته، فلما دفناه قال: اللهم أمسيت عنه راضياً فارض عنه.

---

(١) انظر المنبهات ص: ٦٢ باب السباعي وما وجدته في غيره.

(٢) حلية الأولياء ج/١ ص: ٣٦٥ والإصابة ج/٢ ص: ٣٣٩ وقد أخرج أحمد برقم: ١٧٤٥٣ عن عقبة بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذو البجادين: إنه أواه، وذلك أنه كان رجلا كثير الذكر لله عزوجل في القرآن، ويرفع صوته بالدعاء، وفي إسناده ابن لهيعة وباقي رجاله ثقات، قاله محققو المسند، وحسن إسناده الهيثمي في المجمع ٣٧٢/٩. وأخرج أحمد برقم: ١٨٩٧ عن ابن الأدرع في قصة: ثم خرج ذات ليلة وأنا أحرسه لبعض حاجته، فأخذ بيدي، فمررنا على رجل يصلي يجهر بالقرآن قال: فقلت: عسى أن يكون مرائياً فقال النبي ﷺ: كلا! إنه أواب، قال: فنظرت إليه، فإذا هو عبد الله ذو البجادين، قال الهيثمي ٣٧٢/٩: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وقال محققو المسند: وإسناده ضعيف تفرد به هشام بن سعد وهو ضعيف.

قال عبد الله بن مسعود: ليتني كنت صاحب الحفرة (١).

قال فضيل بن عباض رحمه الله: ترك العمل من أجل الناس هو الرياء، والعمل من أجل الناس هو الشرك (٢).

جاء في الحديث: "إن من الناس مفاتيح لذكرالله، إذا رؤوا ذكر الله (٣).

وفي حديث آخر: "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم، ولا يحزنون، قال: يُذكر الله برؤيتهم " (٤).

وجاء في حديث آخر: "خياركم من ذكّركم بالله رؤيتُه، وزاد في علمكم منطقه، ورغبكم في الآخرة عمله (٥).

إن هذه الصفة المباركة لا تحصل، ولا تتأتى للمرء، إلا إذا كان قد جعل ذكر الله عزوجل شعاره ودثاره، ولهج به، وأما من كان محروماً، فلا يوفق لذكر الله عزوجل، فكيف تذكّر رؤيته الناس بالله عزوجل؟

وهناك بعض الناس يقولون: إن الجهر بالذكر بدعة، وضلال، وذلك ناشئ من قلة الاطلاع على الأحاديث الواردة في هذا الباب، وقد أفرد الشيخ عبد الحي اللكهنوي رسالته بذلك، وأورد فيها خمسين حديثاً تدل على جواز

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٢٢/١ في ترجمة عبد الله ذي البجادين وقال الحافظ في الإصابة: رواه البغوي، ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعاً. وقد أخرج الترمذي برقم: ١٠٥٧ في الجنائز والطبراني عن ابن عباس برقم: ٢/١١٢٩٥: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له حينئذ: يرحمك الله! إن كنت لأوّاها تلاءً للقرآن، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩٥/٨ بإسناد له إلى إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض، ثم ذكر أقوالاً هذا منها.

(٣) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً ج/١٠ ص:٢٥٣ برقم: ١٠٤٧٦ قال الهيثمي ٨١/٩: رواه الطبراني، وفيه عمرو بن القاسم، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح انتهى وإسناد الطبراني ليس فيه عمرو بن القاسم، وإنما إسناده هكذا: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا عمي القاسم إلى آخره قال محقق الطبراني: لعله حرف "عمي"إلى"عمرو" في نسخته، والقاسم هذا هو ابن محمد بن أبي شيبة وهو واهٍ متروك الحديث. انتهى قوله.

(٤) أخرجه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ج/١٢ ص:١٣ برقم ١٢٣٢٥ قال الهيثمي ٨١/٩ في مجمع الزوائد: رجاله ثقات، وقال في ٣٩/٧ من نفس الكتاب: رواه الطبراني عن شيخه الفضل بن أبي روح، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات انتهى، قلت: فلعله عرفه بعد ذلك فقال ما قاله، والله أعلم.

(٥) عزاه الهندي في كنز العمال، والسيوطي في الجامع الصغير إلى الحكيم الترمذي عن ابن عمرو بن العاص، ورمز له السيوطي بالصحة، وقال المناوي في الفيض: ورواه العسكري عن ابن عباس انتهى قلت: قد رواه عن ابن عباس أبو يعلى أيضاً في مسنده برقم: ٢٤٤٠ ج/٢ ص: ٢٨٥ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٩/١٠: رواه أبو يعلى، وفيه مبارك بن حسان، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

الجهر بالذكر، ولكن لا بد أن يتقيد ذلك بشروطه، وآدابه الضرورية، ولا يؤدي إلى أذى أحد من المسلمين.

(١٦) عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، والشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه.

رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما، كذا في الترغيب، والمشكاة، وفي الجامع الصغير برواية مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد معا، وذكر عدة طرق أخرى (١).

شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وسلم: "ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه" يحتمل أن يراد به البكاء من تذكر المعاصي والسيآت، واستحضار التقصير، والتفريط في جنب الله تعالى، ويحتمل أن يكون المراد فيضان العين من غلبة الشوق عند ذكر الله عزوجل.

وحكى ثابت البناني رحمه الله عن رجل من العباد أنه قال يوماً لإخوانه: إني لأعلم حين يستجيب لي ربي، قال: فعجبوا من قوله، وقالوا: تعلم حين يستجيب لك ربك عزوجل؟! قال: نعم! قالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قال: إذا وجل قلبي، واقشعر جلدي، وفاضت عيناي، وفتح لي في الدعاء، فثَم أعلم أن قد استجيب لي، قال: فسكتوا (٢).

وقد بشر الحديث الرجل الذي ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه، بإظلال

(١) أخرجه البخاري في الأذان برقم: ٦٦٠ ومسلم في الزكاة برقم: ١٠٣١ قال الحافظ في الفتح: لم تختلف الرواة عن عبيد الله بن عمر العمري في أنه عن أبي هريرة، ورواه مالك في الموطأ عن خبيب، فقال: عن أبي سعيد أو أبي هريرة على الشك، ورواه أبو قرة عن مالك بواو العطف، فجعله عنهما، وتابعه مصعب الزبيري وشذا في ذلك عن أصحاب مالك، والظاهر أن عبيد الله حفظه لكونه لم يشك فيه، ولكونه من رواية خاله (خبيب بن عبد الرحمن) وجده (حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب) انتهى مع توضيح وبيان.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٢٤/٢ بسند له عن جعفر عن ثابت انتهى.

الله تعالى له يوم القيامة، ذلك أنه قد جمع بين خصلتين عظيمتين.

الأولى: الإخلاص، والبعد من الرياء، حيث يذكر الله عزوجل خالياً منفرداً، لا يراه أحد، ولا يسمعه أحد.

والثانية: إما الخوف، وإما الشوق، وكلاهما من أعلى أوصاف الإيمان.

هذا، وقد ذكر بعض أصحاب القلوب، أن قوله: "ورجل ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه" له معنيان، الأول: أن يكون خالياً عن الملأ، وبمعزل عن الناس، والثاني: أن يكون خالياً قلبُه عن الالتفات إلى غير الله عزوجل، وتلك غاية الخلوة.

فالأفضل أن يجمع العبد بين هذين النوعين من الخلوة، حتى ينال المرتبة العليا، ولكن قد يكون المرء في ملأ من الناس، وقلبه مع الله عزوجل، لا يلتفت إلى غيره، ثم يذكر الله عزوجل، وتبكي عينه، ويفيض دمعه، فقد يستحق هذه البشرى، ولا يضر اجتماعه بالناس، حيث إن قلبه تجرد عن النظر إلى غيره تبارك وتعالى.

وإن البكاء، والخوف من الله جل وعلا، نعمة كبيرة، لا يُلقاها إلا ذو حظ عظيم، قد جاء في الحديث: "ولا يلج النار رجل بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع" (١).

وجاء في حديث: "من ذكر الله، ففاضت عيناه من خشية الله، حتى يصيب الأرض من دموعه، لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة" (٢).

وجاء في الحديث: "عينان لا تمسهما النار، عين بكت في جوف الليل من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله" (٣).

وجاء في حديث: "حرمت النار على عين دمعت من خشية الله، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله، وحرمت النار على عين غضت من محارم

(١) رواه الترمذي في الجهاد عن أبي هريرة برقم: ١٦٣٣وفي الزهد برقم: ٢٣١١ فقال: حسن صحيح.
(٢) أخرجه الحاكم ج/٤ ص: ٢٨٩ برقم ٦٨/٧٦٦٨ وصححه، ووافقه الذهبي.
(٣) أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد برقم: ١٦٣٩ عن ابن عباس، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق، وله شاهد من حديث أنس عند أبي يعلى برقم: ٤٣٤٦ وشاهد من حديث أبي هريرة عند البيهقي في الشعب برقم: ٣٩٣٠.

الله، وحرمت النار على عين فُقئت في سبيل الله" (١).

(١٧) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ينادي مناد يوم القيامة: أين أولوا الألباب قالوا: أي أولي الألباب تريد؟ قال:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠]، عقد لهم لواء، فاتبع القوم لواءهم، وقال لهم: ادخلوها خالدين. أخرجه الأصفهاني في الترغيب كذا في الدر (٢).

(١) هكذا ترجم المؤلف رحمه الله الحديث إلى الأردية بحرف العطف، فأخرج أحمد برقم: ١٧٢١٣ وابن أبي شيبة برقم ١٩٨٩٩ والدارمي في الجهاد باب في الذي يسهر في سبيل الله حارساً برقم: ٢٤٠٠ والحاكم ج/٢ ص: ٩٣ برقم ٥٧/٢٤٣٢ وصححه، ووافقه الذهبي، والنسائي في الجهاد مختصرا باب ثواب عين سهرت في سبيل الله:

عن أبي ريحانة رضي الله عنه مرفوعاً: حرمت النار على ثلاثة أعين: عين سهرت في سبيل الله، وعين بكت أو دمعت من خشية الله، وسكت محمد بن سمير عن الثالثة، فلم يذكرها، هذا لفظ ابن أبي شيبة، ولفظ الدارمي كالتالي:

حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله، وحرمت النار على عين دمعت من خشية الله، قال: وقال الثالثة فنسيتها، قال: أبو شريح (هو الراوي عن محمد بن سمير) سمعت من يقول ذلك: حرمت النار على عين غضت من محارم الله، أو عين فقئت في سبيل الله عزوجل، ولفظ الحاكم نحوه، وقال الهيثمي في المجمع٥/٢٩٠ : رجال أحمد ثقات.

وله شاهد من حديث معاوية بن حيدة القشيري عند الطبراني ١٩/٤١٦ برقم: ١٠٠٣ مرفوعاً: ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، قال الهيثمي في المجمع ٥/٢٩١: رواه الطبراني، وفيه أبو حبيب العنقزي، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات انتهى.

وله شاهد ثالث عند الحاكم ج/٢ ص: ٩٢ برقم ٥٥/٢٤٣٠ وعند البيهقي في الشعب برقم: ٧٧٤ عن أبي هريرة مرفوعاً: ثلاثة أعين لا تمسها النار: عين فقئت في سبيل الله، وعين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وصححه، وتعقبه الذهبي، بأن عمر بن راشد ضعفوه انتهى. قلت: وفيه أيضاً شيخه محمد بن القاسم الأسدي وهو ضعيف جداً، قال ابن عدي: ج ٦/ ص: ٢٤٨ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال أبي: محمد بن القاسم أحاديثه أحاديث موضوعة ليس بشيء. ونقل عن البخاري: مات محمد بن القاسم أبو ابراهيم الأسدي بالكوفة سنة سبع و مأتين لأربع عشرة خلت من ربيع الآخر قال أحمد: رمينا بحديثه، وقال النسائي: متروك الحديث، وختم ابن عدي ترجمته بقوله: لمحمد غير ما ذكرت وعامة أحاديثه لا يتابع عليها انتهى.

قال عبد الرشيد: إسناد الحاكم هكذا: محمد بن القاسم عن عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة وقد وجدت لحديث أبي هريرة إسناداً آخر عند البزار برقم: ١٦٥٩ (كشف الأستار ٢/٢٦٢) قال حدثنا عبد الله بن شبيب ثنا عمر بن سهل ثنا عمر بن محمد صهبان عن صفوان بن سليم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ثلاثة أعين لا تدخل النار: عين غضت عن محارم الله، وعين حرست في سبيل الله، وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله.

(٢) أخرجه أبو القاسم الأصفهاني في كتاب الترغيب والترهيب برقم: ٦٤٠

شرح الحديث :

إن التفكر في خلق السموات ، والأرض ، يعني : التدبر في مظاهر قدرة الله عزوجل ، وعجائب صنعه ، وبدائع حكمته ، يؤدي إلى معرفة الله تعالى ويقوي الصلة به ، جاء في الحديث : "أن رسول الله انتهى إلى أصحابه ، وهم سكوت ، لا يتكلمون؟ فقال : مالكم لا تتكلمون؟ قالوا : نتفكر في خلق الله ، قال : كذلك تفكروا في خلقه ، ولا تفكروا فيه" (١) .

وروى ابن أبي الدنيا مرسلاً أنه خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يذكرون عظمة الله ، فقال : ما كنتم تذكرون؟ قالوا : نتفكر في عظمة الله عزوجل ، فقال رسول الله ﷺ : ألا ! حق في الله فلا تتفكروا ثلاثاً ، ألا ! فتفكروا في عظم ما خلق ثلاثاً ! (٢).

وعن عطاء قال : دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها ، فقالت لعبيد بن عمير : قد آن لك أن تزورنا ! فقال : أقول يا أمه كما قال الأول : زورغبا تزدد حباً ، قال : فقالت : دعونا من رطانتكم هذه ، قال ابن عمير : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ قال : فسكتت ، ثم قالت : لما كانت ليلة من الليالي قال : يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي ، قلت : والله إني لأحب قربك ، وأحب ما سرك ، قالت : فقام ، فتطهر ، ثم قام يصلي ، قالت : فلم يزل يبكي ، حتى بل حجره ، قالت : ثم بكى ، فلم يزل يبكي ، حتى بل لحيته ، قالت : ثم بكى ، فلم يزل يبكي ، حتى بل الأرض ، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ،

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور معزواً إلى ابن أبي الدنيا من رواية عثمان بن أبي دهرين قال : بلغني أن رسول الله...

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٢٣٦/١ برقم ٢٠/٢٠ و٢٥٥/١ برقم ٣٠/٣٣ عن يونس بن ميسرة مرسلاً.

وله شاهد متصل من حديث عبد الله بن سلام عنده برقم: ٢١/٢٠ قال: خرج رسول الله ﷺ على ناس من أصحابه، وهم يتفكرون في خلق الله عزوجل فقال ﷺ: فيم تتفكرون؟ قالوا: نتفكر في خلق الله عزوجل قال: فلا تتفكروا في الله، ولكن تفكروا فيما خلق الله...الحديث وذكر السخاوي، والعجلوني برقم: ١٠٠٥ شواهد متعددة له، ثم قالا: أسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكسبه قوة، ومعناه صحيح، انتهى وأورده الألباني في الصحيحة برقم: ١٧٨٨ وقال لحديث عبد الله بن سلام: هذا إسناد حسن في الشواهد، عبد الجليل وشهر وهو ابن حوشب صدوقان سيئا الحفظ ، وسائر الرجال ثقات، ثم قال: وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي انتهى قول الألباني، وانظر الشواهد مع أسانيدها في الترغيب والترهيب للأصفهاني ج/١ ص: ٢٨٦.

فلما رآه يبكي ، قال : يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ، لقد أنزلت علي الليلة آية ، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٠] (١).

وعن عامر بن عبد قيس قال : "سمعت غير واحد ، ولا اثنين ، ولا ثلاثة من أصحاب محمد يقولون : إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان : التفكر (٢).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : "بينما رجل مستلق ينظر إلى السماء ، وإلى النجوم ، فقال : والله إني لأعلم أن لك خالقاً ، ورباً ، اللهم اغفرلي ، فنظر الله إليه ، فغفر له (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : "تفكر ساعة خيرمن قيام ليلة " ، وروي مثله عن أبي الدرداء ، وعن أنس.

وروي عن أنس أنه قال : "تفكر ساعة خير من عبادة ثمانين سنة" ، وروى أبو هريرة مرفوعاً : "تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة "(٤).

(١) أخرجه ابن حبان برقم: ٦٢٠ قال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، انتهى وأخرجه أبو القاسم الأصفهاني في الترغيب والترهيب برقم: ٦٣٩ ولفظه : قالت: كل أمره كان عجبا، أتاني ليلتي، حتى مس جلده جلدي، ثم قال: ذريني. وفيه: ويحك يا بلال! وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل علي هذه الليلة آية: إن في خلق السموات والأرض؟ انتهى.

(٢) عزاه في الدر المنثور إلى ابن أبي الدنيا.

(٣) عزاه في الدر إلى الديلمي وأبي الشيخ.

(٤) تقدم تخريجه مفصلاً في الحديث برقم: ٣ وأزيد ههنا أن الذي صح عن رسول الله ﷺ هو قوله صلى الله عليه وسلم: مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجل ستين سنة، أخرجه الحاكم عن عمران بن حصين ج/٢ ص: ٧٨ برقم: ٨/٢٣٨٢ وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي عنه برقم: ٣٩٢٦ ورواه البزار برقم: ١٦٦٦ (كشف الأستار ٢٦٤/٢) وزاد بعد قوله: لمقام أحدكم في الصف: "ساعة" ورواه الطبراني ١٦٨/١٨ برقم: ٣٧٧. قال الهيثمي في المجمع ٣٣/٥: فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وثقه أحمد وغيره، وبقية رجال البزار ثقات، انتهى. قلت: كاتب الليث هو عند جميع هؤلاء المخرجين المذكورين.

لكن له إسناد آخر عند البزار برقم: ١٦٦٧ قال حدثنا عمرو بن مالك ثنا يحيى بن سليم ثنا إسماعيل ابن سليمان المكي قال: سمعت الحسن يحدث عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ بنحوه.

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الترمذي برقم: ١٦٥ في فضائل الجهاد، وأحمد برقم: ٩٧٦٣ والبزار برقم: ١٦٥٢ (كشف الأستار ج/٢ ص: ٢٥٨) في قصة قال رسول الله ﷺ فيها: لا تفعل (أي: لا تُقم في الشعب)؛ فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، هذا اللفظ للترمذي ولفظ أحمد: مقام أحدكم يعني: في سبيل الله خير من عبادة أحدكم في أهله ستين سنة،

هذه الروايات لا تفيد: أن لا حاجة بعد ذلك إلى عبادة، فإن لكل عبادة حكماً معيناً من الفرضية، والوجوب، والاستحباب، وتاركها يستحق على قدر درجتها من الوعيد بالعذاب، أو الحرمان، أو اللوم.

قال الغزالي: إنما جعل التفكر أفضل عبادة، لما فيه من معنى الذكر ومقصوده، ويزيد أمرين، أحدهما: معرفة الرب؛ لأن التفكر مفتاحها، والثاني: محبته تبارك وتعالى؛ فإنها تبتني وتترتب على التفكر (١).

وهذه الفكرة هي التي يسميها المشايخ بالمراقبة، وتشير إلى فضلها مختلف الأحاديث الواردة، ورُوي في مسند أبي يعلى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة سبعين ضعفاً، فيقول: "إذا كان يوم القيامة، وجمع الله الخلائق لحسابهم، وجاءت الحفظة بما حفظوا، وكتبوا، قال الله لهم: انظروا هل بقي له من شيء؟ فيقولون: ربنا ما تركنا شيئاً مما علمناه، وحفظناه، إلا وقد أحصيناه، وكتبناه، فيقول الله تبارك وتعالى له: إن لك عندي خبئاً لا تعلمه، وأنا أجزيك به، وهو الذكر الخفي" (٢).

وورى البيهقي في الشعب عن عائشة أن النبي ﷺ قال: "الذكر الذي لا يسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي يسمعه الحفظة سبعين ضعفاً" (٣).

ولفظ البزار: خير له من مقامه في بيته ستين عاماً، أو كذا عاماً، وإسناده حسن، حسنه الترمذي، وحسنه محققو المسند، وصححه الحاكم ج/٢ ص: ٧٨ برقم: ٧/٢٣٨٢ على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقد أورده الهيثمي في المجمع ٢٨٣/٥ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات، ولم يصب الهيثمي في إيراده في الزوائد، فإنه عند الترمذي بنفس إسناد البزار من أوله إلى آخره والله أعلم.

وله شاهد آخر من حديث أبي أمامة الباهلي عند أحمد برقم: ٢٢٢٩١ والطبراني برقم: ٧٨٦٨ في قصة شبيهة بما في حديث أبي هريرة المتقدم: إني لم أبعث باليهودية، ولا بالنصرانية، ولكن بعثت بالحنيفية السمحة، والذي نفس محمد بيده لغدوة وروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة، وإسناده ضعيف من أجل علي بن يزيد الألهاني، انظر مجمع الزوائد ٢٨٢/٥ فالحديث بمجموع الطرق صحيح.

(١) قال الغزالي في الإحياء ٤٢٦/٤: والعمل تابع الحال، والحال تابع العلم، والعلم تابع الفكر، فالفكر إذن هو المبدأ، والمفتاح للخيرات كلها، وهذا هو الذي يكشف لك فضيلة التفكر، وأنه خير من الذكر، والتذكر، لأن الفكر ذكر، وزيادة، وذكر القلب خير من عمل الجوارح، بل شرف العمل لما فيه من الذكر، فإذن التفكر أفضل من جملة الأعمال. انتهى قول الغزالي.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم: ٤٧٣٦ ج/٤ ص: ٧٥ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٤/١٠: رواه أبو يعلى، وفيه معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥٥٢-٥٥٣ وقال: تفرد به معاوية بن يحيى الصدفي، وهو

يا سعادة الجد وحسن الحظ للرجال الذين لا يغفلون ساعة عن الذكر! فما من شك أن عباداتهم الظاهرة تستحق الأجر، والمثوبة، وعلاوة على ذلك فإن هذا الذكر الدائم، المستمر، الشامل للحياة، لا يزال يثقل ميزان حسناتهم بسبعين ضعفاً من الأجر، الأمر الذي أقلق على الشيطان مضجعه.

يحكى عن جنيد البغدادي أنه قال: رأيت إبليس في المنام، نعوذ بالله منه، وهو عريان، فقلت له: أما تستحي من الناس؟ قال: أهؤلاء عندك من الناس؟ قلت: نعم! قال: لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم تلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس لخير هؤلاء، قلت: من هم؟ قال: قوم في مسجد الشونيزية، قد أضنوا جسدي، وأحرقوا كبدي، كلما هممت بهم، أشاروا: الله تعالى، فأكاد أحترق، قال الجنيد: فلما استيقظت من النوم، أتيت ذلك المسجد، فإذا أنا بثلاثة رجال، قد جعلوا رؤوسهم في مرقعاتهم، فلما أحسوا بي، أخرج واحد منهم رأسه، وقال: يا أبا القاسم! لا يغرنك حديث إبليس الخبيث، لعنه الله، ثم رد رأسه، (١) وحكي عن المسوحي نحو ذلك.

قال أبو سعيد الخزاز: رأيت في المنام أن الشيطان هجم علي، فجعلت أضربه بالعصا، فما بالى بذلك، فنوديت: أنه لا يخاف ذلك، وإنما يخاف من نور القلب.

وعن سعد بن مالك (ابن أبي وقاص) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي" (٢) وروي عن عبادة رضي الله عنه مثله معنى الكفاية: أن لا يقل عن الحاجة، حتى يوقع في الضيق، ولا يكثر حتى يُطغي، قد صحح أبو يعلى، وابن حبان هذا الحديث (٣).

وجاء في حديث: "اذكروا الله ذكراً خاملاً، قيل: وما الذكر الخامل قال:

ضعيف، انتهى. قلت: أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أبي داود عن هشام عن يحيى عن رجل عن عائشة موقوفا برقم: ٣٠٢٨٠ من ترقيم عوامة.

وأخرج ابن أبي شيبة برقم: ٣٠٢٧٩ وأحمد برقم: ١٤٧٧ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي، وسنده ضعيف من أجل محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، ثم هو لم يدرك سعدا. قاله محققو المسند.

(١) ذكرها اليافعي في روض الرياحين ص: ١١٢ الحكاية ١٢٧.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ١٤٧٧ وأبو يعلى برقم: ٧٣١ وابن حبان برقم: ٨٠٩ في صحيحه

(٣) لعل الشيخ يريد بتصحيحهما له: إيرادهما له في كتابيهما، وقد مر تخريجه.

الذكر الخفي" (١) .

تثبت بهذه الأحاديث فضيلة الذكر الخفي ، وقد مرت الإشارة إلى الحديث الذي ينوّه بفضل الجهر بالذكر ، وهو الحديث الذي جاء فيه : "أكثروا ذكر الله حتى يقولوا : مجنون".

فهذان نوعان من الذكر ، وهما يختلفان بالنظر إلى اختلاف الأحوال ، ويرشد إلى تعيينه المربي الروحي لكل شخص نظراً إلى حاله.

(١٨) عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في بعض أبياته : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] فخرج يلتمسهم ، فوجد قوماً يذكرون الله ، فيهم ثائر الرأس ، وجاف الجلد ، وذو الثوب الواحد ، فلما رآهم جلس معهم ، وقال : الحمد لله جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم.

أخرجه ابن جرير ، والطبراني ، وابن مردويه ، كذا في الدر (٢).

شرح الحديث:

وجاء في حديث عن سلمان قال : "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم ، حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله ، فقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي ، معكم المحيا ، والممات " (٣)

وعن ثابت قال : "كان سلمان في عصابة ، يذكرون الله ، فمر النبي ﷺ ، فكفّوا ، فقال : ما كنتم تقولون؟ قلنا : نذكر الله قال : فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم ، فأحببت أن أشارككم فيها ، ثم قال : الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم "(٤)

وعن إبراهيم النخعي في قوله تعالى : وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ

(١) عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى ابن المبارك في الزهد عن ضمرة بن حبيب مرسلاً رقم له بالضعف ، وهو فيه برقم: ١٥٥ ص: ٥٠.

(٢) ذكر ابن كثير إسناد الطبراني هكذا : حدثنا إسماعيل بن الحسن ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبي حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف ثم ذكر الحديث ثم قال : عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة ، وأما أبوه فمن سادات الصحابة رضي الله عنهم. انتهى

(٣) عزاه في الدر المنثور إلى أبي الشيخ ، وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة سلمان الفارسي ٢٨٨/٢٣.

(٤) أورده السيوطي في الدر معزوا إلى الزهد لأحمد ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢١٠/١ برقم: ١٣٠/٤١٩ عن ثابت عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي إلى قوله "فأحببت أن أشارككم فيها".

رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف : ٢٨] قال : هم جماعة الذاكرين لله عزوجل.

من هنالك قد استحسن الصوفية أن يجلس المشايخ المربون مع المسترشدين ، فإن ذلك رياضة ، ومجاهدة لأنفهسم ، فضلاً عن كونه نافعاً ، ومفيداً لأصحابهم ، وتلاميذهم ، وإن الصبر على أذى يصيبهم من أجل بعض ما يصدر منهم ، ينشئ في النفس انقياداً ، وحلماً ، وانكساراً. ثم إن اجتماع القلوب لها تأثير خاص في استنزال رحمة الله عزوجل ، واستمطار فضله ، ورأفته ، وهذا هو السر في مشروعية الجماعة للصلاة ، ووقوف الحجاج بعرفات مجتمعين متضرعين إلى الله عزوجل ، وقد شرح هذا المعنى عالم الديار الهندية في كتابه : "حجة الله البالغة" في مواضع.

قد أفادت الأحاديث المتقدمة فضل الذكر مع جماعة الذاكرين ، وهناك أحاديث أخرى تُشيد بفضل الذاكر في الغافلين إذا اضطُر إلى الجلوس معهم ، وحينئذ يتحتم عليه أن يهتم بذكر الله عزوجل ، حتى يأمن شرهم ، ولا يتأثر بهم.

جاء في الحديث : "ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين" (١).

وجاء في حديث : "ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين ، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم ، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي قد تحاتّ من الصريد الضريب ، وذاكر الله في الغافلين يعرّفه الله مقعده من الجنة ، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجم" (٢).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ج/١٠ ص: ١٩ برقم: ٩٧٩٧ والأوسط برقم: ٢٧١ و البزار برقم: ٣٠٦٠ من كشف الأستار ج/٤ ص: ٤ عن ابن مسعود ولفظ البزار: ذاكرالله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٣/١٠: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، والبزار ، ورجال الأوسط وثقوا انتهى. لكن تعقبه محقق المعجم الكبير حمدي عبد المجيد السلفي بقوله : يقصد روح بن صلاح وثقه ابن حبان ، والحاكم ، وقال ابن يونس : رويت عنه مناكير ، وقال الدارقطني : ضعيف في الحديث ، وقال ابن ماكولا : ضعفوه ، وقال ابن عدي بعد أن خرج له حديثين : له أحاديث كثيرة ، في بعضها نكارة.

فجرح هؤلاء مقدم على توثيق ابن حبان ، والحاكم المتساهلين ، والثاني : محصن بن علي ، وثقه ابن حبان ، وكذا قال الحافظ : مستور ، انتهى.

(٢) عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى أبي نعيم في الحلية عن ابن عمر ، ورمز له بالضعف ، وهو في الحلية ١٨١/٦ وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥٦١ وفي إسنادهما عمران بن مسلم قال البخاري : منكر الحديث. ←

وقد أشرنا أن ذلك إذا سيق إلى مجلسهم، من غير قصد، وبالاضطرار، فالواجب عليه ألا يغفل معهم، وإلا فقد حذر رسول الله من مجالسة الغافلين واللاهين، وشهود مجالس اللغو، واللهو.

(١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فيما يذكر عن ربه تبارك وتعالى: اذكرني بعد العصر، وبعد الفجر ساعة، أكفك فيما بينهما. أخرجه أحمد كذا في الدر (١).

شرح الحديث:

الواقع المشاهد الملموس أننا نتحمل من أجل الدنيا كل مشقة، ونواجه كل صعوبة، فما يمنعنا أن نهتم بعد الفجر وبعد العصر بذكر الله عزوجل ساعة؟ فقد وردت الأحاديث الكثيرة بفضل الذكر في هاتين الساعتين، وناهيك بوعد الله عزوجل بالكفاية، والرعاية، والولاية فضلا، وأهمية.

جاء في حديث: أن رسول الله ﷺ قال: "لأن أقعد مع أقوام يذكرون الله من بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من بني إسماعيل، دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفاً، ولأن أقعد مع أقوام يذكرون الله من بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من بني إسماعيل، دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفاً (٢).

وأخرج بإسناد آخر ضعيف برقم: ٥٦٢: وذاكر الله في الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه الله بعدها أبداً، وذاكر الله في السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة يلقى الله. قال البيهقي بعد روايته: هكذا وجدته مكتوبا ليس بين سلمة (هو ابن كهيل) وبين ابن عمر أحد، وهو منقطع، وإسناده غير قوي. انتهى

وعزاه التبريزي إلى رزين في المشكاة برقم: ٢٢٨٣ من ترقيم الألباني، وعزا إلى مالك بلاغاً عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين، وذاكر الله في الغافلين كغصن أخضر في شجر يابس، انظر المشكاة برقم: ٢٢٨٣ من ترقيم الألباني، ولم أجده في الموطأ.

(١) أخرجه أحمد في الزهد ص: ٤٨ (زهد يونس عليه السلام)، وأبو نعيم في الحلية ٢١٢/٨.

(٢) أخرجه أبو داود في العلم برقم: ٣٦٦٧ وأبو يعلى برقم: ٣٣٩٢ عن أنس وهذا لفظه، وليس في أبي داود ذكر الديةفقط، قال الهيثمي ١٠٨/١٠: رواه أبو داود باختصار، و رواه أبو يعلى وفيه محتسب أبو عائذ، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات انتهى. قلت: ليس هو في إسناد أبي داود. نعم فيه موسى بن خلف العمي.

وفي الباب عن أبي أمامة عند أحمد برقم: ٢٢١٨٥ قال: قال: لأن أذكر الله تعالى من طلوع الشمس (هكذا في نسخة شعيب، وفي مجمع الزوائد إلى طلوع الشمس وهو الصحيح) أكبر، وأهلل، وأسبح، أحب إليّ من أن أعتق أربعا من ولد إسماعيل، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس،

وجاء في حديث: أن رسول الله ﷺ قال: "من صلى صلاة الغداة في جماعة، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم قام، فصلى ركعتين، انقلب بأجر حجة وعمرة" (١).

وفي رواية: "من صلى صلاة الصبح في جماعة، ثم ثبت، حتى يسبح لله سبحة الضحى، له كأجر حاج ومعتمر، تاماً له حجتُه وعمرته (٢).

وجاء في حديث: "لأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحب إلي من الدنيا وما فيها، ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر، إلى أن تغيب الشمس أحب إلي من الدنيا وما فيها (٣).

ونظراً إلى هذه الفضائل فقد واظب الصالحون على الأذكار بعد الفجر والعصر، ويهتم المشايخ الصوفية كذلك بهاتين الساعتين أيما اهتمام، فيشتغلون بعد الفجر بالأشغال، والرياضات، وبعد العصر بالأذكار والأوراد، وكذلك الفقهاء، فإنهم يخصون ما بعد الفجر بالذكر، ففي المدونة: أنه يكره الكلام بعد

أحب أن أعتق كذا وكذا من ولد إسماعيل.

قال الهيثمي ١٠٧/١٠ بعد أن ساق له روايات: رواه كله أحمد والطبراني بنحو الرواية الثانية، وأسانيده حسنة، وقال شعيب وأصحابه: حسن لغيره.

وله شاهد من حديث ابن عباس عن أبيه العباس: أن رسول الله قال: لأن أجلس من صلاة الغداة إلى أن تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل، أخرجه البزار برقم: ٣٠٩٠ من كشف الأستار ج/٤ ص: ١٧، ثم قال: إنما يرويه إسحاق عن ابن أبي حميد عن العباس بن سهل عن أبيه، ولا نعلم أحداً نازع إسحاق على هذه الرواية، صوّب المحقق حبيب الرحمن الأعظمي "نازع" إلى" تابع"وقال: الصواب عندي: "تابع".

وراجع إلى مجمع الزوائد ١٠٧/١٠–١١٠ ففيه أحاديث كثيرة في هذا الباب.

(١) عزاه الهيثمي ١٠٧/١٠ إلى الطبراني عن أبي أمامة وقال: إسناده جيد انتهى وقد أخرجه الطبراني في الكبير ١٨٠/٨ برقم: ٧٦٦٣ و ص: ١٧٤ برقم: ٧٦٤٩ وفي ص: ٢٠٩ برقم: ٧٧٤١ وحكم الهيثمي للإسناد الأخير.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٧٤/٨ برقم: ٧٦٤٩ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: عن عبد الله بن عامر أن أبا أمامة وعتبة بن عبد حدثاه عن رسول الله ﷺ وقال: رواه الطبراني، وفيه الأحوص بن حكيم، وثقه العجلي، وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف لا يضر ١٠٧/١٠–١٠٨ وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤٩/٧–٢٥٠ في ترجمة أحوص بن حكيم بن عمير العنسي.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥٥٥ وفي إسناده انقطاع: الأعمش لم يسمع أنساً، وابن عدي ٢٦٧٤/٧ في ترجمة يحيى بن عيسى، وفي الباب عن علي بلفظ: لأن أصلي الصبح، ثم أقعد في مجلس أذكر الله حتى تطلع الشمس، أحب إلي مما تطلع عليه الشمس، وتغرب، أخرجه عبد الرزاق عن علي برقم: ٢٠٢٧ ج١ص٥٣٠ وفي بعض رواته جهالة.

الفجر إلى أن تطلع الشمس وقد كره صاحب الدر المختار من الحنفية الكلام في هذه الساعة.

وجاء في حديث: "من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كتبت له عشر حسنات، ومحيت عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك كله في حرزمن كل مكروه، وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم، إلا الشرك بالله" (١).

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم: ٣٤٧٤ عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده شهر، وقد قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأخرجه أحمد برقم: ١٧٩٩٠ عن عبد الرحمن بن غنم عن النبي ﷺ وقد وقع في هذا الحديث اضطراب كثير عن شهر بن حوشب، ولكن للحديث شواهد منها:

حديث أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: من قال إذا صلى الصبح، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كن كعدل أربع رقاب، وكتب له بهن عشر حسنات، ومحي عنه بهن عشر سيئات، ورفع له بهن عشر درجات، وكن له حرساً من الشيطان، حتى يمسي، وإذا قالها بعد المغرب فمثل ذلك. أخرجه أحمد برقم: ٢٣٥١٩ وقال الحافظ في الفتح في شرح حديث رقم: ٦٤٠٤ في الدعوات: سنده حسن.

وله شاهد آخر من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: من قال في دبر صلاة الغداة (مثله وزاد: بيده الخير) مائة مرة قبل أن يثني رجليه كان يومئذ أفضل أهل الأرض عملاً، إلا من قال مثل مقالته، أو زاد على ما قال، أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٧٢٠٠ وفي الكبير ٣٣٦/٨ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١١/١٠: رجال الأوسط ثقات.

وله شاهد من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً "من قال حين ينصرف عن صلاة الغداة قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله... (بزيادة بيده الخير) عشر مرات أعطي سبعاً:

(١) كتب له بهن عشر حسنات (٢) محي عنه بهن عشر سيئات (٣) رفع له بهن عشر درجات، (٤) كن له عدل عشر نَسَمات (٥) كن له حفظاً من الشيطان (٦) وحرزا من المكروه (٧) ولم يلحقه في يومه ذلك ذنب إلا الشرك بالله، ومن قالهن حين ينصرف من صلاة المغرب، أعطي مثل ذلك لثلثه (هكذا في المطبوعة، وهو خطأ، والصحيح كما في مجمع الزوائد: "ليلته" أخرجه الطبراني عن معاذ بن جبل ٦٥/٢٠ برقم: ١١٩.

قال الهيثمي ١١٢/١٠: رواه الطبراني من طريق عاصم بن منصور، ولم أجد من وثقه ولا من ضعفه، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج أحمد برقم: ٢٦٥٥١ و الطبراني في الكبير ج/٢٣ ص: ٣٣٩ برقم: ٧٨٧ من طريق شهر بن حوشب قال: سمعت أم سلمة تحدث زعمت أن فاطمة جاءت إلى نبي الله تشتكي إليه الخدمة.... القصة المعروفة إلا أنه جاء في هذا الحديث الإرشاد إلى الذكر المعروف عند أخذ المضجع فحسب ـ ثم زاد: وإذا صليت صلاة الصبح، فقولي: لا إله إلا الله (نفس الذكر الآنف الذكر) عشر مرات، بعد صلاة الصبح، وعشر مرات بعد صلاة المغرب، فإن كل واحدة منهن تكتب عشر حسنات، وتحط عشر

وجاء في حديث: "من قال بعد صلاة الفجر ثلاث مرات وبعد صلاة العصر ثلاث مرات: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، كفرت عنه ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر" (١).

(٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، وعالماً، ومتعلماً.

رواه الترمذي، وابن ماجه، والبيهقي، وقال الترمذي: حديث حسن، كذا في الترغيب، وذكره في الجامع الصغير برواية ابن ماجه، ورقم له بالحسن (٢) وذكره في مجمع الزوائد برواية الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه (٣) وكذا السيوطي في الجامع الصغير.

وذكره برواية البزار عن ابن مسعود بلفظ: إلا أمراً بمعروف، أو نهيا عن

سيئات، وكل واحدة منهن كعتق رقبة من ولد إسماعيل، ولا يحل لذنب كسب ذلك اليوم أن يدركه إلا أن يكون الشرك: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو حرسك ما بين أن تقوليه غدوة إلى أن تقوليه عشية من كل شيطان ومن كل سوء.

وفي إسنادهما: شهر بن حوشب، وقد اختلف عليه في الجزء الأخير اختلافاً كثيرا، وعلى كل قد حسّن الهيثمي إسناده في المجمع ١١١/١٠ والحديث بجميع هذه الطرق صحيح.

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: ١٢٤ من حديث معاذ رضي الله عنه وإسناده ضعيف، لأن فيه عكرمة بن إبراهيم الموصلي الأزدي، وأخرج الطبراني في الأوسط برقم: ٧٧٣٨ عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال دبر كل صلاة: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن فرّ من الزحف، وفي إسناده عمر بن فرقد وهو ضعيف قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٧/١٠.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد برقم: ٢٣٢٢ وقال: حسن غريب، وفيه بحرف الواو، وابن ماجه في الزهد برقم: ٤١١٢ وفيه: أو عالما أو متعلماً من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة مرفوعاً.

وأخرجه الدارمي ١٠٦/١ برقم: ٣٢٢ من طريق ابن ثوبان عن أبيه عن عبد الله بن حمزة عن كعب من قوله ولفظه: إلا متعلم خيرا ومعلمه، الراوي عن ابن ثوبان عند الترمذي: علي بن ثابت، وعند ابن ماجه عتبة بن حماد أبو خليد الدمشقي، وعند الدارمي: ابن يمان.

وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ١٥٨٠ من طريق أبي خليد (عتبة بن حماد الدمشقي) عن ابن ثوبان عن أبيه عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة مرفوعاً. وقد نبه محققه على ذلك، وقال إما يكون قوله "عن أبيه" خطأ من الناسخ، أو لعله عن أبيه وعن عطاء والله أعلم انتهى. وهو تنبيه حسن.

(٣) أخرجه في الأوسط برقم: ٤٠٧٢ عن ابن مسعود مرفوعاً ولفظه: إلا عالم، أو متعلم، وذكر الله، وما والاه، ثم قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن ثوبان عن عبدة إلا أبو المطرف، تفرد به بشر بن معاذ، وروى غيره عن ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة انتهى. قال الهيثمي ١٢٧/١: لم أر من ذكر أبا المطرف المغيرة بن المطرف انتهى.

منكر، أو ذكر الله، ورقم له بالصحة (١).

---

(١) أخرجه البزار في مسنده المسمى بالبحر الزخار برقم: ١٧٣٦ ج/٥ ص: ١٤٤ من طريق بشر بن معاذ العقدي عن المغيرة بن مطرف عن ابن ثوبان عن عبدة بن أبي لبابة عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رفعه.

وهذا هو عين إسناد الأوسط كما تقدم، وكما قال الطبراني كذلك قال البزار بعده: هذا الحديث قد رواه غير واحد عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان بغير هذا الإسناد، ولا نعلم أحداً تابع المغيرة بن المطرف على هذه الرواية (تحرف في مطبوع المسند عبد الرحمن إلى عبد الله، وهو خطأ، قد جاء في كشف الأستار ج/٤ ص: ١٠٨ برقم: ٣٣١٠ على الصحيح).

تنبيه:

قد رأيت أن الرواة اضطربوا فيه علي ابن ثوبان، في الإسناد والمتن كليهما، فجعله بعضهم من قول كعب الأحبار، و رواه بعضهم من حديث ابن مسعود مرفوعاً، وبعضهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وهذا هو الصحيح الثابت، فقد قال الدارقطني في العلل: ٨٩/٥ برقم: (٧٣٥) الناشر: دار طيبة الرياض الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م تحقيق وتخريج د. محفوظ الرحمن زين الله:

يرويه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، واختلف عنه، فرواه أبو المطرف مغيرة بن المطرف عن ابن ثوبان عن عبدة بن أبي لبابة عن شقيق (هو أبو وائل) عن عبد الله، وهذا إسناد مقلوب، وإنما رواه ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة وهو الصحيح انتهى.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية ١٥٧/٣ في ترجمة محمد بن المنكدر، والبيهقي في الشعب برقم: ١٠٠٣١ عن جابر ﷺ مرفوعاً: الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ما كان منها لله عزوجل..

وعزاه في الجامع الصغير إلى الحلية والضياء ورقم له بالصحة كما يظهر من رمز الفيض، بينما صرح المناوي بأنه رمز المصنف لحسنه.

وقال أبو نعيم في ١٥٧/٣: غريب من حديث محمد، والثوري، تفرد به عبد الله بن الجراح، وقال في موضع آخر من الحلية ٩٠/٧ بعد أن أخرجه: غريب عن الثوري تفرد به عنه أبو عامر العقدي انتهى.

قلت: وليس كذلك، فإن الراوي عن الثوري عند البيهقي عبد الملك بن عمرو، وذكر البيهقي أن مهران بن أبي عمرو أيضاً تابعه عن الثوري.

وعزا صاحبا كنز العمال والجامع الصغير إلى الطبراني عن أبي الدرداء حديث: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ما ابتغي به وجه الله عزوجل.

قال المنذري ٢٤/١ باب الإخلاص بعد أن أورده عن أبي الدرداء مرفوعاً: رواه الطبراني بإسناد لا بأس به، وقال المناوي في فيض القدير: رمز المصنف لصحته، وهو غير جيد، فقد قال الهيثمي: فيه خراش ابن المهاجر، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات، لكن قال المنذري: إسناده لا بأس به. انتهى قول المناوي

قلت: أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢٧/١ باب: قوله ﷺ العالم والمعلم شريكان في الأجر والبيهقي في الشعب برقم: ١٠٠٣٣ عن أبي الدرداء موقوفاً: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما أدى إليه. هذا لفظ البيهقي ولفظ ابن عبد البر: الدنيا ملعونة، وملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما آوى إليه، والعالم، والمتعلم، في الخير شريكان، وسائر الناس همج، لا خير فيهم.

قال البيهقي: هذا عن أبي الدرداء معروف انتهى.

وأخرجه ابن عبد البر ٢٧/١ بهذا اللفظ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً ثم قال: هكذا رواه عبد الملك بن حبيب المصيصي عن ابن المبارك مسنداً، ورواه عبد الله (وهو عبد الله بن عثمان) عن ابن المبارك عن ثور عن خالد بن عجلان من قول أبي الدرداء، ثم ذكره كما تقدم وهو في زهد عبد الله بن مبارك كذلك موقوفاً برقم: ٥٤٣. وهكذا أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد لأبيه موقوفاً انظر زهد أبي الدرداء

شرح الحديث:

قوله: "إلا ذكر الله، وما والاه"

يحتمل أن يرجع الضمير إلى ذكر الله، فيكون المراد: كل ما يعين على ذكر الله عزوجل، ويدخل فيه الطعام، والشراب بقدر الكفاية، والأسباب الضرورية الأخرى للحياة، ويشمل ذكر الله عزوجل كل نوع من العبادة، والطاعة.

ويحتمل أن يرجع الضمير إلى لفظ الجلالة: "الله" وحينئذ تدخل جميع العبادات والقربات في مصداق "وما والاه" ويكون المراد بـ "ذكر الله" الذكر المخصوص.

والعلم قد دخل فيه في كلا الوجهين، أما الأول فلأن العلم هو الذي يكون ذريعة إلى ذكر الله تبارك وتعالى، ولا يعرف المرء ربه تبارك وتعالى إلا عن طريقه، وأما الثاني فلأن العلم أفضل العبادات، و أولى الطاعات، وأحب القربات، ومع ذلك خص الحديث الشريف العالم، والمتعلم بالذكر، اهتماماً بشأنه وإشادة بفضله.

جاء في الأثر: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: " تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء، والضراء، والسلام على الأعداء، والدين عند الأخلاء، يرفع الله تعالى به أقواماً، ويجعلهم في الخير قادة، وأئمة، تقتبس آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب، ويابس، حتى الحيتان في البحر، وهوامه، وسباع الطير وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلم، يبلغ بالعلم منازل الأخيار، والدرجة العليا في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء " (١).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن معاذ رضي الله عنه موقوفاً ٢٣٩/١، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله مرفوعاً، ثم قال: هكذا حدثنيه أبو عبد الله عبيد بن محمد رحمه الله مرفوعا

هذا الحديث قد تكلم فيه بعض العلماء، إلا أن ما ذكر فيه من الفضائل في العلم، قد اعتضد بأحاديث أخرى، فقد وردت أحاديث كثيرة في فضله، ولذلك فقد أفرد العالم والمتعلم بالذكر في الحديث المذكور الذي نحن بصدد شرحه.

وقد ألف المحدث الشهير الحافظ العلامة ابن قيم الجوزية كتاباً نفيساً في فضل الذكر، أسماه: "الوابل الصيب في الكلم الطيب" يقول فيه:

"إن الذكر يشتمل على مائة فائدة فصاعدا".

وقد أحصى منها تسعا وسبعين فائدة، وهنا أختصرها:

إحداها: أنه يطرد الشيطان، ويقمعه، ويكسره.

الثانية: أنه يرضي الرحمن عزوجل.

الثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح، والسرور، والبسط.

الخامسة: أنه يقوّي القلب والبدن.

السادسة: أنه ينور الوجه، والقلب.

السابعة: أنه يجلب الرزق.

الثامنة: أنه يكسب الذاكر المهابة، والحلاوة، والنضرة.

التاسعة: أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام، وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شيء سبباً، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عزوجل، فليلهج بذكره، فالذكر باب المحبة، وشارعها الأعظم، وصراطها الأقوم.

العاشرة: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عزوجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره، أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله

بالإسناد المذكور، وهو حديث حسن جداً، ولكن ليس له إسناد قوي، ورويناه من طرق شتى موقوفاً، ثم ذكر بعض الطرق، انظر باب جامع في فضل العلم.

عزوجل مفزعه وملجأه، وملاذه ومعاذه، وقبلة قلبه، ومهربه عند النوازل والبلايا.

الثانية عشرة: أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عزوجل يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

الثالثة عشرة: أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

الرابعة عشرة: أنه يورثه الهيبة لربه عزوجل وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه، وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل، فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

الخامسة عشرة: أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢] ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها، لكفى بها فضلاً وشرفاً.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: "من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم".

السادسة عشرة: أنه يورث حياة القلب، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟

السابعة عشرة: أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد، صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

الثامنة عشرة: أنه يورث جلاء القلب من صدئه. وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة، والهوى، وجلاؤه الذكر، والتوبة، والاستغفار.

التاسعة عشرة: أنه يحط الخطايا، ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

العشرون: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، فإن الغافل بينه وبين الله عزوجل وحشة لا تزول إلا بالذكر.

الحادية والعشرون: أن ما يذكر به العبد ربه عزوجل من جلاله وتسبيحه وتحميده، يذكر بصاحبه عند الشدة، فقد روى الإمام أحمد في "المسند" عن النبي ﷺ أنه قال: "إن ما تذكرون من جلال الله عزوجل من التهليل، والتكبير،

والتحميد، يتعاطفن حول العشر لهن دوي كدوي النحل، يذكرن بصاحبهن، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يُذكر به؟" (١) هذا الحديث أو معناه.

الثانية والعشرون: أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء، عرفه في الشدة، وقد جاء أثر معناه: أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى، إذا أصابته شدة، أو سأل الله تعالى حاجة، قالت الملائكة: يا رب صوت معروف من عبدٍ معروف، والغافل المعرض عن الله عزوجل إذا دعاه وسأله، قالت الملائكة: يا رب صوت منكر، من عبد منكرٍ.

الثالثة والعشرون: أنه ينجي من عذاب الله تعالى، كما قال معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعاً: "ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله عزوجل من ذكر الله تعالى" (٢).

الرابعة والعشرون: أنه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

الخامسة والعشرون: أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل، فإن العبد لا بد له من أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى، وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات، أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى.

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عوّد لسانه ذكر الله، صان لسانه عن الباطل، واللغو، ومن يبس لساله عن ذكر الله تعالى، ترطّب بكل باطل، ولغو، وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السادسة والعشرون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخيّر العبد أعجبهما إليه، وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه أحمد في "المسند" ٢٦٨/٤ و٢٧١ من حديث عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه أو أخيه، وهكذا رواه بالشك، ورواته ثقات، إلا أن رواية عون بن عبد الله عن أبيه مرسلة.

(٢) رواه أحمد في "المسند" ٢٣٩/٥ بطوله عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس مرفوعاً، وإسناده منقطع، وكذلك رواه البيهقي وابن عبد البر عن معاذ مرفوعا، ورواه مالك في "الموطأ" ٢١١/١ موقوفاً على معاذ، وهو منقطع عنده أيضا، قال المناوي في "فيض القدير": وقد رواه الطبراني عن جابر يرفعه بسند رجاله رجال الصحيح.

السابعة والعشرون: أنه يسعد الذاكر بذكره، ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أين ما كان، والغافل، واللاغي، يشقى بلغوه وغفلته، ويشقى به مجالسه.

الثامنة والعشرون: أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى، كان عليه حسرةً وترة يوم القيامة.

التاسعة والعشرون: أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه، والناس في حر الشمس، قد صهرتهم في الموقف، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عزوجل.

الثلاثون: أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال سبحانه وتعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين" (١).

الحادية والثلاثون: أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه، لشق عليه غاية المشقة، بل لا يمكنه ذلك.

الثانية والثلاثون: أنه غراس الجنة، فقد روى الترمذي في "جامعه" من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقيت ليلة أسري بي إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال: يا محمد أقرئ أمتك [مني] السلام، وأخبرهم أن الجنة طيِّبةُ التُربة، عَذْبةُ الماء، وأنها قيعان، وأنَّ غِراسَها: سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبرُ"، قال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود (٢).

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ قالَ: سُبْحانَ اللهِ وبِحمْدِهِ، غُرِستْ لهُ نخْلةٌ في الجنّةِ" قال

---

(١) رواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص: ٩٣ من حديث عمر، رواه الترمذي رقم: ٢٩٢٧ في ثواب القرآن باب رقم ٢٥ من حديث أبي سعيد الخدري، وذكره السيوطي في "الجامع الكبير" ونسبه للبخاري في خلق أفعال العباد، والبيهقي من حديث عمر وجابر، ولابن أبي شيبة من حديث عمرو ابن مرة مرسلا، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) رواه الترمذي رقم: ٣٤٥٨ في الدعوات باب رقم ٦٠ وفي سنده عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطي وهو ضعيف، وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي أيوب، وهو حديث حسن بشواهده.

الترمذي: حديث حسن صحيح (١).

الثالثة والثلاثون: أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال.

الرابعة والثلاثون: أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه، ومعاده، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه، ومصالحها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة الحشر: ١٩].

الخامسة والثلاثون: أن الذكر يسيّر العبد وهو في فراشه، وفي سوقه، وفي حال صحته، وسقمه، وفي حال نعيمه، ولذته، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله، حتى إنه يسير العبد وهو نائم على فراشه، فيسبق القائم مع الغفلة، فيصبح هذا النائم، وقد قطع الركب، وهو مستلق على فراشه، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقة الركب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

السادسة والثلاثون: أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب، والقبور بمثل ذكر الله تعالى.

السابعة والثلاثون: أن الذكر رأس الأصول، وطريق عامة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فتح له فيه، فقد فتح له باب الدخول على الله عزوجل، فليتطهر، وليدخل على ربه عزوجل، يجد عنده كل ما يريد، فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء، وإن فاته ربه عزوجل، فاته كل شيء.

الثامنة والثلاثون: في القلب خَلّة، وفاقة لا يسدُّها شيء البتة إلا ذكر الله عزوجل، فإذا صار الذكر شعار القلب، بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تبع له، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة، فيكون صاحبه غنياً بلا مال، عزيزاً بلا عشيرة، مهيباً بلا سلطان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عزوجل، فهو بضد ذلك، فقير مع كثرة جِدَته، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته.

(١) رواه الترمذي رقم: ٣٤٦٠ و: ٣٤٦١ في الدعوات باب رقم: ٦١ ورواه أيضاً ابن حبان في "صحيحه" رقم: ٢٣٣٥ وهو حديث حسن، وذكره المنذري في "الترغيب والترهيب" وقال: رواه البزار بسند جيد.

التاسعة والثلاثون: أن الذكر يجمع المتفرق، ويفرّق المجتمع، ويقرّب البعيد، ويبعد القريب، فيجمع ما تفرّق على العبد من قلبه، وإرادته، وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقها، وتشتتها عليه، وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه، وهمه، وعزمه، وإرادته، ويفرق ما اجتمع عليه، من الهموم، والغموم، والأحزان، والحسرات على فوت حظوظه، ومطالبه، ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه، وخطاياه وأوزاره، حتى تتساقط عنه، وتتلاشى، وتضمحل، ويفرق أيضاً ما اجتمع على حربه، من جند الشيطان.

الأربعون: أن الذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سِنَته، والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح، والمتاجر، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ، وعلم ما فاته في نومته، شد المئزر، وأحيا بقية عمره، واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل.

الحادية والأربعون: أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة، ورسخ أصلها، كان أعظم لثمرتها، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام، وقاعدته التي ينبني ذلك المقام عليها، كما يُبنى الحائط على أسه، وكما يقوم السقف على حائطه، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم، فالغفلة نوم القلب أو موته.

الثانية والأربعون: أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة، غير معية العلم، والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية، والمحبة، والنصرة، والتوفيق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [النحل: ١٢٨] ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر، كما في الحديث الإلهي: "أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركَتْ بي شفتاه" (١).

(١) رواه البخاري تعليقاً ٤١٣/١٣ ورواه مسنداً أحمد ٥٤٠/٢ وابن ماجه رقم: ٣٧٩٢ في الأدب، باب

الثالثة والأربعون: أن الذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله عزوجل، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عزوجل، وقد تقدم أن من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل شعر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه حتى يمسي.

الرابعة والأربعون: أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره، وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم: أن موسى عليه السلام قال: رب قد أنعمت عليّ كثيراً، فدلّني على أن أشكرك كثيراً، قال: اذكرني كثيراً، فإذا ذكرتني كثيراً، فقد شكرتني كثيراً، وإذا نسيتني فقد كفرتني.

الخامسة والأربعون: أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطباً بذكره، فإنه اتقاه في أمره، ونهيه، وجعل ذكره شعاره.

فالتقوى أوجبت له دخول الجنة، والنجاة من النار، وهذا هو الثواب، والأجر. والذكر يوجب له القرب من الله عزوجل، والزلفى لديه، وهذه هي المنزلة.

السادسة والأربعون: أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

السابعة والأربعون: أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة، وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى.

قال مكحول: ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء.

الثامنة والأربعون: أن الذكر أصل موالاة الله عزوجل ورأسها، والغفلة أصل معاداته، ورأسها، فإن العبد لا يزال يذكر الله عزوجل، حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه، حتى يبغضه فيعاديه.

قال الأوزاعي: قال حسان بن عطية: ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره، أو من يذكره.

فهذه المعاداة سببها الغفلة، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله، ويكره من يذكره، فيحنئذ يتخذه عدواً كما اتخذ الذاكر ولياً.

التاسعة والأربعون: أنه ما استُجلبت نعم الله عزوجل واستُدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى، فالذكر جلاب للنعم، دافع للنقم، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فدفعه، ودفاعه عنهم، بحسب قوة إيمانهم، وكماله، ومادة الإيمان، وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وأكثر ذكراً، كان دفع الله تعالى عنه، ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص، ذكراً بذكر، ونسياناً بنسيان، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

والذكر رأس الشكر كما تقدم، والشكر جلاب النعم، وموجب للمزيد...قال بعض السلف رحمة الله عليهم: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك.

الخمسون: أن الذكر يوجب صلاة الله عزوجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته، فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤١-٤٣].

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم، وأي شر لم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم، ماذا حُرموا من خيره وفضله؟ وبالله التوفيق.

الحادية والخمسون: أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا، فليستوطن مجالس الذكر، فإنها رياض الجنة.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة" قلنا: يا رسول الله! وما رياض الجنة؟ قال: "مجالس الذكر" ثم قال: "اغدوا وروحوا واذكروا، فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى، فلينظر كيف منزلةُ الله تعالى عنده، فإن الله تعالى يُنزل العبد منه حيث أنزله من نفسه" (١).

(١) رواه الحاكم ١/٤٩٤ وصححه وتعقبه الذهبي فقال: وعمر - يعني ابن عبد الله مولى غفرة، ضعيف،

الثانية والخمسون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس، إلا مجلس يذكرالله تعالى فيه.

فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكلٌّ مضافٌ إلى شكله وأشباهه، وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه.

الثالثة والخمسون: أن الله عزوجل يباهي بالذاكرين ملائكته، كما روى مسلم في "صحيحه" عن أبي سعيد الخدري عن معاوية.

الرابعة والخمسون: أن مدْمن الذكر يدخل الجنة وهُو يضحك، كما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه، عن أبي الدرداء قال: "الذين لا تزال ألسنتهم رطبةً من ذكر الله عزوجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك".

الخامسة والخمسون: أن جميع الأعمال، إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [سورة طه: ١٤].

السادسة والخمسون: أن أفضل أهل كل عمل، أكثرهم فيه ذكراً لله عزوجل، فأفضل الصوام: أكثرهم ذكراً لله عزوجل في صومهم، وأفضل المتصدقين: أكثرهم ذكراً لله عزوجل، وأفضل الحاج: أكثرهم ذكراً لله عزوجل، وهكذا سائر الأحوال.

السابعة والخمسون: أن إدامته تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها، سواء كانت بدنية، أو مالية، كحج التطوع.

الثامنة والخمسون: أن ذكر الله عزوجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد، ويسهلها عليه، ويلذذها له، ويجعلها قرةُ عينه فيها، ونعيمُه وسرورُه بها، بحيث لا يجد لها من الكلفة، والمشقة، والثقل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك.

التاسعة والخمسون: أن ذكر الله عزوجل يُسهل الصعب، ويُيسر العسير، ويُخفف المشاق، فما ذكر الله عزوجل على صعب إلا هان، ولا على

ولأوله شواهد ذكرها ابن علان في "الفتوحات الربانية" ١/٩١-٩٣ فانظرها.

عسير إلا تيسر، ولا على مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو: الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم، والهم.

الستون: أن ذكر الله عزوجل يُذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عزوجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن، ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومَن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا، والله المستعان.

الحادية والستون: أن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه، وكلامه، وإقدامه وكتابه، أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً.

وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعلياً رضي الله تعالى عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين، ويحمدا ثلاثا وثلاثين، ويكبرا أربعاً وثلاثين، لما سألته الخادم، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن، والسعي، والخدمة، فعلّمها ذلك وقال: "إنه خير لكما من خادم"(١).

الثانية والستون: أن عُمال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار، وانكشف، رآهم الناس، وقد حازوا قَصَب السبق.

الثالثة والستون: أن الذكر سبب لتصديق الرب عزوجل عبده، فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه، ومن صدّقه الله تعالى، لم يحشر مع الكاذبين، ورُجي له أن يحشر مع الصادقين.

(١) رواه البخاري ٧/٥٩ في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب علي بن أبي طالب، وفي الجهاد باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين، وفي النفقات، باب عمل المرأة في بيت زوجها، وباب خادم المرأة وفي الدعوات باب التكبير والتسبيح عند المنام، ومسلم برقم: ٢٧٢٧ في الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، والترمذي رقم: ٣٤٠٥ في الدعوات، باب: ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند المنام، وأبو داود رقم: ٢٩٨٨ و: ٢٩٨٩ في الخراج والإمارة، باب مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى.

الرابعة والستون: أن دور الجنة تُبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر، أمسكت الملائكة عن البناء.

الخامسة والستون: أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال، كان الذكر سداً في تلك الطريق، فإذا كان ذكراً دائماً كاملاً كان سداً محكماً لا منفذ فيه، وإلا فبحسبه.

السادسة والستون: أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب.

السابعة والستون: إن الجبال والقفار تتباهى وتَسْتَبْشِر بمن يذكر الله عزوجل عليها.

الثامنة والستون: أن كثرة ذكر الله عزوجل أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عزوجل.

قال عزوجل في المنافقين: ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

التاسعة والستون: أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه، لكفى به، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة.

قال مالك بن دينار: ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عزوجل، فليس شيء من الأعمال أخف مؤونة منه، ولا أعظم لذة، ولا أكثر فرحة، وابتهاجاً للقلب منه.

السبعون: أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا، ونوراً في الآخرة، فالذاكرون أنضر الناس وجوهاً في الدنيا، وأنورهم في الآخرة.

الحادية والسبعون: أن في دوام الذكر في الطريق، والبيت، والحضر، والسفر، والبقاع، تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة، والدار، والجبل، والأرض، تشهد للذاكر يوم القيامة.

الثانية السبعون: أن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة، والنميمة واللغو، ومدح الناس، وذمهم، وغير ذلك، فإن اللسان لا يسكت البتة.

فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغٍ، ولا بد من أحدهما، فهي النفس إن

لم تَشْغَلْها بالحق، شغلتك بالباطل، وهو القلب، إن لم تُسكنه محبة الله عزوجل، سكنه محبة المخلوقين ولابد، وهو اللسان، إن لم تَشْغَلْه بالذكر، شغلك باللغو، وما هو عليك، ولا بد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين.

الثالثة والسبعون: وهي التي بدأنا بذكرها، وأشرنا إليها إشارة، وهي أن الشياطين قد احتوشت العبد، وهم أعداؤه، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً، وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر، والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه، إلا بذكر الله عزوجل.

السابعة والسبعون: الذكر أفضل من الدعاء.

الذكر ثناء على الله عزوجل بجميل أوصافه، وآلائه، وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأنى هذا من هذا؟ (١).



(١) انظر الوابل الصيب في الكلم الطيب لابن القيم من ص: ٥٢ إلى ص: ١٢٠ طبعة مكتبة دار البيان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، وهذا كله مختصر منه، والتعليقات التي في أثنائه إنما هي للمحقق عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله.

الباب الثاني:

في الكلمة الطيبة

لهج كتاب الله عزوجل والحديث النبوي الشريف بذكر الكلمة الطيبة، كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وتعظيم شأنها بما لا يوجد مثله لغيرها، ولم لا؟ وهي غاية الغايات، وأصل المقاصد من الشرائع، وبعثة الأنبياء.

وذكرها القرآن بمختلف الأسماء مثل: "الكلمة الطيبة" و"القول الثابت" و"كلمة التقوى" و"مقاليد السموات والأرض".

وذكر الغزالي في الإحياء: أنها "كلمة التوحيد" وهي "كلمة الإخلاص" وهي "كلمة التقوى" وهي "كلمة طيبة" وهي "دعوة الحق" وهي "العروة الوثقى" وهي "ثمن الجنة" (١).

ونظراً إلى ذلك قسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في الآيات التي تشير إلى هذه الكلمة من دون ذكر لفظها.

الفصل الثاني: في ذكر الآيات التي جاء فيها لفظها.

الفصل الثالث: في الأحاديث الواردة في فضلها والحث عليها.



---

(١) انظر إحياء علوم الدين ٢٩٨/١ وأخرج العراقي لكل واحد حديثاً كالدليل، ثم قال: ولا يصح شيء منها.

الفصل الأول:

في الآيات التي تشتمل على معنى الكلمة الطيبة : لا إله إلا الله

١ - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً: شهادة أن لا إله إلا الله، كشجرة طيبة وهو المؤمن، أصلها ثابت، يقول: لا إله إلا الله ثابت في قول المؤمن، وفرعها في السماء، يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء، ومثل كلمة خبيثة، وهي الشرك، كشجرة خبيثة، وهي الكافر، اجتثت من فوق الأرض، ما لها من قرار، يقول: الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر، ولا برهان له، ولا يقبل الله مع الشرك عملاً (١).

وعن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ يقول: يذكر الله كل ساعة من الليل والنهار(٢).

وعن قتادة: أن رجلاً قال: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، فقال: أرأيت لو عمد إلى متاع الدنيا، فركب بعضها على بعض أكان يبلغ السماء؟ أفلا أخبرك بعمل، أصله في الأرض وفرعه في السماء، قال: ما هو يا رسول الله؟ قال: تقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، عشر مرات في دبر كل صلاة، فذلك أصله في الأرض وفرعه في السماء(٣).

٢ - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره انظر ٤٣٧/٧ برقم: ٢٠٦٥٩ و٤٤٦/٧ برقم: ٢٠٧٤٦، الطبعة الثانية دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٤٤١/٧ برقم: ٢٠٧٠٠.
(٣) عزاه السيوطي في الدر إلى ابن أبي حاتم وسنده كما عند ابن كثير، حدثنا أبي قال: حدثنا موسى ابن إسماعيل حدثنا أبان حدثنا قتادة.

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [سورة الفاطر: ١٠].

إن المراد بالكلم الطيب عند كثير من المفسرين: "لا إله إلا الله"، والتفسير الآخر أن المراد به هو: التسبيح.

٣- ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنعام: ١١٥].

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً، قال: "لا إله إلا الله" (١).

٤- ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧].

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: المسلم إذا سئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (٢).

وعن عائشة أيضاً قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ قال: هذا في القبر (٣).

وعن ابن عباس قال: إن المؤمن إذا حضره الموت، شهدته الملائكة فسلموا عليه، وبشروه بالجنة، فإذا مات، مشوا معه في جنازته، ثم صلوا عليه مع الناس، فإذا دفن، أجلس في قبره، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقال له: من رسولك؟ فيقول: محمد، فيقال له: ما شهادتك؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ (٤).

(١) عزاه في الدر إلى ابن مردويه، وابن النجار.
(٢) أخرجه البخاري في الجنائز برقم: ١٣٦٩٠ ومسلم برقم: ٢٨٧١ والترمذي برقم: ٣١٢٠ وغيرهم وأخرجه ابن أبي شيبة برقم: ١٢١٧ موقوفاً بسياق أطول من ذلك.
(٣) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.
(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٩٩/٧ برقم: ٢٠٧٦٥.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه في حديث طويل في مسألة القبر للمؤمن والكافر، جاء فيه: فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: لا إله إلا الله، وفي الآخرة قال: المسألة في القبر (١).

وعن طاؤس قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: لا إله إلا الله، وَفِي الآخِرَةِ قال: المسألة في القبر (٢).

٥- ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

عن علي رضي الله عنه في قوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾، قال: التوحيد، لا إله إلا الله (٣).

وعن ابن عباس أيضاً في قوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ قال: شهادة لا إله إلا الله. وروي عن ابن زيد مثله (٤).

٦- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

الظاهر من سياق الآية: أن المراد بكلمة، هي: كلمة التوحيد، وقد صرّح أبو العالية ومجاهد بأن المراد بها: لا إله إلا الله (٥).

٧- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

عن ابن عباس في قوله هذا، قال: تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني في الأوسط.
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري ٤٥١/٧ برقم: ٢٠٧٧٥
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ٣٦٤/٧ برقم: ٢٠٢٨١.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره: ٣٦٤/٧ برقم: ٢٠٢٨٥.
(٥) أما أثر أبي العالية فأخرجه ابن جريرفي تفسيره ٣٠٢/٣ برقم: ٧١٩٥ وأما أثر مجاهد فقد عزاه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

وتنهونهم عن المنكر، والمنكر هو التكذيب، وهو أنكر المنكر (١).

٨- ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

قد وردت في ذلك أحاديث كثيرة، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: اتق الله، إذا عملت سيئة، فأتبعها حسنة تمحها، قال: قلت: يا رسول الله! أمن الحسنات: لا إله إلا الله؟ قال: هي أفضل الحسنات (٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما قال عبد لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار، إلا طمست ما في الصحيفة من السيئات، حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات (٣).

٩- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٠].

وعن ابن عباس في قوله تعالى هذا: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان، قال: أداء الفرائض (٤).

١٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

عن ابن عباس وعكرمة كليهما في قوله تعالى: وقولوا قَوْلاً سَدِيدًا، قالا: قُولُوا: لا إله إلا الله (٥).

وجاء في حديث: أسدّ الأعمال ثلاثة: ذكر الله على كل حال، والإنصاف

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٩١/١ برقم: ٧٦٢٢.
(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢١٤٨٧ وقال محققو المسند: حسن لغيره.
(٣) أخرجه أبو يعلى ١٨٩/٣ برقم: ٣٦١١ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٥/١٠: رواه أبو يعلى، وفيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري وهو متروك انتهى.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٣٤/٧ برقم: ٢١٨٦٢ و: ٢١٨٦٣
(٥) أما أثر ابن عباس فقد أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص: ٨٣ باب: ما جاء في فضل الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام، طبع إله آباد سنة ١٣١٣هـ، وأما أثر عكرمة فقد أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٣٣٨/١٠ برقم: ٢٨٦٨٠

من نفسك، ومواساة الأخ في المال (١).

١١ - ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ١٧-١٨].

عن ابن عمر قال: كان سعيد بن زيد، وأبو ذر، وسلمان رضي الله عنهم يتبعون في الجاهلية أحسن القول، وأحسن القول والكلام: لا إله إلا الله، قالوا بها، فأنزل الله تعالى على نبيه: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (٢).

وروي عن زيد بن أسلم نحوه (٣).

١٢ - ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ، لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥].

عن ابن عباس في قوله: وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ، يعني: بـ لا إله إلا الله. (٤)

وعن بعض المفسرين أن المراد بـ﴿الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هو: النبي صلى الله عليه وسلم، وأن المراد بـ﴿صَدَّقَ بِهِ﴾: هم المؤمنون.

١٣ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم: ٧٤٤ ص: ٢٥٧ وابن أبي شيبة برقم: ٣٥٤٨١ عن حجاج بن أرطاة عن أبي جعفر مرسلا مرفوعا، وحجاج ضعيف مدلس، وقد عنعن.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٨٥/١ عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي مرفوعاً مسلسلاً بأهل البيت، لكن الراوي عنه عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه، وقد قال الذهبي في الميزان:

إنه روى عن علي الرضا عن أبيه بتلك النسخة الموضوعة الباطلة، ما تنفك عن وضعه أو وضع أبيه، وأورده السيوطي في الجامع الصغير، فعزاه إلى أبي نعيم في الحلية عن علي موقوفاً وتكلم عليه المناوي في الفيض بأن فيه إبراهيم بن ناصح عده الذهبي في الضعفاء قال أبو نعيم: متروك الحديث، ومن ثم رمز لضعفه انتهى قول المناوي.

قلت: عزاه في كنز العمال إلى الرافعي، وقال عقبه: بسند جليل عن المزني عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر؟!

(٢) عزاه السيوطي في الدر إلى ابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري من طريق يونس عن ابن وهب قال: قال ابن زيد ٦٢٥/١٠ برقم: ٣٠١٠٨ لكن قال ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير: قال ابن زيد عن أبيه، وهكذا قال ابن كثير: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه وعزاه السيوطي في الدر إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم والله أعلم.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره: ٤/١١ برقم: ٣٠١٤٣.

تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [حم السجدة: ٣٠-٣٢].

عن ابن عباس: أنه سئل أي آية في كتاب الله أرحب؟ قال: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على شهادة أن لا إله إلا الله. (١)

وروي عن إبراهيم ومجاهد في قوله ثُمَّ اسْتَقَامُوا قالا: قالوا: لا إله إلا الله، لم يشركوا بعدها بالله شيئاً حتى يلقوه (٢).

١٤ - ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [حم السجدة: ٣٣].

عن عكرمة في قوله هذا، قال: قول لا إله إلا الله يعني: المؤذن. (٣)

وعن عاصم بن هبيرة قال: إذا فرغت من أذانك فقل: لا إله إلا الله، والله أكبرُ وأنا من المسلمين، ثم قرأ هذه الآية (٤).

١٥ - ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠-٦١].

عن ابن عباس في قوله هذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هَلْ جَزَاءُ من أنعمت عليه، ممن قال لا إله إلا الله في الدنيا، إلا الجنة في الآخرة (٥).

وعن الحسن وعن عكرمة نحوه. (٦)

١٦ - ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢٦].

وردت أحاديث كثيرة أن المراد بـ "كَلِمَةَ التَّقْوَى": لا إله إلا الله، فعن أبي

---

(١) عزاه في الدر إلى عبد بن حميد

(٢) عزاه في الدر إلى عبد بن حميد.

(٣) عزاه في الدر إلى عبد بن حميد.

(٤) عزاه في الدر إلى سعيد بن منصور.

(٥) عزاه في الدر إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه.

(٦) عزاه في الدر إلى عبد بن حميد.

هريرة، وعن سلمة بن الأكوع عن النبي ﷺ أنه قال في ذلك: لا إله إلا الله (١).

وقد روي عن علي، وعمر، وابن عباس، وابن عمر أن المراد بها: لا إله إلا الله (٢).

١٧- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤].

عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قال: من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد، وشهد أني رسول الله (٣).

وعن عكرمة أيضاً في قوله هذا قال: من قال لا إله إلا الله (٤).

وعن ابن عباس نحوه (٥).

١٨- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [سورة الليل: ٥-٧].

المراد بالْيُسْرَى: الجنة يعني: نوفقه للأعمال الصالحة التي تكون سبباً بإذن الله لدخول الجنة، وذهب معظم المفسرين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وعن ابن عباس قال: وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى يقول: صدق بـ لا إله إلا الله(٦)

وعن أبي عبد الرحمن السلمي أيضاً نحوه (٧).

وعن الإمام أبي حنيفة من طريق أبي الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ وصَدَّقَ بِالْحُسْنَى وقال: صدق بـ لا إله إلا الله، وقرأ وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى وقال: كذب بـ لا إله إلا الله.

١٩- ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

---

(١) عزاهما في الدر إلى ابن مردويه.

(٢) انظر ابن جرير في تفسيره: ٣٦٥/١١ برقم: ٣١٥٨٢ أثر علي، وبعده أثر ابن عباس، وبرقم: ٣١٥٩٤ أثر ابن عمر.

(٣) أخرجه البزار برقم: ٢٢٨٤ ج/٣ ص: ٨٠ وشيخ البزار عباد بن أحمد العرزمي متروك قاله الهيثمي ١٤٠/٧.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٥٤٧/١٢ برقم: ٣٦٩٨٧.

(٥) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص: ٨٣، طبعة إله آباد.

(٦) أخرجه الطبري ٦١٣/١٢ برقم: ٣٧٤٥٠

(٧) عزاه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

عن سعيد بن جبير مرسلاً قال: لما نزلت: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال رجل من المسلمين: يا رسول الله! لا إله إلا الله حسنة؟ قال: نعم، أفضل الحسنات (١).

وعن ابن مسعود وعبد الله ابن عباس قالا: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إله إلا الله (٢).

وأخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: مَنْ جَاءَ بالحسنة قال: لا إله إلا الله (٣).

وقد تقدم في الآية برقم: ٨ حديث أبي ذر أن: لا إلا إله إلا الله أفضل الحسنات...

وعن أبي هريرة أنه قال: ما تقولون: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، لمن هي؟ قلنا: للمسلمين قال: لا والله، ما هي إلا للأعراب خاصة، فأما المهاجرون فسبع مائة (٤).

٢٠- ﴿حم، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة الغافر: ١-٣].

عن ابن عمر في قوله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ قال: غَافِرِ الذَّنْبِ لمن يقول: لا إله إلا الله، قابل التوب لمن يقول: لا إله إلا الله، شَدِيدِ الْعِقَابِ لمن لا يقول: لا إله إلا الله، ذِي الطَّوْلِ: ذي الغنى، لا إله إلا هو: كانت كفار قريش لا يوحدونه فوحَّد نفسه، إليه المصير: مصير من يقول لا إله إلا هو فيدخله الجنة، ومصير من لا يقول لا إله إلا هو، فيدخله النار(٥).

٢١- ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

---

(١) عزاه في الدر إلى عبد بن حميد.

(٢) عزاهما في الدر إلى ابن المنذر، وعزا الأول إلى ابن أبي شيبة، وأبي نعيم، وابن أبي حاتم أيضاً.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور.

(٤) عزاه السيوطي في الدر إلى ابن أبي حاتم، وأورد عن ابن عباس نحوه معزوا إلى أبي الشيخ.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط برقم: ٩٤٨١، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٤/٧: وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف.

عن ابن عباس في قوله فَقَدْ: ﴿اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ قال: لا إله إلاالله (١)

وعن سفيان أيضاً أن المراد بالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى: كلمة الإخلاص (٢).

وورد في تفسير آيات أُخر عديدة أيضاً أن المراد ببعض الألفاظ في هذه الآيات كلمة التوحيد عند بعضهم، فقد قال الراغب في قوله في قصة زكريا "مصدقاً بكلمة" قيل: بكلمة التوحيد، وكذا قال في قوله: "إنا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ" الآية قيل: هي كلمة التوحيد، واقتصرت على ما مرّ للاختصار.



(١) أخرجه الطبري عن سعيد بن جبير من قوله ٢٢/٣ برقم: ٥٨٥١ لكن السيوطي عزاه إلى ابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم من قول ابن عباس، وما وجدته في تفسير ابن جرير.

(٢) هذا سبق نظر من الشيخ رحمه الله فقد قال السيوطي في الدر الذي نقل منه هو: أخرج سفيان، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ قال: الإيمان، ولفظ سفيان قال: كلمة الإخلاص انتهى، فإنما هو قول مجاهد، وإنما روى سفيان عنه بهذا اللفظ.

الفصل الثاني:

في الآيات التي تشتمل على لفظ الكلمة الطيبة: كلمة التوحيد

الحق أن كلام الله عزوجل كله إنما يشتمل على معنى كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" ذاك أن التوحيد هو القطب الذي يدور حوله هو، ولم لا؟ فالتوحيد هي الغاية التي بعث لأجلها الأنبياء، والرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإليها دعوا، ولها جاهدوا، قال عزوجل: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنوا الطاغوت﴾.

١- ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

٢- ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٣- ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

٤- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

٥- ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]

٦- ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢].

٧- ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٨- ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء: ٨٧].

٩- ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

١٠- ﴿قُلْ إنما هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الأنعام: ١٩].

١١- ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦].

١٢- ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

١٣- ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

١٤- ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٤٠].

١٥- ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

١٦- ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [التوبة: ٣١].

١٧- ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

[التوبة : ١٢٩].

١٨- ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [يونس : ٣].

١٩- ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ [يونس : ٣٢].

٢٠- ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس : ٩٠].

٢١- ﴿فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس : ١٠٤].

٢٢- ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [هود : ١٤].

٢٣- ﴿أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ [هود : ٢٦].

٢٤- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود : ٥٠].

٢٥- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود : ٦١].

٢٦- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود : ٦٤].

٢٧- ﴿أَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف : ٣٩].

٢٨- ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [يوسف : ٤٠].

٢٩- ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [الرعد : ٣٠].

٣٠- ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [إبراهيم : ٥٢].

٣١- ﴿أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل : ٢].

٣٢- ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل : ٢٢].

٣٣- ﴿وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الإسراء : ٣٩].

٣٤- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء : ٤٢].

٣٥- ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ [الكهف : ١٤].

٣٦- ﴿هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ [الكهف : ١٥].

٣٧- ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف : ١١٠].

٣٨- ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [مريم : ٣٦].

٣٩- ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [طه : ٩].

٤٠- ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [طه : ٩٨].

٤١- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء : ٢٢].

٤٢- ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ [الأنبياء : ٢٤].

٤٣- ﴿إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾ [الأنبياء : ٢٥].

٤٤- ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ [الأنبياء : ٤٣].

٤٥- ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء : ٦٦].

٤٦- ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأنبياء : ٨٧].

٤٧- ﴿إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الأنبياء : ١٠٨].

٤٨- ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ [الحج : ٣٤].

٤٩- ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون : ٣٢].

٥٠- ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون : ٩١].

٥١- ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المؤمنون : ١١٦].

٥٢- ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ ربه﴾ [المؤمنون : ١١٧].

٥٣- ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل : ٦٠].

٥٤- ﴿أَإِله مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل : ٦١].

٥٥- ﴿أَإِله مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل : ٦٢].

٥٦- ﴿أَإِله مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل : ٦٣].

٥٧- ﴿أَإِله مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل : ٦٤].

٥٨- ﴿وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ﴾ [القصص : ٧٠].

٥٩- ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ﴾ [القصص : ٧٢].

٦٠- ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [القصص : ٨٨].

٦١- ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ [العنكبوت : ٤٦].

٦٢- ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الفاطر : ٣].

٦٣- ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات : ٤].

٦٤- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات : ٣٥].

٦٥- ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص : ٥].

٦٦- ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص : ٦٥].

٦٧- ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر : ٤].

٦٨- ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الزمر : ٦].

٦٩- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المؤمن/الغافر : ٣].

٧٠- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [المؤمن/الغافر : ٦٢].

٧١- ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾ [المؤمن/الغافر : ٦٥].

٧٢- ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [حم السجدة/فصلت : ٦].

٧٣- ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [حم السجدة/فصلت : ١٤].

٧٤- ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [الشورى : ١٥].

٧٥- ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَانِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف : ٤٥].

٧٦- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الدخان : ٧].

٧٧- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الدخان : ٨].

٧٨- ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحقاف : ٢١].

٧٩- ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد : ١٩].

٨٠- ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الذاريات : ٥١].

٨٠- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر : ٢٢].

٨١- ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة : ٤].

٨٢- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التغابن : ١٣].

٨٣- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل : ٩].

٨٤- ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون : ٢-٣].

٨٥- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١].

هذه خمس وثمانون آية تشتمل على معاني كلمة" لا إله إلا الله"، وهناك آيات كثيرة في هذا المعنى، ذلك لأن التوحيد هي غاية الغايات، وأصل المقاصد في الدين، وكلما كان التوحيد أرسخ، وأثبت، كان الدين أكمل، وأتم، ومن هناك لهج كتاب الله عزوجل بذكر المعاني التي تؤكده، وتركز عليه، حتى يحل في قرارة النفوس، ويدخل في سويداء القلوب.

الفصل الثالث:

في الأحاديث الواردة في فضل كلمة التوحيد والحث عليها:

(١) عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله.

كذا في المشكاة برواية الترمذي وابن ماجه، وقال المنذري: رواه ابن ماجه، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والحاكم: كلهم من طريق طلحة بن خراش عنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، قلت: رواه الحاكم بسندين وصححهما، وأقره عليهما الذهبي (١) وكذا رقم له بالصحة السيوطي في الجامع(٢).

شرح الحديث:

إن كون "لا إله إلا الله "أفضل الذكر ظاهر جلي، فإن مدار الدين كله عليها، ولا يصح الإيمان إلا بها، وإنما جعل"الحمد لله" أفضل الدعاء؛ لأن حمد الكريم، والثناء عليه، يقصد به الإنسان السؤال، ويتوسل إلى الطلب، فهو سؤال لطيف يدق مسلكه، (٣) قال ابن عباس رضي الله عنه: "من قال: "لا إله

---

(١) انظر: مستدرك الحاكم ج/١ ص: ٦٧٦ برقم ٣٤/١٨٣٤ وانظر الإسناد الثاني فيه ج/١ ص: ٦٨٢ برقم: ٥٢/١٨٥٢ وفي كليهما قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي انتهى. وتفرد بهذا الحديث موسى بن إبراهيم عن طلحة بن خراش وهو ابن عم جابر كما في ابن ماجه عن جابر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ١١٠٤ وفي التعليق على المشكاة برقم: ٢٣٠٦.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم: ٣٣٨٣ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم، وقد روى علي بن المديني وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث، و ابن ماجه في الأدب باب فضل الحامدين برقم: ٣٨٠٠ وابن حبان برقم: ٨٤٦ والبغوي في شرح السنة برقم: ١٢٦٩. كتاب الدعوات باب ثواب التحميد ج/٥٥ ص: ٤٩ والبيهقي في الشعب برقم: ٤٠٦١.

(٣) أخرج ابن أبي شيبة برقم: ١٥٣٦٧ عن ابن أبي حسين مرسلا: قال رسول الله ﷺ: أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير"وهو ضعيف، ولكن له شواهد، ومنها ما رواه مالك في الموطأ في الصلاة ما جاء في الدعاء برقم: ٥٠٠ من ترقيم فؤاد عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا: أن رسول الله ﷺ قال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي: "لا إله إلا الله وحده لاشريك له".

وأخرج البيهقي بإسناد له برقم: ٥٧٠ في الشعب عن الحسين بن الحسن المروزي، وكان جاور بمكة حتى مات قال: سألت سفيان بن عيينة عن تفسير قول النبي ﷺ: أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة: لا إله إلا الله إلى الأخير، وإنما هو ذكر، ليس فيه دعاء، قال سفيان: سمعت حديث

إلا الله"فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين"، يريد قوله عزوجل: فادعوه مخلصين له الدين، الحمد لله رب العالمين [المؤمن: ٦٥] (١).

قال ملا علي القاري رحمه الله: الكلمة الطيبة، وكلمة الشهادة، هي أشرف الكلمات، وأنفس العبادات، وأفضل الأذكار، وأكمل الحسنات... لأنها قطب دائرة الأذكار، ومركز نقطة الأسرار (٢) وهي أساس الدين الذي يقوم عليه بناؤه، والقطب الذي تدور حوله رحى الإسلام (٣).

ولذلك يخصّ المشايخ الصوفية والعارفون هذه الكلمة بالاهتمام ويفضلونها، ويرشدون إلى الإكثار منها، فإن التجربة قد كشفت عن منافع وفوائد فيها، ليست في غيرها، وقد اشتهرت حكاية الشيخ السعيد علي بن ميمون المغربي وهي:

أن السيد علي بن ميمون المغربي لما تصرف في الشيخ علوان الحموي، وهو كان مفتياً مدرساً، فنهاه عن الكل، وشغله بالذكر، فطعن الجهال فيه، بأنه أضل شيخ الإسلام، ومنعه عن نفع الأنام، ثم بلغ السيد أنه يقرأ القرآن أحياناً، فمنعه منه، فقال الناس: إنه زنديق يمنع من تلاوة القرآن الكريم الذي هو قطب الإيمان، وغوث الإيقان! لكن طاوعه المريد إلى أن حصل له المزيد،

منصور عن مالك بن الحويرث؟ (هو حديث: إذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، رواه ابن المبارك واللفظ له في الزهد برقم: ٩٢٩ عن سفيان عن منصور عن مالك بن الحويرث مرفوعاً ورواه غيره) قال الحسين: قلت: نعم! قال: ذاك تفسير هذا، ثم قال: أتدري ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى ابن جدعان يطلب نائله ومعروفه؟ قلت: لا! قال: لما أتاه قال:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حباؤك إن شيمتك الحباء
إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرضك الثناء

(يروى الحباء بالباء والياء الموحدة والمثناة)

قال سفيان: فهذا مخلوق حين ينسب إلى الجود قيل: يكفينا من تعرضك الثناء عليك، حتى تأتي على حاجتنا، فكيف بالخالق؟ انتهى. وإنما نقلت هذا لنفاسته، وجودته، وغلائه.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٧٦/٢ برقم: ٧٧٦/٣٦٣٩ عن الأعمش عن مجاهد عنه موقوفاً، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح كتاب الدعوات، باب ثواب التسبيح والتحميد، الفصل الثاني.

(٣) ما وجدت مثل ذلك، وقد نقلت ما وجدت ما يقاربه من قول ملا علي القاري رحمه الله.

ثم وجدته في المرقاة ٦٣/٥ كتاب الدعوات باب ذكر الله والتقرب إليه، الفصل الثاني ونصه: لا ارتياب أن أفضل الذكر: قول لا إله إلا الله، وهي القاعدة التي بني عليها أركان الدين، وهي الكلمة العليا، وهي القطب الذي يدور عليها رحى الإسلام، وهي الشعبة التي أعلى شعب الإيمان.

وانجلت مرآة قلبه، وحصل له مشاهدة ربه، فأذن له في قراءة القرآن، فلما فتح المصحف، فتح عليه الفتوحات الأزلية والأبدية، وظهر له كنوز المعارف والعوارف الظاهرية والباطنية، فقال السيد: أنا ما كنت أمنعك عن القرآن، وإنما كنت أمنعك عن لقلقة اللسان، والغفلة عما فيه من البيان، في هذا الشأن (١).

ومن هنالك ينبغي الإكثار من قول هذه الكلمة، واللهَج به، فإنه يزداد بذلك الإيمان، ويثبت في النفس، لأن مدار الإيمان عليها، بل إن مدار الدنيا عليها، ففي الحديث الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله" (٢).

(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل: لا إله إلا الله"، قال: يا رب! كل عبادك يقول هذا، قال: قل: "لا إله إلا الله" قال: إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى لو أن السموات السبع، والأرضين السبع في كفة، و"لا إله إلا الله" في كفة، مالت بهم "لا إله إلا الله".

رواه النسائي، وابن حبان، والحاكم، كلهم من طريق دراج عن أبي الهيثم رضي الله عنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد كذا في الترغيب، قلت: قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره عليه الذهبي، وأخرج في المشكاة برواية شرح السنة نحوه، زاد في منتخب الكنز: أبا يعلى والحكيم، وأبا نعيم في الحلية، والبيهقي في الأسماء، وسعيد بن منصور في سننه، وفي مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف (٣).

---

(١) ذكر هذه القصة ملا علي القاري في المرقاة ٦٣/٤ في كتاب الدعوات، باب ذكر الله عزوجل والتقرب إليه، الفصل الثاني.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أحمد عن أنس رضي الله عنه برقم: ١٣٨٣٣ وأصله في صحيح مسلم برقم: ١٤٨ كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان ولفظه: لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله.

(٣) أخرجه ابن حبان برقم: ٦٢١٨ كتاب التاريخ باب بدء الخلق والحاكم ٧١٠/١ برقم: ١٣٦/١٩٣٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأبو يعلى في مسنده برقم: ١٣٩٤ والبغوي في شرح السنة برقم: ١٢٧٣ وفيهما: ولو أن السموات السبع وعامرهن غيري. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج/٦٤ ص: ١٠٣ في ترجمة موسى بن عمران عليه السلام.

قلت: وفي إسناده عند الجميع دراج عن أبي الهيثم، قال أحمد بن حنبل: أحاديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيها ضعف (الكامل لابن عدي ١١٣/٣) وقال أبو داود وغيره: حديث دراج

شرح الحديث:

إن من سنة الله تعالى التي بها جرت العادة، وهي من رحمته الشاملة

مستقيم إلا ما كان عن أبي الهيثم (الكاشف للذهبي ٣٨٣/١، وتهذيب الكمال للمزي ٤٣٣/٢).

ويعارض ذلك ما نقل ابن عدي ١١٣/٣ عن عباس الدوري قال: سئل يحيى عن حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال: ما كان هكذا بهذا الإسناد، فليس به بأس، فقلت له: إن دراجا يحدث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: أصدق الرؤيا بالأسحار ويروي أيضاً: اذكروا الله حتى يقولوا مجنون، قال: هما ثقة: دراج، وأبو الهيثم، وكذلك يعارضه ما نقل محمد عوامة في التعليق على الكاشف ٣٨٣/١ عن ابن شاهين في ثقاته(٣٤٩) قال: يروي (أي دراج) عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، ما كان بهذا الإسناد فليس به بأس، انتهى.

قال الحافظ في التقريب: صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف انتهى. قلت: هذا الضعف إنما هو عند أحمد، وتلميذه أبي داود، وليس بهذا الإسناد ضعف عند ابن معين وابن شاهين، إذن فهذا الإسناد مختلف فيه، وأرجو أن ضعفه لا يكون شديداً إن شاء الله. ثم رأيت الهيثمي قد حسّن هذا الإسناد في مواضع من مجمع الزوائد، وكذلك رأيت الحافظ حسّنه في الفتح في موضع، والله أعلم.

ولا يفوتني أن أنقل ما قال الذهبي: ولابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج نسخة منها عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعاً: أصدق الرؤيا بالأسحار، وبه: اذكروا الله حتى يقال: مجنون. وبه: المجالس ثلاثة: سالم، وغانم، وشاجب، وبه: الشتاء ربيع المؤمن، وبه: قال رسول الله في يوم كان مقداره ألف سنة، فقلت: فما أطول هذا فقال: والذي نفسي بيده، إنه ليخفف عن المؤمن ذكر الحديث انتهى.

ونقل ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦٠/١٩ في ترجمة دراج بإسناد له عن علي بن المديني يقول: أبو السمح دراج وأبو الهيثم معروف بالرواية عن أبي سعيد الخدري واسمه سليمان بن عمرو بن عبد العتواري، والعتواريون فخذ من كنانة من بني كعب انتهى. لذلك فالحكم المناسب لهذا الحديث هو ما قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٥/١٠: رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف انتهى.

وليس حكم الحاكم في المستدرك ولا حكم الحافظ في الفتح تحت الحديث برقم: ٦٤٠٦ في الدعوات حيث قال: أخرجه النسائي بسند صحيح عن أبي سعيد مناسبين والله أعلم بالصواب.

وقد ذكر ملا علي القاري في المرقاة في تخريج هذا الحديث أن البزار رواه عن ابن عمر مرفوعا بلفظ: لو أن أهل السموات، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت انتهى. قلت هذا حديث آخر، نعم يمكن أن يكون شاهداً له في بعض المعني، وإليك نصه من كشف الأستار ٧/٤ برقم: ٣٠٦٩:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بوصية نوح ابنه قالوا: بلى! قال: أوصى نوح ابنه فقال لابنه: يا بني إني أوصيك باثنين، وأنهاك عن اثنين، أوصيك بقول لاإله إلا الله، فإنها لو وضعت في كفة، ووضعت السموات والأرض في كفة، لرجحت بهن، ولو كان حلقة، لقصمتهن حتى تخلص إلى الله، وبقول: سبحان الله العظيم وبحمده، فإنها عبادة الخلق، وبها تقطع أرزاقهم.

وأنهاك عن اثنين: الشرك والكبر، فإنهما تحجبان عن الله، قال: قيل: يا رسول الله! أمن الكبر أن يتخذ الرجل الطعام فيكون عليه الجماعة؟ أو يلبس القميص النصيف؟ قال: ليس ذلك يعني بالكبْر، إنما الكبْر أن تسفه الحق، وتغمص الناس، قال البزار: لا نعلم أحداً رواه عن عمرو عن ابن عمر إلا ابن إسحاق، و لا نعلم حدث به عن أبي معاوية إلا إبراهيم بن سعيد انتهى.

قال الهيثمي في المجمع ٨٧/١٠: رواه البزار وفيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وهو ثقة، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقد تقدم في الوصايا مثله من حديث عبد الله بن عمرو انتهى، قلت: وحديث عبد الله بن عمرو أخرجه أحمد برقم: ٦٥٨٣ القصة بنحوها بسياق طويل، وإسناده صحيح كما قاله محققو المسند، ونقلوا عن ابن كثير قوله عن إسناد البزار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب: الظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أحمد والطبراني.

ورأفته الكاملة، أن أعز الأشياء أكثرها وجوداً، كالعشب، والملح، والماء، دون اللؤلؤ، والياقوت، والزعفران (١).

لكن الأمر الجدير بالذكر أن العبرة عند الله سبحانه وتعالى، إنها هي بالإخلاص، وكلما كان عمل من الأعمال مُتّسماً بالإخلاص، كان مقبولاً عند الله، ومحبوباً لديه، وثقيلاً في الميزان، وكلما ابتعد عن الإخلاص، والنية الصحيحة الصادقة، قل عنده، وخف وزنه، ثم هذه الكلمة لها تأثير عميق ودور عظيم في إيجاد الإخلاص، وتصفية القلوب، ولذلك تسمى جلاء القلوب، ولذلك يرشد المشايخ الربانيون إلى الإكثار منها بكل ما في وسع المرء.

ذكر ملا علي القاري أن بعض المسترشدين شكا إلى شيخ له أنه يذكر الله عزوجل، وقلبه غافل، فأرشده إلى المواظبة على الذكر، وأن يشكر الله تبارك وتعالى على ما وفقه للذكر، وأعمل لسانه بالطاعة، ومع ذلك يسأل الله تبارك وتعالى أن يذهب بهذه الغفلة من قلبه (٢).

وذكر في الإحياء نحو ذلك عن أبي عثمان المغربي أنه أوصى به بعض أصحابه حين شكا إليه ذلك (٣).

والواقع أن هذه الوصفة وصفة موافقة، نافعة للغاية، فإن الشكر يزيد الله به النعم، كما قال عزوجل:

﴿لَـئِنْ شَـكَرْتُمْ لأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَـئِنْ كَفَـرْتُمْ إِنَّ عَـذَابِي لَـشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٧]. وجاء في حديث: "الذكر نعمة من الله فأدوا شكرها" (٤).

---

(١) هذا كلام ملا علي القاري في المرقاة في كتاب الدعوات.

(٢) انظر: المرقاة ٦٥/٤ كتاب الدعوات، باب ذكر الله، والتقرب إليه، الفصل الثاني، ونص كلامه: روي أن بعض المريدين قال لشيخه: أنا أذكر الله، وقلبي غافل، فقال له: اذكر واشكر أن شغل عضوا منك بذكره، واسأله أن يحضر قلبك.

(٣) قال في الإحياء ٤٨/٤ قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي: إن لساني في بعض الأحوال، يجري بالذكر والقرآن، وقلبي غافل، فقال: اشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير، وعوده الذكر، ولم يستعمله في الشر، ولم يعوده الفضول، ثم علق عليه قائلاً: وما ذكره حق، فإن تعود الجوارح للخير، حتى يصير لها ذلك كالطبع، يدفع جملة من المعاصي انتهى.

(٤) عزاه في الجامع الصغير إلى الفردوس عن نبيط بن شريط، ورمز له بالصحة، وحسّن المناوي إسناده في التيسير بشرح الجامع الصغير، لكن هذا عجيب، فإن السيوطي رحمه الله قد عدّ هذا الحديث في ذيل اللآلي ص: ٢٠١ من جملة الأحاديث المروية من طريق أحمد بن إسحاق بن إبراهيم

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه.

رواه البخاري، وقد أخرجه الحاكم بمعناه، وذكر صاحب بهجة النفوس في الحديث أربعة وثلاثين بحثاً (١).

شرح الحديث:

السعادة: أن يوافق العبد توفيقٌ من الله عزوجل، فيوصله إلى الخير، وقوله: "أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه" يحتمل معنيين: أحدهما: أن المراد به: من قال لا إله إلا الله صدقا من قلبه وإيماناً، ولم يعمل عملاً صالحاً غيره، فهذا الرجل إنما تكون سعادته بشفاعة النبي ﷺ أعظم، وانتفاعه بها أوفى، وأتمِ، لأنه ليس عنده عمل، وعلى هذا يوافق هذا الحديث حديثاً آخر، وهو: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"(٢) فإنهم يدخلون

إبن نبيط بن شريط بنسخة.

وقال الذهبي في الميزان ٨٢/١ في ترجمة أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط برقم: ٢٩٦ قال: عن أبيه عن جده بنسخة فيها بلايا، ومن ذلك مرفوعاً: الجيزة روضة من الجنة، ومنها: يا محمد لا أعذب بالنار من سمي باسمك، ومنها: أهل بيتي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم، ومنها: مصر خزائن الله في أرضه، سمعناها من طريق أبي نعيم عن اللكي عنه، لا يحل الاحتجاج به، إنه كذاب انتهى. فالله أعلم، وقال الفتّني في تذكرة الموضوعات: أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط حدث عن أبيه عن جده بنسخة لا يجوز الاحتجاج به فإنه كذاب انتهى.

(١) أخرجه البخاري برقم: ٦٥٧٠ والبغوي في شرح السنة ٤٣٣٦ وأحمد ٨٨٥٨ وأخرج الحاكم بمعناه ج/١ ص: ١٤١ برقم: ٢٣٣/٢٣٣ وفيه: سألت رسول الله ﷺ: ماذا رد إليك ربك في الشفاعة؟ وفيه زيادة: والذي نفسي بيده، لما يهمني من انقضاضهم على باب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد أيضاً برقم: ٨٠٧٠ وابن حبان برقم: ٦٤٦٦ قال الهيثمي في المجمع ٤٠٧/١: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير معاوية بن معتب، وهو ثقة انتهى.

(٢) أخرجه الحاكم ج/١ ص: ١٤٠ برقم: ٢٣١/٢٣١ وأخرجه أبو داود برقم: ٤٧٣٩ والترمذي برقم: ٢٤٣٥ في صفة القيامة عن أنس وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وله شاهد عن جابر رضي الله عنه عند الترمذي برقم: ٢٤٣٦ وقال: غريب من هذا الوجه يستغرب من حديث جعفر بن محمد، وأخرجه ابن حبان برقم، ٦٤٦٧ وقال محققه: حديث صحيح انتهى.

وله شاهد عن ابن عباس مرفوعاً عند الطبراني في الكبير برقم: ١١٤٥٤ وفي الأوسط برقم: ٤٧١٣ عن رسول الله أنه قال ذات يوم: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف

النار بسبب المعاصي، لكنهم تنالهم رحمة الله بسبب "لا إله إلا الله"، فيسعدون بشفاعة النبي ﷺ، فيخرجون من النار (١).

والمعنى الثاني: أن الذين يداومون على قول لا إله إلا الله مخلصين من قلوبهم يَرْقَون في الدرجات العلى من الجنة بفضل شفاعة النبيﷺ وتكون سعادتهم بها أكثر، وحظهم فيها أوفى.

وقد قال العلامة العيني: إن شفاعة النبي ﷺ على ستة أقسام:

الأولى: في الإراحة من هول الموقف حين يكون الناس في شدة، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم، والكرب، ما لا يطيقون، ولا يحتملون، فيأتون آدم، ثم نوحا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، ويقولون لكل نبي: اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، ويقول كل واحد: ائتوا محمداً، فقد غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر فيأتونه، فيستأذن على الله عزوجل ويقع له ساجداً، ويحمده بتحميد يلهمه إياه، فيقال له: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فيشفع رسول الله ﷺ، وهذه

يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ

قال الهيثمي ٣٨١/١٠: رواه الطبراني في الكبير، والأوسط باختصار عنه، وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو وضّاع.

وله شاهد من حديث ابن عمر عند الطبراني في الأوسط برقم: ٥٩٤٢ من طريق حرب بن سريج عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر، حتى سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: إني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة، فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا، ورجونا لهم.

قال الهيثمي ٣٨٠/١٠: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حرب بن سريج، وقد وثقه غير واحد، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح انتهى. وقد تحرف في مطبوعة مجمع الزوائد ابن عمر إلى ابن عباس وهو خطأ، وقد اغتر بهذا الخطأ محقق المعجم الكبير فقد نقل هذا الحكم في التعليق على حديث ابن عباس رضي الله عنه المتقدم قبل ذلك.

وحديث ابن عمر أخرجه الخطيب ١١/٨ من طريق يحيى بن يحيى عن مالك عن نافع عن ابن عمر مختصراً، وله شاهد من حديث كعب بن عجرة عند الخطيب ٤٠/٣ في ترجمة محمد بن عمر بن عبد العزيز الهمداني.

(١) قد جاء في حديث متفق عليه في الشفاعة: ثم أرجع إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ ساجداً، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله قال: ليس ذاك لك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال: لا إله إلا الله، أخرجه البخاري برقم: ٧٥١٠ في التوحيد ومسلم برقم: ١٩٣ كتاب الإيمان.

الشفاعة شفاعة عامة (١).

الثانية: في تخفيف العذاب عن بعض الكفار، كما قد صح ذلك في حق عمه أبي طالب (٢).

الثالثة: فيمن دخل النار من المذنبين.

الرابعة: في المسلمين الذين استوجبوا النار، فيشفع فيهم للنجاة.

الخامسة: في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

السادسة: هي في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها (٣).

(٤) عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة قيل: وما إخلاصها؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله. رواه الطبراني في الأوسط والكبير (٤).

---

(١) انظر حديث أنس في البخاري برقم: ٦٥٦٥ في الرقاق، ومسلم برقم: ١٩٣ في الإيمان.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان برقم: ٢٠٩.

(٣) انظر عمدة القاري ١٢٨/٢ كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، وقد ذكر القاضي عياض خمسة في شرح مسلم تحت الحديث برقم: ١٩١ في الإيمان، وكذلك النووي، وقد زاد الحافظ بعض الأنواع الأخرى في الفتح في الرقاق في صفة الجنة والنار.

(٤) أخرجه في الأوسط برقم: ١٢٣٥ وفي الكبير ج/٥ ص: ١٩٧ برقم: ٥٠٧٤ عن زيد بن أرقم، وقال الهيثمي في المجمع ٢٣/١: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، وهو وضاع انتهى.

وهذا الرأي إنما هو في إسناد الأوسط، وأما إسناد الكبير ففيه: أبو داود الدارمي الأعمى وهو نفيع بن الحارث السبيعي، وهو الراوي عن زيد بن أرقم قال ابن عدي ٦٠/٧ حدثنا ابن حماد، قال حدثني صالح ثنا علي سمعت عفان ثنا همام قال: قدم علينا أبو داود فجعل يقول: ثنا البراء بن عازب وزيد بن أرقم قال: فقلنا لقتادة: إن أبا داود حدثنا عن زيد بن أرقم وعن البراء بن عازب فقال: كذب إنما كان ذلك سائلاً يتكفف الناس قبل طاعون الجارف.

وقال الذهبي في الميزان ٢٧٢/٤: قال العقيلي: يغلو في الرفض، وقال البخاري: يتكلمون فيه، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك، وقال أبو زرعة: لم يكن بشيء، وقال ابن حبان: لا تجوز الرواية عنه انتهى.

وفيه راو آخر: الهيثم بن جماز، قال أحمد بن حنبل: منكر الحديث ترك حديثه، وقال ابن معين: ضعيف. (ابن عدي ١٠١/٧) وقال النسائي: متروك الحديث (انظر لسان الميزان ٣١٩/٤).

وأورد المنذري هذا الحديث في الترغيب ٢٣٤/٢ وصدره بقوله: وروي عن زيد بن أرقم، وأهمل الكلام عليه في الآخر، وهذا علامة الحديث الضعيف عنده، كما بينه في المقدمة، ويغني عنه في معنى لزوم اجتناب الحرام، واتقاء المعاصي، والسداد، إلى جانب قول لا إله إلا الله، ما رواه الترمذي عن أبي هريرة في الدعوات برقم: ٣٥٩٠ مرفوعاً:

وما قال عبد: لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر. ←

شرح الحديث:

وطبعاً أن الرجل إذا قال: لا إله إلا الله، وكف عن محارم الله تبارك وتعالى، فما من شك في دخوله الجنة، وإن لم يجتنب محارم الله عزوجل، فإنه يدخل الجنة ببركة هذه الكلمة في يوم من الأيام، وإن كان يعذب أن يعذب في النار بمعاصيه، نعم إن كان شؤم معاصيه بحيث يحرمه الإيمان فهذا كان عاقبة أمره خسراً.

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: الواجب على كل إنسان أن يكثر من قول لا إله إلا الله، ويسأل الله تعالى في آناء الليل وأطراف النهار، أن لا ينزع الإيمان، وهذا القولَ منه، ويحفظ نفسه من المعاصي، فإن كثيرا من الناس يقولون هذا القول، ثم ينزع عنهم في آخر عمرهم بسبب أعمالهم الخبيثة، ويخرجون من الدنيا على الكفر، نعوذ بالله، وأي مصيبة أعظم من هذا أن الرجل كان اسمه من المسلمين في جميع عمره، فيبعث يوم القيامة واسمه من الكافرين؟! فهذا به الحسرة كل الحسرة، وليست بالذي يخرج من الكنيسة أو من بيت النار فيدخل جهنم، ولكن الحسرة بالذي يخرج من المسجد، فيطرح في النار.

وذلك كله بسبب أعماله الخبيثة، وارتكابه المحرمات في السرائر، فرب رجل وقع في يده شيء من أموال الناس، فيقول: أنفقها ثم أردها، أو أستحل منهم، فيموت قبل أن يرضي خصمه، ورب إنسان وقع منه بينه وبين امرأته حرمة، فيقول: كيف أدعها وبيننا أولاد؟ فيصرّ على ذلك فيأتيه الموت، وهو على الحرام، وربما ينزع منه الإيمان بسبب ذلك، فانظر يا أخي واجتهد في إصلاح أمرك قبل أن يأتيك الموت، فإنك لا تدري متى يأتيك الموت؟(١) اللهم

قال الترمذي، هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، قال المناوي في الفيض: حسنه الترمذي واستصغر (هكذا؟) البغوي، ولم يبين الترمذي لم لا يصح؟ قال ابن القطان: وذلك لأن فيه الوليد بن القاسم الهمداني، ضعفه ابن معين مع كونه لم تثبت عدالته، فحديثه لأجل ذلك لا يصح، وقد عزاه المناوي إلى النسائي في عمل اليوم والليلة، والحاكم في المستدرك، وسيورده المؤلف رحمه الله بعد ذلك. ويمكن أن يشهد له حديث رفاعة الجهني رضي الله عنه الذي رواه أحمد برقم: ١٦٣١٥ في حديث طويل قال فيه: أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله صدقاً من قلبه، ثم يسدد، إلا سلك الجنة، قال محقق المسند: إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين، غير أن صحابيه لم يرو له سوى النسائي، وابن ماجه، وذكر مسلم أن عطاء بن يسار تفرد بالرواية عنه انتهى. قال المنذري ٢٣٨/٢: رواه أحمد بإسناد لا بأس به.

(١) انظر تنبيه الغافلين لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي بتحقيق عبد العزيز محمد الوكيل دار الشرق،

احفظنا منه.

و رويت في كتب الحديث قصة فيها عبرة، وهي:

"أن رسول الله ﷺ أتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه، قيل له: قل: لا إله إلا الله، فلم يستطع، فقال: كان يصلي؟ فقال: نعم! فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه، فدخل على الشاب، فقال له: قل: لا إله إلا الله فقال: لا أستطيع قال: لم؟ قال: كان يعق والدته، وفي رواية: قال: كهيئة القفل على قلبي إذا أردت أن أقولها عندك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أحية والدته؟ قالوا: نعم! قال: ادعوها فدعوها، فجاءت فقال: هذا ابنك؟ فقالت: نعم! قال لها: أرأيت لو أججت ناراً ضخمة فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه، وإلا حرقناه بهذه النار، ألست تشفعين له؟ قالت: يا رسول الله إذا أشفع قال: فأشهدي الله أنك قد رضيت عنه، فقالت: اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك، أني قد رضيت عن ابني، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا غلام قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار" (١).

(٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما قال عبد: لا إله إلا الله، إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش، ما اجتنب الكبائر.

رواه الترمذي، وقال: حديث غريب (٢) كذا في الترغيب، وهكذا في المشكاة؛ لكن ليس فيها حسن، بل غريب فقط.

قال القاري: رواه النسائي، وابن حبان، وعزاه السيوطي في الجامع إلى

١٤٠١هـ/١٩٨١م ج/٢ ص: ٤٤٩..

(١) أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد مسند أبيه برقم: ١٩٤١١ أوله ثم قال: فذكر الحديث بطوله، ثم قال: لم يحدث أبي بهذين الحديثين (هذا والذي قبله)، ضرب عليهما من كتابه، لأنه لم يرض حديث فائد بن عبد الرحمن، وكان عنده متروك الحديث انتهى.

وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٧٥٠٨ وقال في مجمع الزوائد ١٥١/٨: رواه الطبراني وأحمد باختصار كثير، وفيه فائد أبو الورقاء، وهو متروك.

وأخرجه العقيلي في الضعفاء ج/٣ ص: ٤٦١ في ترجمة فائد، ثم قال: ولا يتابعه إلا من هو نحوه كلهم من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وأورده أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين مطولاً من رواية أبان عن أنس من دون إسناد تعليقا واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم: ٣٥٩٠ وقد تقدّم الكلام عليه آنفاً.

الترمذي، ورقم له بالحسن، وحكاه السيوطي في الدر من طريق ابن مردويه عن أبي هريرة، وليس فيه: ما اجتنب الكبائر.

وفي الجامع الصغير برواية الطبراني عن معقل بن يسار: لكل شيء مفتاح، ومفتاح السموات: قول لا إله إلا الله، ورقم له بالضعف.

شرح الحديث:

ما أفضل هذه الكلمة! وما أكثرها قبولاً عندالله عزوجل وحظوة لديه! فإنها تصل إلى العرش مباشرة، وقد علم أن قولها مع إتيان الكبائر لا يخلو من الجدوى.

قال ملا علي القاري: الاجتناب عن الكبائر شرط للسرعة، لا لأجل الثواب، والقبول، أو هو شرط لأجل كمال الثواب، وأعلى مراتب القبول.(١)

وقال بعض العلماء: تفتح أبواب السماء لروحه إكراماً له، وتلقياً له.

وجاء في حديث: كلمتان إحداهما ليس لها نهاية دون العرش، والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض: لا إله إلا الله، والله أكبر (٢).

(٦) عن يعلى بن شداد قال: حدثني أبي شداد بن أوس، وعبادةبن الصامت حاضر يصدقه، قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب، قلنا: لا يا رسول الله! فأمر بغلق الأبواب، وقال: ارفعوا أيديكم، وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة.

ثم قال: الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، ووعدتني عليها الجنة، وأنت لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا، فإن الله قد غفر لكم.

(١) انظر المرقاة كتاب الدعوات، باب ثواب التسبيح والتهليل والتحميد، الفصل الثاني.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ج/٢٠، ص: ١٦٠ برقم: ٣٣٤ عن معاذ بن جبل والحديث بكامله هكذا: عن موسى بن جبير أن معاذ بن عبد الله بن رافع حدثه قال: كنت في مجلس فيه عبد الرحمن ابن عمر، وعبد الله بن جعفر، وعبد الرحمن بن أبي عمرة، فقال ابن أبي عمرة: سمعت معاذ بن جبل يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلمتان إحداهما ليس لها نهاية دون العرش، والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض: لا إله إلا الله، والله أكبر، فقال ابن عمر: أنت سمعته يقول ذلك؟ قال: نعم قال: فبكى عبد الله بن عمر حتى اختضبت لحيته بدموعه ثم قال: هما كلمتان نعلقهما ونألفهما.

وأورده الهيثمي في المجمع ٨٩/١٠ وفيه عبد الله بن عمر بدل عبد الرحمن بن عمر وهو الصحيح، قال: رواه الطبراني، ومعاذ بن عبد الله بن رافع لم أعرفه، وابن لهيعة حديثه حسن، وبقية رجاله ثقات انتهى.

رواه أحمد بإسناد حسن، والطبراني، وغيرهما، وكذا في الترغيب قلت: وأخرجه الحاكم، وقال: إسماعيل بن عياش أحد أئمة أهل الشام، وقد نسب إلى سوء الحفظ، وأنا على شرطي في أمثاله.

وقال الذهبي: راشد ضعفه الدارقطني وغيره، ووثقه دحيم، وفي مجمع الزوائد: رواه أحمد، والطبراني، والبزار (١) ورجاله موثقون (٢).

شرح الحديث:

لعل قوله: "هل فيكم غريب؟"، وكذا أمره بغلق الأبواب، إنما كان ذلك من جرّاء أنه كان يرجو البشارة لهم على قول لا إله إلا الله، وكان لا يرجو ذلك لأهل الكتاب، لأنهم لا يصدقون برسالة محمدﷺ.

واستدل به أصحاب التصوف على تلقين المشايخ المسترشدين الأذكارَ، فقد ذكر صاحب جامع الأصول أنه ثبت عن النبيﷺ التلقين لأصحابه بالذكر جماعات وفرادى، وأورد هذه الحديث كالدليل على تلقين الجماعة، وإن الأمر بغلق الباب عندهم لتركيز الاهتمام، والتوجه على الذكر، وكذلك سؤاله عن عدم وجود الغريب، فإنه كان يحتمل أن يؤدي إلى تشتت الفكر لأصحابه.

(٧) عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: جددوا إيمانكم قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا قول لا إله إلا الله.

رواه أحمد، والطبراني (٣) وإسناد أحمد حسن كذا في الترغيب (٤).

قلت: ورواه الحاكم في صحيحه وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي:

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ١٧١٢١ والطبراني في الكبير ج/٧ ص: ٢٨٩ برقم: ٧١٦٣ والبزار برقم: ١٠ والحاكم ج/١، ص: ٦٧٩ برقم: ١٨٤٤/١٤٤ وقوله موجود هنا، وقول الذهبي في التعليق عليه.

(٢) إنما قال ذلك الهيثمي في ج/١ ص: ٢٤ ولكنه، أورده مرة أخرى في ج/١٠ ص: ٨٤ باب: ما جاء في فضل لا إله إلا الله، فقال: رواه أحمد، وفيه راشد بن داود، وقد وثقه غير واحد، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات انتهى.

قلت: هو في المصادر الثلاثة من طريق راشد بن داود، فالحديث مع يسير ضعفه، يمشي في باب الفضائل، إن شاء الله.

(٣) رواه أحمد برقم: ٨٧١٠ والحاكم ج/٤ ص: ٢٨٥ برقم: ٥٧/٧٦٥٧ وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: صدقة ضعفوه، وأخرجه البزار كما في كشف الأستار ٣١٩/١ برقم: ٦٦٤ وأبو نعيم في الحلية ٣٥٧/٢ وابن عدي في الكامل ٧٧/٤ في ترجمة صدقة بن موسى.

(٤) الترغيب والترهيب ٢٣٩/٢

صدقة (الراوي) ضعفوه.

قلت: هو من رواة أبي داود، والترمذي، وأخرج له البخاري في الأدب المفرد، وقال في التقريب: صدوق له أوهام، وذكره السيوطي في الجامع الصغير برواية أحمد، والحاكم، ورقم له بالصحة.

وفي مجمع الزوائد: رواه أحمد، وإسناده جيد، وفي موضع آخر: رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد ثقات (١).

شرح الحديث:

قد ورد في حديث: "إن الإيمان يخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فسلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبهم" (٢).

ومعنى قوله: "إن الإيمان ليخلق": أنّ نور الإيمان وكماله يزولان بالمعاصي، كما ورد في حديث: "إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب، ونزع، واستغفر، صقل قلبه، وإن زاد، زادت، حتى يعلو قلبه الرانُ الذي ذكر الله عزوجل في القرآن: كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [المطففين: ١٤] (٣).

فإذا وصل إلى هذا الحد، فلا يؤثر في قلبه شيء، ولا يدخل فيه أمر، وجاء

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٥٧/١: رواه أحمد وإسناده جيد، وفيه سمير بن نهار وثقه ابن حبان انتهى، وجهله الدارقطني في سؤالات البرقاني ٢١٢ قاله شعيب، وقال الذهبي في الميزان٢٣٤/٢: نكرة انتهى وقال في مجمع الزوائد ٨٥/١٠: رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد ثقات.

(٢) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص في الكبير كما أورد الهيثمي في المجمع ٥٧/١ وقال: إسناده حسن، وأخرجه الحاكم ج/١ص: ٤٥ برقم: ٥/٥، وقال: هذا حديث صحيح لم يخرجاه في الصحيحين، رواته مصريون ثقات، وقد احتج مسلم في الصحيح بالحديث الذي رواه عن ابن أبي عمر عن المقري عن حيوة عن أبي هانئ: عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو عن النبيﷺ قال: إن الله تعالى ذكرُه كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض الحديث انتهى. ووافقه الذهبي.

وقال المناوي في الفيض٤٠٣/٢: قال العراقي في أماليه: حديث حسن من طريقته، وقال المناوي في شرحه: وصفه على طريق الاستعارة، شبه الإيمان بالشيء الذي لا يستمر على هيئة، والعبد يتكلم بكلمة الإيمان ثم يدنسها بسوء أفعاله، فإذا عاد واعتذر، فقد جدد ما أخلق، وطهر ما دنس، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبهم، حتى لا يكون لقلوبهم وجهة لغيره، ولا رغبة لسواه، ولهذا قال معاذ لبعض صحبه: اجلس بنا نؤمن ساعة، أي نذكره ذكرا يملأ قلوبنا، وكان الصديق يقول: كان كذا، لا إله إلا الله، فقلت كذا، لا إله إلا الله، فلا يتكلم بكلمة إلا ختمها به.

(٣) أخرجه الترمذي برقم: ٣٣٣٤ وابن ماجه برقم: ٤٢٤٤ وأحمد برقم: ٧٩٥٢ عن عبد الله بن عمرو وإسناده قوي على ما قاله محققو المسند.

في حديث: "أربع خصال تفسد القلب: مجاراة الأحمق، فإن جاريته كنت مثله، وإن سكتّ منه، سلمت منه، وكثرة الذنوب مفسدة القلوب، وقد قال: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، والخلوة بالنساء، والاستمتاع منهن والعمل برأيهن، ومجالسة الموتى قيل: وما الموتى؟ قال: كل غني قد أبطره غناه (١).

(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله، قبل أن يحال بينكم وبينها (٢).

رواه أبو يعلى بإسناد جيد قوي كذا في الترغيب. (٣)

وعزاه في الجامع إلى أبي يعلى، وابن عدي في الكامل، ورقم له بالضعف، وزاد: لقنوها موتاكم.

وفي مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير ضمام وهو ثقة (٤).

شرح الحديث:

يرشد رسول الله ﷺ في هذا الحديث إلى أن الموت يحول بين المرء وبين عمله، فأيام الحياة المعدودات هي ميدان عمل الإنسان، وهي زمان الزرع والغرس، والآخرة باقية، خالدة، ويحصد فيها الإنسان ما زرع في الدنيا.

(٩) عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه، فيموت على ذلك، إلا حرم على النار: لا إله إلا الله (٥).

رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، ورويناه بنحوه كذا في الترغيب (٦).

(١) أورده السيوطي في الدر معزواً إلى عبد بن حميد

(٢) أخرجه أبو يعلى برقم: ٦١٤٠ والخطيب في تاريخ بغداد ٣٨/٣ في ترجمة محمد بن عمر بن زكار أبي الحسن، وابن عدي ١٠٤/٤ في ترجمة ضمام بن إسماعيل.

(٣) الترغيب والترهيب ٢٣٩/٢.

(٤) مجمع الزوائد ٨٥/١٠ باب: ما جاء في فضل لا إله إلا الله من كتاب الأذكار: وفيه ضمام بن ثعلبة بن إسماعيل انتهى وضمام هذا قال فيه عبد الله بن أحمد قال لي أبي: اكتب عن سويد أحاديث ضمام (وهذا الحديث مما رواه سويد عن ضمام) ابن عدي ١٠٣/٤.

(٥) أخرجه الحاكم ج/١ص: ١٤٤برقم: ٢٤٢/٢٤٢ وقال: على شرطهما ولم يخرجاه من حديث عمر، وإنما أخرجا حديث عتبان وحديث عثمان في معناه. انتهى ملخصاً، ووافقه الذهبي.

(٦) الترغيب والترهيب ٢٣٩/٢ كتاب الذكر والدعاء باب الترغيب في قول لا إله إلى الله وفضلها.

شرح الحديث:

قد وردت بهذا المعنى أحاديث كثيرة، فإن كان قائلها آمن عند ذلك فلا إشكال فيه، لأن الإيمان يهدم ما كان قبله، وإن كان المراد أنه كان مؤمناً في حياته، ثم مات على قول لا إله إلا الله، فلا يستبعد في هذه الصورة كذلك أن تعم مغفرة الله عزوجل جميع معاصيه لطفاً منه، ورحمة، وفضلاً.

ونقل القاري عن بعض العلماء: أن مثل هذه الأحاديث إنما كانت بالنسبة إلى الفترة التي لم تنزل فيها الشرائع الأخرى.

وقال بعض العلماء: إن المراد قول لا إله إلا الله مع أداء حقها، كما تقدم، وإلى ذلك ذهب الحسن البصري رحمه الله وغيره، ويرى البخاري رحمه الله أن المراد: من قالها نادماً على معاصيه، ومقلعاً من ذنوبه، وهي حقيقة التوبة، ثم مات عليها.

وذهب القاري إلى أن المراد بالحرمة: حرمة التأبيد والخلود في النار.

وهذا أمر ظاهر طبيعي أن أي شيء إذا كان له تأثير ما، ثم تخلّف عنه ذلك لأي عارض أو مانع، فلا ينافيه ذلك، كما أن الطبيب إذا سقى المريض الدواء المسهل، ثم تخلف عنه أثره؛ من أجل أنه تناول عليه شيئاً قابضاً، فلا يقال: إن الدواء لا أثر له.

(١٠) عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله.

رواه أحمد، كذا في المشكاة، والجامع الصغير، ورقم له بالضعف، وفي مجمع الزوائد: رواه أحمد، ورجاله وثقوا، إلا أن شهراً لم يسمعه عن معاذ (١).

ورواه البزار كذا في الترغيب (٢) وزاد السيوطي في الدر ابن مردويه والبيهقي.

وذكره في المقاصد الحسنة برواية أحمد بلفظ: "مفتاح الجنة لا إله إلا الله"

واختلف في وجه حمل الشهادة وهي مفرد على المفاتيح وهي جمع على أقوال،

(١) مجمع الزوائد ٨٥/١٠، وقال في ٢١/١: رواه أحمد والبزار، وفيه انقطاع بين شهر وبين معاذ، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة، وهذا منها انتهى.

(٢) الترغيب والترهيب ٢٣١/٢: الترغيب في لا إله إلا الله.

أوجهها عندي: أنها لما كانت مفتاحاً لكل باب من أبوابه صارت كالمفاتيح (١)

شرح الحديث:

وإنما قال: "مفاتيح الجنة" بصيغة الجمع؛ لأن أبواب الجنان كلها إنما تفتح بهذه الكلمة، فصارت بمنزلة المفاتيح، أو يوجه بأنها ذات شطرين: شطر التوحيد وشطر الرسالة، والتثنية قد تعامل معاملة الجمع.

(١١) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من عبد قال: لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار، إلا طمست ما في الصحيفة من السيآت، حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات (٢).

رواه أبو يعلى كذا في الترغيب (٣)، وفي مجمع الزوائد: فيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري وهو متروك (٤) انتهى.

شرح الحديث:

قد سلف التفصيل في شأن تبديل السيئات إلى حسنات، ومما يجدر بالذكر في هذا الحديث أن السيآت تمحى في الصحيفة، ومعلوم أن الإخلاص شرط لازم، ثم لهذه الكلمة الطيبة تأثير خاص في إيجاد الإخلاص أيضاً، وهي تسمى: كلمة الإخلاص.

(١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن لله تبارك وتعالى عموداً من نور بين يدي العرش، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، اهتز ذلك العمود، فيقول الله تبارك وتعالى: اسكن، فيقول: كيف أسكن ولم يغفر لقائلها؟ فيقول: إني قد غفرت له، فيسكن عند ذلك (٥) رواه البزار وهو غريب كذا في الترغيب(٦).

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ٢٢١٠٢ وفيه شهر، وهو ضعيف، ولم يدرك معاذاً، وفيه إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عبد الرحمن وهو مكي، ورواية إسماعيل إنما تقبل عن أهل الشام، ملخص من تعليق المحققين، وأخرجه البزار برقم: ٢، ج/١، ص: ٩ من كشف الأستار قال البزار: شهر لم يسمع عن معاذ حديثاً، وهو في مسند البزار "البحر الزخار" برقم: ٢٦٦٠.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم: ٣٦١١ ج/٣، ص: ١٨٩ (الزهري عن أنس).

(٣) الترغيب والترهيب ٢٣٩/٢ صدره بقوله: وروي عن أنس، وأغفل الكلام عليه في آخره، وهذا علامة الحديث المتروك والضعيف عنده كما بينه.

(٤) مجمع الزوائد ٨٥/١٠ باب: ما جاء في فضل لا إله إلا الله، كتاب الأذكار.

(٥) أخرجه البزار برقم: ٣٠٦٦ من كشف الأستار ٦/٤ باب فضل لا إله إلا الله، كتاب الأذكار.

(٦) الترغيب والترهيب ٢٤٠/٢.

وفي مجمع الزوائد: فيه عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو وهو ضعيف جداً (١).

قلت: وبسط السيوطي في اللآلئ على طرقه وذكر له شواهد (٢).

---

(١) مجمع الزوائد ٨٥/١٠

(٢) وأنا أنقل لك كل كلامه، قال:

قلت: له طريق آخر عن ابن عباس، قال الخطيب البغدادي في تاريخه: أخبرني الحسن بن أبي طالب، حدثنا يوسف بن عمر القواس قال: قرأت على أبي يحيى أحمد بن محمد بن صالح ابن عبد الله السمرقندي، قلت له: أخبركم محمد بن عقيل حدثنا معاذ يعني: ابن عيسى حدثنا محمد بن عبد الملك التميمي عن الحسن بن مسلم بن عطاء، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾.

قال: إن لله عموداً أحمر رأسه ملوي على قائمة من قوائم العرش، وأسفله تحت الأرض السابعة، على ظهر الحوت، فإذا قال العبد: لا إلا الله، تحرك الحوت، فإذا تحرك الحوت، تحرك العمود، تحرك العرش، فيقول الله للعرش: اسكن فيقول: لا وعزتك لا أسكن حتى تغفر لقائلها ما أصاب قبلها من ذنب، فيغفر الله تعالى له، وأخرج زاهر بن طاهر الشحامي في الإلهيات من طريق علي بن مهروية القزويني عن داود بن سليمان بن يوسف القزويني ومن طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه كلاهما عن علي بن موسى الرضا عن آبائه مرفوعاً: إن الله خلق عموداً من ياقوت أحمر، رأسه تحت العرش، وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السابعة السفلى، إذا قال العبد: لا إله إلا الله من نية صادقة، اهتز العرش، وتحرك العمود، وتحرك الحوت، فيقول الله: اسكن يا عرش، فيقول: كيف أسكن وأنت لم تغفر لقائلها فيقول الله: اشهدوا سكان سمواتي أني قد غفرت له.

وقال الديلمي: أنبأنا والدي أنبأ أبو طالب بن هشيم حدثنا عبد الله بن أحمد بن محقين المقرئ حدثنا أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عامر التاربدي حدثنا أبي حدثنا خالد بن حيان الرقي حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا علي بن عاصم عن حميد عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قال العبد: لا إله إلا الله خرقت السموات، حتى تقف بين يدي الله، فيقول الله: اسكني، فتقول: كيف أسكن ولم تغفر لقائلها؟ فيقول: ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له.

وقال الختلي في الديباج: حدثني محمد بن الصباح بن عبد السلام أبو بكر حدثنا داود بن سليمان عن حجر عن هشام عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من شيء إلا وبينه وبين الله حجاب، إلا قول لا إله الا الله، كما أن شفتيه لا يحجبها، كذلك لا يحجبها شيء، حتى ينتهي إلى الله عزوجل، فيقول الله: اسكني فيقول: كيف أسكن ولم تغفر للقائلي؟ فيقول الله: وعزتي وجلالي ما أجريتك على لسان عبدي وأنا أريد أن أعذبه، والله أعلم انتهى كلامه بطوله.

قال عبد الرشيد: أما حديث ابن عباس فهو موقوف عليه أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ج/٥ ص: ٣٨ في ترجمة أحمد بن محمد بن صالح السمرقندي أبي يحيى، وفي إسناده نهشل وهو ابن سعيد بن وردان أبو عبد الله، قال يحيى: نهشل ليس بشيء، وقال إسحاق: كان كذاباً، وقال النسائي: متروك الحديث (ابن عدي ٥٧/٧) وقال يحيى والدارقطني: ضعيف (ميزان الاعتدال ٢٧٥/٤)

وأما حديث علي بن موسى الرضا عن آبائه مرفوعاً، فقد قال الذهبي في الميزان ١٥٨/٣ في ترجمة علي بن موسى الرضا: قال ابن طاهر: يأتي عن أبيه بعجائب قلت: -القائل الذهبي-: إنما الشأن في ثبوت السند إليه، وإلا فالرجل قد كذب عليه، ووضع عليه نسخة، سائرها الكذب، فروى

شرح الحديث:

إن المحدثين رحمهم الله قد تكلموا في هذا الحديث، لكن السيوطي رحمه الله قدساق له طرقاً مختلفة بألفاظ مختلفة، وقد ورد: ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له (١).

فانظر ما أعظم رحمة الله عزوجل ولطفه وكرمه! إذ وفقه ليقول هذه الكلمة، ثم زاد النعمة عليه، وأتمها بمغفرته.

قال عطاء: دخلت سوقاً من الأسواق فإذا أنا بجارية ينادى عليها، فاشتريتها بسبعة دنانير على أنها مجنونة، وجئت بها إلى منزلي، لما كان الليل وقد مضى بعضه، رأيتها قد توضأت، واستقبلت القبلة تصلي، فسمعتها تختنق بالدموع، وتقول: إلهي بحبك لي إلا ما رحمتني، فتحققت جنونها، وقلت: يا جارية! لا تقولي هكذا، ولكن قولي: بحبي لك، فقالت: إليك عني يا بطال! فوحق وجهه لو لم يحبني ما أنامك وأقامني، ثم سقطت على وجهها وجعلت تقول:

الكرب مجتمع والقلب محترق والصبر مفترق والدمع مستبق

كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق

عنه أبو الصلت الهروي أحد المتهمين، ولعلي بن مهدي القاضي عنه نسخة، ولأبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي عنه نسخة كبيرة، ولداود بن سليمان القزويني عنه نسخة. انتهى وإسناد هذا الحديث فيه داود بن سليمان القزويني، وعبد الله بن أحمد بن عامر بن سليمان الطائي عن أبيه، فلا يعتمد عليه.

وأما حديث أنس عند الديلمي وحديث ابن عباس عند الختلي، فقد قال ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة ٣١٩/٢ كتاب الذكر والدعاء: كأن السيوطي ذكر هذين الخبرين للاستشهاد بهما، وفي سنديهما من لم أعرفه، والله تعالى أعلم انتهى.

قلت: وفات السيوطي طريق آخر قد أخرجه به ابن الجوزي في الموضوعات ١٦٦/٣ كتاب الذكر، باب ثواب التهليل من طريق عمر بن الصبح البلخي عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن لله عموداً من نور أسفله في الأرض السابعة، ورأسه تحت العرش، فإذا قال العبد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، اهتز له العمود، فيقول الله: اسكن فيقول: يا رب كيف اسكن ولم تغفر لقائلها؟ فيقول: اسكن فيقول: يا رب كيف أسكن وأنت لم تغفر لقائلها؟ فيقول الله: اسكن فإني قد غفرت لقائلها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أكثروا من هزّ ذلك العمود.

وقال: قال الدارقطني: تفرد به عمر بن الصبح، قال ابن حبان: عمر يضع الحديث على الثقات انتهى وعلى كل حال فالحديث غير ثابت ويغني عنه الأحاديث الصحيحة الثابتة.

(١) انظر في التعليقة السابقة.

يا رب إن كان شيء فيه لي فرج، فامنن علي به مادام بي.

ثم نادت بأعلى صوتها: إلهي! كانت المعاملة بيني وبينك سراً، والآن قد علم المخلوقون، فاقبضني إليك، ثم شهقت شهقة ففارقت الدنيا، رحمة الله تعالى عليها (١).

(١٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا منشرهم، كأني أنظر إلي أهل لا إله إلا الله، وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم، ويقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [سورة الفاطر: ٣٤] (٢).

---

(١) انظر روض الرياحين، الحكاية الخامسة والثلاثون.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٩٤٧٨ والبيهقي في الشعب برقم: ٩٩ وابن عدي في الكامل في ترجمة عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ج/٤ ص: ٢٧١، والخطيب البغدادي ج/١ ص: ٢٦٦ في ترجمة محمد بن أحمد الموصلي كلهم من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر.

ويحيى بن عبد الحميد الحماني هذا هو الكوفي، قال عنه الذهبي في الميزان ٣٩٢/٤: وثقه يحيى ابن معين وغيره، وأما أحمد فقال: كان يكذب جهاراً، وقال النسائي: ضعيف، وقال محمد بن عبد الله ابن نمير: ابن الحماني كذاب وقال مرة: ثقة.

وقال ابن عدي في الكامل ٣٣٧/٧: كان أحمد وعلي يتكلمان فيه، وقال ابن معين: الحماني صدوق مشهور، وما بالكوفة مثله، ما يقال فيه إلا من حسد، وقال أيضاً: يحسدونه والذي لا إله إلا هو! هو ثقة، وختم ابن عدي ترجمته قائلاً: تكلم فيه أحمد كما ذكرت، وعلي بن المديني، ويحيى ابن معين حسنا الثناء عليه وعلى أبيه، وذكر أن الذي تكلم فيه تكلم من حسد، ولم أر في مسنده وأحاديثه أحاديث مناكير فأذكرها، وأرجو أنه لا بأس به انتهى، وعلق على ذلك الذهبي في الميزان: إلا أنه شيعي بغيض، قال زياد بن أيوب: سمعت يحيى الحماني يقول: كان معاوية على غير ملة الإسلام، قال زياد: كذب عدو الله، انتهى من الميزان ٣٩٢/٤.

وأما عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فقال في الميزان ٥٦٤/٢:.

قال يحيى: ضعيف، وقال البخاري: عبد الرحمن ضعفه علي جداً، وقال النسائي: ضعيف، وقال الشافعي: ذكر لمالك حديث فقال: من حدثك فذكر له إسناداً منقطعاً فقال: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يحدثك عن أبيه عن نوح عليه السلام، ثم أورد له الذهبي هذا الحديث الذي نحن بصدده.

وزاد في الكامل على ذلك ٢٧٠/٤: قال عبد الله بن أحمد: كان أبي يضعف عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، وختم ابن عدي ترجمته بقوله: له أحاديث حسان هو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم، وهو ممن يكتب حديثه. لكنه قال عن حديث ابن عمر هذا وغيره من الأحاديث التي ساقها: وهذه الأحاديث التي ذكرتها يرويها عبد الرحمن بن زيد بن أسلم غير محفوظة، وبعضها يرويه غير عبد الرحمن بن زيد مرسلا انتهى.

قلت: تابع الحماني أبو مسلم عبد الرحمن بن واقد الواقدي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه أخرجه الخطيب ج ١٠/ ص، ٢٦٥ في ترجمة عبد الرحمن بن واقد، وعبد الرحمن بن واقد هذا قد اتهمه ابن عدي بسرقة الحديث

وفي رواية : ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا عندالقبر. رواه الطبراني ، والبيهقي ، كلاهما من رواية يحيى بن عبد الحميد الحماني ، وفي متنه نكارة كذا في الترغيب (١) .

وذكره في الجامع الصغير برواية الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ورقم له بالضعف.

وفي أسنى المطالب : رواه الطبراني وأبو يعلى بسند ضعيف.

انظر الكامل ٣١٨/٤.وقال في التقريب: صدوق يغلط، واتهمه ابن عدي بسرقة الحديث.

وللحديث طريق آخر أخرجه به ابن عدي ٦٥/٢ عن طريق بهلول بن عبد الله الكندي قال سمعت سلمة بن كهيل عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه، قال ابن عدي بعد إخراج أحاديثه: ولبهلول هذا غير ما ذكرت من الحديث قليل، وأحاديثه عمن روى عنه فيه نظر، وحديثه عن أبي إسحاق أنكر منه عن غيره، وإنما ذكرته لأبين أن أحاديثه ليس مما يتابعه الثقات عليها، إذ لم أر لمن تكلم في الرجال فيه كلاما انتهى.وقال ابن حبان في المجروحين ١٩٣/١ طبعة المطبعة العزيزية حيدرآباد ١٣٩٠/١٩٧٠م اعتنى به الحافظ عزيز بيك القادري النقشبندي قال: شيخ يسرق الحديث، لا يجوز الاحتجاج به بحال، روى عن سلمة بن كهيل عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا عند القبر، ثم قال: وهذا حديث لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر، وعبد الرحمن ليس بشيء في الحديث انتهى.

قلت: وله طريق ثالث عند الطبراني في الأوسط برقم: ٩٤٤٥ فقد رواه من طريق مجاشع بن عمرو عن داود بن أبي هند عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً نحوه.

ومجاشع بن عمرو هذا قال عنه الذهبي في الميزان ٤٣٦/٣. قال ابن معين: قد رأيته أحد الكذابين وقال العقيلي: حديثه منكر، قال البخاري: مجاشع بن عمرو أبو يوسف منكر مجهول، وقال: مجاشع هو راوي كتاب الأهوال والقيامة، وهو جزآن، كله خبر واحد موضوع رواه عن ميسرة ابن عبد ربه عن عبد الكريم الجزري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وعنه علي بن قدامة المؤذن شيخ لإسحاق بن سنين، وهو من الطبرزديات انتهى.

وله طريق رابع عند الخطيب في تاريخه ٣٠٥/٥ في ترجمة محمد بن سعيد الطائفي عن محمد ابن سعيد الطائفي قال: حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه، قال ابن حبان في المجروحين ٢٦٤/٢ عن الطائفي: شيخ يروي عن ابن جريج، يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يحل الاحتجاج به بحال، ثم ساق له هذا الحديث، ثم قال: وهذا خبر باطل، إنما يعرف هذا من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر فقط انتهى.وقد نقل الذهبي في الميزان ٥٦٤/٣ كلام ابن حبان هذا كله.

قلت: وله طريق خامس عند الطبراني كما قال ابن كثير في تفسير آية فاطر هذه: قال الطبراني حدثنا جعفر بن محمد الفريابي حدثنا موسى بن يحيى المروزي حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت، ولا في القبور، ولا في النشور، وكأني أنظر إليهم عند الصيحة، ينفضون رؤوسهم من التراب، يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن اهـ. ولا أدري حال إسناده.

(١) انظر الترغيب والترهيب ج٢/ ص: ٢٤٠ باب الترغيب في قول لا إله إلا الله .

وفي مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفي رواية : ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ، ولا عند القبر. في الأولى يحيى الحماني ، وفي الأخرى مجاشع بن عمرو ، وكلاهما ضعيف (١).

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة : رواه أبو يعلى والبيهقي في الشعب والطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر.

قلت : وما حكم عليه المنذري بالنكارة مبناه أنه حمل أهل لا إله إلا الله على الظاهر على كل مسلم ، ومعلوم أن بعض المسلمين يعذبون في القبر والحشر ، فيكون الحديث مخالفاً للمعروف ، فيكون منكراً ، لكنه إن أريد به المخصوص بهذه الصفة ، فيكون موافقاً للنصوص الكثيرة من القرآن والحديث :

﴿فالسابقون السابقون أولئك المقربون﴾[سورة الواقعة : ١٠] ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[سورة الفاطر : ٣٢] وسبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، وغير ذلك من الآيات ، والروايات ، فالحديث موافق لها لا مخالف فيكون معروفاً لا منكراً .



وذكر السيوطي في الجامع الصغير برواية ابن مردويه والبيهقي في البعث عن عمر بلفظ : سابقنا ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له ، ورقم له بالحسن.

قلت : ويؤيده حديث : "سبق المفردون ،المستهترون في ذكر الله ، يضع الذكر عنهم أثقالهم ، فيأتون يوم القيامة خفافاً. رواه الترمذي ، والحاكم ، عن أبي هريرة ، والطبراني عن أبي الدرداء ، كذا في الجامع ورقم له بالصحة.

وفي الإتحاف : عن أبي الدرداء موقوفاً : الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون ، (٢) وفي الجامع الصغير برواية الحاكم ورقم له بالصحة : والسابق والمقتصد يدخلان الجنة بغير حساب ، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة (٣).

(١٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن رسول الله

---

(١) مجمع الزوائد ٨٦/١٠ باب: ما جاء في فضل لا إله إلا الله وقال في ٣٣٦/١٠ باب: كيف يحشر الناس: رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم انتهى.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير تفسير سورة الملائكة ٤٦٢/٢.

صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله تعالى: بلى! إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم اليوم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع الله شيء.

رواه الترمذي وقال: حسن غريب، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، كذا في الترغيب، قلت: كذا قال الحاكم في كتاب الإيمان، وأخرجه أيضاً في كتاب الدعوات، وقال: صحيح الإسناد، وأقره في الموضعين الذهبي، وفي المشكاة: أخرجه برواية الترمذي، وابن ماجه، وزاد السيوطي في الدر فيمن عزاه إليهم أحمد و ابن مردويه والبيهقي في البعث (١).

وفيه اختلاف في بعض الألفاظ، كقوله في أول الحديث: يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق (٢) وفيه أيضاً فيقول: أفلك عذر أوحسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا يا رب! فيقول: بلى! إن لك عندنا حسنة الحديث (٣) وعلم منه أن الاستدراك في الحديث على محله، ولا حاجة إلى ما أوله القاري في المرقاة، وذكر السيوطي ما يؤيد الرواية من الروايات الأخر.

---

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان باب: ما جاء فيمن يموت، ويشهد أن لا إله إلا الله برقم: ٢٦٣٩ وابن ماجه في الزهد باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة برقم: ٤٣٠٠. وابن حبان برقم: ٢٢٥ والبيهقي في الشعب برقم: ٢٧٩ والحاكم في الإيمان ج/١ ص: ٤٦، رقم ٩/٩ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وفي كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر ج/١ ص: ٧١٠ برقم: ١٣٧/١٩٣٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأحمد برقم: ٦٩٩٤

(٢) بهذا اللفظ رواه البيهقي في الشعب برقم: ٢٧٩.

(٣) عند أحمد بلفظ: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب! فيقول: بلى! إن لك عندنا حسنة واحدة.

شرح الحديث:

هذا من ثمار الإخلاص، فقد ثقلت الكلمة الطيبة التي صدرت من الإخلاص مع هذه السجلات كلها، ومن ثم فلا ينبغي أن يحقر الرجل أحداً من المسلمين، ويرى نفسه أفضل منه وأكرم، فإنه لا يدري أي عمل من أعماله يحبه الله تعالى، ويتقبله بقبول حسن، ويكون نجاة له؟ ولا يدري حال نفسه، وما مكانته عند الله عزوجل؟

وقد جاء في الحديث: "أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان! فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك، أو كما قال (١).

فلا شك أن هذه الأليّة التي تألى بها الرجل على الله، كانت شديدة نكراء، فإن الله عزوجل يقول في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨]، فلا يحق لأحد مهما كان، أن يتألى على الله أن لا يغفر لفلان، بعد هذا الإعلان الصريح.

ولكن ذلك لا يعني: الإقرارَ على المعاصي، والمنكرات، وأن لا يُنكر عليها، فإن النصوص الشرعية الكثيرة واضحة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد ورد الوعيد على عدم الأخذ على يد الظالم، فقد جاء في الحديث: "ما من رجل يكون في قوم، يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه، ولا يغيرون، إلا أصابهم الله قبل أن يموتوا (٢).

وقد فصلت ذلك في رسالة الدعوة إلى الله، من شاء فليراجعه.

ومما يجدر بالذكر أنه كما يجب الحذر من أن يحتقر أهلُ الديانة والصلاح، أهلَ المعاصي، ويجزموا بكونهم من أهل النار، كذلك ينبغي التحذير من أن يَعتقد الجهلاء في كل من هب ودبّ الإمامة في الدين، والقداسة، وإن كان يتفوّه بالكفر،

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة برقم: ٢٦٢١

(٢) أخرجه أبو داود في الملاحم باب الأمر والنهي برقم: ٤٣٣٩ وابن ماجه في الفتن عن جندب رضي الله عنه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم: ٤٠٠٩ وأخرجه ابن حبان برقم: ٣٠٠ عن جرير ابن عبد الله، وزاد ابن ماجه: هم أعز منهم، وأمنع. وأخرج ابن حبان برقم: ٣٠٤ عن أبي بكر في حديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه أو قال: المنكر فلم يغيروه، عمهم الله بعقابه.

وقد قال رسول الله ﷺ: "من وقر صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام (١)

وجاء في الحديث: " يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم"(٢).

(١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لوجيء بالسموات، والأرض، ومن فيهن، وما بينهن، وما تحتهن، فوضعن في كفة الميزان، ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى، لرجحت بهن.

أخرجه الطبراني، كذا في الدر، وهكذا في مجمع الزوائد، وزاد في أوله: لقّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فمن قالها عند موته، وجبت له الجنة، قالوا: يا رسول الله! فمن قالها في صحته؟ قال: تلك أوجب وأوجب، ثم قال: والذي نفسي بيده، الحديث قال: رواه الطبراني، ورجاله ثقات، إلا أن ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس (٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٦٧٧٢ وابن عدي في الكامل ٣٢٤/٢ في ترجمة الحسن بن يحيى الخشني، وابن عساكر ٤/١٦ أيضاً في ترجمته، كلهم من طريق الحسن بن يحيى عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة، وأخرجه ابن عدي ٦٥/٢ في ترجمة بهلول بن عبد الله الكندي عن ابن عباس، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٩٠١٨ عن إبراهيم بن ميسرة مرسلاً.

وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٠٠/٨ في ترجمة عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه: من أعرض عن صاحب بدعة بوجهه بغضاً له في الله، ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً، ومن نهى عن صاحب بدعة أمنه الله يوم القيامة الفزع الأكبر، ومن سلم على صاحب بدعة، ولقيه بالبشرى، واستقبله بالبشرى، فقد استخف بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وزاد من طريق: ومن أهان صاحب بدعة، رفعه الله في الجنة درجة، ثم قال أبو نعيم: غريب من حديث عبد العزيز، ولم يتابع عليه من حديث نافع.

وله طرق أخرى، فقد أورده ابن عراق في تنزيه الشريعة ٣١٤/١-٣١٥ وذكر له شاهداً من حديث معاذ ابن جبل معزواً إلى الحسن بن سفيان في مسنده من طريق بقية، وشاهداً من حديث أبي سعيد الخدري، بلفظ: من وقر قدرياً، فقد أعان على هدم الإسلام، معزواً إلى الهروي في ذم الكلام، ويبدو أنه مال إلى تقوية أمره، تبعاً للسيوطي في اللآلي، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢١٨/٥ في ترجمة خالد ابن معدان عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه، لكن قال المناوي في فيض القدير برقم: ٩٠٨٣ ج/٦ ص: ٢٩٢ قال الحافظ العراقي: وأسانيده كلها ضعيفة بل قال ابن الجوزي: إنها كلها موضوعة انتهى كلام المناوي. وقال العراقي في تخريج الإحياء ١٦٩/٢، أخرجه أبو نعيم في الحلية، والهروي في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه عن أبي هريرة برقم: ٧.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ج/١٢ ص: ٢٥٤ برقم: ١٣٠٢٤ وزيادة: لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، إلى قوله: تلك أوجب وأوجب، موجودة فيه، وانظر قول الهيثمي في المجمع ج/٢ ص: ٣٢٦

شرح الحديث:

قد جاءت بهذا المعنى أحاديث كثيرة، وما من شك في أنه لا يساوي شيء اسم الله عزوجل، وخاب وخسر من استخف، واستهان به، ثم إن هذا الاسم المبارك، كلما نبع عن الإخلاص، كان أعلى، وأغلى، وأثقل، وينبغي للمرء أن يطلب الإخلاص، ويجتهد فيه، ويلتزم لذلك أهل الإخلاص والربانيين، ويخدمهم.

(١٦) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاء النحام بن زيد، وقرد بن كعب، وبحري بن عمرو، فقالوا: يا محمد! ما تعلم مع الله إلهاً غيره؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله، بذلك بعثت، وإلى ذلك أدعو، فأنزل الله تعالى في قولهم: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ الآية.

أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، كذا في الدر المنثور (١).

شرح الحديث:

إن كل نبي إنما أرسل بهذه الكلمة، وإليها دعا قومه، وذلك منذ آدم إلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى الرسل جميعاً، فما أعظم أمرها وأجل قدرها! حيث ينوه الأنبيا، والرسل كلهم بشأنها، ويرفعون منارها.

وفي هذه الكلمة نزلت الآية: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً، قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقد جاء في الحديث: "إذا قال العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، قال الله: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، وأنا وحدي، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، وحدي، لا شريك لي الحديث إلى آخره، وفي آخره: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا

في الجنائز باب: تلقين الميت لا إله إلا الله.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس في تفسيره تحت هذه الآية ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾. وقال قبل ذكره: وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود بأعيانهم من وجه لم تثبت صحته.

بي، من رزقهن عند موته لم تمسه النار (١).

(١٧) عن ليث قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: أمة محمد صلى الله عليه وسلم أثقل الناس في الميزان، ذلت ألسنتهم بكلمة ثقلت على من كان قبلهم: لا إله إلا الله.

أخرجه الأصفهاني في الترغيب كذا في الدر (٢).

شرح الحديث:

إن هذا أمر واضح ملموس، أن هذه الأمة أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد لهجت بقول: لا إله إلا الله، بما لا يوجد له مثيل في أمة أخرى، إن المشايخ الربانيين يبلغ عددهم الملايين، ولكل منهم مئات من المسترشدين، والأصحاب، وهؤلاء كلهم تترطب ألسنتهم بقول: لا إله إلا الله.

وقال في جامع الأصول: أقل مقدار لورد "الله" خمسة آلاف مرة، ولا حدّ لأكثره، وأما الصوفية فأقل المقدار لهم خمسة وعشرون ألف مرة، وأقل ورد "لا إله إلا الله" بالنسبة لهم خمسة آلاف مرة، انتهى قوله، وهذه المقادير تنقص وتزداد حسب اجتهاد المشايخ، وإنما كان قصدي من ذكر ذلك تأييد قول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، بالواقع الذي عليه صلحاء أمة محمد ﷺ.

وذكر الشيخ ولي الله الدهلوي رحمه الله عن والده: أنه كان يأتي بـ"لا إله إلا الله" مأتي مرة في نَفَس واحد.

وعن الشيخ أبي يزيد القرطبي، قال: سمعت في بعض الآثار أن من قال: لا إله إلا الله سبعين ألف مرة، كانت فداءه من النار، فعملت ذلك على رجاء بركة الوعد، فعملت منها لأهلي، وعملت منها أعمالاً ادخرتها لنفسي.

---

(١) هو من رواية أبي سعيد وأبي هريرة معا مرفوعاً. أخرجه الترمذي في الدعوات برقم: ٣٤٣٠ وقال: حسن غريب وقال: رواه شعبة عن أبي إسحاق عن الأغر عن أبي سعيد وأبي هريرة ولم يرفعه، وأخرجه ابن ماجه برقم: ٣٧٩٤ في الأدب، وابن حبان في صحيحه برقم: ٨٥١ وأبو يعلى برقم: ١٢٥٨ وأفاد الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه، أن وقفه لا يضر: فإنه لا مجال فيه للرأي، وقوّى أمره.

(٢) أخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب ج/٢ ص: ١٠١٤ برقم: ٢٤٩٣ ولفظه: ذكر عيسى بن مريم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال: أقل الناس أحلاما، وأثقلهم في الميزان، أما خفة أحلامهم، فإنهم يلعنون البهائم، وأما ثقل ميزانهم فذلة ألسنتهم بكلمة ثقلت على من كان فيهم (هكذا): لا إله إلا الله، وهو أثر مقطوع.

وكان إذا ذاك في بيت معنا شاب، يقال: إنه يكاشف في بعض الأوقات بالجنة والنار، وكان الجماعة ترى له فضلاً على صغر سنه، وكان في قلبي منه شيء، فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان إلى منزله.

فبينما نحن نتناول الطعام والشراب، وهو معنا، إذ صاح صيحة منكرة، واجتمع في نفسه، وهو يقول: يا عم! هذه أمي في النار، وهو يصيح بصياح عظيم، لا يشك من سمعه أنه عن أمر، فلما رأيت ما به من الانزعاج، قلت في نفسي: اليوم أجرّب صدقه، فألهمني الله تعالى السبعين ألفاً، ولم يطلع على ذلك أحد، إلا الله تعالى، فقلت في نفسي: الأثر حق، والذين رووه لنا صادقون، اللهم إن السبعين الألف فداء هذه المرأة أُمّ هذا الشاب من النار، فما استتممت الخاطر في نفسي، حتى قال لي: يا عم! ها هي أخرجت، الحمد لله رب العالمين، فحصلت لي الفائدتان: إيماني بصدق الأثر، وسلامتي من الشاب، وعلمي بصدقه (١).

هذه إحدى الحكايات الكثيرة التي توجد في هذه الأمة، وإن هناك اصطلاحاً عند الصوفية، وهو حفظ الأنفاس، وهو يعني: أن لا يُدخل ولا يُخرج نفَساً واحداً بدون ذكر "الله" عزوجل، وكثير من أبناء هذه الأمة قد واظبوا على ذلك، وتمرنوا عليه، فهل يبقى الآن شك في صحة قول نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام: إن هذه الأمة قد ذلت ألسنتهم بكلمة: "لا إله إلا الله"؟.

(١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مكتوب على باب الجنة: إنني أنا الله، لا إله إلا أنا، لا أعذب من قالها.

أخرجه أبو الشيخ كذا في الدر (٢).

شرح الحديث:

لا إشكال في هذا الحديث، لو أريد به عذاب الخلود، وإن غفر الله تعالى

---

(١) انظر روض الرياحين ص: ٢١٩ الحكاية ٣٤٨.

(٢) وأورده صاحب كنز العمال بلفظ: مكتوب على العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا أعذب من قالها من حديث ابن عباس، وعزاه إلى إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في الأربعين.

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: مكتوب على باب الجنة: لا إله إلا أنا، لا أعذب من قالها، أورده في الفردوس بمأثور الخطاب برقم: ٦٣٧٩ وذكر المحقق إسناده من زهر الفردوس هكذا، أخبرنا طاهر القومساني، أخبرتنا ميمونة، أخبرنا الخيارجي، أخبرنا أبو الفضل الشيباني، حدثنا زكريا بن يحيى التيمي، حدثنا مسعر عن عطفه (هكذا) عن أبي سعيد مرفوعاً.

لبعض عباده جميع ما ارتكبوا، بفضل قولهم: لا إله إلا الله، مخلصين من قلوبهم، فما هو ببعيد من رحمة الله عزوجل.

(١٩) عن علي رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرئيل عليه السلام، قال: قال الله عزوجل: إني أنا الله، لا إله إلا أنا، فاعبدني، من جاءني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص، دخل في حصني، ومن دخل في حصني، أمن عذابي.

أخرجه أبو نعيم في الحلية، كذا في الدر، وابن عساكر، كذا في الجامع الصغير، وفيه أيضاً برواية الشيرازي عن علي، ورقم له بالصحة (١).

وفي الباب عن عتبان بن مالك بلفظ: إن الله قد حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله، رواه الشيخان (٢).

وعن ابن عمر بلفظ: إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذي يتمرد على الله، أبى أن يقول: لا إله إلا الله. رواه ابن ماجه (٣).

شرح الحديث:

إن قُيّد ذلك بشرط اجتناب الكبائر، كما قد تقدم في الحديث برقم: ٥ فلا إشكال فيه، ولو قالها أحد مع الكبائر، فالمراد بالعذاب هو: الخلود فيه، بيدَ أن رحمة الله عزوجل واسعة، لا تتحجر، ولا تتقيد بالضوابط، والشرائط، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١١٦].

وجاء في حديث: "لا إله إلا الله، تمنع العباد من سخط الله، ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم، ثم قالوا: لا إله إلا الله، ردت عليهم، وقال الله: كذبتم" (٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٩٢/٣ في ترجمة جعفر بن محمد الصادق ثم قال: هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين وكان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق، قال الأنصاري: وقال لي أحمد بن رزين: سألت الرضا عن الإخلاص فقال: طاعة الله عزوجل انتهى، لكن قال في جامع الأحاديث القدسية: ضعيف جداً، في إسناده أحمد بن علي الأنصاري، واه، قال الحاكم: طير طرى علينا، يوهنه الحاكم بهذا القول، وأخرجه ابن عساكر ج/٧ ص: ٨١ في ترجمة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الصباغ.

(٢) أخرجه البخاري برقم: ٤٢٥ في الصلاة باب المساجد في البيوت ومسلم برقم: ٣٣- ٣ كتاب الإيمان باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الزهد باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة برقم: ٤٢٩٧.

(٤) عزاه الهندي في كنز العمال ٦٢/١ برقم: ٢٢١ إلى الحكيم الترمذي عن أنس. وأخرجه البيهقي في

(٢٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الاستغفار، ثم قرأ: فاعلم أنه لا إله إلا الله، واستغفر لذنبك الآية.

أخرجه الطبراني، وابن مردويه، والديلمي، كذا في الدر (١).

وفي الجامع الصغير برواية الطبراني: ما من الذكر أفضل من لا إله إلا الله، ولا من الدعاء أفضل من الاستغفار، ورقم له بالحسن (٢).

شرح الحديث:

قد تقدم في الحديث الأول من هذا الفصل أن أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وعلل المشايخ ذلك بأن هذا الذكر له تأثير عظيم في تصفية القلوب وجلائها، وتنقية النفوس من أدرانها كلها، فإذا انضم إليه الاستغفار، ازداد أثره، وتضاعف نفعه.

جاء في الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعوة ذي النون إذ دعا، وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له (٣).

وأما كون أفضل الدعاء: الحمد لله في الحديث المتقدم، والاستغفار في هذا الحديث، فإن ذلك قد يكون باختلاف الأحوال، فالرجل الصالح التقي، يناسب أمرَه الحمد لله، فيكون التحميد أفضل له، بينما يليق بالعبد الخطاء التوبة والاستغفار، فكان ذلك أولى بالنسبة له، وكذلك، فإن الحمد لله أنفع لجلب المنافع، بينما كان الأقرب لدفع المضارّ هو الاستغفار، إلى غيرها من أوجه الاختلاف.

(٢١) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بـ لا إله إلا الله، والاستغفار، فأكثروا منهما، فإن إبليس قال:

شعب الإيمان، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٤٤/٧، وقال: رواه البزار، وإسناده حسن، وأخرجه أبو يعلى برقم: ٤٠٣٤، وابن أبي عاصم في الزهد برقم: ٢٨٨ ج/١، ص: ١٤٤ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، دار الريان للتراث القاهرة.

(١) أورده في الفردوس بمأثور الخطاب برقم: ١٤١٢ عن ابن عمر بلفظ: أفضل العلم: لا إله إلا الله وأفضل الدعاء، الاستغفار.

(٢) عزاه في كنز العمال إلى الطبراني من حديث ابن عمر، ولعله في الجزء المفقود من مسند ابن عمر من المعجم الكبير.

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات باب في دعوة ذي النون برقم: ٣٥٠٥ وأحمد برقم: ١٤٦٢ وأخرجه الحاكم ج/١ ص: ٦٨٤ برقم: ٦٢/١٨٦٢ عن سعد بن أبي وقاص، ووافقه الذهبي.

أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بـ "لاإله إلا الله" والاستغفار، فلما رأيت ذلك، أهلكتهم بالأهواء، وهم يحسبون أنهم مهتدون.

أخرجه أبو يعلى، كذا في الدر، والجامع الصغير، ورقم له بالضعف (١)

شرح الحديث:

قوله: أهلكوني بـ" لاإله إلا الله" والاستغفار، يعني: أن هدف الشيطان إنما هو أن ينفث سمومه في القلب، وذلك لا يتحقق إلا إذا كان خالياً عن ذكر الله عزوجل، وأما إذا عمر القلب بالذكر، فإن الشيطان يندحر، ويرجع خائباً، ساحباً ذيلَ الذل، والهوان.

وإن ذكر الله عزوجل جلاؤ القلوب، وصقالها، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان يقول: "إن لكل شيء سقالة، وإن سقالة القلوب ذكر الله "(٢) وكذلك وردت الأحاديث بأن الاستغفار، فيه جلاؤ القلوب، ونقاؤها (٣).

قال أبو علي الدقاق: إذا قال العبد: لا إله إلا الله، انعكس النور عليه.

وإذاكان الأمر كذلك، فظاهر أن لا إله إلا الله يحبط مساعيَ الشيطان ومكايده كلها.

وقوله: "أهلكتهم بالأهواء" يعني: أنه يغري الرجل، ويزين له العمل، فيرى الباطل حقاً، ويُحدِث في الدين ما تحدّث به نفسه، وقد ذمّ الله عزوجل ذلك في القرآن في مواضع عديدة، كما قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [الغاشية: ٢٣].

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم: ١٣٦ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٠/١٠ باب: ما جاء في الاستغفار: رواه أبو يعلى، وفيه عثمان بن مطر، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٥١٩ عن عبد الله بن عمر، وإسناده ضعيف من أجل سعيد بن سنان، وهو متروك، رماه الدارقطني وغيره بالوضع، قاله المحقق لشعب الإيمان.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٦٨٩٤ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن للقلوب صدءاً، قالوا: فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: جلاؤها الاستغفار، قال الهيثمي في المجمع ٢١٠/١٠ : أخرجه الطبراني في الصغير، والأوسط. وفيه الوليد بن سلمة الطبراني وهو كذاب، انتهى وقد قال الطبراني في الأوسط: لم يرو هذا الحديث عن محمد بن المنكدر إلا النضر بن محمد تفرد به: الوليد بن سلمة انتهى.

وقال في آية أخرى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ﴾ [سورة القصص: ٥٠].

تلك هجمة من الشيطان شديدة، أنه يلبس الباطل ثوب الحق، ويعرض غير الدين في صورة الدين، فيتمسك به الرجل، ويرجو عليه من الله الثواب، فكيف يوفّق للتوبة، وهو يعمل به ظنا منه أنه الدين، فقد يُرجى من الزاني والسارق أن تتحرك في نفسه داعية التوبة، فيتوب إلى الله عزوجل، ولكنه إذا كان يختار عملاً من الأعمال ظاناً إياه طاعة، وعبادة، فكيف يتوب منه؟ وإنما يتدرج، ويزداد فيه كل يوم.

نظراً إلى هذه الحقيقة، فلابد أن يتبع المرء سنة النبي ﷺ، ويسلك طريق الصحابة، ويجتنب ما كان يخالف ذلك، ويضاده، فإن فيه هلاكاً ودماراً.

ونقل الغزالي عن الحسن البصري أنه قال: بلغنا أن الشيطان يقول: إني زينت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم الذنوب، لكن استغفارهم قصم ظهري، فعرضت عليهم الذنوب التي لا يرونها ذنوباً، فيستغفرون، وتلك هي الأهواء يعني: البدع، والمحدثات (١).

قال وهب بن منبه: اتق الله، تلعن الشيطان في المجامع، وتطيعه في الخلوة، وتتولاه (٢).

وقال بعض المشايخ: العجب كل العجب أن يعصي المرء ربه عزوجل وهو يعلم نعمه، ويعترف بها، ويطيع الشيطان، وهو يعرف أنه عدومبين، وخصم عنيد (٣).

(٢٢) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يموت عبد، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، يرجع

(١) ثم وجدته في إحياء العلوم ٣٥/٣ بيان تفصيل مداخل الشيطان، ونصه: قال الحسن: بلغنا أن إبليس قال: سولت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي، فقصموا ظهري بالاستغفار، فسولت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله منها، وهي الأهواء.

(٢) ثم وجدته في الإحياء ٣٨/٣ قال: قال وهب بن منبه: اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية، وأنت صديقه في السر، أي: أنت مطيع له.

(٣) قال الغزالي: في الإحياء ٣٨/٣ قال بعضهم: يا عجب لمن يعصي المحسن بعد معرفته بإحسانه، ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه.

ذلك إلى قلب موقن، إلا دخل الجنة، وفي رواية: إلا غفر الله له.

أخرجه أحمد، والنسائي، والطبراني، والحاكم، والترمذي في نوادر الأصول وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات، كذا في الدر، وابن ماجه (١).

وفي الباب عن عمران بلفظ: من علم أن الله ربه، وأني نبيه موقناً من قلبه، حرمه الله على النار (٢).

رواه البزار، ورقم له في الجامع بالصحة، وفيه أيضاً برواية البزار عن أبي سعيد: من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، ورقم له بالصحة (٣).

شرح الحديث:

قد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أبشروا، وبشروا الناس، من قال: لا إله إلا الله صادقاً بها، دخل الجنة (٤).

فالقيمة عند الله عزوجل للصدق، والإخلاص، والعمل القليل مع الإخلاص يثقل عنده، ويعظم، ويستحق الأجر الجزيل، والثواب الكثير، أما العمل الذي يقوم به المرء رياء، وسمعة، وابتغاء رضا الناس، فلا وزن له، ولا عبرة به لديه تبارك وتعالى، وقد يعود وبالاً على صاحبه، فالإخلاص هو المعيار، ولذلك فالذي يقول: لا إله إلا الله مخلصاً، يغفر له، ويدخل الجنة البتة من غير أي تردد وشك، وإن كان بعد أن يدخل النار، ويعذب، جزاء ما ارتكب من المعاصي، وقد

(١) أخرجه أحمد برقم: ٢١٩٩٨ والطبراني في الكبير ج/٢٠ ص: ٤٥ برقم: ٧١-٧٣ وابن ماجه برقم: ٣٧٩٦ كتاب الأدب باب فضل لا إله إلا الله، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه البزار في كشف الأستار ج/١ ص: ١٥ برقم: ١٤ قال الهيثمي في المجمع ٢٧/١: رواه البزار وفي إسناده عمران القصير، وهو متروك، وعبد الله بن أبي القلوص انتهى وفي هامشه: عمران القصير أخرج له الشيخان، ووثقه جماعة، وما علمت أحداً تركه، وعبد الله من أبي القلوص ما علمت أحدا وثقه كما في هامش الأصول انتهى.

(٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ج/١ ص: ١١ برقم: ٧ قال الهيثمي في المجمع ٢٢/١: رواه البزار، ورجاله ثقات، إلا أن من روى عنهما البزار لم أقف لهما على ترجمة انتهى.

وجاء في التعليق عليه: فائدة: قال البزار: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة وعلي بن شعيب قالا: أنا الوليد بن القاسم ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن عطية عن أبي سعيد وقال: لا نعلم رواه عن إسماعيل إلا الوليد، فأما شيخا البزار فإنهما ثقتان، أما محمد بن إسماعيل بن سمرة فأخرج له الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ووثقه أبو حاتم، والنسائي، وغيرهما، وأما علي بن شعيب، فروى عنه النسائي أيضا ووثقه، وعلة الحديث إنما هي من عطية، وقد ضعفه جماعة كما في هامش الأصل.

(٤) أخرجه أحمد برقم: ١٩٥٩٧ و ١٩٦٨٩ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/١: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله ثقات.

تدركه رحمة الله عزوجل جزاء صدقه، وإخلاصه، وبعض أعماله المحبوبة عند الله عزوجل، فتشمل المغفرة جميع معاصيه، وتأتي عليها أصلاً، فإن الله عزوجل واسع المغفرة، غافر الذنب، فما بالنا لا نتفانى في حبه، ومرضاته عزوجل؟!

وعلى كل، فإن هذه الأحاديث تبشر على شهادة لا إله إلا الله بشارات عظيمة، وتحمل في طيها وعوداً كريمة ربانية، وهي تحتمل المغفرة بعد العذاب على المعاصي، وتحتمل الرحمة، واللطف، والعناية الإلهية، من غير أي جزاء على السيئات.

يحيى بن أكثم محدث مشهور، إنه لما مات رآه بعضهم في المنام، فقال له: ما صنع بك ربك؟ قال: وقفت بين يدي ربي تبارك وتعالى، فقال لي: لأعذبنك يا يحيى فقلت: ما هكذا بلغني عنك يا رب! ولا حدثت عنك قال: وما الذي بلغك يحيى؟ قلت: حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك عن جبريل عنك: أنك قلت وقولك الحق: إني لأستحيي من عبدي إذا شاب في الإسلام، أن أعذبه فقال: صدق جبريل، وصدق محمد نبيّي، وصدق أنس، وصدق الزهري، وصدق معمر، وصدق عبد الرزاق، وقد غفرت لك (١).

(٢٣) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليس شيء إلا بينه وبين الله حجاب، إلا قول: لا إله إلا الله، ودعاء الوالد (٢).

أخرجه ابن مردويه كذا في الدر، وفي الجامع الصغير برواية ابن النجار، ورقم له بالضعف، وفي الجامع الصغير برواية الترمذي عن ابن عمرو ورقم له بالصحة: التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب، حتى تخلص إليه (٣).

(١) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ج/٦٧ ص: ١٩٥ في ترجمة يحيى بن أكثم، والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات ١٧٧/١ وانظر ترجمة يحيى بن أكثم في تقريب التهذيب، وقد تكلم فيه وضعّف.

(٢) أخرجه الديلمي، وابن النجار عن أنس كما في جمع الجوامع، وعزاه المناوي إلى أبي يعلى، وقال: إسناده ضعيف.

(٣) وأما حديث عبد الله بن عمرو فقد قال الترمذي بعد روايته في الدعوات برقم: ٣٥١٨: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي انتهى، قلت: وذلك لأن فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم.

شرح الحديث:

قوله: "ليس لها دون الله حجاب" يعني: أنها تقبل عند الله عزوجل من غير أي تأخير، بينما الأعمال الأخرى قد يتأخر قبولها.

حكي أنه كان في الأمم الماضية ملك متمرد على ربه عزوجل، فغزاه المسلمون، وأخذوه أسيراً فقالوا: بأي قتلة نقتله، فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له قمقماً عظيما، ويجعلوه فيه، ويوقدوا تحته النار، ولايقتلوه، حتى يذيقوه طعم العذاب، ففعلوا ذلك.

فجعل يدعو آلهته واحداً بعد واحد، يا فلان! بما كنت أعبدك أنقذني مما أنا فيه، فلما رأى الآلهة لا تغني عنه شيئاً، رفع رأسه إلى السماء، وقال: لا إله إلا الله، ودعا مخلصاً، فصب الله عليه مبعث ماء من السماء، فأطفأ تلك النار، وجاءت ريح، فاحتملت ذلك القمقم، وجعلت تدور به بين السماء والأرض، وهو يقول: لا إله إلا الله، فاستخرجوه وقالوا: ويحك! مالك؟ فقال: أنا ملك بني فلان، وإنه كان من خبري وأمري كيت كيت، وقص عليهم القصة، فآمنوا، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين (١).

(٢٤) عن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن يوافي عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله، إلا حرم على النار.

أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، وابن ماجه، والبيهقي في الأسماء والصفات، كذا في الدر (٢).

شرح الحديث:

تحريم النار على من قال لا إله إلا الله، على القواعد العامة، مشروط بعدم كون الكبائر في ذمته، أو المراد به: تحريم الخلود في النار، لكن الله تعالى وهو الكريم الرحيم، لو أراد أن يغفر لقائلها جميع ما أتى به من الذنوب والمعاصي، فمن الذي يحول دون ذلك؟

(١) انظر روض الرياحين ص: ١٥٠ الحكاية: ٢١٠.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق برقم: ٦٤٢٣ ومسلم ٣٣- ٥٥ وأحمد برقم: ٢٣٧٧٠

فقد جاء في كتب الحديث ذكر لبعض العباد الذين يستر الله عليهم، ويضع كنفه، فقال صلى الله عليه وسلم: " إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم! أي رب! حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال تبارك وتعالى: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء اللذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين(١).

(٢٥) عن يحيى بن طلحة بن عبد الله قال: رئي طلحة حزيناً فقيل له: مالك؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته، إلا نفس الله عنه كربته، وأشرق لونه، ورأى ما يسره، وما منعني أن أسأله عنه، إلا القدرة عليه، حتى مات، فقال عمر: إني لأعلمها، قال: فما هي؟ قال: لا نعلم كلمة هي أعظم من كلمة أمر بها عمه: لا إله إلا الله قال: فهي والله هي.

أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات كذا في الدر، قلت: أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره عليه الذهبي، وأخرجه أحمد (٢).

وأخرج أيضاً من مسند عمر رضي الله عنه بمعناه بزيادة فيهما (٣).

(١) أخرجه البخاري في المظالم باب: ألا لعنة الله على الظالمين، برقم: ٢٤٤١ واللفظ له: ومسلم في التوبة برقم: ٢٧٦٨ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ١٣٨٤ والحاكم ٥٠٢/١ برقم: ٣٤/١٢٩٧ من طريق مطرف عن عامر عن يحيى ابن طلحة عن أبيه قال: قال: رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلا الحديث وأخرجه أبو يعلى برقم: ٦٥٥ من طريق مطرف عن عامر عن يحيى بن طلحة قال: رأى عمر طلحة بن عبيد الله حزيناً ثم ذكره.

وأخرجه ابن ماجه مختصراً في كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله برقم: ٣٧٩٥ من طريق الشعبي عن يحيى بن طلحة عن أمه سعدى المرية، قالت: مرّ عمر بطلحة الحديث، قال البوصيري في زوائده ص ٤٨٨: رواه النسائي في عمل اليوم والليلة عن هارون بن إسحاق به، وعن يحيى بن موسى عن عبد الله بن نمير عن الشعبي عن جابر عن طلحة به، واختلف على الشعبي فقيل عنه هكذا، وقيل: عنه عن ابن طلحة عن أبيه وقيل: عنه عن يحيى بن طلحة عن أبيه وقيل: عنه عن يحيى بن طلحة عن أمه سعدى عن طلحة، وقيل: عنه عن طلحة مرسلاً.

(٣) أخرجه أحمد في مسند عمر برقم: ٢٥٢ عن الشعبي قال: مرّ عمر بطلحة، والشعبي لم يدرك عمر، ولكن قد أخرجه أحمد برقم: ١٨٧ عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لطلحة بن عبد الله: مالي أراك قد شعثت واغبررت منذ توفي رسول الله؟ لعلك ساءك يا طلحة إمارة ابن عمك، قال: معاذ الله! إني لأجدركم أن لا أفعل ذاك، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل عند حضرة الموت، إلا وجد روحه لها روحاً، حين تخرج

وأخرجه ابن ماجه عن يحيى بن طلحة عن أمه، وفي شرح الصدور للسيوطي: وأخرج أبو يعلى والحاكم بسند صحيح عن طلحة وعمر قالا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة الحديث.

شرح الحديث:

إن الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله، قد علم فضلها، وأنها نور، وضياء، وسرور، وحبور، من خلال الأحاديث الكثيرة، ونقل في المنبهات عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "الظلمات خمس، والسرج لها خمس: حب الدنيا ظلمة، والسراج له التقوى، والذنب ظلمة، والسراج له التوبة، والقبر ظلمة، والسراج لها لا إله إلا الله محمد رسول الله، والآخرة ظلمة، والسراج لها العمل، والصراط ظلمة، والسراج له اليقين"(١).

إن الرابعة العدوية عابدة معروفة، وزاهدة مشهورة، كانت تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر، هجعت هجعة حتى يسفر الصبح، فكانت تقول: إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور، قالت خادمته عبدة بنت أبي شوال: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعتني، فقالت: يا عبدة لا تؤذني بموتي أحداً، وكفنيني في جبتي هذه، جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفناها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه، قالت عبدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي، عليها حلة استبرق خضراء، وخمار من سندس أخضر، لم أر شيئاً قط أحسن منه، فقلت: يا رابعة: ما فعلت الجبة التي كفناك فيها وخمار الصوف؟ قالت: إنه والله نزع عني، وأبدلت به هذا الذي ترينه علي، وطويت أكفاني، وختم عليها، ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.. قالت: قلت: فمريني بشيء أتقرب به إلى الله عزوجل،

من جسده، وكانت له نوراً يوم القيامة، فلم أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، ولم يخبرني بها، فذلك الذي دخلني، قال عمر: فأنا أعلمها قال: فلله الحمد قال: فما هي؟ قال: هي الكلمة التي قالها: لا إله إلا الله، قال طلحة: صدقت. والحديث بطرقه صحيح.

(١) المنبهات ص: ٤٠-٤١ باب الخماسي

قالت: عليك بكثرة ذكره، أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك (١).

(٢٦) عن عثمان رضي الله عنه قال: إن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي، حزنوا عليه، حتى كاد بعضهم يوسْوِس.

قال عثمان: وكنت منهم، فبينا أنا جالس مر علي عمر، وسلم، فلم أشعر به، فاشتكى عمر إلى أبي بكر، ثم أقبلا علي، حتى سلما علي جميعاً، فقال أبو بكر: ما حملك على أن لا ترد على أخيك عمر سلامه، قلت: ما فعلت، فقال عمر: بلى! والله لقد فعلت، قال: قلت: والله ما شعرت أنك مررت ولا سلمت.

قال أبو بكر: صدق عثمان، قد شغلك عن ذلك أمر، فقلت: أجل! قال: ما هو؟ قلت: توفى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر.

قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك، فقمت إليه، وقلت له: بأبي أنت وأمي أنت أحق بها، قال أبو بكر: قلت: يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردها، فهي له نجاة.

رواه أحمد كذا في المشكاة، وفي مجمع الزوائد: رواه أحمد، والطبراني في الأوسط باختصار، وأبو يعلى بتمامه، والبزار بنحوه، وفيه رجل لم يسم، لكن الزهري وثقه، وأبهمه، قلت: وذكر في مجمع الزوائد له متابعات بألفاظ متقاربة (٢).

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ج/٤ ص: ١٧ وما بعدها

(٢) أخرجه أحمد بطوله في مسند أبي بكر برقم: ٢٠ من طريق الزهري قال: أخبرني رجل من الأنصار من أهل الفقه أنه سمع عثمان يحدث أن رجالاً من أصحاب النبي الحديث، وأخرجه أبو يعلى بطوله برقم: ١٣٣ من طريق عمرو بن أبي عمرو عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير أن عمر بن الخطاب مر على عثمان الحديث، وأخرجه أحمد بهذا الإسناد برقم: ٣٧ إلا أنه مختصر، قال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف للانقطاع، محمد بن جبير بن مطعم لم يسمع من عثمان بن عفان، وأبو الحويرث وهو عبد الرحمن بن معاوية الأنصاري مختلف فيه انتهى

وأخرجه البزار كما في كشف الأستار ٨/١ برقم: ١ من طريق الزهري، حدثني رجل من الأنصار من أهل العقبة غير متهم، سمعته يحدث عن سعيد بن المسيب أنه سمع عثمان بن عفان يحديث أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الحديث.

ثم قال البزار: هكذا رواه معمر وصالح بن كيسان وغيرهما وقد رواه عبد الله بن بشر عن الزهري عن

شرح الحديث:

معنى قوله: "حتى كاد بعضهم يوسوس": أن الصحابة رضي الله عنهم قد ساورهم عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من الحزن، والهم، والغم ما تحيروا معه، حتى شهر عمر، وهو من هو في همته، وعظمة أمره، سيفه وقال: من قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي ضربت عنقه، وإنما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليلقى ربه كما ذهب موسى(١).

وخطر ببال بعضهم أن هذا الدين سينتهي أمره، وأيئس البعض من إقبال الإسلام، وازدهار أمره، بينما كان عدد منهم قد بُهتوا، فلا ينبسون بِبِنْتِ شَفَةٍ.

في هذا الموقف الحرج ثبت أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وصمد صمود الجبال الراسيات، وخطب مدوياً ومُجلجِلاً، وتلا الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[آل عمران: ١٤٤].

وأما قوله: "ما نجاة هذا الأمر"، فهو يحتمل معنيين، أحدهما: أي شيء من الإسلام لا ينجو المرء إلا به، ولا يجد بدا منه؟ وعلى هذا المعنى، فالجواب واضح، فإن هذه الكلمة عليها مدار هذا الدين.

والمعنى الثاني: ما هي طريق النجاة في المواقف الشديدة التي قد تواجه المرء في الدين؟ وكيف يفعل في المصائب، والوساوس الشيطانية، والإغراءات المادية؟ وعلى هذا فمعنى الجواب: أن كلمة لا إله إلا الله هي العلاج الوحيد لذلك كله، وهي التي تثبت المرء على الجادة، وتجلو عن القلب رينه وتنقّيه، وتبطل كيد الشيطان، وتهلكه، وقد جاء في الحديث: "لا إله إلا الله ترفع عن

سعيد بن المسيب عن عثمان عن أبي بكر وهو خطأ، والصحيح، حديث معمر وصالح، وقد رواه الواقدي عن ابن أخي الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمر عن عثمان عن أبي بكر، وهذا مما لم يتابع الواقدي على روايته انتهى ملخصاً.

وانظر شواهده في مجمع الزوائد ١٩/١ وما بعدها كتاب الإيمان.

(١) روى ابن جرير في تاريخه٢/٢٣٢ بسنده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب، فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع بعد أن قيل: قد مات، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليقطعن أيدي رجال، وأرجلهم، يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات.

قائلها تسعة وتسعين باباً من البلاء، أدناه الهم (١).

(٢٧) عن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة، لا يقولها عبد حقاً من قلبه، إلا حرم على النار، فقال له عمر بن الخطاب: أنا أحدثك ما هي؟

هي كلمة الإخلاص التي أعز الله بها تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها النبي [illegible] عمه أبا طالب عند الموت، شهادة أن لا إله إلا الله.

رواه أحمد، وأخرجه الحاكم بهذا اللفظ، وقال: صحيح على شرطهما، وأقره عليه الذهبي (٢).

وأخرجه الحاكم برواية عثمان عن عمر مرفوعاً: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه، فيموت على ذلك، إلا حرمه الله على النار: لا إله إلا الله وقال: هذا صحيح على شرطهما، ثم ذكر له شاهدين من حديثهما (٣).

شرح الحديث:

قصة عرض النبي صلى الله عليه وسلم كلمة الإخلاص على عمه عند وفاته، قد وردت في كتب التفسير، والحديث، والتاريخ، أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياعم! قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبوطالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله

---

(١) عزاه في كنز العمال إلى الديلمي عن ابن عباس

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٤٤٧ والحاكم ١/٥٠٢ برقم: ١٢٩٨/٣٥ وقال: على شرطهما، وأقره الذهبي، وتعقبهما محققو مسند أحمد أن مسلم بن يسار لم يخرجا له ولا أحدهما، وعبد الوهاب الخفاف من أفراد مسلم فقط، انتهى قولهم، وقد قوّوا إسناده وإن لم يكن على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه الحاكم ١/١٤٣-١٤٤ برقم: ٢٤٢/٢٤٢ وأقره الذهبي على كل كلامه، من أنه على شرطهما، وأن له شاهدين عندهما من حديث عتبان بن مالك ومن حديث عثمان.

تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة: ١١٣].

وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. [سورة القصص: ٥٦] (١).

وفي رواية: قال أبو طالب: لولا أن تعيرني قريش يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢).

ولقد ظهر من هذه القصة أن الذين يرتكبون أعمال الفسق، والفجور، ويُعرضون عن طاعة الله عزوجل، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يعتقدون أنهم سينجون بشفاعة بعض الأولياء من أقاربهم، وذوي معرفتهم، أنهم في خطأ عظيم، وغرور جسيم، فإنما النجاة من عذاب الله عزوجل، والنجاح، والفوز، لا يتحقق إلا بفضل الله عزوجل، ورحمته، فلا بد من الرجوع إلى جنابه، واطراح النفس على عتبة عبوديته، والاتصال الصادق القوي به سبحانه وتعالى، نعم، إن مصاحبة الصالحين، والأولياء، ودعواتهم، قد تكون عوناً في سبيل الدين، وحصول التقوى.

(٢٨) عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه، رفع رأسه إلى السماء، فقال: أسألك بحق محمد ﷺ، إلا غفرت لي، فأوحى الله إليه: من محمد؟ فقال: تبارك اسمك، لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه: يا آدم إنه آخرنبي من ذريتك، ولولا هو ما خلقتك.

أخرجه الطبراني في الصغير، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي، كلاهما في الدلائل، وابن عساكر كذا في الدر (٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٨٨٤ ومسلم برقم: ٢٤ وأحمد برقم: ٢٣٦٧٤ عن المسيب بن حزن.
(٢) أخرجه أحمد رقم: ٩٦١٠ ومسلم برقم: ٢٥ والترمذي ٣١٨٨ عن أبي هريرة
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٧٢/٢ برقم: ٤٢٢٨/٢٣٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب، وتعقبه الذهبي فقال: بل موضوع، وعبد

وفي مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط، والصغير، وفيه من لم أعرفهم (١).

قلت: ويؤيد آخره الحديث المشهور: لولاك لما خلقت الأفلاك، قال القاري في الموضوعات الكبير: موضوع لكن معناه صحيح، وفي التشرف: معناه صحيح (٢).

ويؤيد أوله ما ورد في غير رواية، من أنه مكتوب على العرش، وأوراق الجنة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما بسط طرقه السيوطي في مناقب اللآلي في غير موضع، وبسط له شواهد أيضاً في تفسيره في سورة ألم نشرح. (٣)

شرح الحديث:

لقد وردت هنالك أحاديث مختلفة في وصف بكاء آدم عليه الصلاة والسلام، ورجوعه، وضراعته إلى الله عزوجل، ووردت أدعية، وأذكار مختلفة (٤) دعا بها ربه عزوجل، ولا تعارض فيما بينها، فإن حال العبد الذي

الرحمن واه، قال الحاكم: وهو أول حديث ذكرته له في هذا الكتاب، قلت: رواه عبد الله بن مسلم الفهري، ولا أدري من ذا؟ عن إسماعيل بن سلمة عنه يعني: عن عبد الرحمن بن زيد انتهى

وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٦٥٠٢ وابن عساكر ج/٧ ص: ٣٠٩ في ترجمة آدم. وعرف فيه عبد الله بن مسلم الفهري بأنه من رهط أبي عبيدة بن الجراح، ونقل ابن عساكر عن البيهقي قوله: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف، والله أعلم.

(١) انظر مجمع الزوائد ج ٨ ص: ٢٥٦ كتاب علامات النبوة باب عظم قدره صلى الله عليه وسلم.

(٢) وهكذا قال العجلوني في كشف الخفاء ١٦٤/٢ قال الصغاني: موضوع، وأقول: لكن معناه صحيح، وإن لم يكن حديثاً انتهى، قال عبد الرشيد: إنما البحث في ثبوت ذلك من حيث الإسناد، وليس البحث في كون معناه صحيحاً أو فاسداً، وكم من حديث موضوع معناه صحيح فافهم، والله أعلم.

(٣) كما أخرج الخطيب في تاريخه ٣٨٧/٧ في ترجمة الحسن بن علي بن الحسن الوراق، والطبراني في الأوسط برقم: ٥٤٩٨ عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مكتوب على باب الجنة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، قبل أن تخلق السموات والأرض بألفي عام، قال الطبراني بعد إخراجه: لم يرو هذا الحديث عن مسعر إلا أشعث بن عم الحسن بن صالح، ولا عن أشعث إلا يحيى ابن سالم، تفرد به زكريا بن يحيى الكسائي.

قال الهيثمي في المجمع ١١٤/٩: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أشعث بن عم الحسن بن صالح، وهو ضعيف ولم أعرفه، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٢٠/١ (طبع بتحقيق الخليل الميس الناشر: دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٣): "هذا حديث لا يصح، والمتهم به زكريا بن يحيى". انتهى.

(٤) منها ما أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٥٩٧٤ عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما أهبط الله آدم إلى الأرض، قام وجاه الكعبة، فصلى ركعتين، فألهمه الله هذا الدعاء: اللهم إنك تعلم سريرتي وعلانيتي، فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي، فاغفرلي

غضب عليه سيده، وعتب عليه مولاه، لا يطلع على حقيقته إلا هو، وإذا كان غضب سادة الدنيا، وإعراضهم عن عبيدهم، بهذه المثابة، فما بالك بغضب رب الأرباب وملك الملوك، والرزاق الخلاق؟

ومعلوم أنه كلما كان الإنسان أقرب إلى سيده، وأحب لديه، وأحظى عنده، كان العتاب عليه أشد، ووقعه أعمق، فلا غرو أن آدم عليه الصلاة والسلام كان من ربه عزوجل بحيث أسجد له ملائكته، وأدناه، وقرّبه، وأسكنه جنته، وحمّله أمانته، فكان تأثير عتاب الله عزوجل عليه أعظم، فذهب في التوبة كل مذهب، وسلك كل طريق، وتسبب بكل سبب، وتوسل بكل وسيلة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "بكى آدم على نفسه حين أهبط من الجنة بكاء لم يبكه شيء على شيء، أو لم يبكه أحد على أحد، مكث أربعين سنة، لايرفع رأسه إلى السماء، قال ابن عباس: فلو أن بكاء جميع بني آدم، جمع مع بكاء داود على خطيئته، ما عدل بكاء آدم على نفسه حين أخرج من الجنة"(١).

وعن بريدة رضي الله عنه مرفوعاً: "لو وزن دموع آدم بجميع دموع ولده، لرجح دموعه على دموع جميع ولده "(٢).

ذنبي، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي، ويقيناً صادقاً، حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي، ورضا بما قسمت لي، فأوحى الله إليه يا آدم إني قد قبلت توبتك، وغفرت لك ذنبك، ولن يدعوني بهذا الدعاء أحد، إلا غفرت له ذنبه، وكفيته المهم من أمري، وزجرت عنه الشيطان، واتجرت له من وراء كل تاجر، وأقبلت إليه الدنيا راغمة، وإن لم يردها.

قال الطبراني بعد روايته: لم يرو هذا الحديث عن هشام بن عروة إلا معاذ بن محمد، تفرد به: النضر بن طاهر، وقال الهيثمي في المجمع ١٨٦/١٠: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه النضر بن طاهر وهو ضعيف. انتهى

وله شاهد من حديث بريدة مرفوعاً عند ابن عساكر في تاريخ دمشق ج/٧ ص: ٣٠٣ ولفظه: لما أهبط الله آدم طاف بالبيت سبعاً، ثم صلى حيال المقام ركعتين ثم قال: ...بنحوه، وفيه: فأوحى الله إليه، يا آدم إنك قد دعوتني بدعاء استجبت لك فيه، ولن يدعوني أحد من ذريتك من بعدك، إلا استجبت له، وغفرت ذنبه، وفرجت همومه، وغمومه، ونزعت الفقر من بين عينيه، وأنجزت له(لعله محرف من اتجرت له) من وراء كل تاجر، وأتته الدنيا كارهة وإن كان لا يريدها. قال السيوطي في الدر في تفسير فتلقى آدم من ربه: إسناده لا بأس به.

(١) أخرجه ابن عساكر في ترجمة آدم من تاريخ دمشق ج/٧ ص: ٢٩٧ عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن عساكر ٢٩٤/٧ والطبراني في الأوسط ٥٤/١ برقم: ١٤٣ والخطيب في تاريخه ٤٧/٤ في ترجمة أحمد بن بشير الكوفي، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: ٨٠٩ عن يحيى بن سليمان الجعفي عن أحمد بن بشير عن مسعر عن علقمة بن مرثد عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعا.

قال الهيثمي في المجمع ٢٠١/٨: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات انتهى.

وعلى كل، فلا تعارض بين ما ورد من الأدعية، والأذكار المختلفة التي توسل بها آدم إلى ربه عزوجل، ومنها هذا الدعاء المذكور.

ويفيد الحديث أنه مكتوب في العرش: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وقد جاء ذلك في أحاديث أخرى أيضاً، فقد جاء في حديث: "دخلت الجنة، فرأيت في عارضتي الجنة مكتوباً ثلاثة أسطر بالذهب، السطر الأول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والسطر الثاني: ما قدمنا وجدنا، وما أكلنا ربحنا، وما خلفنا خسرنا، والسطر الثالث: أمة مذنبة، ورب غفور(١).

(٢٩) عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: وإلهكم إله واحد، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم.

لكن قال ابن عدي في الكامل ١٧٠/١ بعد أن أخرجه عن طريق يحيى بن سليمان عن أحمد بن بشير به ثم قال: وهذا الحديث لم يأت به عن مسعر موصولاً غير أحمد بن بشير، وعن أحمد بن بشير غير يحيى بن سليمان هذا، فلا أدري الوهم من أحمد أو من يحيى؟ وأكثر ظني أنه من أحمد.

ثم أخرجه ابن عدي من طريق الوليد بن شجاع وأبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر عن مسعر عن علقمة بن مرثد عن ابن بريدة قوله، انتهى قد تحرف فيه محمد بن بشر إلى أحمد بن بشير وهو خطأ؛ لأن ابن عدي إنما يريد بيان مخالفة محمد بن بشر لأحمد بن بشير، وقد نقل عنه البيهقي في الشعب قوله: لم يذكر فيه بريدة ولا النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الرواية أصح، وقد أخرجه ابن أبي شيبة من طريق محمد بن بشربه عن ابن بريدة قوله برقم: ٣٦٦٨٤ وقال البيهقي في الشعب: روينا عن أبي علي الحافظ النيسابوري أنه أنكره، وقال: الصحيح من حديث مسعر عن علقمة ابن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط قوله: ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

وزل الدكتور خلدون الأحدب في هذا الموضع زلة فاحشة حيث قال: "وقال الإمام أحمد بن حنبل فيما نقله عنه البيهقي في شعب الإيمان: روينا عن أبي علي الحافظ النيسابوري" فظن أن المراد بهذا: الإمام أحمد، وليس كذلك، وإنما المراد بـ قال الإمام أحمد رحمه الله هو أحمد بن الحسين البيهقي نفسه، مؤلف الكتاب، والقائل هو أحد النساخ. وأخرجه أحمد في الزهد باب زهد آدم عليه السلام من طريق حسين بن محمد عن المسعودي عن علقمة بن مرثد قوله؛ والخلاصة أن رفع هذا الحديث ليس ثابتاً، وإنما هو من قول ابن بريدة، أو عبد الرحمن بن سابط، أو علقمة، والله أعلم بالصواب.

ووجدت في بكاء آدم حديثاً آخر أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٧٤٥٥ عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما هبط آدم إلى الأرض، بكى على الجنة مائة خريف الحديث. قال الهيثمي في المجمع ٢٩١/٣: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي، وإسماعيل بن عياش، وكلاهما فيه كلام، وقد وثقا، وبقية رجاله ثقات.

(١) رواه ابن النجار في تاريخ بغداد، والرافعي في تاريخ قزوين عن أنس رضي الله عنه كما قال العجلوني في كشف الخفا برقم: ٥٩٣ ج/١، ص: ١٩٧، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة، وأورده الألباني في ضعيف الجامع، فالله أعلم بالصواب.

أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، والدارمي، وأبو داود، والترمذي، وصححه، وابن ماجه، وأبو مسلم الكجي في السنن، وابن الضريس، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب كذا في الدر (١).

شرح الحديث:

لقد وردت الأحاديث الكثيرة بأن الدعاء يجاب باسم الله الأعظم(٢) إلا أن هناك أحاديث مختلفة في تعيينه، وذلك لأن الله عزوجل، قد جرت سنته بإخفاء بعض الخصال العظيمة، من مثل ليلة القدر، والاسم الأعظم، وله في ذلك حكم كثيرة، أشرت إلى بعضها في رسالة فضائل رمضان.

ثم إن هناك أحاديث أخرى وردت بفضل هذه الآيات، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ليس شيء أشد على مردة الجن من هؤلاء الآيات التي في سورة البقرة: وإلهكم إله واحد الآيتين (٣).

وعن إبراهيم بن وثيمة قال: الآيات التي يدفع الله بهن من اللمم، من لزمهن في كل يوم، ذهب عنه ما يجد، وإلهكم إله واحد، الآية، وآية الكرسي،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة١٠/٢٧٢ وأحمد برقم: ٢٧٦١١ والدارمي ٣٣٨٩ وأبو داود برقم: ١٤٩٦ والترمذي برقم: ٣٤٧٨ وابن ماجه برقم: ٣٨٥٥، والطبراني في الكبير ٢٤/١٦٤وفي إسناده عبيد بن أبي زياد، وشهر بن حوشب، ومع ذلك فقد قال الترمذي: حسن صحيح. وأخرجه البغوي برقم: ١٢٦١ وقال: حديث غريب، انتهى

وله شاهد عن أبي أمامة عند ابن ماجه برقم: ٣٨٥٦، ولفظه: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه، قال البوصيري في الزوائد ص ٤٩٦: في إسناده مقال: غيلان لم أر لأحد فيه كلاما لا بجرح، ولا توثيق، وباقي رجال الإسناد ثقات.

وله شاهد رواه أبو داود، والترمذي في الجامع من حديث أسماء بنت يزيد، ثم أشار إلى الحديث المتقدم انتهى.

(٢) كما روى بريدة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولو يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب، أخرجه أحمد برقم: ٢٣٠٤١ وابن ماجه برقم: ٣٨٥٧ والحاكم ج/١، ص: ٦٨٣ برقم: ١٨٥٨/٥٨ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه محققو المسند.

وكما روي عن أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت وحدك، لا شريك لك، المنان، بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد سألت الله باسم الله الأعظم، أخرجه أحمد برقم: ١٢٢٠٥ وابن ماجه برقم: ٣٨٥٨ والترمذي برقم: ٣٥٤٤ والحاكم ج/١ ص: ٦٨٣ برقم: ١٨٥٦/٥٦ وبعده، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى الديلمي ١/٣٩٤ في تفسير الآية: "وإلهكم إله واحد".

وخاتمة البقرة، وإن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، إلى المحسنين. وآخر الحشر، وكان يقول: اكتبوهن لصبيانكم من الفزع، واللمم(١).

ونقل الشامي رحمه الله عن الإمام الأعظم أبي حنيفة أن اسم الله الأعظم في لفظ "الله"، ونسبه إلى الطحاوي كذلك، وقد أُثر ذلك عن كثير من العلماء، واختاره أكثر المشايخ العارفين، ومعلوم أنهم يكثرون من هذا الاسم المبارك إكثاراً.

وعن السيد الجليل سيد الطائفة الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه قال: اسم الله الأعظم إنما هو "الله" بشرط أن لايكون في قلبك شيء سواه إذا ذكرته، وكان يقول: ينبغي للعامة أن يذكروا الله عزوجل بهذا الاسم، بالتعظيم، والخوف، وينبغي للخاصة أن يقولوه باستحضار ذات الله عزوجل، وصفاته، وأما أخص الخاصة فليذكروه، وليس في قلوبهم إلا هو.

وقد ذكر لفظ "الله" في القرآن بكثرة كاثرة، وعده بعضهم بألفين وثلاثمائة، وستين مرة.

يقول الشيخ إسماعيل الفرغاني(٢):

كنت أُدفع إلى شدة الفاقة أياماً كثيرة، وربما كنت أسقط مغشياً علي، وكنت حينئذ قليل الدراية، وكنت أنظر إلى أظفار أصابعي كَمِدَةً من الجوع، فقلت ذات يوم في نفسي: لو علمتني اسمك الأعظم سألتك به، إذا حلت بي فاقة متلفة، فأنا يوماً بدمشق على باب البريد جالس، رأيت رجلين وقفا على باب المسجد، فوقع في نفسي أنهما ملكان، فوقفا بحذائي، فقال أحدهما للآخر: تريد أعلمك اسم الله الأعظم، فقال الآخر: نعم! فأصغيت إليهما، فقال: هو أن تقول: يا الله! يا الله! فقلت: قد تعلمت، ورجعت كما كنت، فقال أحدهما: ليس كما تقول أنت، ولكن بصدق اللجأ.

قال الشيخ أبو بكر: صدق اللجأ: أن يكون مثل الغريق في لج البحر لم

(١) أخرجه ابن عساكر ٧/١٧٣ في ترجمة إبراهيم بن وثيمة النصري

(٢) إنما وقعت هذه القصة للشيخ محمد بن إسماعيل أبي بكر الفرغاني أحد مشايخ الصوفية المجتهدين في العبادة، انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ج/٥٥ ص: ٨٩ وانظر أيضاً روض الرياحين ص: ٢٣٨ الحكاية: ٣٩٣.

يبق شيء يتعلق به، ولا له ملجأ، إلا الله عزوجل.

حكي: أنه جاء بعض الفقراء إلى بعض الشيوخ الذين يعرفون الاسم الأعظم، فقال له: علمني الاسم الأعظم، قال: وهل فيك أهلية لذلك قال: نعم! قال: اذهب إلى باب البلد، واجلس هناك، فما جرى من شيء هناك أعلمني به.

فخرج إلى حيث أمره، إذا شيخ حطاب قد أقبل، ومعه حمار عليه حطب، فتعرض له جندي، فأخذ حطبه، وضربه، فرجع الفقير إلى الشيخ، وهو حزين، وأخبره بالقصة، فقال: لو كنت تعرف الاسم الأعظم ماذا كنت تصنع بالجندي؟ قال: كنت أدعو عليه بالهلاك، قال: فذلك الشيخ الحطاب هو الذي علمني الاسم الأعظم (١).

(٣٠) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى: أخرجوا من النار من قال: لا إله إلاالله، وفي قلبه ذرة من الإيمان، أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله، أو ذكرني، أو خافني في مقام.

أخرجه الحاكم برواية المؤمل عن المبارك بن فضالة، وقال: صحيح الإسناد، وأقره عليه الذهبي، وقال الحاكم: قد تابع أبو داود مؤملاً على روايته، واختصره (٢).

شرح الحديث:

كم من خيرات وبركات أودع الله سبحانه وتعالى هذه الكلمة الطيبة! فالرجل الذي قد شب على الشرك، والكفر، والفسوق، والمعاصي، وشاب

(١) انظر روض الرياحين ص: ٢٣٨، الحكاية: ٣٩٣. وعلق عليها صاحب الروض (قلت: يعني: أنه لا يصلح الاسم الأعظم إلا لمن هو متصف بهذه الصفة، أعني: الصبر، والحلم، والرحمة للخلق، وسائر الصفات المحمودة التي تخلق بها أهل الاصطفاء رضي الله عنهم ونفعنا بهم آمين).

(٢) أخرجه الحاكم ج/١ ص: ١٤١ برقم: ٢٣٤/٢٣٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجا قوله: من ذكرني، أو خافني في مقام، وقد تابع أبو داود مؤملاً على روايته واختصره، وقال الذهبي مقرا له: صحيح الإسناد انتهى.

قلت: قد أشار الحاكم في كلامه إلى أن أصل الحديث قد أخرجه البخاري ومسلم، وأنه إنما استدرك عليهما زيادة: "من ذكرني أو خافني في مقام"، فقد أخرجه البخاري برقم: ٤٤ ومسلم برقم: ١٩٣ في كتاب الإيمان من كليهما.

عليها، لو أنه قال هذه الكلمة مخلصاً صادقاً، لأتت على جميع المعاصي وهدمتها، هذا، ولو أن أحداً خلط عملاً سيئاً بعد الإيمان، فإنه سيخرج من النار ببركة لا إله إلا الله في يوم من الأيام.

(٣١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي، عليه جبة من طيالسة مكفوفة بالديباج، فقال: إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع وابن راع، ويضع كل فارس وابن فارس، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مغضباً، فأخذ بمجامع ثوبه، فاجتذبه وقال: ألا أرى عليك ثياب من لا يعقل؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس، فقال:

إن نوحاً لما حضرته الوفاة، دعا ابنيه، فقال: إني قاص عليكما الوصية، آمركما باثنين، وأنهاكما عن اثنين، أنهاكما عن الشرك والكفر، وآمركما بـ "لا إله إلا الله" فإن السموات، والأرض، وما فيهما، لو وضعت في كفة الميزان، ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى، كانت أرجح منهما، ولو أن السموات، والأرض وما فيهما، كانت حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصعتهما، وآمركما بـ "سبحان الله وبحمده"، فإنهما صلاة كل شيء، وبهما يرزق كل شيء.

أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه للصقعب بن زهير، فإنه ثقة قليل الحديث اهـ، وأقره عليه الذهبي وقال: الصقعب ثقة ورواه ابن عجلان عن زيد بن أسلم مرسلاً اهـ (١).

قلت: ورواه أحمد في مسنده بزيادة فيه بطرق، وفي بعض منها: فإن السموات السبع، والأرضين السبع، كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله(٢).

(١) أخرجه الحاكم ج/١ ص: ١١٢ برقم: ١٥٤/١٥٤ كتاب الإيمان، وقال بعد أن وثق الصقعب: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن عمر يقول: سمعت عبد الرحمن بن أبي دائم يقول: سألت أبا زرعة عن الصقعب بن زهير فقال: ثقة، وهو أخو العلاء بن زهير، وهذا من الجنس الذي يقول: إن الثقة إذا وصله، لم يضره إرسال غيره، ثم أخرجه عن طريق ابن عجلان عن زيد بن أسلم مرسلاً، ووافقه الذهبي فقال: صحيح الإسناد والصقعب ثقة، ورواه ابن عجلان عند زيد بن أسلم مرسلاً انتهى.

قال عبد الرشيد: وأخرجه البخاري في الأدب المفرد بعد رقم ١٤٨عن طريق عبد الله بن مسلمة القنعبي عن عبد العزيز الدراوردي عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمرو. وهذا أيضاً إسناد منقطع كما قاله محققو المسند برقم: ٦٥٨٣.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٧١٠١ من طريق وهب بن جرير عن أبيه عن الصقعب عن زيد بن أسلم عن

وذكره المنذري في الترغيب عن ابن عمر رضي الله عنه مختصراً، وفيه: لو كانت حلقة لقصمتهن حتى تخلص إلى الله، ثم قال: رواه البزار، ورواته محتج بهم في الصحيح، إلا ابن إسحاق (١).

وهو في النسائي عن صالح بن سعيد، رفعه إلى سليمان بن يسار، إلى رجل من الأنصار، لم يسمه، ورواه الحاكم عن عبد الله، وقال: صحيح الإسناد ثم ذكر لفظه.

قلت: وحديث سليمان بن يسار يأتي في بيان التسبيح، وفي مجمع الزوائد: رواه أحمد، ورواه الطبراني بنحوه، ورواه البزار من حديث ابن عمر، ورجال أحمد ثقات (٢) وقال في رواية البزار: فيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس ثقة (٣).

شرح الحديث:

إن التنبيه الذي صدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدد الثياب، يرشد إلى الاعتناء بإصلاح الظاهر، فإن الظاهر يدل على الباطن، فمن كان مظهره غير مرضي، دل على فساد باطنه، ولذلك يأمر الشرع بتحسين الظاهر، حتى يتحسن الباطن تبعا له، ومن ثم ترى الصوفية يرشدون إلى الاهتمام بالطهارة الظاهرة من الوضوء، والغسل، وما إليهما، حتى تحصل الطهارة الباطنة.

فقول من يقول: إنما يكفينا إصلاح الباطن، ولا عبرة بصلاح الظاهر، خطأ، لأن كليهما مقصود الشرع، ولذلك ورد من الأدعية المأثورة: "اللهم

عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو. وأخرجه برقم: ٦٥٨٣ من طريق سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن الصقعب عن زيد بن أسلم قال حماد: أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو، واللفظ الذي ذكره الشيخ هو بهذا الموضع.

(١) أخرجه البزار ج/ ٨ كما في كشف الأستار برقم: ٣٠٦٩ من طريق محمد بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر قال الهيثمي في المجمع ٣٩٦/٤ باب وصية نوح: فيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وهو ثقة، وبقية رجاله رجال الصحيح، انتهى.

قلت: وقد عنعن ابن إسحاق، وقد أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١١٩/١ برواية الطبراني من طريق محمد بن إسحاق به عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ثم ذكر رواية البزار من طريق محمد بن إسحاق به عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ثم قال: والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أحمد والطبراني.

(٢) انظر مجمع الزوائد ٢٢٢/٤ كتاب الوصايا باب وصية نوح عليه الصلاة والسلام.

(٣) انظر مجمع الزوائد ٨٧/١٠ كتاب الأذكار باب: ما جاء في فضل لا إله إلا الله، وعلى كل فالحديث صحيح، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، وصححه محققو المسند.

اجعل سريرتي خيراً من علانيتي، واجعل علانيتي صالحة (١).

(٣٢) عن أنس أن أبا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو كئيب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: مالي أراك كئيباً؟ قال: يا رسول الله! كنت عند ابن عم لي البارحة، فلان، وهو يكيد بنفسه، قال: فهل لقنته لا إله إلا الله، قال: قد فعلت يا رسول الله، قال: فقالها؟ قال: نعم! قال: وجبت له الجنة. قال أبو بكر: يا رسول الله كيف هي للأحياء؟ قال: هي أهدم لذنوبهم، هي أهدم لذنوبهم.

رواه أبو يعلى(٢) والبزار، وفيه زائدة بن أبي الرقاد، وثقه القواريري وضعفه البخاري، وغيره، كذا في مجمع الزوائد (٣) وأخرج بمعناه عن ابن عباس أيضاً (٤).

قلت: وروي عن علي مرفوعاً: من قال إذا مر بالمقابر: السلام على أهل لا إله إلا الله، من أهل لا إله إلا الله، كيف وجدتم قول لا إله إلا الله، يا لا إله إلا الله، اغفر لمن قال: لا إله إلا الله، واحشرنا في زمرة من قال: لا إله إلا الله، غفر له ذنوب خمسين سنة. قيل: يا رسول الله! من لم تكن له ذنوب خمسين سنة، قال: لوالديه، ولقرابته، ولعامة المسلمين، رواه الديلمي في تاريخ همدان، والرافعي، وابن النجار، كذا في منتخب كنز العمال.

لكن روى نحوه السيوطي في ذيل اللآلئ، وتكلم على سنده وقال: الإسناد كله ظلمات، ورمي رجاله بالكذب (٥).

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات برقم: ٣٥٨٦ عن عمر بن الخطاب قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قل: اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي الحديث ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي انتهى.

(٢) أخرجه أبو يعلى برقم: ٧٠

(٣) انظر مجمع الزوائد ٣٢٦/٢ كتاب الجنائز، باب تلقين الميت لا إله إلا الله.

(٤) أخرج حديث ابن عباس بمعناه الطبراني في الكبير ٢٥٤/١٢ برقم: ١٣٠٢٤، قال الهيثمي في المجمع ٣٢٦/٢: رواه الطبراني، ورجاله ثقات إلا أن ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس انتهى.

(٥) هذا اختصار من الشيخ لكلام السيوطي، وكلامه كله في ذيل اللآلي ص: ١٥٧ كتاب الذكر والدعاء كما يلي: الأصبغ ليس بشيء، وسعد بن طريف قال ابن حبان: يضع على الفور، وميثا كذاب، وهمام والد عبد الرزاق قال العقيلي: حديثه غير محفوظ، وعبد الرزاق عمي في آخر عمره، فكان ابن أخته أحمد بن عبد الله بن داود يدلس في كتبه الأباطيل حتى رماه عباس العنبري بالكذب من أجل ذلك،

وفي تنبيه الغافلين: وروي عن بعض الصحابة: من قال لا إله إلا الله من قلبه خالصاً، ومدها بالتعظيم، كفّر الله عنه أربعة آلاف ذنب من الكبائر، قيل: إن لم يكن له أربعة آلاف ذنب، قال: يغفر من ذنوب أهله وجيرانه اهـ (١).

قلت: وروي بمعناه مرفوعاً لكنهم حكموا عليه بالوضع كما في ذيل اللآلي.

نعم يؤيده الأمر بدفن جوار الصالح، وتأذيه بجوار السوء، ذكره السيوطي في اللآلي بطرق، وورد السلام على أهل القبور بألفاظ مختلفة في كنز العمال وغيره.

شرح الحديث:

قد وردت أحاديث كثيرة بقول لا إله إلا الله في المقابر، وعند الميت، كذلك جاء في حديث: "أكثروا من قول لا إله إلا الله في الجنائز".

وفي حديث آخر: "شعار أمتي إذا حملوا على الصراط: لا إله إلا أنت "(٢)

وفي حديث آخر: "شعار المؤمنين يوم يبعثون من قبورهم: لا إله إلا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٣).

وفي حديث: "شعار المؤمنين يوم القيامة في ظلم القيامة: لا إله إلا أنت (٤)

وإن بركات هذه الكلمة المباركة: لا إله إلا الله، والإكثار منها، قد تظهر قبل الموت عند سكرة الموت، وقد تظهر لبعض عباد الله قبل ذلك.

قال أبو العباس: مرضت مرة في بلدي أشبيلية فكنت مضطجعاً على ظهري، وإذا أنا أنظر طيوراً كباراً ملونة بالأخضر، والأبيض، والأحمر، ترفع أجنحتها رفعة واحدة، وتضعها وضعا واحداً، وأشخاصاً على أيديهم أطباق مغطاة، فيها تحف، فوقع لي أنها تحفة الموت، فاستقبلتها وتشهدت، فقال لي واحد منهم: أنت ما جاء وقتك، هذه تحفة مؤمن غيرك قد جاء وقته، ولم أزل أنظر إليهم إلى أن غابوا عني.

ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال: أجلسوني، فأجلسوه

قال النسائي: فيه نظر لمن كتب عنه بآخره، وقال ابن عدي: حدّث بأحاديث لم يوافق عليها، وإبراهيم بن عبد الله الصغاني هو ابن أخي عبد الرزاق قال الدارقطني وغيره: كذاب، فالإسناد كله ظلمات انتهى.

(١) قال الفتني في تذكرة الموضوعات بعد أن أورده: فيه نعيم كذاب.
(٢) عزاه في كنز العمال إلى الطبراني عن ابن عمر
(٣) عزاه في كنز العمال إلى ابن مردويه عن عائشة
(٤) عزاه في كنز العمال إلى الشيرازي عن ابن عمرو

فقال: إلهي! أنا الذي أمرتني، فقصّرت، ونهيتني، فعصيت، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه، فأحدّ النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين قال: إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قبض (١).

رئيت زبيدة في المنام، فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفرلي بهذه الكلمات الأربع: لا إله إلا الله، أفني بها عمري، لا إله إلا الله، أدخل بها قبري، لا إله إلا الله، أخلو بها وحدي، لا إله إلا الله، ألقى بها ربي (٢).

(٣٣) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أوصني قال: إذا عملت سيئة، فأتبعها حسنة تمحها، قلت: يا رسول الله! أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: هي أفضل الحسنات.

رواه أحمد(٣) وفي مجمع الزوائد: رواه أحمد، ورجاله ثقات، إلا أن شمر بن عطية حدثه عن أشياخه، ولم يسم أحداً منهم، قال السيوطي في الدر: أخرجه أيضاً ابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات.

قلت: وأخرجه الحاكم بلفظ: يا أبا ذر اتق الله حيث كنت، وأتبع السيئة الحسنة، تمحها، وخالق الناس بخلق حسن، وقال: صحيح على شرطهما، وأقره عليه الذهبي (٤)، وذكره السيوطي في الجامع مختصراً ورقم له بالصحة.

شرح الحديث:

إن كانت السيئة صغيرة، فمحو الحسنة إياها ظاهر، وإن كانت كبيرة فقد تقدم أنها تمحى، إما بالتوبة، وإما بفضل الله تعالى ورحمته، وبالجملة، فإن كلمة

---

(١) أخرجه ابن عساكر في ترجمة عمر بن عبد العزيز ج/٤٨ ص:١٦٨- ١٦٩
(٢) إحياء العلوم٤/٥٠٨ بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين.
(٣) أخرجه أحمد برقم:٢١٤٨٧ وفي إسناده جهالة في أشياخ شمر بن عطية
(٤) أخرجه الحاكم ١٢١/١ برقم:١٧٨/١٧٨ عن أبي ذر من طريق محمد بن كثير عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، ولكن قال محققو المسند تحت رقم: ٢١٣٥٤: ميمون بن أبي شبيب لم يسمع من أبي ذر، ثم اختلف على سفيان في إسناده...، وغلط الحاكم، فصححه على شرط الشيخين انتهى.

وهذا الاختلاف هو أن وكيعاً حدثه عن الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون عن معاذ أخرجه الترمذي برقم:١٩٨٧ وأحمد برقم: ٢١٩٨٨ لكن نقل الإمام الترمذي عن شيخه محمود بن غيلان أن الصحيح حديث أبي ذر، وقال محققو مسند أحمد: وُجد ما يقوي أنه من حديث معاذ، ثم ذكروا أدلته، فانظر إلى تعليقهم على مسند أحمد برقم:٢١٩٨٨.

المحو تدل على أن تلك السيئة لا تبقى في صحيفة أعمال العبد، ولا هي تذكر على ذلك العبد في أي موقف من المواقف، فقد ورد في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه، ومعالمه من الأرض، حتى يلقى الله، وليس عليه شاهد من الله بذنب (١).

ويؤيد معنى هذا الحديث: الحديث الذي جاء فيه: التائب من الذنب كمن لا ذنب له (٢).

وإنما التوبة هي: الندم على الذنب الذي ارتكبه، والعزم القوي الجازم على أن لا يعود إليه، وقد جاء في حديث آخر: "اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، واذكر الله عزوجل عند كل حجر، وعند كل شجر، وإذا عملت سيئة، فاعمل بجنبها حسنة: السر بالسر، والعلانية بالعلانية (٣).

(٣٤) عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال: لا إله إلا الله، واحداً، أحداً، صمداً، لم يتخذ صاحبة، ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد، عشر مرات، كتبت له أربعون ألف حسنة.

أخرجه أحمد (٤) قلت: أخرج الحاكم شواهده بألفاظ مختلفة.

شرح الحديث:

قد وردت الأحاديث بفضل قول: لا إله إلا الله بعدد معين.

جاء في حديث: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه ١٦/١٦ في ترجمة الحسين بن أحمد بن سلمة بن عبد الله، وأخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ٧٥/٤ كتاب التوبة والزهد، وأشار إلى ضعفه بعلامته المعروفة.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم: ٤٢٥٠ كتاب الزهد باب ذكر التوبة، وفي إسناده انقطاع لأن أبا عبيدة، لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود، قال البوصيري: وروي من أوجه ضعيفة بهذا اللفظ انتهى، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٧٥/٢٠ برقم: ٣٧٤ عن أبي سلمة عن معاذ، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب وقال: أبو سلمة لم يدرك معاذاً، وكذلك قال الهيثمي في المجمع ٢٢١/٤، وأورده السيوطي في الجامع الصغير، ورمز لحسنه، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٦٢/٣ برقم: ١٤٧٥: هو حري بذلك، فإن له شواهد متفرقة في أحاديث عدة.

(٤) أخرجه أحمد برقم: ١٦٩٥٢ والترمذي برقم: ٣٤٧٣، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والخليل بن مرة ليس بالقوي عند أصحاب الحديث، قال محمد بن إسماعيل: هو منكر الحديث.

الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كان له كعدل رقبة أو نسمة" (١).

(٣٥) عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، أحداً صمداً، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، كتب الله له ألفي ألف حسنة.

رواه الطبراني كذا في الترغيب، وفي مجمع الزوائد: فيه فائد أبو الورقاء متروك.(٢)

شرح الحديث:

انظر إلى فضل الله عزوجل، ورحمته، ولطفه، يكتب لعبده آلافاً من الحسنات على قول كلمات خفيفة، قصيرة، لا تكلّف مؤنة، ولا تأخذ وقتاً، لكننا غافلون، ساهون، لاهثون وراء حطام الدنيا، فنبقى محرومين هذه الخيرات والبركات، والألطافَ الربانية.

وقد عين الله تبارك وتعالى بفضله على كل حسنة عشر أمثالها، إذا صدرت عن الإخلاص، ثم كلما ازداد المرء في الإخلاص، وابتغاء وجه الله عزوجل، زادت مثوبته عند الله عزوجل.

فقال رسول الله: "إذا أسلم العبد، فحسن إسلامه، كتب الله له كل حسنة، كان أزلفها، ومُحيت عنه كل سيئة كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف، والسيئة بمثلها، إلا أن يتجاوز الله عزوجل عنها "(٣).

---

(١) أخرجه أحمد عن البراء بن عازب برقم: ١٨٥١٨ بإسناد صحيح.

(٢) انظر الترغيب والترهيب ٢٤٢/٢ كتاب الأذكار، باب الترغيب في قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقد ذكره عن عبد الله بن أبي أوفى معزوا إلى الطبراني وصدره بـ "روي" وأهمل الكلام عليه في الآخر، وذلك علامة الحديث الضعيف عنده، وانظر مجمع الزوائد ٨٨/١٠ قال: رواه الطبراني وفيه فائد أبو الورقاء وهو متروك انتهى.

قلت: له شاهد من حديث جابر رضي الله عنه عند ابن عساكر ٢١٩/٤٠ في ترجمة عتيق بن عمران بن محمد ولفظه: من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً فرداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد إحدى عشرة مرة كتب الله له ألفي ألف حسنة، ومن زاد زاد الله عزوجل انتهى ولْيُنظر في رجال إسناده.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً في الإيمان، باب حسن إسلام المرء برقم: ٤١ وأسنده النسائي في الإيمان باب حسن إسلام المرء برقم: ٤٩٩٨ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإسناده صحيح قال الحافظ في الفتح: قد وصله أبو ذر الهروي في روايته للصحيح ثم ذكره.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عزوجل كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة، فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هم بها، وعملها، كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة الحديث"(١).

هـذه الأحاديث وأمثالها تدل على ما عند الله عزوجل من الجود والسخاء، والعطاء، وأن خزائنه واسعة لا تنقص، وينال منها العبد بقدر ما في نفسه من الطلب، والشوق، وذلك هو الشيء الذي رسخ في قلوب أولياء الله عزوجل، فلا يستهويها زهرة الدنيا، وإغراءاتها، اللهم اجعلني منهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس أربعة، والأعمال ستة: فموجبان، ومثل بمثل، وعشرة أضعاف، وسبع مائة ضعف، فمن مات كافراً وجبت له النار، ومن مات مؤمناً وجبت له الجنة، والعبد يعمل بالسيئة فلا يجزى إلا بمثلها، والعبد يهم بالحسنة، فيكتب له حسنة، والعبد يعمل بالحسنة، فتكتب له عشراً، والعبد ينفق النفقة في سبيل الله، فتضاعف له سبع مائة ضعف، والناس أربعة: فموسع عليه في الدنيا وموسع عليه في الآخرة، وموسع عليه في الدنيا مقتر عليه في الآخرة، ومقتر عليه في الدنيا موسع عليه في الآخرة، وشقي في الدنيا والآخرة" (٢).

وعن أبي عثمان النهدي أنه قال: بلغني عن أبي هريرة أنه قال: "إن الله يجزي المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة، فأتيته فقلت: يا أبا هريرة! إنه بلغني أنك تقول: إن الله يجزي المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة؟ قال: نعم وألفي ألف حسنة، وفي القرآن من ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، قال: الجنة" (٣).

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب: من هم بحسنة أو سيئة برقم: ٦٤٩١ ومسلم في الإيمان، برقم: ١٣١ عن ابن عباس، وله شاهد عندهما عن أبي هريرة عند البخاري في التوحيد برقم: ٧٥٠١ وعند مسلم في الإيمان برقم: ١٢٨
(٢) أخرجه الحاكم ٢/٩٦ برقم: ٦٧/٢٤٤٢ كتاب الجهاد، قال الذهبي: رواه معاوية بن عمرو الأزدي، ومسلمة تعبت عليه، فلم أعرفه انتهى، وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٣٩٦٤
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٥٨٤٨ ج/١٩، ص: ٢١٩ كتاب الزهد: كلام أبي هريرة، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وأخرجه أحمد برقم: ١٠٧٦٠، وفيه: رفع أبو هريرة ذلك إلى النبي صلى الله

ولا أدل على زيادة الأجور عند الله عزوجل من قول الله عزوجل: ﴿يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

فهل يمكن أن يُتصور قدر الأجر الذي يصفه الرب عزوجل بالعظمة.

(٣٦) عن عمر بن الخطاب رضي الله عن النبي صلى لله عليه وسلم، قال: ما منكم من أحد يتوضأ، فيبلغ، أو يسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء.

رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وقالا: فيحسن الوضوء، زاد أبو داود: ثم يرفع طرفه إلى السماء، ثم يقول فذكره.

ورواه الترمذي كأبي داود، وزاد: اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، الحديث، وتكلم فيه. كذا في الترغيب، وزاد السيوطي في الدر: ابن أبي شيبة، والدارمي (١).

شرح الحديث:

إن باباً واحداً من أبواب الجنة لكافٍ للرجل في نجاته، ونجاحه، وفوزه، فلما فُتحت له أبواب الجنة الثمانية، دل على ماله من الشرف، والمكانة، والكرامة.

جاء في الحديث: "من لقي الله تبارك وتعالى، لا يشرك به شيئاً، ولم يتندّ بدم حرام، دخل الجنة، من أي أبواب الجنة شاء"(٢).

عليه وسلم، قال محققو المسند: إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد.

قال عبد الرشيد: الموقوف أشبه عندي من المرفوع، والله أعلم بالصواب.

(١) أخرجه مسلم كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء برقم: ٢٣٤، وأبو داود كتاب الطهارة، باب: ما يقول الرجل إذا توضأ برقم: ١٧٠، والترمذي في الطهارة برقم: ٥٥ وقال: هذا حديث في إسناده اضطراب، ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء، وأخرجه ابن ماجه برقم: ٤٧٠

وأخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٢١ وبرقم: ٢٤ بإسناد آخر عن عقبة بن عامر الحديث كله، وفيه زيادة: ثم رفع رأسه إلى السماء، وأخرجه الدرامي برقم ٧١٦ بنفس سند ابن أبي شيبة زهرة بن سعيد عن ابن عمه عن عقبة القصة، وروى عقبة هذا الجزء عن عمر، كما هو المعروف في طرقه الأخرى.

وقد حسن الحافظ هذه الزيادة في نتائج الأفكار ص: ٢٤٣ على ما نقله عوامة في تعليقه على مصنف ابن أبي شيبة، قلت: وأخرجه أحمد رقم: ١٧٣٦٣ عن عقبة، وأخرجه برقم: ١٢١ في مسند عمر.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٦٣/٤ برقم: ١١/٨٠٣٤ عن عقبة بن عامر، وقال الذهبي: صحيح،

(٣٧) عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "ليس من عبد يقول: لا إله إلا الله مائة مرة، إلا بعثه الله يوم القيامة، ووجهه كالقمر ليلة البدر، ولم يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله، إلا من قال مثل قوله، أو زاد".

رواه الطبراني، وفيه عبد الوهاب بن ضحاك، متروك، كذا في مجمع الزوائد(١).

قلت: هو من رواة ابن ماجه، ولا شك أنهم ضعفوه جداً، إلاأن معناه مؤيد بروايات.

منها: ما تقدم من روايات يحيى بن طلحة، ولاشك أنه أفضل الذكر، وله شاهد من حديث أم هانئ الآتي (٢).

شرح الحديث:

قد وردت الأحاديث المختلفة بأن لا إله إلا الله، سبب لنور الوجه، ونور القلب معاً، وقد صدقه الواقع، فقد شاهدنا أن المشايخ الذين يكثرون من هذه الكلمات، تتنور وتشرق وجوههم في هذه الدنيا.

(٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "افتحوا على صبيانكم أول كلمة بـ"لا إله إلا الله"، ولقنوهم عند الموت، لا إله إلا الله، فإنه من كان أول كلامه: لا إله إلا الله، وآخر كلامه: لا إله إلا الله، ثم عاش ألف سنة، لم يُسأل عن ذنب واحد".

موضوع، ابن محموية وأبوه مجهولان، وقد ضعف البخاري إبراهيم بن

وأخرجه الحاكم بعد ذلك من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله، قال الذهبي: الأول أصح، يعني: حديث عقبة أصح، وأخرجه الطبراني في الكبير ٢/٣٠٩ أيضاً.

قال الهيثمي ١/٢٤ : رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون انتهى، وعلى كل فالحديث صحيح من طريق عقبة على الأقل.

(١) انظر مجمع الزوائد١٠/٨٩ كتاب الأذكار باب: فيمن هلل مائة أو أكثر، قال: رواه الطبراني، وفيه عبد الوهاب بن ضحاك، وهو متروك.

(٢) من هذه الروايات ما رواه أحمد برقم: ٦٧٤٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائتي مرة في يوم، لم يسبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد بعده، إلا بأفضل من عمله، وإسناده حسن.

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند البخاري برقم: ٣٢٩٣ على قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلى آخره في يوم مائة مرة وفي آخره: ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك.

مهاجر حكاه السيوطي عن ابن الجوزي (١) ثم تعقبه بقوله: الحديث في المستدرك، وأخرجه البيهقي في الشعب عن الحاكم، وقال: متن غريب لم نكتبه إلا بهذا الإسناد.

وأورده الحافظ ابن حجر في أماليه، لم يقدح فيه بشيء إلا أنه قال: إبراهيم فيه لين، وقد أخرج له مسلم في المتابعات، كذا في اللآلي (٢).

وذكره السيوطي في شرح الصدور، ولم يقدح فيه بشيء، قلت: وقد ورد في التلقين أحاديث كثيرة، ذكرها الحافظ في التلخيص، وقال: في جملة من رواها: عروة بن مسعود الثقفي، رواه العقيلي بإسناد ضعيف، ثم قال: روي في الباب أحاديث صحاح عن غير واحد من الصحابة، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين من طريق عروة بن مسعود عن أبيه عن حذيفة بلفظ: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله؛ فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا.

وروي فيه أيضاً عن عمر، وعثمان، وابن مسعود، وأنس، وغيرهم اهـ(٣)

---

(١) انظر كتاب الموضوعات لابن الجوزي طبعة دار الفكر الثانية ١٤٠٣هـ /١٩٨٣ ج/٣ ص: ٢١٩-٢٢٠ كتاب ذكر الموت باب تلقين الميت.

(٢) انظر كلام السيوطي في اللآلي المصنوعة ج/٢ ص: ٥٦٤ كتاب الموت والقبور. والحديث أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٨٢٨٢، وقال: متن غريب لم نكتبه إلا بهذا الإسناد. وعزاه صاحب كنز العمال إلى كر (ابن عساكر) في تاريخه ونقل قوله: غريب.

(٣) انظر تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ج/٢ ص: ١٠٢-١٠٣ كتاب الجنائز.

قلت: أما حديث عمر فقد تقدّم تخريجه برقم: ٢٤ وأما حديث عثمان فقد أخرجه أحمد برقم: ٤٤٧ أن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه، إلا حرم على النار، فقال له عمر بن الخطاب: أنا أحدثك ما هي: هي كلمة الإخلاص، التي ألزمها الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وهي كلمة التقوى، التي ألاص عليها نبي الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب عند الموت، شهادة أن لا إله إلا الله، وإسناده قوي.

وأما حديث ابن مسعود فأخرجه الطبراني في الكبير ١٠/٢٣٣، برقم: ١٠٤١٧٦ قال الهيثمي في المجمع ٢/٣٢٦: إسناده حسن.

وأما حديث أنس فله حديثان، أخرجهما البزار انظر كشف الأستار ١/٣٧٢ برقم: ٧٨٦ و: ٧٨٧ ولفظ الأول: عن أنس أن أبا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو كئيب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: مالي أراك كئيباً قال: يا رسول الله كنت عند ابن عمي البارحة، وهو يكيد بنفسه، فقال: هل لقنته لا إله إلا الله، قال: قد لقنته قال: فقالها؟ قال: نعم قال: وجبت له الجنة، قال أبو بكر: يا رسول الله فكيف هي للأحياء؟ فقال: هي أهدم لذنوبهم، هي أهدم لذنوبهم، ثلاثاً قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٣٢٦: رواه أبو يعلى، والبزار، وفيه زائدة بن أبي الرقاد وثقه القواريري، وضعفه البخاري وغيره انتهى ←

وفي الجامع الصغير: "لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله"، رواه أحمد، ومسلم، والأربعة، عن أبي سعيد، ومسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة، والنسائي عن عائشة، ورقم له بالصحة (١).

وفي الحصن: إذا أفصح الولد، فليعلمه لا إله إلا الله، وفي الحرز: رواه ابن السني عن عمرو بن العاص اهـ.

قلت: ولفظه في عمل اليوم والليلة عن عمرو بن شعيب: وجدت في كتاب جدي الذي حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أفصح أولادكم، فعلموهم: لا إله إلا الله، ثم لا تبالوا، متى ماتوا، وإذا أثغروا فمروهم بالصلاة (٢).

وفي الجامع الصغير برواية أحمد، وأبي داود، والحاكم، عن معاذ: "من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة"، ورقم له بالصحة (٣).

وفي مجمع الزوائد عن علي: "من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، لم يدخل النار (٤) وفي غير رواية مرفوعة: "من لقن عند الموت: لا إله إلا الله دخل الجنة" (٥).

وأما لفظ الثاني فهو: عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من بني النجار فقال: يا خال قل: لا إلا إله الله قال: خال أم عم؟ قال: بل خال قال: وخير لي أن أقولها؟ قال: نعم، قال الهيثمي في المجمع ٣١٨/٢: رواه أبو يعلى والبزار، ورجاله رجال الصحيح.

(١) أخرج حديث أبي سعيد الخدري مسلم برقم: ٩١٦-١ وأبو داود برقم: ٣١١٧ والترمذي برقم: ٩٧٦، والنسائي في المجتبى٤/٥، أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه مسلم برقم: ٩١٧ وابن ماجه برقم: ١٤٤٤، وأما حديث عائشة فقد أخرجه النسائي في المجتبى كتاب الجنائز باب تلقين الميت ١٨٢٧ بلفظ: لقنوا هلكاكم قول: لا إله إلا الله.

(٢) انظر: عمل اليوم والليلة لابن السني باب: ما يلقن الصبي إذا أفصح بالكلام ص: ٢٥٤ برقم: ٤٢٣.

(٣) أخرجه أحمد برقم: ٢٢٠٣٤ والحاكم ٥٠٣/١ برقم: ٣٦/١٢٩٩ وصححه، ووافقه الذهبي، قال الحافظ في تلخيص الحبير ١٠٣/٢: أعله ابن القطان بصالح بن أبي عريب، وأنه لا يعرف، وتعقب بأنه روى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في الثقات انتهى.

(٤) انظر مجمع الزوائد ٣٢٦/٢ كتاب الجنائز باب تلقين الميت لا إله إلا الله وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو بلال الأشعري، ضعفه الدارقطني انتهى.

قلت: هو في المعجم الأوسط برقم: ٥٧٤ وقال الطبراني بعد روايته: لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا أبو الأحوص انتهى، وقد تُكلم في عطاء بن السائب لاختلاطه.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة برقم: ١٠٩٧٢ من ترقيم عوامة عن عبد الله بن جعفر أن رجلاً اشتكى، فقال: لقنوه لا إله إلا الله، فإنها من كانت آخر كلامه دخل الجنة.

وأخرج أحمد برقم: ١٥٨٩٤ عن رجل من الصحابة مرفوعاً: من لقن عند الموت لا إله إلا الله

شرح الحديث:

التلقين: هو أن يقال عند المحتضر: لا إله إلا الله، حتى يسمعها، ويقولها، ولا ينبغي أن يُكره على قولها بالمطالبة، والإصرار، فإنه يعاني عند ذلك من شدة الموت، وسكرته.

وقد وردت في تلقين لا إله إلا الله أحاديث صحيحة، ففي الحديث: "لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله، فإنها تهدم الخطايا، كما يهدم السيل البنيان" (١)

وفي حديث: "من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله، ختم له بها دخل الجنة" (٢)

وفي حديث: "لم يختم به لمنافق" (٣).

وفي حديث: "زوّدوا موتاكم: لا إله إلا الله" (٤).

وفي حديث: "من ربى صغيراً حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله" (٥)

وفي حديث: "من كان يحافظ على الصلوات، دنا منه الملك، ودفع عنه الشيطان، ويلقنه الملك: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وذلك الحال العظيم" (٦)

لكن التجربة شهدت بأن التلقين، إنما ينفع الرجل الذي كان يكثر من قول هذه الكلمة الطيبة في حياته، ويُحكى: أن رجلاً كان يبيع الحشيش، فلما حضره الموت، لقنوه لا إله إلا الله، فجعل يقول: هذه الحُزمة بكذا، وتلك

دخل الجنة. قال محققوه: حديث صحيح لغيره.

(١) عزاه صاحب كنز العمال إلى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢٣٣٢٤ عن حذيفة بن اليمان.

(٣) عزاه في كنز العمال إلى أبي القاسم القشيري في أماليه عن أبي هريرة.

(٤) عزاه السيوطي في الجامع الصغير والهندي في كنز العمال إلى الحاكم في تاريخه عن أبي هريرة.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٤٨٦٥ عن عائشة رضي الله عنها، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٢/٨: فيه سليمان بن داود الشاذكوني وهو ضعيف، وأخرجه ابن عدي في ترجمة سليمان الشاذكوني، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم: ٤١٨٨ ج/٤ ص: ٢٢٠ عن الحارث بن الخزرج يقول: حدثني أبي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عليه السلام، عند رأس رجل من الأنصار، فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي، والحديث طويل، وهذا الذي ذكره المصنف الطرف الأخير منه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٨/٢-٣٢٩ وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه عمرو بن شمر الجعفي والحارث بن الخزرج، ولم أجد من ترجمهما، وبقية رجاله رجال الصحيح، وروى البزار منه إلى قوله: واعلم أني بكل مؤمن رفيق انتهى

هذا، وقد روي في تلقين الميت أحاديث، منها حديثان في صحيح مسلم، أحدهما عن أبي سعيد والآخر عن أبي هريرة برقم: ٩١٦-٩١٧: لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله انتهى، وقال المناوي في فيض القدير برقم: ٧٣٠١: قال السيوطي: وهذا متواتر، ولم يخرجه البخاري انتهى.

بكذا، وحكى صاحب نزهة البساتين أمثال هذه الحكايات (١).

والمشاهدة تؤيدها كذلك، فإن هناك بعض المعاصي تحول دون قول لا إله إلا الله عند الموت.

وقد قال العلماء: إن الأفيون يتسبب إلى سبعين ضرراً، منها: أن مدمنها يُحرم عند موته قول لا إله إلا الله، وينساها، وفي مقابل ذلك، ففي السواك سبعون فائدة، منها: أن فاعله يتذكر عند موته لا إله إلا الله.

ويحكى: أن رجلاً حضره الموت، فلقن لا إله إلا الله، فقال: اُدعوا الله عزوجل لي، فإن لساني لا يطاوعني في قولها، فقال الناس: ما الشأن في ذلك؟ فقال: كنت أطفف الكيل.

ويحكى: أن رجلاً لقن الشهادة عند موته، فقال: لا أستطيعها، فسأله الناس عن السبب، فقال: جائتني امرأة لتشتري مني المنديل، فأعجبتني، فأطلت النظر إليها. وهناك حكايات أخرى من هذا النوع، ذكر بعضها صاحب التذكرة القرطبية.

فيجب على العبد أن يتوب إلى الله عزوجل من الذنوب، ويستغفره ويسأله التوفيق دوما.

(٣٩) عن أم هانئ رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله، لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنباً (٢).

رواه ابن ماجه، كذا في منتخب كنز العمال.

قلت: وأخرجه الحاكم في حديث طويل، وصححه، ولفظه: قول لا إله إلا الله لا يترك ذنباً، ولا يشبهها عمل اهـ (٣).

---

(١) انظر روض الرياحين ص: ١٢٩–١٣٠ الحكاية ١٥٤– ١٥٥ و"نزهة البساتين" إنما هي الترجمة الأردية من كتاب "روض الرياحين".

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم: ٣٧٩٧ كتاب الأدب باب فضل لا إله إلا الله، قال البوصيري: في إسناده زكريا بن منظور، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه الحاكم ١/٦٩٥ برقم: ١٨٩٣/٩٣ كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: زكريا ضعيف، وسقط من بين محمد ابن عقبة الراوي عن أم هانئ وأم هانئ انتهى.

قلت: له إسناد آخر عند أحمد برقم: ٢٧٣٩٣ والطبراني ٢٤/٤٣٤ برقم: ١٠٦١ بمثل حديث

وتعقب عليه الذهبي بأن زكريا ضعيف وسقط بين محمد وأم هانئ، وذكره في الجامع برواية ابن ماجه، ورقم له بالضعف.

شرح الحديث:

قوله: "لا إله إلا الله لا يسبقها عمل" ظاهر لا يحتاج إلى بيان، فإن أي عمل من الأعمال لا ينفع بدون هذه الكلمة المباركة، فالصلاة، والزكاة والصيام، والحج، وغيرها من الأعمال، تحتاج إلى هذه الكلمة، فإنها إنما تصعد إلى الله سبحانه وتعالى، وتقبل عنده مصحوبة بالإيمان، وأما الإيمان، وهو يظهر بقول لا إلا إله إلا الله، فلا يحتاج إلى أي شيء، فالشخص الذي يحمل الإيمان، وليس عنده زاد من الأعمال، يدخل الجنة إن شاء الله تعالى يوماً من الأيام، وأما الرجل الذي ليس في قلبه إيمان، فلا ينجو أبداً، مهما عمل من الحسنات، وأعمال البر، والخير.

وأما قوله: "لا تترك ذنباً" فلو أن رجلاً آمن في آخر عهده بالدنيا وقال: لا إله إلا الله، ومات بعد قولها، فالظاهر أن كل ما ارتكب في حياته من المعاصي والآثام قد هدمها الإيمان. وإن كان قد قالها في الحياة بعد أن آمن، وعاش بعد قولها، فوجه ذلك: أن هذه الكلمة ذريعة إلى صفاء القلوب، وصقلها، فإذا

الحاكم، وفيه: قول لا إله إلا الله مائة مرة لا تذر ذنباً ولا يسبقه العمل، وهذا الإسناد فيه ضعف أيضاً من أجل أبي معشر، ولجهالة صالح مولى وجزة الراوي عن أم هانئ. وله إسناد ثالث عند أحمد برقم: ٢٦٩١١ بمثله وفيه: وهللي الله مائة تهليلة. قال ابن خلف (الراوي): أحسبه قال: تملأ ما بين السماء والأرض ولا يرفع يومئذ لأحد مثل عملك إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به، وهذا فيه أيضاً ضعف من أجل أبي صالح باذام مولى أم هانئ، وموسى بن خلف وعاصم بن بهدلة حسنا الحديث، قاله محققو المسند. وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٦٣١٣ من طريق أبي صالح عن أم هانئ ولفظه: قولي: لا إله إلا الله مائة مرة فهو خير لك مما أطبقت عليه السماء والأرض، ولا يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل مما يرفع لك، إلا من قال مثل ما قلت، أو زاد، وليس في هذا الإسناد موسى بن خلف وعاصم بن بهدلة.

وله شاهد من حديث أبي أمامة قال: سألت أم هانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إني امرأة ثقيلة، فعلمني دعوات ينفعني الله بهن، قال: قولي: سبحان الله مائة مرة تعدل مائة رقبة تعتق لله عزوجل، واحمدي الله مائة مرة تعدل، مائة فرس ملجم يحمل عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة مرة تعدل مائة بدنة مقلدة تهدى إلى بيت الله، ووحدي الله مائة مرة لا يدركك ذنب بعد الشرك، أخرجه الطبراني في الكبير ١/٢٢٠ برقم: ٨٠٢٤ و أورده الهيثمي في المجمع ١٠/٩٥ باب ما جاء في الباقيات الصالحات معزوا إلى الطبراني، وقال: فيه فضال بن جبير، وهو ضعيف، انتهى.

وعلى كل فالحديث بأسانيده المختلفة مقرونا بشاهد أبي أمامة حسن.

أكثر العبد من قولها، حصل له صفاء القلب وجلاؤها، فلا يقرّ له قرار، ولا يطمئن له بال، حتى يتوب إلى الله عزوجل من معاصيه توبة صادقة، فتصبح هذه الكلمة في المآل سببا لمغفرة الذنوب.

(٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

رواه الستة، وغيرهم، بألفاظ مختلفة واختلاف يسير في العدد وغيره(١)، وهذا آخر ما أردت إيراده في هذا الفصل رعاية لعدد الأربعين، والله الموفق لما يحب، ويرضى.

شرح الحديث:

خص رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء بالذكر من بين الشعب الأخرى لمزيد الاهتمام، فإنه يردع صاحبه عن كثير من المعاصي: من الزنى، والسرقة، والفواحش، والتعري أمام الناس، والسب، والشتم، وكذلك يحثه على فعل ما يلام على تركه، فالحياء في الواقع سبب لجميع الصالحات والحسنات، وقد جاء في الحديث الصحيح: "إذا لم تستحي فاصنع ما شئت". (٢) يعني: إذا لم يكن عند الرجل شيء من الحياء، يقع في المعاصي، والفواحش بكل وقاحة، ولا يبالي بما يقول عنه الناس، ولا يذكر مقامه بين يدي الله عزوجل يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٩ ومسلم برقم: ٣٥ وأبو داود برقم: ٤٦٧٦ والنسائي ٨/١١٠ وابن ماجه برقم: ٥٧ وأحمد برقم: ٩٣٦١، وأما الاختلاف الذي أشار إليه الشيخ، فقد قال البيهقي في شعب الإيمان في أوله: هذا شك وقع من سهيل بن أبي صالح في بضع وستين أو في بضع وسبعين، وسليمان ابن بلال قال: بضع وستون، لم يشك فيه، وروايته أصح عند أهل العلم بالحديث، غير أن بعض الرواة عن سهيل رواه من غير شك، قال: بضع وسبعون. ثم ساق إسناده، ثم قال: وهذا زائد، فأخذ به صاحب كتاب المنهاج في تقسيم ذلك على سبعة وسبعين باباً بعد بيان صفة الإيمان، وبالله التوفيق انتهى قول البيهقي.

قلت: قول البيهقي "وسليمان بن بلال قال: بضع وستون ولم يشك فيه" يعكر عليه ما رواه مسلم برقم: ٣٥ (٥٧) من طريقه بلفظ: بضع وسبعون شعبة من غير شك.

(٢) رواه البخاري برقم: ٣٤٨٣ و: ٦٠٢٠ عن أبي مسعود البدري ولفظه: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.

قد جاء في هذا الحديث عدد شعب الإيمان بضعاً وسبعين، وقد اختلفت الروايات في ذلك، جاء في بعضها عدد سبع وسبعين (١).

وقد ألف بعض العلماء في تفصيل هذه الشعب كتباً مفردة.

يقول الإمام أبو حاتم بن حبان:

"قد تتبّعتُ معنى الخبر مدة، وذلك أن مذهبنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم قط إلا بفائدة، ولا من سننه شيء لا يعلم معناه، فجعلت أعد الطاعات من الإيمان، فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئاً كثيراً.

فرجعت إلى السنن، فعددت كل طاعة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان، فإذا هي تنقص من البضع والسبعين، فرجعت إلى ما بين الدفتين من كلام ربنا، وتلوته آية آية بالتواتر، وعددت كل طاعة عددها الله جلا وعلا من الإيمان، فإذا هيَ تنقص عن البضع والسبعين.

فضممت الكتاب إلى السنن، وأسقطت المعاد منها، فإذا كل شيء عدده الله جلا وعلا من الإيمان في كتابه، وكل طاعة جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان في سننه، تسع وسبعون شعبة، لا يزيد عليها، ولا ينقص منها شيء، فعلمت أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم كان في الخبر: أن الإيمان بضع وسبعون شعبة في الكتاب والسنة، فذكرت هذه المسألة بكمالها بذكر شعبه في كتاب "وصف الإيمان وشعبه" بما أرجو أن فيها الغنية للمتأمل إذا تأملها، فأغنى ذلك من تكرارها في هذا الكتاب"(٢).

وقال القاضي عياض: "لو تكلف حصرها بطريق الاجتهاد، وتعيينها بغلبة الظن، لأمكن، وقد أشار إلى نحو هذا بعض من تقدم، وعليه بنى الفقيه إسحاق بن إبراهيم القرطبي كتابه المسمى بـ"النصائح" ولكن القطع أن تعيين ما نقحه الاجتهاد، وترتيبه على تلك الأبواب، هو مراد النبي صلى الله عليه وسلم يصعب، ولن يعدم من يرتب ترتيباً آخر، ويداخل بعض الأبواب في بعض، ويفصل بعض الأقسام من بعض... ولا يلزم معرفة تعيينها، ولا يقدح جهل

---

(١) قال الحافظ في الفتح: لأبي عوانة في صحيحه من طرق: ست وسبعون أو سبع وسبعون انتهى.

(٢) انظر صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان بعد الحديث برقم: ١٦٧.

ذلك في الإيمان، إذ أصول الإيمان، وفروعه، معلومة محققة، والإيمان بأنها هذا العدد من الحديث واجب على الجملة، وتفصيل تلك الأصول، وتعيينها على هذا العدد، يحتاج إلى توقيف (١).

وقال الخطابي: "إنها منحصرة في علم الله، وعلم رسوله صلى الله عليه وسلم، وموجودة في الشريعة، مفصلة فيها، غير أن الشرع لم يوقفنا على أشخاص تلك الأبواب، ولا عيَّن لنا عددها، ولا كيفية انقسامها، وذلك لا يضرنا في علمنا بتفاصيل ما كلفنا به من شريعتنا ولا في عملنا (٢).

وقال الإمام النووي: قد نبه صلى الله عليه وسلم على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته، وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين، من إماطة الأذى عن طريقهم، ويقي بين هذين الطرفين أعداد (٣).

وقال: إن الكلام في تعيين هذه الشعب يطول، وقد صُنفت في ذلك مصنفات، ومن أغزرها فوائد: كتاب المنهاج لأبي عبد الله الحليمي إمام الشافعيين ببخارى، وكان من رفعاء أئمة المسلمين، وحذا حذوه الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه الجليل الحفيل كتاب شعب الإيمان (٤).

وكذلك صنف الشيخ عبد الجليل كتاباً في ذلك أسماه "شعب الإيمان".

وصنف إسحاق بن إبراهيم القرطبي "كتاب النصائح"، وسمى أبو حاتم كتابه في هذا الباب: "وصف الإيمان وشعبه".

وقد لخص شراح البخاري الكلام فيه من مختلف الكتب.

وحاصلها: أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن، فأعمال القلب فيه المعتقدات، والنيات، وتشتمل على ثلاثين خصلة.

الأول: الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته، وصفاته، وتوحيده بأنه

(١) انظر إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض تحت هذا الحديث برقم: ٣٥ وكأن القاضي ردّ على ابن حبان وغيره ممن تكلفوا حصرها وتعيينها والله أعلم.
(٢) انظر دليل القالحين شرح رياض الصالحين لابن علان ١٣٢/٢ باب بيان كثرة طرق الخير.
(٣) هذا الكلام إنما عزاه النووي إلى القاضي عياض في شرح مسلم.
(٤) هذا الكلام إنما عزاه الإمام النووي إلى الشيخ ابن الصلاح انظر شرح النووي لصحيح مسلم على الحديث برقم: ٣٥

ليس كمثله شيء.

الثاني: اعتقاد حدوث ما دونه.

الثالث: والإيمان بملائكته.

الرابع: الإيمان بكتبه.

الخامس: ورسله.

السادس: والقدر خيره وشره.

السابع: الإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث والنشور، والحساب، والميزان، والصراط.

الثامن: الإيمان بالجنة.

التاسع: الإيمان بالنار.

العاشر: محبة الله تعالى.

الحادي عشر: الحب والبغض في الله،

الثاني عشر: محبة النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه، واتباع سنته.

الثالث عشر: الإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق.

الرابع عشر: التوبة.

الخامس عشر: الخوف.

السادس عشر: الرجاء.

السابع عشر: عدم اليأس من رحمة الله عزوجل.

الثامن عشر: الشكر.

التاسع عشر: الوفاء.

العشرون: الصبر.

الحادي والعشرون: التواضع، ويدخل فيه توقير الكبير.

الثاني والعشرون: الشفقة والرحمة.

الثالث والعشرون: الرضاء بالقضاء.

الرابع والعشرون: التوكل.

الخامس والعشرون: ترك الكبر والعجب .

السادس والعشرون: ترك الحسد، وترك الحقد.

السابع والعشرون: الحياء.

الثامن والعشرون: ترك الغضب .

التاسع والعشرون: ترك الخدع، ويدخل فيه الظن، والمكر.

الثلاثون: ترك حب الدنيا، ويدخل فيه حب المال والجاه.

القسم الثاني: أعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال:

الأول: التلفظ بالتوحيد.

الثاني: تلاوة القرآن.

الثالث: تعلم العلم.

الرابع: تعليم العلم.

الخامس: الدعاء.

السادس: الذكر، ويدخل فيه الاستغفار.

السابع: اجتناب اللغو.

القسم الثالث: أعمال البدن وهي تشتمل على أربعين خصلة، ولها ثلاثة أنواع:

الأول: ما يتعلق بالأعيان، وهي ست عشرة خصلة:

الأول: التطهير حسا وحكماً، ويدخل فيه اجتناب النجاسات.

الثاني: الصلاة فرضاً ونفلاً.

الثالث: الزكاة، والصدقات النافلة.

الرابع: الصيام فرضاً ونفلاً.

الخامس: الحج، والعمرة، والطواف.

السادس: الاعتكاف، ويدخل فيه التماس ليلة القدر.

السابع: الفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك.

الثامن: الوفاء بالنذر .

التاسع: التحري في الأيمان.

العاشر: أداء الكفارات.

الحادي عشر: ستر العورة.

الثاني عشر: تقديم الأضحية، وتعهدها، والاهتمام بأمرها.

الثالث عشر: تجهيز الجنازة، وتكفينها، وتدفينها.

الرابع عشر: أداء الدين.

الخامس عشر: تصحيح المعاملات، ويدخل فيه اجتناب الربا.

السادس عشر: أداء الشهادات.

النوع الثاني: ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال:

الأول: التعفف بالنكاح.

الثاني: القيام بحقوق العيال.

الثالث: بر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق.

الرابع: تربية الأولاد.

الخامس: صلة الأرحام.

السادس: طاعة السادة، والرفق بالعبيد.

النوع الثالث: ما يتعلق بالعامة هي ثماني عشرة خصلة:

الأول: القيام بالإمرة مع العدل.

الثاني: متابعة الجماعة.

الثالث: طاعة أولي الأمر إلا في المعصية.

الرابع: الإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة.

الخامس: المعاونة على البر.

السادس: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

السابع: إقامة الحدود.

الثامن: الجهاد، ومنه المرابطة.

التاسع: أداء الأمانة، ومنه أداء الخمس.

العاشر: القرض، وأداء القرض.

الحادي عشر: إكرام الجار.

الثاني عشر: حسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله.

الثالث عشر: إنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف.

الرابع عشر: ردّ السلام.

الخامس عشر: تشميت العاطس.

السادس عشر: كف الأذى عن الناس.

السابع عشر: اجتناب اللهو.

الثامن عشر: إماطة الأذى عن الطريق.

فهذه سبع وسبعون خصلة، ويمكن ضم بعضها إلى بعض، توجيها لرواية السبعين أو بضع وسبعين.

وإنني اعتمدت في تفصيل هذه الشعب على عمدة القاري للعلامة العيني، فإنه قد ذكرها بالترقيم، وزدتها إيضاحاً من فتح الباري للحافظ ابن حجر، والمرقاة للعلامة علي القاري.

وينبغي للمكلف أن يتدبر، ويتفكر في هذه الخصال، وهل يطبقها على نفسه وحياته أم لا؟ ويشكر الله عزوجل على ما يجدها في حياته، ويسأله التوفيق لما يعدمها، ويسعى لها، وما توفيقي إلا بالله.



الباب الثالث:

في الذكر الفاطمي

وهو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وجاء في بعض الروايات معها لا حول ولا قوة إلا بالله، وقد وردت الأحاديث بفضلها، وتُعرف بالذكر الفاطمي، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لقنها بنته الحبيبة، وبضعة قلبه: فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وقد جاءت الإشارة إليها في كلام الله تعالى أيضاً، لذلك قسمت هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول:

في آيات القرآن التي تشتمل على معاني التسبيح، والتحميد، والتكبير.

ومعلوم أنه كلما كان الأمر أهم، حث عليه، واهتم به، بقدر ما يحمل من الأهمية، والعظمة، ومن هنالك جاءت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم تشير إلى معاني التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، بأساليب مختلفة من الخبر، أو الإنشاء، ومن التأكيد، والترغيب فيها، أو ذكرها على لسان الملائكة وعباد الله الصالحين، أو نسبتها إلى الخلائق، وهلم جرا. وإليك بعضها فيما يلي:

١. ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

٢. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

٣. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

٤. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٥. ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١].

٦. ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].

٧. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

٨. ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٩. ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠٦].

١٠. ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣١].

١١. ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [التوبة : يونس ١٠].

١٢. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس : ١٨].

١٣. ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [يونس : ٦٨].

١٤. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف : ١٠٨].

١٥. ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد : ١٣].

١٦. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر : ٩٧- ٩٩].

١٧. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل : ١].

١٨. ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل : ٥٧].

١٩. ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [بني إسرائيل : ١].

٢٠. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [بني إسرائيل : ٤٣].

٢١. ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [بني إسرائيل : ٤٤].

٢٢. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [بني إسرائيل : ٤٤].

٢٣. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً﴾ [بني إسرائيل : ٩٣].

٢٤. ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾ [بني إسرائيل : ١٠٨].

٢٥. ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم : ١١].

٢٦. ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ [مريم : ٣٥].

٢٧. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه : ١٣٠].

٢٨. ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٠].

٢٩. ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٢].

٣٠. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٦].

٣١. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء : ٧٩].

٣٢. ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧].

٣٣. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون : ٩١].

٣٤. ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور : ١٦].

٣٥. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ، رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور : ٣٧].

٣٦. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور : ٤١].

٣٧. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان : ١٨].

٣٨. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٨].

٣٩. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل : ٨].

٤٠. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص : ٦٨].

٤١. ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم : ١٧-١٨].

٤٢. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم : ٤٠].

٤٣. ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة : ١٥].

٤٤. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب : ٤٢].

٤٥. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [السبا : ٤١].

٤٦. ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [يس : ٣٦].

٤٧. ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس : ٨٣].

٤٨. ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات : ١٤٤].

٤٩. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات : ١٥٩].

٥٠. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات : ١٦٦].

٥١. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات : ١٨٠ - ١٨٢]

٥٢. ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص : ١٨ - ١٩].

٥٣. ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر : ٤].

٥٤. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر : ٦٧].

٥٥. ﴿وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر : ٧٥].

٥٦. ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [المؤمن /الغافر : ٧].

٥٧. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [آل عمران : ٤١].

٥٨. ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ﴾ [حم السجدة : ٣٨].

٥٩. ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى : ٥].

٦٠. ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف : ١٣].

٦١. ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف : ٨٢].

٦٢. ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح : ٩].

٦٣. ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق : ٣٩-٤٠].

٦٤. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور : ٤٣]

٦٥. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور ٤٨-٤٩]

٦٦. ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة : ٧٤].

٦٧. ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة : ٩٤]

٦٨. ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد : ١]

٦٩. ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر : ١]

٧٠. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر : ٢٣].

٧١. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر : ٢٤]

٧٢. ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف : ١]

٧٣. ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة : ١]

٧٤. ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن : ١]

٧٥. ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم : ٢٨-٢٩]

٧٦. ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ، قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم : ٢٨ - ٢٩]

٧٧. ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة : ٥٢]

٧٨. ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً، وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [الدهر /الإنسان : ٢٥-٢٦].

٧٩. ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى : ١]

٨٠. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر : ٣]

هذه ثمانون آية في الأمر بالتسبيح ، والحث عليه ، فهل يبقى بعد ذلك من شك في جلالته ، وأهميته؟ وكثير من هذه الآيات قد ذكرت التسبيح مقروناً بالتحميد ، وقد ذكرته الآيات الأخرى أيضاً ، ولا أدل على فضل التحميد من أن الله عزوجل افتتح كتابه الكريم بـ الحمد لله رب العالمين.

١. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة : ٢]

٢. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام : ١]

٣. ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ٤٥]

٤. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف : ٤٣]

٥. ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف : ١٥٧]

٦. ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ١١٢]

٧. ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس : ١٠]

٨. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم : ٣٩]

٩. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٧٥]

١٠. ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [بني إسرائيل : ٥٢]

١١. ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء : ١١١]

١٢. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾ [الكهف : ١]

١٣. ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون : ٢٨]

١٤. ﴿وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل : ١٥]

١٥. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل : ٥٩]

١٦. ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل : ٩٣]

١٧. ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص : ٧٠]

١٨. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٣]

١٩. ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان : ١٢]

٢٠. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان : ٢٥]

٢١. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان : ٢٦]

٢٢. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾ [السبا : ١]

٢٣. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفاطر : ١]

٢٤. ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الفاطر : ١٥]

٢٥. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [الفاطر : ٣٤-٣٥]

٢٦. ﴿وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات : ١٨١-١٨٢]

٢٧. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٢٩]

٢٨. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر : ٧٤]

٢٩. ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية : ٣٦]

٣٠. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البروج : ٨-٩].

إن هذه الآيات حثت على حمد الله عزوجل ، بطرق مختلفة ، وقد وردت أحاديث في فضل الحامدين لله عزوجل.

جاء في حديث: "أول من يُدعى إلى الجنة: الذين يحمدون الله في السراء والضراء"(١).

وجاء في حديث: "ما من شيء أحب إلى الله من الحمد" (٢).

والواقع أنه لا يستحق الحمد إلا الله عزوجل الذي بيده كل شيء، ولا يستحقه غيره الذي لا يملك نقيراً ولا قطميراً، حتى إن نفسه ليست في يده.

وجاء في حديث: "إن خير عباد الله يوم القيامة الحمادون" (٣).

وجاء في حديث: "الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبدٌ لا يحمده".

وجاء في حديث: "الحمد على النعمة أمان لزوالها" (٤).

وجاء في حديث: "لو أن الدنيا كلها بحذافيرها بيد رجل من أمتي، ثم قال: الحمد لله، لكان الحمد أفضل من ذلك كله" (٥).

وفي حديث قال: "ما من عبد ينعم عليه نعمة، فيحمد الله إلا كان الحمد أفضل منها".

وجاء في حديث: "أنه سمع رسول الله صلى الله وسلم رجلاً يقول: الحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صاحب الكلمة؟ فسكت الرجل، ورأى أنه قد هجم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء يكرهه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هو؟ فإنه لم يقل إلا الصواب، فقال رجل: أنا قلتها يا رسول الله، أرجو بها

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ٦٨١/١برقم: ٥١/١٨٥ ومن طريقه أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٤٠٦٣ وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وتعقبا بأن حبيب بن أبي ثابت مدلس، وقد عنعن، وأخرجه البزار برقم: ٣١١٤ من طريق حبيب، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد٩٨/١٠.

(٢) أخرجه أبو يعلى برقم: ٤٢٥٦ والبيهقي في الشعب برقم: ٤٠٥٨ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢/٨: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أحمد برقم: ١٩٨٩٥ عن مطرف قال: قال لي عمران: إني لأعلمك بالحديث اليوم لينفعك الله به بعد اليوم: اعلم أن خير عباد الله...... ثم ذكر كلاما طويلا لا يعقل ولا يُدرك بالرأي، وإنما يعرف بالتوقيف، قال الهيثمي في مجمع الزوائد٩٨/١٠: رواه أحمد موقوفا وهو شبه المرفوع، ورجاله رجال الصحيح انتهى، وقد أخرجه الطبراني في الكبير ١٢٤/١٨ برقم: ٢٥٤ عن عمران عن رسول الله مرفوعا، لكن قال الهيثمي٩٨/١٠: فيه من لم أعرفه انتهى.

(٤) عزاه الهندي في كنز العمال إلى البيهقي في الشعب عن عمر. ولم أظفر به

(٥) أخرجه ابن عساكر عن أنس في تاريخ دمشق في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن همام.

الخير، فقال: والذي نفسي بيده لقد أريت ثلاثة عشر ملكاً يبتدرون كلماتك أيهم يرفعها إلى الله تبارك وتعالى (١).

وفي الحديث المشهور: "كل أمر ذي بال لا يحمد فيه بالحمد لله، فهو أقطع" (٢)

ومن ثم جرت عادة العلماء أنهم يفتتحون مصنفاتهم بالحمد لله وذكره.

وجاء في حديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم! فيقول: قضبتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم! فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد.(٣)

وجاء في حديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، فيحمده عليها، أو يشرب الشربة، فيحمده عليها"(٤).

وأما التكبير فقد تضافرت فيه كذلك الآيات، وقد مضت بعضها، ونذكر بعضها الأُخر فيما يلي:

١. ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

٣. ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرْ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

٤. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

٥. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

٦. ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [السبا: ٢٣].

٧. ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمن/الغافر: ١٢].

(١) أخرجه البيهقي في الشعب عن جابر برقم: ٤٠٩٢ مرفوعاً. قال العجلوني في كشف الخفاء: الحديث حسن.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة برقم: ٤٠٦٢.

(٣) أخرجه الترمذي في الجنائز عن أبي موسى الأشعري برقم: ١٠٢ وقال: هذا حديث حسن غريب واسم أبي سنان: عيسى بن سنان.

(٤) أخرجه الترمذي في الأطعمة برقم: ١٨١٦ عن أنس بن مالك، وقال: هذا حديث حسن.

٨. ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧].

٩. ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

إن هذه الآيات تحث على تكبير الله عزوجل، وقد وردت أحاديث في ذلك بوجه خاص، فجاء في حديث: "إذا رأيتم الحريق فكبروا، فإن التكبير يطفئه"(١)

وجاء في حديث: "إذا كبر العبد سترت تكبيرته ما بين السماء والأرض". (٢)

وجاء في حديث: "أمرني جبريل أن أكبر". (٣)

وهناك آيات أخرى ما جاءت فيها كلمات التسبيح، والتحميد، والتهليل إلا أن المراد بها تلك، ومنها قوله تعالى:

١: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

قد وردت هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه أحاديث، منها: ما روي عن عبد الله بن زيد قال: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب عملت سوء، وظلمت نفسي فاغفرلي إنك أنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب عملت سوء وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك

---

(١) أخرجه ابن عساكر ١٠٤/٣٤ في ترجمة عبد الله بن لهيعة، وكذلك ابن عدي ١٥١/٤ عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده، وتابعه القاسم بن عبد الله العمري عند ابن السني برقم: ٢٩٤-٢٩٥ وكلاهما ضعيفان، وأخرجه ابن عدي بسند آخر عن ابن عباس ١١٢/٥ في ترجمة عمرو بن جميع، وهو أيضاً ضعيف.

وأخرج ابن السني برقم: ٢٨٤ فقال: عن أنس و قال داود بن رشيد (أحد رواته): عن جابر قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا وقعت كبيرة، أوهاجت ريح مظلمة، فعليكم بالتكبير، فإنه يجلي العجاج الأسود، وفي إسناده عنبسة بن عبد الرحمن، وهو ضعيف جداً، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٠/١٠ إلى أبي يعلى، وأعله بعنبسة وقال: إنه متروك.

وأخرج في الأوسط برقم: ٨٥٦١ عن أبي هريرة مرفوعاً: أطفئوا الحريق بالتكبير، قال الهيثمي في مجمع الزوائد١٤٠/١٠: فيه من لم أعرفهم انتهى، ولعل السيوطي رمز لحسنه نظرا إلى هذه الشواهد في الجامع الصغير، وانظر فيض القدير برقم: ٦٤٢.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه عن أبي الدرداء ٨٦/١١ وقال: عبد الرحيم بن حبيب الخراساني يقع في أحاديثه بعض المناكير، وكان رجلا لينا حسن المذهب.

(٣) عزاه الهندي في كنز العمال إلى أبي نعيم في الحلية عن ابن عمر. وهو فيه في ج/٨ ص ١٧٤ إلا أن في المطبوع منه: "أمرني جبريل أن أيسر"

رب عملت سوء، وظلمت نفسي، فتب علي، إنك أنت التواب الرحيم (١).

٢: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠].

جاء في حديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، ألا وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله في دبر كل صلاة عشراً، ويحمده عشراً، ويكبره عشراً، قال: فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده، قال: فتلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمس مائة في الميزان، وإذا أخذت مضجعك، تسبحه، وتكبره وتحمده مائة، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان، فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمس مائة سيئة؟ قالوا: فكيف لا يحصيها؟ قال: يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول: اذكر كذا اذكر كذا حتى ينفتل، فلعله لا يفعل، ويأتيه وهو في مضجعه، فلا يزال ينوّمه حتى ينام"(٢).

وجاء في حديث: "أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة، فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة (٣).

٣: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [سورة الكهف: ٤٦].

٤: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [سورة المريم: ٧٦].

الظاهر أن المراد بالباقيات الصالحات عام، ويشمل جميع الأعمال الحسنة، والقربات، والحسنات التي تبقى للإنسان في الآخرة، ولا تنقطع بموته، إلا أنه قد وردت الأحاديث بأن التسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد،

---

(١) عزاه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد عن عبد الله بن زيد من قوله، وأخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٦٧٧٣ عن ثابت عن أنس، ثم قال: وذكر أنه عن النبي ولكن شك فيه.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب برقم: ٥٠٦٥ والترمذي في الدعوات برقم: ٣٤١٠ عن عبد الله بن عمرو ابن العاص، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء بدعاء: ٢٦٩٨ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

والحوقلة هي الباقيات الصالحات، أي: تصدُق عليها، فجاء في حديث: "استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبير، والتهليل، والتسبيح والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله"(١).

وفي حديث: "ألا! إن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر من الباقيات الصالحات "(٢).

وجاء في حديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه: "خذوا جنتكم"مرتين أو ثلاثاً قالوا: من عدو حضر؟ قال: بل من النار قولوا: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن يجئن يوم القيامة مقدمات، ومحسنات، ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات (٣).

٥: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الشورى: ١٢].

عن عثمان قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عزوجل: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ قال: لا إله إلا الله، والله أكبر،

(١) أخرجه أحمد ٧٥/٣ وابن حبان برقم: ٨٤٠ والحاكم ٦٩٤/١ برقم: ٨٩/١٨٨٩ عن أبي سعيد الخدري، وصححه، ووافقه الذهبي، وفيه دراج عن أبي الهيثم والكلام مشهور في روايته عنه، لكن يتحسن الحديث بشواهده.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ١٨٣٥٤ عن النعمان بن بشير، والراوي عنه مجهول، لكن الحديث صحيح لغيره أو حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٠٣٤٨ بسند حسن عن خالد بن أبي عمران مرسلاً رفعه وعزاه السيوطي في الدر إلى ابن المنذر، وابن مردويه، عن عائشة.

وله شاهد عن أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط برقم: ٤٠٢٧ مرفوعاً قال: خذوا جنتكم، خذوا جنتكم، قالوا: يا رسول الله من عدو حضر؟ قال: لا! ولكن من النار قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مستقدمات، ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٢/١٠: رواه الطبراني في الأوسط، والصغير، ورجاله في الصغير رجال الصحيح غير داود بن بلال وهو ثقة انتهى.

وله شاهد آخر عنده في الأوسط أيضاً برقم: ٣١٧ عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لجلسائه: خذوا جنتكم قالوا: بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله أحضر عدو؟ قال: خذوا جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن مقدمات وهن مجنبات، وهن معقبات، وهن الباقيات الصالحات.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٢/١٠: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه كثير بن سليم وهو ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات والضعفاء.

سبحان الله، والحمد لله، أستغفر الله الذي لا إله إلا هو، الأول، والآخر، والظاهر والباطن، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير (١) والحديث طويل.

وفي حديث: "سأل عثمان بن عفان عن ﴿مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم من كنوز العرش " (٢).

٦: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [الفاطر: ١٠].

عن ابن مسعود قال: "إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، قبض عليهن ملك يضمهن تحت جناحه، ثم يصعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة، إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الرحمن، ثم قرأ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٣).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الذين يذكرون الله من جلال التحميد، والتسبيح، والتكبير، والتهليل، يتعاطفن حول العشر، لهن دوي كدوي النحل، يقلن لصاحبهن: ألا يحب أحدكم أن يكون له عند الرحمن شيء يذكر به"(٤).

(١) عزاه السيوطي في الدر إلى أبي يعلى، وعمل اليوم والليلة لابن السني، قال ابن كثير في تفسيره: حديث غريب جداً في صحته نظر، وفيه نكارة شديدة، والله أعلم انظر تفسير ابن كثير سورة الزمر الآية: ٦٣. وهو في عمل اليوم والليلة برقم: ٧٣ قال الهيثمي ١١٨/١: فيه الأغلب بن تميم وهو ضعيف.

(٢) عزاه السيوطي في الدر إلى الحارث بن أبي أسامة عن أبي هريرة في تفسير آية الزمر: له مقاليد السماوات والأرض رقم الآية: ٦٣. وانظره في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث برقم: ١٠٤٥ وسنده منقطع.

(٣) أخرجه الحاكم ٤٦١/٢ برقم: ٧٢٦/٣٥٨٩ وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه أحمد برقم: ١٨٣٦٢ والحاكم ٤١/١٨٤١ وصححة الحاكم، وتعقبه الذهبي بأن موسى بن سالم قال أبو حاتم: منكر الحديث، وقد حقق محققو مسند أحمد أن هذا الإسناد صحيح، وأنه موسى ابن مسلم الطحان، لا موسى بن سالم انظر تخريج الحديث برقم: ١٧ من هذا الباب.

الفصل الثاني:

في الأحاديث التي وردت في الحث على التسبيح الفاطمي

أعني: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وزيد في بعض الروايات: لا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، كذا في الترغيب (١).

شرح الحديث:

قوله: "خفيفتان على اللسان" أي: يسهل جريانهما على اللسان، ولا تكلفان المرء وقتاً طويلاً، وجهداً شاقاً، ومع ذلك تثقلان في الميزان، وأي فائدة أعظم وأجسم من أنهما حبيبتان إلى الله عزوجل، ورحم الله الإمام البخاري، فإنه جعل هذا الحديث النبوي الشريف ختام مسك للجامع الصحيح.

جاء في حديث: "لا يدع رجل منكم أن يعمل لله ألف حسنة حين يصبح، يقول: سبحان الله وبحمده مائة مرة، فإنها ألف حسنة، فإنه لن يعمل إن شاء الله مثل ذلك في يوم من الذنوب، ويكون ما عمل من خير سوى ذلك وافراً "(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٦٤٠٦ ومسلم برقم: ٢٦٩٤ والترمذي برقم: ٣٤٦٧ والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: ٨٣٠ وابن ماجه برقم: ٣٨٠٦ وابن حبان برقم: ٨٣١ وأبو يعلى برقم: ٦٠٩٦ وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢١٧٤١ عن أبي الدرداء وإسناده ضعيف لضعف أبي بكر بن عبد الله أبي مريم، وأخرجه الحاكم ٦٩٦/١ برقم: ٩٧/٩٧ وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: أبو بكر واه، وفي السند انقطاع انتهى.

وله شاهد صحيح من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عند مسلم كتاب الذكر باب فضل التهليل، والتسبيح، والدعاء، برقم: ٢٦٩٨ والترمذي كتاب الدعوات برقم: ٣٤٦٣ وقال: حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه برقم: ٨٢٥ وغيرهم قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة، هذا لفظ مسلم وعند غيره: "ويحط" بالعطف قال البرقاني: رواه شعبة وأبو عوانة ويحيى القطان: "ويحط" ورواية هؤلاء

وجاء في حديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة، غفرت له ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر" (١).

وفي حديث: "إن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تنفض الخطايا، كما تنفض الشجرة ورقها" (٢).

(٢) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله، قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله، فقال: إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده.

رواه مسلم، والنسائي، والترمذي، إلا أنه قال: سبحان ربي وبحمده وقال: حسن صحيح، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى مسلم، وأحمد، والترمذي ورقم له بالصحة (٣).

وفي رواية لمسلم: أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل؟ قال: "ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده" كذا في الترغيب (٤).

قلت: وأخرج الأخير الحاكم، وصححه على شرط مسلم، وأقره عليه الذهبي (٥).

وذكره السيوطي في الجامع برواية أحمد عن رجل مختصراً، ورقم له بالصحة (٦).

الثلاثة الأئمة الحفاظ حجة على رواية غيرهم، نقله محقق صحيح ابن حبان شعيب الأرناؤوط.

(١) أخرجه البخاري برقم: ٦٤٠٥ كتاب الدعوات باب فضل التسبيح ومسلم كتاب الذكر برقم: ٢٦٩١ والترمذي كتاب الدعوات باب٦٠ رقم الحديث: ٣٤٦٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: ٣٥٣٣ كتاب الدعوات وأحمد برقم: ١٢٥٣٤ عن أنس واللفظ لأحمد، وفي أول الحديث قصة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ غصناً فنفضه، فلم ينتفض، ثم نفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فانتفض، قال الترمذي: هذا حديث غريب انتهى وإسناد الترمذي منقطع، الأعمش لم يسمع عن أنس لكن إسناد أحمد متصل محتمل التحسين فالحديث بكلا الطريقين حسن قاله محققو مسند أحمد، وإلى ذلك قد مال المنذري في الترغيب والترهيب ٢٤٩/٢.

(٣) أخرجه مسلم برقم: ٢٧٣١ واللفظ له في الرواية الثانية والترمذي برقم: ٣٥٩٣ كتاب الدعوات وقال: حسن صحيح، وأحمد برقم: ٢١٤٢٩.

(٤) هذه هي الرواية الأولى لهذا الحديث عند مسلم برقم: ٢٧٣١.

(٥) انظر الحاكم ٦٨٠/١ برقم: ٤٦/١٨٤٦ كتاب الدعاء.

(٦) أخرجه أحمد برقم: ١٦٤١٢ من طريق وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الكلام: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وإسناده

شرح الحديث:

قد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن حملة العرش من الملائكة، ومن حوله، يسبحون بحمده، وذلك هو شغلهم، وديدنهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الغافر: ٧]، ولذلك قالت الملائكة حين أراد الله خلق آدم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

(٣) عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة، أو وجبت له الجنة، ومن قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة، كتب الله مائة ألف حسنة، وأربعا وعشرين ألف حسنة، قالوا: يا رسول الله إذا لا يهلك منا أحد قال: بلى! إن أحدكم ليجيء بالحسنات لو وضعت على جبل أثقله، ثم تجيء النعم، فتذهب بتلك، ثم يتطاول الرب بعد ذلك برحمته".

رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد كذا في الترغيب، قلت: وأقرّه عليه الذهبي(١).

شرح الحديث:

معنى قوله "ثم تجيء النعم فتذهب بتلك" أي: بتلك الحسنات. إن الله سبحانه وتعالى إذ يضع ليوم القيامة موازين القسط، وتوزن الحسنات والسيئات، كذلك يحاسب العبد على النعم التي خولّها الله عزوجل إياه، ماذا أدى لها من حق الشكر والطاعة؟ فإن كل ما يملك العبد من المواهب، والآلاء، والنعم، إنما هي منحة من الله تبا رك وتعالى، وهي تقتضي أداء حقوقها، ويسأل العبد يوم القيامة عنها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، وكل تسبيحة صدقة، وتهليلة صدقة، وتكبيرة صدقة، وتحميدة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي من المنكر

صحيح كما هو ظاهر.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج/٤ ص: ٢٧٩ برقم: ٣٨/٧٦٣٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح.

صدقة، ويجزئ أحدكم من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى (١).

وفي حديث آخر: "إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله عزوجل، وعزل حجرا عن طريق الناس، أو شوكة، أو عظماً عن طريق الناس، وأمر بالمعروف، أو نهى عن المنكر، عدد تلك الستين، والثلاث مائة السلامى، فإنه يمشي يومئذ، وقد زحزح نفسه عن النار" (٢).

وقد ذكر الله عزّوجل في سورة التكاثر من كتابه أن العباد يُسألون عن النعيم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: "صحة الأبدان، والأسماع، والأبصار، يسأل الله العباد: فيم استعملوها؟ وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾" (٣).

وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال: "الأمن والصحة" (٤).

وعن مجاهد في هذه الآية: "كل شيء من لذة الدنيا" (٥).

وعن علي فيها قال: "النعيم العافية" (٦).

وسئل علي بن أبي طالب عن هذه الآية فقال: "عن أكل خبز البر، وشرب ماء الفرات مبرداً، وكان له منزل يسكنه، فذاك من النعيم الذي يسأل عنه" (٧)

عن عكرمة أنه قال: "لما نزلت هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال الصحابة: وفي أي نعيم نحن يا رسول الله؟ وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٧٢٠ وأبو داود برقم: ١٢٨٦ عن أبي ذر.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ١٠٠٧ كتاب الزكاة عن عائشة، وله شاهد من حديث بريدة عن أبي داود كتاب الأدب باب في إماطة الأذى عن الطريق برقم: ٥٢٤٢ ولفظه: في الإنسان ثلاث وستون مفصلاً، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة، قالوا: ومن يطيق ذلك يا نبي الله؟ قال: النخاعة في المسجد تدفنها، والشيء تنحيه من الطريق، فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئك

(٣) البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٤٢٩٣.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٤٢٩٥

(٥) ابن جرير الطبري.

(٦) شعب الإيمان برقم: ٤٢٩٣.

(٧) عزاه في الدر إلى ابن أبي حاتم

الشعير، فأوحى الله إلى نبيه أن قل لهم: أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم" (١).

وعن محمود بن لبيد قال: "لما نزلت: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فبلغ ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قالوا: يا رسول الله عن أي نعيم نسأل؟ وإنما هما الأسودان: الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر، فعن أي نعيم نسأل؟ قال: أما إن ذلك سيكون" (٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصحَّ لك جسمك، ونروك من الماء البارد؟ "(٣).

وعن ثابت البناني عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "النعيم المسئول عنه يوم القيامة: كسرة تقوته، وماء يرويه، وثوب يواريه"(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خرج أبو بكر بالهاجرة إلى المسجد، فسمع بذلك عمر فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: ما أخرجني إلا ما أجد من حاقّ الجوع، قال: وأنا والله ما أخرجني غيره، فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أخرجكما هذه الساعة؟ قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجد في بطوننا من حاقّ الجوع قال: وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره، فانطلِقوا.

فقاموا، فانطلقوا إلى منزل أبي أيوب الأنصاري، فلما انتهوا إلى داره، قالت امرأته: مرحباً بنبي الله ومن معه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أين أبو أيوب؟ فقالت امرأته: يأتيك يا نبي الله الساعة.

فجاء أبو أيوب، فقطع عذقاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أردت أن تقطع لنا هذا؟ ألا اجتنيت الثمرة؟ قال: أحببت يا رسول الله أن تأكلوا

(١) عزاه في الدر إلى ابن أبي حاتم
(٢) البيهقي في شعب الإيمان، برقم:٤٢٧٨.
(٣) الترمذي برقم:٣٣٥٨، وابن حبان برقم:٧٣٦٤.
(٤) عزاه في الدر إلى ابن جرير. فقال ابن جرير في تفسيره: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن الحارث التيميّ، عن ثابت البناني، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "النَّعِيم المَسْئُولُ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ: كِسْرَةٌ تُقَوِّيهِ، وَماءٌ يُرْوِيهِ، وَثَوْبٌ يُوَارِيهِ"

من بسره، وتمره، ورطبه، ثم ذبح جديا، فشوى نصفه، وطبخ نصفه، فلما وضع بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، أخذ من الجدي فجعله في رغيف، وقال: يا أبا أيوب أبلغ بهذا فاطمة، فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام، فذهب به أبو أيوب إلى فاطمة.

فلما أكلوا وشبعوا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: خبز، ولحم، وتمر، وبسر، و رطب، ودمعت عيناه، والذي نفسي بيده إن هذا لهو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، فكبُر ذلك على أصحابه، فقال: بلى! إذا أصبتم هذا فضربتم بأيديكم فقولوا: بسم الله، فإذا شبعتم فقولوا: الحمد لله الذي أشبعنا، وأنعم علينا، وأفضل، فإن هذا كفاف"(١).

وقع مثل هذه القصة أكثر من مرة، فقد روي أنه أتى صلى الله عليه وسلم معهما إلى منزل أبي الهيثم (٢).

وجاء في حديث: أن ذلك وقع لرجل يقال له الواقفي (٣).

(١) أخرجه ابن حبان برقم:٥٢١٦ وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم:٢٢٤٧ بأطول من هذا. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢١/١٠: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه عبد الله بن كيسان المروزي، وقد وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح انتهى.
قال ابن علان في الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ٢٣٢/٥ باب: ما يقول إذا فرغ من الطعام: قال الحافظ بعد تخريجه: هذا حديث حسن فيه غرابة من وجهين، أحدهما: ذكر أبي أيوب، والثاني: ما في آخره من التسمية، والحمد، وقصة فاطمة، والمشهور في هذا قصة أبي الهيثم بن التيهان انتهى، ثم ذكر الحافظ دليل ذلك.
(٢) أخرجه البزار عن ابن عباس انظر كشف الأستار ٢٦٣/٤–٢٦٥ بسياق طويل جداً قال الهيثمي في المجمع ٣٢٠/١٠: رواه البزار، وأبو يعلى، والطبراني، وفي أسانيدهم كلها عبد الله بن عيسى، أبو خلف، وهو ضعيف، وقال أبو يعلى والطبراني: أم الهيثم، وقال البزار: أم أبي الهيثم انتهى.
وقد أخرجه الحاكم ١٤٥/٤ برقم:١٠٧/٧١٧٨ من حديث أبي هريرة وجاء فيه ذكر أبي الهيثم رضي الله عنه، وصححه على شرط الشيخين، ثم قال: قد رواه يونس بن عبيد، وعبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس أتم وأطول من حديث أبي هريرة هذا، ووافقه الذهبي.
(٣) قال السيوطي في الدر: أخرجه أبو يعلى وابن مردويه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: انطلقت مع النبي ﷺ، ومعنا عمر، إلى رجل يقال له الواقفي، فذبح لنا شاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إياك وذات الدر، فأكلنا ثريداً، ولحماً، وشربنا ماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا من النعيم الذي تسألون عنه، انتهى من الدر المنثور.
قلت: وهذا الرجل الواقفي هو أبو الهيثم مالك بن التيهان نفسه؛ فقد أخرج الحديث المذكور أبو يعلى مطولاً برقم:٧٨ جاء فيه: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فانطلقوا بنا إلى الواقفي أبي الهيثم بن التيهان فلعلنا نجد شيئاً يطعمنا الحديث. ولعله نُسب إلى واقف وَلاء وإلا فهو أشهلي كما في الإصابة.
وقال أبو نعيم الأصفهاني في معرفة الصحابة ٢٤٤٩/٥ في ترجمته بعد أن روى هذه القصة،

مر عمر رضي الله عنه برجل مبتلى أجذم، أعمى، أصم، أبكم، فقال لمن معه: "هل ترون في هذا من نعم الله شيئاً؟" قالوا: لا! قال: "بلى! ألا ترونه يبول، فلا يعتصر، ولا يلتوي، يخرج بوله سهلاً، فهذه نعمة من الله" (١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "يعرض الناس يوم القيامة على ثلاثة دواوين: ديوان فيه الحسنات، وديوان فيه النعيم، وديوان فيه السيئات، فيقابل بديوان الحسنات ديوانُ النعيم، فيستفرغ النعيم الحسنات، وتبقى السيئات، مشيئتها إلى الله تعالى، إن شاء عذب، وإن شاء غفر (٢).

ومؤدى هذه الأحاديث والآثار كلها أن نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان متتابعة هاطلة كل لحظة، وهي تقتضي أداء حق الشكر، فواجب على العبد ألا يألو جهداً في كسب الحسنات، وفعل الخيرات، وادخار الصالحات، ولا يستكثرها، فإنه سوف ينكشف يوم الدين كم من ذنب ارتكبناه بالسمع، والبصر، والفؤاد، وغيرها من الجوارح؟ وما خطر ببالنا أنها من الذنوب.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه عز وجل، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عمن أيمن منه، فلا يرى إلا شيئاً قدمه، وينظر عمن أشأم منه، فلا يرى إلا شيئاً قدمه، وينظر أمامه، فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق التمر، فليفعل" (٣).

وجاء في حديث: أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك، ونروك من الماء البارد" (٤)

وجاء في حديث آخر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم

قال: ورواه يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة فقال: انطلقوا بنا إلى منزل الواقفي، فذكره أي الحديث انتهى

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد عن عكرمة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٥٦٨٨ من ترقيم عوامة. وإسناده كما يلي: حدثنا أبو أسامة عن أبي حنيفة سمعه من عون بن عبد الله عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه مسلم برقم: ١٠١٦ والترمذي برقم: ٢٤١٥ وابن ماجه برقم: ١٨٥ عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن حبان برقم: ٧٣٦٤ عن أبي هريرة والترمذي برقم: ٣٣٥٨ في التفسير والحاكم ١٣٨/٤ وصححه، ووافقه الذهبي.

أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيمن أنفقه؟ وماذا عمل فيم علم؟ (١).

(٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئْ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

رواه الترمذي، والطبراني، في الصغير والأوسط، وزاد: ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه (٢).

ورواه الطبراني أيضاً بإسناد واهٍ من حديث سلمان الفارسي (٣).

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: ٢٤١٦ في صفة يوم القيامة عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من حديث الحسين بن حسن، وحسين بن حسن يضعف في الحديث من قبل حفظه انتهى.

وله شاهد عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟ أخرجه الترمذي برقم: ٢٤١٧ وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: ٣٤٦٢ في الدعوات وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود، وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٤١٧٠ وقال: لا يروى هذا الحديث عن ابن مسعود إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم انتهى، قال المنذري ٢٤٥/٢: عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه، وعبد الرحمن بن إسحاق هو أبو شيبة الكوفي واه انتهى.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤٠/٦ برقم: ٦١٠٥ ولفظه: إن في الجنة قيعاناً فأكثروا غرسها قالوا: يا رسول الله وما غرسها؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال الهيثمي في المجمع ٩٣/١٠ باب: ما جاء في الباقيات الصالحات من كتاب الأذكار: رواه الطبراني وفيه: الحسين بن علوان، وهو ضعيف، انتهى

قلت: يدل على أصل هذا الحديث من مسند سلمان الفارسي ما أخرجه البزار كما في كشف الأستار برقم: ٣٠٧٨ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: ألا ترتع في روضة من رياض الجنة، وتريح منها، فقال: يا رسول الله وما الرتع؟ قال: الحمد لله وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال سلمان: إن لكل شيء غرساً، فما غراس الجنة؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، وحميد لا نعلم روى عنه إلا زيد بن الحباب، قال الهيثمي في المجمع ٩٤/١٠: رواه البزار وفيه حميد المكي، لم يرو عنه غير زيد بن الحباب، وبقية رجاله رجال الصحيح انتهى. ولسلمان الفارسي رضي الله عنه حديث آخر في هذا الباب عند الطبراني في الكبير ٢٦٦/٦ برقم: ٦١٧٦ ولفظه: من سبح الله عزجل تسبيحة، أو حمده تحميدة، أو هلله تهليلة، أو كبره تكبيرة، غرس الله له بها شجرة في الجنة، أصلها ياقوت أحمر، مكللة بالدر، طلعها كثدي الأبكار، أحلى من العسل، وألين من الزبد. قال الهيثمي في المجمع ٩٣/١٠: رواه الطبراني وفيه محمد بن عدي عن سلمان، ولم أعرفه، وجماعة ضعفاء وثقوا انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: "من قال: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، غرس له بكل واحدة منهن شجرة في الجنة". رواه الطبراني، وإسناده حسن لا بأس له في المتابعات (١).

وعن جابر مرفوعاً: من قال: "سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة".

رواه الترمذي، وحسنه، والنسائي، إلا أنه قال: شجرة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في الموضعين بإسنادين، قال في أحدهما: على شرط مسلم وفي الآخر: على شرط البخاري (٢).

وذكره في الجامع الصغير برواية الترمذي، وابن حبان، والحاكم، ورقم له بالصحة.

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس الحديث، رواه ابن ماجه بإسناد حسن، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، كذا في الترغيب، وعزاه في الجامع إلى ابن ماجه، والحاكم، ورقم له بالصحة (٣).

وفي الباب من حديث أبي أيوب مرفوعاً رواه أحمد بإسناد حسن (٤)

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط برقم: ٨٤٧٥ قال الهيثمي في المجمع ٩٤/١٠: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون انتهى.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: ٣٤٦٤ وقال: حسن غريب صحيح، وابن حبان برقم: ٨٢٧، والحاكم في الموضع الأول ٦٨٠/١ برقم: ٤٧/١٨٤٧ وصححه على شرط مسلم، وقال الذهبي في التعليق عليه: على شرط البخاري، وفي الموضع الثاني ٦٩٣/١ برقم: ٨٨/١٨٨٨ ولم يقل شيئاً، وأما قول الشيخ: قال في الموضع الثاني على شرط البخاري فلا أدري ما وجهه والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم: ١٨٠٧ في الأدب باب فضل التسبيح، والحاكم ٦٩٣/١ برقم: ٧٨/١٨٨٧ وصححه، ووافقه الذهبي وتمامه:

فقال: يا أبا هريرة ما الذي تغرس؟ قلت: غراساً لي، قال ألا أدلك على غراس خير لك من هذا؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: قل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة. قال البوصيري في زوائد ابن ماجه: هذا إسناد حسن.

(٤) ولفظه: عن سالم بن عبد الله قال: أخبرني أبو أيوب الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به مر على إبراهيم فقال: من معك يا جبريل؟ قال: هذا محمد، فقال له إبراهيم: مُرْ أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة، وأرضها واسعة، قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

أخرجه أحمد برقم: ٢٣٥٥٢ وابن حبان برقم: ٨٢١ قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢٥٦/٢: رواه أحمد بإسناد حسن، وابن أبي الدنيا، وابن حبان في صحيحه انتهى وقال الهيثمي في المجمع ١٠٠/١٠: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن عبد الرحمن

وابن أبي الدنيا، والطبراني، من حديث ابن عمر أيضاً مرفوعاً مختصراً، إلا أن في حديثهما الحوقلة فقط كما في الترغيب (١).

قلت: وذكر السيوطي في الدر حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ حديث ابن مسعود، وقال: أخرجه الترمذي وحسنه، والطبراني، ورقم له بالصحة، وذكر في مجمع الزوائد عدة روايات في معنى هذا الحديث.

شرح الحديث:

يفيد الحديث الشريف أن إبراهيم خليل الله عليه الصلوات والتسليمات قد بلّغ إلينا السلام عن طريق نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد قال العلماء نظراً إلى ذلك: إنه ينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يردّ عليه السلامَ ويقول: وعليه السلام، ورحمة الله، وبركاته.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء" فله معنيان، الأول: أن المراد به صفة تربة الجنة ومياهها، كما جاء في الحديث في صفة الجنة: "ملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران" (٢).

وطبيعي أن كل شخص يطيب له أن يتبوأ منزله من أ رض هذه صفتها، وإذا كانت هناك كل أسباب النزهة والتفرج موفورة ميسورة، فمن الذي لا يختارها؟

والمعنى الثاني: أن الأرض الطيبة التربةِ، الطيبة الماءِ، تنبت نباتاً حسناً، فعلى ذلك يعني: أن العبد إذا قال: سبحان الله، غرست له في الجنة شجرة، ثم لا تزال تنمو وتقوى بنفسها، وتتغذى بتربة الجنة الطيبة، ومياهها العذبة الغزيرة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما هي قيعان" يُشْكل مع الأحاديث التي تصف الجنة بأن فيها كل نوع من أنواع الثمار، والفواكه، والأشجار، فأجاب

ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو ثقة لم يتكلم فيه أحد، ووثقه ابن حبان انتهى.

(١) ولفظ حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثروا من غرس الجنة فإنه عذب ماؤها، طيب ترابها، فأكثروا من غراسها: لا حول ولا قوة إلا بالله، رواه الطبراني في الكبير ٣٦٤/١٢ برقم: ١٣٣٥٤ قال الهيثمي في المجمع ١٠١/١٠: رواه الطبراني وفيه عقبة بن علي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٤٤٥/٢ برقم: ٨٠٤٣ وابن حبان برقم: ٧٣٧٨ عن أبي هريرة. وله شاهد عن ابن عمر عند ابن أبي شيبة ٩٥/١٣-٩٦ وعند الطبراني في الكبير كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٠ وقال: حسن الترمذي لرجاله انتهى.

عن ذلك بعض العلماء بأنها في أصلها قيعان ، لكنها تُمنح لعباد الله الصالحين ، وفيها الجنان ، والبساتين ، والأشجار ، حسب أعمالهم الصالحة.

وقال بعض العلماء : إن بساتين الجنة ، وأشجارها ، وثمارها ، لما كانت في جزاء الأعمال الصالحة ، وبإزائها ، عبر عن ذلك بأنها غرست بفضل تلك الصالحات ، والقربات ، من التسبيحات ، والتحميدات ، وغيرها.

وقال الآخرون : إن الجنة واسعة الأرجاء ، وأدنى أهل الجنة يعطى أضعاف الدنيا ، فبعض أرجائها فيها البساتين ، والأشجار ، والثمار من أصلها ، بينما بعض أرجائها قيعان ، وتغرس فيها الأشجار بالتسبيحات ، والتحميدات ، والتهليلات ، وغيرها من الأذكار.

وقال شيخ مشايخنا الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي كما في الكوكب الدري : "إن أشجار الجنة أشِبةٌ مجتمعة كالخمَر ، وهي تنقل وتغرس للعبد في منزله ، بقدر ما يأتي من أعمال الخير والبر ، وتنمى له".

(٥) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من هاله الليل أن يكابده ، أو بخل بالمال أن ينفقه ، أو جبن عن العدو أن يقاتله ، فليكثر من سبحان الله وبحمده ، فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله.

رواه الفريابي ، والطبراني ، واللفظ له ، وهو حديث غريب ولا بأس بإسناده إن شاء الله ، كذا في الترغيب.

وفي مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه : سليمان بن أحمد الواسطي ، وثقه عبدان ، وضعفه الجمهور ، والغالب على بقية رجاله التوثيق (١).

وفي الباب عن أبي هريرة مرفوعاً ، أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس

---

(١) انظر الترغيب والترهيب ٢٤٣/٢ كتاب الأذكار الترغيب في التسبيح والتكبير والتهليل، وانظر مجمع الزوائد ٩٧/١٠ كتاب الأذكار باب: ما جاء في سبحان الله وبحمده وما ضم معها. وأورده في كنز العمال برقم: ١٨٥٤ معزوا إلى الطبراني، وابن شاهين، وابن عساكر، وضعفه، قلت: لم يرو ابن عساكر بسنده وإنما ذكره في ترجمة جدار بن جدار العذري الصنعاني ٣٥/١٠، وقال: حدّث بسنده عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من هاله الليل أن يكابده الحديث فإنها أحب إلى الله من جبل من ذهب وفضة ينفقان في سبيل الله انتهى.
وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٢٨/٨ برقم: ٧٧٩٥ وفي: ٢٣٠/٨ برقم: ٧٨٠٠ و٢٦٣/٨ برقم: ٧٨٧٧ بأسانيد مختلفة.

أيضاً ، كذا في الدر.

شرح الحديث :

انظر إلى فضل الله عزوجل ، وكرمه ، ورحمته ، فقد فتح للمتكاسلين المتقاعسين المتخوفين عن كل مشقة أبواب رحمته ، فمن كان لا تنهض عزيمته إلى أن يقوم الليل ، ويتصدق ، وينفق ، ويجاهد ، وهو في قلبه حب الدين ، وشوق القرب من الله عزوجل ، فالطريق أمامه ممهد ، فالمحروم من حُرم رحمة الله عزوجل مع هذه الألطاف كلها !.

(٦) عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت.

رواه مسلم ، وابن ماجه ، والنسائي ، وزاد : وهن من القرآن ، ورواه النسائي أيضاً ، وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ، كذا في الترغيب ، وعزا السيوطي حديث سَمرة إلى أحمد أيضاً ، ورقم له بالصحة ، وحديث أبي هريرة إلى مسند الفردوس للديلمي ، ورقم له أيضاً بالصحة (١).

شرح الحديث :

معنى قوله : "وهن من القرآن" : أن هذه الكلمات قد تكررت في القرآن ، وحثت الآيات ، ورغبت فيها ، وقد ورد في الحديث : "زينوا العيدين بالتهليل ، والتكبير ، والتحميد ، والتقديس" (٢).

(٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن الفقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقالوا : قد ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى ، والنعيم المقيم ، فقال : وما ذاك؟ قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما

---

(١) حديث سمرة أخرجه مسلم ٢١٣٧ (١٢) كتاب الآداب باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة ، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: ٨٤٥ وأحمد برقم: ٢٠١٠٧ والطبراني في الكبير برقم: ٦٧٩٢.
وأما حديث أبي هريرة فأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم: ٨٤١ وابن حبان برقم: ٨٣٦، ولفظه : خير الكلام أربع لا تبالي بأيهن بدأت : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال محقق ابن حبان: إسناده صحيح.
(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء عن أنس رضي الله عنه ٢٨٨/٢ وقال: غريب من حديث الثوري وأبي قلابة، تفرد به علي بن الحسن الشامي.

نصوم، ويتصدقون، ولا نتصدق، ويعتقون، ولا نعتق.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولايكون أحد أفضل منكم، إلا من صنع مثل ما صنعتم؟

قالوا: بلى يا رسول الله! قال: تسبحون، وتكبرون، وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة.

قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (١).

متفق عليه، وليس قول أبي صالح إلى آخره إلا عند مسلم، وفي رواية للبخاري: تسبحون في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدون عشراً، وتكبرون عشراً، بدل ثلاثاً وثلاثين (٢) كذا في المشكاة.

وعن أبي ذر بنحو هذا الحديث: وفيه: "إن بكل تسبيحة صدقة، وبكل تحميدة صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله: يأتي أحدنا شهوته يكون له فيها أجر؟! " الحديث أخرجه أحمد (٣).

وفي الباب عن أبي الدرداء عند أحمد (٤).

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان باب الذكر بعد الصلاة برقم: ٨٤٢ ومسلم في المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته برقم: ٥٩٥.

(٢) انظر كتاب الدعوات باب الدعاء بعد الصلاة برقم: ٦٣٢٩.

(٣) أخرجه أحمد برقم: ٢١٤٧٣ بإسناد قوي كما قال محققوه، وليس في حديث أبي ذر عدد التسبيح والتحميد، والتكبير.

قلت: قد أخرجه مسلم في الزكاة برقم: ١٠٠٦ .

(٤) أخرجه أحمد برقم: ٢١٧٠٩ ولفظه: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: نزل بأبي الدرداء رجل فقال أبو الدرداء: مقيم فنسرح أم ظاعن فنعلف؟ قال: بل ظاعن قال: فإني لأزودك زادا لو أجد ما هو أفضل منه لزودتك، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله! ذهب الأغنياء بالدنيا والآخرة، نصلي ويصلون، ونصوم ويصومون، ويتصدقون ولا نتصدق، قال: ألا أدلك على شيء إن أنت فعلته لم يسبق أحد كان قبلك، ولم يدركك أحد بعدك إلا من فعل الذي تفعل، دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين تسبيحة، وثلاثا وثلاثين تحميدة، وأربعاً وثلاثين تكبيرة، قال محققو المسند: صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد ضعيف، ثم فصلوا الكلام في طرقه، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/١٠٣: رواه أحمد، والبزار، والطبراني بأسانيد، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح.

قلت: وفي الباب عن ابن عمر عند البزار انظر كشف الأستار ٤/١٩ باب: ما يقول عقب الصلاة

شرح الحديث:

يعني: أن إتيان الرجل أهله لكي يعف عن الوقوع في الحرام، سبب الأجر عند الله عزوجل.

(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلاالله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر.

رواه مسلم، كذا في المشكاة، وكذا في مسند أحمد (١).

شرح الحديث:

جاء في هذا الحديث عدد التسبيح، والتحميد، والتكبير، ثلاثة وثلاثين، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو كل شيء قدير، مرة واحدة، والحديث الذي يليه قد جاء فيه التسبيح والتحميد ثلاثاً وثلاثين مرة، والتكبير أربعا وثلاثين مرة.

وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "أمرنا أن نسبح في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين، فأتي رجل في المنام من الأنصار، فقيل له: أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسبحوا في دبر كل صلاة كذا وكذا؟ قال الأنصاري في منامه: نعم، قال: فاجعلوها خمساً وعشرين خمسا وعشرين، واجعلوا فيها التهليل، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ، فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: فافعلوا" (٢).

من كتاب الأذكار برقم: ٣٠٩٤ قال الهيثمي في المجمع ١٠/١٠٤: رواه البزار وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

(١) أخرجه مسلم برقم: ٥٩٧ كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة .

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢١٦٠٠ والترمذي برقم: ٣٤١٣ وقال: حديث صحيح، والدارمي برقم: ١٣٥٤ وابن حبان برقم: ٢٠١٧ والطبراني في الكبير برقم: ٤٨٩٨ وإسناده صحيح، والنسائي ٣/٧٦ برقم: ١٣٥٠ من ترقيم عبد الفتاح أبو غدة.

وله شاهد بإسناد قوي عند النسائي ٣/٧٦ برقم: ١٣٥١ عن ابن عمر ولفظه: عن ابن عمر أن رجلاً رأى فيما يراه النائم قيل له: بأي شيء أمركم نبيكم صلى الله عليه وسلم؟ قال: أمرنا أن نسبح

وفي حديث جاء عدد التسبيح والتحميد والتكبير إحدى عشرة مرة (١)

وجاء في حديث أن كل ذلك عشر مرات (٢).

وفي رواية: كل من التسبيح، والتحميد، والتكبير، ثلاثاً وثلاثين، ولا إله إلا الله عشرا (٣)، وفي حديث: كل من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل مائة مرة (٤).

ذكر هذه الأحاديث في الحصن الحصين، واختلاف هذه الأعداد إنما هو على ما يبدو نظراً إلى اختلاف أحوال الناس من حيث الشغل والفراغ، فالمشغول له عدد مختصر، وللفارغ عدد أكثر.

إلا أنه يرى المحققون مراعاة الأعداد الواردة في الحديث، لأن وصفات الطبيب لابد من رعاية مقاديرها وكمّياتها.

(٩) عن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة: ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة.

رواه مسلم كذا في المشكاة، وعزاه السيوطي في الجامع إلى أحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، ورقم له بالضعف (٥).

ثلاثا وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين، فتلك مائة قال: سبحوا خمساً وعشرين، واحمدوا خمساً وعشرين، وكبروا خمسا عشرين، وهللوا خمساً وعشرين، فتلك مائة، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افعلوا كما قال الأنصاري.

(١) هو كما يعلم من حديث البخاري برقم: ٨٤٣ عن أبي هريرة قال: تسبحون، وتحمدون، وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، قال أبو هريرة: فاختلفنا بيننا فقال بعضنا: نسبح ثلاثا وثلاثين، ونحمده ثلاثاً وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين، فرجعت إليه فقال: تقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاث وثلاثون.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات عن أبي هريرة، وله شاهد عن عبد الله بن عمرو عند النسائي رقم: ١٣٤٨، ج/٣ ص: ٧٤ من نسخة عبد الفتاح أبو غدة.

(٣) أخرجه النسائي عن ابن عباس ٣/٧٨ برقم: ١٣٥٣.

(٤) أخرجه أحمد عن أبي ذر موقوفاً برقم: ٢١٥١٢ ولفظه: كلمات من ذكرهن مائة مرة دبر كل صلاة: الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم لو كانت خطاياه مثل زبد البحر لمحقتهن، قال أبو عبد الرحمن: قال أبي: لم يرفعه انتهى، وإسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة، وجهالة أبي كثير مولى بني هاشم، وحيي ليس بذاك القوي، قاله محققو المسند.

(٥) أخرجه مسلم في المساجد برقم: ٥٩٦ والنسائي في السهو باب ٩٢ نوع آخر من التسبيح

وفي الباب عن أبي الدرداء عند الطبراني (١).

وأما سبب وصفها بالمعقبات، فهو: أنها عقب الصلوات المكتوبات، أو أنها تعقب الخطايا، فتمحوها، أو أنها يعقب بعضها بعضاً.

(١٠) عن عمران بن حصين رضي الله عنه رفعه: أما يستطيع أحدكم أن يعمل كل يوم مثل أحد عملاً، قالوا: يا رسول الله ومن يستطيع؟ قال: كلكم يستطيع، قالوا: يا رسول الله ماذا؟ قال: سبحان الله أعظم من أحد، ولا إله إلا الله أعظم من أحد، والحمد لله أعظم من أحد والله أكبر أعظم من أحد.

رواه الطبراني في الكبير، والبزار، كذا في جمع الفوائد، وإليهما عزاه في الحصن، ومجمع الزوائد، وقال: رجالهما رجال الصحيح (٢).

شرح الحديث:

يعني: أن الثواب الذي يحصل بكلمة واحدة من هذه الكلمات أكثر وأعظم من جبل أحد، بل ومن جبال كثيرة، فقد جاء في الحديث: "أن سبحان الله، والحمد لله، تملآن ما بين السماء والأرض"، وفي حديث: "أن سبحان الله نصف الميزان، والحمد لله تملؤه" (٣).

وفي حديث آخر: "لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس" (٤).

برقم: ١٣٤٩ والترمذي برقم: ٣٤١٢ وقال: هذا حديث حسن.

(١) ولفظه: عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أمرنا بالتسبيح في أدبار الصلوات ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وثلاثا وثلاثين تحميدة، وأربعاً وثلاثين تكبيرة، أورده الهيثمي في المجمع ١٠/١٠٤ وقال: رواه الطبراني بإسنادين، ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ٤/١٠ برقم: ٣٠٧٥ وقال بعد روايته: لا نعلمه يروى إلا عن عمران، ولا روى عنه إلا الحسن، ولا روى عن الحسن إلا رجلين، أحدهما عبيد، والآخر محمد بن حجارة فأما حديث ابن حجارة حدثنا أبو غسان الجدعي روح بن حاتم: ثنا عمرو بن سفيان عن الحسن بن أبي جعفر عن محمد بن حجارة.

قال الهيثمي في المجمع ١٠/٩٤: رواه الطبراني والبزار ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) أخرج الحديث الأول مسلم عن أبي مالك الأشعري في الطهارة برقم: ٢٢٣، والحديث الثاني أخرجه الترمذي برقم: ٣٥١٨ عن عبد الله بن عمرو وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي انتهى. قلت: لأن فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وأخرجه برقم: ٣٥١٩ عن رجل من بني سليم أيضاً وقال: هذا حديث حسن وقد رواه شعبة وسفيان الثوري عن أبي إسحاق انتهى.

(٤) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء برقم: ٢٦٩٥ عن أبي هريرة...

قال ملا علي القاري رحمه الله: معناه أن هذه الكلمات أحب إلي من إنفاق كل ما في الدنيا في سبيل الله تعالى.

حكي: أن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام مر في موكبه، والطير تظله، والدواب، والوحوش، والأنعام، والجن، والإنس، وسائر الحيوانات عن يمينه وشماله، فمرّ بعابد من عباد بني إسرائيل، فقال: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً! فسمع ذلك سليمان فقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود، فإن ما أعطي ابن داود يذهب، والسبحة تبقى (١).

(١١) عن أبي سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بخ بخ! خمس ما أثقلهن في الميزان! لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه. الحديث.

أخرجه أحمد في مسنده، ورجاله ثقات، كما في مجمع الزوائد، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وأقره عليه الذهبي (٢).

وذكره في الجامع الصغير برواية البزار عن ثوبان (٣).

وبرواية النسائي، وابن حبان، والحاكم عن أبي سلمى، و برواية أحمد عن أبي أمامة، ورقم له بالحسن.

وذكره في مجمع الزوائد برواية ثوبان، وأبي سلمى (٤) راعي رسول الله ﷺ، وسفينة(٥)، ومولى(١) لرسول الله ﷺ، وصحح بعض طرقها.

---

(١) انظر روض الرياحين ص: ١٤٨ الحكاية برقم: ٢٠٧.

وأخرجه أحمد برقم: ١٥٦٦٢ والحاكم ١/٦٩٢ برقم: ٨٥/١٨٨٥ وابن حبان برقم: ٨٣٣

(٣) أخرجه البزار برقم: ٣٠٧٢ من كشف الأستار ثم قال: لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه عن ثوبان وإسناده حسن، زيد بن يحيى معروف لا بأس به، وعبد الله بن العلاء وأبوه مشهوران، وقال الهيثمي ١٠/٩١: رواه البزار وإسناده حسن إلا أن شيخه العباس بن عبد العظيم الباساني لم أعرفه.

(٤) أخرجه الحاكم ج/١ص: ٦٩٢ برقم: ٨٥/١٨٨٥ وابن حبان برقم: ٨٣٣

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٥١٥٢ وقال: لا يروى هذا الحديث عن سفينة إلا بهذا الإسناد تفرد به النضر بن محمد.

وأما طريق أبي أمامة رضي الله عنه عند أحمد فلم أجده، وأخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٠٠٤٩ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. ثم وجدت حديث أبي أمامة في مسند أحمد برقم: ٢٢١٧٨، وعلّق

شرح الحديث:

نستطيع أن نقدر المسرة التي كان يشعر بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرشد إلى هذه الكلمات من قوله: "بخ بخ" التي هي تدل على فرط الفرح والسرور، فعلينا أن نقدر هذه الكلمات حق قدرها، ونتلقاها بالبهجة والارتياح ونستميت في سبيلها.

(١٢) عن سليمان بن يسار عن رجل من الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال نوح لابنه: إني موصيك بوصية، وقاصرها، لكي لا تنساها، أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين.

أما اللتان أوصيك بهما، فيَسْتبشر الله بهما، وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله، أوصيك بـ لا إله إلا الله، فإن السموت والأرض، لو كانتا حلقة قصمتهما، ولو كانتا في كفة وزنتهما، وأوصيك بـ "سبحان الله وبحمده"، فإنهما صلاة الخلق، وبهما يرزق الخلق، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، إنه كان حليماً غفوراً.

وأما اللتان أنهاك عنهما، فيحتجب الله منهما، وصالح خلقه، أنهاك عن الشرك والكبر.

رواه النسائي، واللفظ له، والبزار، والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو، وقال: صحيح الإسناد(٢)، كذا في الترغيب.

قلت: وقد تقدم في بيان التهليل حديث عبد الله بن عمرو، وتقدم فيه أيضاً ما في الباب، وتقدم في الآيات قوله عز اسمه: وإن من شيء إلا يسبح بحمده الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة عن جابر مرفوعاً: ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه، وإن نوحاً قال لابنه: يا بني آمرك أن تقول: سبحان الله، فإنها صلاة الخلق وتسبيحه، وبها يرزق الخلق.

عليه المحققون: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(١) أخرجه أحمد برقم: ١٨٠٧٦ عن أبي سلام عن مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) أخرجه الحاكم ج/١ ص: ١١٢ برقم: ١٥٤/١٥٤ وصححه ووافقه الذهبي، وأحمد برقم: ٦٥٨٣ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وأخرج أحمد، وابن مردويه عن ابن عمر مرفوعاً: إن نوحاً لما حضرته الوفاة، قال لابنه: آمركما بـ سبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق كل شيء، كذا في الدر(١).

شرح الحديث:

قد وردت الأحاديث بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد سمع تسبيح السماء في ليلة المعراج.

"مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم، وهو وقوف على دواب لهم، ورواحل، فقال لهم: اركبوها سالمة، ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق، والأسواق، فرب مركوبة خير من راكبها، وأكثر ذكراً لله تبارك وتعالى منه"(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزوجل: وإن من شيء إلا يسبح بحمده، قال: "الزرع يسبح بحمده، وأجره لصاحبه، والثوب يسبح، ويقول الوسخ: إن كنت مؤمناً فاغسلني"(٣).

"وأُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد، فقال: إن هذا الطعام يسبح، قالوا: يا رسول الله! وتفقه تسبيحه؟ قال: نعم! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل: أدن هذه القصعة من هذا الرجل، فأدناها، فقال: نعم! يا رسول الله، هذا الطعام يسبح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدنها من

(١) وقد أخرجه البزار أيضاً من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه برقم: ٣٠٦٩ من كشف الأستار، وقد قال ابن كثير في تاريخه: الظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه كما رواه أحمد والطبراني انتهى. وأما من طريق جابر رضي الله عنه فقد أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ١٧٤٣/٥ برقم: ١٢٢٢ وابن جرير في تفسيره عند قول الله عزوجل، وإن من شيء إلا يسبح بحمده.

قال ابن كثير في تفسيره بعد أن أورده من طريق ابن جرير: إسناده فيه ضعف، فإن الأودي (هو نصر بن عبد الرحمن شيخ ابن جرير، والراوي عن محمد بن يعلى) ضعيف. انتهى قول ابن كثير.

قلت: قد وافقه عن محمد بن يعلى إسماعيل بن موسى الفزاري عند أبي الشيخ، وأصاب محقق كتاب العظمة رضاء الله المباركفوري إذ قال: الأحسن أن يُعل بـ محمد بن يعلى وموسى بن عبيدة، وكلاهما ضعيف انتهى.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ١٥٦٢٩ عن معاذ بن أنس الجهني، وفيه ابن لهيعة وزبان بن فائد.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ١٧٢٨/٥ برقم: ١١٩ وعزاه السيوطي في الدر إلى ابن مردويه كذلك، قال محقق كتاب العظمة: رجال إسناده ثقات، غير أن بقية بن الوليد كثير التدليس من الضعفاء.

آخر، فأدناها منه، فقال: يا رسول الله! هذا الطعام يسبح، فقال: أدنها من آخر فأدناها منه، فقال: يا رسول الله! هذا الطعام يسبح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ردها، فقال رجل: يا رسول الله! صلى الله عليه وسلم لو أمرت على القوم جميعاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله، إنها لو سكنت عند رجل، لقالوا: من ذنب، ردها، فردها (١).

إن هذا الأمر يتعلق بالمكاشفة، وكان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، على مرتبة كاملة، ودرجة تامة من ذلك، وحق أن يحصل لهم ذلك، وكان للصحابة رضي الله عنهم حظ من ذلك، بفضل صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وقربهم من الله عزوجل، وتشهد له كثير من الحكايات.

والمشايخ الربانيون أيضاً يحصل لهم شيء من ذلك في الغالب، بكثرة ما يقومون به من المجاهدة، والرياضة، فيفقهون تسبيح الجماد، والنبات، والبهائم، إلا أن المشايخ المحققين لا يجعلون ذلك همتهم، وليس ذلك عندهم دليلاً على الكمال، ولا باعثاً على التقرب، لأنه يحصل لكل من يمارس نوعاً من المجاهدة، ويرتاض رياضة، وإن لم له قرب من الله سبحانه وتعالى، فنظراً إلى ذلك لا يهتم بها المحققون، ولا يقيمون له وزناً، بل يعتبرونه مضراً، من حيث إن السالك المبتدئ إذا اشتغل بهذه الأمور، ولهج بها، صار ذلك عائقاً في طريقه نحو الارتقاء الروحي، والقرب الإلهي.

وقد وقع لبعض مسترشدي الشيخ الجليل مولانا خليل أحمد السهارنفوري شيء من ذلك، فنهاه الشيخ عن جميع أنواع المجاهدة، حتى لا تقوى هذه الحال.

والأمر الثاني الذي يخافون من أجله المكاشفات، ويحذرونها هو: أن المكاشفة قد تُظهر لهم معاصيَ الآخرين، وذلك يكدر طبائعهم، ويشوش

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ١٧٢٦/٥ برقم: ١١٩٢ عن أنس رضي الله عنه، وفي إسناده زياد بن ميمون الثقفي الفاكهي، الراوي عن أنس، ويقال له زياد أبو عمار البصري، وزياد بن أبي عمار، وزياد بن أبي حسان، يدلسونه لئلا يعرف في الحال، قال يزيد بن هارون: كان كذاباً، وقال البخاري: تركوه، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، وقال أبو داود: أتيته فقال: أستغفر الله، وضعف هذه الأحاديث، وفيه أقوال أخرى شديدة، راجع ميزان الاعتدال ٩٤/٢.

خواطرهم.

قال العلامة الشعراني رحمه الله في الميزان الكبرى:

كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله من أعظم أهل الكشف، فكان إذا رأى الماء الذي يتوضأ منه الناس، يعرف أعيان تلك الخطايا التي خرّت في الماء، ويميز غسالة الكبائر عن الصغائر، والصغائر عن المكروهات، والمكروهات عن خلاف الأولى، كالأمور المجسّدة حسا على حد سواء، قال (القائل هو علي الخواص رحمة الله عليه):

وقد بلغنا أنه دخل مطهرة جامع الكوفة، فرأى شاباً يتوضأ، فنظر في الماء المتقاطر منه، فقال: يا ولدي! تب عن عقوق الوالدين، فقال: تبت إلى الله عن ذلك، ورأى غسالة شخص آخر، فقال له: يا أخي! تب من الزنا، فقال: تبت من ذلك، ورأى غسالة شخص آخر فقال له: يا أخي تب من شرب الخمر وسماع الآلات، فقال: تبت منها، فكانت هذه الأمور كالمحسوسة عنده على سواء من حيث العلمُ بها.

ثم بلغنا أنه سأل الله تعالى أن يحجبه هذا الكشف، لما فيه من الاطلاع على سوآت الناس، فأجابه الله تعالى إلى ذلك، فعلم أن الإمام كان قوله في الماء المستعمل حال كشفه (١).

(١٣) عن أم هانئ رضي الله عنها، قالت: مرّ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله! قد كبرت سني، أو ضعفت، أو كما قالت: فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة.

قال: سبحي الله مائة تسبيحة، فإنه تعدل لك مائة رقبة تعتقها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة، فإنها تعدل لك مائة فرس ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي الله مائة تهليلة، قال أبو خلف: أحسبه قال: تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع لأحد عمل أفضل مما يرفع لك، إلا أن يأتي بمثل ما أتيت.

---

(١) كتاب الميزان لعبد الوهاب الشعراني ج/١ ص:٨٧، كتاب الطهارة الطبعة الثانية بالمطبعة العامرية الشرقية سنة ١٣١٨هـ

رواه أحمد بإسناد حسن، واللفظ له، والنسائي، ولم يقل: ولا يرفع إلى آخره، والبيهقي بتمامه، وابن أبي الدنيا، فجعل ثواب الرقاب في التحميد، والفرس في التسبيح، وابن ماجه بمعناه باختصار، والطبراني في الكبير بنحو أحمد، ولم يقل: أحسبه، وفي الأوسط بإسناد حسن بمعناه كذا في الترغيب باختصار.

قلت: رواه الحاكم بمعناه، وصححه، وعزاه في الجامع الصغير إلى أحمد، والطبراني، والحاكم، ورقم له بالصحة، وذكره في مجمع الزوائد بطرق وقال: أسانيدها حسنة (١).

و في الترغيب أيضاً عن أبي أمامة مرفوعاً بنحو حديث الباب مختصراً، وقال: رواه الطبراني، ورواته رواة الصحيح، خلا سليم بن عثمان الفوزي يكشف حاله، فإنه لا يحضرني فيه جرح ولا عدالة اهـ(٢).

وفي الباب عن سلمى أم بني أبي رافع، قالت: يا رسول الله! أخبرني بكلمات لا تكثر علي، الحديث مختصراً، وفيه: التكبير والتسبيح عشراً عشراً واللهم اغفر لي عشراً (٣).

قال المنذري: رواه الطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح اهـ.

قلت: وبمعناه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً بلفظ: من

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ٢٦٩١١ وأخرج ابن ماجه بنحوه برقم: ٣٨١٠ والطبراني في الكبير ج/٢٤ برقم: ٩٩٥ وفي الأوسط برقم: ٤٢٢٣ والحاكم ج/١ ص: ٦٩٥ برقم: ٩٣/١٨٩٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وزكريا بن منظور لم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بأن زكريا ضعيف، وسقط من بين محمد وأم هانئ، انتهى وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ٢/٢٤٥-٢٤٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ج/١٠ ص: ٩٥.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ج/٨ ص: ١٣٥ برقم: ٧٥٣٤ ولفظه: من قال: سبحان الله وبحمده، كان مثل مائة رقبة تعتق إذا قالها مائة مرة، ومن قال: الحمد لله مائة مرة كان عدل مائة فرس مسرج ملجم في سبيل الله، ومن قال: الله أكبر مائة مرة كان عدل مائة بدنة تنحر بمكة.

وأما قول المنذري في الترغيب والترهيب ٢/٢٤٦ فقد قال الهيثمي في مجمع ازوائد ١٠/٩٥ بعد إيراد هذا الحديث: رواه الطبراني فيه سليمان بن عثمان الطائي الفوزي، وقد روى عنه ثلاثة، وذكره ابن حبان في الثقات، وذكر شرطا فوجد، فالحديث حسن، لأن بقية رجاله ثقات انتهى، فتبين من ذلك أن المنذري أخطأ في اسمه حيث قال: سليم، وهو سليمان.

(٣) أخرجه في الكبير ج/٢٤ ص: ٣٠٢ برقم: ٧٦٦ ولفظه: قالت: يا رسول الله أخبرني بكلمات، ولا تكثر علي، فقال: قولي: الله أكبر عشر مرات، يقول الله: هذا لي، وقولي: سبحان الله عشر مرات يقول: هذا لي، وقولي: اللهم اغفرلي يقول: قد فعلت، قال الهيثمي١٠/٩٥: رجاله رجال الصحيح.

سبح الله مائة بالغداة، ومائة بالعشي، كان كمن حج مائة حجة، الحديث، وجعل فيه التحميد كمن حمل على مائة فرس، والتهليل كمن أعتق مائة رقبة، من ولد إسماعيل، وذكره في المشكاة برواية الترمذي و قال: حسن غريب (١).

شرح الحديث:

قد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للضعفاء والشيوخ والعجائز وصفة سهلة، لا تتطلب كثيراً من الجهد، والكلفة، والسعي، ووعد الله عزوجل على العمل بها بالأجر الكثير، فما أشقانا إن حُرِمناه!

ولا سيما الذكر الذي روي عن سلمى أم بني أبي رافع من التسبيح والتحميد، والتكبير، عشراً، ما أخف هذه الكلمات! وأيسرها جَرَياناً على اللسان وحفظاً على الجَنان! وأقلها مؤنة وأسهلها عملاً! إننا نضيع أوقاتنا في اللغو واللهو والخنا، ولو أننا ذكرنا الله عزوجل، وقمنا بالتسبيح والتحميد والتهليل، مع الاشتغال بالتجارة، أو الزراعة، أو الصناعة، لربحنا ربح الآخرة مع ربح الدنيا.

(١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله، تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونها بأجنحتهم إلى السماء، فإذا تفرقوا، عرجوا، وصعدوا، فيسألهم ربهم وهو يعلم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا! فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً.

فيقول: فما يسألون؟ فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا! فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات برقم: ٣٤٧١ ولفظه: من سبح الله مائة مرة بالغداة، ومائة بالعشي، كان كمن حج مائة مرة، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي، كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله، أو قال: غزا مائة غزوة، ومن هلل الله مائة بالغداة، ومائة بالعشي، كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل؛ ومن كبر الله مائة بالغداة، ومائة بالعشي، لم يأت في ذلك اليوم أحد بأكثر مما أتى به، إلا من قال مثل ما قال، أو زاد على ما قاله. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

فيقولون: يتعوذون من النار، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة.

فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

رواه البخاري، ومسلم، والبيهقي في الأسماء والصفات، كذا في الدر والمشكاة (١).

شرح الحديث:

ذلك من فضل الله سبحانه وتعالى أنه لم يَحرم جليسَ الذاكرين، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على فضل اختيار الجليس الصالح، قال الله عزوجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾.

وقد قال بعض مشايخ الصوفية: كونوا مع الله تبارك وتعالى، فإن لم تستطيعوا، فكونوا مع الذين كانوا مع الله، ويفسر معيةَ الله عزوجل الحديثُ الذي جاء فيه: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها (٢).

ويعني ذلك: أن جميع أعماله، وتصرفاته، تصدر عن رضا الله عزوجل، ولا يكون شيء منها مخالفاً لوجهه، ومرضاته تبارك وتعالى.

وأحوال الصوفية، وحكاياتهم الكثيرة المتوافرة تدل على ذلك دلالة واضحة صريحة، لا مجال لإنكارها، وجحودها، ونظرة في كتاب "روض الرياحين" لليافعي تُطلعنا على مثل هذه الأحوال والحكايات.

قال الشيخ أبو بكر الكتاني: جرت مسألة بمكة أيام الموسم في المحبة، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد رضي الله عنه أصغرهم، فقالوا له: هات ما عندك ياعراقي! فأطرق رأسه، وذرفت عيناه، ثم قال:

(١) أخرجه البخاري برقم: ٦٤٠٨، ومسلم برقم: ٢٦٨٩ كتاب الذكر والدعاء باب فضل مجالس الذكر.
(٢) أخرجه البخاري برقم: ٦٥٠٢.

"المحب عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربّه، قائماً بأداء حقوقه، ناظراً إليه بقلبه، قد أحرق قلبه أنوارُ هيبته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فلله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله، ولله، ومع الله".

فبكى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين (١).

سعيد بن المسيب رحمه الله سيد التابعين، ومن كبار المحدثين، يقول عنه تلميذه ابن أبي وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أياما، فلما جئته، قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي، فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها!.

قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله! ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا، فقلت: أو تفعل؟ قال: نعم! ثم حمد الله تعالى، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجني على درهمين، أو قال: ثلاثة.

قال: فقمت: وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين؟ فصليت المغرب، وانصرفت إلى منزلي، و استرحت، وكنت وحدي صائماً فقدمت عشائي، وكان خبزاً وزيتاً، فإذا بآت يقرع فقلت: من هذا؟ قال: سعيد، قال: ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد، إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم يُر أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت، فخرجت، فإذا سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد! ألا أرسلت إلي فأتيتك! قال: لأنت أحق أن تؤتى، قال: قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذها بيدها، فدفعها بالباب، وردَّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز، فوضعتها في ظل السراج، لكي لا تراه ثم صعدت إلى السطح، فرميت الجيران، فجاءوني، فقالوا: ما شأنك؟

---

(١) انظر روض الرياحين ص: ٩٣ الحكاية: ١٠٠.

قلت: ويحكم! زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها على غفلة، فقالوا: سعيد بن المسيب زوجك؟ قلت: نعم! وهاهي في الدار.

قال: فنزلوا هم إليها، وبلغ أمي فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، قال: فأقمت ثلاثة أيام، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وإذا هي أحفظ الناس بكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعرفهم بحق الزوج، قال: فمكثت شهراً، لا يأتيني سعيد، ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر، أتيت سعيداً وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد علي السلام، ولم يكلمني، حتى تقوض أهل المجلس، فلما لم يبق غيري قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خيراً يا أبا محمد! على ما يحب الصديق، ويكره العدو، قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي، فوجه إلي بعشرين ألف درهم.

قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك ابن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد، حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد، وصب عليه جرة ماء، وألبسه جبة صوف (١).

(١٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كتب له بكل حرف عشر حسنات، ومن أعان على خصومة باطل، لم يزل في سخط الله، حتى ينزع، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد الله في أمره، ومن بهت مؤمنا أو مؤمنة، حبسه الله في ردغة الخبال يوم القيامة، حتى يخرج مما قال: وليس بخارج.

رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح، كذا في مجمع الزوائد، قلت: أخرجه أبو داود بدون ذكر التسبيح فيه (٢).

---

(١) انظر حلية الأولياء ج/٢ ص: ١٦٧-١٦٩.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٦٤٩١ وأخرجه أبو داود من قوله، من حالت شفاعته إلى قوله: حتى يخرج مما قال برقم: ٣٥٩٧ كتاب الأقضية باب فيمن يُعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٠٦: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجالهما رجال

شرح الحديث:

إن الدفاع عن الباطل، والجدال عنه، قد صار اليوم طبيعتنا، فتحول محبة العشائر، والأقارب، دون إنكار المنكر، نعرف أن فلاناً على الباطل، لكننا نسكت، ونلوذ بالصمت، حمية للأسرة، وليس ذلك فحسب، بل ندافع عنه، وإن قام أحد يطالب بالحق، ويقول الحق، نناقشه ونقاومه، ويبلغ بنا الأمر إلى أن نشجع صاحبنا، ونحفز همته، ونحن نعرف أنه سرق، وظلم، وهل هذا هو الذي يقتضيه إيماننا، وديننا الذي نفتخر به؟!

الواقع أننا نسيء بذلك إلى سمعة الإسلام، ونهين أنفسنا في عين الله عزوجل، وقد جاء في الحديث: "من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية، فقتل فقتلة جاهلية" (١).

وفي حديث آخر عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: يا رسول الله! ما العصبية؟ قال: "أن تعين قومك على الظلم" (٢).

أما ردغة الخبال فهي عصارة أهل النار، ما أنتن هذا المكان الذي يحبس فيه الباهتون للمؤمنين! ما أيسر على اللسان أن يقول على الناس ما شاء! لكن يعود ذلك وبالاً في الآخرة، حيث لا ينفع طلاقة اللسان، والإدلاء بالمعاذير، هنالك ينكشف عن الإنسان الغطاء، فبصره اليوم حديد.

وقد جاء في الحديث: "إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب (٣).

وجاء في حديث: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم (٤).

وفي حديث آخر: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأساً، إلا ليضحك بها القوم، وإنه ليقع منها أبعد من السماء (٥).

الصحيح، غير محمد بن منصور الطوسي، وهو ثقة.

(١) أخرجه مسلم كتاب الإمارة برقم: ١٨٤٨ وابن ماجه في الفتن باب العصبية برقم: ٣٩٤٨ عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الأدب باب في العصبية برقم: ٥١١٩.

(٣) أخرجه البخاري برقم: ٦٤٧٧ ومسلم برقم: ٢٩٨٨ كتاب الزهد والرقائق عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق برقم: ٦٤٧٨ عن أبي هريرة.

(٥) أخرجه أحمد برقم: ١١٣٣١ عن أبي سعيد الخدري، وفيه أبو إسرائيل بن خليفة الملائي وله

وجاء في حديث: "من عير أخاه بذنب، لم يمت حتى يعمله"، قال أحمد: من ذنب قد تاب منه (١).

دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يجبذ لسانه، فقال له: مه! غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد (٢).

(١٦) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول بآخره، إذا أراد أن يقوم من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك، وأتوب إليك، فقال رجل: يا رسول الله! إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى، قال: كفارة لما يكون في المجلس.

رواه ابن أبي شيبة، وأبو داود، والنسائي، والحاكم، وابن مردويه، كذا في الدر (٣).

فيه أيضاً برواية ابن أبي شيبة عن أبي العالية بزيادة: علمنيهن جبريل (٤)

شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد برقم: ٩٢٢٠ ولفظه: إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها من أبعد من الثريا، وفي إسناده ضعف، وحسّنه لغيره محققو المسند، وأخرج أحمد برقم: ٢٠٠٢١ عن معاوية بن حيدة مرفوعاً بإسناد حسن، قال: ويل للذي يحدث القوم، ثم يكذب، ليضحكهم، ويل له، وويل له.

(١) أخرجه الترمذي برقم: ٢٥٠٥ في صفة القيامة وقال: هذا حديث غريب، وليس إسناده بمتصل، وخالد بن معدان لم يدرك معاذ بن جبل، وروي عن خالد بن معدان أنه أدرك سبعين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومات معاذ بن جبل في خلافة عمر بن الخطاب، وخالد بن معدان روى عن غير واحد من أصحاب معاذ عن معاذ غير حديث انتهى.

وفي إسناده محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، كذبه ابن معين، وأبو داود، وقال النسائي: متروك، انظر الميزان ٣/٥١٤-٥١٥ وساق له الذهبي هذا الحديث، فالحديث ضعيف جداً، نعم روى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد لأبيه ص: ٣٤٢ قال: أخبرت عن سيار حدثنا صالح المري قال: سمعت الحسن يقول: كنا نحدث أنه: من عير أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه، ابتلاه الله عزوجل به، فهو من قول الحسن حكاية، وفي إسناده صالح المري وهو ضعيف.

ويستأنس له بحديث واثلة بن الأسقع عند الترمذي برقم: ٢٥٠٦ في صفة القيامة مرفوعاً بلفظ: لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله، ويبتليك. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ومكحول قد سمع من واثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك، وأبي هند الداري.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجامع باب ما يخاف من اللسان برقم: ١٨١٠ عن زيد بن أسلم عن أبيه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٢٩٩٣٧ كتاب الدعاء ما يدعو به الرجل إذا قام من مجلسه، وأبو داود رقم: ٤٨٥٩ كتاب الأدب باب في كفارة المجلس والحاكم ج/١، ص: ٧٢١ برقم: ١٩٧١/١٧١ قال ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود: إسناده حسن، والحجاج بن دينار صدوق، وثقه غير واحد.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٢٩٩٣٩.

شرح الحديث:

قد روي عن عائشة رضي الله عنها كذلك، قالت: "إن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلساً، أو صلى، تكلم بكلمات، فسألته عائشة عن الكلمات فقال: إن تكلم بخير كان طابعاً عليهن إلى يوم القيامة، وإن تكلم بشر، كان كفارة له: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك "(١)

إن المجالس لا تخلو في الغالب عن فضول الكلام، واللغو، والغيبة، وما إلى ذلك، فلو أن العبد أتى بذكر من هذه الأذكار المأثورة عند القيام من المجلس، الخفيفة على اللسان، القصيرة، لتخلص من شر المجالس ووبالها، وذلك من تيسير الله عزوجل على عباده.

(١٧) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الذين يذكرون الله من جلال الله، من تسبيحه، وتحميده، وتكبيره، وتهليله يتعاطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، يذكرن بصاحبهن، ألا يحب أحدكم أن لايزال له عند الله شيء يذكر به؟.

رواه أحمد، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، قال الذهبي: موسى بن سالم، قال أبو حاتم: منكر الحديث، ولفظ الحاكم: كدوي النحل يقلن لصاحبهن (٢).

وأخرجه بسند آخر، وصححه على شرط مسلم، وأقره عليه الذهبي، وفيه كدوي النحل يذكرن بصاحهن (٣).

---

(١) أخرجه الحاكم ج١، ص: ٦٧٤ برقم: ٢٧/١٨٢٧ وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: على شرط الشيخين، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٦٢٠.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ١٨٣٦٢ وابن أبي شيبة في المصنف برقم: ٣٠٠٢٨ والحاكم ج ١/ ص: ٦٧٨ برقم: ٤١/١٨٤١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بأن موسى بن سالم، قال أبو حاتم: منكر الحديث انتهى.

وقد نبه محققو مسند أحمد، وكذلك محقق مصنف ابن أبي شيبة على أن ذلك وهم، والصحيح أنه موسى بن مسلم الطحان كما في المسند والمصنف، وهو ثقة، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه ج/١ ص: ٦٨٣ برقم: ٥٥/١٨٥٥ من طريق أبي عيسى موسى بن عيسى الصغير وقال: هذا حديث على شرط مسلم فقد احتج بموسى القاري وهو ابن عيسى هذا، ووافقه الذهبي.

ونبه الشيخ شعيب وأصحابه والشيخ عوامة على أن ذلك وهم، والصواب أنه موسى بن مسلم الصغير نفسه الذي مر.

قال عبد الرشيد: قد أخرج هذا الحديث ابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل التسبيح

شرح الحديث:

اسألوا المتزلفين إلى الحكام، والمتبوئين للمناصب، كيف يطيرون فرحاً إذا ذُكروا عند عامل من العمال، فضلاً عن الوزير، فضلاً عن الملك، وينتفخون بذلك كبراً، ويشمخون أنفاً، مع أنه لا جدوى في هذا الذكر في الدنيا ولا في الآخرة.

أما أنه لا نفع فيه من حيث الدينُ فظاهر، وأما نفع الدنيا الحاصل من هذا الذكر، فلا يقاوم ذلك الضررَ الذي قد يصيب الإنسان في طريق الوصول إلى ذلك، حيث يضطر إلى بيع ما يملكه من عقار، والاستقراض بالربا، واحتمال العداوات، والحزازات، من مختلف الجهات، وقبول كل نوع من الضيم، والخزي، والعار، وما مشاهد الانتخابات ووقائعها بسرّ على أحد.

وفي إزاء ذلك ذكر العبد عند عرش الرحمن عزوجل، وفي حضرة مالك الملك عزوجل، الذي بيده كل ما في السموات والأرض، وما بينهما، والذي بيده قلوب الملوك، والذي بيده النفع والضر، فلو أن أهل الدنيا كلهم من ملوكها، وشعوبها، ومن غنيها، وفقيرها، اجتمعوا على أن يضروا أحداً ما استطاعوا - إذا لم يشأ الله عز وجل - أن يمسوه بأدنى سوء، ولو أنهم اجتمعوا على أن ينفعوا أحداً، و الله تعالى لا يريد ذلك، ما استطاعوا أن يسقوه شربة ماء، فهل يعادل أي شيء من الدنيا ذكر العبد عند الله عزوجل الذي هذا شأنه، وهل يوازي هذا الشرف أي شرف من الدنيا، أو يدانيه؟ كلا! وإذا كان أحد يقيم لأي شيء آخر وزناً في إزائه فلا يظلم إلا نفسه.

(١٨) عن يسيرة وكانت من المهاجرات، قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: عليكن بالتسبيح، والتهليل، والتقديس، واعقدن بالأنامل، فإنهم مسئولات مستنطقات، ولا تغفلن، فتُنسين الرحمة.

رواه الترمذي، وأبو داود، كذا في المشكاة، وفي المنهل: أخرجه أيضاً أحمد، والحاكم، وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح، وكذا رقم له بالصحة في الجامع الصغير، وبسط صاحب الإتحاف في تخريجه (١).

برقم: ٣٨٠٩، قال البوصيري في زوائد ابن ماجه: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

(١) أخرجه الترمذي برقم: ٣٥٨٣ في الدعوات باب في فضل التسبيح والتهليل والتقديس، وأبو داود برقم: ١٥٠١ في كتاب الوتر باب التسبيح بالحصى، والحاكم ج/١، ص: ٧٣٢ برقم: ٢٠٧/٢٠٠٧ ولم

وقال عبد الله بن عمرو: رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح، رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي وحسنه، والحاكم(١)، كذا في الإتحاف، وبسط في تخريجه، ثم قال: قال الحافظ: معنى العقد المذكور في الحديث: إحصاء العدد ـ وهو اصطلاح العرب ـ بوضع بعض الأنامل على بعض عقد أنملة أخرى، فالآحاد، والعشرات، باليمين، والمئون، والآلاف، باليسار.

شرح الحديث:

تُسأل يوم القيامة أعضاءُ الإنسان وجوارحُه عما عمل من الأعمال الصالحة، والسيئة، كما يتحدث القرآن عن ذلك في كثير من المواضع، قال الله عزوجل: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النور: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[حم السجدة: ١٩-٢٠].

كذلك قد بينت الأحاديث عن هذه الشهادة تفاصيل.

جاء في حديث: "إذا كان يوم القيامة، عير الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقال له: جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقال: أهلك وعشيرتك، فيقول: كذبوا، فيقال: احلفوا، فيحلفون، ثم يصمتهم الله، ويشهد عليهم ألسنتهم، فيدخلهم النار" (٢).

وفي حديث: "أول ما يعرب عن أحدكم فخذه" (٣).

يتكلم بشيء، وقال الذهبي: صحيح، ولفظه: ولا تغفلن فتنسين التوحيد، وأحمد برقم: ٢٧٠٨٩ وابن حبان برقم: ٨٤٢ وغيرهم، وهو حديث حسن.

(١) أخرجه أبو داود كتاب الوتر باب التسبيح بالحصى برقم: ١٥٠٢ والترمذي في الدعوات برقم: ٣٤١١ وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث الأعمش، والحاكم ج/١، ص: ٧٣٢ برقم: ٢٠٠٥ /٢٠٥ وبعده، ولم يتكلم، وقال الذهبي: صحيح، وأحمد مطولاً برقم: ٦٤٩٨

(٢) أخرجه الحاكم ج/٤، ص: ٦٤٨ برقم ٨٧٩٠/١١٥ عن أبي سعيد الخدري وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح على شرط مسلم

(٣) أخرجه أحمد برقم: ٢٠٠١١ عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه بإسناد حسن، وله شاهد من حديث عقبة بن عامر عند أحمد برقم: ١٧٣٧٤ ولفظه: إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه: فخذه من الرجل الشمال.

وجاء في حديث:

"آخر رجل يدخل الجنة: رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن، كالغلام يضربه أبوه، وهو يفر منه، يعجز عنه عمله أن يسعى، فيقول: يا رب بلغني الجنة، ونجّني من النار، فيوحي الله إليه: عبدي إن أنجيتك من النار، وأدخلتك الجنة، تعترف لي بذنوبك وخطاياك فيقول العبد: نعم يا رب! وعزتك وجلالك لئن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي، وخطاياي، فيجوز الجسر، ويقول فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي، ليردني إلى النار، فيوحي الله إليه: عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك، أغفرها لك، وأدخلك الجنة، فيقول العبد: وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنبا قط، ولا أخطأت خطيئة قط.

فيوحي الله إليه: عبدي إن لي عليك بينة، فيلتفت العبد يميناً وشمالاً، فلا يرى أحداً ممن كان يشهده في الدنيا، فيقول: يا رب أرني بينتك، فيستنطق الله تعالى بالمحقرات، فإذا رأى ذلك العبد يقول: يا رب عندي وعزتك العظائم المضمرات، فيوحي الله إليه: عبدي أنا أعرف بها منك، اعترف لي بها، أغفرها لك، وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه، فيدخل الجنة، هذا أدنى أهل الجنة منزلة، فكيف بالذي فوقه (١).

نظراً إلى ذلك فيجب أن تُستخدم الأعضاء في الأعمال الصالحة حتى تشهد له بالخير كذلك، ولذلك أرشد رسول الله ﷺ إلى العقد بالأنامل، ولذلك حثت الأحاديث على كثرة الخُطا إلى المساجد، لكي تشهد آثار الأقدام، وتكتب بها الأجور، فطوبى للذين لا يأتي لهم يوم القيامة شهداء بالشر، لأنهم لم يعملوا السيئات، أو محيت سيئاتهم بالتوبة، والحسنات، وتأتي لهم شهداء بالخير كثير، ومن ثم فإذا صدر منا ذنب من الذنوب فلنمحه بالتوبة، حتى لا تبقى في صحيفة أعمالنا الذنوب، وتكون فيها الحسنات، وتشهد الأعضاء كذلك بالخيرات.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ج/٨ ص: ١٨٥ برقم: ٧٦٦٩ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج/١٠ ص: ٤٠٥ كتاب البعث باب في أدنى أهل الجنة منزلة وآخر من يدخلونها: رواه الطبراني. وفيه من لم أعرفهم، وضعفاء فيهم توثيق لين.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "ولا تغفلن فتنسين الرحمة" ففيه الوعيد بالحرمان من رحمة الله تبارك وتعالى على الغفلة من ذكره، فالابتعاد من ذكر الله عزوجل سبب للابتعاد من رحمته، وقد قال الله عزوجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

جاء في الأثر: "ليس من الآدميين أحد، إلا ومعه شيطان موكل به، أما الكافر، فيأكل معه من طعامه، ويشرب معه من شرابه، وينام معه على فراشه، وأما المؤمن فهو يجانب له، ينتظر حتى يصيب منه غفلة أو غرة، فيثب عليه، وأحب الآدميين إلى الشيطان الأكول النئوم (١).

وقال الله تعالى في آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ، وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٩-١١].

وهناك كثير من عباد الله لا يغفلون لساعة، فعن الشبلي أنه قال:

رأيت مجنوناً في بعض الطرقات، والصبيان خلفه يرجمونه بالحجارة، وقد أدموا وجهه، وشجُّوا رأسه، فزجرتهم عنه، فقالوا: يا شيخ دعنا نقتله، فإنه كافر، قلت: ما بدا لكم من كفره؟ قالوا: يزعم أنه يرى ربه، ويحادثه.

فقلت: أمسكوا علي قليلاً، ثم تقدمت إليه، فوجدته يتحدث، ويضحك، ويقول في أثناء ذلك: هذا جميل منك، تُسلّط هؤلاء الصبيان يفعلون بي هكذا، فقلت له: يا أخي! هؤلاء الصبيان يقولون عنك شيئاً، قال: يا شبلي! ما يقولون؟ قلت: يقولون عنك: إنك تزعم أنك ترى ربك، وتحادثه، فصاح صيحة عظيمة، ثم قال: يا شبلي وحق من تيَّمني بحبه، وهيَّمني بين بعده

(١) عزاه في الدر المنثور إلى أحمد في الزهد، وهو من قول وهب بن منبه مقطوعاً، وليس حديثاً مرفوعاً، وهو في الزهد لأحمد في ص: ٤٤٧ مختصراً.

وقربه، لو احتجب عني، طرفة عين لتقطعت من ألم البين، ثم ولى عني مسرعاً، وهو يقول:

خيالك في عيني وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب (١)

ولما حضرت جنيداً الوفاة، لقنه بعض الحاضرين لا إله إلا الله، فقال: ما نسيته فأذكره، وكذلك لما احتُضِر الشيخ ممشاد الدينوري قال له بعض جلسائه: فعل الله تعالى وصنع! (من باب الدعاء)، فضحك، ثم قال: منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها، فما أعَرْتها طرْفي.

ولما كان الشيخ رُويم رحمه الله في النزع، لقّن لا إله إلا الله، فقال: لا أحسن غيرَه.

وعن محمد بن حامد قال: كنت جالساً عند الإمام أحمد بن خضرويه وهو في النزع، وقد أتى عليه خمس وتسعون سنة، فسأله بعض أصحابه عن مسألة، فدمعت عيناه، وقال: يا بني! باب كنت أدقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة، لا أدري أيفتح بالسعادة أم الشقاوة؟ فأن لي أوان الجواب (٢).

(١٩) وعن جويرية رضي الله عنها: أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، قال: مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم! قال النبي ﷺ: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

رواه مسلم كذا في المشكاة، قال القاري: وكذا أصحاب السنن الأربعة (٣).

وفي الباب عن صفية قالت: دخل علي رسول ﷺ، وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهن، الحديث، أخرجه الحاكم وقال الذهبي: صحيح (٤).

(١) ذكرها اليافعي في روض الرياحين ص: ٥٢ الحكاية ٣٦ ثم قال: الصواب في هذا البيت أن يقال:

جمالك في عيني وذكرك في فمي ... وحبك في قلبي فأين تغيب

لأن بعض ألفاظ البيت الذي قاله لا يجوز في صفات الخالق سبحانه وتعالى انتهى قول اليافعي.

(٢) انظر هذه الحكايات كلها في إحياء العلوم ج/٤ ص: ٤٨٢- ٤٨٥ وانظر الحكاية الأخيرة في روض الرياحين أيضاً ص: ١٣٨ الحكاية ١٧٥.

(٣) أخرجه مسلم برقم: ٢١٤٠، وأبو داود برقم: ١٥٠٣ والترمذي برقم: ٣٥٥٥، والنسائي في المجتبى ٣/٧٧

(٤) أخرجه الحاكم ج/١، ص: ٧٣٢، برقم: ٢٠٠٨/٢٠٨، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه

وعن سعد بن أبي وقاص، أنه دخل مع النبي ﷺ على امرأة، وبين يديها نوى أو حصى، تسبح به، فقال: ألا أخبرك بما هو أيسر من هذا، أو أفضل؟: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله مثل ذلك.

رواه أبوداود، والترمذي، وقال الترمذي: حديث غريب، كذا في المشكاة.

قال القاري: وفي نسخة: حسن غريب. اهـ

وفي المنهل: أخرجه أيضاً النسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والترمذي، وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

قلت: وصححه الذهبي (١).

شرح الحديث:

قال الشيخ ملا علي القاري رحمه الله تعالى: "دل الحديث على أن الكيفية في الذكر باعتبار تصور المذكور في ذهن الذاكر أرجح على الكمية المجردة عن تلك الكيفية، وعلى هذا القياس قراءة القرآن مع التدبر، والتفكر، والحضور، والتذكر، ولو في آية، تفضُلُ على القراءة الكثيرة الخالية عما ذُكر، فالمراد حث أم المؤمنين، وترغيبها على التذكر في الذكرانتهى (٢).

وقال بعض العلماء: إن أفضيلة هذا الذكر إنما هي نظراً إلى أن فيه اعترافاً بالعجز عن إحصاء الحمد، والثناء على الله عزوجل، وبلوغ حقه، وذلك كمال العبدية، ولذلك قال بعض الصوفية: "تذكر الله بالحساب، وتذنب

الذهبي، وتكملته: فقال: يا بنت حيي ما هذا؟ قلت: أسبح بهن قال: قد سبحتُ منذ قمت على رأسك أكثر من هذا، قلت: علمني يا رسول الله، قال: قولي: سبحان الله عدد ما خلق من شيء.

(١) أخرجه أبو داود برقم: ١٥٠٠، في الصلاة باب التسبيح بالحصى، والترمذي برقم: ٣٥٦٨ في الدعوات، باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وتعوذه، دبر كل صلاة وحسنه، والحاكم ج١/ص: ٧٣٢، برقم٢٠٠٩/٢٠٩ وقال الذهبي: صحيح، وابن حبان برقم: ٨٣٧، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح ونقل تحسين الحافظ.

(٢) المرقاة ١٠٩/٥.

بالجزاف، وتعصيه بلا كتاب" (١).

وقوله هذا لا يعني: النهي عن الإتيان بالأذكار المعيّنة بعدد معلوم ثابت؛ لأن الأحاديث الكثيرة قد أرشدت إلى أعداد مخصوصة في أذكار معلومة، وبينت عليها أجراً ووعداً خاصاً، لكن معناه أن لا يكتفي بها، بل لا يزال مشغولاً بذكر الله عزوجل من غير عد ولاحد، لأنه نعمة ينبغي أن تكون فوق حدود العدد والإحصاء.

ثم إن هذه الأحاديث تدل على جواز استخدام السبحة المعروفة اليوم، ويردّ ذلك على من قال بأنها بدعة، لأن الأصل إذا ثبت كما ذكر في هذه الأحاديث أن رسول الله ﷺ رأى الصحابة يحصون بالنوى، أو الحصى، ولم ينكر عليهم، فلا يؤثر فيه تغير الصور، وتنوع الأشكال، ولذلك يستخدمها معظم المشايخ والفقهاء، وقد صنف الشيخ العلامة عبد الحي الفرنجي محلي في إثبات ذلك رسالة سماها: "نزهة الفكر".

قال العلامة علي القاري: هذا أصل صحيح لتجويز السبحة بتقريره صلى الله عليه وسلم، فإنه في معناها إذ لا فرق بين المنظومة والمنثورة فيما يُعد به، ولا يعتد بقول من عدها بدعة، وقد قال المشايخ: إنها سوط الشيطان، ورئي مع الجنيد سبحة في يده حال انتهائه، فسئل عنه فقال: شيء وصلنا به إلى الله سبحانه وتعالى، كيف نتركه؟ ولعل هذا أحد معاني قولهم: "النهاية هي الرجوع إلى البداية" انتهى (٢).

وقد روي عن كثير من الصحابة أنهم كانوا يسبحون بالحصى أوالنوى:

فعن يونس بن عبيد عن أمه قالت: رأيت أبا صفية رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ وكان جارنا، فكان يسبح بالحصى (٣).

وعن سعد رضي الله عنه أنه كان يسبح بالحصى والنوى (٤).

---

(١) المرقاة ١١٥/٥.

(٢) المرقاة ١١٤/٥–١١٥.

(٣) نقله العلامة عبد الحي في نزهة الفكر ص: ٥ عن "المنحة في السبحة" للسيوطي معزوا إلى أحمد في الزهد. قلت: قد رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة في ترجمة أبي صفية رضي الله عنه

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الصلاة باب في عقد التسبيح برقم: ٧٧٤٠ و: ٧٧٤١ وقد

وروي عن أبي سعيد كذلك التسبيح بالحصى (١).

وقال علي القاري رحمه الله: إنه كان لأبي هريرة خيط فيه عقد كثيرة يسبح بها (٢).

وروي عن أبي هريرة: "أنه كان معه كيس، فيه حصى أو نوى فيقول: سبحان الله سبحان الله، حتى إذا نفد ما في الكيس، ألقاه إلى جارية سوداء، فجمعته، ثم دفعته إليه" (٣).

وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أيضاً: "أنه كان له نوى من نوي العجوة في كيس، فكان إذا صلى الغداة أخرجهن، يسبح به حتى تنفد" (٤).

وعن أبي صفية مولى رسول الله ﷺ: "أنه كان يوضع له نطع فيه حصى، فيسبح به إلى نصف النهار، ثم يرفع، فإذا صلى الأولى، أتي به فيسبح حتى يمسي"(٥).

وعن نعيم بن المحرر بن أبي هريرة عن جده أبي هريرة رضي الله عنه: "أنه كان له خيط، فيه ألفا عقدة، فلا ينام حتى يسبح به" (٦).

روي بالواو و أو كلتيهما،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم:٧٧٤٢ عن مولى لأبي سعيد عنه أنه كان يأخذ ثلاث حصيات، فيضعهن في فخذه، فيسبّح، ويضع واحدة، ثم يسبح، ويضع أخرى، ثم يرفعهن، ويضع مثل ذلك.

(٢) في المرقاة ١١٩/٥.

(٣) أخرجه أبو داود برقم: ٢١٧٤ في النكاح باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابته أهله، وابن أبي شيبة في المصنف برقم: ٧٧٤٣ واللفظ له وأوله: عن رجل من الطفاوة قال: نزلت على أبي هريرة فذكره، ففيه رجل مجهول.

(٤) نقله العلامة الفرنجي محلي في نزهة الفكر عن المنحة في السبحة للسيوطي معزوا إلى أحمد في الزهد.

قلت: وجدته في الزهد مطولاً، ولفظه: عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان لأبي الدرداء نوى من نوى العجوة حُسبت عشراً أو نحوها في كيس، وكان إذا صلى الغداة أقعى على فراشه، فأخذ الكيس، فأخرجهن واحدة واحدة، يسبح بهن، فإذا نفدت أعادهن واحدة واحدة، كل ذلك يسبح بهن، قال: حتى تأتيه أم الدرداء فتقول: يا أبا الدرداء إن غداءك قد حضر، فربما قال: ارفعوه فإني صائم. انظر الزهد لأحمد ص: ١٧٥ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م.

(٥) ذكره الحافظ في الإصابة معزوا إلى البغوي في معجم الصحابة له . وقد أخرج البخاري في التاريخ الكبير: ٤٤/٩ أصله فقال: قال عبد الله بن أبي الأسود حدثني المعلى بن الأعلم وكان سعيد بن عامر يروي عنه قال: سمعت يونس بن عبيد يقول لأمه: ماذا رأيت أبا صفية يصنع ؟ قالت: رأيت أبا صفية وكان من المهاجرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسبح بالنوى

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٨٣/١ في ترجمة أبي هريرة.

وعن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنها كانت تسبح بخيط معقود فيها (١).

ويسمي الصوفية السبحة بالمذكِّرة، إذ تذكر الله عزوجل، وإذا كانت في يد أحد، تنبعث في نفسه الرغبة في التسبيح والذكر.

وقد ساق العلامة عبد الحي الفرنجي محلي له إسناداً مسلسلاً عن طريق والده عبد الحليم، أجاز فيه كل شيخ تلميذه بالسبحة، بعد أن ناوله إياها، حتى انتهى ذلك إلى أبي الحسن المالكي تلميذ الجنيد البغدادي.

قال: قلت للجنيد: يا أستاذي أنت إلى الآن مع السبحة! قال: كذلك رأيت أستاذي سريا السقطي، وفي يده سبحة، فقلت: يا أستاذ أنت إلى الآن مع السبحة! قال: كذلك رأيت معروفا الكرخي، فسألته عما سألتني عنه، فقال: كذلك رأيت أستاذي بشراً الحافي، وفي يده سبحة، فسألته كما سألتني عنه، فقال: رأيت أستاذي عمر المكي، وفي يده سبحة، فسألته كما سألتني عنه، فقال: رأيت أستاذي الحسن البصري، وفي يده سبحة، فقلت: يا أستاذي مع عظم شأنك وحسن عبادتك أنت إلى الآن مع السبحة! فقال لي: هذا شيء كنا استعملناه في البدايات، ما كنا نتركه في النهايات، إني أحب أن أذكر الله بقلبي، ويدي، ولساني انتهى(٢).

وقد تكلم في هذا الطريق على طريق المحدثين. (٣)

(٢٠) عن ابن أعبد قال: قال علي رضي الله عنه: ألا أحدثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكانت من أحب أهله إليه؟ قلت: بلى! قال: إنها جرّت بالرحى، حتى أثر في يدها، واستقت بالقربة، حتى أثر في نحرها، وكنست البيت، حتى اغبرت ثيابها، فأتى النبيﷺ خدم، فقلت: لو أتيتِ أباك، فسألته خادماً.

---

(١) نقله الفرنجي محلي في نزهة الفكر عن السيوطي معزوا إلى طبقات ابن سعد، وقد وجدته في الطبقات في ٤٧٤/٨، طبعة دار صادر بيروت.

(٢) انظر نزهة الفكر في سبحة الذكر ص: ٧-٨ وقد طبع الطبعة الحجرية في الهند.

(٣) قال في نزهة الفكر: قال الشيخ عابد: أهل المسلسلات قد أوردوا هذا المسلسل، وأشار السخاوي إلى غالب طرقه، وقال: إن مدار روايته على أبي الحسن الصوفي، وقد رمي بالوضع، ورواية عمر المكي عن الحسن البصري معضل، ثم سلسله من طريق آخر، وسكت عنه انتهى من ص: ٨.

فأتته، فوجدت عنده حداثاً، فرجعت، فأتاها من الغد، فقال: ما كان حاجتك؟ فسكتت، فقلت: أنا أحدثك يا رسول الله ﷺ: جرّت بالرحى حتى أثرت في يدها، وحملت بالقربة حتى أثرت في نحرها، فلما أن جاءك الخدم، أمرتها أن تأتيك، فتستخدمك خادماً يقيها حرّما هي فيه.

قال: اتقي الله يا فاطمة، وأدي فريضة ربك، واعملي عمل أهلك، فإذا أخذت مضجعك، فسبحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبرى أربعاً وثلاثين، فتلك مائة، فهي خير لك من خادم، قالت: رضيت عن الله وعن رسوله (١).

أخرجه أبو داود، وفي الباب عن الفضل بن الحسن الضمري: أن أم الحكم أو ضباعة ابنتي الزبير بن عبد المطلب حدثته عن إحداهما أنها قالت:

أصاب رسولُ الله ﷺ سبياً، فذهبت أنا، وأختي، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، فشكونا إليه ما نحن فيه، وسألناه أن يأمرنا بشيء من السبي، فقال رسول الله ﷺ: سبقكن يتامى بدر، و لكن سأدلكن على ما هو خير من ذلك:

تكبرن الله على أثر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تكبيرة، وثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وثلاثاً وثلاثين تحميدة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير (٢).

رواه أبوداود، وفي الجامع الصغير برواية ابن مندة عن حابس: كان يأمر نساءه إذا أرادت إحداهن أن تنام أن تحمد. الحديث، ورقم له بالضعف.

شرح الحديث:

إن النبي ﷺ علم هذا الذكر المبارك المذكورآنفا بإزاء المشاق، والمتاعب الحاصلة للإنسان في هذه الدنيا، وذلك لأمرين:

الأول: وهو الظاهر أن آلام هذه الدنيا ومصاعبها ليست مما يبالي بها العبد المسلم، لأن الواجب عليه أن يهتم براحة الآخرة، ونعيمها، نظراً إلى ذلك

(١) أخرجه أبو داود برقم: ٢٩٨٨ عن ابن أعبد عن علي، وقد أخرج البخاري برقم: ٣١١٣ ومسلم برقم: ٢٧٢٧ كتاب الذكر والدعاء باب التسبيح أول النهار وعند النوم نحوه من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: ٢٩٨٧ كتاب الإمارة باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى.

فإن رسول الله ﷺ صرف اهتمام ابنته فاطمة رضي الله عنها بإزالة تعب الدنيا القصيرة، إلى الإقبال على توفير أسباب الراحة في الآخرة، ولا شك في أن التسبيح، والتحميد، والتكبير، هو الذي يعود في الآخرة بالنفع والخير، كما تجلى ذلك بوضوح من الأحاديث المتقدمة.

والأمر الثاني: هو أن الله سبحانه وتعالى إذ جعل ذكره المبارك منبع المنافع الدينية، ومصدر الخيرات الأخروية، فلم يُخْلِه من البركات الدنيوية، وإن كلام الله عزوجل وكلام رسوله ﷺ ليرشدان إلى أمور تحصل منها الثمار والفوائد الدنيوية بجنب، الفوائد الأخروية.

وقد جاء في الحديث: أن طعام المؤمنين زمن الدجال التسبيح والتكبير، والتحميد، والتهليل (١) يعني: أن الله سبحانه وتعالى يسد جوعة المؤمنين بهذه الأذكار، فيُفهم من هذا الحديث أنه يمكن أن يعيش المرء في هذه الدنيا على ذكر الله عزوجل من غير قُوْت، وذلك سيكون للمؤمنين زمن الدجال عامة، فليس صعباً أن يحصل ذلك لخواص المؤمنين في هذه الأيام، فلا وجه لتكذيب الحكايات المذكورة عن بعض المشايخ في مثل هذه الأحوال.

وقد جاء في الحديث: "إذا رأيتم الحريق فكبروا؛ فإن التكبير يطفئه"(٢).

وقد استنبط الحافظ ابن تيمية رحمه الله من حديث الخادم أن من واظب على هذا الذكر عند النوم، لم يصبه إعياء.

(١) أخرج أحمد برقم: ٢٤٤٧٠ عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر جهدا يكون بين يدي الدجال، فقالوا: أي المال خير يومئذ؟ قال: غلام شديد يسقي أهله الماء، وأما الطعام فليس، قالوا: فما طعام المؤمنين يومئذ؟ قال: التسبيح، والتكبير، والتحميد والتهليل، قالت عائشة: فأين العرب يومئذ؟ قال: العرب يومئذ قليل.

قال الهيثمي في المجمع ٣٣٨/٧ في الفتن، باب: فيما بين يدي الدجال من الجهد: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح انتهى. وقال محققو المسند: في إسناده ضعف وانقطاع، علي بن زيد بن جدعان ضعيف، والحسن لم يصح له سماع عن عائشة، وبقية رجال الإسناد ثقات.

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: ٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧ بأسانيده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

وله شاهد عن أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط برقم: ٨٥٦٩ بلفظ: أطفئوا الحريق بالتكبير، انتهى وفي إسناده من لم يعرفه الهيثمي كما في المجمع.

قلت: وأخرج ابن السني أيضا برقم: ٢٨٤ عن جابر مرفوعاً قال: إذا وقعت كبيرة أو هاجت ريح مظلمة، فعليكم بالتكبير، فإنه يجلي العجاج الأسود، وفي إسناده عنبسة بن عبد الرحمن، رمي بالوضع.

وقال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل، ولا يشق عليه، ولو حصل له التعب، والله أعلم (١).

وقال ملا علي القاري رحمه الله: إن ذلك عمل مجرب.

وقال العلامة السيوطي في مرقاة الصعود: فإن قلت: لاشك أن للتسبيح ثواباً عظيماً، لكن كيف يكون خيراً بالنسبة لمطلوبها استخداماً، قلت: لعل الله تعالى يعطي سبحانه قوة على خدمة أكثر مما تقدر خادم عليه، أو يسهل عليه أموره بحيث يكون فعله ذلك لنفسه أسهل عليه من أمر الخادم، أو يقع التسبيح بالآخرة موقع خادم بالدنيا، والآخرة خير وأبقى (٢).

وقال النبي ﷺ: "خصلتان أوخلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم، إلا دخل الجنة، هما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح في دبر كل صلاة عشراً، ويحمد عشراً، ويكبر عشراً، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمس مائة في الميزان، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويسبح ثلاثاً وثلاثين، فذلك مائة باللسان، وألف في الميزان، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قالوا: يا رسول الله! كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: يأتي أحدكم يعني الشيطان في منامه، فينومه قبل أن يقوله، ويأتيه في صلاته، فيذكره حاجته قبل أن يقولها (٣).

والأمر الجدير بالذكر، والحريّ بالتأمل، والملاحظة، في هذا الموضع هو: أن فاطمة رضي الله عنها وهي سيدة نساء أهل الجنة، وابنة سيد ولد آدم ﷺ، تجرّ بالرحى حتى أثر في يدها، وتستقي بالقربة حتى أثر في نحرها، وتكنس البيت حتى اغبرت ثيابها، فهي تقوم بالشئون المنزلية كلها بنفسها، فهل فكرنا في نسائنا، هل يقمن ببعض هذه الأمور بأنفسهن، فضلاً عن جميعها؟ وإذا كن لا يفعلن، فهلا يتندّى بذلك جبيننا حياء، وندماً، وتهيج غيرتنا! وهلا نتأمل أين

(١) فتح الباري كتاب الدعوات باب التكبير والتسبيح عند المنام.

(٢) نقله العلامة الدمنتي علي بن سليمان في درجات مرقاة الصعود عن الكرماني قوله في ص:١٢٧

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب باب في التسبيح عند النوم برقم: ٥٠٦٥ واللفظ له والترمذي في الدعوات باب: ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند المنام برقم: ٣٤١٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

حياتنا عن حياة من هم قدوتنا وإمامنا!! إن ذلك لأمر مؤسف للغاية.

خاتمة:

وفي خاتمة هذه الرسالة أذكر أمراً مهماً، وهو أن التسبيح، والتحميد والتهليل، والتكبير، وغيرها من الأذكار، أمور نافعة في الدنيا والآخرة، كما قد تبين من الأحاديث المتقدمة، ولذلك فإن رسول الله ﷺ قد علمنا صلاة التسبيح التي تتكرر فيها هذه الأذكار ثلاث مائة مرة، وقد رغب ﷺ فيها بغاية من التوكيد والاهتمام.

(١) عن ابن عباس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: يا عباس! يا عماه! ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟ ألا أخبرك؟ ألا أفعل بك عشر خصال؟ إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك، أوله، وآخره، قديمه وحديثه، خطأه، وعمْده، صغيره، وكبيره، سره، وعلانيته:

أن تصلي أربع ركعات، تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر خمس عشرة، ثم تركع، فتقولها وأنت راكع عشراً، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً، ثم تهوي ساجداً، فتقولها وأنت ساجد عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود، فتقولها عشراً، ثم تسجد فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك فتقولها عشراً، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، تفعل ذلك في أربع ركعات، وإن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل، ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة (١).

رواه أبوداود، وابن ماجه، والبيهقي في الدعوات الكبير، وروى الترمذي عن أبي رافع نحوه (٢) كذا في المشكاة.

قلت: وأخرجه الحاكم وقال: هذا حديث وصله موسى بن عبد العزيز

(١) أخرجه أبو داود في التطوع باب صلاة التسبيح برقم:١٢٩٧ وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة التسبيح برقم:١٣٨٦.

(٢) أخرجه الترمذي في الصلاة باب: ما جاء في صلاة التسبيح برقم:٤٨٢، وقال: هذا حديث غريب من حديث أبي رافع.

عن الحكم بن أبان، وقد أخرجه أبو بكر محمد بن إسحاق، وأبو داود، وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب في الصحيح، ثم قال بعد ما ذكر توثيق رواته: وأما إرسال إبراهيم بن الحكم عن أبيه فلا يوهن وصل الحديث، فإن الزيادة من الثقة أولى من الإرسال، على أن إمام عصره في الحديث إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قد أقام هذا الإسناد عن إبراهيم بن الحكم، ووصله (١).

قال السيوطي في اللآلي: هذا إسناد حسن، وما قال الحاكم: أخرجه النسائي في كتابه الصحيح، لم نره في شيء من نسخ السنن لا الصغرى ولا الكبرى (٢).

(٢) عن أبي الجوزاء عن رجل كانت له صحبة يرون أنه عبد الله بن عمرو، قال: قال لي النبي ﷺ: ائتني غدا، أحبوك، وأثيبك، وأعطيك حتى ظننت أنه يعطيني عطية، قال: إذا زال النهار، فقم فصل أربع ركعات، فذكر نحوه، وفيه: وقال: فإنك لو كنت أعظم الأرض ذنباً، غفر لك بذلك قال: قلت: فإن لم أستطع أن أصليها تلك الساعة، قال: صلها من الليل والنهار، رواه أبوداود (٣).

(٣) عن نافع عن ابن عمر قال: وجه رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب إلى بلاد الحبشة، فلما قدم، اعتنقه وقبّله بين عينيه، ثم قال:

ألا أهب لك؟ ألا أبشرك؟ ألا أمنحك؟ ألا أتحفك؟ قال: نعم يا رسول الله! قال: تصلي أربع ركعات فذكره نحوه.

أخرجه الحاكم وقال: إسناد صحيح لا غبار عليه، وتعقبه الذهبي، بأن أحمد بن داود كذبه الدارقطني، كذا في المنهل، وكذا قال تبعاً للحافظ.

لكن في النسخة التي بأيدينا من المستدرك: "وقد صحت الرواية عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ علم ابن عمه جعفراً ثم ذكر الحديث بسنده وقال في آخره: هذا

(١) انظر مستدرك الحاكم ج١/ ص:٤٦٣ برقم:٤٢/١١٩٢، وقال الذهبي: وشاهده حديث اليمانيين في التسبيح ثم ذكر الحديث وقال: أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن خزيمة في الصحيح، ثلاثتهم عن عبد الرحمن بن بشر، ورواه محمد بن رافع ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه حدثني عكرمة بالحديث مرسلا.

(٢) انظر اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ص:٣٢٢ من الطبعة الهندية الحجرية

(٣) أخرجه أبو داود باب صلاة التسبيح من كتاب الصلاة برقم:١٢٩٨ وقال بعد روايته: رواه المستمر ابن الريان عن أبي الجوزاء عن عبد الله بن عمرو موقوفاً، ورواه روح بن المسيب وجعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قوله، وقال في حديث روح: فقال: حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى.

إسناد صحيح، لا غبار عليه"، وهكذا قال الذهبي في أول الحديث، وآخره. (١)

ثم لا يذهب عليك أن في هذا الحديث زيادة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أيضاً على الكلمات الأربع.

(٤) وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال لي رسول الله ﷺ: ألا أهب لك؟ ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟ فظننت أنه يعطيني من الدنيا شيئاً لم يعطه أحداً من قبلي، قال:

أربع ركعات فذكر الحديث، وفي آخره: غير أنك إذا جلست للتشهد قلت ذلك عشر مرات قبل التشهد، الحديث.

أخرجه الدارقطني في الأفراد وأبو نعيم في القربان، وابن شاهين في الترغيب، كذا في إتحاف السادة شرح الإحياء (٢).

قال الترمذي: وقد روى ابن المبارك وغير واحد من أهل العلم صلاة التسبيح. وذكروا الفضل فيه، حدثنا أحمد بن عبدة أبو وهب: سألت عبد الله ابن المبارك عن الصلاة التي يسبح فيها، قال: يكبر، ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك، ثم يقول خمس عشرة مرة: سبحان الله، والحمد لله، ولاإله إلا الله، والله أكبر، ثم يتعوذ، ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وفاتحة الكتاب، وسورة، ثم يقول عشر مرات: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ثم يركع، فيقولها عشراً، ثم يرفع رأسه، فيقولها عشراً، ثم يسجد، فيقولها عشراً، ثم يسجد، فيقولها عشراً، يصلي أربع ركعات على هذا، فذلك خمس وسبعون تسبيحة في كل ركعة.

ثم قال: قال أبو وهب: أخبرني عبد العزيز عن عبد الله أنه قال: يبدأ في

(١) انظر مستدرك الحاكم ج ١/ص: ٤٦٤–٤٦٥ رقم الحديث ٤٦/١١٩٦ وليس في النسخة التي بين أيدينا تعقب الذهبي بأن أحمد بن داود كذبه الدارقطني، وانما فيها موافقة الذهبي للحاكم، كما قال المصنف رحمه الله، ولكن الواقع: أن أحمد بن داود بن عبد الغفور المصري موجود في الإسناد، وقد كذبه الدارقطني كما في ميزان الاعتدال للذهبي، ثم ساق له الذهبي في الميزان بعض أكاذيبه، فيبدو أن نسخة الحافظ صحيحة والله أعلم.

ثم رأيت المنذري تكلم فيه في الترغيب ٢٣٨/١ فقال: شيخه أحمد بن داود تكلم فيه غير واحد من الأئمة، وكذبه الدارقطني انتهى.

(٢) انظر: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعلامة مرتضى الزبيدي ج/٣ ص: ٤٧٨ طبعة دار الفكر.

الركوع بسبحان ربي العظيم، وفي السجدة بسبحان ربي الأعلى ثلثاً، ثم يسبح التسبيحات. قال عبد العزيز: قلت لعبد الله بن المبارك: إن سها فيها يسبح في سجدتي السهو عشراً عشراً قال: لا! إنما هي ثلثمائة تسبيحة. انتهى مختصراً (١)

قلت: وهكذا رواه الحاكم وقال: رواته عن ابن المبارك كلهم ثقات أثبات، ولا يُتهم عبد الله أن يعلمه ما لم يصح عنده سنده اهـ(٢).

وقال الغزالي في الإحياء بعد ما ذكر حديث ابن عباس المذكور:

"في رواية أخرى: أنه يقول في أول الصلاة: سبحانك اللهم...، ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة، وعشراً، بعد القراءة، والباقي كما سبق عشراً عشراً، ولا يسبح بعد السجود الأخير، وهذا هو الأحسن، وهو اختيار ابن المبارك" اهـ (٣).

قال الزبيدي رحمه الله تعالى في الإتحاف: ولفظ القوت: هذه الرواية أحب الوجهين إلي اهـ (٤).

قال الزبيدي: أي لا يسبح في الجلسة الأولى بين الركعتين، ولا في جلسة التشهد شيئاً كما في القوت، قال: وكذلك روينا في حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: أن النبيﷺ علّمه صلاة التسبيح فذكره اهـ (٥).

ثم قال الزبيدي: وأما حديث عبد الله بن جعفر فأخرجه الدارقطني من وجهين عن عبد الله بن زياد بن سمعان، قال في إحداهما: عن معاوية وإسماعيل بن عبد الله ابني جعفر عن أبيهما، وقال في الأخرى: عن عون بدل إسماعيل عن أبيهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ: ألا أعطيك فذكر الحديث، وابن سمعان ضعيف، وهذه الرواية هي التي أشار إليها صاحب القوت، وهي الثانية عنده، قال فيها: يفتح الصلاة، فيكبر، ثم يقول... ذكر الكلمات، وزاد فيها الحوقلة، ولم يذكر بعد السجدة الثانية عند القيام أن يقولها، قال: وهو

(١) انظر سنن الترمذي كتاب الصلاة باب: ما جاء في صلاة التسبيح رقم الحديث ٤٨١ وقبله
(٢) انظر المستدرك ج ١/ ص: ٤٦٥ برقم ٤٧/١١٩٧
(٣) انظر قول الغزالي في إتحاف السادة ج ٣/ ص: ٤٧٤–٤٧٥.
(٤) إتحاف السادة ج ٣/ ص: ٤٧٥.
(٥) إتحاف السادة ج ٣/ ص: ٤٧٤

الذي اختاره ابن المبارك اهـ (١).

وقال المنذري في الترغيب: وروى البيهقي من حديث أبي جناب الكلبي عن أبي الجوزاء عن ابن عمرو بن العاص، فذكر الحديث بالصفة التي رواها الترمذي عن ابن المبارك، ثم قال:

وهذا يوافق ما رويناه عن ابن المبارك، ورواه قتيبة بن سعيد عن يحيى بن سليم عن عمران بن مسلم عن أبي الجوزاء قال: نزل على عبد الله بن عمرو بن العاص فذكر الحديث، وخالفه في رفعه إلى النبيﷺ، ولم يذكر التسبيحات في ابتداء القراءة، إنما ذكرها بعدها، ثم ذكر جلسة الاستراحة كما ذكرها سائر الرواة اهـ (٢).

قلت: حديث أبي الجناب مذكور في السنن على هذا الطريق: طريق ابن المبارك، وما ذكر من كلام البيهقي ليس في السنن بهذا اللفظ، فلعله ذكره في الدعوات الكبير، وما في السنن: أنه ذكر أولاً حديث أبي جناب تعليقاً مرفوعاً، ثم قال: قال أبو داود: ورواه روح بن المسيب وجعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قوله، وقال في حديث روح: فقال حديث النبيﷺ اهـ (٣).

وظاهر أن الاختلاف في السند فقط، لا في لفظ الحديث، وذكر شارح الإقناع من فروع الشافعية صلاة التسبيح، واقتصر على صفة ابن المبارك فقط.

قال البجيرمي: هذه رواية ابن مسعود، والذي عليه مشايخنا: أنه لا يسبح قبل القراءة، بل بعدها خمسة عشر، والعشرة في جلسة الاستراحة، وهذه رواية ابن عباس اهـ مختصراً.

علم منه أن طريق ابن المبارك مروي عن ابن مسعود أيضاً، لكن لم أجد حديث ابن مسعود فيما عندي من الكتب، بل المذكور فيها على ما بسطه صاحب المنهل، وشارح الإحياء، وغيرهما: أن حديث صلاة التسبيح مروي عن جماعة من الصحابة، منهم:

(١) نفس المصدر ج ٣/٤٨٠
(٢) الترغيب والترهيب للمنذري ج/١ ص: ٢٣٩–٢٤٠
(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ٣/٤ ص: ١٦٤ دار الفكر، بيروت.

عبد الله والفضل ابنا العباس، وأبوهما عباس بن عبد المطلب، وعبدالله ابن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عمر الخطاب، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب، وأخوه جعفر بن أبي طالب، وابنه عبد الله بن جعفر، وأم المؤمنين أم سلمة، وأنصارى غير مسمى، وقد قيل: إنه جابر بن عبد الله، قاله الزبيدي، وبسط في تخريج أحاديثهم (١).

وعلم مما سبق: أن حديث صلاة التسبيح مروي بطرق كثيرة، وقد أفرط ابن الجوزي ومن تبعه في ذكره في الموضوعات، ولذا تعقب عليه غير واحد من أئمة الحديث كالحافظ ابن حجر، والسيوطي، والزركشي، قال ابن المديني: قد أساء ابن الجوزي بذكره إياه في الموضوعات، كذا في اللآلي (٢).

قال الحافظ: وممن صححه أو حسنه: ابن مندة، وألف فيه كتاباً، والآجرى، والخطيب، وأبو سعد السمعاني، وأبو موسى المديني، وأبو الحسن ابن المفضل، والمنذري، وابن الصلاح، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات، والسبكي، وآخرون، كذا في الإتحاف (٣).

وفي المرقاة عن ابن حجر: صححه الحاكم، وابن خزيمة، وحسنه جماعة.

قلت: وبسط السيوطي في اللآلي في تحسينه، وحكى عن أبي منصور الديلمي: وصلاة التسبيح أشهر الصلوات وأصحها إسناداً (٤).

---

(١) إتحاف السادة ج/٣، ص: ٤٧٧- ٤٨٠ .

(٢) اللآلي المصنوعة ص: ٣٢٢ .

(٣) إتحاف السادة ج/٣، ص: ٤٨٠

(٤) اللآلي ص: ٣٢١-٣٢٥، قلت: قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢٣٨/١:

قد روي هذه الحديث من طرق كثيرة، وعن جماعة من الصحابة، وأمثلها حديث عكرمة هذا، وقد صححه جماعة، منهم: الحافظ أبو بكر الآجري، وشيخنا أبو محمد عبد الرحيم المصري، وشيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي رحمهم الله، وقال أبو بكر بن أبي داود: سمعت أبي يقول: ليس في صلاة التسبيح حديث صحيح غير هذا، وقال مسلم بن الحجاج: لا يروى في هذا الحديث إسناد أحسن من هذا، يعني: إسناد حديث عكرمة عن ابن عباس انتهى.

وما أحسن قول الحافظ رحمه الله في أجوبته عن المشكاة: وقد جمعت طرقه مع بيان عللها، وتفصيل أحوال رواتها في جزء مفرد، وقد وقع فيه مثال ما تناقض فيه المتأولان في التصحيح، والتضعيف، وهما: الحاكم، وابن الجوزي، فإن الحاكم مشهور بالتساهل في التصحيح، وابن الجوزي مشهور بالتساهل في دعوى الوضع، كل منهما روى هذا الحديث، فصرح الحاكم بأنه صحيح، وابن الجوزي بأنه موضوع، والحق أنه في درجة الحسن لكثرة طرقه التي يقوى بها الطريق الأولى والله أعلم.

رسالة: فضائل الدعوة إلى الله

ألفها:

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي رحمه الله تعالى

(١٣١٥-١٤٠٢هـ)

تعريب:

سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي حفظه الله

رئيس جامعة ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

تقديم:

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى

(١٣٣٢-١٤٢٠هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم: سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وآله، وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فإن عماد حياة الأمة الإسلامية، والقطب الذي يدور حوله نشاطها وحياتها، وجدها، وكفاحها، هو: الدعوة إلى الله، وتبليغ أحكامه، ورسالاته، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومكان هذا العمل بين أعمال هذه الأمة، وأخلاقها، وسماتها، وهي كثيرة ومهمة، هو المكان الرئيسي والأساسي، فهي الغاية التي خلقت لأجلها، وبعثت لمصلحتها، وقد قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد فتحت هذه الآية الكريمة نافذة عظيمة منيرة، كانت مسدودة في معرفة طبائع الأمم، والاطلاع على مزية هذه الأمة، من بين شعوب العالم، وأثارت علما دفينا، وكنزا مطمورا، وأحدثت انقلابا في النظرة إلى هذه الأمة، ومركزها، وقيمتها، وهو: أن ظهور هذه الأمة على منصة العالم، ومسرح التاريخ، والأمم، لم يكن مجرد ظهور مجموعة بشرية، أو كتلة إنسانية، ولم تكن موجة من موجات البشرية الكثيرة، ولا من فقاقيع الماء التي تظهر وتختفي، وتتكون وتندحر، إنه ليس خروجا كخروج سائر الأمم، إنما هو إخراج تسيطر عليه الحكمة الإلهية، وتمده إرادة الله القاهرة، إنما هو تعبير لم يستخدم إلا في قضايا الأنبياء المكرمين، وعباد الله المرسلين، وإن كان يفسر بشيء، فإنه يفسر بلفظ الإرسال والبعثة.

وقد جاء الحديث الصحيح يفسره، فقد صحّ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال مخاطبا لأصحابه: "إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا

معسرين" (١)، ولم يكن أحد أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم بخطر هذا التعبير، وقيمته، واختصاصه بالأنبياء، والمرسلين، وقد ورد في القرآن في شأن الأنبياء في مواضع كثيرة يصعب استقصاؤها، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم جُزافا، ويرسل الكلام على عواهنه، إنما كان يزن الكلام وزنا، وقد كان كلامه فصلا، لا فضول فيه، ولا تقصير، ولا إطراء، ولا مبالغة، فدل كل ذلك على أن هذه الأمة هي مقصودة مهيأة، مأمورة مبتعثة، وقد طاب لذلك وساغ لأحد رسل المسلمين الذي اختاره الصحابي الجليل سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه ليكون ترجمانا للإسلام والمسلمين، أن يقول في مجلس ملك الفرس:

"الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الناس، إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا، إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام". (٢)

وذلك كله، لأن الله سبحانه وتعالى قلد هذه الأمة نيابة نبيها الخاتم في تبليغ آخر الأديان، وخاتمة الرسالات، وهكذا ربط مصير الإنسانية بها، وإلى ذلك يشير قول النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه التي خطبها في حجة الوداع: "إنه لانبي بعدي، ولا أمة بعدكم"(٣)، ولذلك ساغ له أن يقول في ساحة بدر:

"اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد" (٤).

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة رقم الحديث: ٣٨٠ والترمذي في الطهارة أيضاً رقم الحديث: ١٤٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير ج/٧، ص: ٤٤، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى سنة ١٣٥١هـ-١٩٣٣م.

(٣) رواه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي في ج/٨ ص١٣٦ برقم: ٧٦١٧ ولفظه: عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قال: سمعت رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَّمْ يقول فِي خُطْبَتِهِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: أَيُّهَا الناس إنه لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ، واعبدوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَطِيعُوا وُلاةَ أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ. ورجال أحد الطريقين ثقات قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٦/٨ مؤسسة المعارف بيروت ١٤٠٦-١٩٨٦.

وله شاهد عن قتيلة رضي الله عنها عنده في ج/٢٢ ص٣١٦ ولفظه: إن رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قام في الناس في حَجَّةِ الْوَدَاعِ فقال: لا نَبِيَّ بَعْدِي وَلا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ، فَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَأَقِيمُوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَطِيعُوا وُلاةَ أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ.

(٤) أخرجه مسلم في الجهاد برقم: ١٧٦٣ عن عمر بن الخطاب في حديث طويل.

فبقاء الإنسانية ببقاء هذه الأمة، وبقاء هذه الأمة ببقاء هذه الصفة الدعوية، والمركز الإبلاغي، وبمحافظتها على فريضتها الأساسية، ونشاطها في مجال الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالاته التي حملتها عن نبيها، فإذا فقدت هذه الصفة، أو أصبحت مغمورة مطمورة، ضاعت هذه الأمة، أو تحللت وذابت في خضم الأمم، ولجة الغايات، والفلسفات، ومناهج الحياة، أشرفت الدنيا كلها على خطر، وتعرضت الإنسانية للتلف، وأصبحت المدنية كلها جسما بلا روح، ولفظا بلا معنى.

وقد استقامت هذه الأمة، وسارت سيرها الطبيعي، واستقامت الأمور، وسلمت البشرية، مادامت هذه الأمة محافظة على غايتها، ورسالاتها، قوية نشيطة في أمر الدعوة إلى الله، والحسبة على الناس، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وكان إخلالها بهذا الواجب، وتفويضها لهذا الركن الركين، ثورة على طبيعتها، وانحرافاً عن جادتها، وجناية على البشرية جمعاء، تبعتها أمراض، وعلل، واختلالات، واضطرابات، يشاهدها الإنسان، ويذوق سمومها في كل مجال من مجالات الحياة، وفي كل مجتمع من المجتمعات البشرية.

ولاسبيل إلى إعادة الأمور إلى نصابها، ودخول البيوت من أبوابها إلا بعودة هذه الأمة إلى أداء واجبها، وإلى سيرتها الأولى، في أمر الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالات الله، والقيام بالقسط، والشهادة لله، والحسبة على الأخلاق، والأعمال، والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر.

وقد قيض الله لهذه الأمة في كل دور من أدوار حياتها، وفي كل رقعة من رقاع العالم الإسلامي رجالا يدعون إلى إحياء هذه الدعوة، والتمسك بهذه الفريضة، وعودة هذه الأمة إلى نشاطها السابق، وكفاحها الأول، و تذكر بفضلهم هذه الأمة درسها المنسي، وتعود إلى عملها المهجور، وتدب فيها حياة جديدة، ونشاط جديد.

وكان من هؤلاء الرجال الأفذاذ والمصلحين النوابغ: الداعي إلى الله مولانا محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي الدهلوي (م١٣٦٣هـ) الذي

تُنسب إليه جماعة التبليغ التي طار صيتها في الشرق، والغرب، وذرع أتباعُها الأرضَ في قارات آسيا، وأفريقيا، وأوربا، وأمريكا، ووصلوا الشرق بالغرب، والشمال بالجَنوب، وقد جدد الله به أمر الدعوة إلى الله، فحببت إلى النفوس، وهانت عليها الرحلات في سبيلها، وركوب البحار، والتحليق في الأجواء، وتجشم المصاعب، وكثرة الإنفاق في مصلحتها، وكان للدعوة نَفاق ورواج، وذيوع وشيوع لم يُشاهَدا من عهد بعيد.

ولما كانت هذه الدعوة تقوم على الإيمان والاحتساب في طمع في الأجر، والثواب، والحرص على اتباع الأنبياء، والمرسلين، وتقليد الصحابة، والتابعين وأتباعهم، وأتباع أتباعهم بإحسان، ويقين، اشتدت الحاجة إلى كتاب يجمع بين ما ورد في فضل الدعوة إلى الله في القرآن والحديث، و وعد عليه من جزيل الثواب، وعظيم الأجر، وما نقل عن الصحابة، والتابعين، والسلف الصالحين، والعلماء الربانيين، والرجال الموفقين، من تنافس، وتسابق، وعلو همة، وقوة نفس، وبعد نظر في إقامة هذه الركن، و إحياء هذه السنة، أشار الداعية الكبير على ابن أخيه الأبر، ومحدث العصر الأكبر: مولانا الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيي بن محمد إسماعيل الكاندهلوي أن يؤلف في هذا الموضوع كتابا متوسطا، يميل إلى الاختصار، يعتمد عليه، ويلجأ إليه، في إثارة الشعور الإيماني، وإعلاء الهمة في سبيل الدعوة، وتحمل مشاقها، وتجرع مرائرها، والتذوق لحلاوتها، مع مالها من شروط، وآداب، و ملاحظات، واحتياطات، فألف هذا الكتاب الذي نسعد بتقديمه، وقد حظي من القبول مالم يحظه كثير من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، وأعيد طبعه مرارا يصعب إحصاؤها، وتناولته الأيدي، وتلقفته الألسن، وردده الخطباء، وحفظه المتحفظون.

ولما انتشرت هذه الدعوة في الأقطار العربية، وأصبحت جماعات التبليغ في غدو ورواح، وذهاب وإياب، شعر مَعنيّون بأمر هذه الدعوة بالحاجة إلى نقل هذه الكتب التي تسمى: كتب الفضائل، إلى اللغة العربية، وقد كانت الكتب العربية من تفسير، وحديث، وسيرة، وتاريخ، مادة هذه الكتب، ومصدرها، ولكنها اختيار مختار، وجمع جامع، وشرح شارح، والجامع أحد المؤلفين، كما

يعرفه المشتغلون بالتأليف.

وقد وفق الله عددا من فضلاء ندوة العلماء، وأبنائها، وأساتذتها لهذا العمل النافع، فنقل الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي: "أسباب سعادة المسلمين وشقائهم" والأستاذ واضح رشيد الندوي: "فضائل القرآن" والأستاذ محمد الحسني: "مكانة الصلاة في الإسلام وأهميتها في حياة المسلم".

وها هو رابعهم: الأستاذ محمد الرابع الندوي أحد كبار أساتذة الأدب العربي في ندوة العلماء، ومنشئ صحيفة "الرائد" يقدم إلى القراء ترجمة كتاب (فضائل تبليغ) باسم: "فضائل الدعوة إلى الخير، والتبليغ لدين الله" في العربية، وهو كاتب مُجيد، ومترجم قدير، قد ظهر له كتاب "بين التصوف والحياة" نقلا من أصله الأردي للأستاذ الكبير الشيخ عبد الباري الندوي، نشرته دارالفتح في دمشق وتلقي بالقبول، وترجم إلى اللغة التركية، والأمل وطيد في أن ينال هذا الكتاب حظه من القبول، والعناية، فذلك العهد بجميع مؤلفات المحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وتراجمها، ونسأل الله مخلصين أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يحقق به غرضه المطلوب.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

٢٠/من ربيع الثاني١٣٩٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

أحمد الله تعالى أولا، وأصلي وأسلم على رسوله الكريم، وبعد.

فقد أمرتني شخصية مباركة ميمونة من جماعة المجددين لدين الله، ورجل نابغة من علماء العصر الحاضر، ومشايخه العظام، بأن أقوم بجمع آيات، وأحاديث تتصل بأهمية التبليغ لدين الله، وأؤلف منها كتابا مختصرا.

وبحيث إني أرى رضا مثل هؤلاء الربانيين ذريعة لنجاتي في الآخرة، وسببا لتكفير سيئاتي، فقمت بالطاعة لأمره، وها أنا ذا أقدم للقراء هذه العجالة النافعة.

فإني ألفت نظر كل مدرسة إسلامية، وعناية كل لجنة إسلامية، وكل معهد إسلامي، وكل مركز من مراكز المسلمين، بل وألفت عناية كل مسلم إلى معرفة أن أعظم مايقع من القصور في الالتزام بأمور الدين، وأشد ما يقع على الدين، من هجمات، وحملات، لا من قبل الكفار والأعداء وحدهم، بل من نحو المسلمين، وكل مانراه من شدة انصراف المسلمين عن أداء فرائض الدين، وواجباته، لا من عامة المسلمين، بل من خاصتهم، وأخص خاصتهم كذلك، حتى صار ترك الصلاة والصوم أمرا عاديا، لايُهتم بها كبير اهتمام، وبلغ الأمر إلى أن الناس يقعون في الشرك والكفر علانية، يقعون فيها، وهم لا يرون ذلك شيئاً عظيما، ولايعدونه شركا أو كفرا، فإن كل ماعمّ وطمّ، وما يزداد قبحا وفسادا كل يوم، من ارتكاب الناس لكل الأعمال المحرمة، ومن انتشار الفسق والفجور فيهم بصورة ظاهرة، ومن غفلة الناس عن أمور الدين، ومن استخفافهم، وسخريتهم منه، لم يعد كل ذلك الآن خافيا عن نظر كل إنسان.

وأصبحنا نرى أن الخاصة من علماء الدين، وعامتهم كذلك، أصبحوا يميلون إلى الانقطاع، والانصراف في حياتهم، وصار بعد الناس عن دينهم يشتد بصورة طبيعية مستمرة، وهم يبرئون أنفسهم في ذلك، فيقولون: إنهم غير

مخطئين، لأنه لا يدلهم على دينهم أحد، ولا يهديهم إليه سبيلا، أما العلماء فإنهم يرون أنفسهم معذورين كذلك، فيقولون: إن كلامهم لا يؤثر في هؤلاء، ولا يُسمع لديهم.

ولكني أقول: إن التأويل من كلا الجانبين ضعيف وباطل، ولن ينفع عند الله تعالىٰ شيئا، سواء كان من عامة الناس، وهو قولهم: إنه لا يحثهم على الخير أحد، لأن طلب الأمور الدينية، والبحث عنها، واجب على كل نفس، ولا قيمة لعذر رجل يرى نفسه متبعا لقوانين حكومة من الحكومات، ثم يقول: إنه لم يعرف قوانين البلاد، فلما كان ذلك لا يصح في أمر الدنيا فكيف يصح لدى أحكم الحاكمين؟ فإنما يكون ذلك أقبح حتى من اقتراف الذنب نفسه، وأما عذر علماء الدين بأنه لا يسمع لقولهم أحد، فلا وزن فيه أيضا، ألا ترون أن الأسلاف البررة الذين تنتمون إليهم قد احتملوا مصائب، وشدائد، ولم يقصروا في تبليغ الدين، فقد رُموا بالحجارة، ولقُوا شتائم و سبابا، ولكنهم صبروا، وظلوا ثابتين أقوياء في عزيمتهم، وكانوا يحملون الشعور كل الشعور بأداء واجبهم نحو تبليغ الدين، فقاموا بتبليغ دين الله إلى الناس، ونشروا الإسلام وأحكامه، وقاموا بدعوته مع كل عائق، وصعوبة واجهوها في طريق ذلك.

ثم إن ما يزعمه كثير من الناس من أن الدعوة، وتبليغ دين الله، هو عمل خاص بعلماء الدين، هو غير صحيح أيضا، بل إنما يجب على كل من يرى منكرا، وهو قادر على تغييره، أو على تهيئة أسباب تغييره، أن يقوم بتغيير هذا المنكر، ولو افترضنا ما يزعمه الناس، ويقولونه، من أن هذا العمل خاص بالعلماء، فكيف يكون الأمر إذا قصر العلماء في أدائه بتهاونهم وغفلتهم أو لأسباب أخرى؟ أفلا يكون إذن من الواجب أن يعد هذا العمل فريضة في ذمة كل مسلم؟ فإن العناية الكبيرة التي تظهر من آيات الكتاب، وأحاديث الرسول عليه السلام، في شأن تبليغ دين الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، غير خافية، ولا مستورة، وإنها ستبين لك مما سنسوقه في الفصول الآتية إن شاء الله، وبناء على ثبوت ذلك، لا يمكن أن تبرأ ذمة أي مسلم من مسئولية هذا العمل، فيحيلها إلى علماء الدين وحدهم، أو يكتفي باتهامهم بالتقصير في أدائه.

فإني أوجه نداء عاما إلى كل مسلم بأن يساهم اليوم في عمل الدعوة، والتبليغ، مساهمة يقدر عليها، وأن يبذل من أوقاته في هذا السبيل بقدر ما يمكن له.

وليس هناك شك في أن عمل الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير محتاج إلى أن يكون صاحبه عالما دينيا كاملا، فإن كل من يعرف شيئاً من أحكام الدين، فمن مسئوليته أن يبلغ ذلك إلى الآخرين، و إذا رأى منكرا، وهو قادر على منعه أو تغييره، فيجب عليه أن يقوم بمنعه وتغييره.



الفصل الأول في الدعوة والتبليغ

كما تدل عليه آيات القرآن الكريم

أذكر في هذا الفصل آيات من كتاب الله سبحانه وتعالى مما تؤكد على ضرورة القيام بالدعوة الدينية، وتحث على اختياره، فإني أريد أن أتبرك بها، كما سأشرح بمساعدتها مدى ما يحمله هذا العمل عندالله سبحانه وتعالى من أهمية، فقد ذكر الله تعالى هذا العمل في كتابه بطرق مختلفة، وبسياقات متعددة، فإن عدد الآيات التي جاء ذكره فيها على أساس ما وصل إليه علمي الضعيف ستون آية، وكلها في الحث على هذا العمل، والإنذار من تركه، فلو اعتنى رجل ببحث دقيق في الأمر، فقد يجد عدد هذه الآيات كبيرا جدا.

ولما كان ذكر جميع هذه الآيات سببا إلى إطالة الكلام، فرأيت الاكتفاء ببضع آيات منها:

(١) قال الله عز وجل اسمه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة حم السجدة: ٣٣].

قال المفسرون في شرح هذه الآية: إن كل من يقوم بالدعوة إلى الله، فإنما يستحق هذه البشرى، ويستحق المدح المذكور فيها، أيا ما كانت طريقته في قيامه بهذه الدعوة، ومثاله: أنك ترى أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يدعون إلى الله بالمعجزات، أما العلماء فيقومون بالدعوة عن طريق الحُجج العلمية، والمجاهدون يقومون في سبيل الله بهذا العمل عن طريق السيوف، والمؤذنون ينادون إلى الله بكلمات أذانهم، وكلها طرق للدعوة، فكل من يدعو إلى الخير، فهو يدخل في مصداق هذا القول الشريف، سواء كان يدعو إلى أعمال الخير الظاهرة، أو إلى أعماله الباطنة، كدعوة المتصوفة إلى معرفة الله تعالى (١).

وكتب المفسرون: أن آية: "وقال إنني من المسلمين" تشير إلى لزوم اعتزاز

(١) انظر تفسير الخازن ج/٤ ص:٨٦ دار المعرفة بيروت لبنان.

المسلم بإسلامه، مع ثباته عليه، وهو: أن يرى في ذلك شرفا لنفسه، ويذكر ميزته هذه مفتخرا بها، وقال بعض المفسرين: إن المقصود ليس منه أن يصف نفسه بالعظمة، إعجابا بوعظه، ونصحه، وتبليغه، بل يصف نفسه بأنه رجل من أتباع الإسلام.

(٢) وقال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

شرح المفسرون هذه الآية بقولهم: إن المقصود بذلك هو: التذكير بآيات القرآن، فإن ذلك نافع جدا، أما نفعه في حق المؤمنين فظاهر، وأما في حق الكفار، فلأننا نرجو أنهم سيُقبلون على دين الله، ويدخلون في زمرة المؤمنين، ويصبحون بذلك مصداق هذه الآية الكريمة.

ولقد انسدت اليوم طريق الوعظ، والنصح، الحقيقيَين إلى حد كبير، وصار غرض الواعظين بصورة عامة هو إمتاع النفوس، و إظهار البراعة في الكلام، لينالوا بذلك مدح الناس، ورضاهم ببراعتهم، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما جاء برواية أبي هريرة رضي الله عنه: "إن من تعلم صرف الكلام يسبي به قلوب الرجال أو الناس، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا وعدلا" (١).

(٣) وقال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة طه الآية: ١٣٢].

وجاء في أحاديث متعددة أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أحب لرجل أن يزول عنه ضيقه في معيشته، فكان يأمره بالصلاة، ويحثه عليها، ويتلو هذه الآية الكريمة مشيرا إلى أن الوعد بالسعة في الرزق، إنما عُلّق بالاهتمام بالصلاة.

وكتب العلماء أن أمر الله سبحانه وتعالى للرجل في هذه الآية بالاهتمام

(١) رواه أبوداود في الأدب رقم الحديث: ٥٠٠٦، ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، وقال: يشبه أن يكون فيه انقطاع، فإن الضحاك بن شرحبيل ذكره البخاري، وابن أبي حاتم، ولم يذكروا له رواية عن الصحابة، والله أعلم، انتهى من الترغيب والترهيب ج/١ ص: ٦٩، مكتبة دار التراث القاهرة.

ولكن له شواهد من حديث ابن عمر وكعب بن مالك، وحذيفة، وأبي هريرة بلفظ متقارب: من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو ليباهي به العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه، فهو في النار، انظر ابن ماجه كتاب السنة باب الانتفاع بالعلم رقم الحديث: ٢٥٣ و: ٢٥٩، و: ٢٦٠ قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لجامع العلوم والحكم ص: ٧٨، طبعة مؤسسة الرسالة ١٤١٩/١٩١٩م عن حديث ابن عمر: إسناده ضعيف لكنه يتقوى بالأحاديث الأخرى، والله أعلم.

بأداء الصلاة مع قيامه بأن يأمر به غيره أيضا، فلم يرد إلا لأن ذلك مفيد جدا، فإنه عند ما يهتم بأدائها، ثم يقوم بتبليغها، فسيكون وعظه أكثر تأثيرا على غيره، كما يكون سببا لاهتمام غيره أيضا، ولذلك أرسل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام للقيام بالهداية؛ ليكونوا بأنفسهم أسوة للناس، فيسهل العمل على العاملين، ولذلك لن يكون معقولا أن يخطر ببال الناس أن كذا وكذا من الأعمال المأمور بها صعب، لا يمكن أداؤه.

أما ما وعدالله تعالى به من الرزق على ذلك، فمن فائدته: أن الاهتمام بأداء الصلوات في أوقاتها، قد يجر إلى وقوع بعض الضرر في وسائل المعيشة ظاهرا، وذلك بوجه خاص في التجارة أو الوظيفة، فلذلك أزال الشك في هذا الأمر بما وعد به من كونه في يدالله سبحانه وتعالى، وكان ذلك كله من الناحية الدنيوية، وأخيرا ذكر كأساس مبدئي، وأمر بديهي، أن العاقبة الحقيقية هي للمتقين، لا يشاركهم في ذلك أحد.

(٤) وقال الله تعالى: ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان الآية: ١٧].

ذكرالله تعالى في هذه الآية الكريمة أمورا عظيمة، ولاشك أنها أمور هامة جدا، وهي ذريعة إلى كل نجاح، ولكننا جعلناها وراء ظهورنا.

أما الأمر بالمعروف، فلا تسأل عنه، فقد أوشك أن يتركه الجميع، أما العبادات الأخرى، فأهمها هي الصلاة، وهي أهم منزلة بعد الإيمان، أليست الغفلة عنها قد بلغت مبلغاً كبيراً جداً؟! ألسنا نرى الملتزمين بأداء الصلاة فضلا عن تاركي أدائها أنهم يقصرون في الاهتمام التام بها، وبالأخص في أدائها مع الجماعة؟ وذلك هو الذي تجد الإشارة إليه في قوله: "أقم الصلاة"، فإننا مع كل أسف لا نجد الاهتمام به اليوم إلا في فقراء المسلمين! أما أغنياء المسلمين وسراتهم، فكأنهم يرون لأنفسهم في حضور المساجد عيبا وعارا، فإلى الله المشتكى.

(٥) وقال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بالتزام أمر عظيم، وهو

وجوب أن تتخصص جماعة من المسلمين للقيام بدعوة الناس إلى الإسلام، كان هذا الأمر للمسلمين، و لكننا تركناه مع الأسف بصورة كاملة! و اختارها غير المسلمين، وقد التزموا بها بكل عناية، فقد ترى جماعات من النصارى تخصصت للدعوة لدينهم في أنحاء العالم كله، وتجد ذلك في أمم أخرى أيضا، فقد تخصص فيها أفراد وأشخاص لهذا الغرض، فهل توجد في المسلمين جماعة تقوم بهذا العمل؟ إذا لم يكن ردكم على سؤالي هذا بـ "لا"، فليس من السهل أيضا أن يكون هذا الجواب بـ "نعم"!

وقد أصبح من عادة المسلمين أن جماعة أو شخصا إذا قام لهذا العمل فهم يستهدفونه بانتقاداتهم، وطعنهم، وبذلك تنهار همته عن ذلك انهيارا، ويقعد عن العمل، إما هذا اليوم أو في غد، مع أن واجب النصيحة، والتعاون المفروض على كل مسلم في هذا السبيل، كان يقتضي أن تحصل منه المساعدة لأخيه، والسعي لإصلاح تقصيره، إن كان فيه تقصير، لا أن يتراخى هذا الرجل بنفسه عن العمل، ثم ينتقد العاملين، ويطعن عليهم، حتى يجعلهم مضطرين إلى القعود أخيرا.

(٦) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٠٤].

وقد ورد بكل وضوح في عدد من الأحاديث الشريفة عن المسلمين أنهم أشرف الناس، و ورد عن الأمة المحمدية أنها أشرف الأمم، وقد جاء مثله في آيات من القرآن الكريم أيضا، حينا بوضوح، وحينا بإشارات، وهذه الآية الشريفة تدل أيضا على هذا المعنى، كما تشير الآية إلى سبب ذلك أيضا، وهو: أنكم خير أمة؛ لأنكم تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر.

وذكر المفسرون أن هذه الآية ذكرت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل ذكرها للإيمان، وإن كان الإيمان أصل كل شيء، ولا قيمة في خير إذا لم يكن معه الإيمان، والسبب في ذلك هو: أن الإيمان صفة اشتركت مع الأمة الإسلامية فيها أمم سابقة أيضا، ولكن الذي يرفع الأمة الإسلامية من بين أتباع الأنبياء السابقين جميعا بصورة خاصة، هو هذا الأمر بالمعروف، والنهي عن

المنكر، وهو طرة مميزة على جبين هذه الأمة، وبحيث إن أي عمل من أعمال الخير لا يكون مقبولا عندالله تعالى، إلا إذا كان مع الإيمان، فلذلك أتى ذكره كقيد من قيود ذلك، وإن لم يكن ذكره بعينه مقصودا حقيقيا في هذه الآية الكريمة، ولما كان الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو المقصود في هذا الموضع، فقدمه في ذكره على غيره.

أما المراد من كونه طرة لامتياز هذه الأمة، فيظهر من وجوب الاهتمام به وبذل العناية الخاصة به، فليس القيام بالتبليغ بصورة سطحية عاجلة مفيدا وكافيا، لأنه بهذا المستوى كان موجودا في الأمم السابقة أيضا، كما يظهر من آية ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[سورة الأنعام الآية: ٤٤]، ومن غيرها من الآيات، فميزة الأمة الإسلامية مرتبطة بعنايتها الخاصة بهذا العمل، وهو أن يُتخذ عملا دائما ويُشتغل به كما يشتغل بغيره من الأعمال الدينية الأخرى.

(٧) وقال الله تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء الآية: ١١٤].

لقد وعد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية القائمين بالأمر بالمعروف بالأجر العظيم، وكم يكون الأجر عظيما؟ ويكون مقداره كثيرا؟ إذا كان الله سبحانه وتعالى بنفسه يصفه عظيما! وأما تفسير هذه الآية فقد ذكرت الكتب أنه روي:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصدقة، والصلاة؟ قال: قلنا: بلى! قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة (١).

و وردت نصوص كثيرة في الحث، والتأكيد على القيام بإصلاح ما بين الناس، ولاحاجة هنا إلى ذكرها، و إنما المقصود هي الدلالة على ضرورة اهتمام المسلم بما وسعه من الوسائل للإصلاح بين الناس، فإنه عمل يدخل في نطاق الأمر بالمعروف أيضاً.

(١) رواه أبو داود في الأدب رقم الحديث: ٤٩١٩ والترمذي في صفة القيامة رقم الحديث: ٢٥٠٩ وقال: هذا حديث صحيح

الفصل الثاني:

تأكد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما تدل عليه أحاديث الرسول ﷺ

نذكر في هذا الفصل عدداً من الأحاديث الشريفة مما يتصل بموضوعنا في هذا البحث، وليس غرضنا هنا أن نستقصي جميع الأحاديث المتصلة بهذا الموضوع، ولا يسعنا ذلك، ولو جمعنا أحاديث كثيرة، ومن الذي يقرأها ويتأمل فيها اليوم؟ فقد شُغل الناس في هذه الأيام عن الرغبة في مثل هذا، ولا يسعه وقتهم أيضاً، فلذلك آثرنا الاكتفاء بالضروري القليل لنلفت الأنظار إليه، ولنبلغ إلى قرائنا ما وجدناه من شدة تأكيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإقبال عليه، وما قام به من إنذار ووعيد، لمن يتركه، و يتغافل عنه.

فهنا عدد من الأحاديث الشريفة نقدمها إليكم.

(١) عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" (١).

وقد ورد في حديث آخر: "ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ، وذلك أضعف الإيمان" (٢).

و ورد في حديث آخر: " فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" (٣).

شرح الحديث:

وهناك أحاديث مختلفة، رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان رقم الحديث: ٤٩، والترمذي في الفتن رقم الحديث: ٢١٧٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في إقامة الصلوات رقم الحديث: ١٢٧٥، والنسائي في الإيمان رقم الحديث: ٥٠١١

(٢) هو لفظ هذا الحديث عند النسائي برقم: ٥٠١٢.

(٣) أخرجه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه في الإيمان رقم الحديث: ٥٠.

وهي تتحدث عن هذا الأمر الهام ، فلنفكر في هذا الشأن ، وننظر إلى نقصنا في ذلك ، فما أقل بين الناس من يغير بيده المنكر عندما يراه ، أو يقوم باستنكاره ويصفه بأنه حرام ، أو يكون على الأقل في آخر درجة من درجات الإيمان ، فيكرهه ويتألم عندما يرى وقوعه !! فكروا في ذلك إخواني ، فكروا فيه وأنتم بخلوة ثم انظروا ماذا كان يجب ، وماذا حدث !

(٢) عن النعمان بن بشير قال : "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء ، مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم ، نجوا ونجوا جميعاً" (١).

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً يقول : "لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" ، وحلق بين إصبعيه : الإبهام والتي تليها ، فقلت : أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : "نعم إذا كثر الخبث" (٢).

شرح الحديث :

نجد في كل مناسبة ، وفي كل مكان ، أن الناس يُكثرون ذكر انحطاط المسلمين وسقوطهم ، ويَنْعَون على حالتهم الحاضرة ، ويقترحون بشتى الطرق لإصلاح وضعهم وحالتهم ، ولكن أحداً من "الرجعيين" (علماء الدين) لا ينظر فضلا عن المتنورين المثقفين بالثقافة الجديدة ، إلى المرض الذي ذكره ، وأخبر به طبيبنا الحقيقي ، وربنا الرحيم ، ولا إلى الدواء الذي وصفه لعلاجه ، ولا ينظرون إلى أي حد قاموا بهذا العلاج ، أليس من ظلمهم وجورهم أن الأمر الذي كان من أكبر أسباب هذا المرض ، أصبحوا يصفونه علاجاً للمرض نفسه ! (ليس الأمر إلا أنهم يتغافلون عن الالتزام بالدين ووسائله ، ويستبدون بآرائهم ، مع أنهم يطلبون رقي الدين وقوته) فلا عجب إذن إذا هلك المريض بهذا

(١) أخرجه البخاري في الشركة رقم الحديث : ٢٤٩٣ والترمذي في الفتن رقم الحديث : ٢١٧٣ وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند رقم الحديث : ١٨٣٦١.

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء رقم الحديث : ٣٣٤٦ ، ومسلم في الفتن رقم الحديث : ٢٨٨٠

الدواء ، إما اليوم وإما في غد.

(٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا ! اتق الله ، ودع ما تصنع به ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله ، وشريبه ، وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل إلى قوله فاسقون ، ثم قال : كلا ! والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرن على الحق أطرا" (١).

شرح الحديث :

وقد ورد في حديث آخر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ، نهاهم علماؤهم ، فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم ، وآكلوهم ، وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود ، وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان متكئا ، فقال : لا ! والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً (٢).

وذكر أثناء الحديث آيات من القرآن الكريم تأييداً لقوله ، لأن هذه الآيات تشتمل على بيان لعنة الله على هؤلاء ، وأحد الأسباب العديدة لهذه

(١) رواه أبو داود في الملاحم برقم : ٤٣٣٦ والترمذي في التفسير برقم : ٣٠٤٧ وابن ماجه برقم : ٤٠٠٦ كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأحمد برقم : ٣٧١٣

(٢) هو لفظ حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المتقدم عند الترمذي برقم : ٣٠٤٧. وقال : هذا حديث حسن غريب. وإسناد حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ضعيف لانقطاعه ، لأنه روي عن أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود ، وهو لم يسمع منه ، واختلف في إسناده. وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عند الطبراني. أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٢/٧ طبعة مؤسسة المعارف بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، وقال : رجاله رجال الصحيح والله أعلم بالصواب. لكن في صحة إسناد أبي موسى عندي نظر ، فقد قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية : قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى انتهى.

فهذا يدل على أن هذا الاختلاف إنما هو من بعض الرواة ، والله أعلم ، وانظر سنن أبي داود فقد ذكر اختلاف الأسانيد ، وذكر السيوطي في الدر المنثور شاهدا له في حديث طويل عن معاذ بن جبل برواية عبد بن حميد.

اللعنة، هو: أنهم لم يكونوا يتناهون عن منكر فعلوه.

يستحسن الناس اليوم أن يكونوا مسالمين كل المسالمة، فلا يتكلموا في أي مناسبة إلا ما يناسب تلك المناسبة، ويعدون ذلك كمالاً ورحابة في السلوك، والخلق، مع أن ذلك خطأ إذا كانت هذه الرحابة مطلقة، وبصورة عامة.

ولكن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إذا لم يكن مؤثراً أو مفيداً في موضع، كان فيه الصمت جائزاً فقط، ولكن (بدون الموافقة، والتأييد للحال السائد)، أما المواضع التي ينفع فيها الأمر بالمعروف؛ مثل شؤون الأولاد وشؤون من هم تحت إشرافه، وفي رعايته، فلن يكون الصمت والرضا في هذه المواضع حسناً، ولن يسمى بكمال الخلق، بل إنما يعد الساكت عن الحق في هذه المواضع مجرما في قانون الشريعة، والاجتماع كليهما.

ولقد ورد في روايات عديدة أن الذنب الذي يقترفه رجل في الخفاء يكون ضَرَرُه على المقترف وحده، ولكن الذنب الذي يقع بصورة مكشوفة، وبحيث يمكن للناس أن يمنعوه، ولكنهم لايمنعونه فإذن يكون ضرره عاماً على الجميع (١).

فلينظر كل واحد منا إلى ما حوله، ويفكر في كم من الذنوب والسيئات يسعه أن ينكرها، ويغيرها، ولكنه يتغاضى عنها، ويتغافل فيها، ويعرض عنها!! والظلم الأكبر هو: أن رجلا ما إذا أراد أن ينكر هذه الذنوب، وينهى عنها، قام الناس لمخالفته، يصفونه بقلة الحكمة، وضعف البصيرة، ويعارضونه معارضة فضلا عن أن يعاونوه، ويساعدوه في قيامه بالخير والحق، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء الآية: ٢٢٧].

(٤) عن جرير بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من رجل يكون في قوم، يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن

(١) لقد جاء في رواية لجد عدي بن عدي الكندي: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروا فلا ينكروا، فإذا فعلوا ذلك، عذب الله تعالى العامة والخاصة، رواه في شرح السنة برقم: ٤١٥٥، وفي إسناده مجهول.

وله شاهد من حديث أبي بكر الصديق عند أبي داود برقم: ٤٣٣٨ في الملاحم والترمذي برقم: ٢١٦٩ في الفتن وابن ماجه برقم: ٤٠٠٥ في الفتن بإسناد صحيح، ولفظه: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم بعقاب منه.

يغيروا عليه، ولا يغيرون، إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا" (١).

شرح الحديث:

يا سادتي وأصدقائي الذين يحبون عزة الإسلام ومجده! انظروا، فإن هذه هي أسباب رزيئة المسلمين، وانحطاطهم المستمر، فلينظر كل واحد إلى ذويه، و لو نظرة واحدة، لا إلى غيره، ولا إلى من في منزلته ومستواه، بل إلى أفراد أسرته، وإلى من تحت رعايته، وإلى أولاده، وإلى مرؤوسيه، لينظر كل واحد إلى تلك المعاصي الظاهرة التي يقع فيها هؤلاء، ثم لينظر هل هو يمنعهم من ذلك عن طريق وجاهته لديهم، وأثره عليهم، أم يسكت أمامهم؟.

ودعوا عنكم أمر القيام بالمنع عن المعاصي، بل انظروا هل أردتم يوماً منعهم من ذلك؟ أو خطر على بال أحدكم أن حبيبه يفعل كذا وكذا؟! مع أنه إذا صدرت منه جريمة في شأن الحكومة السائدة، أو حضر في إحدى الحفلات السياسية المحظورة، لم يكن منك تجاهه إلا انزعاج، وخوف شديد من أن يصيبك أنت أيضاً اتهام أو شك في ذلك، فتسرع إلى زجر صاحبك، وتحاول تبرئة نفسك، مما قد يلحقك في هذا الشأن من ريبة أو مكروه، هل فكرتم أبداً في الموقف الذي تقفونه بالعكس منه تجاه مرتكب الجريمة في شأن أحكم الحاكمين؟

أليس من الواقع الملموس يا أخي! أنك قد تعرف كل المعرفة أن ابنك الحبيب مغرم بلعب الشِّطرنج، وأنه يتلهى بلعب الأوراق، ويترك أداء الصلاة في مختلف أوقاتها، ولكنك مع ذلك لا تبدي على ذلك استنكاراً! ولا تقول له: ماذا تفعل؟! فهذا يا أخي ليس من شأن المسلمين مع أنك كنت مأموراً حتى بأن تهجر المواكلة والمشاربة معه كما مر سابقاً، فما أبعد الفرق بين الحالتين والطريقتين!!.

ويوجد عدد كبير من الناس يقوم بالسخط والغضب على أولاده؛ لأنهم يقضون أوقاتهم في الكسل والبطالة، ويؤثرون البقاء في البيوت، كأنهم أحلاسها، ولا يحاولون للحصول على وظيفة، ولا يؤدون واجبهم نحو

(١) رواه أبو داود برقم: ٤٣٣٩ في الملاحم باب الأمر والنهي وابن ماجه ٤٠٠٩ في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وابن حبان في صحيحه برقم: ٣٠٠ والطبراني ٢٣/١٢ قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على ابن حبان: إسناده حسن.

حانوتهم، أما إذا بحثنا بجنب ذلك عن أناس يغضبون على أولادهم، لأنهم يتكاسلون في حضور الصلاة جماعة، أو أنهم يصلون الصلاة قضاءاً، فلا نجد هؤلاء إلا نادراً!

سادتي وأصدقائي! إن هذه الأمور لو كانت مما تستوجب المصيبة في الآخرة وحدها لكانت لائقة بأن يجتنبها الناس اجتناباً شديداً، ولكن الأدهى والأمر هو: أن أضرار حياتنا المادية هذه، وخسائرها التي نعد أهميتها أشد من أهمية الخسارة الأخروية ليست نتيجة إلا لهذا التهاون، والتقصير، انظروا إلى أي حد بلغت غباوتنا هذه، وتقصيرنا، وضلالنا؟ وقد قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [سورة الإسراء الآية: ٧٢]، كما أن هذه الحالة مصداق لقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [سورة البقرة الآية: ٧].

(٥) روي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها، وترد عنهم العذاب، والنقمة، مالم يستخفوا بحقها قالوا: يا رسول الله ما الاستخفاف بحقها؟ قال: يظهر العمل بمعاصي الله، فلا ينكر، ولا يغير" (١).

شرح الحديث:

انظروا إلى أي حد بلغت المصيبة في أمر الله اليوم! هل بقي لها حد لم تبلغ إليه؟ أما محاولة إنكارها، وصدها، أو تغييرها بعض التغيير، فمفقود ومتروك، فحينئذ إذا بقي للمسلمين وجود مع هذا الوضع الخطير، فإنما يستحق

(١) أخرجه الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهاني في الترغيب والترهيب ج/١ ص:١٥٨ برقم: ٣٠٠ قال: أخبرنا أبو القاسم بن أبي حرب بنيسابور أنا الحاكم أبوالحسن السقا أنا أبو الطيب محمد بن محمد الحناط ثنا جعفر بن سهل ثنا محمد ابن زياد ثنا العمري عن إبراهيم بن طهمان عن أبان عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثم ذكره، وطبع كتاب الأصفهاني بمؤسسة خدمات الطباعة بيروت لبنان بتخريج محمد السعيد بن بسيوني زغلول ومراجعة محمود إبراهيم زايد، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

و أورده المنذري في الترغيب والترهيب، ١٧١/٣ نقلاً عن الأصفهاني في كتاب الترغيب، وإسناده ضعيف كما يدلّ عليه صنيع المنذري، حيث صدره بقوله: "رُوي عن أنس" وأهمل الكلام عليه في آخره، وقد ذكر في المقدمة أن ذلك علامة الإسناد الضعيف.

أن يعد نعمة من نعم الله تعالى، ولا غير، مع أننا لم نكن جديرين بذلك، لأننا لم نترك سبباً ولا وسيلة تسوقنا إلى الهلاك إلا اخترناه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! إن الله إذا أنزل سطوته بأهل الأرض، وفيهم الصالحون، فيهلكون بهلاكهم؟ فقال: "يا عائشة إن الله عز وجل إذا أنزل سطوته بأهل نقمته، وفيهم الصالحون، فيصيرون معهم، ثم يبعثون على نياتهم" (١).

ولذلك يجب على أولئك الذين اعتمدوا على صلاحهم، وتدينهم أنفسهم، وقعدوا منقطعين عن الاهتمام بالحالة السيئة، التي يقع فيها غيرهم، أن لا يغفلوا عن الخطر، فإنه لو نزل عذاب الله عقاباً على انتشار السيئات والآثام، فلن يكون هؤلاء الصالحون أيضاً في منجى منه.

(٦) عن عائشة قالت: دخل علي النبي ﷺ فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء، فتوضأ، وما كلم أحداً، فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول، فقعد على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: "أيها الناس! إن الله تعالى يقول لكم: مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلاأنصركم، فما زاد عليهن حتى نزل" (٢).

شرح الحديث:

يجب أن يفكر في ذلك كل من يأمر بالتسامح والتساهل في أمر الدين، عند ما تمس الحاجة إلى مقاومة العدو، وذلك لأنه لا يمكن نصرة المسلمين وإعانتهم، إلا بالصلابة في الدين، فإن الصحابي الجليل أبا الدرداء يقول: ليكن منكم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإلا سلط الله عليكم ملكا لن يحترم كبيركم، ولن يرحم صغيركم، وحينئذ إذا دعا الصالحون منكم فلن يستجاب لدعائهم، وإذا استنصرتم فلن تنصروا (٣).

(١) أخرجه ابن حبان برقم: ٧٣١٤ بإسناد صحيح

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم: ٢٩٠، وابن ماجه برقم: ٤٠٠٤ في الفتن مختصراً، وأحمد ١٥٩/٦. وإسناده ضعيف كما قال الشيخ شعيب الأرناؤوط من أجل عاصم بن عمر بن عثمان، وكذا أعله بعاصم الهيثمي في المجمع ٢٦٩/٧ ويشهد له حديث حذيفة الآتي.

(٣) أثر أبي الدرداء رضي الله عنه ذكره الغزالي بلفظ: لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو

فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد الآية: ٧]، وقال في آية آخرى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٦٠].

عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده! لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده، ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم" (١).

وهنا يمكن لنا ولحضرات إخواننا أن نفكر في أمر المعاصي، والسيئات التي نقترفها ونرتكبها، فإنه يسعنا بذلك أن نعرف لماذا تضيع جهودنا ويبطل التأثير من دعواتنا؟ وهل نستوجب بذلك لأنفسنا التقدم والرفعة أو نستوجب الانحطاط والذلة؟!

(٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا عظمت أمتي الدنيا، نزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حرمت بركة الوحي، وإذا تسابت أمتي سقطت من عين الله" (٢).

ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ويدعو عليه خياركم، فلا يستجاب لهم، وتستنصرون فلا تنصرون، وتستغفرون فلا يغفرلكم، انظر إحياء علوم الدين كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب الأول من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد أغفله العراقي في المغني، وأما الزبيدي فعلق عليه في إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٢فقال: وقد أخرجه عبد بن حميد من حديث معاذ مرفوعاً في حديث طويل فيه: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم، ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم" انتهى.

(١) أخرجه الترمذي في الفتن برقم: ٢١٦٩ وقال: هذا حديث حسن.

(٢) هو في نوادر الأصول للحكيم الترمذي عن أبي هريرة بدون إسناد ج/٢ ص: ١٢ الأصل الثالث والسبعون ومائة في قدر تعظيم الدنيا، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ص: ٣٠ ورمز له بالضعف الطبعة الرابعة دار الكتب العلمية. وقال العراقي في تخريج الإحياء١/٢٨٤: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معضلاً من حديث الفضيل.

وقال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير برقم الحديث: ٧٦٠ في شرح القطعة: "وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي" قال: ذلك لأن في ترك الأمر والنهي خذلان الحق، وجفوة الدين، وفي خذلان الحق ذهاب البصيرة، وفي جفاء الدين فقد النور، فيحجب

شرح الحديث:

اعلموا أيها المنادون بتقدم الأمة وخيرها أن كل واحد من أبناء الأمة، إنما يسعى لمجد الإسلام، ومجد المسلمين، ولكن الوسائل التي تختار لهذا الغرض لا تسوق إلا إلى الانحطاط، والسقوط، إنكم أيها الإخوة إذا كنتم تؤمنون بأن رسولكم (نفسي فداه صلى الله عليه وسلم) هو الرسول الحق، وأن تعاليمه هي التعاليم الصادقة، فلماذا لاتنظرون إلى ما يصفه صلى الله عليه وسلم من الأمور بأنها أسباب المرض، وأنها أسس الفساد والسقوط بنظرة الإنكار؟! بل ترونها بعكس ذلك من أسباب الشفاء والصحة! وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به" (١).

ولكنكم أيها الإخوة تريدون أن يزول عن طريقكم هذا الستار الديني ليسعكم من بعده التقدم والرقي على غرار الأمم الأخرى، وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [سورة الشورى: الآية: ٢٠].

و ورد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، ومزق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له" (٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من كان يريد

القلب، فيحرم بركته، وحرمان بركته أن يقرأه فلا يفهم أسراره، ولا يذوق حلاوته، وهو من أعلم الناس بالعلوم العربية، وأبصرهم بتفسيره، وقد عمي عن زواجره، وقوارع وعده، ووعيده، وأمثاله انتهى من فيض القدير طبعة دار الفكر الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م بيروت.

(١) قال النووي في أربعينه: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو، وتعقبه ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم، والحاكم فقال: تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه، ثم ذكرها، وقد أخرجه أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي في أربعينه ص: ٥١، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، وذكره البخاري تعليقاً في جزء رفع اليدين، فقال: وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: ٢٤٦٥٠، وله شاهد عن زيد بن ثابت عند ابن ماجه برقم: ٤١٠٥، قال البوصيري في زوائده: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وله شاهد آخر عن ابن عباس عند الطبراني في المعجم الكبير١١/٢٦٦ برقم: ١١٦٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، وفيه أبو حمزة الثمالي، وهو ضعيف.

حرث الآخرة، الآية، قال: "يقول الله: ابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، و إلا تفعل ملأت صدرك شغلا، ولم أسد فقرك" (١).

هذا قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم ترون أنتم أن تخلف المسلمين وضعفهم في مجال الرقي والتقدم، إنما جاء بسبب أن الوسائل والأسباب التي تختار للسير في مدارج الرقي والتقدم، إنما يعرقل فيها علماء الدين هؤلاء الطامعون، فيا لها من سخافة! إنه لو كان هؤلاء العلماء طامعين في الدنيا لكان هذا التقدم والرقي الذي قد تحصلون عليه بموضع غبطة وسرور لهم، لأن أرزاقهم تأتي إليهم كما تزعمون من أيديكم، فكلما اتسع نطاق رقيكم، وكثرت مكاسبكم، كان سبباً لاتساع رزقهم أيضاً. فلماذا يعارض هؤلاء المغرضون جهودكم و آراءكم، فهل هناك سبب أو اضطرار يجبرهم على أن يحرموا أنفسهم من المنافع، ويخربوا بيوتهم، ويفسدوا معاشهم أيضاً بإغضاب مربيهم ومحسنيهم أمثالكم.

فكروا ساعة يا أصدقائي و إخواني! إذا كان هؤلاء العلماء "الرجعيون" يقولون قولا تجدونه بوضوح في كتاب الله نفسه، فليس انصرافكم عن هذا القول، وإعراضكم عنه إلا مخالفاً للعقل، بل ومخالفا للعظمة الإسلامية كذلك.

وإن هؤلاء العلماء الرجعيين مهما كانوا ضعفاء قاصرين؛ لكنهم ماداموا يبلغون إليكم قول الله عزوجل، وقول رسوله الكريم ﷺ، فيجب عليكم امتثاله، وإذا أعرضتم عنه فستُسألون عن ذلك يوم القيامة، وهل يوجد عاقل يسمح لشخص ما بأن يقول عند مخالفته لقانون حكومة بلاده: إني أخالفه، لأن الذي أخبرني بهذا القانون كان من المنبوذين أو من الكناسين!

لا تقولوا: إن هؤلاء الشيوخ الذين يعلنون عن أنفسهم الاختصاص بالأعمال الدينية ينالون مكسباً من أصحاب الدنيا، فإني أرى وأقول: إن شيوخ الدين الحقيقيين لا يأخذون لأنفسهم شيئاً، بل كلما زاد اشتغالهم بالعبادة، زاد فيهم الاستغناء، والتعفف، حتى في قبول الهدايا، غير المال الذي يسألونه

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: ٤١٠٧، وأحمد برقم: ٨٦٩٦، قال شعيب وأصحابه: إسناده محتمل للتحسين لأجل زائدة بن نشيط.

لتحقيق مشاريع الدين، ولسد حاجاته، وأداء مهامه، فإن ذلك عمل حسن، وسوف يثابون عليه عند الله أكثر مما سيثابون على عدم سؤالهم لأنفسهم.

ويعترض كثير من الناس بقولهم: إنه ليس في دين محمد صلى الله عليه وسلم تعليم بالرهبانية، و إن الدين والدنيا قد جمعا في الإسلام كما يشير إليه قول الله عزو جل: ﴿فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٠٠ـ٢٠١].

فالمعترضون يكثرون ذكر هذه الآية كأنما هذه الآية هي وحدها نزلت للعمل بها في القرآن، إنه كان من الواجب عليهم أن يسألوا الراسخين في العلم عن تفسير هذه الآية، ولذلك قال العلماء: إن الرجل الذي ظن عن نفسه بعد مجرد قراءته لترجمة معاني القرآن، أنه أصبح عالماً بالقرآن، لم يجاوز أمره أمر الغباوة، والجهالة، أما ما نقل عن الصحابة الكرام والعلماء التابعين من تفسير لهذه الآية الشريفة، فهو كما يأتي:

روي عن قتادة رضي الله عنه أن المراد من حسنة الدنيا هي: السلامة والكفاف من الرزق (١).

و روي عن علي رضي الله عنه: أن المراد منها هي الزوج الصالحة (٢).

وروي عن حسن البصري رحمه الله: أن المراد منها هو العلم والعبادة (٣)

ورُوي عن السدي: أن المراد منها هو المال الطاهر (٤).

وروي عن ابن عمر: أن المراد هم الأولاد الصالحون، ومدح الخلائق له (٥)

وروي عن جعفر رضي الله عنه: أن المراد منها هو الكفاية في الصحة

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره قال: في الدنيا عافية، وفي الآخرة عافية.
(٢) قال السيوطي في الدر: وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب في الآية قال: المرأة الصالحة من الحسنات.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٦٤٦٣ عَنِ الْحَسَنِ قال: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً قَالَ: فِي الدُّنْيَا الْعِلْمُ وَالْعِبَادَةُ، وَفِي الآخِرَةِ الْجَنَّةُ.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره قال: حسنة الدنيا المال، وحسنة الآخرة الجنة.
(٥) عزاه في الدر الى ابن المنذر قال: وأخرج ابن المنذر عن سالم بن عبد الله بن عمر: ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال: الثناء.

والقوت، وحصول الفهم لكلام الله عزوجل، والغلبة على الأعداء، ومصاحبة الصالحين.

أما إذا كان الأمر هو النوع الثاني، وهو الرقي الدنيوي بكل أنواعه، وهو الذي ترغب إليه نفوسنا جميعاً، فإن الآية تتضمن الدعاء له من الله سبحانه وتعالى، ولا تتضمن على أن تنصرف إلى طلبه وتحصيله كل الانصراف، وتشتغل به اشتغالا زائداً، أما طلب شيء من الله سبحانه وتعالى، والدعاء له، و إن كان ذلك لإصلاح الحذاء في رجله (١) فإنما يدخل في الأمور الدينية نفسها.

وإني أسألكم أيها الإخوان: من الذي ينهاكم عن طلب الحصول على الدنيا وطلب الرزق عن طريقها؟ فإنما يجوز لكم طلبها كل الجواز، فليس من غرضنا أبداً أن تُترك الدنيا هذه الرغيبة المغتنمة عندكم كل الترك.

إنما الغاية أن تبذلوا للدين من جهدكم مالا يقل عن جهدكم للدنيا، إذا لم تقدروا على أن تزيدوا جهدكم للدين أكثر من الدنيا، لأن الأمر بالطلب إنما جاء (على حسب قولك أنت أيضاً) للدنيا والدين جميعا.

وألفت نظرك إلى أن القرآن الذي وردت فيه هذه الآية، قد وردت فيه أيضا:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٠٠-٢٠١].

و ورد في هذا القرآن نفسه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [سورة بني إسرائيل الآية: ١٨-١٩].

وجاء في هذا القرآن نفسه: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٤].

(١) فقد أخرج الترمذي في الدعوات باب في الاستعاذة عن أنس مرفوعاً: ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع، قال الترمذي: هذا حديث غريب، انتهى.

وجاء في هذا القرآن نفسه: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٥٢].

وجاء فيه: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [سورة النساء الآية: ٧٧].

وجاء فيه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية: ٣٢].

وجاء فيه: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [سورة الأنعام الآية: ٧٠].

وجاء فيه: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [سورة الأنفال الآية: ٦٧].

وجاء فيه: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة التوبة: ٣٨].

وجاء فيه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود الآية: ١٥-١٦].

وجاء فيه أيضاً: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [سورة الرعد الآية: ٢٦].

وجاء فيه أيضاً: ﴿فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [سورة النحل الآية: ١٠٧].

وهناك آيات كثيرة تتضمن على مقارنة بين الدنيا والآخرة، ولكن قصدي لم يكن استيعابها و إحصاءها، ولم تكن الحاجة تقتضي ذلك أيضاً، فذكرنا عدداً من آيات كنماذج مختصرة، ويمكن الرجوع إلى كتاب الله للاطلاع على المزيد منها، و إنما المقصود من كل ذلك أن الذين يؤثرون أمر الدنيا على أمر الآخرة، هم في خسران ظاهر، فإن كنتم لا تقدرون على العدل بينهما، فعليكم إيثار الآخرة في كل حال، إني أعترف بأن الإنسان في حياته الدنيا شديد الافتقار إلى الحاجيات الدنيوية، ولكن الذي لن يكون معقولا هو: أن يجلس

الإنسان في المراحيض طيلة نهاره ، بناءاً على أنه مفتقر إلى الذّهاب إليها.

ولو دققت النظر إلى الحكمة الإلهية ، لعلمت أن كل أمر في الشريعة الإسلامية تحت نظام ورابطة ، وقد بين الله جل وعلا كل شيء ، فإن تقسيم مواقيت الصلاة يشير إلى أن شطراً واحداً من مجموع أوقات الليل والنهار هو من حق العبد ، سواء بذله في راحته ، أو في كسب معاشه ، أما الشطر الباقي فهو لله ، ويقتضي اقتراحكم لجمع الدين والدنيا ذلك أيضاً أن يبذل شطر واحد من مجموع أوقات الليل والنهار للدين ، أما الشطر الباقي فيبذل للدنيا ، ولكنه إذا زادت شؤون الدنيا سواء كانت تابعة لراحة الجسم ، أو كانت لطلب المعاش ، وطغت على شئون الآخرة ، فمعناه أنكم جعلتم الدنيا راجحة ، فإن نظريتكم في هذاالصدد تقتضي مبدئياً أن تبذلوا اثنتي عشرة ساعة من اليوم والليلة في شؤون الدين ، ليتأدى بذلك حق كل واحد من الدين والدنيا على طريقة سواء ، وحينئذ يصح القول بأن الله قد أمر بطلب حسنات الدارين ، وبأن الإسلام لم يأمر بالرهبانية.

ولم يكن قصدي هنا بيان هذا الأمر ، ولكن قيامي بالرد على الشبهة الواردة في هذا الصدد ، قد كان مقصودي ذلك ، فساقني إلى بيانه ، ولذلك اكتفيت بالاختصار وبالإشارات ، و إنما كان مقصودي في هذا الفصل بيان الأحاديث الدالة على ضرورة التبليغ ، والأمر بالمعروف ، واكتفيت في ذلك ببيان سبعة أحاديث رجاء أنها تكفي ، والواحد منها يكفي إذا كانت القلوب مقبلة ، وإذا لم تكن القلوب مقبلة ففي آية : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء الآية : ٢٢٧] كفاية أكثر.

وأريد أن أقول لكم في الأخير: إن بعض الأحاديث الشريفة إنما تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر في زمن الفتنة الذي يطاع فيه الشح ، وتتبع أهواء النفس ، وتؤثر الدنيا على الدين ، ويعجب كل ذي رأي برأيه ، ولا يقبل رأي غيره بأن يترك الناس إصلاح غيرهم ، ويقبلوا على ذات أنفسهم (١)

(١) كما أخرج أبو داود في الفتن باب الأمر والنهي عن المنكر برقم: ٤٣٤١، والترمذي في التفسير برقم: ٣٠٦٠، وحسّنه ، و ابن ماجه في الفتن برقم: ٤٠١٤ ،والبغوي في شرح السنة برقم: ٤١٥٦ عن أبي أمية الشعباني قال:

أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥]، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام ، الحديث.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، انتهى، وفي إسناده عمرو بن جارية، وأبو أمية الشعباني، ولم يوثقهما غير ابن حبان. قاله شعيب الأرناؤوط في التعليق على شرح السنة.

وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند أبي داود في الملاحم برقم: ٤٣٤٢ بإسناد صحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كيف بكم وبزمان، أو يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة ، تبقى حثالة الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا، فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه ، فقالوا: وكيف بنا يا رسول الله ؟ قال: تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم.

ولكن هذا الزمن في نظر العلماء والشيوخ لم يأت بعد ، فيجب إذن أن تفعلوا ما تستطيعون فعله ، فلا قدر الله أن يأتي هذا الزمن بغتة ، فإنه لن ينفع حينئذ أي اصلاح ، ويجب أيضا اجتناب الأخطاء التي ذكرت في هذا الحديث بقدر المستطاع ، لأنها أسباب الفتن ، وهي تسوق إلى الفتن الصريحة ، ولقد سماها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث من أحاديثه بالموبقات (١) فاللهم احفظنا من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن.

(١) أخرج البخاري برقم: ٢٧٦٦، وبرقم: ٦٨٥٧، ومسلم برقم: ٨٩ عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات.

الفصل الثالث:

أهمية أن يعمل الداعي بما يأمر به غيره

أريد في هذا الفصل أن ألفت النظر إلى أمر خاص، فأشير إلى عيب يصدر من الناس في هذه الأيام بصورة خاصة، وذلك بجنب تقصيرهم في عمل الدعوة، والتبليغ، وشدة غفلتهم عن الأمور الدينية، فقد نرى أنهم عند ما يسند إليهم عمل ديني، مثل: إلقاء المحاضرات، أو كتابة المقالات، أو العمل التعليمي، أو التبليغ، والوعظ، وغيرها، فهم ينصرفون إلى الاعتناء بأمر الآخرين، وينسون أنفسهم، ولا يرونها في حاجة إلى الاعتناء بإصلاحها، مع أن اعتناءهم بإصلاحها أهم و أولى من الاعتناء بأمر غيرهم، وإصلاح حالهم، ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضع نهياً شديداً عن أن يقوم الرجل بنصح غيره، و يتمادى بنفسه في المعاصي لا ينفك عنها.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟" (١).

روي عن الوليد بن عقبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون: بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم! فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل" (٢).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ١٢٢١١ عن أنس رضي الله عنه، وقال محققوه: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد، لكن قد توبع، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح، وأخرجه ابن حبان برقم: ٥٣ والبيهقي في شعب الإيمان برقم: ٤٩٦٥ و أبو يعلى برقم: ٣٩٩٢ و٣٩٩٦ و٤٠٦٩ والطبراني في الأوسط برقم: ٨٢٢٣ و٢٨٣٢ وغيرهم. ونسبه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٩/٧ إلى أبي يعلى، والبزاز، والطبراني في الأوسط وقال: أحد أسانيد أبي يعلى رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ج/٢٢، ص،١٥٠، برقم: ٤٠٥ وفي الأوسط برقم: ٩٩، أورده الهيثمي

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان، فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ فيقال لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم" (١).

وكتب العلماء والشيوخ أن موعظة رجل لغيره بما لا يعمل به هو نفسه لا تنفع أبداً، ولذلك ترى أن الحفلات والخطب قد كثرت اليوم، بحيث تعقد وتلقى كل يوم، ولكنها تذهب سدى ولا تنفع، كما تظهر مقالات ومجلات كل يوم، وهي لا تفيد ولا تنفع، وقد قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة الآية: ٤٤].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟" (٢).

عن لقمان يعني ابن عامر قال: كان الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: "إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي: يا عويمر فأقول: لبيك رب! فيقول: ما عملت فيما علمت؟" (٣).

في مجمع الزوائد ٢٧٩/٧، باب: فيمن يأمر بالمعروف ولا يفعله وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو بكر الداهري، وهو ضعيف جداً، وقد أشار المنذري بصنيعه إلى ضعفه الشديد في الترغيب ٧٧/١.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٨٦/٨ في ترجمة عبد الله بن عبد العزيز العمري، وقال: غريب من حديث أبي طوالة، تفرد به عنه العمري، وقد عزاه صاحب كنز العمال إلى الطبراني أيضاً ولم أجده، وانظر الفردوس بمأثور الخطاب، ففيه: عبدة الأوثان والنيران.

قال المنذري في الترغيب ج/١ ص: ٧٦: لهذا اللفظ مع غرابته شواهد، وهو حديث أبي هريرة الصحيح: "إن أول من يُدعى به يوم القيامة رجل جمع القرآن ليقال: قارئ، وفي آخره أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة انتهى.

قلت: وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان من قول أبي سليمان الداراني برقم: ٢٣٨٢.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٦٠/٢٠ والبزار كما في كشف الأستار برقم: ٣٤٣٧ ج٤/ص: ١٥٨، نقله المنذري في الترغيب والترهيب ٧٦/١ عن البيهقي برواية معاذ بن جبل رضي الله عنه، و نسبه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٩/١٠ إلى الطبراني والبزار وقال: رجال الطبراني رجال الصحيح غير صامت بن معاذ، وعدي بن عدي، وهما ثقتان، انتهى.

قلت: وفي الباب عن ابن مسعود رضي الله عنه عند الترمذي برقم: ٢٤١٦، وفيه حسين بن قيس وهو ضعيف، وفي الباب عن أبي برزة الأسلمي عند الترمذي في القيامة برقم: ٢٤١٧، وقال الترمذي عنه: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرج أحمد في الزهد ص: ١٧٠ عن حميد بن هلال قال: قال أبو الدرداء: إن أخوف ما أخاف إذا لقيت ربي أن يقول لي: قد علمت فماذا عملت فيما علمت؟.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "تعرضت أو تصديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقلت: يارسول الله! أي الناس شر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم غفرا، سل عن الخير، ولا تسأل عن الشر، شرار الناس شرار العلماء في الناس" (١).

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "العلم علمان: علم في القلب، فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان، فذاك حجة الله على ابن آدم" (٢).

فالمقصود من كل ذلك: أن تعرف أن العلم المتعلق بالقلب، والباطن، واجب تحصيله مع تحصيل العلم الظاهر، ليتصف القلب أيضاً بالعلم، لأن العلم إذا لم يؤثر على القلب كان حجة من الله عليه، وسوف يعاقب به صاحبه يوم القيامة على ما عمل به، وقد وردت روايات كثيرة متضمنة على الوعيد الشديد على هذا التقصير، فلذلك أرجو من المبلغين والدعاة الكرام أن يهتموا أولا بإصلاح أنفسهم ظاهرا وباطناً، لئلا يدخلوا في مضمار من يستحق هذه الوعيدات، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق برحمته الواسعة هذا العاجز المذنب كذلك، ليقوم بإصلاح نفسه ظاهراًوباطناً، لأني لا أرى أحداً أكثر مني خطايا وذنوبا، إلا أن يتغمدني الله برحمته الواسعة.

---

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ١/٩٦-٩٧ برقم:١٦٧ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٩٠ كتاب العلم باب في من لم ينتفع بعلمه: رواه البزار وفيه الخليل بن مرة، قال البخاري: منكر الحديث، ورد ابن عدي قول البخاري، وقال أبو زرعة: شيخ صالح.

(٢) أخرجه الدارمي رقم الحديث: ٣٦٤ من طبعة دار الريان القاهرة، عن الحسن البصري من قوله، وسنده صحيح كما قال الألباني في تخريج المشكاة برقم: ٢٧٠

وأخرجه الدارمي عن الحسن مرفوعاً، وسنده أيضاً صحيح إلى الحسن، لكنه من مراسيل الحسن وهي ضعيفة كما قاله الألباني أيضاً.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٣٤٦/٤ في ترجمة أحمد بن الفضل القاضي عن الحسن عن جابر مرفوعاً قال المناوي في فيض القدير ٤٩٧/٤: وقال المنذري: إسناده صحيح، قال الحافظ العراقي: وسنده جيد، وإعلال ابن الجوزي له وهم، وقال السمهودي: إسناده حسن، ورواه أبو نعيم والديلمي عن أنس مرفوعا انتهى.

ومع ذلك فقد ضعفه الألباني في تخريج المشكاة وقال: فيه يحيى بن يمان وهو ضعيف، وآخر مجهول العدالة. فلا تغتر بمن حسن إسناده انتهى قول الألباني.

قلت: أما يحيى بن يمان فهو من رواة مسلم، وهو وإن كان فيه كلام، لكن قال يحيى بن معين: ليس به بأس، وقال الذهبي في الكاشف: صدوق، والله أعلم. وأخرجه البيهقي في الشعب من قول الفضيل بن عياض.

الفصل الرابع:

إكرام المسلمين والنهي عن إهانتهم

وفي هذا الفصل أريد أن ألفت نظر الدعاة والمبلغين إلى أمر هام جداً، وهو أن غفلة الداعي عن الحكمة في عمله، وإن كانت غفلة خفيفة، تأتي بمغبة سيئة وخطيرة، ولذلك يجب أن يحترس الداعي في عمله، ويحتاط في أداء ذلك، فإن كثيراً من الناس لا يبالون بالوقوع في هتك كرامة المسلمين، لقوة ما عندهم من العاطفة الدعوية، مع أن عرض المسلم شيء عظيم، وله أهمية كبيرة، فقد ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" (١).

وعن ابن عباس مرفوعا: "من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته"(٢).

على كل، فقد ورد ذكر هذا الأمر المهم في روايات كثيرة، فلذلك يجب على الدعاة والمبلغين أن يكونوا محترسين عن الوقوع فيما يكشف ستر المسلمين، لأن صيانة عرض المسلم أهم من هذا العمل، فقد ورد عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من امرئ مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع ينتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصره، وما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتقص من عرضه،

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة برقم: ١٩٣٠ كتاب البر والصلة باب ما جاء في الستر على المسلمين، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه في الحدود برقم: ٢٥٤٦، وفيه محمد عثمان الجمحي وهو ضعيف، وباقي رجال إسناده ثقات، كما قال البوصيري في زوائد ابن ماجه. وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري برقم: ٢٤٤٢، ولفظه: ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة.

وقال المناوي في فيض القدير في شرح الحديث برقم: ٨٧٤١، فيه: تخلق بخلق الله، والله يحب التخلق بأخلاقه، ودعي عثمان إلى قوم على ريبة، فانطلق ليأخذهم، فتفرقوا فلم يدركهم، فأعتق رقبة شكراً لله تعالى على أن لا يكون جرى على يديه خزي مسلم انتهى.

وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره في موطن يحب فيه نصرته"(١).

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغيرحق"(٢).

وهناك روايات كثيرة ورد فيها وعيد شديد في هتك عرض المسلم، فيجب على الدعاة والمبلغين أن يكونوا محترسين عند قيامهم بالنهي عن المنكر، فلا يقعوا في هتك عرض، فإن كان المنكر خفياً، وجب أن يكون التنبيه عليه خفياً، و إذا كان علنا، فيكون التنبيه عليه علانية، وكلما قام الداعي بالتنبيه، والنهي عن منكر غيره، وجب عليه أن يهتم بأن لا تكون طريقته مسيئة إلى كرامة من ينهاه وينصحه، حتى لا يحصل له من هذا العمل الحسن شر بدل الخير الذي يريده، ويطلبه لنفسه من ذلك.

فالحاصل: أنه يجب على الرجل أن يقوم بإنكار المنكر، لأن النُذُر التي ذكرناها سابقا شديدة، ولكن الواجب عليه أن يكون محترساً من أن ينال من عرضه وكرامته، وأحسن طريقة في ذلك أن يبدي استنكاره للسيئة علانية إذا أتى بها صاحبها علانية، ولكن السيئة التي لم يأتها صاحبها إلا سراً، فعليه أن لا يقوم نحوها بأمر يكشف ما خفي من حاله، كما أن الحكمة في الدعوة تقتضي أيضاً أن يكون الداعي رقيقاً في عمله مع الناس.

لقد نصح رجل الخليفة العباسي مأمون الرشيد بطريقة جافية غليظة فقال له: كن لطيفاً في نصيحتك، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام، وهما خير منك إلى فرعون، وهو شر مني، فقال لهما: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه الآية: ٤٤](٣).

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب برقم: ٤٨٨٤ عن جابر، وأبي طلحة بن سهل الأنصاري، وأخرجه أحمد برقم: ١٦٣٦٨، وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٨٦٤٢ بترقيم محمد حسن الشافعي عن جابر وأبي أيوب. قال محقق مسند أحمد: إسناده ضعيف لجهالة يحيى بن سليم بن زيد، قال الهيثمي في المجمع٧/٢٧٠ : وإسناده حسن..

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب باب الغيبة برقم: ٤٨٧٦ وسكت عنه هو والمنذري في مختصر السنن، وأحمد برقم: ١٦٥١، قال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) قال الغزالي في إحياء علوم الدين٢/٣٣٤ باب آداب المحتسب: ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون إذا وعظه واعظ، وعنّف له في القول، فقال: يا رجل! ارفق، فقد بعث الله من هو

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: "قال فتى من قريش: يا رسول الله! ائذن لي في الزنا! فأقبل القوم عليه، وزجروه، فقال: ادنه، فدنا فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا! والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، ثم قال له مثل ذلك في ابنته، وأخته، وخالته، في كل ذلك يقول: أتحبه؟ فيقول: لا! والله جعلني الله فداك، فيقول صلى الله عليه وسلم: ولا الناس يحبونه، فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء " (١).

على كل فيجب على الداعي أن يستعمل ما يسعه من الدعاء، والدواء، والوعظ، واللطف في تذكير الناس، بل ليتخيل نفسه في مكانهم، ثم يتصور ما هو الطريق الذي كان يستحسنه للتذكير، والنهي عن المنكر.

خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق، فقال تعالى: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾. فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم انتهى.

(١) أخرجه أحمد برقم: ٢٢٢١١ بسياق طويل، وقال محققو مسند أحمد: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، وأخرجه الطبراني في الكبير ٨/١٩٠ برقم: ٧٦٧٩ مختصراً، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٣٤ كتاب العلم باب في أدب العالم: رواه أحمد، والطبراني، ورجاله رجال صحيح.

الفصل الخامس:

التذرع بالإخلاص، والإيمان

وبطلب رضا الله سبحانه في كل عمل

أقدم في هذا الفصل نصيحة إلى الدعاة والمبلغين الكرام، وهي: أنه يجب عليهم أن يتزينوا بالإخلاص، والنصيحة، في كل ما يقومون به، من خطابة أو كتابة في سبيل الدعوة، لأن الإخلاص يجعل العمل الصغير كبيراً جداً في ثمراته الدينية، ونتائجه المادية، وأما إذا فقد الإخلاص من عمل فيصبح العمل بتجرده عنه فاقد الأثر والفائدة في الدنيا والآخرة جميعاً.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (١).

وقد ورد عن أبي فراس (رجل من أسلم) قال: "نادى رجل فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان؟ قال الإخلاص" (٢).

وعن معاذ بن جبل أنه قال حين بعث إلى إليمن: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! أوصني، قال: "أخلص دينك، يكفك العمل القليل" (٣).

عن أبي أمامة قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات، ويقول رسول الله ﷺ: لا شيء له، ثم قال: إن الله عزوجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتُغي به وجهه" (٤).

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٦٤ في كتاب البر والصلة
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٦٤٤١ قال المنذري في الترغيب والترهيب ١/٢٣: رواه البيهقي وهو مرسل.
(٣) أخرجه الحاكم ج ٤ ص: ٣٤١، رقم الحديث ١/٧٨٤٤ في أوائل كتاب الرقاق وصحّحه، ولكن قال الذهبي: لا، يعني غير صحيح.
(٤) أخرجه النسائي في الجهاد باب من يلتمس الأجر والذكر، قال المنذري في الترغيب ١/٢٤: إسناده جيد.

و ورد في حديث آخر: "أن الله تعالى قال: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه"، وفي رواية: "فأنا منه بريء، فهو للذي عمله" (١).

عن أبي سعيد بن أبي فضالة، وكان من الصحابة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لاريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك" (٢).

وفي حديث آخر: "من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك" (٣).

وقد ورد في حديث آخر: "إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم، ليقال: إنك عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به، فسحب به على وجهه ثم ألقي في النار" (٤).

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٩٨٥ في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه ابن ماجه برقم ٤٢٠٢، والترمذي برقم: ٣١٥٤، وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه: ٤٠٤ وبرقم: ٤٠٤ و برقم: ٧٣٤٥، وأحمد برقم: ١٥٨٣٨، والطبراني في الكبير ٢٢/٣٠٣.
(٣) أخرجه الحاكم ٤/ برقم ٩٥/٧٩٣٨ وأخرجه أحمد برقم: ١٧١٤٠ عن شداد بن أوس وهو حديث محتمل للتحسين لو لا أن فيه شهر بن حوشب، قال الهيثمي ١٠/٢٢٤: رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب، وثقه أحمد وغيره، وضعفه غير واحد، وبقية رجاله ثقات.
(٤) أخرجه مسلم عن أبي هريرة في الإمارة باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار برقم: ١٩٠٥.

فمن أهم الأمور و أوجبها أن يعتني الدعاة والمبلغون الكرام في جميع جهودهم ومحاولاتهم الدعوية بأن يكون رضا الله سبحانه وتعالى واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم مقصودهم ومطلوبهم، وأن يعتنوا بأن لا يمسهم فيها طلب سمعة، أو عزة، أو مدح أبداً، وإذا خطر ببالهم منها شيء، فعليهم أن يدفعوها عنهم، ويصلحوا أمرهم فيها، وأدعو الله سبحانه وتعالى لنفسي الحقيرة المذنبة أن يرزقني كذلك الإخلاص في أعمالي كلها بكرمه، وببركته، وبركة أحاديث نبيه الكريم آمين.

❖❖❖

الفصل السادس:

توقير العلماء والصالحين وعدم الاستخفاف بهم

في هذا الفصل أريد أن ألفت نظر عامة المسلمين إلى أمر خاص، وهو أن كثيراً من الناس إنما يرون إلى العلماء بعين الازدراء و الاحتقار، فلا يبلغ نظرهم إليهم إلى حد الإعراض عنهم، وسوء الظن بهم فحسب، بل وإلى مناوئتهم، وتحقيرهم في كثير من الأحيان، وذلك قبيح جداً، وخطر على المكانة الدينية التي يحتلها هؤلاء الناس المخالفون.

أقول ذلك، وأعترف بأن جماعة العلماء تشتمل على أفراد سوء أيضاً، وبمثلها نجد في كل جماعة من جماعات الناس، وأنهم يشتملون على أفراد صدق أيضاً، وإذا افترضنا أن نسبة أفراد السوء في طبقة العلماء أكثر من أفراد السوء في طبقة أخرى، وعلماء السوء مختلطون بعلماء الحق، فالذي تجب مراعاته، والعناية به: هو أن لا يوصف أحد من العلماء بالسوء، مالم يتحقق أنه من أصحاب السوء، فقد جاء في القرآن المجيد: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة بني إسرائيل الآية: ٣٦].

ومن الظلم المبين أن ترفض نصيحة رجل لأنه يخيل إليك من علماء السوء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا" [رواه البخاري] (١).

فالحاصل من ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى المسلمين عن أن يصدقوا ما نقله الكفار وترجموه، أما نحن فقد بلغ الأمر بنا إلى حد أن رجلا إذا تكلم بشيء يخالف رأينا، فنغضب ونهجم على هذا الرجل، ونسعى

(١) رواه البخاري برقم: ٧٣٦٢ كتاب الاعتصام باب قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء.

لإهدار كرامته، وتوهين شخصيته، ونقصد بذلك إبطال رأيه وقوله، و إن كان من المتحقق لنا أن هذا الرجل من أهل الحق الصالحين.

والأمر الثاني الهام هو: أن علماء الحق، والرشد، والخير أيضاً، لا تخلو نفوسهم من دواعي الطبيعة البشرية، ولا معصوم في الناس إلا الأنبياء عليهم السلام وحدهم، فالأخطاء والتقصيرات التي تصدر من العلماء، إنما مسئوليتها على أنفسهم، وأمرهم إلى الله، إن شاء أخذهم عليها، وإن شاء عفا عنهم فيها، وأغلب الظن في ذلك هو أن هذه التقصيرات والأخطاء سيغفرها الله تعالى، ومن عادة الله سبحانه وتعالى أنه يتلطف في شأن أولئك الذين تركوا شؤون أنفسهم الدنيوية، واشتغلوا بالعمل في سبيل ربهم، وانصرفوا إلى هذا العمل، فالمرجو أن يصفح الله عنهم، فإنه لا رحيم مثله، ولا كريم غيره، ولكنه إذا أراد أن يأخذ هؤلاء على تقصيراتهم، وذلك إظهاراً لعدله، فذلك أمر يتعلق به، وله الخيار في ذلك، فمعارضة الناس للعلماء لمثل هذه الأسباب، وتنفيرهم للناس عنهم، وإفساد ظنهم فيهم، والسعي لتجنيب الناس عنهم، لا يجر إلا إلى فساد دين الناس، ويكون وبالا عظيماً لفاعليه.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط" (١).

و ورد في حديث آخر: "ليس من أمتي من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمناحقه" (٢).

وأيضاً عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، و إمام مقسط" (٣)

---

(١) أخرجه أبو داود عن أبي موسى برقم:٤٨٤٣ كتاب الأدب باب تنزيل الناس منازلهم، وحسنه النووي في رياض الصالحين برقم: ٣٥٤

(٢) أخرجه أحمد برقم: ٢٢٧٥٥ وأخرجه الحاكم في المستدرك عن عبادة بن الصامت ج/١ رقم الحديث ١٣٢/٤٢١ وصححه، ووافقه الذهبي، وحسن المنذري إسناده في الترغيب ٦٦/١ برواية أحمد، وكذلك الهيثمي في المجمع١٣٢/١.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣٨/٨ برقم: ٧٨١٩، وعزاه المنذري ٦٧/١ إلى المعجم الكبير للطبراني وقال: حسّن الترمذي إسناده لغير هذا المتن، ولكن قال الهيثمي في المجمع ١٣٢/١: فيه عبيد الله بن

وروي عن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم من الدنيا فيتحاسدوا، وأن يفتح لهم الكتاب يأخذه المؤمن يبتغي تأويله، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، وأن يروا ذا علم، فيضيعوه ولا يبالوا عليه" (١).

فإذا كان الأمر أن الراسخين في العلم أيضاً لا يجترئون بالتجاوز عن تصديقها، فكيف يليق بالعامة أن لا يرضوا لقبولها إلا بالمراء والإنكار؟.

أما الأمر الثالث فهو: أن يضاع حق العلماء، وأن لا يهتم بشأنهم.

إن النعوت التي يستعملها الناس لعلمائهم، وللعلوم الدينية اليوم بوجه عام، إنما جاء ذكر كثير منها في كتاب "الفتاوى الهندية" بأنها كلمات كفر، ولكن الناس لجهالتهم غافلون عن هذا الحكم، فيجب لذلك أن يحتاط الناس احتياطاً شديداً في استعمال مثل هذه النعوت، ولو افترضنا أن جميع هؤلاء الذين نسميهم بالعلماء هم علماء السوء، فلن ترتفع مسئوليتكم إذن كذلك بمجرد أن تقولوا: إنهم علماء السوء، بل يكون حينئذ واجباً على جميع المسلمين في العالم أن ينشئوا جماعة لعلماء الحق، وأن يتعلم جميع الناس العلم الديني، لأن وجود العلماء فرض كفاية، و إذا وجدت جماعة لهذا الغرض، سقط هذا الواجب عن الجميع، و إذا لم يفعلوا ذلك فيقع الذنب على الجميع.

و يورد الناس شبهة أخرى بقولهم: إن اختلاف العلماء هو الذي جاء بمصيبات كثيرة على العامة، فهذه الشبهة ربما تكون صحيحة في بعض جوانبها، ولكن الذي لا شك فيه أن اختلاف العلماء هذا ليس ناشئاً منذ اليوم ولا منذ خمسين سنة، أو منذ قرن واحد، بل إنه ناشئ منذ قرون الخير الأولى، منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

زحر، عن علي بن يزيد، وكلاهما ضعيف.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٩٣/٣ و عزاه المنذري في الترغيب والترهيب٦٧/١ إلى المعجم الكبير للطبراني، وإسناده ضعيف كما يدل عليه صنيع المنذري حيث صدره بقوله: "روي عن" وأهمل الكلام عليه، وقال الهيثمي في المجمع١٣٣/١: رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، عن أبيه، ولم يسمع من أبيه انتهى.

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابيه أبا هريرة رضى الله عنه مرة مع نعليه الشريفتين (وقال: اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة، فقال: فضرب عمر بيده بين ثديي ضربة، فخررت لأستي فقال: ارجع أبا هريرة) (١).

ضرب عمر رضي الله عنه على صدره، حتى سقط أبو هريرة رضي الله عنه على الأرض، ولم يحدث على هذا الحادث أي احتجاج، ولم تلصق إعلانات الاستنكار على الجدران، كما يحدث في هذه الأيام ضد عمل عمر رضي الله عنه.

لقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في آلاف من المسائل والأحكام، أما أئمة الفقه الأربعة، فقلما توجد مسألة فرعية إلا وفيها اختلاف بينهم، وقد وجدت أنا شخصياً مأتي مسألة وقع فيها الاختلاف بين هؤلاء الأئمة الأربعة في ركعتين اثنتين، من تكبيرة التحريم إلى سلام الخروج من الصلاة، أما عند غيري فقد يوجد أكثر من هذا، ولكني لا أظن أنك تجد من المسائل غير ثلاثة أو اثنتين كرفع اليدين أو الجهر بقول آمين، كانت شهرتها كبيرة، أو ظهرت إعلانات، أو عقدت حفلات ومناظرات في سبيلها، وذلك لأن جمهور المسلمين غير مطلع على هذه المسائل، أما في العلماء فالاختلاف رحمة، ومن المعروف أن العالم يفتي على دليل شرعي، فإن كان دليله غير صائب في نظر عالم آخر، فلابد من أن يلجأ هذا العالم الآخر إلى الاختلاف عنه، وإن لم يقم بالاختلاف في شأنه، فإنما يكون مُداهنا، وعاصياً لأمر الله.

الحقيقة أن الناس يلجؤون إلى أعذار باردة سخيفة ليتهربوا بذلك من أداء العمل، ألا يرون أن الاختلاف يوجد بين الأطباء كثيراً وبين المحامين كذلك؟ فهل ترك الناس الرجوع إلى هؤلاء في طلب العلاج، وإلى أولئك للمرافعات القضائية؟ ثم لماذا يحتجون باختلاف العلماء لتركهم العمل الديني! مع أن الذي يؤدي العمل بصدق و إخلاص، فالمرجو في شأنه أنه يعتمد في ذلك على رأي العالم الذي يطمئن إلى علمه، ويجده متبعاً للسنة السنية، وعليه أن يحترز من

(١) أخرجه مسلم في الإيمان برقم: ٣١عن أبي هريرة وهو من أفراده.

الطعن، والتعريض في حق الآخرين، فإن الذي لا يدرك الدلائل، ولا يفهمها، ولا يستطيع ترجيح بعضها على بعض، فليس له من الحق أن يتدخل في ذلك.

فلقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن نقل العلم إلى أولئك الذين ليسوا أهلا له لن يكون إلا إضاعته (١).

ولكن الأمر إذا كان معكوساً بحيث لا يرى أي واحد مانعاً من أن يطلق لسانه على قول الله جل وعلا وقول رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فماذا نقول إذن في حق العلماء؟ فإنهم في هذا الحال عرضة لكل سوء﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٢٩].

(١) أخرج الدارمي في المقدمة باب مذاكرة العلم برقم: ٦٢٤ عن الأعمش قال: قال رسول الله صلى الله عليبه وسلم: آفة العلم: النسيان، وإضاعته: أن تحدث به غير أهل. وسنده معضل.

الفصل السابع:

سمات أهل الحق وأهمية صحبتهم

وهذا الفصل تكملة للفصل السابق، أقوم فيه بالرجاء من قراء هذه الرسالة أن يعرفوا: أن الاتصال بالأخيار من عباد الله، وكثرة الحضور في مجالسهم، يزيد قوة في الأمور الدينية، ويسوق الخير، والبركات الدينية إلى صاحبها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أدلك على ملاك هذا الأمر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة؟ عليك بمجالس أهل الذكر" الحديث (١).

ولابد من تعريف لخيار عباد الله، إن صفتهم وعلامتهم: أنهم يتبعون السنة المحمدية السنية، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم أسوة لتهتدي به أمته، فقد قال في كلامه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران الآية: ٣١].

فكل من يكون صادقاً في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، فإنما يكون من خيرة عباد الله سبحانه وتعالى، وكل من يكون بعيداً عن هذا الاتباع يكون بعيداً عن القربة عند الله، وقد كتب المفسرون أن الذي يزعم لنفسه محبة الله، وهو مخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو كاذب، لأن قانون المحبة يقتضي لمن يحب أحداً أن يكون محباً لداره، وفناء بيته، وجدرانه، وبستانه، حتى لكلبه وحماره.

أمرّ على الديار ديار ليلى ... أقبّل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

ويقول:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... وهذا لعمري في الفعال بديع

لوكان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

(١) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٨٦٠٨ عن أبي رزين وفيه عثمان بن عطاء وهو ضعيف.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن أبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى" (١).

وقد ورد مرفوعاً: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به" (٢)

ومما يبعث على الحيرة والعجب: أن الذين يزعمون لأنفسهم الإخلاص، والنصيحة للإسلام، والمسلمين، هم بعيدون كل البعد عن الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وقد يبلغ من صفاقتهم أنك إذا قلت لهم: إن العمل الفلاني لا يتفق مع أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يوافق سُنته، فكأنك طعنتهم برمح.

كل من يسير على طريق غير طريق الرسول عليه السلام، لن يكون وصوله إلى المقصود، على كلٍ، فإن الواجب على كل من يعلم عن أحد أنه من خير عباد الله سبحانه وتعالى، أن ينشئ معه الاتصال، ويحضر في مجالسه بكثرة، وأن ينتفع بعلومه، فذلك طريق للرقي الديني، وهو من أوامر النبي صلى الله عليه وسلم كذلك.

و ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: يا رسول الله! وما رياض الجنة؟ قال: مجالس العلم" (٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام برقم: ٧٢٨٠

(٢) أخرجه البغوي في شرح السنة برقم: ١٠٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وصحّحه النووي في الأربعين برواية الشيخ نصر بن إبراهيم في كتابه "الحجّة على تارك المحجّة"، ولكن تعقبه ابن رجب في شرح الأربعين "جامع العلوم والحكم" وقال: تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه... ثم ذكرها. لكن الإمام البخاري قد ذكره في معرض الاستدلال في جزء رفع اليدين فقال: ولا يعتل بعلل لا تصح ليقوي هواه وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به".

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير برقم: ١١١٥٨ وفيه راو لم يسم، وله شاهد عن أنس رضي الله عنه عند الترمذي برقم: ٣٥١٠ في الدعوات باب حديث في أسماء الله الحسنى، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس انتهى، وفيه محمد بن ثابت البناني وهو ضعيف، ولكن للحديث شواهد أخرى يتحسن بها الحديث إن شاء الله، منها: حديث أبي هريرة عند الترمذي برقم: ٣٥٠٩ في الدعوات، وفيه "المساجد" بدل "مجالس الذكر" ومنها: حديث جابر عند الحاكم ج/١ ص: ٦٧١– ٦٧٢، رقم الحديث ١٨٢٠، وفيه عمر مولى غفرة وهو ضعيف، لكن حسّنه المنذري في الترغيب

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لقمان قال لابنه: يا بني! عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله ليحيي القلب الميت بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر" (١).

عن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله !أي جلسائنا خير؟ قال: "من ذكّركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله". (٢)

وقال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩]

وكتب المفسرون أن المراد من الصادقين هنا: هم أصحاب تربية النفس والتزكية، فإن الذي يصحبهم ينال من تأثير تربيتهم، وقوة الولاية التي هم عليها، فيتمكن بها من إحراز المراتب الدينية العالية.

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده" (٣).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عزوجل، لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات" (٤)

٢٣٤/٢ نظراً إلى شواهده

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣٥/٨ برقم: ٧٨١٠، قال المنذري في الترغيب والترهيب: هو من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم، وقد حسّنها الترمذي لغير هذا المتن، ولعله موقوف والله أعلم، انتهى، وقال الهيثمي في المجمع١/١٣٠: فيه عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد، وكلاهما ضعيف لا يحتج به انتهى..

(٢) أخرجه أبو يعلى برقم: ٢٤٤٠، وعزاه المنذري لأبي يعلى وقال: رواته رواة الصحيح إلا مبارك بن حسان انتهى، قلت: ومبارك بن حسان مختلف فيه، وثقه ابن معين، وضعّفه النسائي، وأبو داود، وذكره البخاري فلم يذكر فيه جرحاً (انظر الميزان للذهبي) وله شاهد عند أحمد ٤٥٩/٦ عن أسماء بنت يزيد مرفوعاً قال: ألا أخبركم بخياركم قالوا: بلي يا رسول الله قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى الحديث وفي إسناده شهر بن حوشب.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء رقم الحديث: ٢٧٠٠ وابن ماجه في الأدب برقم: ٣٧٩١.

(٤) قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢٣٣/٢: رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي انتهى وهو في مسند أحمد برقم: ١٢٤٥٣ وقال محققوه: صحيح لغيره، وهذا إسناده حسن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله عز وجل فيه، ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم، إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للثواب" (١).

ومن دعوات سيدنا داود عليه السلام: "يا رب إن رأيتني أخرج من مجلس الذاكرين إلى مجلس الغافلين فاكسر رجلي" (٢).

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: "إن المجالس التي يذكر الله فيها إنما تتلألأ لأهل السماء كما تتلألأ النجوم لأهل الأرض" (٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أنه مر بسوق المدينة، فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم، وأنتم ههنا! ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعاً، و وقف أبو هريرة لهم، حتى رجعوا، فقال لهم: مالكم؟ فقالوا: يا أباهريرة قد أتينا المسجد، فدخلنا فيه، فلم نر فيه شيئاً يقسم! فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى! رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم" (٤).

لقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله روايات كثيرة من هذا القبيل، وأعظم من ذلك كله هو قول الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ٩٩٦٥ وابن حبان برقم: ٥٩١، وغيرهم بإسناد صحيح كما قال المنذري ٢٣٥/٢.

(٢) إحياء علوم الدين ٢٩٦/١، الباب الأول في فضيلة الذكر.

(٣) ذكره الغزالي في الإحياء٢٩٦/١، ولفظه: إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر الله فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ١٤٢٩ من ترقيم محمد حسن إسماعيل الشافعي، وإسناده حسن كما قال المنذري ٦١/١ والهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٩/١.

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف الآية :٢٨].

وقد ورد في روايات عديدة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشكر الله جل جلاله ويقول: إنه خلق في أمتي رجالا أمرت بصبر نفسي معهم (١).

وورد في هذه الآية الكريمة ذكر جماعة أخرى تكون قلوبها غافلة عن ذكر الله، وهم يتبعون أهواءهم وكان أمرهم فرطا، فنهى الله نبيه عن اتباعهم.

فليفكر هؤلاء الناس الذين يتخذون الكفار، والفساق قدوة، وأئمة لهم، في كل شأن من الشؤون، سواء كان من أمور الدنيا أو أمور الدين، ويتفانون حباً وفداء للمشركين، والنصارى، فليفكر هؤلاء ماهو الطريق الذي أصبحوا اليوم يسلكونه؟.

❀❀❀

(١) أخرج أبو يعلى في مسنده برقم:١١٥٢ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت في عصابة من ضعفاء المهاجرين قال: وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري، قال: وقارئ لنا يقرأ علينا، فنحن نستمع إلى كتاب الله، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام علينا، فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه: ما كنتم تصنعون؟ قال: فقلنا: يا رسول الله! كان قارئ يقرأ، وكنا نستمع إلى كتاب الله قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم.

رسالة: أسباب سعادة المسلمين وشقائهم

ألفها:

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيي الكاندهلوي رحمه الله تعالى

(١٣١٥-١٤٠٢هـ)

تعريب:

فضيلة الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي حفظه الله تعالى

مدير جامعة ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

ورئيس التحرير لمجلة البعث الإسلامي

تقديم:

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى

(١٣٣٢-١٤٢٠هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد وآله وصحبه الطاهرين الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد! فقد كثر التساؤل عن واقع المسلمين الحاضر وأسبابه، وحارت العقول في فهمه، وتعليله، وكثر الضجيج والعويل مما يَدهم المسلمين من مصائب، وحوادث، ونكبات بين حين وآخر، والشقاء الذي قد لزمهم، ولجّ بهم، حتى أصبح بعض الناس يعتقدون أن بين المسلمين وبين هذه الكوارث والملمات، وبينهم وبين الشقاء والبلاء، نسباً قريباً، ورحماً ماسّة، وتمثّل بعضهم ببيت للشاعر الإيراني المشهور بأنوري، كأنه يُنشد بلسان حال المسلمين "إن البلاء إذا نزل من السماء بدأ بالسؤال عن بيت الأنوري ومقره لينزل عليه"

واعتقد بعض الناس أن الكوارث والنكبات إنما هي خبط عشواء، ورمية في ظلام وعماء، وتمثلوا ببيت زهير بن أبي سلمى:

رأيت المنايا خبط عشواء من تُصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ورأى بعض الناس في ذلك تناقضاً مع ما استفاض، وتواتر، ونطق به القرآن، ووردت به السنة، من إيثار الله لهذه الأمة على الأمم، واختيارها لحمل كتابه، وإعزاز دينه، والانتساب إلى نبيّه، فهي الأمة الأخيرة، وهي الأمة المرحومة، وهي الأمة المختارة، وما وعد الله لها بالنصر، والعزة، والغلبة على الأعداء، وظهور الدين على الأديان كلها، هذا، وقد أصبح المسلمون - خصوصاً في هذا العصر - درية المصائب، وغرض السهام، وهدف الآلام، و"أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام" (١).

وما نشأ هذا التساؤل المستمر، وهذه الحيرة المدهشة إلا عن جهل لقانون

(١) كلمة مقتبسة من خطبة طارق بن زياد في الأندلس.

المجازاة الدقيق الحكيم، الذي اشتمل عليه القرآن، وزخرت به دواوين السنة وكُتب الحديث، والغفلة عن الصلة الخفية، المتينة، الدائمة بين الأسباب والمسببات، والنتائج والمقدمات، وبين الأعمال، والأخلاق والآثار، والنتائج في حياة الأفراد، وفي حياة الأمم، وذلك عِلم نطقت به الكُتب السماوية، واختص به الكتاب الأخير، الذي أكرم الله به محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته، حتى أصبح علماً مدوناً، واضح المعالم، بيّن الملامح، ليس فيه التباس ولا غموض، حتى استحق بذلك أن يسمّى الطب القرآني، أو الطب النبوي، يوازي طب الأجسام الذي توارثته الأجيال، وتناقلته الأمم، وتعاملت به الأطباء، والحكماء، فلكل عقيدة تأثير، ولكل عمل نتيجة، ولكل خُلُق ردّ فعل، علمه من علم، وجهله من جهل، سعدت بعلمه أقوام، وشقيت بجهله أقوام، ونجت بالأخذ به أمم في سالف الدهر، وهلكت بتركه والثورة عليه أمم، حكى القرآن قصتها في وضوح وتفصيل.

وهذه الخواص والتأثيرات التي أودعها الله العقائد، والأعمال والأخلاق، دائمة بدوامها، خالدة بخلودها، كدوام الخواص، والتأثيرات في الأدوية، والأغذية، والحشائش، والعقاقير، والنباتات، والمعادن، بل أشد وأقوى، إذ هي شريعة الله وسنته في وقت واحد: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [سورة الفاطر: ٤٣].

فمن عرف هذا القانون الإلهي الخالد، ومن اطلع على ما ورد في الأحاديث الصحيحة من خواص الأعمال، والأخلاق، وما يكافئ الله به على صالحاتها وطيباتها من جزاء، وجائزة، ورحمة، وبركة، وسلامة، وعافية، وما يعاقب الله به على الأعمال والأخلاق الفاسدة، من عقوبات متجانسة وغير متجانسة، وما خصّ بعض أنواع المعاصي، والذنوب، والآثام، ببعض العقوبات، والبلايا، والأمراض، وما بين هذه الأعمال والأخلاق وبين هذه العقوبات والآفات من مناسبات دقيقة، خضع لهذه الإرادة الإلهية القاهرة، والحكمة الربانية الباهرة، ووقف أمامها خاشعاً، ولم يأخذه العجب فيما يشاهده في أمته وفي عصره، وآمن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا

وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الفصلت: ٤٦]، وأيقن أن ما يشاهده قليل من كثير، وأن الرحمة الإلهية واللطف الرباني لا يزال مع هذه الأمة، وأن ذلك ثمرة دعوات النبي صلى الله عليه وسلم التي دعا لهذه الأمة أن لا يعمّها الله بعذاب، ولا يستأصل شأفتها، ولأنها تحمل الأمانة الأخيرة، والرسالة الأخيرة، ولأنها أمل الإنسانية الأخير.

إن هذا السؤال الذي كان، ولا يزال يساور النفوس الكثيرة من المسلمين، ويجول في خواطرهم، وقد تفيض به ألسنة الخطباء، وأقلام الكتاب، ويستحق أن يستمع إليه، ويتلقى في رفق، وحكمة، وفي وعي، وفقه، ولكن في شجاعة، وصرامة، كان في حاجة إلى تحليل علمي، واستعراض أمين لنصوص الكتاب والسنّة، حتى يكون الجواب مقنعاً شافياً لكل من يؤمن بالكتاب والسنة، ويخضع بأحكامهما، ولا يقدر على ذلك إلا من اتسع نظره في دواوين السنة، وطال اشتغاله بها دراسة وتدريساً، وشرحاً وإيضاحاً، وتأملاً وتعمقاً، وتضلع من علوم الكتاب والسنة، وتذوقها تذوقاً، فأصبحت له علماً، ونظراً، وعملاً، وعقيدة.

وقد قيض الله لشيخنا المحدث الكبير العلامة محمد زكريا الكاندهلوي صاحب "أوجز المسالك" و"لامع الدراري" من يوجه هذا السؤال، ويطلب منه الجواب العلمي الشافي، في ضمن أسئلة وجهها إليه، تدور حول واقع المسلمين، واختلافهم في سياسة البلاد، وتنازعهم في بعض الشخصيات، فبدأ يكتب في هذا الموضوع، ويجيب عن هذه الأسئلة واحداً بعد واحد، حتى أصبح ما كتبه كتاباً مفرداً سمّاه: "الاعتدال في مراتب الرجال" نشره لما اشتمل من فوائد كثيرة، ولما جاء فيه من مادة غزيزة تُهمّ المسلمين جميعاً، وقد نال هذا الكتاب قبولاً عظيماً كسائر كتبه، وأعيد طبعه مراراً في عدد ضخم، ونال حظوة كبيرة عند رائدي الحق والصواب ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]

وإن من أهم فصول هذا الكتاب ما يدور حول هذا السؤال والجواب عنه، وهو الفكر الذي قد أصبح الشغل الشاغل في الأوساط الدينية والشعبية،

ولعلّ ما جاء في هذا الكتاب في هذا الموضوع هو أوسع بحث، وقد جاء فيه من الاستشهاد بالآيات والأحاديث ما لم نجده في مقال آخر، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾ [سورة يوسف: ٨١].

وجزى الله زميلنا العزيز الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي أستاذ دار العلوم لندوة العلماء، ومنشئ مجلة "البعث الإسلامي" إذ نقله هو إلى العربية بقلمه البليغ السيال، فأحسن إلى المسلمين جميعاً، وأضاف إلى المكتبة الإسلامية كتاباً له قيمته الدينية التربوية، ينتفع به المسلمون عامّة، وتنتفع به حلقات التعليم، وجماعات التبليغ بصفة خاصة.

تقبّل الله تعالى سعي المؤلف، وجزاه أحسن الجزاء.

أبو الحسن علي الحسني الندوي
ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

مما لا شك فيه أن المسلمين محاطون بأنواع شتى من المشكلات الفردية والاجتماعية، ولكن ماذا ينبغي لهم أن يفعلوا نحو التغلب على هذه المشكلات؟

إن هذا السؤال باعث على الاستغراب إذا كان من قبل رجل مسلم عادي، فضلاً عن أن ينشأ في نفس عالم من علماء الإسلام، إذ أنه يعرف جيّداً أن الإسلام دين أخبر الله بإكماله فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣]، فكيف يسوغ له أن يقع فريسة اليأس، ويفكر فيما إذا واجه المسلمون أنواعاً من المشكلات، ماذا يعملون، وكيف يعيشون؟

إن الكتاب والسنة لم يدّخرا وسعاً في بيان منهج الحياة، وتعاليم الدين ... ووضع نظام شامل لحياة، يحتوي على كل صغير وكبير، وما يضر وما ينفع، وك... لك في أسلوب واضح صريح، ثم لم يكتف الإسلام بوضع النظام، و... نهج فحسب، بل إن الرسول ﷺ أقام مجتمعاً مثالياً تمثلت فيه تعاليم الإسلام في شكل عملي، وطبّقها الناس فى حياتهم، ولذلك فإن سعادة الدين تتوقف على اتباع الرسول ﷺ.

أما إذا انقلبت الأوضاع، وبدأنا نعتقد أن اتباع الرسول عليه السلام رجعية، والعمل بسنته تزمت، فكيف يرجى حسن العاقبة في الآخرة؟ ومصيرنا الدنيا ...اهر معلوم! إن حياة الرسول ﷺ بجميع ما فيها من أعمال وأقوال دكتاب مفتوح أمامنا، بفضل الصحابة والمحدثين رضي الله عنهم، فإذا قابلنا بحياته حياة الأمة الإسلامية، نرى كيف أن السنن تفقد مكانتها من القلوب، وكيف ين... لناس على تركها ونبذها علناً وجهاراً، بل وكيف تُحَارب السنن اليوم، ويعتبر من يدعو إليها سفيهاً أو أحمق، فأي ظلم أكبر من هذا؟ وأي مبرر للمسلمين أن يشكوا من المشكلات والشقاء؟ ويبكوا على البلايا والمحن؟ وقد قال الله تعالى بكل صراحة وإعلان: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [سورة الشورى: ٣٠ـ٣١]، وفي سورة الروم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ٤١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة، وقد تحدّث علي رضي الله عنه عن الآية الأولى فقال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عزوجل، وحدثنا به رسول الله ﷺ قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ وسأفسرها لك يا علي! ما أصابكم من مرض، أو عقوبة، أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم (١).

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده! ما من خدش عود، ولا اختلاج عرق، ولا عثر قدم إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر"(٢).

وعن الضحّاك رضي الله عنه قال: "ما نعلم أحداً حفظ القرآن، ثم نسيه إلا بذنب، ثم قرأ الضحّاك: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ ثم يقول الضحّاك: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن" . (٣)

وقد تكون العلة في الحوادث والمصائب غير ما ذكرت، ولا يبتلى بها العامة

---

(١) أخرجه أحمد برقم: ٦٤٩ وأبو يعلى برقم: ٤٥٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد٧/١٠٦: في إسناده أزهر بن راشد، وهو ضعيف، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد: والخضر بن القواس مجهول، وكذا أبو سخيلة، وتمام هذا الحديث:

والله تعالى أكرم من أن يثني عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فالله تعالى أحلم من أن يعود بعد عفوه. وهذا الجزء ثابت عن علي رضي الله عنه مرفوعاً بإسناد حسن عند ابن ماجه برقم: ٢٦٠٤ والترمذي برقم: ٢٦٢٦.

وقد أخرج الحاكم عن الحسن البصري عن عمران بن حصين رضي الله عنه ج/٢ ص: ٤٨٤ رقم الحديث ٣٦٦٥/٨٠٢ أنه دخل عليه بعض أصحابه، وقد ابتلي في جسده، فقال له بعضهم: إنا لنبتئس لك لما نزل بك، قال: فلا تبتئس لما ترى، فإنما نزل بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، قال: ثم تلا عمران هذه الآية: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وسنده كما ذكر ابن كثير في تفسيره: حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن البصري.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم وسنده على ما ذكر ابن كثير: حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن عبد العزيز بن أبي رواد عن الضحاك.

وحدهم، بل تصيب الأنبياء والأبرياء أيضاً، وإنني بهذه المناسبة لا أتعرض لشرح هذه الآيات، والأحاديث، حتى أحتاج إلى ذكر الاحتمالات، والإشكالات الواردة عليها، وإنما أريد الإشارة إلى تلك القوانين والأسباب التي تشير إليها الأحاديث الآنفة الذكر، ومن قوة هذه الأسباب قد يصيب ضررها بعض من لا علاقة لهم بهذه المعاصي، وقد جاء في حديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "يكون في آخر هذه الأمة خسف، ومسخ، وقذف" قالت: قلت: يا رسول اله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا ظهر الخبث" (١).

وإذا كثر الخبث لا يحول دون عذاب الله شيء، بالرغم من وجود الصالحين، والعلماء.

وقد وردت أحاديث بعناوين مختلفة في معنى التواصي بالخير، والمنع عن الشر، وإلا فإن الله سبحانه يسلط عذاباً من عنده، فعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده، ثم لتدعنه ولا يُستجاب لكم" (٢)

وعن جرير بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه، ولا يغيرون، إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا" (٣).

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "أوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا، فقال: يا رب! إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين، قال: فقال: اقلبها وعليه، فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط" (٤).

---

(١) رواه الترمذي في الفتن باب: ما جاء في الخسف برقم: ٢١٨٥ وقال: هذا حديث غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعبد الله بن عمر تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه انتهى.

قلت: قد أخرج البخاري في الفتن برقم: ٧٠٥٩ ومسلم أيضاً في الفتن برقم: ٢٨٨٠ عن زينب بنت جحش قالت: قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث.

(٢) رواه الترمذي في الفتن باب: ما جاء في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر برقم: ٢١٦٩، وقال: هذا حديث حسن.

(٣) أبو داود في الملاحم باب الأمر والنهي برقم: ٤٣٣٩ وابن ماجه في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم: ٤٠٠٩ ولفظ ابن ماجه: ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، هم أعز وأمنع، لا يغيرون إلا عمهم الله بعقاب. وإسناده حسن.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٧٦٦١ وقال: لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا عمار بن سيف،

وهناك مئات من الأحاديث تحتوي على معنى الوعيد، إذا لم يتألم المرء بالمنكرات، يعني: إذا لم يقدر على تغييرها فلا بد من أن يستنكرها، ويتألم منها.

ولننظر الآن إلى الحالة التي نعيش فيها، ونفكر في العقوبات، والبلايا التي نستحقها، بالنسبة إلى المعاصي والذنوب التي تصدر منا، وبالنسبة إلى تألمنا وقلقنا بالمنكرات التي نشاهدها، وكيف يرجى - وحالنا هذه - أن تُستجاب دعواتنا، وتنحل مشكلاتنا، وتنقرض المحن التي نعاني منها؟ وإذا كان الله لا يأخذنا بعذاب يفاجئنا، ونقمة تقضي علينا جميعاً، فذلك بفضل رحمة الله علينا، ودعاء نبيه ﷺ.

لقد أصبحنا نحن المسلمين نعتز اليوم بكل معصية، ونشق الطريق لكل منكر، ونرى كل من يدعو إلى الكفر بعين ملؤها غبطة، فإن اعترض عليه أحد، أو أنكر عليه يعتبر رجعياً، وممن يستحقون الطرد والحبس، لأنه يعوق المجتمع عن التقدم، ويحول دون طريقه إلى النهضة، والمدنية، سبحان الله! ما أعظم الفرق بين أمسنا ويومنا!

هذا، ونشير الآن إلى بعض الفروع، مما له صلة ماسة بالموضوع، فالجميع يعلم أن الصلاة في الإسلام تحتل المحل الأول بعد الإيمان، وقد وردت الأحاديث الكثيرة في بيان أهمية الصلاة، وأن تركها يؤدي إلى الكفر، وقيل: إن الصلاة فارق بين الكفر والإسلام، أما الأضرار والخسائر التي تلحق المرء بترك الصلاة فقد ذكرتها بإيجاز في رسالتي: "فضائل الصلاة"، ولكنني أتساءل ما هو عدد أولئك المسلمين الذين يهتمون اليوم بهذه الفريضة؟.

وأدهى من ذلك وأمرّ أنه لا يوجد هناك من يحاسب تاركي الصلاة، وينبههم على ذلك، وينذرهم بسوء مصيرهم إذا لم يصلوا، وإذا أمكنت محاسبة الفقراء من المسلمين، فلا تمكن محاسبة الطبقة العليا أو الأغنياء، أو الذين يملكون

تفرد به عبيد بن إسحاق العطار، وقال الهيثمي في المجمع ٢٧٣/٧ :عبيد بن إسحاق وعمار بن سيف كلاهما ضعيف، ووثق عمار بن سيف: ابن المبارك وجماعة، ورضي أبو حاتم ابن إسحاق انتهى.

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: ٧١٨٨ من قول مالك بن دينار وقال: هذا هو المحفوظ من قول مالك بن دينار، وقد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً، ثم ذكر الحديث المرفوع المذكور من طريق عبيد بن إسحاق العطار عن عمار بن سيف، وعزاه العراقي في المغني ٣١٠/٢ إلى الأوسط، وشعب الإيمان، ونقل قول البيهقي.

نوعاً من الجاه والشرف، إنه لا يتجرأ أحد أن يستنكر منهم هذا الذنب، ويتكلم كلمة خوفاً من أن تسوءهم، وقد بلغ اليوم من جراءة بعض السفهاء أن يجاهر بترك الصلاة، ويعلن أن الصلاة ليست عبادة، ومن سوء حظنا أنه يُثنى عليه وأمثاله، ويعتبره بعض الناس صديقاً للمسلمين، وعارفاً بمتطلبات العصر، وقضايا الحياة المعاصرة! فلا يعارضه عندهم إلا جاهل، أو من لا يصلح إلا للإمامة في الصلاة، والذي يجهل مصالح الساعة، ومطالب الوقت، وحاجة المسلمين.

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "قرّة عيني في الصلاة"(١) ولكن الذي يدعي أنه من أتباع الرسول ﷺ يعتبر الصلاة شيئاً زائداً، وهو الذي يتناوله الناس بالإجلال، والإكرام، ويعترفون بدقّة نظره، وسداد تفكيره.

كيف يشتكي المسلمون من الحوادث والنوازل التي تفاجئهم فينة لأخرى؟ وقد تغيرت أحوالهم وحياتهم رأساً على عقب، بل يجب أن يفكروا فيما إذا نزلت عليهم مصيبة أو فاجعة، أنها لم تنزل بهم إلا لأنهم سببوا لها، وأنهم كانوا يستحقون ذلك بما كسبت أيديهم، وأن يقولوا: لولا رحمة الله وفضله علينا، لم يبق لنا ذكر ولا أثر، وكنا قد أصبحنا في ذمة التاريخ.

هذا عن الصلاة، أما عن صلتنا بأركان الإسلام الأخرى من الصيام، والزكاة، والحج، فليست إلا ضعيفة، وليس عدد العاملين بها إلا قليلاً جداً، ولكن ولوعنا بالمحرّمات والمحظورات في تزايد مستمر، ولنأخذ الخمر مثلاً، فإنها نالت لدى كثير من المسلمين انتشاراً ورواجاً، حتى إنهم يتعاطونها بجراءة بالغة من غير حياء ولا خجل، وقد نبه القرآن على تحريمها في آيات كثيرة، وأمر بالابتعاد عنها، بكل صراحة، وقد جاء في الحديث:

حدّثنا أبو العباس أنبأنا محمد بن عبد الله أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك ابن حسين الزيادي(٢) أن مالك بن سعد التجيبي حدّثه أنه سمع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: "إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه الصلاة

(١) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء برقم: ٣٩٤٠ بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حبب إلي النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة.

(٢) هذا تحرف في المطبوعة للمستدرك والصحيح: مالك بن خير الزبادي نبّه عليه محققو المسند.

والسلام، فقال: يا محمد! إن الله لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وشاربها، وبايعها، ومبتاعها، وساقيها، ومسقاها"(هذا حديث حسن صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (١).

فلننظر ما أكثر من يبتلى من الناس بلعنة الله ورسوله من أجل حرام هي الخمر! وكيف ستكون عاقبة هؤلاء الذين تحيط بهم اللعنة من الله الرؤوف بعباده، ومن الرسول العطوف على أمته؟ ولا تبتعد اللعنة عن الذين يسكتون على هذا المنكر، رغم قدرتهم على تغييره، ولننظر إلى ما بلغت إليه حالتنا حول إنكار المنكر وتغييره، إذ أننا لا نلبث أن نرمي الذين يريدون هذا التغيير بالتزمت، والرجعية، وقد قال النبي ﷺ: "اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر"(٢) ولكننا حينما نستفتح أبواب الشر بأيدينا كيف نشكو انتشار السيئات؟ وما دمنا نعلم أن فتح هذا الباب يرادف معنى فشوّ المنكرات، وعموم البلايا والشدائد، لماذا نضج ونشكو عندما تأخذنا المحن، وتفاجئنا النوازل؟ إنها لسفاهة، وجهل، يجب أن نتجنبها.

ولنأخذ الربا مثلاً، ونتأمل فيما جاء حوله من إنذار ومنع في الكتاب والسنة، فقد آذن الله سبحانه بحرب ضد الذين يتعاملون بالربا، ثم لا ينتهون، يقول: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩] وذلك لأن الناس في الجاهلية كانوا يتعاملون بالربا، فلما جاء الإسلام نهاهم عن ذلك، حتى عن تنفيذ ما سبق من التعامل الربوي، فضلاً عن أخذ الربا من جديد.

وورد في الحديث ما ينذر بخطر الربا، وما يترتب عليه من عقاب، وسخط

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج/٤ ص:١٦١ رقم الحديث ٣٠/٧٢٢٩ وأخرجه أحمد برقم:٢٨٩٧ وابن حبان برقم:٥٣٥٦ وإسناده حسن والحديث صحيح لغيره كما قال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد.

وله شاهد عن ابن عمر مرفوعاً بسند صحيح عند أبي داود برقم:٣٦٧ كتاب الأشربة باب العنب يعصر للخمر ولفظه: لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وأخرجه ابن ماجه أيضا برقم:٣٣٨٠

وله شاهد آخر عن أنس رضي الله عنه بإسناد حسن عند الترمذي برقم: ١٢٩٥ كتاب البيوع باب النهي أن يتخذ الخمر خلا وابن ماجه برقم:٣٣٨١، كتاب الأشربة باب: لعنت الخمر على عشرة أوجه ولفظه: لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس مرفوعاً ج/٤ص:١٦٢ برقم:٣٢/٧٢٣١ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

من الله، وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الربا سبعون جزءاً، أيسرها أن ينكح الرجل أمه". ولا شك أن النيل من عرض المسلم أدهى وأمرّ من الربا (١).

وفي حديث آخر: "لعن الرسول ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه"، وقال: "هم سواء" (٢).

أما إذا نقدنا تعامل الناس اليوم على مقياس الشريعة، فلا نجد ما يخلو من تعامل ربوي إلا قليلاً جداً، وأشد من ذلك أننا لا نتلكأ في استباحة الربا جهراً، ونصدر حول ذلك كتباً ومؤلفات، ويضيق الخناق على من عارض في هذه القضية، وهو يواجه ألواناً من التهم والافتراءات، ثم هو يحارب محاربة شديدة، ويُقاطع في بعض الأحيان.

وقس على ذلك الأحكام الشرعية الأخرى، التي لا تنال قيمة في أعيننا ولا أهمية، ولا نقيم لها وزناً ما، كما أن المنكرات والسيآت من الأعمال التي تحذّر منها الشريعة، وتنهى عن اقترافها، تجد كل تقدير وتحبيذ، ولا نرى أي عار في ممارستها، والتجاهر بها، بكل حرية، ووقاحة، من غير أن يوجد هناك من يستنكرها، أو ينهى عنها، فإذا تشجع أحد على الاستنكار والحيلولة، لا يعتبر محمود العاقبة.

---

(١) أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة مرفوعاً برقم:٥١٢٤ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الربا سبعون حوبا، أدناها مثل ما يقع الرجل على أمه، وأربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم. وأخرجه ابن ماجه في التجارات برقم:٢٢٧٤ مختصراً، وإسنادهما ضعيف من أجل أبي معشر.

وأخرج الطبراني في الأوسط برقم:٧١٥١ عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وأربى الربى استطالة الرجل في عرض أخيه، وإسناده ضعيف من أجل عمر بن راشد، قال الهيثمي في المجمع ٤/١٢٠: وثقه العقيلي، وضعفه جمهور الأئمة.

وأخرجه البيهقي في الشعب ٣١٥١ عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم، وأخرجه ابن ماجه مختصراً، وإسناد هذا الحديث صحيح، وقد أخرجه الحاكم بطوله وصححه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي ج/٢ ص:٤٣ رقم: ١٣٠/٢٢٥٩.

(٢) أخرجه مسلم برقم:١٥٩٨ عن جابر وفي الباب عن أبي جحيفة عند البخاري مرفوعاً ٢٢٣٨ ولفظه: لعن الواشمة، والمستوشمة، وآكل الربا، ومؤكله، ولعن المصور.

وعن علي عند أحمد برقم:٦٦٠ ولفظه: عن الحارث عن رجل من أصحاب النبي قال: لا أشكه إلا أنه علي قال: لعن رسول الله آكل الربا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه، والواشمة، والمستوشمة، والمحلل والمحلل له، ومانع الصدقة.

وفي الباب عن ابن مسعود عند أبي داود ٣٣٣٣ كتاب البيوع والترمذي ١٢٠٦ كتاب البيوع.

وبعد هذه الأمثلة التي ضربْتها أقدّم لكم طائفة من أحاديث الرسول ﷺ، يتبين بها مدى انحرافنا عن الجادة، وحَيدنا عن الطريق، وذلك ما يسبب لنا كوارث ونكبات ليست إلا من كسب أيدينا، وما دام المسلمون يصدقون النبي ﷺ يجب عليهم أن لا ينسوا نتائج الأعمال التي أخبر بها أمته، فإن النتائج تابعة دائماً للأعمال والأخلاق، فمن أراد أن يتجنبها فليترك الأعمال التي تأتي بنتائج وخيمة، شأن الذي يريد أن لا يحترق جسمه من النار، فيبتعد عنها جهد الطاقة.

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته، وعقّ أمه، وبرّ صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، أو خسفاً أو مسخاً".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا تخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وتعلّم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته، وعقّ أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات، والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وزلزلة، وخسفاً، ومسخاً، وقذفاً، وآيات تتابع، كنظام بال قطع سلكه فتتابع".

(رواهما الترمذي(١) وذكرهما في المشكاة بروايته) وذكر صاحب

(١) رواهما الترمذي في الفتن برقم: ٢٢١٠-٢٢١١ وقال عن الحديث الأول: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث علي بن أبي طالب إلا من هذا الوجه، ولا نعلم أحداً رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري غير الفرج بن فضالة، والفرج بن فضالة قد تكلم فيه بعض أهل الحديث، وضعفه من قبل حفظه، وقد رواه عنه وكيع، وغير واحد من الأئمة، وقال المباركفوري في التحفة: في الحديث انقطاع لأن رواية محمد بن علي عن جده مرسلة كما عرفت انتهى. وضعفه العراقي، والمنذري، والدارقطني وابن الجوزي، والذهبي، كما في فيض القدير للمناوي، وقال الترمذي عن الحديث الثاني: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال المباركفوري في سنده: رميح الجذامي وهو مجهول.

الإشاعة حديث علي رضي الله بأطول منهما.

وفي مجمع الزوائد من حديث عوف بنحوه، وفيه: "وقعدت الحملان على المنابر، واتخذ القرآن مزامير" (١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنا في قوم إلا كثُر فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان، إلا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير حق، إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر قوم بالعهد، إلا سلّط عليهم العدو" (رواه مالك) (٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: "يا معشر المهاجرين! خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ الله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيها الطاعون، والأوجاع التي

(١) ولفظه عن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ:

كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وسائرهن في النار، قلت: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا كثرت الشرط، وملكت الإماء، وقعدت الحملان على المنابر، واتخذ القرآن مزامير، وزخرفت المساجد، رفعت المنابر، واتخذ الفيء دولا، والزكاة مغرماً، والأمانة مغرماً، وتفقه في الدين لغير الله، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأقصى أباه، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل اتقاء شره، فيومئذ يكون ذلك، ويفزع الإنسان إلى الشام، وإلى مدينة منها يقال لها دمشق، من خير مدن الشام، فتحصنهم من عدوهم، قلت: وهل تفتح الشام؟ قال: نعم وشيكاً، ثم تقع الفتن بعد فتحها، ثم تجيء فتنة غبراء مظلمة، ثم يتبع الفتن بعضها بعضاً حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي، فإن أدركته فاتبعه وكن من المهديين.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٧/٧: رواه الطبراني وفيه عبد الحميد بن إبراهيم، وثقه ابن حبان وهو ضعيف، وفيه جماعة لم أعرفهم انتهى.

قلت: ويناسب هنا أن يذكر حديث أنس الذي أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ١٠٨٦ قال رسول الله ﷺ: إذا استحلت أمتي ستا فعليهم الدمار: إذا ظهر فيهم التلاعن، وشربوا الخمور ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن عروة بن رويم إلا عباد، تفرد به أبو جعفر النفيلي، قال الهيثمي ٣٣٥/٧: فيه عباد بن كثير الرملي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه جماعة.

(٢) رواه مالك في الموطأ كتاب الجهاد رقم الحديث ٢٦٠ عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عباس وفيه انقطاع، قال ابن عبد البر في الاستذكار ج/٥ ص: ٢٤٥ طبعة مؤسسة النداء أبو ظبي الرابعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م: مثل هذا لا يكون إلا توقيفا، لأن مثله لا يروى بالرأي، وقد روينا هذا الحديث عن ابن عباس متصلا، ثم ذكره بسنده المتصل إلى ابن عباس من قوله، ولفظه: ما ظهر البغي في قوم قط، إلا أظهر الموتان، ولا ظهر البخس في المكيال والميزان، إلا ابتلوا بالسنة، ولا نقض العهد في قوم، إلا أديل منهم عدوهم، ثم قال ابن عبد البر: وحديث مالك أتم، ثم ذكر بعض معناه مرفوعاً من حديث ابن عمر وبريدة.

لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقضوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، ولم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا فيما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم".

(رواه ابن ماجه واللفظ له، والبزار، والبيهقي، ورواه الحاكم بنحوه من حديث بريدة، وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه مالك بنحوه موقوفاً على ابن عباس، ولفظه: قال: ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنا في قوم إلا كثر فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط عليهم العدوّ، ورفعه الطبراني، وغيره إلى النبي صلى الله عليه وسلم) (١).

(الختر بالخاء المعجمة والتاء المثناة فوق: هو الغدر ونقض العهد، والسنين جمع سنة، وهي العام المقحط الذي لم تنبت الأرض فيه شيئاً، سواء وقع قطر أو لم يقع).

وجاء في حديث آخر عن النبيﷺ قال: "يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب، ولهو ولعب، فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير، وليصيبنّهم خسف، وقذف، حتى يصبح الناس، فيقولون: خسف الليلة ببني فلان، وخسف الليلة ببني فلان بدار فلان، ولترسلن عليهم حجارة من السماء، كما أرسلت على قوم لوط، على قبائل فيها، وعلى دور، ولترسلن عليهم الريح العقيم، التي أهلكت عاداً، على قبائل فيها، وعلى دور لشربهم الخمر،

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن رقم: ٤٠١٩ وقال البوصيري في زوائده ص٥١٧: هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه.

وأما حديث بريدة فأخرجه الحاكم ج/٢، ص: ١٣٦ رقم الحديث ٢٠٢/٢٥٧٧ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه البزار كما في كشف الأستار برقم: ٣٢٩٩. قال الهيثمي في المجمع ٢٧٢/٧ : رجاله رجال الصحيح غير رجاء بن محمد وهو ثقة.

وأما حديث مالك عن ابن عباس موقوفاً فقد تقدم قبل ذلك الكلام عليه، وتقدم قول ابن عبد البر: مثل هذا لا يقال بالرأي، يعني: أنه مرفوع حكماً، والله أعلم بالصواب.

ولبسهم الحرير، واتخاذهم القينات، وأكلهم الربا، وقطيعة الرحم. (رواه أحمد، والبيهقي وصحّحه الحاكم) (١).

وفي حديث آخر عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من ذنب أجدر أن يعجّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدّخر له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم".

(رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه الطبراني وقال فيه: من قطيعة الرحم، والخيانة والكذب، وإن أعجل البر ثواباً لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا) (٢).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: "كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في

(١) أخرجه الحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه ج/٢، ص: ٥٦٠ رقم الحديث ٢٨٠/٨٥٧٣ وصححه ووافقه الذهبي، وذكر الحاكم قول أحد الرواة: وذكر خصلة أخرى فنسيتها.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الزهد رقم: ٤٢١١ وأبو داود برقم: ٤٩٠٢ في الأدب والترمذي برقم: ٢٥١١ في صفة القيامة، وقال: حسن صحيح، وأخرجه أحمد برقم: ٢٠٣٧٤ بإسناد صحيح والحاكم ج/٢، ص: ٣٨٨ رقم ٤٩٦/٣٣٥٩ وصححه ووافقه الذهبي. وأما رواية الطبراني المذكورة فقد أوردها الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٤/٨-١٥٥ وقال: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن موسى بن أبي عثمان الأنطاكي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات انتهى.

قلت زيادة "الكذب" تفرد بها الطبراني في هذا الحديث، وأما الزيادة من قوله: إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم إلى الأخير فقد أخرجها ابن حبان في صحيحه عن أبي بكرة رقم الحديث: ٤٤ وزاد: "وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون" قال شعيب الأرناؤوط رجال إسناده ثقات غير أن فيه عنعنة الحسن البصري انتهى.

وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً عند الطبراني في الأوسط برقم: ١٠٩٢ بإسناد ضعيف من أجل أبي الدهماء ولفظه: إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم، وإن أهل البيت ليكونون فجاراً، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا وصلوا أرحامهم، وإن أعجل المعصية عقوبة: البغي والخيانة، واليمين الغموس تذهب المال، وتقل في الرحم، وتذر الديار بلاقع.

وله شاهد آخر عند عبد الرزاق في مصنفه برقم: ٢٠٢٣١ عن معمر عن يحيى بن أبي كثير قال: لا أعلمه إلا رفعه قال: قال: ثلاث من كن فيه رأى وبالهن قبل موته: من قطع رحماً أمر الله بها أن توصل، ومن حلف على يمين فاجرة ليقتطع بها مال امرء مسلم، ومن دعا دعوة يتكثر بها فإنه لا يزداد إلا قلة، وما من طاعة الله شيء أعجل ثواباً من صلة الرحم، وما من معصية الله شيء أعجل عقوبة من قطيعة الرحم، وإن القوم ليتواصلون وهم فجرة، فتكثر أموالهم، ويكثر عددهم، وإنهم ليتقاطعون، فتقل أموالهم، ويقل عددهم، واليمين الفاجرة تدع الدار بلاقع انتهى.

وفي الباب عن عائشة مرفوعاً عند ابن ماجه في الزهد برقم: ٤٢١٢ بسند ضعيف من أجل صالح ابن موسى ولفظه: أسرع الخير ثواباً: البر، وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة: البغي، وقطيعة الرحم.

الحياة قبل الممات" (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى ﷺ: "عفوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم، وبروا تبركم أبناؤكم" (٢).

وانظروا: كيف يتحدث النبي ﷺ ببالغ الاهتمام: "والذي نفسي بيده، لتأمرنّ المعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه، فتدعونه فلا يستجيب لكم" (٣).

---

(١) أخرجه الحاكم عن أبي بكرة ج/٤، ص: ١٧٢ رقم ٢٤/٧٢٦٣ وصححه، وتعقبه الذهبي بأن بكار ابن عبد العزيز ضعيف، وقد جاء في حديث آخر: بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا، البغي والعقوق أخرجه الحاكم -٢، ص: ١٩٦ رقم ١١١/٧٣٥٠ وصححه ووافقه الذهبي، وقد اختلف فيه على محمد ابن عبد العزيز الراسبي هل هو من مسند أنس أو مسند أبي بكرة، وقد صححه الألباني في الصحيحة برقم: ١١٢٠.

(٢) أخرجه الطبراني عن عائشة مرفوعاً في الأوسط برقم: ٦٢٩٥، وزاد: ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء بلغه عنه، فلم يقبل عذره، لم يرد علي الحوض، قال الهيثمي ١٤٢/٨: فيه خالد بن يزيد العمري وهو كذاب انتهى.

وله شاهد عن ابن عمر مرفوعاً عند الطبراني في الأوسط برقم: ١٠٠٢ ولفظه: بروا آباؤكم يبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم، قال الهيثمي في المجمع ١٤١/٨: رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب، والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه فلذلك لم ينسبه، والله أعلم انتهى.

قال محقق الطبراني الأوسط قلت: أحمد هو ابن داود المكي نسبه الحافظ الطبراني في أول حديثه، والمحقق ضعف إسناده لأن فيه علي بن قتيبة الرفاعي وهو ضعيف، انتهى.

قلت: هو كما قال: ولا سيما في مالك كما ههنا فإنه يأتي عنه بالأباطيل، كما قال ابن عدي انظر لسان الميزان ج/٤ ص: ٢٥٠ ودليلٍ بطلان هذه الحديث أنه يرويه علي بن قتيبة الرفاعي عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً، وقد أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٠٧/٥ من طريق يوسف بن الحجاج عن أحمد بن داود المكي قال: حدثنا علي بن قتيبة الرفاعي ثنا مالك بن أنس عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم: بروا آباؤكم نحوه انتهى. فانظر: كيف ركب له علي بن قتيبة الرفاعي إسناداً آخر عن مالك بن أنس وقد قال ابن عدي: وهذه الأحاديث باطلة عن مالك انتهى.

وله شاهد آخر من حديث أبي هريرة عند الحاكم ج/٤، ص: ١٧٠ رقم ١٩/٧٢٥٨ وصححه وتعقبه الذهبي بأن سويد ضعيف، وقال المنذري: بل سويد هذا هو ابن عبد العزيز واه.

وأخرجه ابن عدي ٣٣٠/١ من طريق إسحاق بن نجيح الملطي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عفوا تعف نساؤكم، قال ابن عدي: إسحاق بن نجيح يأتي بهذا الإسناد بكل حديث منكر، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

(٣) أخرجه أحمد برقم" ٢٣٣٠١ قال محققوه: هو حسن لغيره، وأخرجه الترمذي برقم: ٢١٦٩ وحسنه والبغوي في شرح السنة برقم: ٤١٥٤ عن حذيفة بن اليمان.

وله شاهد من حديث عائشة عند ابن ماجه برقم: ٤٠٠٤ بلفظ: مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم، وفي إسناده ضعف.

وله شاهد آخر عن أبي هريرة عند البزار برقم: ٣٣٠٧ من كشف الأستار بإسنادين ولفظه: لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لكم.

وجاء في حديث آخر يقول: "إن الله تعالى لا يعذّب العامة بعمل الخاصّة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه، فلا ينكرون، فإذا فعلوا ذلك، عذب الله الخاصة والعامة"(رواه في شرح السنة) (١).

ولا شك في أن هذه هي الأمور التي تسبب الكوارث والنكبات الجديدة، كالزلازل، والأعاصير، والفيضانات، والمجاعات، واصطدام القطارات، وما إلى ذلك من الحوادث، التي تتجدد كل يوم، مما لا يأتي عليه الحصر، وكذلك الأمراض الجديدة، والمصائب الحديثة، التي انتشرت اليوم في كل مكان، بينما لم يكن لها وجود من قبل، ويعرف ذلك من له اطلاع على الأمور، ومعلومات بالقضايا والمشكلات.

وبما أننا أغلقنا على أنفسنا باب النهي عن المنكر، والأمر بالمعروف، فلا ترجى استجابة الدعاء، وهل يكفي دعاؤنا في الصلوات، ما دمنا آخذين بأسباب تحول دون استجابة الدعوات.

وقد ورد في أحاديث كثيرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي، والمرتشي، وفي بعضها لعن الرائش، أي: الذي يتوسط بينهما (٢).

ونهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الظلم، فإنه يحول دون استجابة الدعاء (٣).

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة رقم الحديث: ٤١٥٥ وأخرجه أحمد ١٩٢/٤ برقم: ١٧٧٢٠ عن جد عدي بن عدي الكندي عميرة بن فروة، وفيه راو مجهول، وهو مولى عدي، وباقي رجاله ثقات، وأخرجه الطبراني في الكبير ج/١٧ ص: ٣٤٣ فجعله من مسند العرس بن عميرة، وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف.

وله شاهد من حديث جرير عند أحمد بإسناد حسن برقم: ١٩٢٣٠ ولفظه: ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، هم أعز وأكثر ممن يعمله لم يغيروه، إلا عمهم الله بعقاب. وأخرجه أبو داود برقم: ٤٣٣٩ وله شاهد آخر عن أبي بكر عند أبي داود برقم: ٤٣٣٨، وأحمد برقم: ١ بإسناد صحيح وفيه: إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم بعقابه.

(٢) أخرجه أحمد عن أبي هريرة برقم: ٩٠٢٣ بإسناد حسن، وأخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو وقال: حسن صحيح، وأخرج الحاكم ج/٤، ص: ١١٥ عن ثوبان مرفوعاً: لعن الله الراشي، والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما.

(٣) نقل المنذري في الترغيب والترهيب عن الطبراني حديثاً عن ابن مسعود مرفوعاً: لاتظلموا فتدعو فلا يستجاب لكم، وتستسقوا فلا تسقوا وتستنصروا فلا تنصروا. وأشار المنذري إلى ضعفه بالعلامة، انظر الترغيب كتاب القضاء باب الترهيب من الظلم. وعزاه الهيثمي إلى المعجم الأوسط، وقال: فيه من لم أعرفه، انظر مجمع الزوائد ٢٣٥/٥ باب الزجر عن الظلم من كتاب الخلافة. ولم أجده في الكبير

وقال: إن الله يملي الظالم عسى أن ينتهي عن ظلمه، ولكنه إذا بطش الظالم لا يتركه، وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود: ١٠٢] (١).

فلننظر إلى الاعتداءات التي يقوم بها الناس بعضهم على بعض، أليس الله يراها؟ ولا يأخذ أهلها بالمصائب والشدائد؟!

وقد جاء في الحديث: إن الذين يُستجاب دعاؤهم: المضطر، والمظلوم، وإن كان فاجراً، وفي رواية: وإن كان كافراً (٢).

وورد في الحديث عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله: اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري" (رواه الطبراني) (٣).

ولا في الأوسط

(١) أخرج البخاري في التفسير برقم: ٤٦٨٦، ومسلم في البر باب تحريم الظلم عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وقال: ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾

(٢) أخرج الترمذي برقم ١٩٠٥ وأبو داود برقم: ١٥٣٦ وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم.

وقد جاء التحذير من دعوة المظلوم في عدة أحاديث، منها: حديث ابن عباس الصحيح: اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب. أخرجه البخاري في الزكاة، رقم: ١٤٩٦، ومسلم في الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين، وأحمد برقم: ٢٠٧١، ومنها ما أخرجه الحاكم ج١/، ص: ٨٣ برقم: ٨١/٨١ عن ابن عمر مرفوعاً: اتقوا دعوات المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار وصححه على شرط مسلم، وقال الذهبي موافقاً: له احتج مسلم بعاصم، قال المناوي في الفيض: لكن الذهبي أورده في الضعفاء.

ومنها: حديث أبي هريرة الذي أخرجه أحمد برقم: ٨٧٩٥، بإسناد فيه أبو معشر وهو ضعيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه، وقد حسن هذا الحديث الهيثمي، والمنذري، والحافظ ابن حجر نظراً إلى الشواهد. ومنها: حديث أنس الذي أخرجه أحمد برقم ١٢٥٤٩ بإسناد ضعيف لجهالة أحد رواته أبي عبد الله الأسدي مرفوعاً بلفظ: اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب.

وأما استجابة دعاء المضطر فقد جاء في القرآن في سورة النحل: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾، وجاء في حديث عن رجل من بلهجيم قال: قلت: يا رسول الله إلام تدعو؟ قال: أدعو إلى الله وحده الذي إن مسك ضر فدعوته، كشف عنك، والذي إن ضللت بأرض قفر فدعوته ردّه عليك. أخرجه أحمد بسند صحيح برقم: ٢٠٦٣٦.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٢٢٠٧ وقد بدأ المنذري في الترغيب هذا الحديث بـ"روي" وترك الكلام عليه في الآخر، وهذا يدل على ضعفه عنده كما بينه في المقدمة.

وقد قال الشاعر الفارسي ما معناه: اتق دعاء المظلوم؛ فإنه لا يدعو دعاء إلا وتتبادر إليه الاستجابة، وقال النبي ﷺ: "من لا يرحم من في الأرض لايرحمه من في السماء" (رواه الطبراني) (١).

ولا غرابة فيما إذا كثرت دعوات المظلومين وتزايدت، أن تنصرف رحمة الله عن أهل الأرض، وتنزل عليهم الصواعق، وتحيط بهم الكوارث، فإن دعوة المظلوم لا ترد كما مرّ آنفاً، وكما روى ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، فقال:

"اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب".

(رواه البخاري، ومسلم، وأبوداود، والنسائي) (٢).

و يروى عن النبي ﷺ أنه يقول: "لا تزال أمتي بخير، ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا، فأوشك أن يعمهم الله بعذاب" (رواه أحمد) (٣)

وبصرف النظر عن المواخير السرية، لا نجد أي مدينة تخلو عن الفواحش، وحيث لا تمارس الفاحشة جهاراً، ولا تكثر فيها أولاد الزنا، حتى يضطر المسئولون في البلدية، إلى إنشاء محاضن خاصة بهم.

وقد أنذر الرسول الكريم ﷺ قال: "إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله" (رواه الحاكم) (٤).

يجب أن نقف هنا وقفة متأمل.. ودارس الأوضاع، لكي ندرك فداحة هذا الخطر المحدق بنا، فكم من رجال يبتلون بهذه المعاصي ويصابون بهذه الأدواء، التي تؤدي إلى نتائج وخيمة جداً! تلك التي أنذر بها الرسول ﷺ والتي نعاني منها اليوم شيئاً كثيراً.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير عن جرير برقم: ٢٤٩٥، قال المنذري: بإسناد جيّد قوي انتهى. وأخرج أبو داود برقم: ٤٩٤١ و الترمذي برقم: ١٩٢٤ عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض، يرحمكم من السماء.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة برقم: ١٤٩٦ ومسلم في الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين برقم: ١٩ وأحمد برقم: ٢٠٧١

(٣) أخرجه أحمد عن ميمونة مرفوعاً برقم: ٢٦٨٣٠ وضعف إسناده محققو المسند.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ج/٢، ص: ٤٣ برقم ٢٢٦١/١٣٢ وصحّحه ووافقه الذهبي. وله شاهد عن عبد الله بن مسعود عند أحمد برقم: ٣٨٠٩.

وورد في روايات عديدة: أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أوصورة (١).

وعن أبي وائل قال: غزوت مع عمر رضي الله عنه الشام، فنزلنا منزلاً، فجاء دهقان يستدل على أمير المؤمنين، حتى أتاه، فلما رأى الدهقان عمر سجد، فقال عمر: ما هذا السجود؟ فقال: هكذا نفعل بالملوك، فقال عمر: اسجد لربك الذي خلقك.

فقال: يا أمير المؤمنين إني قد صنعت لك طعاماً فأتني قال: فقال عمر: هل في بيتك من تصاوير العجم؟ قال: نعم! قال: لا حاجة لنا في بيتك، ولكن انطلق فابعث لنا بلون من الطعام، ولا تزدنا عليه، قال: فانطلق فبعث إليه بطعام فأكل منه (رواه الحاكم) (٢).

إن نظرة واحدة على بيوت الناس اليوم تكشف لنا أن تزيينها لا يتم إلا بالصور، من غير أن يتجرأ أحد من المشايخ أو العلماء أن يتفوه بكلمة ضدها، فما بالنا نغلق علينا أبواب الرحمة، ونستدعي أسباب الشقاء والعذاب؟ ثم نشكو ونصرخ حينما تغشانا المصائب والمشكلات! فبينما كان سلفنا الصالح لم يرضوا بالدخول في بيت فيه صورة، نحن نرحّب بكل صورة، ونعلقها في بيوتنا للزينة والجمال، اقرؤوا الحديث التالي، واستعرضوا الأحوال التي يرضى بها المسلمون، وإعراضهم المدهش عن تعاليم دينهم، يقول النبي ﷺ:

"ماطلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان، يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، فإن ما قلّ وكفى خير مما كثُر وألهى، ولا آبت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً".

(رواه أحمد بإسناد صحيح واللفظ له، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصحّحه) (٣).

---

(١) أخرج البخاري في اللباس باب التصاوير برقم: ٥٩٤٩ ومسلم أيضاً في اللباس برقم: ٢١٠٦ عن أبي طلحة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب وصورة، وله شاهد عن عائشة عند البخاري برقم: ٣٢٢٤، وعن ابن عمر عنده برقم: ٥٩٦٠ وعن ميمونة عند مسلم برقم: ٢١٠٥.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ج/٣ ص: ٨٨ برقم ٨٠/٤٤٨٢ وصححه وتعقبه الذهبي بأن مسلماً الأعور تركوه

(٣) أخرجه أحمد عن أبي الدرداء برقم: ٢١٧٢١ وحسن المحققون للمسند إسناده، وأخرجه ابن

ينبغي أن نفكر فيما يدخره الناس من أموال بالبخل، والشح، ولا ينفقون ذلك، لا في سبيل الله، ولا في سبيل راحتهم، كيف أنهم يؤخذون بأنواع المشكلات، والبلايا التي تكلفهم نفقات باهظة، وقد تعتري الأمراض المنوعة التي تفني معظم أموالهم المدخرة، وقد يكون الولد خلْفاً، ينثرها من غير رفق، ولا هوادة، حتى ينفد كل ما جمعوه من الثراء، والأموال، هذه أمور ليست من الافتراضات التي يصنعها الإنسان، بل إنها حقائق واقعة، يواجهها الناس كثيرا في الحياة.

وقد ورد في أحاديث متعددة أن الإنسان يعتقد أن ماله ليس إلا لنفسه على أنه لا يتمتع به في أكثر الأحيان، قال رسول الله ﷺ:

"يقول العبد: مالي مالي! وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس" (رواه مسلم) (١).

وجاء في رواية عن علي رضي الله عنه أنه قال: "إن فضل مالك ليس إلا لغيرك، وأنت خازنه".

وهناك أحاديث كثيرة تحتوي على هذا المعنى، وقال الله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، يقول ابن عباس رضي الله عنه: العفو ما يتوفّر عن الأهل والأولاد.

ولا يفوتنا في هذه المناسبة أن نفكر فيما يدل إليه الإسلام من طرق "مكافحة الفقر" الذي ينال لدى الدول المتخلفة أهمية كبرى، تعتمد عليه في

حبان برقم: ٦٨٦ والحاكم ج/٢، ص: ٤٨٣ رقم الحديث: ٧٩٩/٣٦٦٢ وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٢٨٩١

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند البخاري برقم: ١٤٤٢، ومسلم برقم: ١٠١٠ بلفظ: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً.

وأخرجه أحمد برقم: ٨٠٥٤ عن أبي هريرة بلفظ آخر: إن ملكاً بباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجز غدا، وملكاً بباب آخر يقول: اللهم أعط لمنفق خلفاً، وعجل لممسك تلفاً.

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق رقم الحديث: ٢٩٥٩ عن أبي هريرة، وله شاهد من حديث عبد الله بن الشخير عند مسلم ٢٩٥٨ وأحمد: ١٦٠٣٥، ولفظه: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم: مالي مالي، ومالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟.

استلفات أنظار الشعب، وكسب إقبال الجماهير، وما أعظم الفرق بين رجل يؤمر أن لا يدخر عنده أكثر مما يحتاج إليه، وبين رجل يحث على أن لا يدخر عنده أكثر من حاجته، وينفق على الفقراء ما يفيض عنها برضاه. فإن الأول ظلم محض، والآخر خير خالص، وفي الأول كبت لحرية الكسب، وتثبيط الهمم، وتعطيل النشاط، وفي الثاني تشجيع على كسب ما أمكن، وبذل الجهود في المكاسب، والخيرات، ثم الإنفاق على الفقراء، والمساكين، وأصحاب الحوائج.

ولا يختص الترغيب في الإنفاق بفضل المال الذي يتوفر عن الحاجة، بل يستحسن جداً صرف النظر عن المطالب، وإيثار الغير على النفس، فقد قال القرآن في مدح الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر: ٩].

ولم يكن إيثارهم هذا مجرد إعلان وذكر، بل إن الرسول ﷺ قدّم نماذج عملية له، واتبعه أصحابه رضي الله عنهم في هذه الأسوة بالعمل، تشهد بذلك سيرهم، وتزخر كتب الزهد والرقاق بهذا الموضوع، وإنني لا أريد في هذه المناسبة أن أخوض في التفاصيل، وإنما أريد الإشارة فقط إلى أن المشكلات والعوائق التي نبتلى بها ليست إلا من كسب أيدينا.

وقد دلنا النبي ﷺ على أسباب المصائب، والنكبات التي لا مراء فيها، كما وصف لنا علاجها أيضاً، ولا أصدق مما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام وحدّثه، سواء آمن به أحد أم لم يؤمن، وقد قال عليه السلام: "لقد جئتكم بها بيضاء نقية" وقال أيضاً: "وأيم الله! لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء" جمع الفوائد (١).

---

(١) أخرج ابن ماجه في المقدمة برقم: ٤٣ وأحمد بإسناد حسن برقم: ١٧١٤١ عن العرباض بن سارية حديثاً مرفوعاً في التمسك بالسنة، والعض عليها بالنواجذ، جاء فيه: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك.

وأخرج أحمد عن جابر برقم: ١٥١٥٦ حديثاً فيه قصة مجيء عمر بن الخطاب بكتاب من بعض أهل الكتاب وقراءته على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية الحديث. وإسناده ضعيف، لضعف مجالد بن سعيد، ويحيى ابن سعيد، وغيرهما. انظر مجمع الزوائد ١/١٧٩

وله شاهد عند أبي يعلى عن عمر بن الخطاب كما عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٨٧

فلم يترك ﷺ جزءاً من الأجزاء، ولا ركناً من الأركان لحياة الإنسان إلا وقد حدث عنه وأشار إليه، يتحدث عن الفتن فيقول: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا" (المشكاة) (١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: "يا أيها الناس! توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، ترزقوا، وتنصروا، وتجبروا". (رواه ابن ماجه) (٢).

وجاء في رواية أن رسول الله ﷺ قال: "ما نقص مال من صدقة، ولا عفا رجل عن مظلمة، إلا زاده الله بها عزا، فاعفوا يعزكم الله، ولا فتح رجل على نفسه باب المسألة إلا فتح الله عليه باب فقر". (رواها في المعجم الصغير) (٣).

وقال: فيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعفه أحمد وجماعة. انتهى ولم أجده في مسند أبي يعلى، وقد أورده الحافظ في المطالب العالية ٣/٣٠٨ برقم: ٣٠٤٩ وإسناده فيه هكذا:

قال أبو يعلى: حدثنا عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير ثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة قال: كنت جالساً عند عمر فذكر الحديث بالقصة الطويلة، قلت: وفي إسناده خليفة بن قيس أيضاً وهو مولى خالد بن عرفطة قال فيه البخاري في التاريخ الكبير ج/٣ ص: ١٩٢: لم يصح حديثه.

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة في الإيمان برقم: ١١٨

(٢) أخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة برقم: ١٠٨١ عن جابر بن عبد الله مرفوعاً، وإسناده ضعيف من أجل عبد الله بن محمد العدوي، وعلي بن زيد بن جدعان.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في الأوسط عن أم سلمة برقم: ٢٢٧٠ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٠٨: فيه زكريا بن دريد وهو ضعيف جداً انتهى.

وله شاهد صحيح عن أبي هريرة عند مسلم في البر باب استحباب العفو والتواضع، والترمذي في البر والصلة برقم: ٢٠٢٩ بلفظ: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله. اللفظ لمسلم.

وله شاهد آخر في حديث طويل عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه مرفوعاً: ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال: فأما الثلاث التي أقسم عليهن: فإنه ما نقص مال عبد صدقة، ولا ظلم عبد بمظلمة فيصبر عليها، إلا زاده الله بها عزاً، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر، وأما الذي أحدثكم حديثاً فاحفظوه فإنه قال... أخرجه الترمذي في الزهد برقم: ٢٣٢٥ وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد برقم ١٨٠٣١ وحسّن محققوه إسناده.

وله شاهد آخر عن عبد الرحمن بن عوف عند أحمد برقم: ١٦٧٤ مرفوعاً ولفظه: ثلاث والذي نفس محمد بيده! إن كنت لحالفاً عليهن: لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا يعفو عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا رفعه الله بها عزاً يوم القيامة، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وإسناده ضعيف كما قال محققوه من أجل جهالة أحد الرواة، ومن أجل عمر بن أبي سلمة

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أبغض المسلمون علماءهم، وأظهروا عمارة أسواقهم، وتناحروا على جمع الدراهم، رماهم الله عز وجل بأربع خصال: بالقحط من الزمان، والجور من السلطان، والخيانة من ولاة الأحكام، والصولة من العدو. (رواه الحاكم) (١)

وعنه أيضاً قال: "جزاء المعصية: الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة "(تاريخ الخلفاء) (٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشرسنين، ولم يعبس في وجهي... ثم قال: يا بني أسبغ الوضوء، يزد في عمرك ويحبك حافظاك، ثم قال لي: يا بني! إن قدرت أن تجعل من صلاتك في بيتك شيئاً فافعل، فإنه يكثر خير بيتك، ثم قال لي: يا بني! إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك". (رواه الطبراني في المعجم الصغير) (٣).

وذكروا له أسانيد أخرى، في كل منها ضعف، ولكن حسنوا الحديث نظراً إلى شواهده.

وله شاهد آخر عن ابن عباس رفعه قال: ما نقصت صدقة من مال شيئاً قط، ولا مد عبد يده بصدقة قط إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، ولا فتح عبد عليه باب مسألة له عنها غنى إلا فتح الله عليه باب فقر. أخرجه الطبراني في الكبير ج/١١ برقم ١٢١٥، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: ٣٢٤٩ وإسناده ضعيف، قال الهيثمي في المجمع ج/٣ ص ١١٣: فيه من لم أعرفه.

تنبيه: قد أشار الترمذي بعد ذكر حديث أبي هريرة في البر والصلة في باب التواضع إلى هذه الشواهد بقوله: وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف، وابن عباس، وأبي كبشة الأنماري، فقال صاحب تحفة الأحوذي رحمه الله: أما حديث عبد الرحمن بن عوف وحديث أبي كبشة الأنماري فلينظر من أخرجهما، وأما حديث ابن عباس فأخرجه الطبراني عنه مرفوعاً: ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: ضع حكمته انتهى. والمباركبوري لم يصب ما أراده الترمذي.

(١) رواه الحاكم في المستدرك ج/٤، ص: ٣٦١ رقم٧٩٢٣/٨٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد إن كان عبد الله بن أبي مليكة سمع من أمير المؤمنين. وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر منقطع، وابن عبد ربه لا يعرف انتهى.

(٢) قد عزاه صاحب كنز العمال إلى ابن أبي الدنيا في التوبة انظر الكنز ج/٤، ص: ٢٧٠ رقم الحديث: ١٠٤٥٤ ولفظه هكذا: عن علي قال: جزاء المعصية: الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنغص في اللذة، قيل: وما النغص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلالا إلا جاءه ما ينغصه إياها انتهى، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج/٤٥ ص: ٤٠٠ في ترجمة علي رضي الله عنه وقد تحرف في المطبوعة من "النغص"إلى النفس".

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ج/، ص: ٤١٨ في ترجمة أزور بن غالب عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أنس أسبغ الوضوء، يزد في عمرك، وسلم على أهلك يكثر خير بيتك، وسلم على من لقيت من أمتي، تكثر حسناتك، وصل صلاة الضحى، فإنها صلاة الأوابين قبلك،

وصل بالليل والنهار، يحفظك الحفظة، ولا تنم إلا وأنت طاهر، فإن مت مت شهيداً، ووقّر الكبير وارحم الصغير. وقال ابن عدي، لم يروه عن الأزور غير يحيى بن سليم، وهو من حديث سليمان التيمي لا يروى عنه إلا من هذا الطريق، ثم قال: ولأزور بن غالب غير ما ذكرت من رواية يحيى بن سليم عنه أحاديث معدودة يسيرة غير محفوظة، وأرجو أنه لا بأس به انتهى.

وأخرج الطبراني في الصغير ص ١٧٦ حديثاً طويلاً عن سعيد بن المسيب عن أنس بن مالك، قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان، فذهبت بي أمي إليه فقالت: يا رسول الله إن رجال الأنصار ونساءهم قد أتحفوك غبري، ولم أجد ما أتحفك إلا ابني هذا، فاقبل مني يخدمك ما بدا لك، قال: فخدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فلم يضربني ضربة قط، ولم يسبني، ولم يعبس في وجهي، وكان أول ما أوصاني أن قال:

يا بني اكتم سري تكن مؤمناً، فما أخبرت بسرّه أحداً، وإن كانت أمي وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألنني أن أخبرهن بسره، فلا أخبرهن ولا أخبر بسره أحداً أبداً، ثم قال: يا بني أسبغ الوضوء يزد عمرك ويحبك حافظاك.

ثم قال: يا بني إن استطعت أن لا تبيت إلا على وضوء فافعل، فإنه من أتاه الموت وهو على وضوء أعطي الشهادة.

ثم قال: يا بني إن استطعت أن لا تزال تصلي فافعل، فإن الملائكة لا تزال تصلي عليك ما دمت تصلي.

ثم قال: يا بني إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان لا بد ففي التطوع لا في الفريضة.

ثم قال لي: يا بني إذا ركعت فضع كفيك على ركبتيك، وافرج بين أصابعك، وارفع يديك عن جنبيك، فإذا رفعت رأسك من الركوع فكن لكل عضو موضعه، فإن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من لا يقيم صلبه في ركوعه وسجوده.

ثم قال: يا بني إذا سجدت فلا تنقر كما تنقر الديك، ولا تقع كما يقعي الكلب، ولا تفترش ذراعيك افتراش السبع، وافرش ظهر قدميك الأرض، وضع أليتيك على عقبيك، فإن ذلك أيسر عليك يوم القيامة في حسابك، ثم قال لي: يا بني بالغ في الغسل من الجنابة تخرج من مغتسلك ليس عليك ذنب ولا خطيئة.

قلت: بأبي وأمي ما المبالغة؟ قال تبل أصول الشعر، وتنقي البشرة، ثم قال لي: يا بني إن قدرت أن تجعل من صلاتك في بيتك شيئاً فافعل فإنه يكثر خير بيتك.

ثم قال لي: يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك، ثم قال لي: يا بني إذا خرجت من بيتك فلا يقعن بصرك على أحد من أهل القبلة إلا سلمت عليه، ترجع وقد زيد في حسناتك.

ثم قال: يا بني إذا خرجت من أهلك فلا يقعن بصرك على أحد من أهل القبلة إلا ظننت أن له الفضل عليك، ثم قال لي: يا بني إن حفظت وصيتي فلا يكونن شيء أحب إليك من الموت.

ثم قال لي: يا بني إن ذلك من سنتي، ومن أحيى سنتي فقد أحبني ومن أحبني، كان معي في الجنة، قال الطبراني: لا يروى عن أنس بهذا التمام إلا بهذا الإسناد، تفرد به مسلم الأنصاري وكان ثقة انتهى. وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

وقد أخرج الترمذي طرفاً أخيراً منه بهذا الإسناد برقم: ٢٦٧٨ في العلم، ثم أشار إلى تمامه بقوله: وفي الحديث قصة، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بتمامه من طريق علي بن زيد بن جدعان ج/٩، ص: ٢٥٢-٢٥٣، رقم الحديث: ٢٣٢٣، وروى بعد ذلك بعض أجزاء هذا الحديث من أسانيد أخرى فانظر إليها، وأخرجه أبو يعلى في مسنده برقم: ٣٦٢٤ قال الهيثمي في المجمع ٢٧٧/١: فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد و هو ضعيف.

كل هذه الروايات تشير إلى أن المعاصي، وكثرة الذنوب، إذا كانت تسبب النكبات، والحوادث، وتصنع المشكلات، والعراقيل، كانت الطاعة لله، والعبادة له، والعمل بتعاليمه، سبباً كبيراً لسعادة المرء، وكفيلة له بالنجاح في الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك".

(أورده في الجامع الصغير برواية أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم عن أبي هريرة) (١).

هذا الحديث القدسي وما أشبهه من الروايات يشير إشارة واضحة إلى أن السعادة والنجاح يتوقفان على عبادة الله، ولكن العبادة هي التي تواجه اليوم

وقد عزاه الحافظ في المطالب العالية ج/١، ص: ٨٢ إلى أحمد بن منيع أيضاً قال: حدثنا يزيد بن هارون ثنا العلاء أبو محمد الثقفي حدثنا أنس.. انتهى. وإذن فهذا إسناد آخر وهو أيضاً ضعيف من أجل العلاء أبي محمد الثقفي، ولكنه يقويه إن شاء الله.

(١) أخرجه أحمد برقم: ٨٦٩٦ عن أبي هريرة والحاكم ج/٢ ص: ٤٨١ رقم: ٧٩٤/٣٦٥٧ وزاد في أوله: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ إلى قوله ﴿من نصيب﴾. وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي برقم ٢٤٦٦ وابن ماجه برقم ٤١٠٧ وابن حبان برقم: ٣٩٣ وقال الترمذي: حسن غريب وحسّن إسناده شعيب الأرناؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان، وقال في التعليق على المسند: إسناده محتمل للتحسين من أجل زائدة بن نشيط.

وله شاهد من حديث معقل بن يسار عند الحاكم ج/٤ ص: ٣٦٢ برقم ٨٣/٧٩٢٦ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقاً، يا ابن آدم لا تباعد مني، فأملأ قلبك فقراً، وأملأ يديك شغلاً، وصححه ووافقه الذهبي.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج/٢٠ ص: ٢١٦ برقم: ٥٠٠ قال الهيثمي في المجمع ٢٨٦/١٠: رواه الطبراني، وفيه سلام الطويل وهو متروك، وقال محقق الطبراني: قلت: وزيد العمي (شيخ سلام الطويل) ضعيف انتهى وسلام بن سليم ويقال: ابن سلم ويقال: ابن سليمان السعدي المدائني انظر ترجمته في الكامل لابن عدي ٢٩٩/٣

قلت: وإسناد الحاكم ليس فيه سلام الطويل، ولا شيخه زيد العمي، وإنما فيه سلام بن أبي مطيع وهو صرّح بتحديث معاوية بن قرة له، وسلام بن أبي مطيع هذا آخر قال ابن عدي: هو عندي لا بأس به وبرواياته، وقال: لم أر أحدا من المتقدمين نسبه إلى الضعف انتهى وانظرلترجمته تهذيب الكمال، فإسناد الحاكم على هذا صحيح، لكن يعكر على هذا أن الراوي عن سلام بن أبي مطيع هو حفص بن عمر الحوضي عند الحاكم، وهو نفسه الراوي مقروناً بأبي الربيع الزهراني عن سلام الطويل عند الطبراني، وفي كليهما التصريح بالسماع، فلا أدري في أيهما وقع الخطأ؟ والله أعلم.

ثم رجعت إلى تهذيب الكمال، فوجدت فيه في شيوخ حفص بن عمر الحوضي: سلاما الطويل، ولم أجد سلام بن أبي مطيع، فتبيّن أن الخطأ في المستدرك، وأن هذا الإسناد ضعيف والله أعلم، ولكنه يتقوى بحديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كثيراً من الجور والظلم من بين سائر الواجبات الدينية غيرها، فالمسلمون اليوم في أغلب الأحوال يُغفلون أوقات العبادة وراء اكتساب الدنيا.

وما دامت هي حالنا، وزاد انهماكنا في لذاتنا، كيف لا تتفاقم الأخطار والمشكلات التي تحدق بنا من كل جانب؟ إن المسلمين لن يتمكنوا من التوصل إلى حل مشكلاتهم، بالاستغناء عن الدين، فقد قرأنا في الروايات الآنفة الذكر أن الله يعد بالفقر، وشغل القلوب بالهموم، إذا لم يتفرغ المرء لعبادته.

وقد ورد في الحديث الصحيح: أن الله تعالى يقول: ما معناه: إن العباد إذا أطاعوني نزلت عليهم الأمطار ليلاً وهم نائمون، وطلعت لهم الشمس نهاراً، ولا يسمعوا صوت الرعد (١).

ولكن شؤم أعمالنا يحول دون النظام الطبيعي للفصول، واختلاف المواسم، والطقوس، فنعاني من قلة الأمطار، وكثرة الجدوب، والمجاعات، وعذاب السيول والفيضانات، بله نزول أمطار الرحمة، وتأمين الأرواح من الخوف والحزن.

يروى عن كعب الأحبار أنه قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله ﷺ، فخرج موسى ببني إسرائيل يستسقي بهم، فلم يُسقوا، حتى خرج ثلاث مرات، ولم يُسقوا، فأوحى الله عزوجل إلى موسى عليه السلام: إني لا أستجيب لك، ولا لمن معك، وفيكم نمام! فقال موسى: يا رب ومن هو؟ حتى نخرجه من بيننا، فأوحى الله عزوجل إليه: يا موسى! أنهاكم عن النميمة، وأكون نماماً؟ فقال موسى لبني إسرائيل: توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة، فتابوا، فأرسل الله تعالى عليهم الغيث (٢).

وقال سفيان الثوري: بلغني أن بني إسرائيل قُحطوا سبع سنين، حتى

(١) أخرجه أحمد برقم: ٨٧٠٨ والحاكم في المستدرك ج/٤ ص: ٢٨٥ رقم: ٥٧/٧٦٥٧ عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه: قال ربكم عزوجل: لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتهم صوت الرعد، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بأن صدقة (هو ابن موسى) ضعفوه انتهى، وفيه راو آخر سمير بن نهار، ويقال: شتير أورده البخاري، وابن أبي حاتم، فلم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا، وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن حجر في التقريب، صدوق على أن الدارقطني جهله، وقال الذهبي: نكرة (مستفاد من تعليقة المسند رقم الحديث: ٧٩٥٦).

(٢) انظر إحياء علوم الدين للغزالي ١٥٥/٣ آفة النميمة

أكلوا الميتة من المزابل، وأكلوا الأطفال، وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال، يبكون ويتضرعون، فأوحى الله عزوجل إلى أنبيائهم عليهم السلام، لو مشيتم إليّ بأقدامكم حتى تحفى رُكَبكم، وتبلغ أيديكم عنان السماء، وتكلّ ألسنتكم عن الدعاء، فإني لا أجيب لكم داعياً، ولا أرحم لكم باكياً، حتى تردوا المظالم إلى أهلها (١).

وتزخر كتب التاريخ والحديث بمثل هذه الوقائع والأحداث، كما أن هناك مئات من الروايات التي تحتوي على معنى تأثير الأعمال في الحياة، وأن الإنسان إذا كان صالحاً في أعماله، مرضياً في سيرته، يدرك سعادة الدنيا والآخرة، أما إذا كانت أعماله غير مرضية، فإنما يخسر منافعهما، ويواجه من الآلام، والمصائب، ما يشقى به في الحياة.

فإذا كانت أحاديث النبي ﷺ مما نؤمن به ونصدقه، فمن الظلم الصريح أن نُعرض عنها، ونُلقي بأيدينا إلى التهلكة، ونستحق أصناف العذاب والمصائب، ثم نشكو من ضعف المسلمين ومحنهم! إن مثلنا كمثل مريض ينطلق بطنه، ولكنه عوضاً عن أن يستعمل دواء يكافح المرض، يداويه بدواء الإسهال، إننا نخاف بطش الحكومات، ونعاني من اضطهاد الدول، ولكننا لا نفكر فيما صرح به رسول الله ﷺ بقوله: "كما تكونون كذلك يؤمر علكيم" (٢).

فإن كنا نريد أن يؤمر علينا رجال صالحون، يجب علينا أن نقبل على الأعمال الصالحات، ولا نبغي عنها عوضاً، ففي حديث آخر:

(١) انظر إحياء علوم الدين ٣٠٧/١ كتاب الأذكار باب آداب الدعاء.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب برقم: ٧٠٠٦ عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم...ثم ذكره، ثم قال: هذا منقطع، وراويه يحيى بن هاشم وهو ضعيف، وانظر الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي رقم: ٤٩١٨ فقد ذكره من رواية أبي بكرة رضي الله عنه، وذكر محققه السعيد بن بسيوني زغلول إسناد مسند الشهاب هكذا: قال القضاعي: أخبرنا هبة الله بن أبي غسان الفارسي ثنا عبد الملك بن حسان البكاري، ثنا محمد بن إبراهيم بن عمران الجوزي، أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن عثمان بن المثنى أبو المثنى الباهلي أن أباه وعمه محمد بن يحيى حدثاه قالا: أنا الكرماني بن عمرو ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن عن أبي بكرة مرفوعاً.

قال الزيلعي في تخريج الكشاف ١٨٣/١: قال ابن طاهر في كلامه على أحاديث الشهاب: هذا حديث رواه أحمد بن إبراهيم بن عثمان بن المثنى عن الكرماني بن عمرو عن المبارك بن فضالة والمبارك بن فضالة وإن ذكر بشيء من الضعف، فإن العهدة على من رواه عنه، فإن فيهم جهالة، والحسن عن أبي هريرة منقطع انتهى وفيه تخليط فليحرر انتهى.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى يقول: أنا الله، لا إله إلا أنا، مالك الملوك، وملك الملوك، قلوب الملوك في يدي، وإن العباد إذا أطاعوني حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالرحمة والرأفة، وإن العباد إذا عصوني، حوّلت قلوبهم بالسخط، والنقمة، فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك، ولكن اشغلوا أنفكسم بالذكر، والتضرع، كي أكفيكم ملوككم".

(رواه أبو نعيم في الحلية(١)كذا في المشكاة، وفي مجمع الزوائد برواية الطبراني(٢).

وفي الدر المنثور: أخرج ابن أبي شيبة عن مالك بن مغول، قال: في زبور داود مكتوب: إني أنا الله، لا إله إلا الله، فذكر معناه) (٣).

وتتضمن روايات عديدة هذا المعنى، وفي الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: "اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا" (٤).

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: حُدثت أن موسى أو عيسى قال: يا رب! ما علامة رضاك عن خلقك؟ قال: أن أنزل عليهم الغيث إبان زرعهم، وأحبسه إبان حصادهم، وأجعل أمورهم إلى حلمائهم، وفيئهم في

(١) أخرجه في الحلية ج/٢ ص: ٣٨٨ في ترجمة مالك بن دينار ثم قال: غريب من حديث مالك مرفوعاً تفرد به علي بن معبد عن وهب بن راشد، وأخرجه في الحلية في موضع آخر في ترجمة صالح بن بشير المري ج/٦ ص: ١٧٢ عن مالك بن دينار، قال: قرأت في الحكم: أن الله تعالى يقول: ثم ذكره.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ٨٩٦٢ وفي إسناده وهب بن راشد وهو متروك، قال ابن عدي في الكامل ٦٧/٧: ليس بالمستقيم، وأحاديثه كلها فيها نظر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة برقم: ٣٥٣٥٩ عن مالك بن مغول من قوله قال: كان في زبور داود مكتوباً: إني أنا الله، لا إله إلا أنا، ملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فأيما قوم كانوا على طاعة، جعلت الملوك عليهم رحمة، وأيما قوم كانوا على معصية، جعلت الملوك عليهم نقمة، لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، ولا تتوبوا إليهم، توبوا إلي أعطف قلوبكم عليهم.

(٤) أخرج الترمذي برقم: ٣٥٠٢ في الدعوات عن ابن عمر مرفوعاً حديثاً ورد فيه دعاء القيام من المجلس الطويل ومنه: ولا تسلط علينا من لا يرحمنا، وحسنه الترمذي وأما زيادة "بذنوبنا" فلم أقف عليها، نعم! قال المناوي في فيض القدير في شرح حديث: "كما تكونوا يولى عليكم": ومن دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم: اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا ولم يعزه إلى أحد.

أيدي سمحائهم، قال: يا رب! فما علامة السخط؟ قال: أن أنزل عليهم الغيث إبان حصادهم، وأحبسه إبان زرعهم، وأجعل أمورهم إلى سفهائهم، وفيئهم في أيدي بخلائهم (١).

وجاء في حديث عن النبي ﷺ قال: "لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليولين الله عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم"(٢)

فالذين ينتظرون من خيارهم وصلحائهم دعاء، أو يرون أن دعاءهم لا يستجاب لهم، لا ينبغي أن يفوتهم التفكير فيما إذا كانوا منقطعي الصلة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وقد ورد في حديث آخر: "إذا أراد الله بقوم خيراً ولّى عليهم حلماءهم، وقضّى بينهم علماءهم، وجعل المال في سمحائهم، وإذا أراد الله بقوم شراً، ولّى عليهم سفهاءهم، وقضّى بينهم جهالهم، وجعل المال في بخلائهم (٣).

كذا في الجامع برواية الديلمي، ورقم له بالضعف.

وفي رواية: "إن الله تعالى إذا غضب على أمة لم ينزل بها عذاب خسف ولا مسخ، غلت أسعارها، ويحبس عنها أمطارها، ويلي عليها أشرارها"(٤).

كذا في الجامع برواية ابن عساكر عن علي ﷺ ورقم له بالضعف.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب برقم:٧٠٠٧ عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، كذبه الحاكم، وفيه علي بن محمد بن عبد الله بن الحبيبي.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم:١٣٧٩ والبزار كما في كشف الأستار برقم:٣٣٠٧ في الفتن بباب الأمر بالمعروف قبل نزول العذاب عن أبي هريرة، قال الهيثمي: فيه حبان بن علي وهو متروك، وقد وثقه ابن معين في رواية، وضعفه في غيرها انتهى.

وله شاهد عن عمر مرفوعاً أخرجه بن عساكر عن عمير بن سعد بن شهيد عن عمر بن الخطاب في حديث طويل في ترجمة عمير بن سعد ج/٤٩ ص:٣٤٧ برقم:١١١١٦.

وله شاهد آخر عن ابن عمر عزاه صاحب كنز العمال ج/٣ ص:٦٨٧ رقم: ٨٤٦٤ إلى ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله شاهد من حديث حذيفة موقوفاً عند أحمد برقم: ٢٣٣١٢ ولفظه: لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتحتضن على الخير، أو ليسحتنكم الله جميعاً بالعذاب، أو ليؤمرن عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم، وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً برقم: ٣٨٣٧٦.

(٣) انظر الفردوس بمأثور الخطاب رقم: ٩٥٤ عن أبي سعيد هكذا في المطبوعة قال المناوي: أخرجه ابن لال عن مهران وخرّجه الديلمي من طريقه.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٩/٢٩ في ترجمة عبد الله بن الحسن بن حمزة بن الحسن رقم الحديث: ٦١٤٦ عن علي رضي الله عنه.

ولكن رأيت أن الحديث له طرق عديدة بأسانيد شتى، وتأيد بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ على ما ورد تفسيره في عدة آثار من الدر المنثور وغيره.

وفي مجمع الزوائد عن جابر: أن الله عزوجل يقول: أنتقم ممن أغضب بمن أغضب، ثم أصيّر كلاً إلى النار، (رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد ابن بكر البالسي ضعيف) (١).

وجاء في حديث: "لا تسبوا الأئمة، وادعوا الله لهم بالصلاح، فإن صلاحهم لكم صلاح (٢).

كذا في المجمع، وفي الجامع برواية الطبراني عن أبي أمامة.

وفي حديث آخر: "لا تشغلوا قلوبكم بسب الملوك، ولكن تقربوا إلى الله بالدعاء لهم، يعطف الله قلوبهم عليكم.

كذا في الجامع برواية ابن النجار عن عائشة رضي الله عنها (٣).

وقال مكي بن إبراهيم: كنا عند ابن عون، فذكروا بلال بن أبي بردة، فجعلوا يلعنونه، ويقعون فيه، وابن عون ساكت، فقالوا: يا ابن عون! إنما نذكره لما ارتكب منك، فقال: إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة: " لا إله إلا الله" و"لعن الله فلاناً" فلأن يخرج من صحيفتي "لا إله إلا الله" أحبّ إليّ من أن يخرج منها "لعن الله فلاناً" (إحياء العلوم للغزالي) (٤).

ويُروى: أن رجلاً جعل يدعو على حجاج بن يوسف أمام رجل صالح، فقال له: لا تفعل، فإن ما يقع الآن إنما هو من نتائج أعمالك، وأخاف أن حجاجاً إذا عزل، أو يموت، يولّى عليك القردة والخنازير (٥).

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم:٣٣٥٨ عن جابر، وفيه أحمد بن البكر البالسي وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم: ١٦٠٦ والكبير برقم:١٥٨١٨ عن أبي أمامة قال الهيثمي ٢٥٢/٥: أخرجه الطبراني عن شيخه الحسين بن محمد بن مصعب الأسناني، لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات انتهى.

قلت: ليس في الأوسط شيخه الحسين بن محمد، وانما هو في الكبير، وأما في الأوسط فهو أحمد، وله شاهد عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: لا تدعوا على أئمتكم بالفساد، فإن صلاحهم صلاحكم، وفسادهم فسادكم، أورده صاحب كنز العمال، وعزاه للشيرازي في الألقاب.

(٣) عزاه صاحب كنز العمال إلى ابن النجار عن عائشة.

(٤) انظر إحياء العلوم ١٢٦/٣ كتاب اللسان الآفة الثامنة: اللعن.

(٥) قال المناوي في فيض القدير في شرح حديث "كما تكونوا يولى عليكم": روى الطبراني عن كعب

أما القول السائر: "أعمالكم عمالكم" فضرب المثل، وقيل: إنه حديث، والمعنى: أن ولاتكم يكونون بحسب أعمالكم.

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من اتقى الله، أهاب الله منه كل شيء، ومن لم يتق الله، أهابه الله من كل شيء"(١).

إنني لا أريد بذكر هذه الروايات استقصاءها، وإنما ذكرتها كشهادة على أن النكبات التي تطرق أبوابهم، وتلم بهم، ليست عفواً، بل إنهم هم الذين مهدوا لها الطريق، وفتحوا لها الأبواب، بحيدهم عن الصراط القويم، وانحرافهم عن دينهم، وأخلاقهم، وأعمالهم التي لا تتفق وشأنهم، وقد سبقت الإشارة في أقوال النبي ﷺ في كتب الحديث إلى أن المعاصي هي التي تجر الشقاء والنقمة من الله تعالى، وأن الأعمال الصالحة ذريعة للصلاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، كما جاء التصريح بأن المعصية إذا كانت من نوع كذا، تسبب النكبات والمصائب من نوعها أيضاً، وكذلك الطاعة الخاصة، تمهد الطرق إلى ما يشبهها من الأجر، والثواب.

إننا نشكو الحوادث، والنوازل، ولا نفكر أبداً فيما يجرّ هذه الحوادث إلينا، ويسبب تلك النوازل لنا، بل ونرجو على ذلك أن نكرم بالجوائز، ونعطى الأجر والثواب في الدنيا! وإذا أراد أحد أن ينصح لنا، وينبهنا على هذا الخطأ الذي يصدر منا، أخذناه بالعقوبة، وطردناه من المجتمع، فليس مثلنا إلا كمثل المريض الذي يشكو الآلام، والمرض، ولا يمتنع عما يسبب له الآلام ويزيدها، وكلما وصف له الطبيب ما يستعمله من الأدوية رفضها، وسفّهه!.

ومما يبعث الحيرة والاستغراب الشديدين: أننا نرى الناس لا يتلكؤون أبداً

الأحبار، أنه سمع رجلاً يدعو على الحجاج فقال: لا تفعل إنكم من أنفسكم أُتيتم انتهى

وقال العجلوني في كشف الخفاء برقم: ٤٢٧: أعمالكم عُمالكم قال النجم: لم أره حديثاً، وأقول: رواه الطبراني عن الحسن البصري: أنه سمع رجلاً يدعو على الحجاج فقال له: لا تفعل إنكم من أنفسكم أُتيتم، إنما نخاف إن عزل الحجاج أو مات، أن يتولى عليكم القردة، والخنازير، فقد روي أن أعمالكم عمالكم وكما تكونوا يولى عليكم انتهى.

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن واثلة بن الأسقع كما أورده السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالضعف، وعن عائشة مرفوعاً وموقوفاً: من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله، ومن أسخط الله برضا الناس، وكله الله إلى الناس، أخرجه ابن حبان برقم: ٢٧٧، وأورده الألباني في الصحيحة برقم: ٢٣١١ وقال: إن الرفع زيادة من ثقة، فيجب قبولها، ولا سيما وقد توبع شعبة على رفعه اهـ.

إذا نبهوا على خطر أو خوف أن يهتموا بإزالته، والابتعاد عنه، بكل ما يستطيعون من وسائل وإمكانيات، ولكن الناس أنفسهم لا يعيرون أهمية لكلام الرسول ﷺ، ولا يعتنون بالأخطار التي نبّه عليها، وصرّح بها في أقواله وأحاديثه، ولا يهتمون بما بيّن من النافع والضار من أعمال وأمور في الحياة، وذلك بالرغم مما ندعيه نحن المسلمين من حبّ الله، ورسوله، والفداء في سبيله!.

إذا نشر بلاغ رسمي من الحكومة ينصّ على أن إلقاء الخطاب إذا كان من نوع كذا جريمة يعاقب عليها المرء بسجن عشرة أعوام، يحذر كثير من الخطباء الأقوياء، والكُتاب الشجعان، من أن تبدر منهم كلمة يستحقون بها العقوبة، فيأخذون بالحيطة الدقيقة في كلامهم، أما إذا أعلن الملك الكبير، وصرّح الله سبحانه بتحريم الربا مثلاً، ويؤذن المرابين بالحرب، ويؤذن لمن آذى ولياً من أوليائه بالحرب أيضاً، ويلعن أصحاب الربا وشاربي الخمر، فكم من الناس يبالون بهذا البلاغ العظيم؟ ويفكرون فيما يصيبهم من النكباب والنوازل إذا لم يمتثلوا أمره؟!.

يجب أن يفكر كل إنسان فيما يقوم به نحو أوامر الله وأحكامه، إننا إذا كنا نرفض ما حرمه الله، ولا ننتهي عما نهى عنه، فلا بد من أن ننتظر عقاب الله، ونستعد لمحاربة الله، واحتمال لعنته، ومواجهة النكباب والشدائد التي تنزل بنا!

وقد يستشكل بعض الناس من الخاصة، فضلاً عن العامة، أن الحسنات والسيئات إذا كانت تحمل نفعاً وضراً للمسلمين، فما بالها ليست كذلك للكافرين؟ لأن النفع والضرر لا يتغيران بتغير الأشخاص والرجال، غير أننا نرى الكافرين ينعمون في الدنيا، ويتمتعون باللذات، والرفاهية، من غير أن يمسهم شيء من أضرار أعمالهم السيئة، بالعكس من المسلمين، ليسوا كذلك، وقد جرّ هذا الاستشكال بعض الجهال إلى إنكار النصوص، والأحاديث، واعتبروا مقياس النجاح، والسعادة في الدنيا، الأمور التي وجدوها في الكافرين، ولا شك أن منشأ هذا الإشكال، إنما هو الجهل بتعاليم الإسلام، والإعراض عنها، فلم يترك النبي ﷺ في أحاديثه أي مدخل للشك، والارتياب، ولكن الغفلة بلغت بنا إلى حيث لا نفهم فيه الحقيقة.

ورد في الحديث الشريف: "إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى عليها في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا، حتىٰ إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا".

كذا في الجامع الصغير برواية مسلم وأحمد عن أنس(١) ورقم له بالصحة.

وفي رواية أخرى: "إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه، حتى يوافي به يوم القيامة".

كذا في الجامع برواية أنس، وعبد الله بن مغفل، وعمار بن ياسر، وأبي هريرة، وعزاهم إلى المخرجين، ورقم له بالصحة (٢).

وقد وردت روايات عديدة في معنى: أن الله سبحانه يعجل للكافر مثوبة أعماله الحسنة في الدنيا، وبما أنه لا ينال في الآخرة أي ثواب وأجر، يجزى على حسناته التي تصدر منه في الدنيا، ويعيش في هناء، ورفاهية، أكثر الأحيان، أما المؤمن فإن مركز جزائه ومثوبته هي الآخرة، فيكفّر الله عن سيئاته في الدنيا بابتلائه في الشدة والضيق، وكلما زادت سيئاته، وكثرت معصيته، زاد شقاء في الدنيا، يقول النبي ﷺ: "أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة"(رواه أبو داود) (٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين برقم: ٢٨٠٨ وابن حبان برقم: ٣٧٧ وأحمد برقم: ١٢٢٣٧ عن أنس.

(٢) حديث أنس أخرجه الترمذي برقم: ٢٣٩٦ كتاب الزهد باب في الصبر على البلاء وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وحديث عبد الله بن مغفل أخرجه أحمد برقم: ١٦٨٠٦ قال محققوه: صحيح لغيره، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٩٤: ورجال أحمد رجال الصحيح.

وأما حديث عمار بن ياسر فقد عزاه الهيثمي في المجمع ١٠/١٩٥ إلى الطبراني وقال: إسناده جيد.

وأما حديث أبي هريرة فقد عزاه صاحب الجامع الصغير إلى ابن عدي في الكامل، وكذلك صاحب كنز العمال، ولم أستطع العثور عليه، ثم وجدته في ترجمة علي بن ظبيان ج٥/١٨٨

و قد أخرج البخاري في صحيحه عنه رقم: ٥٦٤٥ في المرضى حديث: من يرد الله به خيراً يصب منه.

وله شاهد من حديث أبي تميمة الهجيمي عند الطبراني في الأوسط برقم: ٥٣١٥، بلفظ: إن الله عزوجل إذا أراد بعبد خيراً، عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا، وربنا تبارك وتعالى أكرم من أن يعاقب بذنب مرتين، انتهى. وفي الحديث قصة قال الهيثمي ٦/٢٦٨ –٢٦٩: فيه هشام بن لاحق، ترك أحمد حديثه، وضعفه ابن حبان، وقال الذهبي: قواه النسائي، ولهذا الحديث طرق في مواضعها انتهى قوله.

وله شاهد عن ابن عباس عند الطبراني في الكبير برقم: ١١٨٤٢ قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيل وجهه دماً فقال: يا رسول الله إني اتبعت امرأة، فلقيني رجل، فصنع بي ما ترى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عزوجل إذا أراد بعبد خيراً عجل عقوبة ذنبه في الدنيا وإذا أراد بعبد شراً، أمسك عليه بذنبه، حتى يوافيه يوم القيامة كأنه عير.

(٣) أخرجه أبو داود برقم: ٤٢٧٨ والحاكم في المستدرك ج/٤، ص: ٤٩١ برقم ١٠/٨٣٧٢ وصححه،

وهنا يشكل على بعض دارسي التاريخ أن بعض الأمم الماضية لم تؤخذ بالعقاب ما دامت مصابة بالمعاصي، ومنطلقة عن حدود الدين، ولكنها لما امتنعت عن المعاصي، والمنكرات، وتابت إلى الله، أخذت بالعذاب، فما السبب في ذلك؟

والجواب هو: ما أسلفنا في السطور الماضية، وقد يجاب عليه أيضاً بأنها خرجت عن حظيرة الدين، ومسّت حدود الكفر، واستغنت عن الله، فاستغنى الله عنها كذلك، ولكنها حينما اهتدت، وثابت إلى الرشد، والصواب، ابتلاها في الدنيا تكفيراً عن سيئاتها، ووقاية لها من عذاب الآخرة، شأن المرض الذي يتعدى حدود الجراحية، فلا تجري عليه عملية الجراحية، ولكن الطبيب إذا رجا أن الجراحية تنفع المريض يقوم بها.

انظر إلى معيشة النبي ﷺ واستغنائه عن الدنيا، يتحدث عنها عمر رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، ومتكئاً على وسادة من أدم، حشوها ليف، فرفعت بصري في بيته، فو الله ما رأيت فيه شيئاً يردّ البصر، غير أهبة ثلاثة، فقلت: يا رسول الله! ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارساً والروم قد وسع عليهم، وأُعطوا من الدنيا، وهم لا يعبدون الله! فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً، فقال: "أو في ذلك أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا" فقلت: يا رسول الله استغفر لي (رواه البخاري) (١).

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "يقول الله: لولا أن يجزع عبدي المؤمن لعصبت الكافر عصابة من حديد،

ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد برقم ١٩٦٧٧ عن أبي موسى الأشعري، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١/٣٨–٣٩ من طرق عن أبي موسى، ثم قال: والخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة، وأن قوماً يعذبون، ثم يخرجون أكثر وأبين، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد: هذا يدل على أن البخاري رحمه الله أضاف إلى اضطراب السند نقد المتن، وأنه مخالف للأحاديث الصحيحة التي تكاد تكون متواترة بأن أناساً من أمة محمد يدخلون النار، ثم يخرجون عنها بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم انتهى.

قلت: إن صحّ الخبر فلا تعارض بينهما ولكن الأمر منوط بالصحة.

(١) أخرجه البخاري في المظالم في حديث طويل عن ابن عباس عن عمر برقم: ٢٤٦٨.

فلا يشتكي شيئاً، ولصبيت عليه الدنيا صباً " (١).

وذلك كله لأن الدنيا لا تعدل جناح بعوضة عند الله، فقد قال النبي ﷺ: "لو كانت الدنيا تعدل جناح بعوضة عند الله، ما سقى كافراً منها شربة ماء"(٢).

وفي حديث آخر: عن جابر أن رسول الله ﷺ مر بجدي أسكّ ميت، قال: "أيكم يحبّ أن هذا له بدرهم؟" فقالوا: ما نحبّ أنه لنا بشيء! قال: "فو الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم" (٣).

في هذه الأحاديث دليل على أن الدنيا لا قيمة لها عند الله تعالى، وأن الكفار لا يبتغون إلا الدنيا وحدها، فيجزيهم الله على ما يصدر منهم من بعض الحسنات في دنياهم، والمسلم المؤمن يستحق ثواب الآخرة، ومهما كان مبتلى بالمعاصي، والسيئات، لابد له من أن ينال ثواب الآخرة، ويتمتع بنعيم الجنة، بعد ما يجتاز مراحل العقوبة في الدنيا، ويقاسي فيها من آلام ومحن، وذلك هو مايشر له بالخير في الآخرة، كما جاء في الحديث:

عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: "إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج" ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] (رواه أحمد) (٤).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور معزوا إلى ابن مردويه في تفسير الآية ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن﴾ وقد جاء فيه عقب هذا الحديث: قال ابن عباس: قد أنزل الله شبه ذلك في كتابه في قوله "ولولا أن يكون الناس"

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد برقم: ٢٣٢٠ عن سهل بن سعد الساعدي وقال: حديث صحيح غريب من هذا الوجه، وابن ماجه برقم: ٤١١٠ في الزهد، والحاكم ج ٤ ص: ٣٤١-٣٤٢ برقم ٤/٧٨٤٧ ولفظهما متقارب قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة فرأى شاة شائلة برجلها، فقال: أترون هذه الشاة هينة على صاحبها؟ قالوا: نعم! قال: والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بأن زكريا بن منظور ضعفوه.

وأخرجه ابن عساكر ج/ ٥٥ ص: ٧٨ في ترجمة محمد بن إسماعيل بن محمد بن سلام الخشني عن أبي هريرة، قال السخاوي في المقاصد وتبعه العجلوني في كشف الخفاء: لو صح الحديث لكان موجهاً، وأخرجه القضاعي عن ابن عمر، وأشار الترمذي إلى أنه مروي عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم في الزهد برقم: ٢٩٥٧.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ١٧٣١١ والطبراني في الأوسط برقم: ٩٢٧٢، وإسناده ضعيف من

وجاء في حديث آخر:

عن كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تفيئها الرياح، تصرعها مرة، وتعدلها أخرى، حتى يأتي أجله، ومثل المنافق كمثل الأَرْزَة المُجْذية التي لا يصيبها شيء، حتى يكون انجعافها مرة واحدة " (متفق عليه) (١).

وهناك نصوص كثيرة كلها تدل على أن السبب في سعادة الكافر في الدنيا إنما هو الإملاء من الله سبحانه وتعالى، وجزاء لأعمالهم الحسنة في الدنيا، فكل كافر يقوم بالعمل الطيب يجزى على ما فعل، ولا يؤاخذ على كفره في الدنيا.

أما المسلم فلا يترك حتى في الصغائر، من ذنوبه، إلا ويؤاخذه عليه، فكلما زاد المسلمون ذنوباً ومعاصي، تحيط بهم النكبات، والمشكلات، فلا سبيل لنجاتهم منها إلا أن يجتنبوا الذنوب، والسيئات من الأعمال، ويأمروا غيرهم بذلك، يقول النبي ﷺ: "لا يزال البلاء بالمؤمن، والمؤمنة في نفسه، وماله، وولده، حتى يلقى الله وماعليه من خطيئة.

(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح) (٢).

وأيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله بعبده الخير، عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه، حتى يوافيه به يوم القيامة"، (رواه الترمذي) (٣).

أما الكفار فإنما يعاقبون في الدنيا بكثرة ظلمهم، أو إسرافهم، في الفسق والفجور، أو اعتدائهم على الأنبياء، فإذا فعلوا لا يملي لهم الله، بل يعجل لهم

أجل رشدين بن سعد، وإسناد الطبراني أيضاً ضعيف، من أجل شيخه الوليد بن العباس، لكن أخرجه الطبري في التفسير تحت هذه الآية من طريق حجاج بن سليمان الرعيني الذي تابع رشدين في روايته عن حرملة بن عمران عن عقبة بن مسلم عن عقبة رضي الله عنه، وأخرجه أيضاً من طريق ابن لهيعة الذي تابع حرملة في روايته عن عقبة بن مسلم، ونظراً إلى ذلك حسّنه العراقي، وتبعه السيوطي في الجامع الصغير كما في فيض القدير للمناوي.

(١) أخرجه البخاري برقم: ٥٦٤٣ في كتاب المرضى ومسلم برقم: ٢٨١٠ عن كعب بن مالك، وله شاهد عن أبي هريرة عند مسلم بهذا الموضع.

(٢) أخرج الترمذي في الزهد باب: ما جاء في الصبر على البلاء برقم: ٢٣٩٩ عن أبي هريرة وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي برقم: ٢٣٩٦ في الزهد باب: ما جاء في الصبر على البلاء وقد تقدم الكلام عليه مفصلاً.

العقوبة التي تعم غيرهم، وقصص الأمم البائدة التي ذكرها القرآن كلها شاهد عدل على ذلك، كما أن تاريخ انقراض الدول يدل على أن الظلم حيثما كثر وتعدى الحدود، نصر الله المظلوم، وأيده بالروح، والملائكة، ويستجيب دعاءه، ولو كان كافراً، ولذلك فإن الحكام، والأمراء، والوزراء، والأغنياء، الذين يظلمون الناس، لا يظلمونهم، وإنما يظلمون أنفسهم، ويمهدون الطريق لشقائهم، سواء كان ذلك ظلماً اجتماعياً، أو فردياً، فإذا أخذهم الله بالويل والنقمة، لا يجدون ملجأ يلجؤون إليه، وما قصة هلاك الأمم وانحطاط الدول إلا تفصيلاً لهذا العنوان.

وهنا لابد من تنبيه، وهو: أن الله سبحانه خالق الأسباب، وقد فرق بين المؤمن والكافر في تأثير هذه الأسباب، فلا ينبغي أن نعتقد أن الذي ينفع الكفار ينفع المؤمن، وأن ما يضره يضر المؤمن أيضاً، فإن مثل هذا الاعتقاد جهل بالدين، وعدم وقوف على كلام الله ورسوله.

ومن ثم يجب أن نفهم جيداً أن المركز الأصيل لعقوبة الكفار هي الآخرة، وقد يظهر شيء منها في الدنيا نظراً إلى بعض المصالح، أما الحسنة التي يؤدونها، والأعمال الطيبة التي يقومون بها، فلا بد من أن يلقوا جزاءها من الله رب العالمين في هذه الدنيا، وذلك لأنهم لا يؤمنون بالآخرة فكيف يترقبونها؟ وبم يعللون تأخير الجزاء؟ ومن المعقول أن ينالوا عقوبة إنكار الآخرة في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٠].

وأسوق هنا عدة آيات من القرآن الكريم مما يوضح الموضوع:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [سورة البقرة: ٨٦].

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [سورة البقرة٢٠].

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالَّذِينَ

اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة٢١٢].

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [سورة النساء: ٧٧].

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٢].

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [سورة الأنعام: ٧٠].

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٧].

﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة التوبة: ٣٨].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود: ١٥-١٦].

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [سورة الرعد: ٢٦].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا، كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [سورة الإسراء: ١٨-٢٠].

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [سورة طه: ١٣١].

﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [سورة القصص: ٦١].

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [سورة القصص: ٧٩-٨٠].

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص : ٨٣].

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الفاطر : ٥].

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [سورة الشورى : ٢٠].

وهناك آيات كثيرة أخرى تتضمن معنى أن غاية الكفّار والمشركين من حياتهم ، إنما هي الحياة الدنيا فحسب ، وأن منافع الدنيا وجدها تنال اهتمامهم ، وإعجابهم ، بل إنهم لا يؤمنون بالآخرة ، والذين يؤمنون منهم بالآخرة ، لا يستوفون شروط الإيمان بها ، ولذلك فإن رضي الله يبعض أعمالهم الحسنة ، يجزيهم بها في دنياهم.

سئل ابن عباس رضي الله عنه عن تفسير الآية : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فقال : إن الله تعالى يستوفي جزاء أعمالهم بصحة أبدانهم ، وإدخال السرور إلى أنفسهم ، بزيادة الأولاد والأموال (١).

وإلى ذلك تشير الآية الواردة في سورة بني إسرائيل : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ يعني : أن الله تعالى يعطي من يشاء ما يشاء.

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه في ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ [هود : ١٥] قال : يؤتون ثواب ما عملوا في الدنيا ، وليس لهم في الآخرة من شيء (٢).

وعن قتادة رضي الله عنه في : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ يقول : من كانت الدنيا همّه ، وسَدَمه (٣) ، وطلبته ونيته ، وحاجته ، جازاه الله

(١) أخرج الطبري في تفسيره عن ابن عباس في قوله : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) الآية ، قال : هي ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم ، وذلك : أنهم لا يظلمون نقيرًا. يقول : من عمل صالحًا التماس الدنيا : صومًا أو صلاةً أو تهجدًا بالليل ، لا يعمله إلا لالتماس الدنيا يقول الله : أوفّيه الذي التمس في الدنيا من المثوبة ، وحبط عمله الذي كان يعملُ التماس الدنيا ، وهو في الآخرة من الخاسرين.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره.

(٣) هو مصدر سدم يسدم من باب فرح ، سدم فلان : أصابه هم ، أو غيظ مع حزن ، وسدم بالشيء : حرص عليه ، ولهج به ، فهو سادم وسدم (المعجم الوسيط)

بحسناته في الدنيا ، ثم يُفضي إلى الآخرة ، ليس فيها حسنة ، وأما المؤمن فيجا زى بحسناته في الدنيا ، ويثاب عليها في الآخرة (١).

وعن مجاهد رضي الله عنه في : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قال : من عمل لدنيا لا يريد به الله ، وفّاه الله ذلك العمل في الدنيا أجر ما عمل (٢).

وعن ميمون بن مهران رضي الله عنه قال : من كان يريد أن يعلم ما منزلته عند الله ، فلينظر في عمله ، فإنه قادم على عمله كائنا ما كان ، ولا عمل مؤمن ولا كافر من عمل صالح إلا جزاه الله به ، فأما المؤمن فيجزيه في الدنيا والآخرة بما شاء ، وأما الكافر فيجزيه في الدنيا (الدر المنثور) (٣).

وقد ورد في تفسير الآية : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة : ٧-٨].

عن محمد بن كعب قال : من يعمل مثقال ذرة من خير من كافر ، يرى ثوابها في الدنيا ، في نفسه ، وأهله ، وماله ، وولده ، حتى يخرج من الدنيا وليس عنده خير ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً من مؤمن ، يرى عقوبته في الدنيا ، في نفسه ، وأهله ، وماله ، وولده ، حتى يخرج من الدنيا ، وليس عليه شيء (٤).

وعلى ذلك يقول النبي ﷺ : "أمتي هذه مرموحة ، ليس عليها عذاب في الآخرة ، إنما عذابها في الدنيا : الفتن ، والزلازل ، والقتل ، والبلايا" (كذا في الجامع الصغير ، ورقم له بالصحة) (٥).

كل هذه الروايات دالة على أن هذه الأمة تؤاخذ على خطاياها في هذه الدنيا ، رحمة عليها ، وكفارة من ذنوبها ، فإن لم تكن قد أصيبت بالبلايا على كثرة ذنوبها وآثامها ، لكان ذلك نذير خطر كبير بالنظر إلى معادها ومصيرها ، فالعلاج الوحيد لتوقي هذه الأمة المحمدية من المصائب ، والحوادث ، ومواجهة النكبات ، والخسائر ، إنما هو تركيز عنايتها بالاحتراس من المعاصي ، فإذا ما

(١) أخرجه الطبري

(٢) أخرجه الطبري

(٣) أورده السيوطي في الدر معزوا إلى أبي الشيخ

(٤) أخرجه الطبري في تفسير هذه الآية

(٥) أخرجه أبو داود في الفتن برقم : ٤٢٧٨ عن أبي موسى مرفوعاً والحاكم ٤٩١/٤ برقم : ٨٠/٨٣٧٢ وصححه ووافقه الذهبي.

صدر منها شيء من الذنوب تندم عليه، وتستغفر الله منه، وتتوب إليه، أما أن ترتع في مراتع الذنوب، والمعاصي، وترجو السلامة من كل غضبة من الله، فلا يكون ذلك، ولن يكون!.

وما دام المسلم يتظاهر بالإسلام، ويرتكب المعاصي، لا ينهض، ولا يعز، ولكنه إذا انقلب كافراً، وقطع صلته بالإسلام، يستطيع أن يتدرج في الدنيا إلى مدارج العز، والرفاهية، وينال فيها جزاء كل الحسنات التي يقوم بها.

فعن سلمان بن عامر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله ! إن أبي كان يصل الرحم، ويفي بالذمة، ويكرم الضيف، قال: "ومات قبل الإسلام؟" قال: نعم! قال: "لن ينفعه ذلك، ولكنها تكون في عقبه، فلن تخزوا أبداً، ولن تذلوا أبداً، ولن تفتقروا أبداً" (١).

هذا الحديث يردّ على سؤال: أن الكافر بالرغم من سوء أعماله يعيش في الدنيا في بحبوحة من العيش والراحة! لأن والديه قد خلفا له ثمار أعمالهما الطيبة، ولا شك في أن هناك نصوصاً كثيرة من الكتاب والسنة، تدل على أن مبدأ التقدم، والرفاهية، ليس أمراً مشاعاً بين الكافر والمسلم، وقد يشاركان في بعض الأمور.

أما مقياس التقدم للمسلمين، فإنما هو تنفيذ الدين كله، والاحتراس من المعاصي، فكلما كثرت المعاصي، كثرت البلايا، والنوازل، ولا ينبغي أن نقيس حياتنا على حياة الكفار الذين لا يصابون بالبلايا رغم صدور السيئات والمنكرات منهم، بل إنهم يتقدمون في جميع مراحل الحياة، كما لا ينبغي أن نأمن كل بلية، ونازلة، لأننا إذا فعلنا ذلك تكون قد نادتنا المصائب، أو استحققنا الاستدراج الذي لا تتأخر نقمته، كما سبق أولاً.

(١) ما وجدت هذه الحديث لكن وجدت في هذا الباب حديث عدي بن حاتم الطائي أخرجه أحمد في المسند برقم: ١٨٣٦٢ قال: قلت: يا رسول الله! إن أبي كان يصل الرحم، ويفعل كذا وكذا، قال: إن أباك أراد أمرا فأدركه يعني الذكر. الحديث، قال محققو المسند: هذا الجزء من الحديث حسن، وأخرج مسلم برقم: ٣١٤ وأحمد في المسند برقم: ٢٤٦٢١ عن عائشة قال: قلت: يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المساكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: لا يا عائشة! إنه لم يقل يوماً: رب اغفرلي خطيئتي يوم الدين.
ثم وجدته في كنز العمال برقم: ١٦٤٨٩ ورمز هكذا (البغوي طب ص)

ولذلك فإن ارتجاء المسلمين السعادة مع اقتراف السيئات، والمعاصي يرادف حرمانهم إياها، كما أن النظر إلى الكفار، واقتفاء خطاهم طمعاً في المنافع، وحرصاً على الرفاهية التي يتمتعون بها، ليس ما يسمى بالوقاحة فقط، بل إنه يمهد الطريق إلى الخيبة، والإخفاق.

كان من عادة الفُرس والروم في الحروب أن الفريق الغالب كان يقطع أعناق رؤساء الفريق المغلوب، ويحمل رؤوسهم إلى الأمير والحاكم تظاهراً بالفخر، والغلبة، فلما تحارب المسلمون في عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وانتصروا على أعدائهم، فعلوا معهم مثل ما كانوا يفعلون، وحملوا رأس أحد البطارقة الرومية مع عقبة بن عامر رضي الله عنه إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فلما بلغه أنكر ذلك أشد إنكار، فقال له عقبة بن عامر: إنهم يصنعون بنا! فقال: أتستنون بفارس والروم؟ لا يحمل إليّ رأس، إنما يكفي الكتاب والخبر (١).

ولو أن الفقهاء أجازوا ذلك نظراً إلى بعض النصوص، ولكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لم يرض، وكره الاستدلال بالفرس والروم.

وعن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام، وأبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة، وعمر على ناقة له، فنزل عنها، وخلع خفيه، فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أأنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك، وتضعهما على عاتقك، فأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة! ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك! فقال عمر:

أوه! لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به، أذلنا (٢).

الحقيقة أن العز الحقيقي هو ما يمنحه الله، ومن أكرمه الله بعزه، لا يبالي بذلة الدنيا وأهلها.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/١٣٢ طبعة دائرة المعارف ١٣٤٤
(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج/٧ ص: ٦٠ فتح بيت المقدس على يدي عمر مكتبة المعارف بيروت، وقد أخرجه الحاكم ج/١ ص: ١٣٠ برقم: ٢٠٧ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

وقد جاء في الحديث ما معناه: إن من يطلب العزّة في الناس بمعصية الله، ينقلب مادحوه ذامين له (١).

فلم يعد للمسلمين طريق نحو السعادة، والتقدم، والعزة، ولم يبق لهم طريق لتحقيق غايتهم من الحياة، إلا الحصول على رضا الله، والعمل بمرضاته، ومن العجب العجاب، أن ينطلق المسلمون إلى تقليد الكفار والمشركين، والأكل من فتات موائدهم، ليحققوا لهم بعض النفع، تاركين كتاب الله وسنة رسوله اللذين يفيضان نوراً، وهداية، ويدعوانهم إلى كل خير، وتقدم، وسعادة.

أ ليس هذا وقاحة ومقاطعة لله ولرسوله؟ إن مثلهم في ذلك كمثل المريض الذي يعيش مع طبيب كبير يُعتبر مرجع الناس، ويقصده المرضى من كل مكان، ولكنه لا يراجع الطبيب في أمره، بل يعتمد على متطبب متطفل لا يؤمّه المرضى، ولا يشفيهم بعلاجه.

عن جابر رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال: يا رسول الله! هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ، فوجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلت الثواكل! ما ترى بوجه رسول الله ﷺ؟ فنظر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بالله من غضب الله، ورسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده! لو بدا لكم موسى فاتبعتموه، وتركتموني، لضللتم

(١) أخرجه البزار في مسنده عن عائشة رضي الله عنها كما في كشف الأستار برقم: ٣٥٦٨ ٢١٨/٤ كتاب الزهد ولفظه: قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده له ذاماً، قال البزار: لا نعلم أحداً أسنده إلا قطبة عن أبيه، ورواه غيره عن هشام عن أبيه موقوفاً قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٨/١٠: رواه البزار من طريقة قطبة بن العلاء عن أبيه، وكلاهما ضعيف انتهى.

قلت أخرج الترمذي في الزهد برقم: ٢٤١٤ وبعده عن عائشة موقوفاً ومرفوعاً في قصة: من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس انتهى والموقوف أصح إسناداً.

وأخرج الطبراني في الكبير برقم: ١١٦٩٦ ج/١١ ص: ٢٦٨ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه، وأسخط عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضى الله في سخط الناس، رضي الله عنه، وأرضى عنه من أسخطه في رضاه، حتى يزينه، ويزين قوله وعمله في عينه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٧/١٠: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير يحيى ابن سليمان الحفري، وقد وثقه الذهبي في آخر ترجمة يحيى بن سليمان الجعفي انتهى.

عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني" (١).

لقد كان غضب النبي ﷺ حقاً، لأن المسلم ما لم يكن محيطاً بالكتاب والسنة، وما فيهما من أحكام، ونصوص، لا يستطيع أن يستفيد من كتاب اختلط فيه الباطل مع الحق، أما من كان عنده علم كاف بالدين، وهو يميز الحق عن الباطل، فلا بأس عليه أن يقرأ كتاباً ليس فيه حق محض، لأنه لا يكاد يضل الطريق السوي، عنده علم من الكتاب والسنة، والتوراة عند ما كان فيها من الأحكام ما نسخ، وتناوله اليهود بالتحريف، أبدى النبي ﷺ غضبه على قراءته، خوفاً من أنْ يلتبس الأمر، ويؤدي إلى الضلال.

وقال ابن سيرين رضي الله عنه: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم (٢).

وعلى ذلك شدد العلماء والمشايخ النهيَ عن صحبة رجال لا تستقيم سيرتهم الدينية، وعن استماع خطبهم، وقراءة كتاباتهم، لكي يُتقى تأثيرهم السيئ.

وما جاء في المثل: "انظروا إلى ما قال، ولاتنظروا إلى من قال" فهو صحيح، يؤيد الذي جاء في الحديث بألفاظ مختلفة: "الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها" (٣).

(١) أخرجه أحمد برقم: ١٥١٥٦ والدارمي برقم: ٤٣٥ في المقدمة باب ما يتقى من تفسير حديث النبي وهذا لفظه، وفي إسناده مجالد.

وله شاهد من حديث عبد الله بن ثابت عند أحمد ج/٣ ص: ٤٧٠ ولفظه: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي فقال: يا رسول الله! إني مررت بأخ لي من قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله: قلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله؟ فقال عمر، رضينا بالله رباً، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولاً، قال: فسري عن النبي، ثم قال: والذي نفسي بيده لوأصبح فيكم موسى، ثم اتبعتموه، وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين، وفي إسناده جابر الجعفي.

وقد أورد له الهيثمي شاهداً عن عمر برواية أبي يعلى، وقال: فيه عبد الرحمن بن إسحاق، ضعفه أحمد وجماعة، وشاهداً عن أبي الدرداء معزوا إلى المعجم الكبير، وقال: فيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي، ولم أعرف من ترجمه، وباقي رجاله موثقون ١٧٨/١– ١٧٩. فلعل الحديث يرقى الى درجة الحسن إن شاء الله.

وقد استوعب الحافظ رحمه الله في فتح الباري كتاب التوحيد باب قوله: بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ، طرق هذا الحديث ثم قال: وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به، لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً انتهى.

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه برقم: ٢٦.

(٣) أخرجه الترمذي في العلم برقم: ٢٦٨٧ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

لكن ذلك لا يتأتى ما لم يكن المرء يتمتع بالتمييز بين الحق والباطل، ويكون ناضج العقل خبيراً بقواعد الدين، حتى يستطيع أن يقول: هذا حق، وهذا باطل، هذا صواب، وذاك معارض للكتاب والسنة.

والواقع: أن صلاح المسلمين ونجاحهم ليس إلا في اتباع الدين كاملاً واقتداء أسوة الرسول ﷺ وسيرة السلف الصالحين، مهما شوه المشوهون صورة الإسلام، ورماه الكفار والمشركون بالرهبنة والتعصب، والتاريخ الإسلامي الناصع الذي لا غبار عليه البتة يشير إلى أن الإسلام هو الذي أنقذ العالم من حيرة الضلال، والانهيار، وأضفى عليه حياة جديدة، وقداسة، وطهراً، وأن المسلمين هم الذين حاربوا التقاليد الباطلة، والعادات الوحشية، وأعادوا كل شيء إلى نصابه، وملأوا العالم خيراً، وعدلاً، واستقامة، ومعرفة بالحقوق، فلم يكن يوجد من يرتكب السيئات، ويخالف القوانين الإسلامية العادلة، حتى قالوا: لم يكن أحد يترك الصلاة إلا منافق ظاهر نفاقه، وكلما حزبهم أمر، أو مصيبة فزعوا إلى الصلاة.

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا هبّت ريح عاصفة فزع النبي ﷺ إلى الصلاة، ودخل المسجد، ولم يخرج ما لم تنته، وقد تحدّث عديد من الصحابة رضي الله عنهم بطرق مختلفة عن عادة الرسول ﷺ هذه، وفزعه إلى الصلاة كلما حزبه أمر(١).

كما روى أحد الصحابة عن النبي ﷺ: أن الأنبياء السابقين كانوا يفعلون ذلك (٢).

وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي ضعيف في الحديث من قبل حفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم: ٤١٦٩ في الزهد كلاهما عن أبي هريرة، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤٣/٥٨ في ترجمة محمد بن محمد بن عيسى أبي الفضل الإسفرائيني عن علي رضي الله عنه مرفوعاً.

وقال السخاوي في المقاصد: قد رواه العسكري من حديث عنبسة بن عبد الرحمن بن شبيب بن بشير عن أنس رفعه: العلم ضالة المؤمن، حيث وجده أخذه، ثم ذكر السخاوي له شواهد أخرى من المرفوع، والموقوف، والمقطوع، ورمز له السيوطي بالحسن كما قال المناوي في الفيض.

(١) أخرج الطبري في تفسيره ٢٩٨/١ برقم: ٨٤٩ عن حذيفة رضي الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وأخرجه أبو داود أيضاً إلا أن لفظه: كان إذا حزبه أمر صلى.

(٢) أخرجه أحمد برقم: ١٨٩٣٧، وابن أبي شيبة في المصنف ٣١٩/١٠ عن صهيب رضي الله عنه مرفوعاً في قصة حكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنبي جاء فيه: فتوضأ وصلى، وكانوا يفزعون إلى الصلاة.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتبعون النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك أيضاً، وقد كانت الصلاة تحتل عندهم مكاناً رفيعاً جداً، حتى إن سهام الأعداء ما كانت تقطع صلاتهم، وما كانوا يسمعون صوت الأذان إلا ويتركون تجارتهم وأعمالهم، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجّه تعليمات عن الصلاة إلى عماله، وولاة أمور الحكم في عهده، وأخبرهم بأن الصلاة أهم شيء عندي، فمن حافظ عليها حافظ على الدين كله، ومن أضاعها أضاع الدين كله (١).

وعند ما بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى أهل الردة، أمره بأن يقاتلهم على خمس خصال، فمن ترك واحدة من الخمس قاتله: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت (٢).

ولما بعث عمر عتبة بن غزوان لقتال الفرس أوصاه بالتقوى فقال: اتق الله ما استطعت، واحكم بالعدل، وصلّ الصلاة لميقاتها، وأكثر ذكر الله (٣).

كانت وقعة أجنادين الشهيرة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حارب فيها المسلمون ضد الروم، فلما تراءى العسكران بعث قائد الروم رجلاً عربياً - كعين له - فقال له: ادخل في هؤلاء القوم، فأقم فيهم يوماً وليلة، ثم ائتني بخبرهم، فدخل في الناس رجل عربي لا ينكر عليه، فأقام فيهم يوماً وليلة، ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ فقال له:

بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم، لقطعوا يده، ولو زنى لرُجم، لإقامة الحق فيهم (٤).

وقد وردت في كتب الحديث قصة امرأة مخزومية سرقت في عهد رسول

---

(١) أخرجه مالك برقم: ٦ في الموطأ عن نافع: أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله: إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها، وحافظ عليها، حفظ دينه، ومن ضيعها، فهو لما سواها أضيع انتهى، وهو منقطع، نافع لم يسمع من عمر، قال ابن عبد البر في الاستذكار: رواه عبيد الله بن عمر عن نافع عن صفية بنت أبي عبيد أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله فذكر مثله.

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٨٧/١٨ في ترجمة خالد بن الوليد.

(٣) ذكره بأطول منها ابن الأثير في الكامل ٤٨٦/٢ ذكر ولاية عتبة بن غزوان البصرة، والطبري في تاريخه ج/٢، ص: ٤٣٩ ذكر بناء البصرة الطبعة الثانية دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٤) انظر البداية والنهاية ج/٧ ص: ٧ وقعة اليرموك، والكامل ج/٢، ص: ٤١٧، ذكر وقعة أجنادين، و تاريخ الطبري ج/٢، ص: ٣٤٧، خبر اليرموك.

الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، فلما كلّمه أسامة بن زيد فيها، تلوّن وجه رسول الله ﷺ فقال: "أتكلمني في حدّ من حدود الله"؟! قال أسامة: استغفر الله لي! فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال:

"أما بعد! فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (١).

هذا وتزخر كتب الحديث بمثل هذه القصص التي تملأ قلوب الكفار رعباً ودهشة من المسلمين، كما أن القائد الرومي حينما سمع مقالة الرجل العربي الذي بعثه عيناً إلى جيوش المسلمين، قال: لئن كنت صدقتني، لبطن الأرض خير من لقائهم على ظهرها.

أسر المسلمون رومياً، فانفلت من إساره، وفرّ، فلما وصل إلى هرقل، سأله عن خبر المسلمين وقال له: أخبرني عن أحوالهم بما تتمثل لي سيرتهم تماماً، فقال له: إنهم رهبان بالليل، وفرسان بالنهار، ولا يأخذون من أهل الذمة شيئاً بغير مقابل، يلتقون فيها بينهم بالسلام، فقال هرقل: إن كنت صادقاً فيما تقول، فإنهم سيملكون موضع قدمي هاتين (٢).

وكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي بكر رضي الله عنه يخبره بما جرى في حرب أنطاكية: "أما بعد! فإن هرقل ملك الروم لما بلغ مسيرنا إليه، ألقى الله الرعب في قلبه، فتحول، ونزل أنطاكية".

---

(١) أخرجه البخاري في الحدود باب كراهية الشفاعة في الحد، إذا رفع إلى السلطان برقم: ٦٧٨٨، ومسلم أيضاً في الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره برقم: ١٦٨٨ وأبو داود في الحدود برقم: ٤٣٧٣، والترمذي في الحدود برقم: ١٤٣٠ والنسائي في قطع السارق برقم: ٤٩٠٣ وابن ماجه في الحدود برقم: ٢٥٤٧ كلهم عن عائشة رضي الله عنها، وفي الباب عن مسعود بن الأسود أخرجه ابن ماجه بعد ذلك.

(٢) انظر مثل هذا الوصف في البداية والنهاية ١٥/٧ وقعة اليرموك، ثم وجدت نفس الخبر في البداية والنهاية ٥٣/٧، وقعة قنسرين ولفظه: ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية، واستقر بها ملكه، وقد سأل رجلاً ممن اتبعه كان قد أسر مع المسلمين، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على ما حاربوه حتى يأتوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين.

وكتب أبو بكر رضي الله عنه إليه بهذا الكتاب:

"أما بعد! فقد بلغني كتابك تذكر فيه تحوّل ملك الروم إلى أنطاكية، وإلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين، فإن الله تبارك وتعالى - وله الحمد - قد نصرنا ونحن مع رسول الله ﷺ بالرعب، وأيدنا بملائكته الكرام، وإن ذلك الدين نصرنا الله فيه بالرعب، هو هذا الدين الذي ندعو الناس إليه اليوم"(١).

لقد كان جيش هرقل كثيفاً بإزاء جيش المسلمين، وأخبر بذلك عمرو بن العاص أبا بكر رضي الله عنهما، فكتب إليه:

"إنكم لا تُغلبون بقلة عددكم، وإنما تُغلبون بالمعاصي على كثرة عددكم، فاحترسوا منها"(٢).

وذلك ما جعل المسلمين غالبين على كل شيء من البر والبحر، والحيوانات من السباع، والطيور، عدا الإنسان، ويزخر التاريخ بقصص انتصاراتهم التي تحوج إلى أسفار.

ذات مرة احتاج المسلمون إلى نصب معسكرهم في إحدى غابات إفريقيا التي كانت تموج بالسباع، والحشرات السامة، فوصل عقبة بن عامر قائد الجيش إلى ناحية ببعض أصحاب رسول الله ﷺ، وأعلن قائلا: أيها الحشرات والسباع! نحن أصحاب رسول الله ﷺ فارحلوا، فإنا نازلون، فمن وجدنا بعد قتلنا، وما هي إلا لمحات قليلة إذ عم هذا الخبر في أوساط هذه الحيوانات، وارتحلت كلها تحمل أولادها (٣).

وعن ابن المنكدر أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم، أو أسر، فانطلق هارباً يلتمس الجيش، فإذ هو بالأسد، فقال: يا أبا الحارث! أنا مولى رسول الله ﷺ، كان من أمري كيت وكيت، فأقبل الأسد له بصبصة، حتى قام إلى جنبه، كلما سمع صوتاً أهوى إليه، ثم أقبل يمشي إلى

---

(١) انظر جمهرة رسائل العرب ١٣٨/١ فقد عزاه إلى فتوح الشام ص: ٢٦.

(٢) البداية والنهاية ج/٧ ص: ٥ وقعة اليرموك، ولفظه: اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً، والقوا جنود المشركين، فأنتم أنصار الله، والله ينصر من نصره، وخاذل من كفره. ولا يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب، فاحترسوا منها، وليصل كل رجل منكم بأصحابه اهـ

(٣) الكامل ج/ ٣، ص: ٤٦٦ سنة خمسين ذكر ولاية عقبة بن نافع إفريقيا، وبناء مدينة القيروان، وفيه بعد ذلك: فرآه قبيل كثير من البربر، فأسلموا.

جنبه، حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسد (١).

ولما حان الزحف على المدائن في حروب الفرس، كانت دجلة تعترض الطريق، فأمر الكفار بنقل السفن منها لكي لا يعبرها المسلمون، وكانت أيام المطر، ودجلة فائضة، فأمر قائد الجيش سعد الفرسان أن يخوضوا بأفراسهم، فكانوا يمشون في النهر مشي تسبح أفراسهم، وكان سلمان رفيق سعد رضي الله عنهما في السباحة، فكان يكرر سعد رضي الله عنه قوله: والله! لينصرن الله وليه، وليظهرن دينه، وليهزمن عدوّه، ما لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب، تغلب الحسنات (٢).

وبعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه العلاء بن الحضرمي في حرب المرتدين إلى البحرين، فسلكوا مفازة، وعطشوا عطشاً شديداً، حتى خافوا الهلاك، فنزل، وصلى ركعتين، ثم قال:

يا حليم! يا عليم! يا علي! يا عظيم! اسقنا.

فجاءت سحابة كأنها جناح طائر، فقعقعت عليهم، وأمطرت، حتى ملأوا الآنية، وسقوا الركاب، ثم انطلقنا حتى أتينا دارين، والبحر بيننا وبينهم، وفي رواية: أتينا على خليج من البحر، ما خيض فيه قبل ذلك اليوم، ولا خيض بعد، فلم نجد سفناً، وكان المرتدون قد أحرقوا السفن، فصلى ركعتين، ثم قال: يا حليم! يا عليم! يا علي! يا عظيم! أجزنا! ثم أخذ بعنان فرسه، ثم قال: جوزوا بسم الله، قال أبو هريرة: فمشينا على الماء، فوالله ما ابتلّ لنا قدم،

---

(١) أخرجه البزار برقم: ٢٧٣٣، ج/٣ ص: ٢٧١ والطبراني في المعجم الكبير برقم: ٦٤٣٢ و: ٦٤٣٣ بإسنادين قال الهيثمي: رجالهما وثقوا، ولفظ الطبراني:

عن محمد بن المنكدر: أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ركبت البحر، فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحاً من ألواحها، فطرحني اللوح إلى أجمة فيها الأسد، فأقبل يريدني فقلت: يا أبا الحارث! أنا مولى رسول الله، فطأطأ رأسه، وأقبل إلي، فدفعني بمنكبه، حتى أخرجني من الأجمة، ووضعني على الطريق، وهَمْهَم، فظننت أنه يودّعني، فكان ذلك آخر عهدي به.

ولفظ البزار: عن سفينة قال: كنت في البحر، فانكسرت سفينتنا، فلم نعرف الطريق، فإذا أنا بالأسد، قد عرض لنا، فتأخر أصحابي، فدنوت منه، فقلت: أنا سفينة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أضللنا الطريق، فمشى بين يدي، حتى أوقفنا على الطريق، ثم تنحى، ودفعني كأنه يريني الطريق، فظننت أنه يودّعنا انتهى.

(٢) البداية والنهاية ج/٧، ص: ٦٥ ذكر فتح المدائن.

ولا خف، ولا حافر، وكان الجيش أربعة آلاف (١).

ويروى: أنه كان للعلاء بن الحضرمي، ومن كانَ معه جوار إلى الله تعالى في خوض هذا البحر، فأجاب الله دعاءهم، وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر وكان شاهداً معهم (٢):

ألم تـر أن الله ذلّـل بحـره ... وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعانا الذي شقّ البحار فجاءنا ... أعظم من فلق البحار الأوائل

وهناك وقائع كثيرة لعبر البحار، والأنهار، وما شاكلها، ولكن هذه القصص - أيها القارئ العزيز - ليست للتسلية، والاستمتاع، ولا لتزجية الوقت، بل إنها مرآة يجب أن ترى فيها صورتنا الكالحة، فما من صغير ولا كبير إلا وقد أرشدنا إليه رسولنا العظيم ﷺ في أقواله، وفرق لنا بين سبل الخير والشر، فلما عمل بها السلف الصالح، نجحوا وفازوا، ونحن حينما لم نُقِم لها وزناً، ولا عرفنا قدرها، ولا أردنا اتباعه ﷺ وقد خلت قلوبنا من خوف الله، ذللنا وامتهنا، ولم تتمخض حياتنا بالسعادة والنجاح.

اقرؤوا التاريخ الإسلامي تروا كيف كان الخليفة يوصي الجيش وقائده، وكم كان الجيش حريصاً على تنفيذ وصايا الخليفة! انظروا كيف أوصى عمر سعداً رضي الله عنهما حينما أرسله إلى العراق وأمّره عليها:

"يا سعد بن وهيب! لا يغرنّك من الله أن قيل: خال رسول الله ﷺ وصاحبه، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس شريفهم، ووضيعهم في ذات الله

---

(١) قد روى الطبراني في الأوسط برقم: ٣٤٩٥ عن أبي هريرة قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، تبعته فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهن أعجب: انتهينا إلى شاطئ البحر، فقال: سموا، واقتحموا قال: فسمينا واقتحمنا، فعبرنا، فما بل الماء إلا أسافل خفاف إبلنا، فلما قفلنا، صرنا معه بفلاة من الأرض، وليس معنا ماء، فشكونا إليه فصلى ركعتين، ثم دعا، فإذا سحابة مثل الترس، ثم أرخت عزاليها، فسقينا، واستقينا، ومات فدفناه في الرمل، فلما سرنا غير بعيد قلنا: يجيء سبع فيأكله، فرجعنا فلم نره.

قال الهيثمي ٣٩٧/٩: رواه الطبراني في المعاجم الثلاثة، وفيه إبراهيم بن معمر الهروي ولد إسماعيل، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) انظر القصة بتمامها وشعر عفيف في تاريخ الطبري ج/٢، ص: ٢٨٩ و: ٢٩٠، ذكر خبر أهل البحرين، والبداية والنهاية ج/٦، ص: ٣٢٩، ذكر ردة أهل البحرين، ودعوتهم إلى الإسلام.

سواء، الله ربهم، وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويَد ركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه، فالزمه، فإنه الأمر، هذه عظتي إياك، إن تركتها ورغبت عنها، حبط عملك، وكنت من الخاسرين ".

ولما فارقه قال له: "إنك ستقدم على أمر شديد، فالصبرَ، والصبرَ، على ما أصابك، ونابك، تجمع لخشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته، واجتناب معصيته، وإنما طاعة من أطاعه ببغض الدنيا وحبّ الآخرة، وإنما عصيان من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة" (البداية والنهاية) (١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أحب دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضرّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى"(٢).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم قد تفطنوا لهذه الكلية، وعضّوا عليها بالنواجذ، والحقيقة أن من آثر الآخرة على الدنيا، وتحمل خسائرها بإزاء الآخرة، فهو وإن أضر بدنياه في ظاهر أمره، غير أنه ليس ضرراً في الواقع.

فقد قال النبي ﷺ: "من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا، وهي راغمة، ومن كانت نيته طلب الدنيا، جعل الله الفقر بين عينيه، وشتت عليه أمره، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له" (٣).

وقد تواترت قصص الصحابة رضي الله عنهم والصالحين من عباد الله

---

(١) البداية والنهاية ج/٧ ص: ٣٥ –٣٦ سنة أربعة عشرة من الهجرة والكامل ج/٢ ص: ٤٥ ذكر ابتداء أمر القادسية.

(٢) أخرجه الحاكم ج/٤، ص: ٣٤٣ رقم ١٠/٧٨٥٣ وج/٤ ص: ٣٥٤ برقم ٥٤/٧٨٩٧عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبي موسى الأشعري في كلا الموضعين، وصححه، وتعقبه الذهبي في الموضع الأول بأن في الإسناد انقطاعا، وذهل في الثاني فوافقه على التصحيح.

والانقطاع الذي أشار إليه الذهبي هو: أن المطلب لا يعرف له سماع من الصحابة وأخرجه ابن حبان برقم: ٧٠٩ وأحمد برقم: ١٩٦٩٧ وقال: محققوه: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، وذكروا له شاهداً من حديث أبي هريرة عند ابن أبي عاصم في الزهد، برقم: ١٦١ مرفوعاً بلفظ:

من طلب الدنيا أضر بالآخرة، ومن طلب الآخرة أضر بالدنيا، قال: فسمعته يقول: فأضروا بالفاني للباقي، وقالوا: إسناده حسن من أجل محمد بن عمرو، وهو ابن علقمة بن وقاص، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين انتهى قولهم.

(٣) أخرجه الترمذي في صفة القيامة باب أحاديث ابتلينا بالضراء ومن كانت الآخرة همه... برقم: ٢٤٦٥.

فيما يتصل بالدنيا وإتيانها راغمة إليهم، وكيف لا يكون ذلك؟ فإن الدنيا لم تخلق إلا لخدمتهم.

بعث سعد ذات مرة عاصم بن عمر أميراً على قليل من الجيش لفتح ميسان، فلما وصل عاصم إذا بالمسلمين قد نفد ما كان عندهم من الزاد، وبحثوا فلم يجدوا، فلقيهم رجل من أهل فارس كان راعياً بناحية من إحدى الغابات، فسألوه عن لبن، وحمالة من الدواب، فكذّبهم، وقال: لا أدري، وإذا بثور خار في الغابة، وقال: كذب عدوالله، ها نحن! فدخل عاصم الغابة، وجاء بالثيران منها، ووزعها على الجيش.

وقال بعض المؤرخين: إن هذه القصة حدثت مع سعد رضي الله عنه في القادسية، ولكن لا مانع من أن تكون قد حدثت مع الرجلين كليهما، ولما سمع الحجاج بن يوسف الثقفي بهذه القصة تعجب منها، ودعا الذين شهدوها يطلب منهم تصديقاً، فقالوا:

إننا سمعنا صوت الثور، فسألهم عن قول الناس في هذا، فقالوا: إن الناس كانوا يستدلون بهذه الواقعة على رضا الله سبحانه عن المسلمين، وأن نصر الله حليفهم، فقال الحجاج: إن هذا لا يكون إلا إذا كان الجيش كله تقياً، فقالوا:

إنا لا نعلم ماذا كان في قلوب الجيش، فأما ما رأينا، فما رأينا قط أزهد في الدنيا منهم، ولا أشد بغضاً لها، ليس فيهم جبان، ولا غالّ، ولا غدّار (١)

ولا غرابة فيما إذا كانت البهائم تنطق، أو تعرض نفسها لخدمة الصالحين من عباده، فإن نطق البهائم مما تحكي عنه الأحاديث الصحيحة، فقد جاء في البخاري وغيره من كتب الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "بينما رجل يسوق بقرة، إذ أعيى، فركبها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا لحراثة الأرض" فقال الناس: سبحان الله! بقرة تكلم فقال رسول الله ﷺ: "فإني أؤمن به أنا، وأبو بكر، وعمر، وما هما ثَمّ". وقال: "بينما رجل في غنم له، إذ عدا الذئب على شاة منها فأخذها، فأدركها صاحبها، فاستنقذها، فقال له الذئب: فمن

---

(١) انظر: الكامل لابن الأثير ج/٢، ص: ٤٥٤.

لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري؟" فقال الناس: سبحان الله! ذئب يتكلم! فقال: أؤمن بها أنا، وأبو بكر، وعمر، وما هما ثمّ"، (المشكاة باب مناقب أبي بكر وعمر) (١).

تحتوي كتب المعجزات على شيء كثير من مثل هذه الحكايات، كما في الشفاء للقاضي عياض، فمن شاء فليراجعه، إن هؤلاء الصالحين البررة من عباد الله حينما أخلصوا لله، وتوكلوا عليه، انقاد لهم كل شيء، حتى الحيوانات والبهائم تستجيب لندائهم، وتسعى لإسعافهم، ويصدق عليهم المثل: "كما تدين تدان" إن التاريخ يزخر بذكر حنينهم نحو الشهادة في سبيل الله.

يروي أبو داود: أن النبي ﷺ ضحى بمائة بدنة في حجة الوداع، ولما كان النبي ﷺ ينحر البدن، طفقن يزدلفن إليه، خمس وست بدنات دفعة واحدة، كل واحدة منها تحب أن يبدأ بها ﷺ (٢).

وعند ما نرى في الدنيا أن صغار الحكام الذين لا يملكون من أمرهم شيئاً، يساعدون أتباعهم ومحبيهم بكل إمكانياتهم، فكيف لا يحمي الله سبحانه عباده المطيعين، ويمنع ظهرهم؟ وقد وعدهم بذلك في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

و﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

كان الصحابة رضي الله عنهم قد فهموا هذه الحقيقة جيداً، فكانوا يعيشون في طاعة الرسول، والنصر حليفهم في كل وقت، وما إن عثروا وزلوا في أمر من الأمور إلا واجهوا مشاقّ، وابتلوا بمحن، كما وقع في معركة أحد، أمر رسول الله ﷺ جماعة من الرماة بالثبات في مكانهم على كل حال، وكان المسلمون يغلبون على عدوهم، فلما رأوا أن الغلبة تمت للمسلمين أو تكاد، ظنّ بعض أفراد من الرماة أن لا حاجة إلى البقاء في المكان، وخرجوا يتعاقبون الكفار، وقد استنكر أميرهم خصلتهم هذه، ولما خرجت الرماة من مكانهم، أتي

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم: ٣٤٧١ ومسلم في فضائل الصحابة برقم: ٢٣٨٨.
(٢) أخرجه أبو داود في المناسك برقم: ١٧٦٥ عن عبد الله بن قرط رضي الله عنه.

المسلمون من قبلهم.

وكذلك اغتر بعض المسلمين يوم حنين بكثرتهم، فأصيبوا بهزيمة وبلاء، وإلى ذلك أشار القرآن فقال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

وفي حرب المرتدين قامت المعركة أولاً مع طليحة الكذاب، ففر منهم كثير، وقُتل عدد، وفر طليحة أيضاً، وتشجع المسلمون، وارتفعت هممهم، ثم وقع قتال عنيف مع جماعة مسيلمة، قتل فيه آلاف من رجاله، واستشهدت جماعة من المسلمين، وكان خالد بن الوليد قائداً في هذه المعارك فيقول: إنا لما فرغنا من طليحة الكذاب، ولم تكن له شوكة، قلت كلمة - والبلاء مؤكل بالقول - : "وما بنو حنيفة؟ ما هي إلا كمن لقينا" فلقينا قوماً ليسوا يشبهون أحداً، ولقد صبروا لنا من حين طلعت الشمس إلى صلاة الفجر.

يعني: أنه يتأسف على ما بدر منه ذلك القول، الذي أدى إلى شدة المقاومة، وطول المدة، وذلك ما جعل الخلفاء الراشدين يؤاخذون بأدنى شيء، وينبهون على أقل خطأ.

وعند كان خالد بن الوليد يلي حرب العراق، كتب إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

"أما بعد! فدع العراق، وأخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم، وهم فيه، وامض مختفياً في أهل القوة من أصحابك، الذين قدموا معك العراق من اليمامة، وصحبوك في الطريق، وقدموا عليك من الحجاز، حتى تأتي الشام، فتلقى أبا عبيدة، ومن معه من المسلمين، فإذا لقيتهم فأنت أمير الجماعة، والسلام".

وكان فيما كتب إليه به أن: سرْ حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا، وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت، فإنه لم يشج الجموع بعون الله سبحانه أحد من الناس إشجاءك، ولم ينزع الشجا أحد من الناس نزعك، فلتهنئك أبا سليمان النعمة، والحظوة! فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عُجب، فتخسر وتخذل، وإياك أن تُدِلّ بعمل، فإن الله تعالى له المنّ،

وهو ولي الجزاء (١).

لقد كانت هؤلاء الناس يهتمون كثيراً بالزجر، والتنبيه على أمور لا تسترعي الانتباه بوجه عام، وكانوا يؤاخذون على المعاصي أشد المؤاخذة.

ذات مرة ألحّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش، أيام خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في أمر حدث له، ولكن أبا بكر رضي الله عنه لم يرض به (٢).

فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه، وأجاز خالد أحد الشعراء بجائزة قيمة، طلبه عمر رضي الله عنه، وقد شدّت يداه إلى عنقه (٣).

وقد كتب عمر رضي الله عنه مخرجه أول مرة إلى أمراء الأجناد: أن يوافوه بالجابية ليوم سماه لهم في المجردة، وأن يستخلفوا على أعمالهم، فلقوه حيث رفعت لهم الجابية، فكان أول من لقيه يزيد، ثم أبو عبيدة، ثم خالد على الخيول، عليهم الديباج والحرير، فنزل، وأخذ الحجارة، فرماهم بها، وقال:

"سرع ما لفتم عن رأيكم! إياي تستقبلون في هذا الزي؟! وإنما شبعتم منذ سنتين، سرع ما ندت بكم البطنة! وتالله لو فعلتموه على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين! إنها بلا مقة، وإن علينا السلاح، قال: فنعم إذاً! وركب حتى دخل الجابية.(تاريخ الطبري) (٤).

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتحت ميسان في أيامه، ولاّها النعمان بن عدي بن نضلة بن عبد العزي بن حزنان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لوي بن غالب، وكان من مهاجرة حبشة - ولم يولّ عمر أحدا من قومه بني عدي ولاية قط غيره - لما كان في نفسه من صلاحه، وأراد النعمان امرأته معه على الخروج إلى ميسان فأبت عليه، فكتب

---

(١) تاريخ الطبري ٣٢٩/٢ حجة خالد والبداية والنهاية ٣٥٢/٦ وقعة الفراض. وتاريخ دمشق ١٨٨/١٨ في ترجمة خالد بن الوليد .

(٢) انظر تفصيل ذلك في البداية والنهاية ٣٢٣/٦ خبر مالك بن نويرة. وانظر تاريخ دمشق ١٨٦/١٨-١٨٧ وانظر مصنف ابن أبي شيبة برقم: ٣٤١٤.

(٣) انظر قصة عمر مع خالد بن الوليد في الكامل ٣٥٦/٢ ذكر عزل خالد بن الوليد. وانظر تاريخ دمشق ١٩٢/١٨

(٤) تاريخ الطبري٤٤٨/٢ ذكر فتح بيت المقدس.

النعمان إلى زوجته:

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها ... بميسان يسقى في زجاج وحنتم

إذا شئت غنتني دهاقين قرية ... وصناجة تجثو على حرف ميسم

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المؤمن/الغافر: ٢-٣] أما بعد! فقد بلغني قولك:

لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم

وأيم الله لقد ساءني ذلك، وقد عزلتك".

فلما قدم عليه قال له: والله ما كان من ذلك شيء! وما كان إلا فضل من شعر وجدته، وما شربتها، فقال عمر: أظن ذلك، ولكن لا تعمل لي عملاً أبدا (معجم البلدان) (١).

انظروا إلى هذه الشدة في أمر الله، والأخذ بالحيطة على كل خطوة، وفي كل مجال، فإن ذلك هو السر في ارتفاع هؤلاء الناس إلى منازل عالية في الدنيا والآخرة، فلما ظهرت منهم معصية أصابهم ضررها، كما مرت أمثلة ذلك آنفاً، وكلما كانوا أرفع منزلة كان أخذ الله أشد، مهما صدر منهم ذنب حقير، وهذا مما يعقل، إذ أن المثل السائر يقول: "حسنات الأبرار سيئات المقربين" (٢).

وقد نبه الله سبحانه نبيه العظيم على ما صدر منه من إيثار شخص كان يرجو إسلامه، ويتكلم معه، على الأعمى الذي جاءه، على أن ذلك لم يكن إلا للدين فحسب، وبالعكس من ذلك، كلما كان المرء من طبقة عادية، صفح

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج/١٢ ص:٢٣-٢٤ طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ومعجم البلدان ٢٣٤/٥، طبعة دار الفكر، بيروت.

(٢) قال السخاري في المقاصد ص:١٨٨: هو من كلام أبي سعيد الخزاز. انتهى وقد رواه ابن عساكر في ترجمته ١٣٧/٥.

عنه في صغائر الذنوب، وأخذه في كبائرها.

إن جزيرة "سردانية" الشهيرة فتحت حوالي سنة ٩٠هـ ، وقد كثر في هذا الفتح غلول، فلما كانوا في السفينة راجعين، هتف هاتف غيب وقال: اللهم أغرقهم، فغرقوا.

لقد ذكرنا أقوال الرسول ﷺ في أول هذا المقال، وهذه الوقائع أمثلة لها، والتاريخ الماضي يزخر بذكرها، أما ما يجري اليوم في عالمنا فهو ماثل أمام الأعين، إننا نحن المسلمين لم نترك سبباً من أسباب البعد عن الله إلا وقد أخذنا عليه بالنواجذ، ولا سيئة من سيئات إلا واعتنقناها، ولا تزال النكبات والويلات تحيط بنا جماعة المسلمين، وتراود أنفسهم، وقد بدأ التنصل عن فروع الدين وأحكامه يعمل عمله في مجتمعنا.

وكل ذلك يحتاج إلى حل سريع، وعلاج ناجع، ولكن هذا الحلّ وذاك العلاج ليس إلا في الرجوع إلى الدين، والتمسك به، والاحتراس من المعاصي.

إن كلامنا مثل هذا يسمى في مصطلح اليوم "رجعية"، فمن يجاهر بـ"الرجعية"؟ ومن يؤثرها على "التقدمية"؟ فإلى الله المشتكى وهوالمستعان.

الفهارس:

إعدّها

عبد الرشيد الندوي

أستاذ قسم الحديث الشريف

دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ [الهند]

أطراف الآيات

أطراف الأحاديث

الملاحظة : حرف التاء بعد رقم الصفحة يدل على أن الحديث في التعليق

أطراف الآثار والأقوال

الملاحظة: حرف التاء بعد رقم الصفحة يدل على أن الأثر أو القول في التعليق

فهرس الحكايات والأحوال

فهرس المحتويات

ثبت المصادر والمراجع

١. إتحاف السادة المتقين لمرتضى الزبيدي، طبعة دار الفكر.

٢. إتحاف المهرة، للحافظ ابن حجر، تحقيق: د. محمود عبد المحسن، مجمع الملك فهد الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣. إحياء العلوم للغزالي، مع تخريج العراقي في التعليق، دار الريان، بيروت.

٤. الأسماء والصفات، للبيهقي طبع إله آباد ١٣١٣هـ.

٥. الإصابة للحافظ ابن حجر دار الفكر.

٦. إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٧. أمالي المحاملي، تحقيق: إبراهيم القيسي المكتبة الإسلامية، دار ابن القيم سنة١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٨. البحر الزخار (مسند البزار) تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٩. البداية والنهاية، لابن كثير مكتبة المعارف، بيروت.

١٠. تاريخ الطبري. دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

١١. تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: أبي عبد الله علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٢. التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط دار البيان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٣. تخريج الكشاف للزيلعي دار ابن خزيمة رياض ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٤. الترغيب والترهيب، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني، مؤسسة الخدمات الطباعية، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. تخريج محمد السعيد بسيوني زغلول.

١٥. تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي /تحقيق: عبد الجبار الفريوائي مكتبة الدار، المدينة ١٤٠٦هـ.

١٦. تفسير الخازن، دار المعرفة، بيروت، لبنان

١٧. تفسير الطبري لابن جرير الطبري دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٨. التفسير الكبير، للرازي طبعة دار الكتب العلمية الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٩. تلخيص الحبير للحافظ ابن حجر، صححه السيد عبد الله هاشم اليماني، بالمدينة المنورة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٢٠. تنبيه الغافلين للسمرقندي دار الشرق ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢١. تهذيب الكمال للمزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٢. الجامع الصغير للسيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة.

٢٣. جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ/١٩١٩م.

٢٤. الجواب الكافي لابن القيم، تحقيق: أحمد بن محمد آل نبعة جمعية إحياء التراث الإسلامي، ١٤٣١هـ/٢٠٠٠م.

٢٥. حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٦. حلية الأولياء، لأبي نعيم دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٧. الدر المنثور للسيوطي، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٨. ذيل اللآلي، للسيوطي الطبعة الهندية.

٢٩. الرسالة القشيرية للقشيري مطبعة التقدم العلمي، مصر.

٣٠. الرسالة المستطرفة للكتاني كراتشي سنة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م

٣١. روض الرياحين لليافعي المطبعة الكاستيلية، مصر ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م.

٣٢. زاد المعاد، لابن القيم مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ/١٩٨٩م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.

٣٣. زوائد ابن ماجه للبوصيري طبعة دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٣٤. زوائد تاريخ بغداد، للدكتورخلدون الأحدب دار القلم، دمشق ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣٥. سبل الهدي والرشاد للصالحي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

٣٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني، مكتبة المعارف الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣٨. سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الريان، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٩. السنن الكبرى للبيهقي، دار الفكر، بيروت.

٤٠. سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط مع أصحابه، مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤١. شرح السنة للبغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤٢. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر ١٣٩٩هـ/١٩٨٩م.

٤٣. شعب الإيمان، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٤٤. صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٤٥. صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٤٦. طبقات ابن سعد، دار صادر، بيروت.

٤٧. طبقات الشافعية للسبكي تحقيق: د. محمود محمد الطناحي الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤٨. العلل المتناهية لابن الجوزي، طبعة إدارة العلوم الأثرية ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٩. عمل اليوم والليلة، لابن السني، تحقيق: د. عبد الرحمن كوثر بن الشيخ محمد عاشق إلهي، دار الأرقم، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٥٠. الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لابن علان، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، المكتبة الإسلامية للحاج رياض.

٥١. الفردوس بمأثور الخطاب الديلمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، لبنان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٥٢. الفوائد المجموعة للشوكاني، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٥٣. فيض القدير للمناوي، دار الفكر، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٥٤. قيام الليل، لابن السني طبعة لاهور ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م.

٥٥. الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٦. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٥٧. الكامل، لابن الأثير، دار صادر، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٥٨. كتاب الزهد للإمام أحمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥٩. كتاب العظمة، لأبي الشيخ، تحقيق: رضاء الله المباركفوري دار العاصمة الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٠. كتاب الميزان لعبد الوهاب الشعراني المطبعة العامرية الشرقية، ١ ٣١٨هـ.

٦١. كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٦٢. كشف الخفاء للعجلوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٥١هـ.

٦٣. كشف الظنون لحاجي خليفة، وإيضاح المكنون لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني وهدية العارفين للباباني في مجموعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ اعتنى به محمد عبد القادر عطا.

٦٤. كنز العمال للهندي، ضبطه الشيخ بكري حياني، وصححه الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٦٥. اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي، الطبعة الهندية.

٦٦. لسان الميزان للحافظ ابن حجر مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٧١هـ/١٣٩٠م.

٦٧. المجروحين، لابن حبان المطبعة العزيزية حيدرآباد ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٦٨. مجمع الزوائد للهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٦٩. مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٣٦١هـ/١٩٤٧م.

٧٠. المرقاة. لملا علي القاري طبعة ملتان باكستان

٧١. مستدرك الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٧٢. مسند أبي يعلى، تحقيق: ظهير الدين عبد الرحمن، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٧٣. مسند أحمد، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط وأصحابه مؤسسة الرسالة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٧٤. مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م إدارة القرآن، والعلوم الإسلامية، كراتشي باكستان.

٧٥. مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٧٦. المطالب العالية لابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت.

٧٧. المعجم الأوسط للطبراني ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي. دار الفكر ، عمان ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٧٨. معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، دار الفكر ، بيروت.

٧٩. المعجم الصغير للطبراني ، بيروت.

٨٠. المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي الطبعة الثانية.

٨١. معرفة الصحابة ، لأبي نعيم ، تحقيق : عادل بن يوسف الغرازي ، طبعة دار الوطن الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٨٢. المقاصد الحسنة للسخاوي ، تعليق : عبد الله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٨٣. المنبهات لابن حجر الهيتمي ، الطبعة الهندية.

٨٤. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، إعداد : مجموعة أساتذة بإشراف علي عبد الحميد أبي الخير ، دار الخير بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٨٥. موسوعة الكتب الستة ، بإشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز ابن محمد ، دار السلام. الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٨٦. الموضوعات ، لابن الجوزي ، طبعة دار الفكر الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٨٧. نزهة الفكر ، لعبد الحي الفرنجي محلي الطبعة الهندية الحجرية.

٨٨. نزهة المجالس ، ومنتخب النفائس ، لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري تحقيق : عبد الرحيم مارديني ، دار المحبة ، بيروت ٢٠٠١م-٢٠٠٢م.

٨٩. نسيم الرياض للخفاجي ، دار الكتب العربي ، بيروت لبنان.

٩٠. نوادر الأصول للحكيم الترمذي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

كلمة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله

"من مآثر الشيخ العلمية الكبرى ، ومساعيه المشكورة ، تأليفه الرسائل في فضائل الأعمال ، ذاك أن الداعية الكبير مؤسس حركة الدعوة والتبليغ : الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله تعالى أدرك بفراسته الإيمانية ، وتعمقه في فهم الإسلام ، و تفقهه في الدين ، ما لعلم الفضائل من تأثير ، وقوة ، وجاذبية للنفوس المؤمنة ، وعرف أن القوة التي تدير عجلة الحياة بسرعة ، وتُفيض على هذا العالم الحياةَ والنشاط هي الإيمان بالنفع ، ذلك الإيمان هو الذي يوقظ الفلاح في يوم شاتٍ شديد البرد فيحرّم عليه الدِّفء ، ويبكّر به إلى الحقل ، وفي يوم صائف شديد الحر يهوّن عليه وهج الشمس ولفح السموم ، ويفصل بين التاجر وأهله ، ويتوجه به إلى متجره ، ذلك الإيمان هو الذي يزين للجندي الموتَ في ساحة القتال ، و فراقَ الأحبة والعيال ، فلا يعدل به راحة ، ولا ثروة ، ولا نعيما ، إن كل ذلك إيمان بالمنافع ، وحرصٌ على الخير ، وهو القطب الذي تدور حوله الحياة.

وهناك إيمان أعظم سلطانا على النفوس ، وأعمق أثرا ، من الإيمان الذي ضربنا له بعض الأمثال ، ذلك الإيمان بمنافع أخبر بها الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ونزل بها الوحي ، ونطقت بها الصحف ، وهي تنحصر في رضا الله تعالى ، وثوابه ، وجزائه في الدنيا والآخرة ، وذلك ما عبرت عنه الأحاديث الواردة في الفضائل بالإيمان والاحتساب ، والذي ينبغي أن يكون هو الدافع الأكبر للمؤمن إلى الأعمال.

سدا لهذه الحاجة و تحقيقا لهذه الغاية وضع الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى رسائلَ في فضائل الصلاة ، والصيام ، والقرآن ، والذكر ، والحج ، والصدقة ، والتبليغ ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعظمها إنما ألفت بإيعاز وأمْر من الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله تعالى".

(من كتاب "العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله" لسماحة الشيخ الندوي رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الله نور السموت والارض

اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى
ال محمد كما باركت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد

كلمة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله

"من مآثر الشيخ العلمية الكبرى، ومساعيه المشكورة، تأليفه الرسائل في فضائل الأعمال، ذاك أن الداعية الكبير مؤسس حركة الدعوة و التبليغ: الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله تعالى أدرك بفراسته الإيمانية، وتعمقه في فهم الإسلام، و تفقهه في الدين، ما لعلم الفضائل من تأثير، وقوة، وجاذبية للنفوس المؤمنة، وعرف أن القوة التي تدير عجلة الحياة بسرعة ، وتُفيض على هذا العالم الحياة و النشاط هي الإيمان بالنفع، ذلك الإيمان هو الذي يوقظ الفلاح في يوم شاتٍ شديد البرد فيحرّم عليه الدِّفء، ويبكّر به إلى الحقل، وفي يوم صائف شديد الحر يهوّن عليه وهج الشمس ولفح السموم، ويفصل بين التاجر و أهله، ويتوجه به إلى متجره، ذلك الإيمان هو الذي يزين للجندي الموتَ في ساحة القتال، و فراقَ الأحبة و العيال، فلا يعدل به راحة، ولا ثروة، ولا نعيما، إن كل ذلك إيمان بالمنافع، وحرصٌ على الخير، و هو القطب الذي تدور حوله الحياة.

وهناك إيمان أعظم سلطانا على النفوس، و أعمق أثرا، من الإيمان الذي ضربنا له بعض الأمثال، ذلك الإيمان بمنافع أخبر بها الأنبياء و الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ونزل بها الوحي، ونطقت بها الصحف، وهي تنحصر في رضا الله تعالى، وثوابه، وجزائه في الدنيا والآخرة، وذلك ما عبرت عنه الأحاديث الواردة في الفضائل بالإيمان والاحتساب، والذي ينبغي أن يكون هو الدافع الأكبر للمؤمن إلى الأعمال.

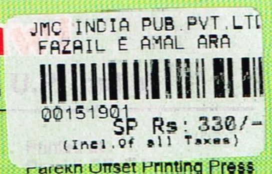
سدا لهذه الحاجة و تحقيقا لهذه الغاية وضع الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى رسائلَ في فضائل الصلاة، والصيام، والقرآن، والذكر، والحج، والصدقة، والتبليغ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومعظمها إنما ألفت بإيعاز و أمْر من الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله تعالى"."

(من كتاب "العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله"

لسماحة الشيخ الندوي رحمه الله)

Maktaba Yahyavi

Near Mazahir-e-Uloom, Saharanpur, U.P.





Printed at:
Parekh Offset Printing Press
Lucknow. Mob. 9235794786